سلسلة الحقيقة الصعبة "٧"

حمزة بن علي
إسمعيل التميمي
بهاء الدين السموقي



LIVRE SAINT DES DRUZES

الطبعة السابعة

دار "لأجل المعرفة"
ديار عقل - لبنان
١٩٨٦

سلسلة "الحقيقة الصعبة"

دار من أجل المعرفة، ديارعقل–لبنان. قياس (١٧×٢٤)

١) **قسّ ونبيّ**، بحث في نشأة الإسلام، أبو موسى الحريري، ٢٠٠١، ٣١٤ ص.

٢) **نبيّ الرحمة** ، بحث في مجتمع مكّة، أبو موسى الحريري، ١٩٨٥، ٢٠٨ ص.

٣) **عالم المعجزات** بحث في تاريخ القرآن، أ. موسى الحريري، ١٩٨٦، ٢٥٠ ص

٤) **أعربيٌّ هو؟** بحث في عروبة الإسلام، أبو موسى الحريري، ١٩٩٠، ٢٥٤ ص

٥) **العلويّون النّصَيريّون**، بحث في العقيدة والتاريخ، أ.م. الحريري، ٢٧٢ ص

٦) **بين العقل والنبيّ**، بحث في العقيدة الدرزيّة، أنور ياسين، ١٩٨١، ٤٦٤ ص.

٧) **رسائل الحكمة**، (كتاب الدروز المقدّس)، حمزة بن عليّ، إسمعيل التميمي، بهاء الدّين المقتنَى، طبعة ٧، ٢٠٠٢، ٨١٦ صفحة.

٨) **مصادر العقيدة الدرزيّة**، حامد بن سيرين، ١٩٨٥، ٥٧٦ صفحة.

٩) **السلوك الدرزي**، أنور ياسين، ١٩٨٦، ٢١٨ صفحة.

١٠) **مذبحة الجبل**، (حسر اللّثام عن نكبات الشام، تاريخ الحرب الأهليّة الدامية في لبنان سنة ١٨٦٠)، شاهين مكاريوس، ١٩٨٣، ٣١٠ صفحات.

١١) **المسيحيّة في ميزان المسلمين**، (ردّ على كتاب "الإسلام والمسيحيّة في الميزان" لـ شريف محمّد هاشم)، أبو موسى الحريري، ١٩٨٩، ٢٥٦ ص.

١٢) **نَزَعنا القناع**، (ردّ على كتاب "أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح"، لـ أحمد زكي)، ١٩٩٧، ٣٦٠ ص

١٣) **رغبات النفس والجسد.** (الحياة الجنسيّة في الإسلام)، أبو موسى الحريري، ٢٠٠٠، ٢٨٨ ص

١٤) **موازين «الحقيقة الصعبة»**، (ردّ الحريري على ردود مسلمين)، ٢٠٠٠، ٢٣٦ صفحة.

مقدّمة عامّة

١ . في مواجهة سرّ الحكمة

نعالج، في الكشف عن "رسائل الحكمة"، كتاب الدروز المقدّس، سرّاً استمرّ مكتوماً دهوراً. وفي معالجتنا هذه، نقدّر موقفَ جماعةٍ يعتبرون السرّيّة عقيدةً أساسيّة عندهم. ويصرّون على أنّ كشفَ الحقيقة يُعرّضها الى إساءة فهمها والهزء بها، وهذا الهزء، على ما يقول كمال جنبلاط، أحد زعماء الدرزيّة المعاصرين (ت ١٦/٣/١٩٧٧)، يجرّهم الى التهلكة. فيجب أن نتجنّب مثلَ هذه الكارثة مهما كلّفنا الأمر[١].

وكم وقفنا متسائلين: هل يحقّ لنا أن نطّلع على سرٍّ أرادَه أهلُه أن يبقى مَصونًا؟ هل لنا أن نُعلنَ لعامّة الناس سرّاً دفينًا لا تحقُّ معرفتُه إلاّ للخاصّة منهم ؟... وزادَ قلقَنا معرفتُنا بأنّ ألفَ سنةٍ ونيِّف مضتْ والسرّ في هالة من القدسيّة تَحمي منعتَهُ... ولكنّ السؤالَ يحمل في ثناياه موقفينِ من السرِّ متناقضَين: موقفاً يفرضُ علينا إجلالُهُ كتمانَه؛ وموقفاً تلحّ علينا معرفتُه إشراكَ الناس، كلِّ الناسِ بخيرها. ونحن ممّن يُجلّ الموقفَين معاً...

نُجلُّ السرَّ ونُحيطه بهالةٍ قدسيّةٍ من قدس أقداس الله؛ ونعمل على نشر المعرفةِ ليكون العلم والحقّ والخير في متناول جميع البشر. عادلْنا بين الموقفين، واستقصينا الحجج والبراهين، واستشرنا الأصدقاء، فكان لنا، لراحة البال والضمير، اعتباراتٌ عشرة:

---

(١) ورد هذا القول في مقدّمة للاستاذ كمال جنبلاط على كتاب «**أضواء على مسالك التوحيد الدرزيّة**»، للدكتور سامي نسيب مكارم، دار صادر ١٩٦٦ ، ص ١٦.

أوّلاً – لئن حاولنا الخوضَ في سرّ الحكمة الدرزيّة فإنّنا على يقين بأنّ السرّ يبقى سرًا لا ينال كنهَهُ إنسانٌ، لأنّ السرَّ الحقيقيّ يبقى ملكَ أصحابه، ويستعصي على كلِّ متطاولٍ عليه. فالسرُّ، مهما حاولنا سبرَ أغواره، نبقى دونه. والمؤمن الذي نشأ على السرّ واعتادَه، ومارس رموزَه، وفكّ ألغازه، يتخطّى قدرة أيِّ طارئٍ عليه من خارج. فلا خوف على هتك حرمة السرِّ إذاً. وادّعاؤنا معرفتَه يبقى رغبةً فحسب؛ ومعرفتنا له تبقى محاولةً لا غير.

ثانياً – سرُّ الحكمة الدرزيّة هو سرّ توحيد اللّه. وعلى الجميع أن يعملوا لهذا التوحيد، ويعترفوا به، وينتفعوا منه، ويصبحوا من أهله. وكلُّ الخير أن يتعاون البشر كلُّهم على اكتشافِ سرّ وحدانيّة اللّه... والبحثُ عن التوحيد كان همَّ العالم منذ سحيق الأيّام ولا يزال. وعلى من وَجَدَ سرَّه أنْ يفيدَ غيرَه. بذلك تهونُ المصاعب، وتتقرّر سعادةُ البشر، وتعمّ المعرفة، وتتحقّق المحبة، ويكتمل الخلاص.

ثالثاً – مِن مهمّات الانسانِ الكبرى في هذا الوجود أن يسعى الى اكتشاف أسرار هذا الكون. وقد توصّل بالفعل إلى التنعّم بما أكتشف. إلاّ أنّ المهمّة العظمى هي في أن يسعى الإنسان إلى اكتشاف سرّ نفسه واكتناه سرّ الآخرين. بهذا، وبهذا فقط، تكون المشاركة والمحبّة، ويكون التفاهم والتعاون، وتكون السعادة، ويعمّ الخير. فلنا مطمع في أن نعرف سرّ الآخرين لنحبّهم أكثر، ونتعاونَ وإيّاهم إلى آخر حدود التعاون، وننفتحَ عليهم لينفتحوا هم علينا.

رابعاً – خصال الحكمة التوحيدية سبع: «أوّلها وأعظمها السدق»[٢]. «فمَن كان يزعم أنّه مؤمن موحِّد.... ولا يكون سَادِقاً... كان

(٢) كلمة "سدق" ومشتقاتها تُكتب بالـ"س" لا بالـ"ص"، وذلك ليكون مجموع

مدّعي التّوحيد، مستعملَ الشِّرْك والتلحيد»[٣]. «فمن لم يكن سَادِقاً بلسانه فهو بالقلب أكثر نفاقاً»[٤]. «واعلموا أنّ السِّدْقَ هو التّوحيد بكماله، والكَذِبَ هو الشرك والضلالة»[٥]... فمِن واجب أصحاب الحكمة، إذاً، أن يُقيموا الصدق مع جميع الناس لتعمّ الثقة المتبادلة، ويتعاون الجميع لأجل الخير وشمول المعرفة. ومِن حقّ الجميع أن ينعموا بثقة الموحِّدين وصدقهم. وفي الصدق مشاركة في السرّ أفعل.

خامساً – مِن شأن الحكمة التوحيديّة أن تضع نفسَها في خدمة الجميع ولصالح الجميع، لا أن تقتصرَ على قسم منهم وتمنعَ القسمَ الآخر من خيرها. ومن واجبها أيضاً أن تدعو الجميع إليها، وتصنع منهم كلَّهم أهلَها ومستحقّيها، لا أن تتبنّى بعضَهم وترذلَ بعضَهم الآخر. والكلُّ يمكنهم، إذا ما توفّرتْ لهم الحكمة، أن يكونوا من أهلها. فالطبقيّة بين البشر، بالنسبة إلى قبول الحكمة، غير جائزة. والحكمة نفسُها تحارب مثل هذه الطبقيّة، وترغب في أن يكون الجميع في مستواها ومن مستحقّيها.

سادساً – مِن شأن كلِّ دِينٍ أن يدعو الناسَ إلى الدّخول فيه، وإلى نيل الخلاص باتّباع مسالكه. وقد تختلف دعوة كلِّ دِين عن سواه. ولكنّ الأديانَ كلّها تريد من كلِّ البشر أن يكونوا مستجيبي دعوتها. أمّا أن يُغلَقَ البابُ على بعض الناس، فهذا، بالفعل، طعنة في صميم الدِّين، وهزء بحرّيّة الإنسان، وظلم جسيم في حقّ الساعين إلى الخلاص. ومَن منع عن الإنسانِ خلاصَه تعمّد الشرَّ في ذاته. ومن هزئ بحرّيّة الإنسان أنكر على الإنسان هويّتَه وكرامتَه.

حروفها، بحسب حساب الجمّل، ١٦٤، أي بعدد أنبياء الصدق الذين يعترف الدورز بهم، بمقابل أنبياء الكذب الـ ٢٦، بعدد حروف كلمة "كدب".

(٣) الرسالة ٤١ من الجزء الثالث.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) المرجع نفسه.

سابعاً – أيُّ حكمةٍ في قول أصحاب الحكمة هذا: «أنتم تَرونَهم من حيثُ لا يرونَكم. أنتم بما في أيديهم عَارفون، وهم عمّا في أيديكم غافلون، وعمّا اقتبستُّموه من نورِ الحكمة محجوبون. لقد أُخرِسوا ونَطَقتم، وأُبكِموا وسَمِعتم، وَعَمُوا وأبصرْتُم، وجَهلوا وَعرفتم»[٦] ... هل هي بالفعل حكمة أن يكونَ أصحابُ الحكمة مغلَقين على غيرهم، ويريدون من غيرهم أن يكونوا منفتحين عليهم !!! هل هي حكمة أن تستنير بنور الناس، وتبادلهم من عندك الظلمة؟؟؟ تربأ الحكمة بأصحابها أن يمنعوها عن سائر البشر، ويوصدوا أبوابها عليهم، فيحجزوها في كتبهم.

ثامناً – أهي حكمة أم تدليس في أن تُظهر عكسَ ما تُبطن، وتُعلن غيرَ ما تكتم؟ أهي حكمة في أنَ يُعلِنَ أصحابُ الحكمة إسلامَهم مثلاً، فيما هم يسبّون الاسلامَ، ويشتمون المسلمين ونبيَّهم، ويلعنون الكعبةَ والحجرَ الأسود؟! إسمع نصيحة أصحاب الحكمة: «عليكم بالاستتار بالمألوفِ عندَ أهله»[٧]. والمألوف عند المسلمين أن يُقيموا الدِّينَ ويُتمّوا فرائضَه. أمّا أصحابُ الحكمة فيتستّرون بهذا المألوف، ويقصدون غَرَضًا آخرَ أُعلِنَتْ حقيقتُه في «كتاب النقضِ الخفي»[٨]، الذي أبطلَ كلَّ أركان الإسلام ونَقَضَها ركناً ركناً.

تاسعاً – إنّ السرَّ في جوهره وحقيقته مجموعةُ عقائد ومعارفَ تَكْشِفُ خفاياها فَتبدُو لكَ خفايا أخرى. وكلّما عالجتَ مظهرًا منها بَانَتْ لكَ مظاهرُ أخرى كثيرة. فالسرّ في تحديده، وفي مفهومه الدِّيني، غنيٌّ لا يفتقِر. وكلّما عَالجْتَهُ، وَتُهْتَ في ثناياه، زدتَهُ غنى، وزادَك من غناه. وليس كَكِتْمَانِهِ

---

(٦) رسالة التحذير والتنبيه، ٣٣ ، الجزء الثاني.

(٧) المرجع نفسه .

(٨) الرسالة رقم ٦ من الجزء الاوّل.

ما يُفقِرُ مَعناه، ويُحدُّ من أبعاده. وغنى السرِّ أوجبَ الوحيَ، بنوع أنّه لا قيمةَ للوحي، ولا فائدةَ منه إنْ لم يُنَطْ مباشرةً بإعلانِ اللّه عن سرِّه.

عاشراً – إنّ حكمةَ اللّه تقوم على إعلان سرّ الخلاص. وسرُّ الخلاص هذا هو سرّ الحكمة. والحكمة على نوعَين: حكمة اللّه وحكمة البشر. الأولى تُعلَن ولا يُفقِر إعلانُها غناها، والثانية يُمْنَعُ إعلانُها ليُوهِمَ كتمانُها غناها. تَسَمَّعْ من سجلات الحكمة: «إنّ هناك حكمةً نتكلّم عليها بين الكاملِين، وليستْ بحكمةِ هذه الدنيا، ولا بحكمةِ رؤساء هذه الدنيا، ومصيرُهم للزوال. بل نتكلّم على حكمة اللّهِ السرّيّةِ الخفيّةِ، التي أعدّها اللّهُ لنا قبلَ الدهور... إنّها حكمةٌ لم يعرِفْها أحدٌ من رؤساء هذه الدنيا... وإنّا لا نتكلّم عليها بكلامٍ مأخوذٍ من الحكمة البشرية، بل بكلامٍ مأخوذٍ عن الروح»(٩).

***

هذه الاعتبارات العشر جعلتْنا نقرّر إعلانَ سرّ الحكمة. وفضيلةُ إعلانه تُعادِلُ فضيلةَ كتمانِه. وقد يكونُ إعلانُه أقلَّ خطرًا من كتمانِه، لأنّ الخيرَ العظيم يكمن في أن يعرف الناسُ غنى اللّه وسرَّ اللّه، وأن يتبادلوا المعرفةَ، ويتعاونوا على معضلات البشر وحلّها، ويُحطِّموا الحواجزَ والعوائقَ فيما بينهم ... بذلك يعمّ الخير، وتُرجى السعادة، وتُبنى المجتمعات الفاضلة والأوطانُ الثابتة، وتتأسّس الفضيلة، وتَشْمَلُ المحبّة، ويَتمُّ التفاهمُ والتعاون والسلام...

يكفينا من هذه الحجج أنّنا نريدُ أنْ نعرفَ، ونريدُ أن نُعلن ما نعرف، ونريد أن نشركَ سوانا بما نعرف. من حقِّ الانسان أن يعرف، وَمَنْ عَرَفَ

---

(٩) ١ قور ٢/٦–١٠.

واقتنع مِن حـقّه أن يسعى إلى تحقيـق ما اقتنع به ورغب فيـه. وإذا ما كانت القناعةُ والرّغبة في المعرفة تتعلّقان بالخلاص والمصير الأخير، وَجَبَ السعيُ والتضـحيـة في سبـيل ذلك. وَمن مَنَعَ عن البـشر خلاصَـهم فلكأنّه قَـصَدَ هلاكَهم. لهذا نريد ولوجَ سـرّ الحكمة مهما كلّف الأمـر. ونريد من أصحاب "الحكمة" أن يسـاعدونا على معرفـة الخير الذي في "حكمتـهم". ولا أحدَ في الكونِ يستطيع أن يمنعنا عمّا نحن عـازمون عليه. إنّنا نريد أن نعالج كلَّ سرّ، فإمّا تنهار حرمتُه فَيَفْتَقِر، وإمّا يَصْمُدُ عندَ ولوجنا فيه فيفيدُنا من غناه. وفي كِلا الحَالَيْنِ نسْتَحِقُ شُكْرَ أَهْلِه.

٢ . في مواجهة مخطوطات الحكمة

توجد كـتب الحكمة في مـجمـوعة اسمُـها «رسائل الحـكمة». وهي كـتـاب الموّحديـن الدروز المقـدّس. فيـهـا عـقيـدتهم، ونـظرتهم إلى الكون والإنسان. وعليهـا معتمـدهم في تحديد قيمـهم ومبادئهم. ومنها تعـاليمهم وآدابهم. وفيها قوانينهم الدّينيّة والاجتماعيّة...

تحتوي «رسائل الحكمة» عـلى مجموعة من ١١١ رسالة، «جَمـعَها المغفور له الأميـر عيسى التنّوخي»[١٠] في ستّة كتب. وقد جـمع إليها الأميرُ عبد الـلّه جمال الدين التنّوخي (١٤١٧-١٤٧٩) السجـلاّت الأربعة في أوّل الكتاب..

هذه الكتب الستّة هي التالية:

---

(١٠) هو الجدّ الخامس للأمير عـيـسى التنّوخي المعاصـر للأمـير السـيّد. لم يذكـرْه الأشرفاني في كتابه الشهير "**عمدة العارفين**".

ألكتـابُ الأوّل، ويُسمّى "السِّيَر". عددُ رسـائله ١٤ رسالـة. أوّلُها "السجلّ"، وآخرها "رسالة السبب". عدد كلماته: ٤٠٠ ٢٩ كلمة.

ألكتـاب الثاني، ويسـمّى "الردّ". فيـه ٢٦ رسالة. أوّلها "الـرّسالة الدامغة"، وآخرها "شِعر النّفس". عدد كلماته: ٨٠٠ ٢٣ كلمة.

ألكتـاب الثالث، ويسـمّى "الجزء". فـيه ١٥ رسـالة. أوّلها رسـالة "الجزء"، وآخرها رسالة "التعقّب". عدد كلماته: ٥٠٠ ٢٢ كلمة.

ألكتـاب الرّابع، ويسمّى "الإيقـاظ". فيـه ١٣ رسالة. أوّلهـا رسالة "الإيقاظ"، وآخرها رسالة "السَّفَر". عدد كلماته ٢٠٠ ٢٠ كلمة.

ألكتاب الخـامس، ويسمّى "المعراج". فـيه ٧ رسائل. أوّلهـا رسالة "المعراج"، وآخرها "الردّ على أهل التأويل". عدد كلماته ١٠٠ ١٩ كلمة.

ألكتـاب السـادس، ويسـمّى "التـوبيخ". فـيه ٣٦ رسـالة. أوّلهـا "التوبيخ لابن البربريّـة"، وآخرها "منشور الغَيبَـة". عدد كلماته ٠٠٠ ٢٥ كلمة(١١).

أمّا المكتبـات التي تحتوي على مخطوطات الرسـائل الدرزيّة فكثيرة في العـالم. نذكر أهـمّهـا لمن يريد الحصـول عليـها، عِلـمًا بأنّ مـخطوطات الرسـائل كثيرة في الخلوات وعند المشـايخ، ومـع كثيرين من غير الدروز، في مكتباتٍ وطنيّة، خاصّة وعامّة، نخـشى من ذكرها، وفي مكتبات عالميّة، نذكر منها:

ألمتحف البـريطاني لندن: الجزء الأوّل ١١٤٣، الجزء الثاني ١١٤٤، الجزء الرّابع ١١٤٧، الجزءان الخـامس والسـادس ١٣٨. مكتبـة كمـبردج:

---

(١١) راجع توفيق سليمان، **أضواء على تاريخ مذهب التوحيد**، بيروت، كانون الأوّل سنة ١٩٦٣، دار ألف ليلة وليلة، ص ٢٩–٣٢.

الأرقام: ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦، ١٣٦٥. مكتبة مانشستر ريلند: ١١٢، ١١٧، ١١٧أ، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١. مكتبة برنستون-جاريت: ١٦١٣، ١٦١٥، ١٦١٦. أكسفورد: ٤٢٠ - ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٢-٤٢٩. المكتبةالوطنية باريس: ١٤٠٨-١٤٣٦. ألفاتيكانيّة: ٩٠٩، ١٣٤٠، ٣٧٩، ٧٢١، ٩١٠، ٩٣٣، ١٣٣٢، ١٣٣٥، ١٣٣٧، ١٣٤٨، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣: ألأجزاء الستة. منشن: ٢١٧-٢٢٤. لَيْدن: ١٩٧٨، ١و٢. برلين: ١٨٧٠، ١٥٥٠، ١٤٠٣-١٤٠٧، ٢٠٩٩، ١٤٠٨، ١٤٠٩: ألأجزاء الستة. ثم ٨١٩، ٨١٥، ٨١٤: ألأجزاء الستة أيضاً. جمعيّة المستشرقين الإلمانيّة: ١٢٧و ١٢٨، أي: ألجزءان الأوّل والثاني فقط. لِينِنجراد المتحف الأسيوي: ٩٦-١٠٠: ألأجزاء الستة. أبسالا (نورنبرج): ٥٠١-٥٠٤: ألأجزاء جميعها ما عدا السادس. مكتبة فيينّا: ١٥٧٣ كاملة. ألمكتبة البودلييّنيّة: ٤١٦- ٤١٨ وفيها الثالث والرابع والخامس والسادس. ألمكتبة التيموريّة (دار الكتب المصرية): ٢٧٦ عقائد، ٦٧١ ويحتوى على ٣٤ رسالة، ٦٦٢ عقائد. دار الكتب المصرية بالقاهرة، قسم عقائد النحل: ٢٠ و٣٥ و٣٧ و٣٩ و٥٤ و١٣٣ و١٣٨.

هذه الرّسائل عدّدها أيضاً الدكتور محمّد كامل حسين[١٢]، والدكتور عبد الرحمن بدوي[١٣]. أمّا سلْفسْتر دي سَاسي[١٤]، فيزيد عليها رسالتَين يعترف بعدم أصالتهما، وهما: «ألرسالة الموسومة بالأسرار ومجالس الرحمة للأولياء والأبرار»، و «الرسالة الموسومة بمجالس الرحمة».

وإنّا، تقديراً لفائدتها التاريخيّة، ولعقيدتها الدينيّة، ولنظرتها الكونيّة، عمدنا الى تيسيرها ونشرها، حريصين كلَّ الحرص على الأمانة

(١٢) **طائفة الدروز، تاريخها وعقائدها**، دار المعارف بمصر، ص ٩٢-١٠٣.
(١٣) **مذاهب الإسلاميّين**، الجزء الثاني، دار العلم للملايين، ص ٥١٤-٥٤٨.
(١٤) S. de Sacy, **Religion des Druzes**, I, p. CCCCXCV

والدقّة في نقلها، آخذين بنصيحةِ «السجلّ الّذي وجد معلّقاً على المشاهد»، والذي يقول: «لا يُمنَع أحدٌ من نسخِها وقراءتها... حرامٌ حرامٌ على مَن لا ينسخها ويقرأها على التّوابين... حرامٌ حرامٌ على مَن قدر على نسخها وقصّر»[١٥].

٣ . كيفيّة تصنيف الرسائل

يعود تاريخ تصنيف الرسائل الى الفترة الممتدّة ما بين سنة ٤٠٨ وسنة ٤٣٤ هجريّة، أي من بدء الدّعوة الدرزيّة حتى إقفالها. وقد يكون هناك رسائل من غير هذا التاريخ، كما أنّ هناك رسائل غير مؤرّخة؛ لنا عليها ملاحظات تجيء في كلامنا على كلّ رسالة بمفردها. وقد يكون أيضاً اختلاف في ترتيب الرسائل: فبعضها يتقدّم على بعض، من الوجهة التاريخيّة، إلاّ أنّنا احتفظنا بالترتيب المتبّع، حفظاً منّا لقدسيّة المألوف.

والذين ألّفوا الرسائل ثلاثة. ألأوّل: **حمزة** بن علي بن أحمد من مدينة زوزن في خراسان، وهو مؤسّس الدِّين، الملقّب بـ «العقل»، وبـ «قائم الزمان»، و «هادي المستجيبين». والثاني: **إسمَعيل** بن محمّد بن حامد التميمي، الملقّب بـ «النفس»، وبـ «صفوة المستجيبين»، وهو صهر حمزة ووكيله في الدِّين. والثالث: **بهاء الدين** أبو الحسن علي بن أحمد السموقي، الملقّب بـ «التالي» وبـ «المقتنى»، وبـ «الجناح الأيسر»، الذي وضع ثلثَي الرّسائل؛ وهو آخر «الحدود الخمسة» الذي به أُغلقتِ الدّعوة التوحيديّة.

و «رسائل الحكمة» على أنواع:

---

(١٥) نسخة السجل الذي وجد معلّقا على المشاهد، الجزء الاول، رقم ١.

منها ما هو سجلاّت، وُضعتْ في أيّام الحاكم، قبل بدء الدّعوة؛ وهي لا تمتّ إلى عقيدة التّوحيد بأيّة صلة؛ بل هي أقرب إلى العقيدة الفاطميّة الإسماعيليّة؛ وهي الرسائل الأربع الأوَل. احتفظ بها الدروز في بدء «المعلوم الشريف»، وهو إسم آخر لرسائل الحكمة، ابتغاءً للتمويه وتبريراً لانتمائهم ظاهريًا إلى الإسلام.

ومنها ما هو رسائل بُعثتْ إلى أشخاصٍ كانوا على مكانة عالية في الدولة، أو إلى أشخاصٍ ساهموا في نشر الدّعوة، أو أيضاً إلى أشخاصٍ ارتدّوا عن الدعوة. ومنها ما هو ردٌّ على الخصوم والمرتدِّين، بأسلوبِ توبيخٍ وتأنيبٍ وتحذيرٍ وإنذار. ومنها ما هو مواثيق وعهود ونصائح وتعاليم في العقيدة. ومنها ما هو مناجاة ودعاء وتقديس، بأسلوب صوفيّ روحانيّ رائع. ومنها ما هو تعريف بالدّعوة وكشفٌ لعقيدتها وحقيقتها.

ومنها ما هو في سيرة الحاكم وحياة حمزة وعلاقته بمعاندِي الدّعوة وخونَتِها، وتكليف الدّعاة في نشر المذهب وتقليدهم مقاماتهم وألقابهم وأدوارهم. ومنها ما هو رسائل إلى البلدان وأهل المدن والقرى والقبائل في مصر والجزيرة العربيّة وسوريا ولبنان والعراقَين وبلاد الهند واليمن والعرب.. وغيرها.

وأسلوب الرسائل عربيٌّ بليغ، قرآنيٌّ الوقْع، متين العبارة: منه النثر ومنه الشعر؛ ومعظمه سجع. مليءٌ بالرموز والألغاز. حافلٌ بالتشابيه والصور. جلّه صعب المنال، عسير الفهم، غريب اللّفظ والعبارة. توخّى أصحابُه المعاني الباطنيّة التي لا يدركُها إلاّ مَن تمرّس عليها؛ فأعطَوا الكلمات مدلولاتٍ مجازيّةً بعيدةً كلَّ البعد عن مدلولاتها الحقيقيّة. ومارسوا بأسلوبهم وعباراتهم «التقيّة»،التي هي التستّر والكتمان والتمويه والتدليس، ابتغاءَ السرّيّة؛ وذلك صوناً «للحكمة» من غير أهلها، كما يقولون.

وقد لا يفهمُ كلُّ النّاس أسلوبَ رسائل الحكمة إنْ لم يتزود له بالمعاجم الدرزيّة المتخصّصة، وإنْ لم يكن بارعاً ضليعاً في فنّ التأويل الباطني.

أضف الى معميّات الأسلوب استعمالَ الألوان ورمزيّتها، وهي خمسة ألوان: الأخضر، والأزرق، والأحمر، والأصفر، والبنفسجي. وترمز إلى «الحدود الخمسة»: ألعقل، والنفس، والكلمة، والسابق، والتالي. وهي اليوم تؤلّف ألوان العلَم الدرزي.

ثمّ نجد في النصّ، فوقَ بعض الكلمات، نقطاً سوداءَ وحمراء، يختلف عددُها بين الخمسة أوالسبعة أو التسعة أو الإثني عشرة، أو الثمانية والعشرين، أو الثلاثين. وهي تدلّ على حدود دعوة التوحيد والحجج والدّعاة والنُذُر..

ثمّ نرى أيضاً بعض الكلمات الهامّة المألوفة المختصرة، مثل : تو: توحيد، عق: عقل أي حمزة، نف: ألنفس أي التميمي، ل: لاهوت، ن: ناسوت. وغير ذلك. وكثيراً ما نرى أيضاً تفسيراً للأرقام، ولحروف اللّغة، ومدلولاتها، واستعمال بعض الالفاظ الأعجميّة، وغير ذلك...

تُكتب «رسائل الحكمة « باليد، وتُنسَخ نَسْخًا. ولا تُطبع. والخطّ فيها جميل رائع. كلُّها مشكّلة بحيث يسهل على القارئ قراءتها، من دون صعوبة، ولكن أيضاً من دون إدراك معانيها بسهولة.

ويزيد في تعقيد فهمها كيفيّة تأليفها: فالرسالة الواحدة تؤلّف مقطعاً واحداً، لا عودة فيه إلى مقطعٍ جديد إلاّ بعنوان رسالة جديدة. والرسالة الواحدة تتضمن جملة موضوعات ونظريّات في الدِّين والفلسفة والأخلاق والاجتماع، ممّا اضطرّنا إلى تقطيعها فقراتٍ فقرات، ليسهل على القارئ بعضُ الفهم. وتتراوح الرسائل في الطول ما بين الصفحة والخمسين صفحة.

ولكثرةِ ما نُقِلَتِ الرسائلُ ونُسِخَتْ على أيدي نسّاخٍ غير جديرين، وَقَعَ فيها أخطاء لغويّة كثيرة جدًّا، وأخطاء في التنقيط والتشكيل وتبديلِ بعض الحروف المتقاربة، مثل الـ ذ والـ د، الـ ش والـ س، الـ ر والـ ز وغيرها...

وكثيراً ما نرى أيضاً فاعلَين لِفِعْل واحدٍ، وهو المألوف في الرسائل، كما نرى الهمزة في غير مكانها الصحيح. والخلط بين الـ ة والـ ه والألف الممدودة والألف المقصورة كثير جداً... ولم نحاولْ تصحيحَها ولا الإشارة إليها، لكثرتِها، ولعلمنا بأنّها لا تخفى على القارئ، ثمّ تحاشياً للحواشي الكثيرة في أسفل الصفحات؛ إلاّ أنّنا أشرنا مراراً إلى آيات القرآن ومراجعها ، وآياتِ الأناجيل التي وردتْ في الرسائل، قاصدين التلميحَ إلى ما للقرآن والأناجيل في تأليفها مِن دور... ولكنْ، ليفهم القارئ، منذ الآن، أنّ كلَّ ما أُخذ عن القرآن والأناجيل يَخضع للتأويل الباطنيّ والمفهوم الدرزيّ الخاصّ.

٤ . عقيدة الحكمة الدرزيّة

تتضمن «رسائل الحكمة» تعاليم الدروز في اللّه ووحدانيّته، وتجلّيه الإلهي عَبر الدهور، وتعاليمهم في بدء الكون والخلق والإنسان والتقمّص والمعاد والحساب واليوم الأخير... إنّها نظرة كاملة شاملة متماسكة، تؤلّف العقيدةَ والشريعة والدِّين بتمامه.

وهي تختلف اختلافاً عميقاً وجوهريًا عن الإسلام، مع أنّها نشأت في ظلّه، واعتمدتْ على كتابِه. وتختلف عن اليهوديّة والنّصرانيّة، وتقف منهما موقفاً مضاداً. ومع هذا يؤلّف القرآن والإنجيل والتوراة مصدراً مهمّاً للعقيدة الدرزيّة.

غيـر أنّها تجلّ الفلسفة اليـونانيّة، وتقدّس حكمـاءها كفيثـاغورس وأفـلاطون وأرسطو وأفلوطين، وسـواهم. ولها قـرابة من صـوفيّـة الهند وروحانيّة أديانها، كما لها من فلاسفة المسلمين، كالفارابي وإخوان الصفاء، ومع أهل الصوفيّة أيضاً، أكثر من أثر. ومع عدائـها للنصيريّة، فإنّها تتشابه وأيّاها الى حدّ بعيد جدًا.

***

بوسـعنا أن نلخّص العـقـيدة الدرزيّة الكـونيّة بما يلـي: لقد مـرّت الخليـقة، مـنذ وجودها، في اثنـين وسبـعين دوراً. ونحن، اليـوم، في الدور الأخـير منهـا. وكان الله، في كلٍّ دور، يتـجلّى للعـالم، ويكشف عن نفسـه، ويَظهر في صـورة إنسان. فكان ظهوره الأخـير في شخص «الحـاكم بأمر اللّه»، الخليفـة الفاطمي السـادس (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢١م). أمّا في الدور الأوّل فكان ظهورُه باسم «العليّ الأعلى»، الذي لا نعرف عنه شيئاً.

وكـان «العقل الأوّل» أوّلَ مـا «وُجِـدَ»، أو «ظَهـر» مع العليّ الأعلى. وبإزاء «العقـل» «وُجِدَ» «الضدُّ». ثمّ تلا الـعقلَ «حدودٌ» أربعـةٌ هم: «النفس» و«الكلمة» و«السابق» و«التـالي». وفي كلٍّ دور من الأدوار الإثنين والسبعين تمثّلت هذه الحدود الرّوحانيّة بصوُرٍبشريّة وأشخاصٍ جسمانيّين.

في دور «الحـاكـم بأمـر اللّه»، تمثّل «الـعـقلُ» بحـمـزة بن علي، و«النفسُ» بإسـمـعـيل التـميـمي، و«الكلمـةُ» بمحـمّـد بن وهب القـرشـي، و«السابق» بسلامة بن عبد الوهّاب السامريّ، و«التالي» ببهاء الدِّين علي بن أحمد السموقي.

على أكتاف هؤلاء الحدود قامتِ الدّعوةُ الدرزيّة التوحيديّة في الدور الأخيـر منها، وانكشـفتْ للعالم، وانتـشرت في البلاد. وهي مـستـمرّةٌ إلى اليوم في لبنان وسوريا وفلسطين، وبعض بلدان الاغتراب.

وفي العقيدة الدرزيّة أيضاً، جاء العالمَ «أنبياء سبعة»، هم «النطقاء» الذين نطقوا بشريعةٍ، وأتَوا بـ «نواميسَ تكليفيّة»، كلّفوا بها الناسَ بما يفوق طاقاتهم؛ فأبعدوهم، بسبب ذكل، عن الدِّين الحقيقي، أي دين التّوحيد؛ كما كان لكلِّ «ناطقٍ» «أساس»، أو وكيل، كانت شرائعُه أكثرَ وقيعةً بأهل التّوحيد من شريعة الناطق.

فكان أوّل ناطق **آدم** وأساسه شيث. ولكن لم يكن لهما عزْمٌ حتى يأتيا بشريعة. ثمّ جاء **نوح** بشريعة جديدة نقض بها تعاليم آدم، وكان أساسه سام. ثمّ جاء **أبرهيم** وأساسه أسمعيل. ثمّ **موسى** وأساسه هارون، وبعده يشوع بن نون. ثمّ جاء **عيسى** وكان أساسه شمعون. ثمّ جاء **محمّد** وكان أساسه عليّ بن أبي طالب. وجاء أخيراً **سعيد** بن أحمد المهدي مؤسِّس الدّولة الفاطمية، وكان أساسه القدّاح.

ولّما «ظهر الحاكم»، كان حمزة، نبيَّه وأساسَه وإمامَه ووزيرَه ووصيَّه. بهما ابتدأ دورٌ جديدٌ وشريعة جديدة، نقضت كلَّ شريعة قَبْلَها، سُمّيت شريعة «التوحيد»، و«المسلك الثالث». وعاون حمزة حدودٌ أربعة وَرَدَ ذكرُهم سابقاً.

ثم تستفيض «رسائلُ الحكمة» في الكلام على ألوهيّة الحاكم وإثباتها بشتّى الطرق، فترى في تصرّفاته وأعماله، الشاذّة منها والجدّية، معنى إلهيًا وحكمةً سامية تعلو مدارك البشر: فإنْ لَبِسَ الحاكمُ الصوفَ سبعَ سنين، أو سجنَ النساء في بيوتهنّ سبع سنين أيضاً، أو اقتلع أشجار الكرمة من كلّ مصر، أو هدّم الأديار والبيع والمساجد، أو نظَر إلى أصحابه يتقاتلون، أو قَتَلَ بيده ألوفَ وجهاء الدولة، أو بدَّلَ في رأيه وموقفه بين لحظة ولحظة من دونَ سبب... كلّ هذه أشارات واضحة إلى أنّه ليس من طينة البشر.

ثمّ تركّز «رسائل الحكمة» على "ظهور" الله في الخَلْـق، فتستفيض في الكلام على أنّ اللّهَ لا يعرفه إنسانٌ إلاّ متجلّياً: "ظهر للبشر مِن حيث هم وكما هم، في صورتهم ومقـامهم، طمأنينةً لقلوبهم ورأفةً بهم"(١٦). وتعتبر الحكمة ان آخر صـورة بشريّة تجلّى اللّهُ فيها كـانت صورة الحاكم. هذا هو «المقام» الأخير و«الكشف» الذي لا كشْف بعده. به انتهتْ أدوار الخليقة كلّها. وبه كان تمام الشرائع ونقْـضـها. ومعه ستـكون دينونةُ هذا العالم و«كشف عوار أنبيائه» الذين أضلّوا البشريّة، وأزاغوها عن التوحيد الحقيقي.

هذا "الحاكم" سيرجع في آخر الأزمان، ليدينَ البشر، ويبدّدَ أعداءه من أمام وجهه، ويبسطَ ملْكه على العالم. وتسبق رجـعتَه رجعةُ قائمُ الزمان حـمـزة، الذي يُعـدُّ لمجيء الإلهِ الحـاكم، ويحطّم «الأضـداد» و «الأبالسـة» و«المرتدّين»، ويكسّر الصلبان، ويهدم مكّةَ «مـقطرة الكفر» و«مقيلَ الأبالسة والشياطين»، وينصـر مستجيبيـه في الدين بعساكره الجرّارة، فـيمسي كلُّ البـشـر تحت رايته، ويـدخلون جمـيـعُـهم في مُلكٍ لا يزول. ويشـمل دينُ التوحيد، عندئذٍ، الخليقةَ كلَّها.

في «رسـائـل الحكمـة» مـواقف صـريحـة مـن الأديان والمذاهب المعروفة. وهي مـواقف معادية وناقضة لهـا بالتمام. فهي تبطل نواميـسَها، وتنقض تعاليـمَها، وتطعن بأنبـيائها، وتسبّ القيّـمين عليها، وتشتم مـراكز عبـادتها، وتهـزأ بطقوسهـا، وتعلّم بطلان عقـيدتها. وهـي تؤوّل كل ما في التوراة والأنـاجيل والقـرآن، وترى لها مـعانٍ تختـلف عن الأصل اختـلافاً جوهريًا، وتفسّـر كلَّ ما فيها بما يناسب عـقيدةَ التوحيـد. فالمسيح الحقُّ هو حمـزة، والجَنّة هي التوحـيد، والنار هو الشـرك، والصِّدق هم أنبـياء الحقّ، والكذب هم أنبيـاء الضلال، و "بسم اللّه الرّحمن الرّحيم" هم حـدودُ حمزة،

---

(١٦) أنظر في كتاب "**بين العقل والنبي**"، فصل "التجلّي الإلهي"، ص ١٠١–١٢٦.

وإبليس هو محمّد، وهو العجل أيضاً، والشيصبان عليّ بن أبي طالب، ومسيح النصارى هم "المسيخ"...

وفي «رسائل الحكمة» أيضاً دعوة إلى التستّر والتقيّة وصون الحكمة عن عامّة الناس. وهذا يستوجب استعمالَ الرموز والألغاز والصّور والتشابيه التي لا يفقه معانيها إلاّ المطّلعون على أسرار التأويل والمتمرّسون في الباطنيّة: فلحروف اللّغة معانٍ، وللأرقام الحسابيّة معانٍ، ولبعض الكلمات مدلول غير المدلول العادي، وللنقط، بحسب لونها، أوعددها، مدلول، وللألوان أيضاً، ولمخارج الأصوات واستعمال بعض الحروف، كالعين والحاء، مداليل ومعانٍ، بيّنّا تفاسيرَها في كتاب "**بين العقل والنّبيّ**"، رقم ٦ من هذه السلسلة.

أمّا عن أحوال المَعاد فالدرزيّة تؤمن باليوم الأخير، وبرجعة الحاكم وحمزة، وبدينونة عامّة، وحساب عام لجميع البشر، وبثوابٍ وعقاب، وجنّة وعذاب، يستحقّهما كلُّ إنسان بحسب أعماله. ولكنّهما روحانيتان لا ماديّتان كما يعلّم القرآن.

ويسبق مصيرَ الإنسان الأخير هذا، أكان في الجنة أو في النار، تقمّصٌ فيه امتحانٌ متعدّد في أجساد بشريّة، إلى أن تتطهّر النّفسُ وتخلص. وعقيدة التقمّص هذه تحتلّ مكانةً جليلة في العقيدة الدّرزيّة، إذ عليها تبنى شموليّة التوحيد، وشموليّة الأخوّة بين البشر، واستمراريّة التاريخ البشري عبر الدهور، وفي أدوار الخليقة المتعاقبة.

والنفوس، في الدرزيّة، محدودةُ العدد، لا تزيد ولا تنقص، منذ نشأة العالم حتى آخر الدهر. والنفوس، عند خلاصها النّهائي، ستكون كلُّها، كما كانت في البدء، على دين التّوحيد. ثمّ إنّ نفوسَ أكثر من ثلثَي البشريّة، هي، اليوم، بحسب العقيدة الدرزيّة، درزيّة. ولئن هي الآن في جسمٍ مسيحيٍّ أو بوذيٍّ أو مسلم... فإنّها كذلك لأنّها تُمتَحن، وتُعاقَب، وتتطهّر،

لتخلص وتعود إلى جسمٍ درزيٍّ بارّ.. ينتج عن ذلك أمرٌ خطيرٌ للغاية، ألا وهو حقّ الدرزيّ على حياةِ كلِّ إنسانٍ صالحٍ، غيرِ درزيّ، ليخلِّصَ منه نفسَه ويعتقها من جسدها الكافر.

وتتناول رسائل الحكمة أخيراً أمورُ الحياة الاجتماعيّة وأحوال الانسان الخاصّة، فتحدّد مكارم الأخلاق، وتبالغ في السِّدقِ مع الموحِّدين، وفي الكذب مع غير الموحِّدين، وتفرض على الموحّدين الامتناع عن التمتّع بما أباحه القرآن من ملذّات الدّنيا الحسّية والجنسيّة، وتوجب صونَ المرأة واحترامَها، وتقيّد الطلاق، وتشدّد على محبّة الإخوان، وتتكلّم على كيفيّة توزيع الميراث، وتنظيم أحوال الأسرة والزواج... وغير ذلك.

***

هذه الموضوعات جميعها، وغيرها، تتناولها رسائل الحكمة بإسهاب وتوسّع. وهي متفرّقة هنا وهناك، وموزّعة في أمكنة عديدة منها. وسنتوقّف عندها في بحث شامل في المجلّد المشار إليه. وقد بيّنا فيه تقصيرَ مَن كتبوا عن الدرزيّة. وأشرنا إلى الذين أضلّوا الناس، عن قصد ووعي، عن فهم العقيدة الدرزيّة. ومعتمدنا في ذلك، كان أوّلاً وآخراً، المصادر الدرزيّة الأساسيّة. وقد رفضنا قولاً شائعاً، تمسّك به المتدينّون تمسّكاً سيّئاً، وهو: أنّ الحقيقة تتأذّى من جراء شيوعها.

فصون الحقيقة عندنا ليس بكتمانها وسترْها وباعتماد التمويه والتدليس؛ بل بأعلانِها وتأديتها كما هي، آخذين بعين الاعتبار كرامةَ أهلِ الحكمة واحترامَهم ومحبّتَهم. لهذا، فإنّنا، إنْ كنّا نقصد معرفةَ الحقيقة وإعلانَها وإشراكَ الناس بها، فإنّنا لا نتحدّى، بحالٍ من الأحوال، كرامةَ أهلِها. لأنَّ كرامة الإنسان، عندنا، أوجبُ علينا من معرفةِ الحقيقة وكشفِ الأسرار؛ ولأنَّ حقيقةَ المحبّة تفوقُ محبّةَ الحقيقة بدرجات.

بيد أنّ الإسهام في نشْر المعرفةِ يُثبتُ، لا محالة، نشرَ المحبّة. لهذا، نبغي طلبَ الحقِّ ومعرفةَ الحقيقةِ وإعلانَها. فنُوسع، بذلك، مجالَ الخير والمحبّة منشودَينا على الدوام. وشمولُ الحقيقة يوجب دقّةً في المعرفة.

ولمعرفةِ الحكمة الدرزيّة أساليب تختلف عمّا اعتدناه في كتبنا العاديّة، وكلماتٌ تحمل معانٍ ورموزاً مغايرةً للعرف والمعاجم اللّغوية. لهذا، لا بدّ من ثَبْتٍ بأهمِّ الكلمات التي لها مداليل باطنيّة، أو سرِّيّة، كما لا بدّ من تفسيرِ بعضها في حواشي الصفحات. واعتمدنا في إثبات ذلك على كتاب «الدّرر المضيَّة واللّمَع النورانيّة». وهذه أهمّها:

إبليس: كلمة مؤلّفة من: «أب» و «ليس»؛ أي: مَن ليس له أب؛ أي: ابن زنا. سُميّ كذلك لأنَّ العقل الكليّ أبدعه مِن غير مراده. فهو ، إذاً، «**الضدّ**». والضدّ هو الذي يقف أو يعلّم الشِّرْكَ والكفرَ؛ أي هو ضدّ التوحيد. فمحمّد هو إبليس، وابن زنا، والضدّ. وجميع الأنبياء هم كذلك. ونواميسهم إبليسيّة تكليفيّة لا فائدة فيها. وكلّهم جاءوا ليهدموا التّوحيد الذي بيّنه حمزة من جديد.

أساس: لكلِّ نبيٍّ ناطقٍ بشريعةٍ أساس، أو وصيّ، أو باب، أو حجّة، أو إمام... وعادة ما تقصد رسائل الحكمة بالأساس، عليًا بن أبي طالب، الذي هو أساسُ محمّد. وقد سُميّ أساساً لأنّه يقوّي النّاطق ويُسنده في تعاليمه، كما يُسند الأساسُ البناية. وعملُ الأساس خفيّ، تماماً كأساس البناية. لهذا فهو، عادةً، أخطر من عمل النّاطق.

إمام: تُطلق كلمة «إمام» على سبعة وجوه: ١. حقيقيّة، لإمام الزمان حمزة؛ ٢. مجازيّة، للمولى تعالى أي الحاكم؛ ٣. إغتصابيّة، لأئمّة الأديان التكليفيّة؛ ٤. ضروريّة، لحدود التوحيد الأربعة؛ ٥. نيابة، للحدود الأربعة

في حضور الإمام الحقيقي حمزة؛ ٦. خلفةٌ، للمقتنى رابع الحدود؛ ٧. قدرة، للخلق أجمعين أي إنّ رئيس كلٍّ قوم يكون عليهم إمامهم.

بسم الله الرحمن الرحيم: عدد حروفها ١٩ تمثّل حدود الإمام حمزة، وهم دعاة الجزائر والأقاليم، وحدوده، وصفات قائم الزمان. فكما أنّ «البسملة» تحتوي هذه الحروف كذلك حمزة يحتويها في معانيها وممثولاتها. وعادة ما تبتدئ الرسائل بمثل هذا القول: «حروف بسم الله الرحمن الرحيم دعاة عبده الإمام»، أو «... حدود عبده الإمام»، أو «... صفات عبده الامام»...

باب: هو الإمام، حجّة العالم، ومعلّمهم، ومدخلهم إلى دعوة التّوحيد. وقد أمر الباري أن لا يُفتح خلْفَ الإمام أيُّ بابٍ بعد غلْقه، لأنّه ليس بعدَ دعوة التّوحيد دعوةٌ أخرى. والّذين استجابوا نَجَوا. والّذين لم يستجيبوا هلكوا.

البار أو الباري: هو اسم المقام الإلهي الذي ظهر في بداية خلْق البشر. كان اسم «العقل»، في وقته، آدمَ الصافي، أو شطْنيل؛ واسم «الضدِّ» حارث، واسم «الميثاق» العهد، واسم الفرقة الناجية «البِنّ»، واسم فريق الضلال «الجِنّ»..

الباطن والظاهر: أهل الباطن هم أصحاب المذاهب التأويليّة. وهم، في الإسلام، الشيعة. وأهل الظاهر هم أهل السنّة. أو أيضاً: الظاهر هو التنزيل، والباطن هو التأويل. صاحب الظاهر هو محمّد، وصاحب الباطن عليّ.

تنزيل وتأويل: هما كالظاهر والباطن . التنزيل هو الترتيب ومنه سمّي القرآن تنزيلاً، لأنّه مرتّب ومنزّل من المحلّ الرّفيع إلى جبريل الّذي هو سلمان الفارسي، ولا حقيقيّة في التنزيل ولا خلاص، بل هو مجموعة

شرائع إبليسيّة تكليفيّة لا منفعة فيها؛ والتأويل هو ردّ المرموزات والحقائق المستورة في الشريعة إلى ما كانت عليه أوّلاً حتى تصبير مكشوفة عارية...

التقيّة: يقول الأميرُ السيّد، أحدُ أعظم أركان الدرزيّة: «إنّ الأمرَ في دور الستر بما يطابقُ الشريعةَ (الإسلاميّة) جائزٌ، ولو كان تدليساً. والتدليسُ هو سَتْرُ الحقيقة وإظهارُ ضدِّها، كالأمر أنّ محمّد بن عبدالله هو الرّسول الحقيقي. كلّ ذلك غيرُ الحقيقة وتدليسٌ من إمامِ الزّمان (حمزة) بأمرِ باريه (الحاكم)»[١٧]. وعلى الدرزيّ أن يمارس التقيّة بإتقانٍ عملاً بتعليم حمزة: «عليكم بحفظها (الحكمة) وصيانتِها عن غير أهلها، والاستتار بالمألوف عند أهله. ولا تنكشفوا عند مَن غلبتْ عليه شقوتُه وجهلُه. فأنتم تَرونَهم من حيثُ لا يرونَكم. وأنتم بما في أيديهم عارفون، وعلى ما ألِفوه من زخرفِ قولهم مُطَّلِعون. وهم عمّا في أيديكم غافلون»[١٨].

الجِدّ: هو من دعاةِ التّوحيد. سميّ الدّاعي جِدًا لأنّه يجِدّ في طلب العلم من الإمام. وهو لا يستطيع شيئاً من دون إشارةٍ من الإمام.

الحِجّة: هو الدّليل السّادق على التوحيد والبرهان عليه، هو آية البيان والبرهان. مهمّته تقوم على تثبيت الموحّدين في إيمانهم، وإعطائهم الدليل بعد الدليل على إيمانهم الذي اعتنقه أجدادُهم في بدء الدّعوة.

الحَدّ: هو الغاية والنهاية في معرفة علوم الدِّين. ألحدود الرّوحانيّة خمسة، وتتمثّل في أشخاص بشريّة. وهناك أيضاً حدود التّوحيد وعددهم سبعون. وحدود قائم الزمان وعددهم بعدد حروف "بسم الله الرحمن الرحيم"، أي ١٩ حدًا.

---

(١٧) أنظر **تفسير كشف الحقائق للأمير السيّد التنّوخي**، مخطوط، ص ٤٢.
(١٨) أنظر "**رسائل الحكمة**"، رسالة التحذير والتنبيه، رقم ٣٣.

الحِكْمة: هي حكمة اللاّهوت التي ظهرت في النّاسوت، هي حكمة التجسّد والظهور، حكمة توحيد الله، وحكمة الكشف والاستتار. من هنا يقال «سرّ الحكمة»...

الحاكم: هو إسم المقام الإلهي الذي ظهر في الدّور الثاني والسبعين والأخير للخليقة. وليس بعده إلاّ الجزاء والقيامة. إسم الإمام في وقته: حمزة، واسم الميثاق: الدعوة والميثاق، واسم الفرقة الناجية: الأنس ، واسم الضدّ: عبد الرحيم بن الياس. أعيد دين التوحيد في أيام الحاكم كما كان عليه في البدء، ونقض النواميس كلها.

الدَّور والكَور: الدَّور هو زمن الكشف. والكَور هو زمن السِّتر. في الدور يتجلّى اللّه ويكشف عن نفسه، ويعرِّف الناسَ عن ذاته. وفي الكور يعود إلى الستر، وذلك امتحاناً للنّاس، إذ لو بقيَ ظاهراً مكشوفاً لهم لما كانوا يستحقّون أجراً.

الشّريعتان: هما شريعة التنزيل وشريعة التأويل، أي شريعة الناطق محمّد، وشريعة الأساس عليّ. يكنّى عنهما بـ «الفحشاء والمنكر»، وبـ «الإلحاد والشرك».

الضدّ : كلّ مَن عاند دعوةَ التّوحيد، أو خانَها، أو حاربَها، أو لم يدخل فيها في حينها، هو ضدّ. والضدّ الأعظم هوَ النّبيّ محمّد. والأضداد الكبار هم الأنبياء الذين " نطقوا " بشريعةٍ سَتَرَت دعوةَ " التوحيد " .

الطَّمّ والرَّمّ والحِنّ والخِنّ والجِنّ والبِنّ: هم أهل شرائع كانوا قبل مقام الباري، أي قبل آدم والخليقة التي ابتدأت به... ولمّا ظهر الباري كان عصر «البِنّ»، أي الذين «بانوا»، أي حادوا وابتعدوا عن الضلال الذي لحق بالأمم السالفة.

ظهر: تجلّى، وتجسّد، وكشف عن نفسه. لقد ظهر اللّه لخلقِه بخلقه كخلقه، أي تصوّر لهم بصورتهم النّاسوتيّة. والظهورات هي الكشوفات الإلهيّة.

العِجل : ألعجل هو الضدّ. سمِّي الضدّ عجلاً لأنّه عجول في أمره، أي ناقص العقل، وله خوار كالعجل. كلُّ الأنبياء عجول لأنهم أضداد التّوحيد، والعجْل الأعظم محمّد.

ألعزيز: إسمه الجسماني نزار، لقبه العزيز باللّه، كنيته أبو المنصور، صفته إمام، حقيقته إله. هو الخليفة الخامس في الدولة الفاطميّة، وهو المقام الإلهي المستتر الذي «ظهر»، في المقام التالي، بالحاكِم. كان حكمُه ٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م.

ألعرفان: هو العِلم الإشراقي الذي يوحيه اللّه إلى عباده الورعين.
ألمعرفة: هي ما شُوهد من اللاّهوت في صورة النّاسوت.
ألمعروف: هو التوحيد الذي عُرف في صورة النّاسوت.
بنو معروف: هم الّذين حظَوا بمعرفة اللاّهوت في صورة النّاسوت.

العليّ الأعلى: هو المقام الإلهي الذي ظهر في الدنيا. حدوده الخمسة: ألعقل، ألنفس، ألكلمة، السابق، التالي. إسم الفرقة الناجية: ألبِنّ أو الموحِّدون، إسم الميثاق: الجَنّة، إسم الضدّ: إبليس. إنّه الظهور الأوّل للّه في الكون. بينه وبين ظهور اللّه في «الباري» ٣٤٣ مليون سنة من قول حمزة: «.. مِن وقتِ إبداعه العقل الكلّي إلى حين ظهور آدم الصفا وسجود الملائكة له، وهو تمام سبعين دوراً، بينَ كلّ دورٍ ودور سبعون أسبوعاً، بين كلّ أسبوع وأسبوع سبعون عاماً. والعام ألفُ سنة ممّا تعدّون»[١٩].

(١٩) أنظر **رسائل الحكمة**، السيرة المستقيمة، رقم ١٢؛ ورسالة كشف الحقائق، رقم ١٣.

الغَيبة: هي على أنواع: غَيبة الحاكم الأولى سنة ٤٠٩ هـ، والثانية ٤١١ هـ وغيبة حمزة الأولى والثانية في التاريخ نفسه. وتسمّى هذه الغيبات غيبات امتحان واختبار. ثمّ غيبة بهاء الدِّين المُقتنى سنة ٤٣٥ هـ، فيها تمّ إغلاق باب دعوة التّوحيد. قيل فيها: «كانتْ محنة عظيمة على الموحِّدين بانقطاع الدّعوة وإبطال نصّ الحكمة». وأخيراً غيبة اللاّهوت في النّاسوت.

الفَترة: هي الوقت الذي اختفَى فيه كلُّ ظهورٍ إلهي.

القائم: إسمه الجسماني محمّد، لقبه القائم بأمر اللّه، كنيته أبو القاسم، صفته إمام، حقيقته إله. وفي التّاريخ هو الخليفة الفاطمي الثّاني، حكَم سنة ٣٢٢-٣٣٤هـ/ ٩٣٤-٩٤٥م.

قائم الزّمان: هو الإمام حمزة بن عليّ، الوسيط الأوحد في معرفة سرّ اللّه المكشوف للعالم. وهو "العقل الكلّي"، أوّل الحدود، الذي ظهر مع اللّه، والذي به كانت الحدود الأربعة المتعلّقة به.

لا إله إلاّ اللّه: ١٢ حرفاً دليل على ١٢ حجّة، و ٧ مقاطع دليل على ٧ نطقاء. ومعناها في الباطن غير معناها في الظاهر الذي هو في الإسلام كفرٌ وتضليل.

الكشف: هو إظهار الشيء عمّا يغطّيه. من ذلك كشف التوحيد لأنّه كان مغطّى بالشرائع ومستوراً بها، وقد كشفه حمزة على رؤوس الأشهاد سنة ٤٠٨ هـ عندما أعلن دعوةَ التّوحيد.

مأذون: هو الداعي الذي أَذِنَ له قائمُ الزّمان في الكسرِ والجبرِ وفكِّ الرقاب.

مستجيب: سمّي بذلك لأنّه استجاب إلى دعوة التّوحيد.

مُكاسِر: هو الذي أصرف فـريق الهدى من دعوة التلحيـد إلى دعوة التوحيد.

المُعِزّ: إسمه الجـسماني معـد ، لقبه المعزّ لدين اللّه، كنيـته أبو تميم، صفـته إمـام، حقيـقته إله، وهو رابـع الخلفاء الفاطمـيّين، حكَم سنة ٣٤١–٣٦٥هـ/ ٩٥٢–٩٧٥م.

المقام: هو صورة النّاسوت الذي نراه ونشاهده، هو المكان الذي حلّ فيه اللاّهوت عبر الأكوار والأدوار. هو الشخص البشري الذي حظي بحلول اللاّهوت.

الموحِّدون: هم فريق الهدى الفائزون، هم الذين آمنوا بتوحيد الباري ، وتركوا كلَّ شريعة، ظاهرةً كانتْ أم باطنة. يُسمّون خطأ بالدروز.

الميـثاق: هو العـهـد، ويعني حِـجّـة ورباط على الخلق. به يُصـبح الإنسان موحّـداً. والميثاق هو في حقيقـته " ميثاق وليّ الزمان" الذي كـتبه الموحِّدون على أنفـسهم في بدء الدّعوة، وأخـفَوه في مكانٍ مجهـول في أحدِ أهرام القاهرة. وقد يُكشَف عنه في آخر الزمان، عندما يعود حمزة بعساكره ليُعيد الحكم للحاكم.

النّاطِق: هو «الذي نطق بشريعة». عددُ النطقاء سبعة. والنّاطق الذي لعب دورَ الضدّ العنيد هو النّبيّ مـحمّد الذي «أظهر اليبوسـةَ وهي الشريعة النّاموسيّة، وهي دين التلحـيد، وهي سموم ونار محرِقة، لا ضيـاء فيها ولا نور، ولا شفاف ولا هدى».

الوَصِيّ: هو الأساس. والأوصـياء سـبعة جـاؤوا بشريعـةِ الباطن الشِّركيّة. وهي أخطر من شريعة الظاهر، نظراً لما لها من قرابة بالتوحيد.

وَلِيُّ الزّمان: هو أيضاً حمزة بن عليّ.

***

من الواضح أنّ هذه الكلمات والتعابير ليست كلَّ ما في المعجم الدرزيّ. بل اخترنا أهمّها. آملين العودة إليها وإلى غيرها في حواشي "رسائل الحكمة"، وفي كتاب "بين العقل والنّبي"، الذي هو عرضٌ لنشأة الدرزيّة، وتاريخ الدروز، وتفسيرٌ للعقيدة الدرزيّة وتعاليمها.





ألجِزْءُ الأوّل



١

نسخة السّجل(١) الذي وجد معلقاً على المشاهد(٢) في غيبة مولانا الإمام الحاكم

كتبت هذه النسخة سنة ٤١١ هـ كاتبُها مجهول. وعقيدتُها لا تمّت إلى الدرزيّة بصلة. فالحاكم فيها ليس معبوداً، كما هو الحال في سائر «رسائل الحكمة»؛ إنما هو وليُّ الله وخليفتُه وأميرُ المؤمنين. تدعو إلى إقامة أحكام الإسلام وفرائضِه. وفيها أيضاً السماح بنسْخِها وقراءتها. أسلوبُها قرآني، وكذلك معظم ألفاظها. يرضى عنها المسلمون ويمكن للدروز البوحُ بها من دون وجل؛ علماً بأنّها لا تخلو من بعض إشاراتٍ باطنيّة.

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم. والعاقبة[٣] لمن تيقّظ من وَسَن الغافلين، وانتقل عن جهل الجاهلين، وأخلص منه اليقين، فبادر بالتوبة إلى اللّه تعالى وإلى وليّه وحجّته على العالمين، وخليفتِه في أرضه، وأمينِه على خلْقه أميرِ المؤمنين، واغتنمَ الفوزَ مع المتطهّرين والمتّقين،

---

(١) " **السجلّ** هو الكتاب المباح المطلق لكلّ أحد، لأنّ الحاكم أباحه لعموم أهل الدّعوة من المسلمين ". (أنظر: **الدرر المضيّة**).

(٢) **المشاهد** هي المساجد بأرض مصر، لكنّها غير معلومة " (أنظر: **الدرر المضيّة**).

(٣) العاقبة هي الآخرة الصالحة، وهي لفظة قرآنية ترد في القرآن أكثر من ٣٢ مرّة.

ولم يكذّب بيـوم الدين[٤]، وكـان بالغيب من المســدِّقين به[٥] والموقِنين، واعتـقد أنّ الساعـة آتية بغـتةً لا ريب فيـها[٦]، وأنّ اللّه لا يضيع أجر المحسنين[٧]، ولا عـدوان إلاّ على الظالمين، المَرَدَة الشـيـاطين، الفَـسَقَـة المارقين، وكلِّ حلاّفٍ مهـين، الناكثين الباغيين، المفسـدين الطاغيين، أهلِ الخلاف والمنافقين، المكذّبين بيوم الدِّين، المغـضوب عليهم والضـالّين[٨]. والحمد للّه حمد الشـاكرين، حمداً لا نفادَ لآخره أبدَ الآبدين.

وصلّى اللّه على سـيّد المرسَلين، مـحمّـد المبعوثِ بالـقرآن إلى الخلْق أجمعين، ومبشِّراً ونذيراً بأئمّـةٍ من ذرّيّته هـاديين مهديّين، كراماً كاتبين، شـهداءَ على العالمين، ليبـيّنوا للناس ما هم فيه يخـتلفون، وعنه يتساءلون، ويرشدونهم إلى النبأ العظيم والصراط المستقيم، سلامُ اللّه السني السامي عليهم إلى يوم الدِّين.

أمّا بعد أيُّـها النّاس فقد سـبق إليكم من الوعد والوعظ مِن وليّ أمركم وإمام عصـركم وخَلَفِ أنبيائكم وحجّةِ باريكم وخليـفته الشاهد عليكم بِمُوبَقاتِكم[٩]، وجميع ما اقترفتم فيه من الإعذار والإنذار ما فيه بلاغ لمن سمع وأطاع واهتـدى، وجاهد نفسَه عن الـهـوى، وآثر الآخرةَ على الدنيـا. وأنتم مع ذلـك في وادي الجهـالة تسـبـحـون، وفي تِيْـه الضــلالةِ تخـوضـون وتلعـبـون، حتى تُـلاقوا يومَـكم الذي كنتم به

---

(٤) سورة الماعون ١٠٧/ ١، أنظر أيضا ٩٥/ ٧، ٨٣/ ١١ وغيرها
(٥) ورد في المقدّمة العامة تفسيرُنا للفظة «السدق» وكتابتها بحرف الـ «س».
(٦) يرد هذا التعبير في القرآن حوالي الـ ٤٨ مرّة.
(٧) ألقرآن: ٩/ ١٢٠؛ ١١/ ١١٥؛ ١٢/ ٩٠؛ أنظر أيضاً: ٣/ ١٧١؛ ٧/ ١٧٠...
(٨) سورة الفاتحة. هذه التعابير وممثولاتها كثيرة جداً في الرسائل.
(٩) الموبقات هي الذنوب. واقترف تعني اكتسب ....

تُوعَدون. كـلاّ سوف تعلمون، ثمّ كـلاّ سوف تعلمون، كـلاّ لو تعلمون علم اليقين[١٠].

وقد علمـتم معشـر الكافّة أنّ جمـيع ما ورّثهُ اللّهُ تعـالى لوليّه وخليفـتِه في أرضه أمـيرِ المؤمنين، سلامُ اللّه عليـه، من النِّعم الظاهرة والباطنة، قـد خوّل إمامَ عصـرِكم لشريفكم ومشروفكم من خـاصّتكم وعامّـتكم من ظاهر ذلك وباطنه على الإكثـار والإمكان بفضله وكـرمه حسب مـا رأى، سلامُ اللّه عليه، ولم يَبخَل بـجزيل عطائه. وهنّاكم، مَنَّةً منه مع ذلك مـا أوجبَـه اللّه تعالى له عليكم فـي كتابـه من الحقّ، فيـما مَلَكَتْـهُ أَيمَانُكم، ولم يشـارِكْكم في شيء من أحـوال هذه الدنيـا نزاهةً عنها، ورفضًا منه لها، على مقداره وَمُكنته، لأمرٍ سبق في حكمته. وهو سلام اللّه عليه أعلم به.

فأصبحتم، وقد حُـزتم من فضله وجزيلِ عطائه، ما لم يَنلْ مِثلَه بشرٌ من الماضـيين من أسلافكم، ولا أدرك قوّةَ أنبـاءٍ منه أحدٌ من الأمم الذين خَلَوا من قـبلكم، من المهاجـرين والأنصار، في مـتقـدّم الأزمان والأعصار. ولم تنالوا ذلك من وليّ اللّه باستحقاقٍ ولا بعملِ عاملٍ منكم من ذَكَرٍ وأنثى، بل مَنَّةً منه عليكم، ولطفاً بكم، ورأفةً ورحـمةً واختباراً لِيبلوكم أيّكمُ أحـسنُ عملاً، ولتعرفـوا قدر ما خَصصـكم به في عصره من نعمته وحسن منّته وجميل لطفه وعظم فضله وأحسانه دون مَن قد سلفَ من قبلكم.

فاشكروا اللّه ووليَّـه كثيـراً على ما خوّلكم من فـضله. ولعلّكم تشكرون وتعـملون عـمـلاً يُرضي ويضـاهي أعمـالَ الأمم السـالفين أضعافـاً حسب ما ضاعـفه لكم وليّ اللّه في عصره، من نعـمه الظاهرة

---

(١٠) سورة التكاثر ١٠٢/٥ .

الجليلة من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام، إلى غير ذلك من الأرزاق والأقطاع والضياع وغيره من أغراض الدنيا على اختلاف أصناف إحسانه. وَرَقًّا (كذا) خاصّتكم وعامّتكم إلى الدرجات العالية والرّتب السانية لتقفوا مسالكَ أولي الألباب. وأمّركم وشرّفكم بأحسن الألقاب. وموّلكم في الأرض مشرقاً ومغرباً وسهلاً وجبلاً وبرّاً وبحراً. فأنتم ملوكها وسلاطينها وجباة أموالها تُفَكُّ لكم بمادّة وليِّ اللّه الرقاب، وتنقاد إليكم الوفود والأحزاب. وإن تَعِدُّوا نعمةَ اللّه لا تُحصوها فَعِشتم في فضل أمير المؤمنين، سلامُ اللّه عليه، رغداً بغير عمل وترجون من بعد ذلك حُسنَ مآب.

ومن نِعمه الباطنة عليكم تمسّكُكم في ظاهر أمركم بموالاته تعتزّون بها في دُنياتِكم، وتَرجُون بها نَجاتكم، والفوزَ في آخرتكم، فقد تمنّون على اللّه وعلى وليّه بإيمانكم، بل اللّه يمنّ عليكم أن هداكم إلى الإيمان[11]. فأنتم متظاهرون بالطاعة متمسّكون بالمعصية، ولو استقمتم على الطريقة الوسطى لأُسقيتم ماءً غَدقًا[12].

ثم من نعمه الباطنة عليكم إحياؤه لِسُنَن الإسلام والإيمان التي هي الدِّين عند اللّه[13]. وبه شُرِّفتم وطُهِّرتم في عصره على جميع المذاهب والأديان، وميّزكم من عَبدَةِ الأوثان، وأبانَهم عنكم بالزلّة والحرمان، وهدمَ كنائسَهم ومعالمَ أديانهم وقد كانت قديمةً من قدم الأزمان، وانقادتِ الذِّمّةُ إليكم طوعًا وكُرهًا، فَدَخلوا في دينِ اللّه

---

(١١) راجع: سورة الحجرات ٤٩/ ١٧.

(١٢) الطريقة الوسطى هي طريق الهدى. الماء الغدق، أي الصافي.

(١٣) سورة آل عمران ٣/ ١٩.

أفواجاً[١٤]. وبَنَا (كذا) الجـوامعَ وشيّدها، وعمّـرَ المساجدَ وزخرفـها. وأقام الصلاةَ فـي أوقاتها، والزَّكاة في حـقّها وواجباتـها. وأقامَ الحجّ والجهـاد. وعمّرَ بـيت اللّه الحرام، وأقام دعـائم الإسلام. وفـتّح بيوتَ أمواله، وأنفق في سـبيله، وخفّر الحـاجَّ بعساكره، وحـفرَ الآبار، وآمن السبيل والأقطار، وعمّر السقايات، وأخرج على الكافّة السَّدقات، وستر العـورات، وتركَ الظُلامـات، ورفع عن خـاصّتكـم وعامّـتكم الرسـومَ والواجبات، التي جعلَها اللّه تعالى عليكم من المفترضات.

وقـسّم الأرضَ على الكافّـة شبـراً شبـراً، وداولهـا بين النّاس أحـيـاناً ودهراً، وفـتح لكم أبوابَ دعـوته، وأيّدكم بما خـصّـه اللّه من حكمتـه، ليهـديكم بها إلى رحـمتـه، ويحثّكم بهـا على طاعتـه، وطاعةِ رسوله وأوليائه، عليهم السلام، لتبلغوا مبالغ الصالحين.

فَشَنَيتُم[١٥] العلمَ والحكمة، وكـفرتم الفضلَ والنّعمـة، ونبذتم ذلك وراء ظهـوركم، وآثرتم عليـه الدنيـا كمـا آثروه قـبلك بنُوا (كـذا) إسرائـيل في قصّـة موسى عليـه السلام، فلم يجـبرْكم وليُّ اللّه علـيه السلام. وغلقَ بابَ دعوته، وأظهر لكم الحكمة، وفتح لكم خارجَ قصره، دارَ علمٍ، حوتْ من جـميع علوم الدِّين وآدابه، وَفقْهِ الكتـاب في الحلال والحـرام والقـضـايا والأحكام ممّا هـو في صـحف الأوّلين، صـحف إبرهيم وموسى[١٦]، صلّى اللّه عليهم أجمعين.

وأمدّكم بالأوراق والأرزاق، والحبرِ والأقلام، لتدركوا بذلك ما تَحْضَونَ به وتستبصـرون. وبه من الجهل تفوزون. وقد كنتم مِن قبل

---

(١٤) سورة النصر ١١٠/٢.

(١٥) من «الشين» تعني : أبغضتم.

(١٦) انظر القرآن: ٢٠/١٣٣؛ ٨٧/١٨؛ ٥٣/٣٦؛ ٨٧/١٩.

ذلك في طلب بعضه تجهدون، فرفضتموه وقصّرتم، وعن جميعه أعرضتم إعراض المضلّين، ولم يزدكم ذلك إلاّ فراراً. ومال بكم الهوى إلى الموبقات، وَمُكِّنْتم من اكتساب السيّئات، ورفضتم العلمَ، وأظهرتم الجهلَ، وكثر بغيُكم ومرحُكم على الأرض، حتى كاد لها أن تضجّ إلى اللّه تعالى فيكم من كثرة جَورِكم ومرحكم عليها.

ووليّ اللّه، سلام اللّه عليه، مكافحٌ لها فيكم رجاءَ أن تتيقّظ خاصّتُكم، أو تستفيقَ من السكر والجهل عامّتُكم. فما ازددتم إلاّ طغياناً وعصياناً واختلافاً. تتناجون بالإفكِ والعدوان ومعصية الرسول. وعدوٌّ اللّه وعدوٌّ أميرِ المؤمنين قد قصّر عن الفساد يدَه مخافةً من سطواتِ وليِّ اللّه، وَرَضِي منه بالمسالمة والمهادنة حتى ليس لأميرِ المؤمنين، سلام اللّه عليه، عدوٌّ يجاهده ، ولا ضدٌّ يعانده. والكلُّ من هيبته خائف وَجِل.

وأنتم معشرَ الخاصّ والعامّ بحضرته تضمُّكم دولتُه، وتشملكم ولايتُه، وتلزمكم طاعتُه. وأنتم مع ما تقدّم ذكرُه من تعديدِ مساويكم متحادقِين متعاندِين متزاحفِين، يجاهد بعضُكم بعضاً كالرّوم والخَزَر[١٧]، جراءةً على اللّه بغير مخافةٍ منه ولا ترقّب ، ولا ينهاكم عن سفكِ الدماء وهتْكِ الحريم دِينٌ من اللّه ولا وقار مِن إمامكم ولا يقين.

قد غلب عليكم الجهل فلن ترجوا للّه وقاراً، ولن تقولوا إنّ إمامَ عصركم واحد، وإنّ الإسلام والإيمان قد شملَكم وجمعَكم تحت طاعة اللّه وطاعةِ رسوله ووليّه أميرِ المؤمنين سلام اللّه عليه، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون[١٨]. فأيُّ نازلة هي أكبر منها، وأيّ شماتة للعدوّ ويلكم أعظم

(١٧) جيل من الناس متمرّد لم تقرّ بأمامة الحاكم ولا بألوهيته وتوحيده...
(١٨) سورة البقرة ٢ / ١٥٦.

من مثلها. لقد أُصبتم معشرَ الناس في أنفسكم وأديانكم وأُصيب فيكم وليُّ اللّه أميرُ المؤمنين، سلام اللّه عليه. فلا حول ولا قوّة إلاّ باللّه العليّ العظيم.

أَفَأَمِنْتم أيّها الغافلون أن يُصيبكم ما أصابَ مَن كان قبلَكم مِن أصحاب الأَيكَة وقوم تُبَّع[١٩]. ألم تسمعوا قول اللّه تعالى: «ألم ترَ كيفَ فعلَ ربُّكَ بعَاد، أرم ذات العماد، الذينَ طغَوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، فصبّ عليهم ربُّك سوط عذاب. إنّ ربّك لبالمرصاد»[٢٠]. وقوله تعالى: «ألم نهلك الأوّلين ثمّ نتبعهم الآخرين. كذلك نفعل بالمجرمين»[٢١]. ومثل هذا كثير في كتاب اللّه عزّ وجلّ ممّا أصاب أهلَ العناد والخلافِ والمنافقين والمفسدين في الأرض. فقد غضب اللّه تعالى ووليُّه أميرُ المؤمنين، سلامُ اللّه عليه، من عظم إسراف الكافّة أجمعين. ولذلك خرج من أوساطكم. قال اللّه ذو الجلال والإكرام: «ومَا كان اللّه يعذّبهم وأنتَ فيهم»[٢٢].

وعلامة سخط وليّ اللّه تدلُّ على سخط الربّ تبارك وتعالى. فمِن دلائل غضب الإمام: غلقُ بابِ دعوتِه، ورفعُ مجالسِ حكمته، ونقلُ جميع دواوين أوليائه وعبيده من قصره، ومنعُه عن الكافّة سلامَه، وقد كان يخرج إليهم من حضرته، ومنعُه لهم عن الجلوس على مصاطبِ سقائف حَرَمه، وامتناعُه عن الصلاة بهم في الأعياد وفي شهر رمضان، ومنعُه المؤذّنين أن يسلّموا عليه وقت الآذان ولا يذكرونه، ومنعُه جميعَ النّاس أن يقولوا مولانا، ولا يُقبِّلوا له الترابَ، وذلك

(١٩) القرآن، سورة ٥٠/ ١٤؛ أنظر أيضاً: ١٥/ ٧٨؛ ٢٦/ ١٧٦؛ ٣٨/ ١٣.
(٢٠) سورة الفجر ٨٩/ ٧.
(٢١) سورة المرسلات ٧٧/ ١٦ – ١٨.
(٢٢) سورة الانفال ٨/ ٣٣.

مفترَضٌ له على جميع أهلِ طاعتـه، وإنهاؤه جميعَهم عن الترجّل له من ظهور الدّوابّ، ثم لباسُه الصوفَ على أصـناف ألوانه، وركوبُه الأتان، ومنعُه أولياءَه وعبيدَه الركوبَ معـه حسب العادة في موكبه، وامتناعُه إقامة الحدود على أهل عصره[٢٣]. وأشياء كثيرة خَفيتْ عن العالم، وهم عن جميع ذلـك في غمرةٍ ساهون. استـحوذ عليهم الشّيطـانُ فأنساهم ذكـرَ اللّه. أولـئك حـزب الشـيطان. ألا إنّ حـزبَ الشـيـطان هم الخاسرون[٢٤].

فقد ترك وليّ اللّه أميرُ المؤمنين، سلامُ اللّه عليه، الخلقَ أجمعين سُدى، يخـوضون ويلعبـون في التيه والعـمى الذي آثروه على الهدى، كما ترك موسى قومه حـتى آن الهلاك أن يهجم عليهم وهم لا يعلمون. فخرج عنهم وهم في شكّ منه مختلفون مذبذبون بين ذلك، لا إلى الحق يطيعون ولا إلى وليّ اللّه يرجعون. قال اللّه تعالى : «ولو ردّوه إلى اللّه والرسول وأولي الأمر منهم لَعَلِمَهُ الذين يستنبطونه منه»[٢٥].

أيُّهـا الناس! كـلامُ اللّه تعـالى أوعظُ واعظٍ. وبيّـنَ منه وعظكم بهذه الموعظة من الفـقر والحاجـة إلى عفو اللّه تعـالى وعفو وليّه أمـير المؤمنين سلام اللّه عليـه أعظم منكم. فبالنسيان تكون الغـفلة، وبالغفلة تكون الفتـنة، وبالفتنة تكون الهلكة. وقـد قال اللّه تبـارك وتعالى: ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسـهم جـاءوك فاستغفروا اللّه واستـغفر لهم الرسول

---

(٢٣) هذه مظاهر حدثت للحاكم في حـياته، وهي غريبة للغاية، ولغرابتـها ستكون دليلا على ألوهيتّه. والغـريب حشرُ هذه الأمور في "السجلّ" هذا وهو مـباحٌ لكافّة الناس. انظر فيما بعد «كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا» .

(٢٤) سورة المجادلة ٥٨/ ١٩.

(٢٥) سورة النساء ٤/ ٨٣.

لوجـدوا اللّه غفـوراً رحيـماً [٢٦]. وقال عـزّ من قائل: إلاّ من تاب وآمن وعمل عـملاً صـالحاً. إنّ اللّه يحبّ التـوّابين ويحبّ المتطهّرين[٢٧]. وقال اللّه تبارك وتـعالى: فإذا سـألك عبادي عنّي فـإنّي قريب أجـيب دعوة الداعي إذا دعاني[٢٨].

فالبـدارَ البِدارَ مـعشـرَ الناس أنْ وَقَفـتم على بَرَاحٍ من الأرض يكون أوّل طريق سلكهـا أمير المؤمنين سـلام اللّه عليه وقت أن استـتر نَضبُو أعينكم[٢٩]. وتجتمعوا فيها بأنفسكم وأولادكم. وطهّروا قلوبكم، وأخلصوا نيّـاتكم للّه ربّ العالمين. وتوبوا إليه توبة نصـوحاً، وتوسّلوا إليه بأوجه الوسائل بالصفح عنـكم، والمغفرة لكم، وأن يرحمكم بعودة وليّه إليكم، ويعطف بقلبـه عليكم. فهو رحمة عليكم وعلى جـميع خلقه. كما قال تبارك وتعـالى لرسوله صلّى اللّه عليه وعلى آله: وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين[٣٠].

فالحذَر الحذَر أن يَقْفُوَ أحدٌ منكم لأمير المؤمنين سلام اللّه عليه أثراً. ولا تكشـفـوا له خبـرًا[٣١]. ولا تبـرحـوا في أوّل طريق يتـوسّل جميـعكم كذلك آراؤنا. فاذا أطلّت عليكم الرحمـة خرج وليّ اللّه أمامكم

---

(٢٦) سورة النساء ٤ / ٦٤ بتصرّف.

(٢٧) سورة البقرة ٢ / ٢٢٢.

(٢٨) سورة البقرة ٢ / ١٨٦.

(٢٩) معناه : عندما استتر أمام أعين الجميع.

(٣٠) سورة الأنبياء٢١ / ١٠٧،

(٣١) من المعروف انّ الحاكم غاب، أو اختـفى، دون أن يُترك له أثر أو خبر. يروى عنه أنّه ركب حماراً، وخرج بأصحابه الى الجبل ليلاً، فتوارى عن أعينهم.، ثم رأوا له قميصا مـزرّرة، لم تُفكّ أزرارُها ،وقـد انسلّ منهـا وانسـحب وغـاب. والموحِّـدون لا يزالون منتظرين رجوعه.

باختـيارِه راضـياً عنكم، ظاهراً في أوسـاطكم. فواظبوا علـى ذلك ليلاً ونهاراً قبل أن تحقّ الحاقّة[٣٢] وتقرع القارعة[٣٣] ، ويُغلق بابُ الرحمة، وتحلّ بأهل الخـلاف والعناد النقـمة. وقـد أعـذَرَ مَن أنذَرَ. ونصح مِن قـبلِكم نفسَـه وحذَّرَ. والخطاب لأولي الألبـاب منكم والتَّـعيين عليـهم. والمشيّة للّه تبارك وتعالى، والتـوفيق به، والسلام على مَن اتَّبع الهدى وخشي عواقبَ الرّدَى، وسدّق بكلمات ربّه الحسنى.

وكتب مـولي دولة أمير المؤمنـين سلام اللّه عليه في شـهر ذي القعـدة سنة أحدى عـشرة وأربع مـائة. وصلّى اللّه على مـحـمّد سـيّد المرسلين، وخـاتم النبيّين، وسلّم على آلـه الطاهرين وحسـبنا اللّه ونعم الوكيل[٣٤].

تحتفظ أصـحاب العمل بهذه الموعظة من المتّـقين. ولا يمنع أحد من نسخـها وقراءتهـا نفّع اللّه مَن وُفّق للعمل بما فـيهـا من طاعة اللّه وطاعة وليّه أمير المؤمنين سلام اللّه عليه.

حرام حرام على من لا ينسخها ويقرأها على التّوابين في جامع أسفل. وحـرام حرام على من قـدر على نسخـها وقـصّر. والحمـد للّه وحده[٣٥].

---

(٣٢) أنظر سورة الحاقة ٦٩/١-٣.

(٣٣) أنظر سورة القارعة ١٠١/١-٣. راجع أيضاً: ٦٩/٤.

(٣٤) يلاحظ أن هذه الرسالة أو «الموعظة»، وان كانت الأولى في مجـموعة الرسائل، فهي من تاريخ متأخـر بالنسبة الى سواها. فمنهـا ما كتب سنة ٤٠٠هـ ومعظمهـا يبتدئ سنة ٤٠٨هـ.

(٣٥) الدعوةُ إلى نسخ الرسالة ونشرها فريدةٌ فـي رسائل الحكمة والكتب الدرزيّة كافّةً. والمفروض السرّيّة التّامّة عليها، حتّى على الجهّال من الموّحدين.

٢

السِّجِلُّ المَنْهِيُّ فِيهِ عَنِ الخَمْر

كُتب هذا السجل سنة ٤٠٠ هـ فهو، إذاً، سابق على الدّعوة الدرزيّة، ولا يمتّ إلى عقيدتها بصلة؛ لأنّه، بخلاف مجموعة الرسائل، يصلّي على محمّد، ويقول: «إنّ أحسنَ الأمور عائدة على الإسلام». ثمّ يقدّس فرائض الدين الاسلامي، فينهي عن الخمر، ثم يوجب قراءته على الخاصّة والعامّة من الرعيّة، فيما سائر الكتب تحتفظ بسرّيّة تامّة، ويُمنع قراءتُها ويُحذَّرُ الاطلاعُ عليها. ثم إنّ الحاكمَ ليس معبوداً، بل هو، هنا، أمير المؤمنين، وليس لحمزة، قائمِ الزّمان، أي ذكر، فيما هو في سائر الرسائل مالئ الدنيا.

بسم اللّه الرحمن الرحيم. ألحمد للّه الذي أعزّ الإسلام بأوليائه المتّقين، وخصّ حدودَه لمن استحفظه من أئمة دينه وأمنائه الميامين، وصلّى اللّه على جَدّنا محمّد خاتم النبيّين، وسيّد المرسلين، صلّى اللّه عليه وعلى آله الطاهرين.

إنّ أمير المؤمنين، بما قلّده اللّه ووجّل إليه من أمور الدين والدنيا وجعل كلمته فيها السامية العليا، مصروف الهمّة والرأي والرويّة إلى المحاماة عنهما والمراعاة لنفي خللٍ يدخل فيهما، والرّغبة في إعلا معالمهما، والتوفّر على ما شيّد دعائمهما، والإيثار لما حفظ نظامهما، والعناية بما صار من التغيير والانتقاض لكمالهما وتمامهما. واللّهُ جلّ وعزّ معينُ أمير المؤمنين

على ما يرضيه، وموفِّقُهُ لما يُزلِفه[١] عنده ويحظيه بِمنّهِ وقدرته.

إنّ أحسنَ الأمور عائدة على الإسلام والمسلمين. وأجمعهم إصلاحاً في حراسة أصول الدين. نَهْيُ الكافّة عن الإلمام بالمسكر واستحسان المناكر من الإصرار على المسكر الذي هو مُجمِّع السيّئات، والقائد إلى قبائح الأفعال والسَّوءات.

وقد أمَرَ أميرُ المؤمنين، وباللّه توفيقه، بكَتْبِ هذا المنشور ليُقرَأ على الخاصّ والعامّ من الأولياء والرّعيّة بالنهي عن التعرّض لشرب شيء من المسكر على اختلاف أصنافه وأسمائه وألوانه وطعومه. وكلّ شراب متأوّل فيه ممّا يسكر قليله وكثيره، وترْك التعرّض لشربه والأقوال والفتاوى، والنهي عمّا يتمسّك به الرعاع من التأويلات والدّعاوى، فإنّ أمير المؤمنين قد حضّر ذلك جملة وأخبره، ونهى عن المسكر واقتنائه وادخّاره والتعرّض لعمله واعتصاره، حتى تطهر الممالك من سوء آثاره.

وجعل ذلك أمانةً في أعناق المخلصين من أوليائه، وبيعته عن أهل طاعته ونصحائه. ووكّل إليهم الفحص عنه وإنهاء ما يقفون عليه من أمره. وبراء أمير المؤمنين إلى اللّه عزّ وجلّ من تبعة ذلك وغائلته عاجلاً وآجلاً.

فَيُعلَم ذلك من أمير المؤمنين ، وَيَعْمَلُ عليه سائرُ الأولياء والمؤمنين، ومَن شملته دعوةُ الحقِّ من كافّة الناس أجمعين. وليسارعوا لامتثاله والحذر من تجاوزه. فقد قرّب أمير المؤمنين بأعداء المرسوم أليمَ العقاب والتنكّل، وقبيحَ النّكلة والتبدّل. واللّه حَسْب أمير المؤمنين ونِعمَ الوكيل.

وكُتِب في شهر ذي القعدة سنة أربع مائة. والحمد للّه وحده، وصلواته على رسوله خاتم النبيين وآله الطاهرين، وسلامه.

---

(١) يزلفه من «الزلفى» أي يقربه.

٣

خبرُ اليهودِ والنَّصارَى

وسؤالهم لمولانا الإمام الحاكم بأمر اللّه، أمير المؤمنين، صلوات الله عليه، عن شيءٍ من أمر دينهم باعتراضٍ اعترضوه فيه، وإنكارٍ أنكروه عليه. والجوابُ على ذلك بما اختصمهم من القول، وأسكتهم، وانصرفوا مقهورين. والحمد للّه ربِّ العالمين[1].

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم. حَدَّثَ مَن وُثِقَ به وَسُكِنَ إلى قوله مع إشهار الحديث في ذلك الوقت، أنّه حضَر في موقفٍ من مواقفِ الدّهر وصاحبِ العصر، مولانا الإمام الحاكم بأمر اللّه، أمير المؤمنين، سلام اللّه عليه، إذ وَقفَ، بين يديه بالقَرَافة في مقابرَ تُعرَف بقبابِ الطّير، نفَرٌ، فسلّموا عليه. فوقف عليهم حسب ما كان يقف على مَن سلّم عليه. فذكروا أنّهم من أهل الذِّمّة، وأنّ لهم حاجةً، وأنّهم يهود ونصارى.

فقال عليه السلام: قولوا حاجتكم.

فقالوا: نسأل حاجتنا إذا أمّنتَنا على نفوسنا.

فقال: إنّ طلبةَ الحوائج لا تحتاج إلى أمان.

فقالوا: هي حاجةٌ صعبة وسؤالٌ عظيم.

---

(١)هذا المقطع يؤلف عنوان «الخبر». هذه الرواية هي الأخرى لا تمّت الى عقيدة التوحيد بصلة. فالحاكم هو أمير المؤمنين ، وليس معبوداً، والاسلام هو الدين الحقيقي، ومحمّد رسول الله، والبسملة لا تعني «صفات مولانا»، كما هي في رسائل الحكمة.

فقال عليه السلام : إسألوا فيما عسى أن تسألوا، ولو كان في المُلْك.

قالوا: يا أمير المؤمنين! ما هو شيء يتعلّق بأمر الدنيا، وإنّما هو شيء يتعلّق بأمر الدين، و(هو)[٢] خطرٌ عظيم. فإنْ أمَّنتَنا على أنفسنا ذكرناه وسألناك عنه، وإنْ لمْ تأمِّنّا سألناك العفوَ وانصرفنا آمِنين. فعدلُك وأمنُك قد ملَّيَا الغربَ والشرق ، وعطاؤك وجودك قد غمرا جميع الخَلق.

قال عليه السلام: إسألوا عمّا أردتم، وأنتم آمِنون بأمان اللّه تعالى، وأمانِ جَدّنا محمّد. وأمانُنا لا منكوثٌ عليكم في ذلك ولا متأوّل.

قالوا: يا أمير المؤمنين! إنّ الذي نسألك عنه خطرٌ عظيمٌ وأمرٌ جسيمٌ . وأنت صاحب السيف والملْك، ولا نشكّ في أمانك، ولكنّنا نخشى من سفهاء الأمّة.

قال عليه السلام: قولوا وأنتم آمنون من جميع الناس والأمّة.

قالوا: يا أمير المؤمنين! أنتَ تعلم أنّ صاحبَ الشريعة الذي هو محمّد بن عبد اللّه، الرسول المبعوث إلى العرب، الذي لهجرته كذا وكذا سنة. – وذكروا عدد السنين التي لهجرته إلى تلك السنة التي خاطبوه فيها–؛ إنّه، حين بُعثَ إلى العرب وجاهد سائرَ الأمم، لم يسمْنا الدخولَ في شريعته إلاّ إنِ اختـرْنا ذلك بلا إكراه وأداء الجزية. ولمْ يكلِّفْنا إلاّ هذا. وكذلك كلّ واحد من أئمّة دينه، وخلفاء مذهبه، ومتفقّهي شريعته، لم يسمْنا ما سمْتَنا أنت إيّاه من هدم بِيَعِنا وأديارِنا وتمزيقِ كتبنا المنزلة على رسلنا من عند ربّنا، فيها حكمة بالحلال والحرام والقصاص، حتى إنّك أبحْتَ التوراةَ والإنجيل، يشدّ فيها الدّلوك والصابون، وتُباع في الأسواق بسعر القراطيس الفارغة. وقد أخبر صاحبُ الملّة والشريعة عن ربّه، فيما نزل عليه أنّ التوراة فيها حكمةُ اللّه.

---

(٢) ما هو بين هلالين إضافة توضيحيّة من الناشر.

ثم إنّه ذكَر في غير موضعٍ في الكتاب المنزَل عليه تفخيمَ أمرِ رسلنا، والأفاضلِ من تُبّاعهم مثل ما هو موجـود في كتبنا. وأكثرَ القرآنُ المنزَلُ عليه فيـه ذكرَ مـوسى وعيسى ويوشع وإسـمعيل وإسحق ويعـقوب ويوسف وزكـريّاء ويحنّا. وهؤلاء كلّهم أنبـياؤنـا وأئمّة شـرائعنا؛ ومـثل ما ذكـروا الفضلاءَ منّا، مثل بقايا موسى وحواريّي عيسى. وما حكاه أيضا في الكتاب المنزَل عليه من تفـضيل قُسُسِنا ورُهبانِنا، بقـوله: إنّ فيهم قُسُـساً ورهباناً، وإذا سـمعـوا ما أنزل إلى الـرسول تفـيض أعينُهـم بالدّمع ممّا عرفـوه من الحق(٣). ولو استقـصينا كلّما جاء في الكتاب المنزَل عليـه من تفضيلِ رسلنا وتفخيمِ كتبنا، لكان أكثر ما نزل عليه في هذا المعنى.

ثم قـد كـان من خلفـاء الملّة وأئمّـة الشريعـة من المحـمـودين آبائك والمذمـومين أعدائهم وأعـدائك، مثل بنـي أميّـة وبني العبّـاس ممّن عتـا في الأرض، وَمَلَكَهَـا طولاً وعـرض، مع اتّسـاع ملكهم وعِظمِ سلطانهم، وكـان يخطب لهم في كلّ بقعة بلغتْ إليها دعـوةُ رسولهم وصاحبِ شريعتهم، ولم يُحـدثوا علينا رسمـاً، ولا نقضـوا لنا شـرطاً، اقتـداءً منهم بصاحبِ ملّتـهم وشـريعتـهم، ولعلمهم بتـفضـيل رسلنا وتعظيم كـتبـنا وملّتنا وشريعـتنا المذكورة على لسان نبيّهم.

فمـن أين جاز لك أنتَ يا أمـير المؤمنين أن تتـعدّا حكْم صـاحبِ الملّة والشريعة، وفعْلَ الخلفاء والأئمّـة الّذين ملكوا قبلك البلادَ والأمّة! وليس أنت صاحب الشـريعة! بل أنت أحدُ أئمّة صـاحب الشريعة وأحد خلفـائه، والقائمُ في شريعتـه، لتتمِّمهـا وتشدَّ أركانها وبنيانهـا. وبذلك نطقتَ في كلامك في غير موضعٍ من مواقفك التي خاطبتَ بها. وأشـهرَ ذلك عنك أقربُ الناس إليك

---

(٣) سورة المائدة ٥ / ٨٢-٨٣ ؛ بتصرّف.

مِن أوليائك وأنت تفعل معنا ما لم يفعله الناطق[٤] معنا، ولا أحد من أئمّته وخلفائه، كما ذكرناه.

وهذه حاجتُنا التي سألناها، وأمْرُنا الذي قصدناه، وطلَبْنا الأمانَ عليه. ونريد الجواب عنه. فإنْ يكن حَقّاً وعدلاً آمَنّا به وسدّقناه[٥]، وانْ يكن متعلّقاً بالملك والدّولة والسلطان بقينا على أدياننا، غير شاكّين في مذاهبنا، وأزلْنا الشبهة عن قلوب المستضعَفين من أهل ملّتنا. وما جئناك الاّ مستفهِمين غير شاكّين في عدلك ورحمتك وإنصافك. وعلى هذا أخذنا أمانك، وقد قلْنا الذي عندنا وأخرجناه من أعناقنا، كما تقتضيه أديانُنا. والأمر إليك. فإنْ تقلْ لنا سمعْنا وأطعْنا وأجبْنا. وإنْ أذنتَ لنا ولم تقلْ، انصرفْنا ونحن آمنون بأمانك الذي أمّنتَنا.

فقال عليه السلام: أمّا الأمان فباقٍ عليكم، وأمّا سؤالكم فما سألتم إلاّ عمّا يجب لمثلكم أن يَسألَ مثلَه. وأمّا نحن فنُجيبكم إنشاء اللّه. ولكن امضوا وعودوا إليّ هاهنا ليلةَ غد، وليأتِ كلٌّ واحدٍ منكم، يعني من اليهود والنصارى، بأفْقَهِ مَن يقدر عليه من أهل ملّته في هذا البلد ليكون الجوابُ لهم، والكلامُ معهم.

***

ولمّا كان في ليلةِ غد حضروا[٦] القومُ في المكان بعينه، ووقفوا وسلّموا، وقالوا : قد أتينا بمَن طلبَه أميرُ المؤمنين منّا. وقدّموا أحدَ عشر

---

(٤) ألناطق هو محمّد بن عبد الله صاحب الشريعة الإسلامية الظاهرة.

(٥) عادة ما يكتب الموحِّدون الدروز كلمة «صدق» ومشتقّاتها بحرف «السين»؛ وذلك لتتوافق، بحسب حساب الجمّل، مع عدد الأنبياء الـ ١٦٤: س=٦٠؛ د=٤؛ ق=١٠٠؛ فيما عدد أنبياء الكذب ٢٦: ك=٢٠؛ د=٤؛ ب=٢.

(٦) عادةً ما نجد في رسائل الحكمة فاعلَين لفعلٍ واحد. ولن نشير إلى ذلك مرّة أخرى.

رجلاً ومِن قبلُ سبعة.

فقال لهم أميرُ المؤمنين، صلوات اللّه عليه: لهؤلاء اخترتم، ولهم قدّمتم؟

قالوا بأجمعهم: نعم. يا أميرَ المومنين.

قال للنّفر: وأنتم رضيتم أن تكونوا متكلّمين عن أهل ملّتكم نائبين عنهم؟

قالوا: نعم.

قال: فهل تعلموا في هذه البلدة مِن أهل ملّتكم مَن هو أفْقَهُ منكم؟

قالوا: لا.

قال عليه السلام: وأنتم تحفظون التّوراة والإنجيل وأخبار الأنبياء؟

قالوا: نعم.

قال عليه السلام: عارفون بمبعثِ صاحبِ الشريعة، الذي أنا قائم بملّته، وذابٌّ عن شريعته وسيرته وأخباره، وما جرى بينه وبين رؤساء ملّتكم ومتقدّميكم من اليهود والنّصارى من الجدل والمسائل والاحتجاجات ومن سلّم لأمره منهم ومن لم يسلّم من مبعثه إلى حين وفاته؟

قالوا: لم نُحِطْ بذلك كلّه، بل أحطنا بأكثره ممّا يلزمُنا حفظُه وعلمُه ممّا جرى بينه وبين علمائنا ، تصحيحاً لمذهبنا وشريعتنا، وذلك عندنا محفوظ مدوّن مكتوب تتوارثه أحبارُنا، وأحبارٌ عن الأوّلين مِن قبلنا، حتى وصل ذلك إلينا، ويتصّل ذلك بغيرنا، كما وصل إلينا، إلى أن يرث اللّه الأرضَ ومَن عليها.

قال عليه السلام: إنّ أصحابكم سألوني البارحةَ عن سؤالٍ بعدَ أنْ أخذوا أماني على نفوسهم، وأوعدتُهم أنْ أُجيبَهم عن سؤالهم إذا حضروا علماؤهم. وقد حضرتم، واعترفوا لكم بالعلم والفضل، وسدّقتموهم أنتم على ذلك، واعترفتم عندي به لمّا قلتُ لكم أتعرفون في هذه البلدة مَن هو أعلم

منكم من أهل ملّتكم بأخبار صاحب شريعة الإسلام ونسَبِه وشيعتِه وعلمِه وشريعتِه. قلتم لا.

وأنا أسألكم. وفي آخر السؤال أُجيبكم وأخبرُكم بما سألوني عنه أصحابُكم. وأماني فباقٍ عليكم وعليهم، على شرط، وهو أنّي، كلّما سألتكم عن شيء يقتضيه مذهبُكم وشريعتُكم ومذهبُ صاحبِ ملّة الإسلام وشريعته، فتجيبوني عنه بما هو مأثور في كتبكم المنزَلة على أنبيائكم، ومدوَّنٌ في كتب رؤسائكم وعلمائكم وأحباركم. وما لم يكن عندكم، ولا تعرفونه، ولا تؤثرونه في كتابٍ منزل ولا قولِ حكيمٍ مرسَل، فردّوه عليّ وادفعوه بحججكم التي عسى أن تدفعوا بها سواي، وما عرفتموه وتفهّمتموه فلا تنكروني إيّاه لقيام الحجّة عليكم به وفيه.

قالوا: نعم.

قال لهم: إنْ سدقتم فأماني يعمّكم. وانْ كذبتم انفسخ أماني عنكم. وعاقبتُكم. وكانت عقوبتُكم جزاءً لكذبكم. أرَضِيتم؟

قالوا: نعم.

قال: أَبَلَغَكُمْ أنّه لمّا كان في كذا وكذا من هجرة الرّسول، صاحبِ شريعة الإسلام، أتاه رؤساءُ شريعتكم وعلماؤكم من الملّتَين اليهود والنصارى، وهم فلان وفلان وفلان. وسمّى لهم رجالاً من أحبارهم ورهبانهم وأمسكَ.

فقالوا: نعم. يا أمير المؤمنين، وفلان وفلان وفلان وفلان. وسمّوا له بقيّةَ أسماء الرجال حتّى أتَوا على آخرِهم.

قال عليه السلام: قد صحّ عندي أنّكم سَدقتم لمّا تمّمتم أسماء الرّجال الباقيين الذين بدأتُ أنا بذكرهم. أفي ذلك عندكم شكٌّ تشكّون فيه أو ريبة ترتابون بها؟

قالوا: لا.

قال لهم: لمّا استحضرهم، ما قال لهم؟

قالوا: يقول أمير المؤمنين. فمنه القولُ ونحن سامعون. فما عرفناه أقررْنا به وسلَّمْنا فيه. وما لمْ نعرفْه ولمْ يكنْ مأثوراً عندنا ذكرناه لأمير المؤمنين.

قال عليه السلام : قال لهم صاحبُ الملّة والشريعة: ألَمْ تكونوا منتظرِين لزماني متوقّعين لشخصي ترجون الفرجَ مع ظهوري؟ فلمّا أنْ ظهرتُ فيكم وأعلنتُ دعوتي وشهرتُ أمر ربّي كذّبتموني وجحدتموني ونافقتم عليّ. فطائفة منكم قاتلوني، وطائفة منكم رحلوا من جواري حسَداً لي وبغضةً، حسبَما تفعلُه الأممُ الباغية في الأزمان المتقدّمة، إذا ظهر مثلي سنّة أسنتها الظّالمون أوّلهم إبليس اللّعين مع آدم الكريم. فهل كان ذلك منه إليهم؟

قالوا: نعم.

قال: فإذا علمتم أنّ ذلك قد كان منه، فما كان جوابُهم له عن ذلك بعد استماعهم كلامَه؟

قالوا: قد قلنا: أولَى لأميرِ المؤمنين أن يقولَ ، ولنا أن نسمع، ونحن محمولون على الشرط الأوّل الذي شرطَه أميرُ المؤمنين علينا. أمّا ما عرفناه أقررْنا به، وما لم نعرفْه أنكرناه، فنربح في ذلك سلامةَ أدياننا بالتسديق بالحقّ وسلامة أنفسِنا من القتل بالتزام الشرط.

قال لهم أمير المؤمنين عليه السلام : كان جوابُهم أنّهم قالوا: ما أنتَ الذي كنّا منتظرِين لزمانه متوقِّعين لشخصه ، ولا الذي نرجو الفرجَ مع ظهوره.

قال لهم: ما دليلكم على صحّة ذلك أنّي ما أنا هو؟

قالوا: ما هو مأثورٌ عندنا وموجود في كتبنا وبشّرت به أنبياؤنا لأممهم.

قال لهم: ما هو؟ بيِّنوه.

قالوا: ثلاث خصال:

أحدها :ليس اسمُه كاسمك، وقد نطق بذلك لسانُك في نبوّتك، وجهرتَ به لأصحابك، وجعلتَ ذلك فضيلةً لك. فمنه أخذناك لمّا قلتَ ما حكيتَه عن المسيح: وَمُبشّراً برسولٍ يأتي بعدي إسمه أحمد[٧]، يحلّل لكم الطيِّبات، ويحرّم عليكم الخبائث، ويضع عنكم ضرّكم والأغلال التي كانت عليكم[٨]. فهو كما قلنا ما أنت المسمّى إذ إسمُك محمّد. والذي بشّرتَ به، باتّفاقٍ منّا ومنك، إسمه أحمد.

والثانية : مدّته قد بقي لها أربع مائة سنة من يوم مبعثك إلى حين ظهور هذا المنتظر، فقد خالفته أيضاً في الاسم والمدّة.

والثالثة: المنتظر. إنّما يدعو إلى توحيد ربّه بلا تعطيل ولا تشبيه ولا كلفة تلحق نفوسَنا حسب ما ذكرتَه في تنزيلك من تحليلِ الطيّبات، وتحريم الخبائث، ووضعه عنّا ضرّنا والأغلال التي كانت علينا.

فأيّ حجة بقيتْ لك علينا، وليس اسمُك اسمَ مَن يُنتَظر بقولك، ولا فعلُك فعلَه، ولا المدّة مدّتَه. فقد خالفتَه كما قلنا في الإسم والمدّة والفعْل. وإذا كنتَ إنّما تدعونا إلى شريعةٍ، فَبِقْيَاؤنا في شريعتنا آثر وخيرٌ لنا. وصفة المنتظَر عندنا رفع التكليفيّات وانقضاء الشرور ورفع المصائب والشكوك، وأنْ لا يتجاوزَه في عصره كافرٌ ولا منافق. وأنتَ، أكثرُ أصحابك يُظهرونَ

---

(٧) سورة الصفّ ٦١/٦؛ بتصرّف.

(٨) سورة الاعراف ٧/١٥٧ بتصرّف: "إصْر" لا "ضرّ"، كما ورد في المتن. والكلام في القرآن يتوجّه إلى غائبين لا مخاطَبين.

النّفاقَ عليك. وإنّما بغَلبةِ سيفِك عليهم سلّموا لأمرك. وإذا كان ذلك كذلك فَلِمَ تَلومُنا على قتالك وَتُثَاقِلُنا على طاعتك والدخول في شريعتك؟

ثمّ قال لهم أمير المؤمنين عليه السلام : أكذا كان؟

قالوا: نعم. كذلك كان وكلّ قولك حقّ وسدق.

قال: فما كان جوابُه لهم عن هذا الكلام ؟

قالوا: يقول أمير المؤمنين، حسب ما جرتْ به العادة، ونسمع ونعترف بالجواب إذا علمناه، وننكره إذا جهلناه.

قال لهم عليه السلام: أمّا إذا عرفتم ذلك وعلمتموه فلا شكّ أنّكم تعرفون صفة الحال كما جرت إنشاء اللّه.

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: كان جوابه لهم: لا أقاتلكم على الدخول في ملّتي ولتكذيبي والصدوف عن أمري، لأنّكم أصحاب شرائع وكتب، متمسّكون بأمرها، ناطقون. وليس أقاتل مَن هذه صفتُه، ولا أنا رافعٌ الشرائعَ، ولا ذلك كلّه إليّ؛ بل كلّما ملكتُ بلداً بسيفي ممّن فيه عبدَةُ الأوثان والتّناذر، فلي أن ألزمهم الدخولَ في ملّتي وأقتُلَهم. ومَن كان في البلدة منكم أعرضتُ عليه: إمّا الدخولَ في ملّتي واتّباع أمري وشريعتي، أو أداء الجزية. فإذا كَرِهَ الوَطَنَ الذي ملكتُه وبسيفي فتحته، فمن وَزَنَ الجزيةَ منهم أقررتُه في مكانه، ومَن انتقل عنّي تركته. ومَن قاتلني منهم على مثل ذلك قاتلته، وانتظرت فيكم حكم ربّي.

قالوا: لكَ ذلك. فما قلتَ إلاّ حقًّا، ولا نرا (كذا) منك إلاّ سدقاً.

قال لهم: إذا استقرّ ذلك بيني وبينكم وقد تأوّلتم عليّ ودفعتم منزلتي وفضلي الذي قد أتاني من عند ربي، وزعمتم أنّ الذي تنتظرونه، له إسم تعرفونه، وفعل تعلمونه، ومّدة تنتظرونها، وهي من مبعثي إلى حين ظهور هذا المنتظر، بقي له أربعمائة سنة، فاكتبوا بيني وبينكم مواصفة

تتضمّن كلّ ذلك وذكْرَه، وعلى أنّكم تـدفعون إليّ الجزية طول تلك المدّة التي ذكرتم أنّ المبعوث إليكم فيها يأتي غيري.

فـإن كنتُ من جملة المختـرصين الكذّابين، فأنـتم تكفون مـؤونتي ويرجعُ إليكم الملكُ إذا ظهـر مَن تنتظرونه. وإنْ لم يظهـرْ، ومـدّتي قـائمـة، وشـريعتي مـاضيـة، وحكمي لازم، ولم يأتِكم فـي هذه المدّة مَن تنتظرونه، فلصـاحبِ ملّتي والقـائم بدعـوتي والإمـام الذي يكون في ذلك العـصـر أن يدعوكم إلى ما دعوتكم إليه اليوم.

فإنْ أجـبتموه وسلّمـتم لأمره ودخلتم في شريـعتي وطاعته، فـقد سَلِمْتم وسلّمتم. وإنْ أبيتم عليه كما أبيتم عليّ وصددتم عنه واستكبرتم، فله أن يأخذَكم بالشـرط الذي شرطتموه على أنفـسكم ويقاتلكم. فان قاتـلتموه قتلكم، ولا يَقبل لكم عذراً، ويستبيحُ ملّتكم، ويهـدم شريعتكم بهدمه لبِيَعِكم، ويعطّل كتبَكم، ويكون ما بقي لكم عذرٌ تحـتجّون به، ولا محال تركنون إليه، ولا إبليس تعـوّلون عليه. وهو المنصـور عليكم، يقطع شـأفتكم وشـأفةَ كلّ الظالمين. فهذا نصّ المواصفة أهكاذا هو؟

قالوا : نعم.

قال أمـير المؤمنين عليـه السلام: والمواصـفة لم تزل تنتقـل من بعد صاحب الشريعة والملّة من وصيّ[٩] سادقٍ إلى إمامٍ فاضلٍ حتى وصلتْ إليّ وهي عندي.

فلم يكن له عليه السلام أن ينقض شـرطاً أسّسه، وحكماً بيّنه، وهو معـروفٌ وقتَ أن نشأ في الجاهليّـة محمّدٌ الأمين. فكـيف ينقضُ ما أنعم به عليكم، ولم يُجزِ لأحد من أئمّة دينه وخلفاء شـريعته أن ينقضَ ما أمر به من قبل انقضاء المدّة اتّباعاً وتسليماً لحكمه.

---

(٩) «ألوصيّ» هو الإمام. وكان لكلّ نبيّ من الأنبياء وصيّ؛ ووصيّ محمّد علي.

فلمّا وصل الأمـرُ إليه وانقضتْ تلك السنون المذكورة في المـواصفة في عصري، وعند تمامـها أمري، أخذتُ منكم بحقّـه، ودعَوتُكم إلى شرطكم وشرطه، حسب مـا تقتضيـه الأمانة وحكم المعاهدة. أكذلك بلغـكم أنّه صفة الحال؟

قالوا: نعم . كذلك كان.

قال: فـأيّ حجّة بقـيتْ لكم عليه وعليّ بعـدما أوضـحناه؟ وأيّ أمر تعدّيتُ فيـه، بزعمكم، عليكم إذا كنتُ بشرطِكم أخـذتُكم؟ وما كنتم تنتظرونه أقمتُـه عليكم. وقد أوسعتكم حلمـاً وعدلاً، إذ أبقيتُ نفوسكم علـى أجسامكم ونعمكم عليكم إمهالاً لتنتـبهوا بعد الغفلة، وتسلّموا بعد المعـاهدة. فأيّ حجّة لكم بعد ما وصفناه؟ وأيّ حقّ معكم بعـد ما قلناه! وأي عذر يقوم لكم بعدما شرحناه؟ قولوا واسألوا تُجابوا وتُنصفوا. ولا يكون لكم قولٌ ولا حجّة.

فانصرفوا محجوجين كاذبين نادمين شاكّين خائبين.

قال: ماذا تقولون؟

قالوا بأجـمعهم: هذا واللّهِ كلُّه حقٌّ وسدقٌ، لا نشكّ فـيه ونرتاب به. قد سمعنا وفهمنا. وللّه الحجّة البالغة ربّ العالمين. وصلّى اللّه على نبيّه وآله الطاهرين.

تمّ الكلام في هذا الفـصل. وحســبنا اللّه ونعم الوكـيل. والحمـد للّه وحده، وبه أستعين.

٤

نُسْخَةُ مَا كَتَبَهُ القِرْمِطِيُّ

إلى مَولانا الحاكم بأمرِ الله أميرِ المؤمنين

عند وصوله إلى مصر.

كتبَ هذه الرسالة أحدُ حكّام القرامطة الذين كانوا على عداء سياسيّ مع الفاطميين. كتَبها الى الحاكم بأمر اللّه يتوعّده ويهدّده إنْ لم يسلّم له البلاد... ليس لهذه النسخة أية علاقة مباشرة بالعقيدة الدرزية. وهي لا تمتّ إليها بصلة.

بسم اللّه الرحمن الرحيم.

أمّا بعد فقد وَصَلْنا بالتُرك الخُراسَانيّة، والخيل العربيّة، والسيوف الهنديّة، والدّروع الداووديّة، والدَّرَقِ التُّنْبَتِيَّة، والرّماح الخَطِيَّة. وقد خفّ الرُّكاب فَتُسَلِّمُ البَلَدَ، وتكون آمنا على النفس والمال والأهل والولد. والسلام[1].

فأجابه سلامه علينا:

---

(١) كل هذه التعابير، تعابير قوّة وشدة، للتهويل والتخويف، مما يدلّ على بأس القرامطة.

أمّا مـا ذكرتَه من خـفّة ركـابِك، فذلك من قلّة صـوابك. وذلك لأمرٍ محتوم، في كتابٍ مـعلوم، لأنّنا قد نظرنا في الكتاب المكنون، والعلم المخزون، أنّ أرضَنا هذه لأجسـادكم أجداثاً، وأموالَكم وأمـاكنكم لنا ميراثاً، فـيجب أن تعلم أنْ قـد أحـاط بك البلا، ونـزل بك الفنا. فمـا أنتَ جـئتَ بل اللّه جـاء بك ليظهرَ معجزةً فيك وفي أصـحابك.

وأنا حامد اللّه على ما منحني به من أخذِكم على مضيِّ ثمان ساعات من نهـار يوم الأثنين حـتى لا تنفعَ الظالمينَ مـعـذرتُهم، ولهم اللّعنة وسـوء الدّار.

والسلام على من اتّبع الهدى وخشي عواقب الرّدى، وخاف اللّه في الآخرة والأولى. وهو حسبنا وكفى. وإليه يشير كل من دعا[٢].

(٢) لجواب الحاكم مثـيل عند الخليفة المعزّ، وهو ما يجعل الشكوك تثـار حول كاتبه. أهو الحاكم أم المعزّ ؟ ومن هو القرمطي هذا؟ وأية سنة كان ذلك؟

٥

ميثاقُ وليِّ الزَّمانِ

هذا الميثاق هو العهد أو القَسَم الذي به يُصبح الدرزيُّ درزيًا. يتضمّن الاعترافَ الصريح بألوهيّة الحاكم، وبإمامة حمزة، والرّفضَ الظاهر لجميع الأديان والمذاهب، والتبرّي منها. يختلف هذا الميثاق عن الرسائل السابقة اختلافاً جوهريًا. وقد يكون من تأليف حمزة نفسه. لا بسملة في بدايته، ولا تاريخ لتأليفه.

توكّلتُ على مولانا الحاكم الأحد الفرد الصّمد. المنزّه عن الأزواج والعدد[1]. أقرّ فلانٌ ابنُ فلانٍ إقراراً أَوْجبَه على نفسه، وأشهدَ به على روحه، في صحّةٍ مِن عقله وبدنه، وجوازِ أمرٍ طائعاً غير مكرَه ولا مجبَر. أنّه قد تبرّأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات كلّها على أصناف اختلافاتها. وأنّه لا يعرف شيئاً غيرَ طاعة مولانا الحاكم جلّ ذكرُه. والطاعة هي العبادة. وأنّه لا يُشرك في عبادته أحداً مضى أو حضر أو يُنتظر. وأنّه قد سلّم روحَه وجسمَه ومالَه وولده وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم جلّ ذكْره. ورضي بجميع أحكامه له وعليه غير معترض ولا منكر لشيء من أفعاله ساءَه ذلك أم سرّه.

(١) أنظر التعابير القرآنية المستعملة لتوحيد الله في الاسلام، تستعمل لتوحيد الحاكم هنا. مثل: الاحد، الفرد، الصمد، المنزه، جلّ ذكره، الباري، المعبود، وغيرها ممّا سيرد ذكره.

ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم جل ذكْره الذي كـتبَه على نفسه، وأشهد به على روحه، أو أشار به إلى غيـره، أو خالف شيئاً من أوامره، كان بريئـاً من الباري المعـبود، واحـترم الإفـادة من جميـع الحدود ، واستـحقّ العقوبة من البار العليّ جلّ ذكره[٢].

ومن أقـرّ أنْ ليس له في السـماء ألهٌ مـعـبود، ولا في الارض إمـام موجود، إلاّ مولانا الحاكم جلّ ذكره، كان من الموحِّدين الفائزين.

وكُتب في شهرِ كذا وكذا، من سنـة عبدِ مولانا، جلّ ذكره، ومملوكِه حمزة ابن عليّ ابن أحمد، هادي المستـجيبين، المنتقم من المشركين والمرتدّين، بسيف مولانا جلّ ذكره، وشدّة سلطانه وحده. تمّ[٣].

---

(٢) ألبار العليّ، أو البار والعلي، همـا مقامان إلهيّان ظهـرا في دورَين مختلفَين من أدوار الخليقة. وهما، مع دور الحاكم، ما يجب أن يعرفه الموحِّدون.

(٣) «ألموحدين، والمستجـيبين» لفظتـان تعنيان الدروز. يلاحظ أوصـاف حمـزة، مثل : «عبـد مولانا»، «ومملوكـه»، و «هادي»، أو «هادي المستجـيبين»، و «المنتـقم... بسيف مولانا...». هذه التعـابير تدلّ على حمزة، وإنْ لم يسمَّ باسـمه. بها يُعرف ويتـميّز عن سواه من الحدود. ويلاحـظ أنّ «المشركين» هم أصحاب الأديان والمذاهب والمعـتقدات كلّها، من دون استثناء، وأنّ «المرتدِّين» هم الذين استـجابوا أوّلاً للدعوة التوحيديّة، ثم رجعوا عـنها إلى غيرها. ويلاحظ أيضـاً أنّ «الميثاق» الذي يبرمـه الدرزي للدخول في دين التوحيد، انّما يكون لـ «وليّ» الزمان» حـمزة، لا للحاكم. ويلاحظ أخيراً التاريخ: «مِن سنين عـبـد مـولانا»، أي من سنين حـمـزة: ألسنة الأولَى كـانت سنة ٤٠٨ هـ. والثانيـة سنة ٤١٠، إلخ.. أمّا سنة ٤٠٩ هــ. فهي سنة الغَيـبة؛ ولا تُحـسب في عداد السنين التوحيديّة. فيها اختفى كلّ من الحاكم وحمزة وسائر الحدود.

٦

الكتاب المعروف بالنقض الخفي

وقد رُفع إلى الحَضرَة اللاّهوتيّة

في هذا الكتابِ المهمّ جدًا نقْضٌ وهدْم لأركان الإسلام جميعها. وهي: الشهادتان، والصلاة، والصوم، والزّكاة، والحجّ، والجهاد، والولاية، أي الإمامة. في معانيها الظاهرة والباطنة... وفي هذا الكتاب أيضاً إثباتٌ لعقيدة التوحيد، وألوهيّة الحاكم وإمامة حمزة. وفيه كذلك كشْفٌ عن المعاني الباطنيّة السريّة لآيات القرآن. وفيه أخيراً نظريّة العدد وأهميّته ومحاولة بناء الكون عليه. وُضع الكتاب سنة ٤٠٨ هـ لم يذكر مؤلّفه. وقد يكون حمزة بواسطة أحد تلامذته.

توكّلتُ على مولانا البار العلام، العليّ الأعلى حاكم الحكّام. مَن لا يدخل في الخواطر والأوهام. حروف بسم اللّه الرحمن الرّحيم. دعاة عبده الإمام[1].

كتابي أليكم معاشرَ الموحِّدين لمولانا سبحانه وحدَه. المستجيبين لحقائق الجواهر الحقيقيّة. الناظرين من نور الأنوار الشّعشعانيّة . المتبرِّئين

---

(١) لاحظ هذه الصيغة : «حروف بسم الله الرحمن الرحيم. دعاة عبده الإمام»: إنّ عدد الحروف ١٩ حرفاً. ودعاة الإمام ١٩ أيضاً. وهذا هو معنى البسملة الحقيقي في الدرزيّة. وعندما يقولها الدروز فهم يعنون بها حدودَ الإمام الـ ١٩؛ لا البسملة بمعناها الإسلامي.

من العلوم المحال الحشويّة. العارفين بالأبالسة الغويّة. العابدين للمعبود إله البريّة. الحاكم بذاته، المنفرِد عن مبدعاته. والذّات هو لاهوته، والمبدعات هم النُّطقاء والأُسس واللّواحق والدُّعاة، سبحانَه عن الازدواج، وتعالى عمّا يقولون الظالمون علوًا كبيراً.

أمّا بعد، فقد سمعتم، قبل هذه الرِّسالة، نسْخَ الشريعةِ بإسقاط الزَّكاة عنكم، وأنّ الزَّكاة هي الشريعة بكمالها. وقد بيّنتُ لكم في هذه الرسالة نقْضَها دعامةً دعامة، ظاهرَها وباطنَها. وأنّ المراد في النجاة في غير هذين جميعاً. وقد سمعتم بأنْ يصيرَ هذا الباطنُ المكنون الذي في أيديكم ظاهراً، والظاهرُ يتلاشَا، ويَظهر معنى حقيقيّةِ الباطن المحض. وهذا وقتُه وأوانُه وتصريحُ بيانه للموحّدين لا للمشركين، إلى أنْ يظهرَ السيفُ فيكون ظاهراً مكشوفاً، طوعاً وكرهاً. وتُؤخذ الجزيةُ من المسلمينَ والمشركينَ، كما تُؤخذ مِن الذِّمّة. وقد قرب إنْ شاء مولانا وبهِ التّوفيق[٢].

١. شرح الشهادتَين[٣] :

فأوّل البناء وقبّة النهاء شهادةُ: **لا الهَ إلاّ الله، محمّد رسول الله.** التي حقن بها الدماء وصِين بها الفروج والأموال. وهي كلمتان[٤] دليلٌ على السّابق والتّالي[٥]. وهي أربعة فصول[٦] دليلٌ على الأصلَين والأساسَين[٧].

(٢) سيأتي يوم، وهو يوم السيف والقيامة ، حيث يصبح الباطن أي دين التوحيد ظاهرا، والظاهر ، دين المسلمين يتلاشى. وقد ابتدأ ذلك اليوم بالكشف.

(٣) العناوين في صلب الرسالة من وضع النّاشر.

(٤) الكلمتان هما : «لا اله / الا الله». الاولى ايجابية والثانية سلبية.

(٥) السابق والتالي، بحسب المفهوم الإسماعيلي الفاطمي، هما العقل والنفس.

(٦) أربعة فصول أعني أربع كلمات : لا/إله/إلاّ/اللّه.

(٧) الاصلين هما العقل والنفس ، والأساسين هما الكلمة والتالي.

وهي سبع قطع[٨] دليلٌ على النطقاء السبعة، وعلى الأوصياء السبعة، وسبعة أيّام، وسبع سموات، وسبع أرضين، وسبعة جبال، وسبعة أفلاك. وأمثال هذه أسابيع كثيرة. وهي إثنعشر حرفاً[٩] دليل على إثنعشر حجّة الأساسيّة.

وثانيه بالمعرفة: **محمّد رسول الله** : ثلث كلمات دليل على ثلاثة حدود: الناطق والتالي فوقه، والسّابق فوق الكلّ[١٠]. وهي ستّ قطع[١١] دليل على ستة نطقاء[١٢]. وهي إثنعشر حرفاً دليل على إثنعشر حجّة له بإزاء الأساسيّة. وكذلك السماء إثنعشر برجاً، وسبع مدبّرات، والأرضون سبع وسبعة أقاليم، وإثنعشر جزيرة[١٣].

وأصل العالمِين جميعاً واحدٌ، وهو علّة العلل، وهو عندهم السّابق[١٤]، وهو أصل السكونة والبرودة، والتّالي وهو أصل الحرارة والحركة. وأبليس اللّعين ظهر من السَّابق قبل التالي، وهو لطيفٌ روحانيٌ. وكان طائعاً لباريه. إلاّ أنّه أظهر المنافسةَ. وطلب اللّعينُ الرئاسةَ. وأنشأ روحانيّتَه شخصاً قائماً بإزاء السّابق. وأظهر الضدّيّة، وجادل باريه، واسمُه حارَت. فحينئذ ظهر مِن تاليه، فصار السابقُ والتالي أصلَ العالمِين جميعاً. ومنهما ظهر الناطق

(٨) أي سبع كلمات: لا/إله/إلاّ/الله/محمّد/رسول/الله.

(٩) أي يوجد في كلا الشهادَتين ١٢ حرفاً: ١٢ في «لا إله إلا الله»؛ و١٢ في «محمد رسول الله».

(١٠) هذا ترتيب إسمعيلي فاطمي؛ أمّا الترتيب الدرزي فهو: العقل والنفس والكلمة.

(١١) أي ستّ مقاطع: مُـ/حَـ/مّد/ر/سو/لُ اللّه/.

(١٢) النطقاء سبعة وليسوا ستة كما هو الحال هنا. وذلك يعود إلى أن آدم ، أوّلهم، لم يكن له مثلَهم شريعة ظاهرة. فتارة يحسب معهم وطوراً لا يُحسب.

(١٣) ثمّة خلْط في النصّ، نظنّ فيه خطأً في النسخ. ومع ذلك فالمعنى المقصود مفهوم.

(١٤) أي عند الإسماعيليّين الفاطميّين. أمّا عند الدروز فهو العقل، أي علّة العلل. ويُسمّى تارةً «السابق» لأنّه سبق الكلّ في الوجود.

والأساس. فأظهر السابق برودته وسكونته. وأظهر التالي حرارته وحركته. وأظهر الناطق اليبوسة. وأظهر الأساس الحركة. فكملت الطبائع الأربعة، وتكوّنت الأفلاك السبعة والبروج الإثنعشر. وكذلك البروج: لكلِّ ثلاثة بروج طبعٌ غير طبع الثلاثة الأخرى لتدبير العالم بأربعِ طبائع. وكذلك الطبائع الدينيّة أربعة، كما تقدّم ذكرها، والباري سبحانه منزَّه عن الكلّ سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

وكلُّ سبعةٍ في الأفلاك حروفُها ثمانية وعشرون حرفاً، ليبيّن للعارِفين أنّ الأسابيع كلَّها دليلٌ على معنىً واحد وإشارةٍ واحدة. وهي: زحل. مشترى. مرّيخ. شمس. زهرة. عطارد. قمر: حروفهم ثمانية وعشرون حرفاً.

ومن أوّل بروج السنة، وهو: الحمل وهو السابق إلى البرج الذي يليه، وهو الميزان وهو الناطق، سبعة بروج. وهو: حمل. ثور. جوزاء. سرطان. أسد. سنبلة. ميزان. عدد حروفهم ثمانية وعشرون حرفاً.

وتدبير العالَم وسعودهم ونحوسهم من القمر. والقمر فلا يقدر يسير إلاّ في ثمانية وعشرين منزلة. ومن المحرّم إلى رجب الذي يشاكل المحرّم في الفضيلة سبعة شهور. والمحرّم دليل على السابق، وهو أوّل السنة وأوّل الشهور. وكذلك رجَب وهو التالي متّصل بشعبان ورمضان، وشعبان ورمضان دليلان على النّاطق والأساس. والمحرّم الذي هو السابق صار فرداً عن الشهور. ورجَب متّصل بالشهرَين كما أنّ التالي متّصل بالناطق والأساس. ومن المحرّم إلى رجب سبعة شهور.

كذلك للسابق سبعة حدود، أولّهم: السابق. التالي. الجَدّ. الفتح. الخيال. الناطق. الأساس. حروفهم ثمانية وعشرون حرفاً[١٥].

---

(١٥) ثمّة خلط في عدد الحروف. ولكنّ المعنى المقصود مفهوم؛ وقد لا تُحسب «أل»

وكذلك الشهور: محرّم. صفر. ربيع. ربيع. جمادي. جمادي. رجب، وهم ثمانية وعشرون حرفاً.

والأيّام السبعة: أحَد. إثنين. ثلثاء. أربعاء. خميس. جمعة. سبت، حروفها ثمانية وعشرون حرفاً.

وكذلك النطقاء السبعة: آدم. نوح. إبرهيم. موسى. عيسى. محمد. سعيد، حروفهم ثمانية وعشرون حرفاً.

والأوصياء السبعة: شيث. سام. إسمعيل. يوشع. شمعون. علي. قداح، حروفهم ثمانية وعشرون حرفاً.

والقرآن أُنزِل على سبعة صنوف، فمنه: ناسخ، ومنسوخ، ومُحكَم، ومتشابه، وقصص، وحكايات، وأمثال. وقرئ بسبعة أحرف.

والطواف حول الكعبة سبعة.

وطول الإنسان سبعة أشبار بشبره، وعرضه أيضًا بشبره سبعة أشبار. وفي وجه الإنسان سبعة خروق.

وأمثال هذه أسابيع كثيرة لا تحتمله الرّسالة. كلّها دليل على سبعة أئّمة وسبعة نطقاء وسبعة أوصياء. وبداية الكلّ من واحد، وذلك الواحد أيضاً عبدٌ غيرُ معبود.

وكذلك قال: ما خلقَكم ولا بعثُكم إلاّ كنفس واحدة[١٦]، وهو السابق. فجعل الناطقَ دليلاً على الدّاعي إذ كان هو مِن قبل الإمام. وكذلك اللاّم[١٧] (في: **لا**) راجع إلى الألف. والألف الذي في اللاّم دليل على الإمام. والألف الثاني (في: **إله**) دليل على التالي، واللاّم دليل على الناطق، إذ كان الناطق من التالي انبعثَ، ومنه كانتْ مادّتُه.

التعريف في بعض الأسماء واجبة.

(١٦) سورة لقمان ٣١/ ٢٨.

(١٧) يفسِّر في هذا المقطع معاني كلّ حرفٍ من حروف: «لا إله إلاّ اللّه».

والألف الثالث من **إلاّ** بمنزلة السابق إذ هو بمنزلة رابع الحدود دليل على الحجّة والدّاعي والمأذون. والألف الذي في اللاّم ليس له غير حدّ واحد تاليه. وكذلك الدّاعي يرجع إلى الإمام لا غير، والناطق إلى التالي يقوم بالحدود كلّها. كذلك الألف الذي في **الله**، واللاّمان المتّصلان به بحدّ الناطق والتالي. والهاء التي هي ختامتهم رتّبت بمنزلة أساسه.

فقال: **لا إله إلاّ الله**، أنفى عن الكلّ المعنوية وأشار إلى أساسه، وألزمهم بأن يقولوا: **محمّد رسول الله**. وهي ثلاث كلمات لأنّه ثالث السابق. وهي ست قطع دليل على أنّه سادس النطقاء. وهي إثنعشر حرفاً دليل على إثنعشر حجّة له ظاهرة كما للأساس إثنعشر حجّة باطنة. فنظرْنا إلى السابق والتالي والناطق والأساس والإمام والحجّة، فرآيناهم كلّهم عبيداً مزدوجين، فعرفنا بأنّ المعبود سواهم.

وعلمْنا، بتوفيق مولانا جلّ ذكره، أنّ **الهاء** المشار إليها التي هي ختامة **الله** وتمامه، واللاّمَين والألف خلف تاليه، وهو آخرهم ورابعهم وتمام القدرة به، لأنّ لا يقال لأحد من الحدود ما قيل له، وهو المهدي الذي وقع عليه هذا الإسم الأعظم بقوله أبو القائم، ولا يجوز أن يقع هذا الإسم إلاّ على أعظم الحدود ونهايتهم، كما أنّ الهاء نهاية لا إله إلاّ اللّه.

ولم يظهر المولى جلّ ذكره ذلك المهدي إلى تمام دور محمّد وانقضائه، لأنّه آخر دور الأربعة المستورين الذي ختم اللّه أمورَهم به أي انقضائه. وتجلّي للعالم بالملك والبشريّة. وأشار إلى نفسه بنفسه لا بالمهدي ومنه أظهر الحقيقة. ولم يكن الأساس نهاية الحدود، ولم يكن له من القدرة اللاّهوتيّة ما كان للمهدي بإظهار مولانا القائم الحاكم جلّ ذكره منه وفي زمانه.

وقد علمتم بأنّ علي ابن أبي طالب بايع أبا بكر وعمَر وعثمان وتردّد إلى معاوية مراراً بكثرة. وآخِرُ الأمرِ لم يتمكّن من معاوية، بل تمكّن معاوية

منه ومن أولاده وأصحابه، وكان علي ابن أبي طالب أكثر عشائر في ذلك الوقت وأكثر مالاً وأعظم عشيرةً في ظاهر الأمر من المهدي. وقد أظهر المهدي من المعجزات والغلبة بلا مال ولا رجال ما لم يقدر عليه عليّ.

ومولانا القائم الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته جلّ ذكره، أورا (كذا) العالمَ قدرةً لاهوتيّة ما لم يقدر عليه ناطقٌ في عصره، ولا أساسٌ في دهره. وقد ظهر أبو يزيد، وهو حارَت، إبليس الأبالسة في ذلك الوقت، وجلبَ بخيله ورجله كما قال في القرآن، وصبر مولانا جلّ ذكره إلى أن مات مَن مات من شيعة المحال، وكفَر مَن كفر، وارتدّ مَن ارتدّ وامتحنهم. كما قال: ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات. وبشّرِ الصابرين[18].

وقد أصاب عسكرُ مولانا جلّ ذكره هذا كلَّه. ثم إنّه جل ذكره خرج إلى إبليس وجنوده بشخصه المرئيّة وناسوته البشريّة، وأظهر للعارفين بعضَ قدرة لاهوته. وأولياء مولانا حينئذٍ في ظاهرِ الأمر قليلون ضعفاء ممّا أصابهم من البلاء. وإبليس في ماءَة ألف بيت من جنوده، في كلّ بيتٍ رجالٌ بكثرة. فلم يكن غير ساعة واحدة إلاّ وهم كأعجازِ نخْل خاوية.

وأبو يزيد، لعنه المولى، هو إبليس. وإبليس أقام روحَه مقام باريه وجادَله، وهو الفيل الذي جاء في المجلس بأنّه مُسخ لأنّه تشبّه بعين الزمان. وعينُ الزمان هو السابق. وكذلك إبليس أقام روحَه مقام السابق وجادله، فعرفنا أنّه أعنا (كذا) بذلك أبا يزيد. كما قال لمحمّد: أَلَمْ تَرَ كيفَ فعَلَ ربُّكَ بأصحابِ الفِيلِ، يعني أبا يزيد. أَلَمْ يَجْعَلْ يعني القائم كَيْدَهُمْ في تضليل. وأرسل عليهم طيراً أبابيل، وهم عبيد مولانا القائم جلّ ذكره، ترميهم

---

(١٨) سورة البقرة ٢/ ١٥٥.

بحجـارةٍ مِن سِجِّيل، يعني تأييد مـولانا القائم جلّ ذكره مع حـسن يقينهم، فجعلهم كعصْفٍ مأكول[١٩].

فهـذه معجـزات لم يختلف فيـها مخـالِف ولا مؤالِف، مِن ناطقٍ ولا أسـاس. وله مـعجزات ودلائل ما يحـتمل الموضـع الشرح فـيه. وأنا أبيّن لكم ذلك في كتاب السيرة[٢٠] من ناسوت مولانا جلّ ذكـره في كلِّ عصرٍ وزمان إنْ شاء مـولانا، وبه التوفيق في جـميع الأمور. فـصحّ عند العارف المُخلص بأنّ الإشارة والمراد في النهاية، من محـمّد بن عبد اللّه إلى المهدي، وهو **الهاء** تمام **اللّه**، وهو عبد مولانا القـائم الحاكم بذاته المنفرد عن مبدعـاته، سبحانَه وتعالى عمّا يصفون علوًا كبيراً.

٢. الصلاة :

ثم أقام بعد الشهادتَين به وبأسـاسِه، **الصّلاة** في خمسـة أوقات. وقد روى كثير من المسلمين عن الناطق بأنّه قال: مَن ترك صـلاته ثلث متعمّداً فقد كفر. وقال: مَن ترك الصلاة ثلث متـعمّداً فليمتْ على أيّ دينٍ شاء. وقد رأينا كثـيراً من المسلمين يتـركون الصلاةَ. ومنهم مَن لمْ يصلِّ قطّ. ولـم يقع عليه اسم الكفر. فعلمنا أنّه بخلافِ ما جاء في الخبـر. وقد اجتمعوا كافّةً المسلمين بأنّ المصلّي بالناس صـلاتُه صـلاةُ الجماعـة، وفعلُه فعلهم، وقراءتُه قراءتهم، حتّى إنْ سـها في الفرض الذي لا تجوز الـصـلاةُ إلاّ به، كان عليه الإعادة مثل ما عليه.

فإذا كـان رجل مصلٍّ بالناس يقوم مقـام أمّتِه وتكون صـلاته مـقام صلواتهم، فكيفَ مولانا سـبحانَه الذي لا يدخل في عددِ التشـبيه وله سنينَ

---

(١٩) هنا تفسير درزي لسورة الفيل ١٠٥.

(٢٠) أي رسالة «السيرة المستقيمة»، رقم ١٢ من هذا الجزء.

بكثـرةٍ ما صلّى بنـاس، ولا صلّى على جنازة، ولا نحـر في العيـد الذي هو مقرون بالصلاة، بقوله : فصلِّ لربِّك وانْحرْ. إنّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَر[٢١]، فصار فرضاً لازماً.

فلمّا تركـه مولانا جلّ ذكـره علمْنا بأنّه قد نقضَ الحـالتَين جميـعاً: الصلاةَ والنَّحر. وأنّه يُهلك عدوّه بغير هذين الخـصلَتين، وأنّ لعبيده رخصةً في تركهـما، إذ كـان إليه المنتهى ومـنه الابتداء في جمـيع الأمور. فـبان لنا نقضُه. وقد بطّل صلاةَ العيـد وصلاةَ يوم الجمعة بالجامع الأزهر، وهو أوّل جامع بُني بالقاهرة. وكذلك أوّلُ ما بطّل هو.

فهذا ظاهر الصلاة ونقـضُها. وأمّا الباطن فقد سـمعتُم في المجالس بأنّ الصلاة هي العهد المألوف. وسمّي صلاة لأنّه صلة بين المستجيبين وبين الإمـام، يعني عليّ ابن أبـي طالب. واسـتدلّـوا بقـوله: إنّ الصـلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر[٢٢]، فمَن اتّصل بعهد عليّ ابن أبي طالب انتهى عن محبّة أبي بكر وعـمر. وقـد رأينا كثـيراً من الناس اتّـصلوا بعهـد عليّ ابن أبي طالب، وكانوا محـبِّين لأبي بكر وعمر، وكانوا يمضون إلى معـاوية، ويتركون عليّ ابن أبي طالب. وقـالوا إنّ العهـد في وقتنا هذا هو الصـلاة، لأنّه صلة بينهم وبين مولانا جلّ ذكـره. والفحشـاء والمنكـر أبو بكر وعمر. وقد اتّصل بعـهد مولانا جلّ ذكره في عصرنا هذا خلْقٌ كثير لا يحصيهم غيرُ الذي أخذ عليهم. ولم يرجـعوا عن مـحبّـة أبي بكر وعـمر، ولا عن خـلاف مولانا جلّ ذكـره وعصيان أوامره.

فقد صحّ عندنا إنّه بخلاف ما سـمعنا في المجالس ورأينا مولانا جلّ ذكـره قد نقض البـاطن الذي سمـعناه لأنّه أباح لسـائرالنواصب[١٣] إظهارَ

---

(٢١) سورة الكوثر ١٠٨/ ٣...

(٢٢) سورة العنكبوت ٢٩/ ٤٥؛ أنظر: ١٦/ ٩٠.

(١٣) النواصب من الـنصب والمناصـبـة اي المعـاداة. وأهل النصب والـنواصب هم أهل

محـبّةِ أبي بكر وعمـر. وقرئ بذلك سجلٌ على رؤوس الأشــهاد: مَن أراد أن يتختَّم في اليمين أو في الشمال فلا اعـتراضَ عليه، فإنّه عند مولانا في الحدّ سوا. وقد سمعتم في المجالس بأنّ اليمين والشمال هما الظاهر والباطن. وقد جعلهما مولانا جلّ ذكره في الحدّ سوا.

فعلمنا بأنّه، علينا سـلامُه ورحمتُـه، قد أسقط الباطن مثلما أسقط الظاهر. فنظرنا إلى ما ينجّـينا من العذابَين جميعاً. ويـخلّصنا من الشريعتَين سريعاً. ويُدخلنا جنّة النعيم[١٤] التي وعَدَنا بها، وهي حجّة القائم التي جُنَّتْ على سائر الحدود.

فعلمنا بأنّ الصلاة، التي هي لازمة في خمسة أوقات فإنْ ترَكَها أحدٌ من سائر الناس كـافّة ثلثً فقـد كفر، هي صلـة قلوبكم بتوحيـد مولانا جلّ ذكره، لا شـريك له، على يد خمـسة حدودٍ: السـابق والتالي والجَـدّ والفتح والخيال. وهم موجودون في وقتنا هذا.

وهذه هي الصلاة الحقيقيّة دون الصلاتَين: الظاهر والباطن.

ومَن مات ولم يعـرف إمامَ زمانه وهو حيّ مات موتةً جـاهليّة وهو معـرفة توحيـد مولانا جلّ ذكره. وقـوله حيّ يعني دائما أبداً في كلّ عـصرٍ وزمان.

والفحشاء والمنكر هما الشريعتان: الظاهر والباطن.

ومَن وحّد مولانا جلّ ذكره ينهاه توحيدُ مولانا جلّ ذكره عن التفاتهِ إلى ورائهِ وانتظاره العـدم المفقود. وقـال مَن ترك الصلاة ثلثً متـعمّداً فـقد

التنزيل. سموا نواصب لانهم ناصبوا عليّا وذريتّه ومن تبعه بالعداوة.

(١٤) جنّة النعيم تعني دين التوحيد.

كفر. يعني توحيد مولانا جل ذكره على يد ثلاثةِ حدود، وهم: ذو مَعَة، وذو مَصَّة والجناح[١٥]، الحاضرون في وقتنا هذا، موجودِين ظاهرِين للموحِّدين لا للمشركِين. وأنا أبيّن لكم أشخاصهم مع أشخاص حدودهم وأشخاص لا أله إلاّ اللّه، وأشخاص الحمد للّه ربّ العالمين في غير هذا الكتاب بتوفيق مولانا جلّ ذكره.

وقد قال مولانا المعزّ، سلام اللّه على ذكره: أنا سابع الأسبوعَين، والواقف على البَيعَتين، ولا أسبوع بعدي. يعني أنّي وقفتُ وحضرتُ على بَيعةِ الناطق والأساس. وسابع أسبوعَين هو الظاهر والباطن، دورَين (كذا) الشريعتَين. ولا أسبوع بعدي يعني لا تقيم الشريعة بعدي لعليّ سبعة أخرى. والأمر مردود إلى صاحبه وهو مولانا الحاكم بذاته المنفرد عن مبدعاته، سبحانه وتعالى عمّا يقولون المشركون علوًا كبيراً.

٣. الزّكاة :

تتلوه **الزّكاة**. وقد أسقطها مولانا جلّ ذكره عنكم بالكلّيّة. وقد سمعتم في مجالس الحكمة الباطنيّة، بأنّ الزّكاة ولاية علي ابن أبي طالب والأئمّة مِن ذرّيته والتبرّي مِن أعدائه: أبي بكر وعمر وعثمان. وقد منع مولانا جل ذكره عن أذيّةِ أحدٍ من النواصب. وقُرئ بذلك سجلٌّ على رؤوس الأشهاد بأنْ لا يلعن أحدٌ أبا بكر وعمر. وقد قُرئ في المجلس بأنّ اليمين والشمال على الناطق والأساس.

---

(١٥) ذو مَعَة، كناية عن حمزة الذي وعى توحيد مولانا، وكان معه؛ وذو مَصَّة هو إسمعيل التميمي، ثاني الحدود، الذي امتصّ العلْمَ من حمزة؛ والجناح جناحان، الجناح الأيمن والجناح الأيسر. والمقصود هنا الجناح الأيسر الذي هو بهاء الدين المقتنى صاحب أكبر قِسم من رسائل الحكمة، وقد حمل على عاتقه الدعوة التوحيديّة بكاملها. فهؤلاء الثلاثة هم، بذلك، أصحاب التوحيد الحقيقيّون.

ثمّ جاء بعد هذا أيضاً في المجلس بأنّ الطريقَين اليمين والشمال مضلَّتان، وأنّ الوسطى هي المنهج والغاية هي الطريق الوسطى تغنيكم عنها. فبانَ لنا بأنّ مولانا جلّ ذكره، بطّل باطنَ الزّكاة الذي في علي ابن أبي طالب، كما بطّل ظاهرَها، وأنّ الزّكاة غير ما أشاروا إليه في المجلس جميعاً. وترك ما كنتم عليه قديماً. وذلك قوله: ولَن تنالوا البِرَّ حتّى تُنفقُوا مَا تُحبّون[١٦]. والبرّ فهو توحيد مولانا جلّ ذكره، ونفقة ما تحبّون الظاهر والباطن. ومعنى نفقة الشيء ترْكه، لأنّ النفقة لا ترجع إلى صاحبها أبداً. وقالوا أهلُ الظاهر الحشويّة[١٧] بأنّ النفقة ما كان من الدنانير والدراهم، وهما جميعاً دليلان على ما قلنا الناطق والأساس. فمَن لم يتركْ عدمَ الناطقِ وازدواجَ الأساسِ لم يبلغ إلى توحيد مولانا جلّ ذكره، الحاكم بذاته المنفرد عن مبدعاته، جلّ ذكره.

٤. الصوم :

الصوم عند أهل الظاهر وكافّة المسلمين يعتقدون بأنّ الناطق قال لهم: صوموا لرؤيته، وافطروا لرؤيته[١٨]. ويرَون في اعتقاداتهم أنّ مَن أفطر يوماً واحدًا من شهر رمضان وهو يعتقد أنّه قد أخطأ وجب عليه صومُ شهرَين وعشرة أيّام كفّارةَ ذلك اليوم[١٩]. وإنِ اعتقد أنّ إفطاره ذلك اليوم حلال له فقد هدم الصومَ بكماله. ومولانا جلّ ذكره هدم الصومَ بكماله مدّةَ سنين بكثرةٍ، بتكذيب هذا الخبر: صُوموا لرؤيته، وافطروا لرؤيته. وأمَرَنا بالإفطار في ذلك اليوم الذي يعتقدون المسلمون كلُّهم بأنّه خاتم الصوم، ولا

---

(١٦) سورة آل عمران ٣/ ٩٢.

(١٧) الحشوية هم أهل التنزيل الذين «حشوا الحق بالباطل».

(١٨) من الاحاديث النبوية الشارحة للقرآن وتعني : صوموا عند رؤية الهلال وافطرروا عند رؤيته أيضا.

(١٩) أنظر سورة المجادلة ٥٨/ ٤ ، سورة النساء ٤/ ٩٤ بتصرّف

يقبل منهم الشهر إلاّ بصيامه. ولا يكون في نقض الصوم أعظم من هذا ولا أبين منه لمن نظر وتفكّر وتدبّر.

وباطنُ الصوم فقد قالوا فيه الشيوخ بأنّ الصوم هو الصمت بقوله لمريم وهي حجّة صاحب زمانه: كُلي واشْرَبي وقرِّي عَيناً[٢٠]. يعني الأكل علم الظاهر والشرب علم الباطن. وقرِّي عيناً لمزيده. فما ترين أحداً من البشر يعني أهل الظاهر فقولي إنّي نذرتُ للرحمَنِ، يعني الإمام، صوماً، أي السكوت، فلن أكلّم اليوم أنسيًا، يعني فلن أخاطب أحداً من أصحاب الشريعة الظاهرة.

وقوله: فمَن شهد منكم الشهرَ فليصمه[٢١]، يعني عليّ ابن أبي طالب والشهر ثلاثون يوماً. كذلك لعليّ ثلاثون حدًا. فمَن عرفَه وعرف حدوده وجب عليه السكوت عند سائر العالمين كافّة إلاّ عند إخوانه الثقات.

وقد كان قرئ في المجالس من أوصاف علي ابن أبي طالب ما لم تقبله قلوب المخالِفين. وكان كثير من المعاهدين المنافقين يخرجون من المجلس ويظهرون سائر ما يسمعونه في المجلس للنواصب والإماميّة والزيديّة والقطعيّة وغيرهم من المخالِفين[٢٢].

فبان لنا نقْض ما كان في المجلس وما وصفوه الشيوخ من باطن الصوم وسكوته. وإنّ مولانا جلّ ذكره فطّر الناس في ظاهر الصوم وفطّرهم في باطنه. وهو بالحقيقة غير الصومَين المعروفَين من الشريعتَين، وهو صيانة قلوبكم بتوحيد مولانا جلّ ذكره.

---

(٢٠) سورة البقرة ٢/ ١٨٥

(٢١) سورة مريم ١٩/ ٢٦

(٢٢) ألنواصب هم أهل التنزيل. الإمامية هم القائلون بالإمامة لعلي وذريّته. الزيدية هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. والقطعية هم الاثنا عشرية الذين قطَعوا بإمامة موسى الكاظم بدل إسمعيل بن جعفر.

ولا يصلُ أحدٌ إلى توحيده إلاّ بتمييز ثلاثين حدًا ومعرفتهم. روحانيًا وجسمانيًا. وهي الكلمة والسابق والتالي والحدّ والفتح والخيال والناطق والأساس والمتمّ والحجّة والدّاعي والأئمة السبعة والحجج الاثنعشر. فصاروا الجميع ثلاثين حدًا. وكذلك مَن عرف هؤلاء الحدود وعرف رموزاتِهم وتلويحاتهم وعرف بأنّهم كلّهم عبيد مستخدَمون لمولانا جلّ ذكره وأنّ مولانا جلّ ذكره مبدعهم ومالكهم منزّه عنهم، داخل فيهم خارج منهم. ما منهم أحد إلاّ وفيه مِن قوله جلّ سلطانه. وهو المنفرد عنهم بذاته سبحانه.

ومن وجهٍ آخر، أحسن منه وأعلاه، بأنّ التوحيد، إذا عقدتَه من حساب الجُمَّل الصغير وجدتَه اثنَين وثلاثين سَوا: **ت**: أربعة. **و**: ستة. **ح**: ثمانية. **ي**: عشرة. **د**: أربعة[٢٣]. وكذلك الإرادة والمشيّة، وهما أعلا الدّرج الخفيّة. والكلمة والسابق والتالي والجدّ والفتح والخيال وسبعة نطقاء وسبعة أسس وسبعة أئمة وثلاثة خلفاء. فكملت أثنين وثلاثين حدًا كاملة. فعند ذلك أظهر المولى جلّ ذكره حجابه الأعظم وهو رابع الخلفاء وهو سَعيد ابن أحمد. فمَن عرف هؤلاء الحدود روحانيًا وجسمانيًا وعرف درجة كلٍّ واحدٍ منهم بانَ له توحيد مولانا القائم الحاكم بذاته. المنفرد عن مبدعاته. جلّ ذكره.

٥. الحجّ :

الحجّ. قال: وللّهِ عَلى النّاسِ حجُّ البيتِ مَنِ استطَاعَ إليهِ سَبيلاً[٢٤]. قالوا أهل الظاهر عن الناطق: إنّ الحجّ هو المجيء إلى مكّة والوقوف بعرفات وإقامة شروطه. ورأيتُ بخلاف قولِه: مَن دَخلَه كَان آمِناً. قالوا: الحَرَم بمكّة

---

(٢٣) يلاحظ : ت : أربعة . ود : أربعة. والحقيقة ان «ت» تساوي أربعمائة...

(٢٤) سورة آل عمران ٣/ ٩٧

والحرم أثنعشر مِيلاً من كلِّ جانب . وقد شاهدنا في هذا الحرَم قتْل الأنفسِ ونهْب الأموال. وداخل الكعبة أيضاً السرقة. وهذا مِن الخلاف والمحال.

وجميع ما يعملون به من شروط الحجّ فهو ضرْب من ضروب الجنون: مِن كشف الرؤوس، وتعريةِ الأبدان، ورمي الجِمار، والتّلبية من غير أن يدعوهم أحد. وهذا من الجنون.

ومولانا جلّ ذكره قد قطع الحجّ سنين كثيرة وقطع عن الكعبة كسوتَها وقطْعُ كسوة الشيء كشْفه وهتْكه ليبيّن للعالم بأنّ المراد في غيرِها وليس فيها منفعة.

وقالوا الشيوخ في الباطن بأنّ الحرَم هي الدعوة وهو أثنعشر ميلاً من كلّ جانب. وكذلك لدعوة أثنعشر حجّة. والبيت دليل على الناطق، والحجر دليل علي الأساس، والطّواف به سبعة هو الإقرار به في سبعة أدوار، والوقوف بعرفات معرفتهم بعلم الناطق، ومِنَى[٢٥] ما كان يتمنّى الرّاغب من الوصول إلى الناطق والأساس وحدودِهما ممّا يطول الشرح فيه، وإشاراتهم إلى الناطق والأساس وحدودهما. وإنّ ابتداء الطواف من عند الحجر الأسود وختمها عنده. كذلك الأساس استقى من الناطق.

وقد رأينا مولانا جلّ ذكره بطّل الحجّ بإظهارِ محبّة أبي بكر وعمر وخمود ذكر علي ابن أبي طالب. وقد سمعنا في المجلس بأنّ الشمال على الناطق واليمين على الأساس. وقد روي في المجالس: لا تستقبلوا القبلةَ، وهو الإمام، بالبَول والغَيط، وهو علْم الظاهر والباطن. فنقَض ما سمعناه في المجالس فعلِمنا بأنّ الحجَّ غيرُ هذا الذي كانوا يعتقدونه ظاهراً وباطناً.

كما قال مولانا المنصور:

---

(٢٥) هي وادي مِنَى، منسك من مناسك الحجّ عند المسلمين.

هلمَّ أُريكَ البيتَ تُوقِنُ أنّـــه هُوَ البيتُ بيتُ اللّهِ لا مـــــا تَوَهّمْنا.
أَبيتٌ من الأحجار أعظمُ حرمةً أمِ المصطَفى الهادي الذي نصَب البيتَا

والبيت هـو توحيد مـولانا جلّ ذكره مـوضـع السكنى والمأوى الذي يُطلبُ المعبود فـيه. كذلك الموحِّدون أولياء مـولانا جلّ ذكره سكنت أرواحُهم فيه. ورَبُّ البيت هو مولانا جلّ ذكره في كلِ عصرٍ وزمان. كما قال: فَلْيَعبُدُوا ربَّ هذا البيتِ، يعني مولانا جلّ ذكره، الذي أطعَمَهم مِن جوع، يعني الظّاهر، وآمنهم من خـوف، يعني خـوفَ الشكوك مـن الوقوف عنـد الأساس كـمـا يزعمون المؤمنون المشركون(٢٦).

كما قال: وما يؤمن أكـثرهم باللّه إلاّ وهـم مشركون(٢٧)، لقولهم بأنّ علي ابن أبي طالب هـو مولانا الحـاكم جلّ ذكـره في عـصـرنا هذا. فنعـوذ بمولانا جلّ ذكره من الشكّ فيه والشرك به والازدواج معه، سبحانه وتعالى عن سائر الحدود.

٦. الجهاد:

الجهاد. وبه قام مـحمّـد وأظهر الإسلام وجـعله فرضـاً على سائر المسلمين كافّة. وقد رفعه مـولانا جلّ ذكره عن سائر الذمّة، إذ كانت الذمّة لا تُطلب إلاّ جَـبراً. والمسلمـون الجاحدون والمؤمنون المـشركون يقـاتلونك في بيتك وهم أذيّة لأهل التّوحيد .

وكلُّ جهاد لا يجاهِد فـيه إمامُ الزمان فهو مـسقوطٌ عن الناس. وما قرئ في المجلس وألّفـوه الشيوخ في كتـبهم بأنّ الجهاد الباطـن هو الجهاد للنواصب الحشويّة الغاوية لهم. وقد مَنع مولانا جلّ ذكره عداوتهم والكلام

---

(٢٦) سورة قرش ١٠٦/ ٤ . يلاحظ ان المؤمنين المشركين هم أهل التأويل.
(٢٧) سورة يوسف ١٢/ ١٠٦

معــهم. فعلمنا بأنّه قـد نقض باطنَ الجهـاد وظاهرَه، وأنّ الجهـاد الحقـيقي هوالطلبة والجهد في توحيد مولانـا جلّ ذكره ومعرفته، ولا يشكّ به أحدٌ من سائر الحدود والتبرّي من العدم المفقود.

٧. الولاية:

الولاية. قال: أطيـعوا اللّهَ وأطيـعوا الرسولَ وأُولِـي الأمْر منكم[٢٨]. قالوا أهلُ الظاهر وسائر المـسلمين كافّة بأنّ الولاية لأبي بكر وعمر وعـثمان وعلي. وكـانت في بني أميّـة، ثمّ إنّهـا رجعت إلى بني العـباس. وكلُّ واحـدٍ منهم، إذا جلس في الخـلافة، كانت ولايتُـه واجبـةً على المسلمين كافّـة. وقد نقـضــهـا مولانـا جلّ ذكره، وكـتبَ لعـنةَ الأوّلين والآخِـرين على كلّ باب، ونبشَهم من قبورهم.

وأمّا باطن الولاية ومعرفـة حقيقيّتهـا التي جاءت في المجلس وكَتبَ الشيوخ بأنّها إظهار محـبّة علي ابن أبي طالب والبراءة مِن أعدائه. واستدلوا بقـوله: اليومَ أكـملَتُ لَكم دينَكم وأتممْتُ عَـليكم نِعمـتِي، يعني علم البـاطن، ورضــيتُ لكُمُ الإسـلامَ دِينـاً، يعني تسليم الأمـر إلى علي ابن أبي طالب[٢٩]. وقد نقضَها مولانا جلّ ذكره بقـراءة سجلٍّ على رؤوس الأشـهاد: لا تَسجدوا للشمس ولا للقمر. وهما الناطق والأساس. واسجدوا للّه الذي خلقَهنّ، يعني الحجّة العـظمى الذي هو المشيّة، إنْ كنتم إيّاه تعبـدون، يعني الإمام الأعظم. والعبادة هي الطاعة[٣٠].

فـبـان لنا بأنّه جلّ ذكـره نقضَ باطنَ الولاية التـي في علي ابن أبي طالب، وظاهرَها. والإمـام هـو عبـد مـولانا جـلّتْ قـدرتُه بقـوله: كلُّ شيءٍ

---

(٢٨) سورة النساء ٤/ ٥٩

(٢٩) سورة المائدة ٥/ ٣

(٣٠) سورة فصّلت ٤١/ ٣٧

أحصَيناه في إمامٍ مبين[٣١]. والذي أحصى الأشياء في الإمام هو مولانا جلّ ذكره.

وأمّا الرّتب الظاهرة والباطنة التي كانت للناطق والأساس فقد جعلها مولانا جلّ ذكره لعبيده ومماليكه، مثل ذي الرئاستَين وذي الكفالتين وذي الجلالتين وذي الفضيلتين وذي الحدَّين. وأمثال هذا كلّه اشارة إلى معرفته وتوحيده جلّ ذكره أراد أن يبيّن للعاقل الفاضل بأنّ جميع المراتب التي كانت للناطق والأساس قد أعطاها لعبيده وأنّه منزّه عن الأسماء والصفات.

وكلّما يقال فيه من الأسماء مثل الإمام، وصاحب الزمان، وأمير المؤمنين، ومولانا، كلّها لعبيده. وهو أعلى وأجلّ ممّا يُقاس أو يُحدّ أو يُوصف. لكن بالمجاز لا بالحقيقة ضرورة لا إثباتاً.

نقول: أميرُ المؤمنين جلّ ذكره، من حيث جرتِ الرسوم والتراتيب على ألسنة الخاصّ والعامّ. ولو قلنا غيرَ هذا لم يعرفوا لَمِنَ المعنى والمُراد. وتعمى قلوبهم عنه وهو سبحانه ليس كمثله شيء وهو العليّ العظيم.

فعليكم معاشر المستجيبين الموحِّدين لمولانا جلّ ذكره بمعرفة مولانا وحدَه لا شريك له، علينا سلامه ورحمته. ثمّ معرفة حدودِه وطلَبُ وجوده له سبحانَه لا للعدم المفقود الذي معرفتُه لا تَنفع، والامتساكُ به لا يشفع. لكن العالم قد استمرّوا على الشِّرك والضلالة، والعجب والجهالة. ينظرون وهم لا يبصرون، ويسمعون ولا يوعون. قاتَلهم المولى سبحانَه ومِن عذابِه لا ينفكّون.

والحمد والشكر لمولانا وحدَه، لا شريك له سبحانَه وسلامُه علينا،

---

(٣١) الصحيح : «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» سورة الشورى ٤٢/ ١١

وتحيّاته لدينا، وبركاتُه علينا، وعلى جميع عباده الصالحين. وهو حسبنا ونعْم الوكيل والحمدُ لمولانا في السرّاء والضرّاء.

ورُفع هذا الكتاب إلى الحضرة اللاّهوتيّة في شهر صفر سنة ثمان وأربعمائة من الهجرة، وهي أوّل سني ظهور عبد مولانا ومملوكه هادي المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف مولانا جلّ ذكره، لا شريك له، ولا معبود سواه. وحسبنا مولانا وحده. قوبل بها وصحّت[٣٠].

(٣٠) هناك اضطراب حقيقي في مَن هو مؤلّف هذا الكتاب. يظهر من المقطع الأخير بأنّه ليس حمزة إذ يؤرِّخ الكاتب بسني حمزة نفسه «عبد مولانا» ، ولكن قد يكون المقطع الأخير مضافاً بواسطة أحد النقلة النسّاخ أو أحد تلاميذ حمزة، لقوله : قوبل بها، أي بالرسالة الأصل، وصحّت، أي صحّحتْ... ثمّ إنّ ذكر بعض الرسائل في متن هذا الكتاب يشير إلى صحّة نسبتها إلى حمزة، وبالتالي إلى صحّة نسبةِ هذا الكتاب.

٧

الرسالة الموسومة ببدء التوحيد لدعوة الحق

قد يكون حمزة أو أحدُ الحدود واضعَ هذه الرسالة. فالأمر مضطرب لكنّ لها علاقة بالكتاب السابق. فهي تكمّله، إذ، بعد نقضِ الدعائم الإسلاميّة السبع، تستبدلها بسبع خصال توحيديّة هامّة. في هذه الرسالة وضوح أمرَين آخَرَين: نسْخ شريعة محمّد بالتمام، والقول بتجلّي الله كعقيدة أساسيّة في الدرزيّة. وفيها أيضاً كلام على كيفيّة انتقام الموحِّدين من علوج الضلال بسيف حمزة قائم القيامة. كتبت هذه الرسالة سنة ٤٠٨ هـ

توكّلتُ على مولانا البار العلاّم. ألعلي الأعلى حاكم الحكّام. مَن لا يدخل في الخواطر والأوهام. جلّ ذكره عن وصف الواصفين وإدراك الأنام. حروف بسم اللّه الرحمن الرّحيم: حدود عبد مولانا الإمام.

كتابي إليكم معاشر الإخوان المستجيبين إلى دعوة مولانا الحاكم الأحَد الفرد الصمد جلّ ذكره عن الصاحبة والولَد. العابدين له لا لغيره. النّاجيين من شبكة إبليس اللّعين، والضدّ المهين، وجواسيسه الملاعين، وأنصاره الغاويين، وحزبه الشياطين. ليس لإبليس عليكم سلطان، ولا لجنوده لديكم مكان، ولا لزخرفه عندكم شان. بل أنتم الملائكة المقرّبين، الذين ملكوا أنفسهم عن أفعال المشركين. وأنتم حملة عرش مولانا جلّ ذكره، والعرش ها هنا علمُه الحقيقي الذي هو صعبٌ مستصعب، لا يحمله إلاّ نبيٌّ

مرسَل أو مَلَكٌ مقرّب أو مؤمنٌ امتحن المولى قلبَه بالإيمان له وحدَه، سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

أمّا بعد، فإنّي أحمد إليكم مولانا الذي لا مولى لنا سواه. وأمركم وأيّاي بالشكر لنعمه وآلاه. حَمْدَ مَن استوجب الزيادة في أولاه وأُخراه. وأوصيكم بما أيّدني به مولانا جلّ ذكره، وأمرني مِن أسقاط ما لا يلزمكم اعتقادُه، وترْك ما لا يضرّكم افتقادُه، من الأدوار الماضية الخامدة، والشرائع الدارسة الجامدة.

وما منهم ناطق إلاّ وقد نسَخ شريعةَ مَن كان قبله من المتقدِّمين. ومحمّد ابن عبد اللّه الناطق السادس لمّا ظهر بالنطق، نسخ الشرائع كلَّها وسدَّ الطرق. وقال: فمن لم يترك ما كان عليه قديماً من دِين آبائه وأجداده قُتل، وسُمّي كافراً. ومَن ترَكَ الشريعة التي بيده، ولم يلتفت إليها وقع عليه اسمُ الإسلام. وكان في سلْمه غيرَ مُلام. وضمن لهم محمّدٌ الجنّةَ على الدّوام. فبان للعاقل الشافي والمُخلص الكافي أنّ الإشارة والمراد هاهنا في عبادة الوجود، لا للعدم المفقود. والإنسان ابنُ يومه وساعته، وفي الوجود راحته، وله عبادته، وبه حياته، وإليه أشارته. ومولانا الحاكم البارّ العلاّم قد نسخ شريعةَ محمّد بالكمال، ظاهراً للمؤمنين ذوي الأفضال، وباطناً للموحّدين أُولي الألباب.

وأمّا مَنْ نورُهُ في قلبه زاهر، وفي معاني أموره للخلق قاهر، وغير منافق بالكفر شاهر، لا يلتفت إلى اشتعال الناموس وعلوِّه وزخرف القول وسموِّه، ويعلم أنّه استدراج للكافرين وتمييز للمؤمنين الموحّدين. كما قال: وليميّزَ اللّه الخبيثَ مِن الطيِّب[1]، وإنْ كان لا يخفى عن مولانا جلّ ذكره

---

(١) سورة الأنفال ٨/ ٣٧.

الخبيثُ من الطيّب، يعني المشرك من الموحّد، لكنّه أراد أن يبيّن للموحّدين من يرجع منهم على عقبيه ومولانا جلّ ذكره عالمٌ بما في الصدور وما هو كائن.

والدليل على ذلك زوالُ الشريعة على الاختصار في شيءٍ واحد، إذ لم تحتمل هذه الرسالة طول الشرح. وقد بيّنت لكم في الكتابِ المعروف بالنقْض الخفي نسْخَ السبع دعائم ظاهرَها وباطنَها، وذلك بقوّة مولانا جلّ ذكره وتأييده، ولا حول ولا قوّة إلاّ به. وكيفَ، وفي رفْع الزّكاةِ وإسقاطِها مقنعٌ للسائلين عن غيرها وهي مقرونة بالصلاة، وقد غزا عبدُ اللاّتِ ابنُ عثمان المكنّى بأبي بكر إلى بني حنيف ومعه جميعُ المهاجرين والأنصار، فقتّل رجالَ بني حَنيف ونهبَ أموالهم وسبَى حريمَهم. وقد اشترى علي ابن أبي طالب، وهو أساس الناطق، من جملة السبيِ، امرأةً تُعرف بالحنفيّة واسمُها تحفة وهي أمّ ولده محمّد. فقيل له يا عليّ كيف تستحلُّ لنفسكَ أنْ تشتري امرأة مسلمة تشهد أنْ لا أله إلاّ اللّه، وتشهد أنّ محمّد رسول اللّه، وتصلّي الخمسَ، وتصوم شهر رمضان؟! فقال عليّ: ما ينفعها ولا لقومها الشهادتَين، ولا سائر أعمال الشريعتَين. إذ لم يؤدّوا الزّكاة وأنّ الزَّكاة هي الشريعة بكمالها. فمَن لم يؤدِّها وجبَ عليه القتلُ وأُحِلَّ لنا مالُه وأهلُه. لقوله: فويل للمشركين الذين لا يؤدّون الزَّكاة فقد أخرجهم اللّه من الإسلام وجعلهم مشركِين.

وأنتم معاشر المؤمنين الموحّدين، قد علمتم وسمعتم السجلَّ الذي أمرَ مولانا جلّ ذكره بقراءته عليكم. وأسقطَ عنكم الزّكاة والأعشار والأخماس وسائر السدقات إلى أبد الآبدين. ولم يُسقط عنكم محافظةَ بعضِكم بعضاً. ولا يكون في نسخ الشريعة حجّةٌ عقليّة واضحة مرئيّة أعظم من هذا. وسوف تسمعون بيان نسخ الدعائم كلِّها والحجج الواضحة عليها إنْ شاء مولانا وبه التوفيق في جميع الأمور سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

واعلموا أنّ مولانا جل ذكره قد أسقط عنكم سبع دعائم تكليفيّة ناموسيّة. وفرضَ عليكم سبعَ خصالٍ توحيدية دينيّة: أوّلها وأعظمها سِدق اللسان. وثانيها حفظ الإخوان. وثالثها ترْك ما كنتم عليه وتعتقدوه من عبادة العدم والبهتان. ورابعها البراءة من الأبالسة والطغيان. وخامسها التوحيد لمولانا جلّ ذكره في كلِّ عصرٍ وزمان ودهرٍ وأوان. وسادسها الرِّضى بفعله كيفما كان. وسابعها التسليمُ لأمره في السرِّ والحَدَثان.

ويعلم كلٌّ واحدٍ منكم بأنّ مولانا جلّ ذكره يراكم من حيث لا ترونه. فالحَذَرَ الحَذَرَ أن تخالفَ قلوبُكم ما تنطق به ألسنتُكم لإخوانكم. فإنّه نفس الشِّرك. وإنّ الشرك لظلمٌ عظيم. ومولانا جلّ ذكره يجازيكم في جميع أموركم. فاعملوا بالخير وأمروا بالمعروف. ومولانا لا يضيع أجر المحسنين.

واعلموا أنّ جميع الأسماء التي في القرآن تقع على السابق والتالي والجَدّ والفتح والخيال والناطق والأساس والإمام والحجّة والداعي. فتلك عشرة كاملة كلّهم كانوا يشيرون إلى علي ابن أبي طالب، وهو علي ابن عبد مناف، وهو أساس الناطق. فأشاروا إليه بالمعنويّة[٢]. وعلي ابن أبي طالب أشار إلى غايته ونهايته المهدي بالله، وهو سَعيد ابن أحمد. والمهدي نطق بلسانه، وأقرّ في عصره وزمانه أنّه عبدٌ مملوك لمولانا القائم العالِم الحاكم علينا سلامُه ورحمته.

---

(٢) علي بن أبي طالب، عند العلويّين النصيريّن، هو الله، هو «المعنى»، أو «المعنويّة»؛ فيما محمّد هو الإسم، وسَلمان الفارسي هو الباب، ويختصر العلويّون ذلك بـ «عَمْس»، وهو الثالوث الإلهي عندهم. وقد عاش العلويّون والدروز متخفّين ضمن الدولة الفاطميّة، متأثّرين بالإسماعيليّة. لهذا جاء الكثير من تعاليمهم متقارباً مشتركاً؛ لا يميّز بينها إلاّ خبير.

وإنّه[٣] كـان آلةً للدعوة الحـقـيقـيّـة ووعاءً لهـا. وكـان فيـه شيءٌ مستودَع[٤]، فأخذه منه المولى الأعظم المتجلّي لخلقِـه كَخَلْقِه مِنْ حَيْثُ خَلْقِه، كيـما يُدركون العالمُ بعضَ قُـدرةِ مُقامِـه. ويسمعون من ناسـوتِ الصورةِ كلامَـهُ. وأمّا لاهوتُ مولانا جلّ ذكره وحـقيقيّـة كنهه، فهـو معلُّ علّةِ العلل، القـديمُ الأزل، لا يُدرَك بوهمٍ ولا يُعـرف بفـهمٍ ولا يَدخل في الخـواطر والأوهام، ولا في النثر والنّظام، سبحانه وتعالى عمّا يصفون[٥].

واعلموا أنّ جميعَ الحدود التي رتّبوها الشيـوخُ المتقدّمون في كتبهم وقالـوا بأنّهم روحانيّـون وجسـمانيّـون، أرادوا بها أهلَ الظاهر والبـاطن، وقالوا علويّة وسفليّة. أرادوا بالعلويّة مَن علا بعلمِه على غيره، والسفليّة مَن لم يبلغ حدّ الكمال في علم الحقيقيّـة. وكلّهم أشخاص معروفون موجودون في عصرنا هذا مـستخدَمـون تحت ملْك مولانا، مقرّون بربوبيّـته، عابدون لقدرته طوعاً وكرهاً. كما قـال: وللّه يَسجد مَن في السموات والأرض طوعاً وكرهاً[٦]. والسموات والأرض هاهنا النطقاء والأسس.

أراد بأنّ جـميع شـيعـتهم يُقـرّون بمولانا جلّ ذكره. فـمنهم طائع مؤمن موافق، ومنهـم كافرٌ مشرك منافق. لمن الملْك والحكـمة اليوم وفي كلِّ يوم؟ فيقال لمولانا الحـاكم جلّ ذكره وعزّ اسمُه ولا معبـود سواه. فمَن قبِلَ مِن هادي العالمَ، وعـبدَ مولانا العلـيَّ الحاكم، كان مِن الفـائزين الذين فازوا

---

(٣) انّه يرجع الضـمير الى المهـدي أول خلفاء الدولة الفـاطميـة والمقام الاول الذي فـيه استودعت حقيقة لاهوت مولانا الحاكم.

(٤) هي لفظة جليلة على أصـحاب المذاهب الباطنيّـة الذين أطلقوها على أئمّة دَور السـتر، فسمّوهم الأئمّة المستورين أو المستودعين.أي الذين استُودِعَ التوحيدُ عندهم.

(٥) أسلوب هذا المقطع في التـجلّي الالهي شـبيـه جداً بأسـلوبِ رسائل بهـاء الدِّين التي تأتي في الثلثين الأخيرَين من رسـائل الحكمة.

(٦) سورة الرعد ١٣/ ١٥

بالتوحيد، وتخلّصوا من التلحيد، الذين لا خوف عليهم من الظاهر، ولا هم يحزنون بشركِ الباطن، وعلِمُوا أسرارَ ما كان في الأدوار وما هو كائن. ومَن تردّى بالكبرياء، وكان له نفسُ الأشقياء، وغلب عليه جهلُ البهيميّة والخناء، وقال إنّا وجدنا آباءَنا على ملّةٍ وإنّا على آثارِهم مقتدُون[٥]، لم يحصل لهم إلاّ العدمُ المفقود، ولم يُقرّوا بالوجود، ولا لهم معرفةٌ بالأحد المعبود، مذبذبين بين الأنام، ليس لهم في السماء إله معبود، ولا في الأرض إمام موجود. عبَدوا الأوثان والأصنام، فاستحقّوا العذاب المُدامَ من المولى البارّ العلاّم، سبحانَه وتعالى عمّا يصفون.

معاشرَ الموحّدين لمولانا جلّ ذكره، قد حان ظهورُ الحقائق، وهتْك الشرْك والبوائق، ونسْخ الشرائع والطرائق. فاستعِدّوا لقتل عُلوجِ الضلال[٦]، وَقَوْدِ الزَّنْجِ في الأغلال، وسبيِ النساء والأطفال، وذبْحِ رجالهم بالكمال، بسيفِ مولانا العليّ المتعال، ذي الإفضال والإجلال، سبحانَه وتعالى عمّا يقولون المشركون والجّهال، كشفاً شافياً على يد عبده قائمِ الزمان، الناطق بالبيان، والهادي إلى حقيقيّة الإيمان، المنتقم من المشركين والطغيان، بسيف مولانا وشدّة سلطانه وحدَه، لا نستعين بغيره، ولا نتكّل على سواه.

والحمد والشكر لمولانا وحدَه، وهو حسبي ونعْم النصير المعين. عملتْ هذه الرسالة في شهر رمضان أوّل سنين قائم الزمان، وهي سنة ثمان وأربعمائة للّهجرة. تمّتْ والحمد لمولانا وحده وهو حسبنا، وبه في كلّ الأمور نستعين.

---

(٥) سورة الزخرف ٤٣ / ٢٣. الاصل «أمّة» وليس «ملّة»

(٦) علج وعلوج وأعلاج: الرجل الضخم من كفار العجم والعرب . تطلق على كل كافر.

٨

مِيثَاقُ النِّسَاءِ

ليست هذه الرسالة ميثاقاً بالمعنى الدرزيّ. بل هي رسالة فيها من النصائح والوصايا والتوجيهات بما يلزم النساء الموحِّدات حفظُها والعملُ بموجبها. وفيها أيضاً كيفيَّة إعطاء الدِّين للمرأة، وتعليمها قراءة الرسائل ببالغ الحشمة والاحتراز والصيانة. كتبتْ هذه الرسالة من دون تاريخ. وقد يكون واضعها حمزة، أو أحد مستشاريه المقرَّبين.

توكّلتُ على مولانا الحاكم سبحانَه عزّ عن حكومة الأوهام سلطانُه، ولا معبود سواه. لمّا نظرتُ معاشرَ الحدودِ الرّوحانيّين بنوره التّمام، ونَصبَني لدعوته مولانا جلّ ذكره ولعبيده إمام، نظرتُ إلى قوله: لولا رجالٌ مُؤمنونَ ونساءٌ مؤمناتٌ لم تَعْلَمُوهُم أنْ تَطَؤوهُم فَتُصيبَكُم منهُم مَعَرَّةٌ بغيرِ علمٍ لِيُدخلَ اللّهُ في رحمتِهِ مَن يشاءُ لو تَزَيَّلُوا لعَذَّبْنَا الّذِين كَفَروا منهم عذاباً أليماً[1].

والنطقاء، فيما تقدّم، هم الرِّجال، والأسس نساؤهم. وفي وجهٍ آخَر: ألأسس هم الرِّجال، والحجج نساؤهم. وفي وجهٍ آخَر: ألحجج هم الرِّجال، والدعاة نساؤهم. وفي وجهٍ آخَر: ألدُّعاة هم الرِّجال، والمأذونون نساؤهم. وفي وجهٍ آخَر: ألمأذونون هم الرِّجال، والمكاسرون نساؤهم. وهم كلُّهم عبيدٌ موجودون في عصرنا هذا مستخدَمون لمولانا جلّ ذكره.

---

(١) سورة الفتح ٤٨/ ٢٥

والوطاءة هاهنا هو المفاتحة بالعلم الحقيقي، لأنّه لولا تعليم الرِّجال الحقيقيّة للنساء الدّينيّة، لما خرج منهم مستجيبٌ، وصاروا في جملة أهل الشرائع الناموسيّة، وأصاب الناطقُ منهم معرّةً بغير علم. فبتعليم الرِّجال الحقيقيّة للنساء الدّينيّة انتقلوا من الجهل إلى العلم، وحصلوا من جملة الملائكة المقرَّبين الذين ملكوا أنفسَهم عن أفعال المشركين وحملة العرش الكروبيين. والعرش هاهنا علمُ التّوحيد لمولانا جلّ ذكره الذي هو صَعْب مستصعَب، لا يحملُه إلاّ نبيٌّ مرسَل أو ملَكٌ مقرَّب.

وهو معنى قولِه للحدود: لَم تَعلمُوهم أنْ تَطؤوهم فتصيبكم منهم معرّةٌ بغير علمٍ. يعني لو لم تفاتحوهم بعلم الحقيقة الذي هو توحيد مولانا جلّ ذكره، لَوقفوا عند شرعِ التأويل، ولم يهتدُوا إلى التّوحيد، ولكان وقوفُهم عند شرعِ التأويل معرّةً على دعاتهم ليُدخلَ اللّهُ في رحمتِه مَن يشاء، يَعني داعي الحقّ في هدايته مَن يشاء. ذلك وعُلِم أنّه من أهله.

وقوله: وَلو تَزَيّلوا لَعَذّبْنا الّذِين كَفَروا منهم عَذاباً أليماً، يعني: الدُّعاة لو رتّبوا أنفسَهم في غير توحيد مولانا جلّ ذكره، أو غيّروا الدّعوة إليه، أو تعدَّوا إلى غير مراتبهم، أو نطقوا بغير ما أُمروا به من المنهيّ عنه، لَعَذّبْنا الذين كَفروا منهم عذاباً أليماً، أي: الذين سَتروا كلمةَ التوحيد بغيرِها. والعذاب الأليم: تجديدُ الظاهر في قلوبهم وإسقاطهم عن منازلهم.

فكما وجب على الرجال الحقيقيّة والنساء الدّينيّة التبرّي من كلّ عيبٍ ودنسٍ، كذلك يجب على الرِّجال المؤمنين والنساء المؤمنات الطاهرات التبرّي من كلّ دنَسٍ ونجسٍ وعيبٍ ورجس. والطاعة لقائم الزمان وحدوده الروحانيّين من الحجج والدُّعاة المطلَقين، والقبول من المأذونين والمكاسرين فيما يُقرِّب إلى توحيد مولانا جلّ ذكره ويوصل إلى رحمتِه وعبادته وأن يتجنّبن قولَ الكافرات بمولانا جلّ ذكره، الجاحداتِ للّه، ويُجنّبن أنفسَهن عن

الشــهوات والشــبــهات وارتكاب الفــواحش والمنكرات، لينتــفــعْنَ بإيمانهنّ، ويَظهر حــسنُ أفعالهنّ على ســائر النساء اللاتي هنّ مشــركات بمولانا جلّ ذكره، ويتــبرّينَ ممّا يُدخل الفــسادَ عليــهنّ في أديانهنّ، ويوقع التهــمةَ بهنّ وبأخوانهنّ. ويــجب على سائر النساء المــؤمنات أن لا يشغلْنَ قلوبهنّ بغــير توحــيد مــولانا جلّ ذكــره والطاعةِ لحــدود دينِه الطاهرين، الــذين نصبــهم للطالبين. ولا يطلبن لنفوسهنّ الشهوات وبلوغَ مناءِ الفاسقين.

وكتبتْ هذه الرسالة لتَقــرونها على سائر النساء المؤمنات إذا كُنّ من الموحِّــدات لمولانا جلّ ذكره، المقــرّات بوحدانــيّتــه، العارفــاتِ بصمــدانيّتــه، الحــافظاتِ لما فُــرض عليهنّ، المحْــصناتِ لفــوجــهنّ إلاّ لبعــولهنّ، الطائعــاتِ العــابداتِ لمولانا ومولاهنّ، الحــاكمِ بذاتِه، المنفردِ عن مــبدعــاته. والذات هو لاهوته، والمبــدعات هم النطقــاء والأسس والأئمّة والحــجج واللّواحق بهم إذ كانوا كلّهم عبيداً مستــخدمين في عصرنا هذا لملْك مولانا جلّ ذكره، لا إله إلاّ هو، وهوالمنفرد عنهم سبحانه.

ولا يَقــرأ الدّاعي والمــأذون المطلَق هذه الرســالة عــلى امــرأةٍ حــتّى يكشف عن اعتــقادِها ودينِهــا، وبعد أن يكتبَ الميثــاقَ عليهــا. ولا يقرأها على امرأةٍ وحدَها، ولا في بــيتٍ ليس فيه غيرُها، لــئلاّ يقعان في الخلوة بالتــهمة عند الوَحدة، ولو كــانا مؤمنين ثقات. فليرفع الدّاعي والمأذون من الــشكّ فيه والظنّ السوء به، ويحــسم امتدادَ الألسن إليه. ولا يقرأهــا على امرأةٍ وحدَها حتّى تجتــمع نساءٌ كثيرةٌ، وأقلّهنّ ثلاث، وتكون النســاء مِن وراء حجابٍ، أو منقّباتٍ غيــرَ مسفِرات. وليحضرْ مع الامرأة بعلُهــا إنْ كان موحِّداً، أو أبوها، أو ابنُها، أو أخوها، أو مَن تحقّ له الولايةُ عليها إنْ كان موحِّداً.

وليكن نظرُ الدّاعي والمأذون عند القراءة إلى الكــتاب الذي يقرأه. ولا يكن نظره إليهــنّ. ولا يلتفت نحوهنّ. ولا يتــسمّع عليهــنّ. ولا تتكلّم الامرأة

عند القراءة عليها. ولا تضحك من الفرح. ولا تبكي من الهيبة والجزع، إذ كان ضحكها وبكاؤها وكلامها ممّا يُحرّك الشهوات بالرّجال. ولتُصْغِينّ الامرأة إلى القراءة بأذنها. وتدبّره بقلبها. وتميّز معانيه بعقلها، ليتبيّن حقيقيّة ما تسمعه لها. فإنِ انعجمَ بعضُه عليها تسأل الدّاعي عنه، فإنْ كان عنده علم منه أجابها. وإلاّ وعدها إلى أنْ يسألَ مَن هو أعلى منه، فإنْ وجد برهاناً أفادها، وإلاّ سألَ قائمَ الزمان، إنْ كان له وصولٌ إليه، وإنْ لمْ يصلْ إليه يسأل خليفتَه الذي نصبَه ليقوم للعالم مقامه. فإذا عرف الجواب أفادها إنْ رآها أهلاً لذلك.

ويجب على سائر الموحِّدات أن يعلمْنَ أنّ أول المفترضات عليهنّ معرفةُ مولانا جلّ ذكره، وتنزيهُه عن جميع المخلوقات. ثمّ معرفةُ قائمِ الزمان وتميـيزُه عن سائر الحدود الروحانيّين. ثمّ معرفةُ الحدود الروحانيّين بأسمائهم ومراتبهم وألقابهم، الذي قائمُ الزمان أوّلهم، وهو الذي نصبَهم، وهم له مطيعون، ومنه سامعون، وعمّا نهى عنه منتهون. فإذا علمْنَ ذلك وجب أن يعلمْنَ أنّ مولانا جلّ ذكره قد أسقط عنهنّ السَّبعَ دعائم التكليفيّة الناموسيّة، وفرض عليهنّ سبع خصالٍ توحيديّة دينيّة: أوّلها وأعظمها سدق اللسان. وثانيها حفظ الإخوان. وترْك ما كنتم عليه وتعتقدوه من عبادة العدم والبهتان. ثمّ البراءة من الأبالسة والطغيان. ثمّ التوحيد لمولانا جلّ ذكره في كلِّ عصر وزمان ودهر وأوان. ثمّ الرِّضى بفعله كيفَما كان. ثمّ التسليم لأمره في السرّ والحَدَثان[٢].

ويجب على سائر الموحِّدين والموحّدات حفظُ هذه السبع خصال، والعملُ بها، وسترُها عمّن لم يكن من أهلها، بعد المعرفةِ بما قدّمتُ ذكرَه، واجتنابِ الشك فيه. فإذا فعلنَ ذلك بما فُرض عليهنّ واحتفظْنَ منه، وتجنّبن

---

(٢) وردت هذه الخصال السبع في الموسومة ببدء التوحيد لدعوة الحق، رقم ٧.

ارتكابَ مـا نُهِينَ عنه، وشكرْنَ مـولانا ومولاهنّ على مـا أنعم به عليـهنّ من بلوغ توحيدِه ومعرفة حدوده الروحانيّين والطاعة لهم أجمعين، والبراءة من الأبالســة الغـويين، ولحـقْن بالصــالحين وكـان لهنّ ثوابُ الملائكة المقـرّبين والأنبياء المرسلِين، وتخلّصْن من شبكة إبليس اللّعين.

والحمـد لمولانا حمد الشاكـرين. وهو حسبي ونعم النصــير المعين.

تمّت.

٩

رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد

إلى كافّة الموحدين المتبرّئين من التلحيد

مقدمة الرسالة وخاتمتها ليستا من وضع حمزة. كتبت سنة ٤١٠ هـ في الرسالة كلام عميق المعنى على التجلّي الألهي وضرورته. وكلام على الكذب والسدق. فيها يتبرّأ الحاكم من نسبته البشرية، من الآب والإبن. وفيها يُظهر تجلّيه الإلهيّ بصورةٍ بشريّة ليعرف الناس سرّ لاهوته. وفيها أخيراً كلام على العجل الذي هو الضدّ أي الدرزي الذي استعجل في إعلان الدعوة وكشفِها قبل أوانها.

تأليف عبد مولانا جلّ ذكره هادي المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف مولانا جلّ ذكره. رفع نسختها إلى الحضرة اللاّهوتيّة بيده في شهر المحرّم، ألثاني من سنينه المباركة. نُسختْ عن خطّ قائم الزمان بغير تحريفٍ ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان[١].

توكّلت على مولانا عالّ كلِ العلل ومبدع القديم والأزل وناسخ الشرائع والملل سبحانه وتعالى عن مقالات السفل. قد سمعتم معاشر الموحّدين لمولانا سبحانه العابدين له وحده دون غيره، الطالبين رحمته

(١) واضح أنّ هذه المقدمة ليست من حمزة، فيما بقية الرسالة من وضعه.

سبحانه، ما تلوتُ عليكم من نسخ الشرائع وانفراد مولانا جلّ ذكره وتنزيهه عن البدائع، إذ كان جميع الموصوفات والمخلوقات والمصنوعات مزدوجات حتماً لزماً، لا بدّ لبعضهم من بعض، وجميع الصفات وسائر اللّغات والأسماء المستحسنات، واقعة بالأشخاص الجسمانيّين والجرمانيّين والروحانيّين والنفسانيّين والنورانيّين.

وأجلّ إسم عندهم في القرآن، باجتماع أهل الشرائع والأديان، إسمان هما: اللّه والرّحمن. وهما دليلان على داعِ التنزيل وداعِ التأويل. وهما اليوم صامتان دليل على نسْخ الشريعتَين وتبطيل الطائفتَين[٢]، وإظهار الحقيقيّة ومحض الإمامة مرئيّة للمسلك الثالث الذي أشارتْ إليه جميعُ النطقاء والأسس والأوصياء والأئمّة واللّواحق بهم، وهو توحيد مولانا جلّ ذكره، وهو غاية لا تُدرك. بل كل واحد منكم يوحّده من حيث مبلغ عقله. وما تنبسط فيه استطاعتُه، وتتّسع فيه همّتُه وخاطره.

والآن فقد بلغ الباطلُ نهايتَه وآنَ خمودِه، وتبطيلَ دعائمه، وكسْرَ عمودِه. ويكون التوحيد ظاهراً أبداً على جميع الأديان، وعبادةُ مولانا جلّ ذكره في السرّ والإعلان.

فالحذر الحذر معاشرَ المؤمنين من الشكِّ في مولانا جلّ ذكره، أو جحودِ حدودِه، أو الكفرِ به، أو معاداتِ أعلامه الدينيّة وبنودِه، أو الشِّركِ به غيرَه، سبحانَه لا شريك له ولا معبود سواه.

واعلموا أنّ الشرك خفيُّ المدخل، دقيقُ السترِ والمسبل. وليس منكم أحدٌ إلاّ وهو يُشرك ولا يَدري، ويكفر وهو يَسري، ويجحد وهوَ يزدري. وذلك قول القائل منكم بأنّ مولانا سبحانَه صاحبُ الزمان، أو إمامُ الزمان،

---

(٢) هما أهل السنة وأهل الشيعة، وشريعة الظاهر وشريعة الباطن.

أو قـائمُ الزمـان، أو وليٌّ اللّه، أو خليـفةُ اللّه، أو مـا شـاكل ذلك من قـولكم: ألحاكم بأمـرِ اللّه، أو سلام اللّه عليـه، أو صلوات اللّه عليه، أو رفْعَ رقـعةٍ[٣] بغيرِ أنْ يعرف معنـاها بالحقيقيّة إلى الحضرة اللاّهوتيّـة، أو طلبةَ مالٍ بغيرِ اضطرارٍ إليه، أو زيـادةً في رزق وهو في كفايةٍ عنه، أو تعـريضً للكلام، أو تعـريفَ خبـرٍ لم يُجـعَلْ له ذلك. فـهو الشّـرك به، واتّبـاع العادة، ومـا في الصدور من غلّ متماد.

وقد سمعـتم معاشر المؤمنين ما افترضــه عليكم مولانا جلّ ذكره في رسالة الميـثاق[٤]، وهي سبع خـصال: أوّلهـا وأعظمهـا سدق اللّسـان. فلا تكونوا من الكـاذبين، ولا تكونوا ممّن قـالوا سـمـعنا وأطعنا، وشـربوا في قلوبهم العجلَ بكفرهم. والعجلُ هو ضـدّ وليّ الزّمان الذي هو القائم بجميع الحدود وهو عـبد مولانـا جلّ ذكره. وسمـيّ الضـدّ عجلاً لأنّه نـاقص العقل عجولٌ في أمره، له خـوار. وهو يتشبّه بقائم الزمان بلا حقـيقيّة ولا برهان. فإيّاكم أن تظنوا بأنّ الضـدّية لمولانا سبحانَه لأنّه بلا شَـبَه ولا ندّ ولا نظير. والضدّ لا يكون إلاّ للشكل والمثل. ومولانا سبـحانَه مُعِلُّ علّةِ العِلل، جلّ ذكره وعزّ اسـمه ولا معـبود سـواه. ليس له شبه في الجـسمـانيّين، ولا ضدّ في الجرمانيّين، ولا كفؤ في الروحانيّين، ولا نظـير في النفسانيّين، ولا مقام في النورانيّين، ولا ناطق التكليفِ يبني له، ولا أساس عنيف يعضده وينتمي له.

لكنّه سـبحـانه أظهر لكم بعضَ قـدرته، وأسبغ عليكـم نعمـتَه بغـير اسـتحـقاق تسـتحـقّونه عنده، ولا واجب لكم عليـه، بل أنعم عليكم بلطفِـه، وقـرّبكم منه برحمـتـه، وباشركم في الصـورة البـشريّة، والمشـافهـة لكم بالوعيّـة، لعلّكم تدركون بعضَ ناسـوته الإنسيّـة، على قدر حسـب طاقتكم

(٣) الرقعة هي كتاب، أو رسالة، يرفع إلى الحضرة اللاّهوتيّة.

(٤) هي رسالة «ميثاق النساء»، رقم ٨.

بمعرفة المقام، وتنظرون إليه بنوره التمام. فما أدركتموه، ولا عرفتموه. ومَن لم تدركوا ناسوتَه الذي أظهره لكم مِن حيثُ أنتم، ولم تقِفُوا على كنه فعالِه البشريّة، فكيف تدركون لاهوتَه الكليّة، أو تحوطون بقدرته، أو توحّدونه بحقيقيّة أحدانيّته! سبحانه وتعالى عن أقاويل المشركين، وتحديد الملحدين علوًا كبيراً.

وقد سمعتم في الأخبار الظاهرة عن جعفرابن محمّد[٥] بأنّه قال: ألإيمان قول باللسان وتسديق بالجنان والعمل بالأركان. وأنتم قد سمعتم، معاشرَالموحدِين، بأنّ الإسلام باب الإيمان والإيمان باب التوحيد، لأنّ التوحيد هو النهاية الذي لا شيء أعلى منه. فإذا كان الإسلام والإيمان اللّذان هما كثيفان، لا يكمل أحدُهما إلاّ بالشروط والأعمال الصالحة. فكيف توحيد مولانا جلّ ذكره الذي هو النهاية والعقبة التي في جوازها فكّ الرقبة[٦]، أي يتخلّصون بتوحيد مولانا جلّ ذكره من حشو الشريعتَين اللّذين هما الظاهر والباطن.

فمن كان يزعم بأنّه مؤمن موحِّد، ولا يعمل بما فيه رضى مولانا سبحانَه، ولا يكون سادقاً في جميع أقواله، محسناً في جميع أفعاله، راضياً بقضاء مولانا سبحانَه، مسلّماً جميع أموره إليه، متّكلاً في السرّاء والضرّاء عليه. كان مدّعياً في أقواله، عاصياً في جميع أفعاله. وإنّما تسمّى بالتوحيد، واستعمل الشركَ والتلحيد، واتّخذَ الدين لهواً ولعباً، ومال إلى الراحة والإباحة، وخسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

ولو علمتم ما أُلزمتم به مِن سدقِ اللسان وحفظ الاخوان والتوحيد لمولانا جلّ ذكره والتسليم لأمره، لبان لكم الحقُّ من الباطل، والايمانُ من

---

(٥) هو الإمام جعفر الصادق بن محمّد الباقر.

(٦) سورة البلد ٩٠/١٣

الجحود، والكفرُ من التوحيد. والإيمانُ في لغة العرب هو التسديق باللسان. والقلبُ واللسان معبّرَان ما في الضمائر. فمَن لم يكن سادقاً بلسانه فهو بالقلب أكذب يقيناً وأكثر نفاقاً. واعلموا أنّ السدقَ هو الايمان والتوحيد بكماله؛ والكذب هو الشرك والكفر والضلالة. فمَن كذب على أخيه المؤمن فقد كذب على داعيه. ومَن كذب على داعيه فقد كذب على إمامه. ومَن كذب على إمامه فقد كذب على مولانا سبحانه. ومَن كذب على مولانا سبحانه فقد جحد نعمتَه واستوجبَ سخطَه.

والكذب أن يقول أحدُكم في أخيه ما ليس فيه، أو يحرّف عليه قولَه، أو يحلّل له شيئاً ممّا حرّفه عليه إمامه، أو يقول في مولانا ما لا يجوز أن يُقال في عبده. فقد جحد الفضل والإيمان، وتظاهر بالردّة والطغيان. وحاشا مولانا جلّ ذكره من الأقاويل الشركيّة واعتقادات الأباطيل الكفريّة. سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

وعبدُه، بقوّة مولانا جلّ ذكره، ينطق. وبتأييده يفتق. وبسلطانه يرتق. فمن خالف عبدَه قائمَ الزمان، أو كذب عليه، فقد خالف أمرَ مولانا سبحانه، وأشرك به غيره، وإنْ كان يعتقد بأنّ مولانا سبحانه يعلم ذلك وينزّهه عن كلِّ شيء. وإنْ كذب على إمامه، أو خالف حدًّا من حدود التّوحيد، ويقول بأنّ مولانا جلّ ذكره لا يعلم ذلك، فقد خرج من جملة الموحِّدين، وصار من الكافرين بنعمته، الجاحدين لسلطانه وعظمته. ويكون مِن المنكِرين لأنّ مولانا سبحانه يعلم خائنةَ الأعين وما تخفي الصدور[٧]. وما من نجوى ثلاثة إلاّ وهو رابعهم، ولا خمسة إلاّ وهو سادسهم، ولا أدنى ولا أكثر إلاّ وهو معهم. سبحانه وتعالى عن إدراك العالمين والعاليين والملائكة المقرّبين والناس أجمعين علوّاً كبيراً[٨].

---

(٧) سورة غافر ١٩/٤٠

(٨) سورة المجادلة ٧/٥٨ ...

فالحذر الحذر أن يقول واحدٌ منكم بأنّ مولانا جلّ ذكره ابنُ العزيز، أو أبو علي[٩]، لأنّ مولانا سبحانه هو هو في كلّ عصرٍ وزمان، يَظهر في صورة بشريّة وصفةٍ مرئية كيف يشاء حيث يشاء. وإنما تنظرون العلّة التي فيكم بتغيير أحوالكم تنظرون صورةً أخرى. وهو سبحانه لا تغيّره الدهور ولا الأعوام والشهور. وإنّما يتغيّر عليكم بما فيه صلاحُ شأنِكم، وهو تغيير الاسم والصفة لا غير. وأفعاله جلّ ذكره تظهر من القوّة إلى الفعل كما يشاء كلّ يوم هو في شان. أيّ كلّ عصر في صورة أخرى لا يشغله شان عن شان. والنور يزداد والزمان يصفو من الكدر بقدرة مولانا سبحانه، مبدع الأبداع، وخالق الأنواع، ومظهر السابق والتالي المطاع، منزّه عن الصفات والمبدعات، لا تحوط به الجهّات، ولا تقدر على وصفه اللّغات. سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

وأمّا مَن قال واعتقد بأنّ مولانا جلّ ذكره سلَّمَ قدرتَه، ونقَلَ عظمتَه إلى الأمير عليّ[١٠]، وأشار إليه بالمعنويّة، فقد أشرك بمولانا سبحانه غيرَه، وسبَقه بالقول وضادده في ملكه، وعارضه في حكمه، وَكيفَ يتّسع لقائلٍ يقول إنَّه يُؤَمِّلُ نُقْلَةَ أزَلِ الأزَل، ومعلِّ علّةِ العِلل، الحاكم على جميع النطقاء والأسس من صورة إلى صورة غيرها، أو يثبّت نفسَه في قميصٍ إلى أنْ يرى نقلةَ الحيِّ الذي لا يموت. سبّوح سبّوح، مبدع الملائكة والرّوح. فمَن كان منكم يعتقد هذا القول فليرجع عنه، ويستقيل منه، ويستغفر المولى جلّ ذكره، ويقدِّس اسمَه من ذلك. فإنّه غفّار لمن تاب إليه ووحّده. سبحانَ مولانا

(٩) العزيز بالله هو أبو الحاكم الذي كان خليفةً من قبله؛ وعلي الظاهر، الذي خلفه هو ابنه. وينكر الدروز أن يكون للحاكم أيُّ نسبةٍ بشريّة.

(١٠) هو علي الظاهر إبنه الذي خلفه في الخلافة الفاطميّة؛ وكان قد حرمَه منها. وكان في نيّة حمزة أن يكون هو خليفتَه. ولكنّ ستّ الملك أخت الحاكم استعجلتْ فقتلتْه بسبب ذلك.

جلّ ذكره عن إحاطة الأشياء به، وعزّ سلطانه عن حكومة الألسن والأوهام عليه. لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. ولا ينتظر أحدٌ منكم غداً، ولا يلتفت إلى أمس، إذ كان أمسُ مضى بما فيه، وغداً لا تعلم أنّك توافيه، واليومَ أنتَ فيه بما يقتضيه.

واليوم دليلٌ على توحيد مولانا جلّ ذكره الحاضر الموجود النافع الضارّ(١١). لا يجوز لأحدٍ يشرك بعبادته ابناً ولا أباً، ولا يشير إلى حجابٍ يحتجب مولانا جلّ ذكره فيه، إلاّ بعد أنْ يُظهرَ مولانا جلّ ذكره أمرَه، ويَجعلَ في مَن يشاء حكمته. فحينئذٍ لا مردّ لقضاه، ولا عاصياً لحكمه في أرضِه وسماه. سبحانه وتعالى عمّا يقولون المشركون والملحدون علوّا كبيراً.

واعلموا بأنّ كلَّ مَن تعوّد لسانُه الكذبَ فقد أشرك بمولانا سبحانه، لأنّ الكذب دليل على شخص إبليس اللّعين. وذلك أنّ الكذب ثلاثة أحرف: **ك**: عشرون. **ذ**: أربعة. **ب**: إثنتان. الجميع = ستة وعشرون حرفاً. إبليس وزوجته(١٢)، وأربعة وعشرون أولادهما، يقوموا مقامهما. فمَن والاهما فقد عبدَهما، ومن عبَدَ الضدَّ كان الولي بريئاً منه.

والسدق دليل على توحيد مولانا جلّ ذكره. والسدق يتشبّه بالكذب في عدد الأحرف لكنهما يختلفان في الصورة والمعنى. وكذلك الضدّ يتشبّه بالوليّ فيما يدّعيه ويتظاهر به؛ لكنّهما يفترقان ويُعرَفان في حقيقيّتِهما بالإيقان. والسدق ثلاثة أحرف، كما تقدم ذكرها: **س**: ستون. **د**: أربعة. **ق**: مائة. ألجميع = مائة وأربعة وستّون حرفاً.

منها تسعة وتسعون على حدِّ الإمامة، كما قال النّاطق: إنّ للّهِ تسعةً

---

(١١) الضارّ هنا بمعنى الضرورى المفيد.

(١٢) هما حرف الـ «ب» في كلمة «**كذب**»، تمثّل إبليس وزوجته، أي محمّد ووصيّه عليّ.

وتسعينَ اسْـماً. مَنْ أحْصَاها دخَلَ الجَنّة. أيّ لإمــامِ التّوحيد تسعــة وتسعين داعياً. مَن عــرفهم دخل حقيقيَّــةَ دعوةِ الإمام المستجنّة بأهلِهــا؛ أعني محيطة بهم. وستــون حرفــاً دليل على ستين داعــياً للجناحَين. وأربعــة أحرف دليل على أربعــة حــدود علويّة، وهم : ذو مَــعَــة، وذو مَصّــة، والكلمــة، والبــاب. فصاروا مائة وثلاثة وستين حدّاً دينيّة.

يبقى منهــا واحد وهو دليل على توحــيد مولانــا جلّ ذكره، ومعــرفة ناسوت المقام، والنّور الشــعشعاني التــمام، ومعبود جـميع الأنام، الصورة المرئيّة، الظاهر لخلقِه بالبشريّة، المعروف عند العالم بالحاكم.

وما أدراكَ ما حـقيقيّة الحاكم! ولِمَ تســمَّى بالحاكم في هذه الصورة دون سائر الصــور! وعبدٌ من عبــيده يحكم على جمــيع الحكّام، وهو قاضي القضاة أحمد ابن العوّام[١٣]. فيُجيب على الموحِّدين المستبصرين الكشفَ عن هذا الاسم، وحقــيقيّةَ الحاكم، وقــولَه الحاكم بأمر اللّه. وقد قــال في القرآن: واللّه يدعــو إلى دار السلام[١٤]. وأجلُّ داعٍ في الظّاهر ختكين[١٥]، وهو عــبد ضعــيف. وأجلّ داعٍ في الحقــيقــة الإمامُ، وهو مملوكُ مــولانا جلّ ذكره[١٦]. فَأيْش[١٧] أرادَ بقوله:الحاكم بأمــر اللّه؟ وما حقيقيّتــه؟ وإنّما القرآن يقع على

---

(١٣) أحمــد ابن العوام كــان يشغل مــركز قــاضي القضاة في الــدولة الفاطميــة في أيّام الحاكم. عزله الحاكم، وقضى عليه بالموت. وهو، في الدرزية، يعني الظاهر.

(١٤) سورة يونس ١٠/ ٢٥.

(١٥) لمّا قرب أوان الكشــف، أقام الحاكم خــتكين يدعو إلى التــوحيد، وليــس يعرف ذلك. ولكنّه لمقتضى الزمــان وصحّة الإشارة إليه بقــوله: والله يدعو إلى دار السلام. ألله ظاهره ختكين، وحــقيــقته الإمــام. ختكين هو في الظاهر اسم داعي الفــاطميين (عن الدرر المضيّة).

(١٦) وهو حمزة نفسه صاحب الرسالة.

(١٧) أيش : تعني أيّ شيء. وهو أصلها.

سبعة معانٍ وكلٌّ اسمٍ منها يقع على أشخاص محمودين وعلى أشخاص مذمومين، وحقيقيّة الاسم ومعناه: المولى جلّ ذكره.

فاللّه الذي هو الاسم هو الدّاعي الذي قال: واللّه يدعو إلى دار السلام. والسلام هو الإمام. ودارُه توحيدُ مولانا جلّ ذكره. واللّه الذي هو المسمّى هو الإمام الأعظم. وذكرُه في القرآن كثير. واللّه الذي هو المعنَى مبدع الإسم والمسمّى، لاهوت مولانا جلّ ذكره الذي لا يُدرَك. يحيط بالأربع طبائع الدينيّة، منزّهٌ عنها. فأراد اللّه هاهنا اللاّهوت الكليّ الذي هو محجوب عنّا. ومولانا جلّ ذكره غير غائب عن ناسوته. فعلُه فعلُ ذلك المحجوب عنّا. ونطقُه ذلك النطق. لا يغيب اللاّهوتُ عن النّاسوت إلاّ أنّكم لا تستطيعون النظر إليه. ولا لكم قدرة بإحاطة حقيقيّته.

وأراد بالحاكم أي يحكم على جميع النطقاء والأسس والأئمّة والحجج. ويستعبدهم تحت حكمِه وسلطانه وهم عبيدُ دولتِه، ومماليكُ دعوتِه. ألحاكم بذاته. والذّات هو حقيقيّة لاهوتِه، سبحانَه الذي هو يحكم به، لا مِنْ قِبَلَ مَن يأمره وينهاه. ومثله في الصورة لا في الحقيقة، لأنّ حقيقيّته لا تدرَك بوهم، ولا يُحيط بعلمه فهم.

لكن نضربُ لكم مثلاً على مقدار طاقتنا وتمكّنِ استطاعتنا، ليقفوا المستجيبون على بعض قدرة مولانا جلّ ذكره. فمثلُه كمثلِ شخصٍ ناطقٍ جسماني، وله روحٌ لطيفٌ متعلّقٌ بذلك الجسد الكثيف، وله عقلٌ يدبّر الأشياء بذلك العقل، وهو يعلم أين منتهى عقلِه. والنّاس لا يعلمون بعقلِه ولا بموضعِه ولا حقيقيّتَه. لا يُدركون من عقلِه إلاّ بمقدار ما يُظهره من عقله. والعقل هو الرّوح اللّطيف، لكن إظهارُه من الجسد الكثيف. ولا يقدر أحد يقول إنّ العقل يَظهر بلا جسم لأنّ الروح لا تُدرك إلاّ بالجسم.

كذلك مـولانا جلّ ذكره، بظَاهرِ ناسـوتِه عَرَّفَنا بِلاَهوتِـه. وَمِن حيثُ نحنُ وَمِنْ صُوَرِنَا خَـاطَبَنا وَإلاَّ فمَا عَرَفْناه، ولا أَدرَكْنَاه. فأَظْـهَرَ لنا صورَتَه المرئيّةَ ومُقامَه البـشريّة. وسلطانُ لاهوتِه لا يُدرَكُ بالعين، وَلا يُعرَف بالكيف والأين. عالِمٌ بسِـرِّكُم مِنْ قبْل أنْ يخـتلجَ في قلوبِكم. سبـحانه وتعالى عـمّا يصفون.

فعليكم معـاشرَ الموحدين بسدقِ اللّسـان، وحفظِ الإخوان، والرضى والتسليم لمولانا جلّ ذكره في كلِّ عصرٍ وزمان، وترْك الاعتراض فيما يفعله مـولانا جلّ ذكره. ولو طَلـبَ مِن أحدكم أنْ يقـتلَ ولدَه لَوَجَبَ عليـه ذلك بلا إكراهِ قلب، لأنّ مَن فـعل شيئـاً وهو غيرُ راضٍ به لم يُـثَبْ عليه. ومَن رضي بأفعـالِه وسلّم الأمر إليه ولم يـراءي إمامَ زمانه كـان من الموحِّدين الذين لا خوفَ عليهم من الظاهر ولا هم يَحزنون بشركِ الباطن.

فالحـذر الحذر من الأقاويل الشركـيّة والأفعـال الكفريّة. ولا تركنوا إلى بيت خـراب، ولا تجلِسوا تحت ركنٍ مـعاب[18]، وترْك الشراب الموجود، وطلب العلقم والـسراب المفـقـود. فـتَهلـكوا عن بكرةِ أبيكم بالجـوع المدام، والعطشِ التـمام، وهو انقطاعُكـم من علم الحقـيقـة، ورجوعُكم إلى تجـديد الظاهر بالنّامـوس. فنعـوذ بمولانا من ذلك. سـبّوح قـدّوس مبـدعُ الإبداع، وجامع الأشتات والأضياع الذي هو على السموات عالٍ وفي الأرض متعال.

وعن قـريب يظهر مـولانا جلّ ذكره، سـيـفُه بيـدي، ويُهلك المارقين، ويشـهر المرتدّين، ويجعلهم فضيحـةً وشـهرةً لعيون العالمين. والذي يبقى من فضلة السيفِ تُؤخَـذ منهم الجزية وهم صاغرون، ويلبسـوا الغيار[19] وهم

---

(١٨) يقصد بالبيت والركن الشريعتين.

(١٩) الغيار ثياب خاصة بأصحابها.

كـارهون، ويكونوا في الغـيـار والجـاليـة[٢٠] على ثلاثة أصناف: فـغـيـار النّواصب عـلاقتـان[٢١] من الرّصـاص في أُذُنَي كلّ واحـدٍ منهم، وزنُهـمـا عشـرون درهماً؛ وطرفُ كمِّـه الأيسر مصبـوغٌ فاختـيًا، وجاليـتُه ديناراَنِ ونصف. وهم يهود أمّة محمّد.

ويكون غيار أهلِ الـتأويل الواقفين عند العدم علاقـتَين من الحديد في أُذُنَي كلّ واحدٍ منهم، وزنهـما ثلاثون درهماً؛ وطرف كـمِّه الأيمن مصـبوغٌ بالسواد، وجاليته ثلاثة دنانير ونصف. وهم المشركون نصارى أمّة محمّد.

ويكون غيار المرتدِّين من توحيد مولانا جلّ ذكره علاقتين من الزجاج الأسود، في أُذُنَي كلّ واحدٍ منهم، وزنُهما أربعون درهماً، ويكون على رأسه طرطور من جلدِ ثعلب، وصـدرُ ثوبِه مـصبـوغٌ رصاصيٌّ أغـبر، وجـاليتُـه خمسة دنانير في كلّ سنة. وهم المنافقون مجوس أمّة محمد.

وتؤخـذ هذه الجالية من الشـيوخ والشـباب والـنساء والصـبيـان والأطفال في المهد وَتُعَيَّرُ عليهم العلائق في كلّ سنة. فمن خالف منهم ضُرِبَ عُنُقُهُ. وتُجـبى هذه الجاليـة بمصر في جامع عَـمرو ابنِ العاص عـند القبلة؛ وتُجـبى بدمشـق في جامع مـعـاوية؛ وببغـداد في جـامع المدينة. وهو في الجانـب الغربي. ويؤخـذ العبّـاسُ أَخْذَ عزيزٍ مـقتـدر. فيُطاف به في سـائر البلدان إلى أن يبلغ إلى مدينةٍ يُقال لها بَلْخ من بلاد خـراسان، فيسخط عليه مولانـا جلّ ذكره. وتَبْلغُ الكلمـةُ نهايتَـها، والكتـابُ أجلَه، فيُـذبَح في طسْتِ ذهبٍ.

وهو يوم الواقعـة والندامة. وترتفع الشرائع بالكليّـة. ويظهر المذهبُ

(٢٠) الجالية تعني الجزية.

(٢١) ما يتعلق بالرَّجل من خصومه.

الأزليّة. ويُعبد مولانا جلّ ذكره بسائر اللّغات، ويعرفونه بسائر الأسماء والصفات. ويُنادى في جميع أقطار الأرض وأطراف البلاد: لمن الملْك اليوم وفي كلِّ يوم؟ فيُقال لمولانا الحاكم القهّار، العزيز الجبّار. سبحانَه وتعالى عمّا يَصفون. وتُجازى كلُّ نفس بما كسبت وهم لا يظلمون. والحمدُ لمولانا وحدَه لا شريك له وحسبنا المولى ونعم النصير المعين.

كتبت نسختُها في شهر المحرّم، الثاني من سنين عبد مولانا جلّ ذكره حمزة ابن علي ابن أحمد هادي المستجيبين المنتقم من المشركين بسيفِ مولانا جلّ ذكره وشدّة سلطانه وحده.

تمّت رسالة البلاغ والنهاية بحمد مولانا ومنّه.

١٠

ألغاية والنصيحة

ألّفها حمـزة بن علي وكتبَها، على ما يبـدو من الخاتمة، أحدُ النسّاخ. وذلك سنة ٤١٠ هـ. في هذه الرسالة آيات قرآنيّة عديدة. فسـرها حمزة تفسيراً باطنيًا درزيًا يتخطّى مفاهيم الإنسانَ العـادي. يتحدّى حمزة الإسلام الذي لمْ يستطعْ أنْ يسـيطر على العالم طيلةً أربعـةِ قرونٍ ونيِّف. وفي هذا دليل على أنّ الدِّين الحقيقي في سواه. في هذه الرسالة قصة الخلاف بين حمزة والدَّرَزي وأصحابه. وفـيها يُخبر حمـزة عن إماميّته وتجلّيـه عبر الدهور والأعصار.

توكّلتُ على أميـر المؤمنين، جلّ ذكره وبه أستعين في جـميع الأمور. من عبـد أمير المؤمنين، جلّ ذكـر مولانا ومملوكـه حمزة ابن علي ابن أحـمد هادي المسـتجيـبين، المنتقم من المـشركين، بسيـف أمير المؤمنـين جلّ ذكره، وشدّة سلطانه وحـدَه، لا نستعين بغـيره، ولا نعبـد سواه، لا في الأوّلين ولا في الآخِرين. وتنزّه عن جميع النطقـاء والأسس والأئمّة الهاديين. إلى جميع من استجاب لدعوة مـولانا جلّ ذكره ولعبادته وادَّعا منزلةَ الإيمان، ثمّ ارتدّ وشكّ في أفـعال صـاحب الزمان، وأرغـبتْـه كثـرةُ مالِ الأضـداد والولدان، والدورِ والنسـوان، الغافلين عـمّا شُـرِطَ عليهم من البَـيان، الجـاهلين بوقتِ الاستتار والامتحان[1].

---

(١) يُلمح حـمـزة إلى الدرزي وأتبـاعـه الذين آمـنوا ثم ارتدّوا لغـرورهم بالمال والجـاه والرئاسة.

أبِعتم الدِّينَ بالتِّينِ[٢]، أم كانت صدورُكم صِفـرًا من الحقائق واليقِين، أم رجعتم إلى الجاهليّة الأوّلين، أم غرّكم إمـهالُ مولانا جَلّ ذكره للمشركين الجاحـدين، أم حسـبتم أنّ نورَه قـد انطفى إلى أبد الآبدين، ونارَ الأعـداء قد اشتـعل واستـعلى على العالمين؟ كـلاً. بل أنتم أشَرُّ مكاناً، ومـولانا أعلمُ بما تَصفون، وبما في ضمائركم تعتقـدون. فإنْ كان قد أعجبكم بياضُ الزَّبَد[٣]، وعلوُّه على وجـه الماء الزلال، فسـوف تذهب قـوّةُ الزّبَد، ويتلاشَـا بياضُـه، ويذهب سلطانُه وجفاؤه. ويبقى الماءُ العذْبُ الزلال المحيي لمن شَرِبَه.

وإنْ كـان قد فـزعتم وهالَكم أمـرُ الأضـداد وعلوُّ شأنِهم بما فـعلوه بالمؤمنين، وحسـبتم بأنّ مولانا جلّ ذكره وعـزّ اسمه عجـزَ عنهم ولم يقدرْ عليهم، فقد كفـرتم بنعمته سبحانَه، وجحـدتم لاهوتَه وعظيمَ شأنه، أشرَكْتم فرعونَ وهامـان، وعجل وشيطان. فنعوذ بمولانا جلّ ذكـره من ذلك ونبرؤ إليه من كلّ معتقدهم[٤] .

وقد كـان يجب عليكم أنْ تنظروا ما جـاء في القرآن وتدبّروا مـعاني حقائقه، حـيث قال لمحمد[٥]: «قلْ مَن ربُّ السموات والأرض؟». والربُّ هاهنا حجّة لاهوت مولانا جلّ ذكره، والسموات هم النطقاء، والأرض هي الأسس. ثمّ عطف في الخطاب وقال: «قلِ اللّه»، يعني لاهوتَ مولانا بالحقيقة، الذي لا يُحدّ ولا يـوصف. «قلْ أفَاتَّخَـذْتُمْ مِنْ دونِه أولياءَ؟»، يعني آلهـة، «لا يَمْلِكون لأنفسِهم نَفعاً ولا ضـرًا»، يعني لا ظاهراً ولا باطناً. «قلْ هلْ يَستوي الأعمى

---

(٢)التين يمثّل الشريعة التأويلية

(٣) الزبد يمثّل الشريعة التنزيلية

(٤) إشارة إلى تأخّر الحاكم لحسم الموقف بين حمزة وأخصامه الملقّبين هنا بفرعون وهامان وعجل وشيطان....

(٥) سورة الرعد ١٣/ ١٦-١٨.

والبصير؟»، يعني المشرك بمولانا والموحِّد له، إذ المشرك أعمى عن معبوده، والموحِّد قد أبصره بحسب طاقته، «أَمْ هَلْ تستوي الظُّلُماتُ والنّورُ؟»، والظلمات هم أئمّة الضلالة، والنّور هو إمام الهداية، والأنوار هم حدود مولانا جلّ ذكره، («أمْ جَعَلُوا للّهِ شُرَكاءَ)(٦) خَلَقُوا خَلْقًا(٧) كَخَلْقِهِ»، يعني نَصبوا حدوداً كحدودِ مولانا جلّ ذكره سبحانه، «فَتَشابَه الخَلْقُ عليهم»، يعني دعاة الشِّرك مِن دعاة التوحيد. «قلِ اللّهُ»، يعني مولانا جلّ ذكره، «خالِقُ كلِّ شيءٍ وهُوَ الواحِدُ القَهّارُ»، يعني لا شريك له، ويهلك الغالبين بسلطانه، ويقهرهم بعظيم شانه. «أنزَلَ مِنَ السَّمَاء ماءً»، يعني العلم من الإمام، «فسَالَتْ أودِيَةٌ بِقَدَرِهَا»، يعني الحجج من قِبَلِهِ وهم الأودية التي قدّرها إمام الزمان ليجري فيهم العلم إلى المستجيبين، «فَاحْتَمَلَ السَّيلُ زَبَداً رَابِياً»، يعني زبد الظاهر الذي شارك علمَ الحقائق الذي هو سيل الحجّة. وقال: «وَممَّا يُوقِدُونَ عَلَيهِ في النّارِ»، يعني عوام أهل الظاهر الذين بهم تشتعل الشريعة التي هي النار المحرِقة للأجساد(٨).

ألا ترى أنّهم، لعنهم المولى وخزاهم، أتَوا بالنار إلى بابِ المسجد وأحرقوه، أراد بذلك حجّةَ مولانا جلّ ذكره الذي هو بابُ العالم وإظهار الشريعة عليهم. لكنهم لما أحرَقوا باب المسجد الذي من الخشب وجَدوا داخلَه باباً من الحجار، لا يعملُ فيه النّار ولا نَقْبٌ في الجدار. فخاب ظنّهم، وخسروا سعيَهم. فالبَابُ الذي أحرَقوه بالنّار دليل على ظاهر الإيمان، ودرجتُه الأوَّلة وهو داعي الإحرام. فلمّا غلبوه بقوّة الشريعة التي هي النّار المحرِقة بانَ لهم بابُ الحجرِ القويّ وهو إمام الزمان. وهي خوخة ضيِّقة لا

---

(٦) ينقص هذا الجزء من الآية من نصّ الحكمة.

(٧) هذه اللفظة زائدة عمّا هي في القران

(٨) علامة المزدوجين «...» لا توجد في نصّ الرسائل؛ وإنّما وُضعتْ لتمييز الآيات القرآنيّة عن سائر النصّ.

يستطيع أحدٌ يدخلها إلاّ إنْ كان مِن أصحابها أو اربابها آمِنًا من سُكّانها. كذلك توحيد مولانا جلّ ذكره وعبادته دليل على باب الخوخة باب ضيّق. لا يقرُّ بالعبوديّة والتوحيد إلاّ مَن تفضّل المولى عليه بذلك.

وقال: «وَممَّا يُوقِدُونَ عَلَيهِ في النّارِ» ما تقدّم ذكره، «ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ»، يعني زينة الظاهر، «أو مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ. كَذَلكَ يَضرِبُ اللّهُ الحَقَّ»، وهو الإمام، «وَالبَاطِلَ»، وهو الضدّ. «فأمّا الزَّبَدُ فَيَذهَبُ جُفَاءً»، يعني به الظاهر، «وأمّا ما يَنفَعُ الناسَ»، وهو التوحيد، «فَيَمْكُثُ فِي الأرْضِ»، يعني يبقى عند الحجّة ومَن يتبعُه من الموحِّدين.

«كذلكَ يَضرِبُ اللّهُ الأمثالَ»، يعني ينصب الدّعاة، لأنّ الداعي يمثِّل الإمامَ في حال الضرورة لا حقيقةً. فبهذا السبب قيل لهم «الأمثال» يعني الأشياء، «للَّذِين استَجَابُوا لربِّهم»، يعني إمامهم، «الحُسْنَى»، وهي العبادة. «وَالَّذِينَ لَمْ يَستَجيبُوا لَهُ لَو انَّ لَهُم مَا فِي الأرْضِ جميعاً»، يعني لو يعلموا علم الأساس، «وَمِثْلَهُ مَعَه»، يعني علم الناطق، «لافْتَدَوا بِه»، يعني الافتداء من عبادة مولانا جلّ ذكره. «أولئكَ لهُم سُوءُ الحِسَابِ وَمَأْوَاهُم جَهَنّمُ»، يعني إمام الضلالة، «وَبِئْسَ المِهَادُ»، يعني الرضاعة وأمثال الذين يعتقدون فيه من الكفر والشرك.

فاللّه اللّه معاشرَ المستجيبين، «لاتكونوا كالذين تفرّقُوا واختلفوا من بعدِ ما جاءتهم البيِّنات»[٩]، يعني دعاة مولانا جلّ ذكره، «أولئك لهم عذابٌ عظيم»، يعني رجوعهم إلى ضلالة الظاهر وزخرفته.

معاشر المستجيبين! إعلَموا أنّكم عن قريبٍ لمسؤولون، وعلى إمامكم لَتُعرَضون، وعن شروط التوحيد مطالَبون. فـ «أمّا مَن كَانَ مِن المقرَّبين»[١٠]،

---

(٩) سورة عمران ٣/ ١٠٥.

(١٠) سورة الواقعة ٥٦/ ٨٨-٩٦.

يعني الموحِّدين، «فَـرَوحٌ وَرَيحَان»، يعني الإمام وثانيه، لأنّ الإمـامَ هو حياة المؤمنين وروحُهم، وداعيـه ريحانُ المؤمنين الذين منه شمّوا العلمَ الحـقيقي، «وَجَنَّةُ نَعِيمٍ»، يعني دعوة التوحيد اذ كان توحيد مولانا جلّ ذكره هو النعيم السرمد. «وَأمّا مَن كَان مِن المكذِّبِين» بالتـوحيد، «الضَّالِّين» عن حقائق الدين، «فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيم»، يعني دعوة الظاهر، «وتَصْلِيَةُ جَـحِيمٍ»، يعني انجحام قلبه بالكفر والـشرك. «إنّ هَذا لَهُوَ حَقُّ اليَـقِين. فَسَـبِّحْ باسْمِ ربِّكَ العظيم»، يعني الإمام الأعظم، ذو مَعَة.

معاشرَ المستجيبين! إني أدعـوكم إلى التوبة والاستغفار، عمّا شككتم في دينكم عند المحنة والاستـتار. فإنْ تبـتم عن ذلك وصبرتم على الامتـحان فهو خـير للصابرين. «وما أريد منكم مِن رزق وما أريد أنْ تطعـمون مولانا هو الرزّاق ذو الفضل العظيم»[١١]. «يا قوم لا أسـألكم عليه أجراً. إنّ أجري إلاّ على الّذي فطرني»[١٢]، وهومـولانا جلّ ذكـره وعـزّ اسـمـه وجلّ سلطانه، الحاكمُ الأحد الفـرد الصمد، الذي لم يتّخذ في حـقيقيّة لاهوتِه صـاحبةً ولا ولد، الذي فـطَر كلَّ شيءٍ وأبدعــه. وهـو على كلِّ شيءٍ قـــدير. «يا قـــومُ استغفرُوا ربَّكم. ثمّ تُوبوا إليهِ، يُرسل السماءَ عَليكم مدراراً»، يعني يظهر لكم علم الإمام عـلى الأدوار بلا خفيـة ولا استـتار. «وَيَزِدْكم قوّةً إلَـى قوَّتِكم»، يعني علمـاً إلى علمكم، «ولا تَتَوَلَّوا مُـجرِمين»، يعني لا ترجـعوا مـشركين. فمَن شكّ فيه فقد أشرك به، ومن أشرك به فليس له توبةٌ أبدًا.

والذي يجب على كلّ مستجيبٍ لدعـوة التوحيد أنْ يكون قولُه بالعمل ممزوجـاً، وقلبُـه بالرِّضا والتـسليم مـدروجـاً، وبيتُـه بالعـدل والتـوحيـد منسوجـاً. ومَن دخل إلى التوحيـد مَيْلاً إلى الراحـة والإباحة، وكان مـذهبُه

(١١) سورة الذاريات ٥١/٥٧ بتصرّف.

(١٢) سورة هود ١١/٥١-٥٢.

قولاً باللسان بلا تسديقٍ بالجنان، كذّبتْــه شواهدُ الامتحان. ومَن ينقلب على عقبَــيه فلن يضرَّ مــولانا شيئاً وســيجزي الشاكــرين ويجازي كلَّ نفسٍ بما كــسبتْ وهم لا يُظلمــون[١٣]. مَــثَلَ الفريقَين كــالأعمى والأصمّ، والبــصيــر والسميع. هل يستويان مــثلاً! أفَلا تتذكّرون؟[١٤]. ولا يظنّ أحدٌ ممّن ارتدّ مِن دِين مولانا جلّ ذكــره بأنّ رجوعَه عن الدِّين ينجّــيه من الظاهر، ولا هروبه يخلّصه من أولاد العواهر، «وإنْ يَمَسّكُم اللّهُ بضُرٍّ فلا كاشِفَ لهُ إلاّ هُوَ. وإنْ يُريدُ بكمْ خَيــرًا فلا رادَّ لفَضلِه يُصــيبُ به مَن يشاءُ مِن عبادِه. وهوَ الغــفورُ الرَّحيم»[١٥].

واعلموا أنّه لا يخلو أمرُ المستجيب المرتدِّ مِن دِين مولانا جلّ ذكره بما رأى مِن فعل الأتراك بالمؤمنين وإمهــال مولانا جلّ ذكره لهم مِن إحدى ثلاث خصال مذمومة: إمّا أن يكون دينُه اضطراراً واستجباراً لا ديانة، واختباراً لا حقــيقةً، فــهو من جــملة المنافقين في الدّرك الأســفل من النار. فقــد تبرّأ من الأساس والناطق، ولم تحصل له معرفة الفاتق الراتق[١٦]، ولا تالٍ ولا سابق.

والثاني يكون رجلٌ اعــتقد مــذهبَ مولانا جلّ ذكره ودينَه طمــعاً في مالٍ يكسبــه أو جاهٍ يعتزّ به ويطلبــه، فعناه طمعه عند مــولانا جلّ ذكره على شفَا جــرْفٍ من الجروف الهاوية، لا هو في الظاهر مــستقيم، ولا بالحــقائق عليم. بِحَقٍّ لم تَحصل له بغيتُه من الدنيا الفانية، ولا من الآخرة الباقية.

والثالث مَن اعتقد عبــادتَه وتوحيدَه ما دام هو في السرّاء، وطلبِ العزِّ والنعماء. فلمّــا ابتلاه بالسترة، وامــتحنه بالأعداء والكثرة، وقَــدَرَ عليه رزقَه

---

(١٣) أنظر جملة سور: ٢/ ٢٨١، ٣/ ٢٥، ١٤/ ٥١ و١٦١، ٤٠/ ١٧...

(١٤) سورة هود ١١/ ٢٤.

(١٥) أنظر سورتَي يونس ١٠/ ١٠٧ بتصرّف، والأنعام ٦/ ١٧.

(١٦) هو اللّه الذي فصل السماءَ عن الأرض، ثمّ بسطهما.

يعني علمَ الحقيقة قال ربي أهانني. فكفرَ بما اعتقده وجحد نعمةَ مَن أبدعه، وجحد ما عاهده عليه إمامه وواسطته.

وذلك من سدقِ اللّسان وحفظِ الاخوان والرضا بفعل مولانا كيفما كان، والتسليم لامر مولانا جلّ ذكره في السر والحَدَثان، وتَخَلَّفَ عن واسطته وإمامه خوفاً على روحه، وشفقةً على شخصه وفقوده. فكان من جملة الذين آمنوا ثمّ كفروا ثمّ ازدادوا كفراً، وكأنّهم لم يُقرّوا بالإسلام، ولم يعتقدوا التوحيدَ، لأنّه قال في القرآن المبين[١٧]: «يا أيُّها الّذين آمنوا اتَّقُوا اللّهَ»، يعني لاهوتَ مولانا جلّ ذكره، «وكُونُوا مَع السَّادِقين»، الجنان وأفعال الخيرات. فقال: «ومَا كَان لأهْلِ المدينة»، يعني المستجيبين لدعوة الحقيقة، «وَمَن حولَها»، يعني أهْلَ التأويل الواقفين عند الأساس، «أنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَسولِ اللّه»، والرّسول هاهنا هو الإمام الأعظم، واللّه هاهنا لاهوتُ مولانا جلّ ذكره الذي جمع المرسَلين.

والدليل على ذلك أنّ الرسول الحقيقي هو الإمام لقوله في القرآن «هُوَ»، يعني مولانا جلّ ذكره، «الذي أرسل رسولَه بالهدَى ودينِ الحقِّ». ودين الحقِّ هو دين المستجيبين الذي يهدي العالم إلى دين الحقّ، وهو دين مولانا جلّ ذكره وعبادته «ليظهرَه علَى الدِّين كلِّه ولو كره المشركون»[١٨]، يعني مَن اتّخذ مع مولانا إلها غيره.

وأنتم تعلمون أنَّ لمحمد أربعمائة سنة وعشر سنين ولم يُظهرْ دينَه على الأديان كلِّها. وإليهودُ والنصارى اكثر من المسلمين. والهند والسِند والزَّنْج والحَبَشة أكثر منهم. والنّوبَة والزُغَاوَة وأشكالُهم من السودان أكثر من المسلمين. والأتراك والسَقَالِبة أكثر منهم. فلو كان الرّسول محمّد له

---

(١٧) سورة التوبة ٩/ ١١٩–١٢٠.

(١٨) سورة التوبة ٩/ ٣٣.

أديان هؤلاء الطوائف كلِّها لكان يجب أنْ يكون المسلمون أكثرَ العالمين وأغلبَهم في الأوّلين والآخِرين. فلمّا لم يصحَّ للمسلمين ذلك علمْنا بأنّ الرسولَ الحقيقي هو عبدُ مولانا جلّ ذكره وهادٍ إليه وإمامٌ عن أمره لعبيده.

وأديان المشركين هم اثنان وسبعون فرقة المسلمانيّة الذين أشركوا في عبادة مولانا جلّ ذكره. ومولانا جلّ ذكره يُظهر عبدَه عليهم، وينتقم منهم ومن جميع المشركين، بسيفِ أمير المؤمنين، إنْ شاء مولانا، وبه التوفيق في جميع الأمور. وصلواتُ مولانا جلّ ذكره وسلامُه على عبده المرسَل إليكم، وصفيِّه المُفْضل عليكم وعلى جميع مَنِ اتّبعه من المؤمنين والمؤمنات.

ثمّ قال: «ولا يَرغَبوا بأنْفسِهِم عَن نفسِه، ذلكَ بأنَّهم لا يُصيبُهم ظمأٌ»[١٩]، يعني وقوف العلم عنهم واشتياقهم إليه. «ولا نَصَبٌ»، يعني شدّة في الدِّين، ولا محنةٌ[٢٠] في سبيل اللّه»، يعني خوفاً من الأعداء وسترة إمامهم عنهم الذي هو السبيل إلى معرفة مولانا جلّ ذكره، والطريق إلى توحيده والمحجّة إلى عبادته. «ولا يَطَأون مَوطِئًا يَغِيظُ الكافِرَ»، يعنى بمولانا جلّ ذكره. «ولا يَنالُونَ مِن عدوِّهم نَيلاً إلاّ كُتِبَ لهم بهِ عمَلٌ صالِحٌ»، يعني زيادة في يقينهم الذي هو الفعل الصالح. «إنّ اللّهَ لا يُضِيعُ أجرَ المحسِنين»، يعني لا يضيع عملَ الموحِّدين له وينصرهم على أعدائم أجمعين.

وكلُّ مَن على وجه الأرض من عبدة الأصنام والأزلام والأوثان والشمس والقمر وآلهة النيران أحسنُ اعتقادًا وأَرْجَا عاقبةً ممّن عبَدَ مولانا جلّ ذكره طمعاً ورياءً. فلمّا أصابتْه شدَّةٌ ارتدّ عن دينه ورجع إلى القهقرى لأنّ كلَّ حزْب من هؤلاء الجاهلية جعلوا لهم قبلةً يَسجدون إليها ويتخذونها

(١٩) سورة التوبة ٩/ ١٢٠.

(٢٠) في الأصل القرآني «ولا مخمصة».

معبوداً، ويزعمون بأنّها تَقَرُّبٌ وَزُلْفَى إلى الإله المُغَيَّبِ عنهم. فأصابوا في الإشارة حيث قالوا لا بدّ لنا من معبودٍ موجودٍ يكون واسطتَنا إلى الإله المُغَيَّبِ والحجاب بيننا وبينه. واخطأوا في المعنى إذ كان لا يجوز في العقل أن يكونَ حجابُ المعبود والمقامِ الموجود يكون لا يَدري ولا يفهم؛ لأنّ الحجاب هو المحجوب والمحجوب هو الحجاب، ذلك هو وهو ذلك، لا فرق بينهما. لكنِ المخالفون ليس لهم استطاعة على إدراك كليَّته سبحانَه، إذ كان ليس يشاكلهم فيدركونه. بل كلٌّ واحد منهم ينظر بنظره إليه من حيث ضعفه وعجزه ومبلغ عقله. فصار لهؤلاً الجاهليّة على كلِّ حال معبودٌ موجودٌ، وإلهٌ معدوم مغيَّبٌ، يشيرون إليه، ويخافون عذابَه، ويَرجون رحمتَه وثوابه.

والذين ارتدّوا من دين مولانا جلّ ذكره وشكّوا فيه وكرهوا أفعاله، فهم المرتدّون، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. ليس مع المسلمين ولا النصارى ولا إليهود، ولا مع الموحِّدين العابدين الموجود. خسروا الظاهر والباطن، ولم يبلغوا إلى علم ما هو كائن. ليس لهم في السماء إله ولا في الأرض لهم إمام. ذلك هو الخسران المبين.

وقال[٢١]: «وَلَولاَ كلمَة سبقَتْ مِن ربِّكَ لقَضي بينهم فيما هُم فيه يَختلفون»، يعني الإمام وكلمته. وانما تبيّن الموحِّدُ من المشرك، والمؤمن من الكافر عند الشدة والشقاء، لا في العزّ والرَّخاء. وجميع العالم يقولون بألسنتهم أنّهم المؤمنون، ويخادعون الموحِّدين، ويراوغونهم مراوغةَ الثعلب، ويحلفون باللّه ما قالوا. ولقد قالوا كلمةَ الكفرِ وهمُّوا بما لم ينالوا. «وَلَقَد كَفَروا بعْدَ إسلامِهم»[٢٢]، يعني تسليمهم، ويعني اهتمامهم بما يرَوه من

(٢١) سورة يونس ١٠/ ١٩.
(٢٢) سورة التوبة ٩/ ٧٤.

هلاك الموحِّدين. ومولانا جلّ ذكره لم يبلّغهم مأمولَهم، ويخذل المشركين وينصر الموحِّدين.

وقد قال لمحمد[٢٣]: «وَلو شاء ربُّكَ»، يعني ربّ العالمين لاهوت مولانا سبحانه، «لآمَنَ مَن فِي الأرْضِ كلّهم جميعاً»، يعني الإقرار بعبادة مولانا جلّ ذكره وتوحيده ويؤمن به كلّ من يعتقد الأساس. ثمّ قال: «أفَأنتَ تُكرِهُ الناسَ حتَّى يكونوا مُؤمِنين. وما كانَ لنفسٍ أن تؤمِنَ إلاّ بإِذْن اللّه»، يعني على يدِ الداعي. «ويجعل الرِّجسَ على الذين لا يعقلون»، والرجس هو الضدّ الروحاني. ومَن لم يكن له معرفة بالعقل الكليّ الذي هو ذو مَعَة كان من أصحاب الرجسِ الضدِّ الروحاني اللّطيف.

وقد كان لكم عبرة وتدبُّر بخبرَين مأثورَين عن صاحب الشريعة محمّد. حين قال: " مازج حبّي دماءَ أمّتي ولحومَهم. فهم يؤثِروني على الآباء والأمّهات" . وقال إبليسُ نظيرَ ذلك حيثُ قال: "إبليس لطيف روحاني يدخل سلطانُه مجاريَ الدمِ حتى يبلغ صدورَهم" . فإذا كان صاحبُ الشريعة لطيفاً يمازج حبُّه دماءَ الناس ولحومَهم، وإبليسُ لطيفاً روحانيًا يمازج بقوّةِ الحبِّ دماءَ العالم ويوسوسُ في صدورهم، فأينَ الفرقُ بين الوليِّ وبين الضدِّ، وكلاهما في القوّة واحد! فلو ميّزتم معاني الكلام وتدبرتموها لبَانَ لكم نطقُ الرسولِ مِن نطقِ إبليس، وفعلُ الإمام مِن فعلِ غطريس[٢٤]، ولَعَرفتُمُ السبتَ والخميس، وتبرّيتُم مِن فرعون وهامان الرّجيس، ولتصوّرَ لكم ارتفاعُ مكانِ إدريس، وعبدتم مولانا جلّ ذكره باري الحنِّ والجِنِّ والبِنِّ والأنيس.

---

(٢٣)سورة يونس ١٠/ ٩٩-١٠٠.

(٢٤) الغطريس هو المتكبّر المتبختر والمتعسّف. وهو لقب الدّرزي وفعله؛ وإدريس هو إسمعيل التميمي، كما سينرى ذلك في الرّسالة التي نحن في صددها.

والرسول هاهنا هو الإمام المفترض الطاعة، هو دون الإمام الأعظم. وإبليس هو المتشبِّه بالمولى سبحانه، ويزعم بأنّه جنس ويدَّعي عهدَ المسلمين. والإمام الأعظم ذو مَعَة. وسمِّي ذو مَعَة لأنّه وعا توحيدَ مولانا جلّ ذكره بلا واسطة.

وغطريس هو نشتكين الدَّرَزي الذي تغطرسَ على الكشف بلا علمٍ ولا يقين. وهو الضدُّ الذي سمعتُم بأنّه يَظهر مِن تحَتِ ثوبِ الإمام، ويدّعي منزلتَه، ويكونُ له خَوارٌ، جولةٌ بلا دولة. ثمّ تنطفي نارُه. وكذلك الدرَزي كان من جملة المستجيبين حتى تغطرسَ وتجبّر وخرجَ من تحت الثوب. والثوب هو الداعي والسترة التي أمره بها إمامه حمزة ابن علي ابن أحمد الهادي إلى توحيدِ مولانا جلّ ذكره سبحانه وتعالى، وادّعى منزلتَه حسداً له وإعجاباً بروحه وقال قولَ ابليس.

وكذلك الدّرزي سمَّى روحَه في الأوّل سيفَ الإيمان، فلمّا أنكرتُ عليه ذلك وبينّتُ له أنّ هذا الاسمَ محالٌ وكذبٌ، لأنّ الإيمان لا يحتاج إلى سيفٍ يُعينه، بل المؤمنون محتاجون إلى قوّةِ السيف وإعزازه. فلم يرجع عن ذلك الاسم. وزاد في عصيانه. وأظهر فعلَ الضدِّية في شأنه، وتسمّى باسم الشِّرك. وقال: أنا سيّدُ الهاديين، يعني أنا خيرٌ مِن إمامي الهادي. وغرّه مَا كان يَضربُه مِن زغل الدنانير والدراهم[٢٥]. وحسب أنّ أمرَ التوحيد مثْلَه يحتملُ التدليسَ. وأبا أنْ يسجدَ لمن نَصبَه المولى جلّ ذكره وقلّده واختاره، وجعلهِ خليفتَه في دينِه، وأمينَه على سرِّه، وهادياً إلى توحيدِه وعبادته. فتغطرس على الدِّين، وأظهر سيفَ الناطق والأساس أجمعين، طلباً للرئاسة والاسمِ اللّطيف بإظهار الشريعة في عالم البسيط والكثيف.

---

(٢٥) كان الدرزي قيِّماً على بيت المال عند الحاكم وكان يضرب السكّة.

وفرعون البرذعي[٢٦] وهامان علي ابن الحبّال[٢٧]، لأنّ فرعون كان داعي وقته، فلما أبطأ الناطقُ قال: أنا ربُّكُمُ الأعلَى»، يعني إمامكم الأعظم[٢٨]. وهامان الذي فتح له باب المعصية. وإدريس[٢٩] هو الذي رُفع مكاناً عليًا، وهو ارتفاع درجته في العلوم حتّى صار إماماً، دون الإمام الأعظم، الذي مصَّ العلمَ من ذي مَعَة، وهو قائم الزمان هادي المستجيبين، عبد مولانا جلّ ذكره، وصفيُّه بلا واسطة جسماني. فإذا عرفتم هذا عبدتم مولانا جلّ ذكره باري الحِنّ وهم الدّعاة، والجِنّ وهم المأذونون، والبِنّ وهم المكاسِرون، والإنس وهم المستجيبون هاهنا في هذا المعنى. والسبتُ دليلٌ على السابق وهو علي ابن عبد الله اللّواتي[٣٠]. ألدّاعي والخميس دليلٌ على التالي، وهو مبارك ابن علي الدّاعي[٣١].

وأهل التأويل يزعمون بأنّ الكلمة هو السابق، والسابق هو الكلمة، لا فرق بينهما. ولا يعرفون فوقَهما شيئاً إذ كانت الثلاثةُ حدودٌ الذين هم: ذو مَعَة وذو مَصّة والجَناح غائبِين عن عيونِ قلوبهم، يَنظرون إليهم وهم لا يبصرون.

معاشرَ المستجيبين لمولانا جلّ ذكره، قد بلّغتُ لكم الهداية ودعوتُكم

---

(٢٦) أبو منصور البرذعي الذي دُعي إلى التوحيد فأبَى الدخولَ على يد حمزة، لكنّه عاد فدخل على يد الدَّرزي قائلاً له: إنْ كنت أنتَ الإمام فأنا أستجيب على يدك. وهكذا ادّعى الدرزي مرتبة الإمام وفتح للبرذعي أبواب البلايا.

(٢٧) كان مأذوناً للإمام في الثامنة، متظاهراً بالديانة. اعترف بإمامة الدرزي.

(٢٨) فرعون ادّعى الإمامة بزمن موسى. هامان كان وزيراً لفرعون. ألناطق هو موسى.

(٢٩) إدريس الأدارسة هو لقب الحدّ الثاني «النفس»، أي إسمعيل التميمي، صهر حمزة.

(٣٠) نسبة إلى «لوات» بلد بالصعيد في مصر. سمّي السبت لانّه كان يقيم مجلسه يوم السبت.

(٣١) مبارك هو أحد الدعاة الذين كانوا يُقيمون مجلسهم نهار الخميس.

إلى توحيد مولانا جلّ ذكره في سبعين عصراً، ما منها عصر إلاّ ويُظهرني مولانا جلّ ذكره فيكم بصورةٍ أخرى وإسمٍ آخر ولغةٍ أخرى. أعرفكم ولا تَعرفوني ولا تعرفوا نفوسكم. والآن قد استدارتِ الأدوار، وكأنّكم بإظهار توحيد مولانا جلّ ذكره ونورِ الانوار، وأُظهِر لكم ما كان مدفوناً تحت الجِدار. فلمولانا الحمد والشكر وحدَه. فلا تُنكروا معجزاتِ مولانا جلّ ذكره وآياته، ولا تلتفتوا إلى أمسٍ فأمسُ مضى بما فيه، وغداً فلا تعلم أنّك تُوافيه، واليوم أنت فيه بما يَقتضيه. وكلّما غاب عن العالم أسقطوه. فلو كان للعالمين عقولٌ لَمَيَزُّوا معجزاتِي التي أيّدني بها مولانا جلّ ذكره يومَ الجامع:

وقد أرسلتُ إلى القاضي عشرين رجلاً ومعهم رسالة رفعتُ نُسختَها إلى الحضرة اللاّهوتية، فأبى القاضي واستكبر وكان من الكافرين. واجتمعتْ على غلماني ورسُلي الموحِّدين لمولانا جلّ ذكره زهاءٌ عن مائتين من العسكريّة والرعيّة. وما منهم رجلٌ إلاّ ومعه شيءٌ من السلاح. فلم يُقتَلْ من أصحابي إلاّ ثلثةُ نفَرٍ وسبعةَ عشرَ رجلاً من الموحِّدين في وسطِ مائتين من الكافرين. فلم يكنْ لهم إليهم سبيلٌ دونَ رَأوهم بعيونهم حتّى رجَعوا إلى عندي سالمين، ولم يُمكِّنْ منهم المارقين.

وقد سمعتم ما جاء في الدار، وجعلتُها آيةً معجزةً لأصحابي، فقال[٣٢]: لَـ «قَد كَانَ لكُم آيةٌ فِي فِئَتَين التَقَتَا. فئةٌ تُقاتلُ فِي سبِيل اللّه»، يعني المجاهدين في توحيد مولانا جلّ ذكره وعبادته، «وَأُخْرَى كافرَةٌ يَرونَهم مِثْلَيْهِم رأيَ العَين». «وَاللّهُ»، أي مولانا جلّ ذكره «يُؤَيدُ بنَصره مَن يَشاءُ. إنَّ في ذلكَ لَعِبرةً لأُوْلِي الأبْصار»، أي الإيمان. فإذا كان القرآن قد نطق بتأييد رجلٍ مؤمن يقاتل رجلَين كافرَين فكيف عشرة. وقد مدح أصحابَه وحرّضَهم على القتال. فقال: «يا أيُّها النَّبيُّ! حَرِّضِ المؤمنينَ علَى القتالِ. إنْ يكن منهم

(٣٢) سورة آل عمران ٣/ ١٣.

عشـرُون صَابرون يَغلبـون مائتَين مِن الذين كَـفروا بإيمانهم فـإنّهم قومٌ لا يَفقهون»[٣٣].

فـصح قـوله في القـرآن إنّ المعـجـز المتـوسط رجلٌ يجـاهد رجلَين. والمعـجـز الأعظم رجلٌ يـقـاتل عـشـرة. وقـال: «إنّ في ذلك عـبـرة لأولي الأبصـار». فأنا أحقّ بالمعـجزات الكاملة الحقيقـيّة التي يجب على المؤمنين أن يعـتبـروا منها ويتـفكّروا فيـها. وقـد اجتـمعتْ عند المسـجدِ سـائرُ الأتراك بالجواشِنِ والزَّرَدِ والخُـوذِ والتجافِيفِ، ومن جـميع العساكرِ والـرعيّة زائدٌ عن عشرين ألف رجل، وقد نصبـوا على القتال بالنَّفط والنّار، ورماة النُشّاب والحجار، والتسلّق إلى الحيطان بالسلالم يومًـا كاملاً. وجميعُ مَن كان معي في ذلك اليوم اثنعشـر نفساً، منهم خمسة شـيوخ كبار وصبيـان صغار لم يُقـاتلوا. فقَـتَلْنا من المشـركين ثلاثةَ أنفسٍ، وجـرحْنا منهم خلْقـاً عظيمـاً لا يحصـى، حتى طالَ على الفئة القليلةِ الموّحدة القتالُ.

وكادتِ الأرواحُ تتلاشا وَتَبْلُغُ التَّرَاقِ. وخـافوا كثرةَ الأضداد والمراقِ، وغلبةَ المنافقين الفسّاقِ، فناديتُهم: مـعاشرَ الموحدين: أليوم أكملتُ لكم دينكم بالجـهـاد، وأتممتُ عليكم نعـمـتَـه والسَـدَاد، وأرضَـى لكم التـسليمَ لأمـره بالجـهاد. وما يُـصيبـنا إلاّ ما كـتبَه الـلّهُ علينا. هو مولانا وعليـه فليتـوكل المؤمنون.

معاشرَ الموحدين! «قاتِلوا أئمّةَ الكفرِ. إنّهم لا أيمَانَ لهم لعلّهم يَنتَهون. قَاتِلُوا قومـاً نَكَثوا أيمَانَهم»، يعني عهدهم، «وَهَمُّـوا بإخرَاجِ الرَّسُولِ»، وهو قائم الزمان، «وَهُمْ بَدَؤُوكُم أوَّلَ مرَّة»، يعني دفعـة الجامع، «فَلا تَخْشَونَهُم. (فَاللّهُ، أي)»، فمـولانا جلّ ذكره، أَحَقُّ أنْ تَخْشَوهُ إنْ كُنتُم مُـؤمِنينَ. قَاتلُوهم

(٣٣) سورة الأنفال ٨/ ٦٥.

يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بأَيديكُمْ. وَيُخزِهِم. وينَصُرْكُم عليهم. وَيَشْفِ صدورَ قومٍ مؤمنين»[٣٤].

فما استَتَمَّيْتُ كلامي لهم حتى جاء أمرُ مولانا جلّ ذكره وتجلاّ للعالمين بقدرته سبحانه «فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَواتِ والأرضِ»[٣٥]، فانْقلَبُوا المنافقين على أعقابهم ناكِصين خائِبين. فلمولانا الحمد والشكر أبد الآبدين.

فاللّهِ اللّهِ معاشرَ المستجيبين! أصبروا وصابروا في البأساء والضرّاء، والشدّة والرّخاء، ويَقّظوا بعضكم بعضاً، وتوبوا إليه توبة لا تَشكّون فيه بعدها أبداً. واسألوه أن لا يؤخذَكم بسوءِ نيّاتكم وأن يسمح لكم بما سلف من ذنوبكم، وأن يثبِّتكم على عبادته وتوحيده. والزموا ما أمرتُكم به في كُتبي، من سِدق اللسان، وحفظ الإخوان، والرضى بفعل مولانا كيفما كان، والتسليم لأمرِه في السرّ والإعلان. فتكونوا من عباده الصالحين الذين لا خوفَ عليهم مِن الظاهر، ولا هم يحزنون بشِركِ الباطن. ويرحمنا وإيّاكم، ولجميع المؤمنين به، والموحِّدين له. والحمد والشكر لمولانا جلّ ذكره في السرّاء والضرّاء، والشدّة والرّخاء. وهو المعين وعليه التوكّل غايةُ القصد والرجاء.

وكتبتْ في شهر ربيع الآخر. الثاني من سنة عبد مولانا ومملكوه حمزة ابن علي ابن أحمد هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف أمير المؤمنين، وشدّة سلطانه وحده، لا شريك له. تمّت بحمد مولانا وحده.

---

(٣٤) سورة التوبة ٩/ ١١-١٤.
(٣٥) سورة الزمر ٣٩/ ٦٨.

١١

كتابٌ فيه حقائق

مَا يَظْهَرُ قدّام مولانا جلّ ذكرُه من الهزل وذلك بالتأييد لقائم الزمان، مظهر الكلمة والبيان، على ذكره السلام. الحمد لمولانا وحده وشدّة سلطانه.

كلّ ما عند الحاكم من أفعال وتصرفات، جدّية كان أم هزليّة، لها معان وتاويلات توحيديّة. كلها رموز وإشارات إلى هدم الشريعتَين، وبناء شريعة التوحيد. فمِن ركوبِه الحمار بغير سرج، إلى تربية شعره، إلى لبس الصوف، إلى الخروخ في الصحراء، وإلى خروجه من السرداب إلى البستان، وإلى أسماء البساتين وأبوابها وجوامعها والمساجد وقببها... كلّها تشير إلى هدم الشريعتَين. ويشير أيضاً إلى ذلك: وقوفُه في الصوفيّة، واستماعُه إلى أغانيهم، والنظرُ إلى رقصهم، ولعبُ الركابيّة بالعصي والمقارع، وصراعُهم فيما بينهم، وذكْرُ فروجِهم وأحاليلهم، وحرْقُ فروجِ بعضهم بعضاً، واللّعبُ بعوراتهم... كلُّها تشير إلى معانٍ باطنيّة درزيّة، وإلى الوهيّة الحاكم... هذا الكتاب مِن وضْع حمزة، من سنة ٤١١ هـ. وهو كتاب مهمٌّ جنّالفهم تصرّفات الحاكم التي هي، بنظر أهل التوحيد، حكمة ما بعدَها حكمة، وبنظر سواهم، جهالة ما بعدها جهالة.

توكّلتُ على مولانا البارّ العلاّم، العليّ الأعلى حاكم الحكّام، مَن لا يدخل في الخواطر والأوهام، جلّ ذكره عن وصف الواصفين وإدراك الأنام. بسم اللّهِ الرحمن الرحيم. صفات عبده الإمام. ألحمد والشكر لمولانا جلّ ذكره وبه أستعين في الدِّين والدنيا وإليه المَعاد. الذي يُحيي

ويميت وهو الحيّ الذي لا يموت، الذي هو في السماء عالٍ، وفي الأرض متعالٍ حاكِماً. عليه توكلتُ، وبه أستعين وإليه المصير وهو المعين. وصلواتُ مولانا جلّ ذكره وسلامُه على الذي اصطفاه من خلْقه، واختاره من عبيده، وجعلهم الوارثين لديار أعدائهم بقوته وسلطانه، الحاكم القادر، العزيز القاهر، وهو على كلّ شيء قدير.

أمّا بعد معاشرَ الإخوان الموحِّدين، أعانكم المولى على طاعته. إنّه وصل إليّ من بعض الإخوان الموحِّدين، كثَّر المولى عددَهم وزكّى أعمالهم وحسَّن نيّاتِهم، رِقعَةٌ يذكرون فيها ما يتكلّمون به المارقون من الدِّين، الجاحدون لحقائق التنزيه، ويُطلقون ألسنتَهم بما يشاكل أفعالَهم الرديّة، وما تميل إليه أديانهم الدنيّة، فيما يظهر لهم من أفعالِ مولانا جلّ ذكره ونطقِه، وما يجري قدّامه من الأفعال التي فيها حكمةٌ بالغة شتّى. فما تغني النذر، وَتمييزُ العالم الغبي الذين من أعمالهم الهزل، واقوالٍ فيها صعوبة وعدل. ولم يعرفوا بأنّ أفعال مولانا جلّ ذكره كلّها حكمةٌ بالغة، جِدًّا كان أم هَزْلاً. يُخرج حكمتَه ويُظهرها بعد حين. ولو تدبّروا ما سمعوه من الأخبار المأثورة عن جعفر ابن محمد ابن علي ابن الحسين ابن علي ابن عبد مناف ابن عبد المطلب!

إيّاكم الشرك باللّه والجحود له بما يختلج في قلوبكم من الشكّ في أفعاله كيفما كان. ولا تنكروا على الإمام فعلَه ولو رأيتموه راكباً قصَبةً، وقد عقَدَ ذَيلَه خلْفَ ثوبه وهو يلعبُ مع الصبيان بالكِعاب، فإنّ تحتَ ذلك حكمةً بالغةً للعالم وتمييزًا للمظلوم من الظالم. فإذا كان هذا القول في جعفر ابن محمد وجعفر، وآباؤه وأجدادُه كلُّهم عبيدٌ لمولانا جلّ ذكره، فكيف أفعالُ مَن لا تُدركُه الأوهام والخواطر بالكليّة، وحكمتُه اللاّهوتيّة التي هي رموزات وإشارات لبطلان النواميس، وهلاك الجواميس، وتمييز الطواويس!

فلمولانا الحمد على ما أنعم به علينا بغير استحقاقٍ نستحقُّه عندَه. وله الشكر على ما أظهر لنا من قدرته خصوصاً دون سائر العالمين إنعاماً وتفضّلاً. ونسأله العفو والمغفرة بما يجري منّا من قبائح الأعمال، وسوء المقال، ونعوذ به من الشرك والضلال. إنّه وليّ ذلك والقادر عليه وهو العليّ المتعال.

ولو نظروا إلى أفعال مولانا جلّت قدرتُه بالعين الحقيقيّة، وتدبّروا إشاراته بالنور الشعشعاني، لبانتْ لهم الألوهيّة والقدرةُ الأزليّة، والسلطانُ الأبديّة. وتخلّصوا من شبكة إبليس وجنودِه الغويّة، ولتصوّرَ لهم حكمةُ ركوبِ مولانا جلّ ذكره وأفعالِه، وعلموا حقيقيَّة المَحضِ في جِدِّهِ وَهَزْلِهِ، ووقفوا على مراتب حدوده، وما تدلّ عليه ظواهر أموره، جلّ ذكره وعز اسمه. ولا معبود سواه.

فأوّلُ مَا أظهر من حكمته مَا لم يُعرَفْ له في كلِّ عصر وزمان ودهرٍ وأوان، وهو ما يُنكرونه العامَّةُ من أفعالِ الملوك من تربيةِ الشَّعر، ولباسِ الصوفِ، وركوبِ الحمارِ بسروج غير محلاّت، لا ذهب ولا فضة. والثلاث خصال مَعْنًا واحدٌ في الحقيقة، لأنّ الشعرَ دليلٌ على ظواهر التنزيل، والصوفَ دليلٌ على ظواهر التأويل، والحميرَ دليلٌ على النطقاء، بقوله لمحمد: «يَا بُنَيَّ أقِمِ الصلاةَ، وَأتِ الزَّكاةَ، وَأمُرْ بالمعروفِ، وَانْهَ عن المُنْكَر. إنّ ذلك مِن عزمِ الأمُور. وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للناس، ولا تمْشِ في الأرضِ مَرَحاً. إنّكَ لن تَخرقَ الأرْضَ. ولن تَبلُغَ الجبالَ طُولاً. كلُّ ذلك كانَ عند ربِّك شيئًا مَحذورًا. وانقص من مِشْيكَ واغضُضْ من صَوتِكَ. إنّ أنْكرَ الأصوات لَصوتُ الحمير»[1].

---

(١) سورة لقمان ٣١/١٧-١٨ ببعض التصرف، متداخلة مع سورة الإسراء ١٧/ ٣٧-٣٨.

والعــامّة يروون أنّ هذه الآية حكاية عــن لقمــان الحكيم لولده. فكذبوا وحرّفــوا القولَ. وإنّمــا هو قولُ السابــق، وهو سلمان[٢]. وإنّما سـمّى الـناطقُ ولَدَه لحـدِّ التـعليم والمادّة، اذ كـانوا سـائرُ النـطقـاء والأوصياء أولادَ السابق المبدع الأوّل هو سلمان[٣].

فقال لمحمد: «أقمِ الصلاة»، إشـارة إلى توحيد مولانا جلّ ذكره ولحدوده ودعـاته. «وأمر بالمـعروف»، وهو توحـيد مولانا جـل ذكره. «وَانْهَ عن المنكر»، يعني شريعته وما جاء به من الناموس والتكليف. «إنّ ذلك من عزم الأمور»، يعني الحقائـق وما فيه من نجاة الأرواح من نطق الناطق. «ولا تصعِّرْ خدَّك للناس»، وخدّه وجهُ السابق وتصعيرُه سترة فضيلته. «ولا تمشِ في الأرضِ مرِحـاً»، والمرح هو التقصير واللّعب في الدِّين، والأرض هاهنا هو الجَنـاح الأيمن الدّاعي إلى التـوحيـد المحض. «إنّك لن تخرقَ الأرض»، يعني بذلك لن تقدر على تبطيل دعوةِ التوحيد. «ولن تبلغَ الجبـالَ طُولاً»، والجبالُ هـم الحججُ الثلاثة الحُـرُم ورابعهم السابق الذي يعبدوه العالمُ دون الثلاثة. وأَجَلُّهم الحجّةُ العظمى واسمُه في الحقيقة ذو مَعَة لأنّ قلبَه وعى التوحيد والقدرةَ مِن مولانا جلّ ذكره بلا واسطةٍ بشريّة.

---

(٢) هو سلمــان الفــارسي، إنّه، في رأي المسلمين، من «خـواص أحـبـاب الـنبيّ وأعظم أنصاره. قــال عنه محمد: إنّ الجنة أشـوقُ إلى سلمان منه إليها». كـان سلمان، في رأي الدروز، يعلّم النبيَّ ويمدّه بالقرآن، كما سيأتي ذلك في رسالة خاصّة. وسلمان أيضاً، في رأي النّصَـيريّين، أحد الثـالوث الإلهي المؤلّف من علي ومحمـد وسلمان، أي: ع.م.س.

(٣) المقـصود هنـا: لقمـان الذي أعطى هذه الحِكَم لولـده، هو كـ«الناطق» مـحمّـد الذي أعطى التـعليم لأولاده الأوصيـاء والأئمّة؛ فـيما الحـقيـقة إنّه تعليم أعطاه الـسابق سلمان للجمـيع، أي للنطقاء والأوصياء كلّهم. وسلـمان هو نفسُه حمـزة، وكان قد اتّخذ هذا الاسم في عهد محمّد.

«وانقُصْ من مَشيكَ»، يعني اخفض من دعوتك في الظاهر الذي هو يمشي في العالم مثل دَبيبِ النملةِ السوداء على المسح الأسود في اللّيلة الظلماء، وهو الشرك بذاته، مثل النار إذا وقع في التبن، لا يُشعَر بِضوئِهِ إلاّ بعد هلاكِه. كذلك محبةُ الشريعة والإصغاءُ إلى زخرفه، والتعلّق بناموسه، يعمل في الأعضاء ويجرى في العروق كما قال بلسانه. وقوّةُ بَلَسِهِ وسلطانُه ولطافتُهُ تجري في العروق مجاري الدم حتى يتمكّن في القلب ويُقوّي سائر العالمين.

وقال الناطق: "مَازَجَ حُبّي دماءَ أمّتي ولحومَهم. فهم يؤثروني على الآباء والأمهات"؛ فرأينا الخبرَين واحد معناهما. وقد قال في القرآن[٤]: «قل أعُوذُ بربِّ الناسِ»، وربُّ الناس هاهنا هو التالي، وهو في عصر محمّد المقداد[٥]، «مَلِكِ النّاسِ مِن شرِّ الوَسوَاسَ الخنَّاسِ»، يعني زخرف الناطق الذي يوسوس في صدور الناس، يعني الدعاة والمأذونين والمكاسِرين حتى يردَّهم عن توحيد مولانا الحاكم بذاتِه المنفرد عن مبدعاته جلّ ذكره. والذات هو لاهوتُه الحقيقي الذي لا يُدرك ولا يُحَس. سبحانه وتعالى.

«وَاغضضْ مِن صَوتِك»، يعني بذلك اخفض وانقص واَستر نطقَكَ بالشريعة. «إنَّ أنكرَ الأصوات»، يعني دعوة الظاهر، «لَصَوتُ الحمير»، يعني بذلك أشرَّ كلاماً وأفحشَه وأنْكرَه نطْقُ الشرائع المذمومة في كلِّ عصر وزمان. فمنهم تظهر الشكليّة والضدّيّة والجنسيّة.

فأظهر مولانا جلّ ذكره لبْسَ الصوف وتربيةَ الشعر، وهو

---

(٤) سورة الناس ١١٤/ ٤.

(٥) هو المقداد بن بن الأسود (ت ٣٣هـ/٦٥٣م)، صحابيٌّ، أحد السبعة الذين كانوا أوّل مَن أظهر الإسلام. قاتل في بدْر وأُحُد. له اعتبار كبيرٌ عند الشيعة.

دليل على مـا ظهر من استـعمـالِ الناموس الظاهر وتعلّقِ أهـلِ التأويل بعلي ابن أبي طالب وعبادتِه، وركوبَ الحمـار دليلٌ على إظهار الحقيقة على شرائع النطقاء. وأمّا السـروج بلا ذهَب ولا فضّة دليلٌ على بطلان الشريعـتَين الناطق والاساس. واسـتعـمالُ حلَى الحديد عـلى السروج دليلٌ على إظهـار السـيف عـلى سـائر أصـحـاب الشـرائع وبطلانهم. واستعمالُ الصحراء في ظاهر الأمر، وخروج مولانا جلّ ذكره في ذلك اليوم من السـرداب إلى البستان، ومـن البستان إلى العـالم دون سائر الأبواب. والسرداب والبستان الذي يخـرج مولانا جلّ ذكره منهما ليس لأحد إليهـما وصولٌ، ولا له بهما مـعرفة، إلاّ أن يكون لمن يخدمـهما أو خواصّـهما. وهو دليل على ابتـداء ظهور مولانا سـبحانه بالوحـدانيّة ومباشرته بالصمدانيّة بالحَـدَّين اللّذَين كانا خفيَّين عن سائر العالمين إلاّ لمن يعرفهما بالرموز والإشارات. وهما الإرادة والمشيّة[٦].

كمـا قال[٧]: «إنَّمَا أَمْـرُه إذا أرَادَ شَيـئاً أنْ يقولَ له كُـنْ فَيكونُ. فَسُبحَانَ الذي بيـدِهِ مَلَكُوتُ كلِّ شَيءٍ وإلَيه تُرجَعون». والإرادة هو ذو مَعَة. والمشية تـاليه. كما قال[٨]: «وَمَا تشاؤُون إلاّ أنْ يَشاء اللّه». فليس يعرفهما إلاّ الموحِّدون لمولانا جلّ ذكره.

ومن السردابِ يخـرج إلى البستان. كـذلك العلم يخرج من ذي مَعَة إلى ذي مصَّة الذي هو بمنزلة الجَنّة صاحبِ الأشجار والأنهار. ثمّ يخرج منهمـا إلى المقسّ. فأوّل ما يلقي بستـانَ برجوان، وهو المعروف بالحجازي، فلا يدخله ولا يدور حوله في مضيِّه. وهو دليل على الكلمة

(٦) الإرادة والمشيّة كناية عن حمزه وإسمعيل صهره.

(٧) سورة يس ٣٦/ ٨٢-٨٣.

(٨) سورتا الإنسان ٧٦/ ٣٠ والتكوير ٨١/ ٢٩.

الأزليّـة. ثم يمضي إلى الـبسـتـان المعـروف بالـدكّـة، وهو دليل على السابق، وهو دَكّة العالم، وعلومُهم منه إذ كانوا لا يعـرفون فوقَه شيئاً أعلى منه. وهذا البستان المعروف بالدكّـة على شاطئ البحر، كذلك علم التاويل ممثوله البحر. والمستجيب لـلعهد، إذا بلغ علْمَ السابق ومعرفتَه، حسِبَ أنّه قد بلغ الغايةَ والنهاية في العبادة.

وبستـان الدكّة مع جـلالته مـلاصقٌ لموضـع الفَحشـاء والمنْكر دون سائر البسـاتين، دليلٌ على أنّ علْم السابق واصلٌ بالنطقاء الـذين هم معادنُ النواميس الفـانية الحشـويّة، والأعمالِ الفـاحشةِ الدنيّـة. والمقسّ دليل على الناطق. ومـا في المقسّ من الفحـشاء والمنـكر دليل على شريعـته. والنسـاء الفاسدات اللّواتي فيه دليلٌ على دعاة ظـواهر شريعته، وارتكابِهم الشهوات البهيميّة في طاعته.

ثمّ إنّه علينا سلامه ورحمتـه يَخرج إلى الصناعة، ويدخل من بابها، ويخرج من الآخر. والصناعة دليل على صاحب الشريعة. والصناعة ممنوعة من دخول العالم فيها والخروج لإضاقـة الشريعة. فدخولُ مولانا جلّ ذكره فيها من باب وخروجُه من باب دليل على تحريم الشريعة وتعطيلِها.

ثمّ إنّه علينا سـلامـه ورحـمـتـه يدور حـول البسـتـان المعـروفِ بالحجـازي، وهو دليل على الكلمـة الأزليّة. والدوار حـوله بلوغٌ إلى الكشف بلا سترة تحوط بالدِّين.

ثمّ إنّه جلّ وعز سلطـانه يبلغ إلى القصور، وهمـا قصران عظيـمان خرابان، دليل على بطلان الشريعتَين وخرابِهما.

ثمّ إنّه علينا سـلامـه ورحمـته يَدخل من بـاب البسـتان المعـروف بالمخـتص، وهو دليل على التـالي إذ كان التـالي مـختـصًـا بعلمِه الأسـاس والتـأويل. وأكثـر العالم يميلون إليـه، وهو هيولَى العـالَم الجرمـاني. ومِن

الشيـعة مَن يعتقـد ويعبد التالي، ومِن الشـيعة مَن يقول بأنّ التـالي مولانا. وهذا هوالكفـر والشِّرك. وإنما هو التالـي الذي عجزوا الناسُ عن مـعرفـتِه، وهوالجنّة المعروفـة بالمختصّ، متّـصلةٌ بالجنّة المعروفة بالعـصّار، دليلٌ على الناطق لأنّه يعصر علمَ التـالي فيُخرج منه الحقـيقةَ والتوحيدَ، فـيكتمُه على العالَم الغبيّ، ويُظهر لهم الثُّقْلَ، وهو الكُسْبُ الذي لا ينتفع به غير البهائم.

كـذلك البـسـتـان المعـروف بالعـصّـار، وهو خـرابٌ من الفـواكـه والأشجار، والرياحين والأثمـار. وبستان المختصّ عامرٌ بالفـاكهة والأزهار، والرياحين والأشـجـار. ومنه يخـرج الماءُ إلى الحـوض الذي يشـربون منه البهائم. والماء هو العلم، والحـوض هو المادّة الجاري من التالي، والدواب هم النطقاء والأسس. كـذلك العلمُ يَخرج مِن التـالي إلى الأساس في كلّ عـصر وزمان. والسابـق ممدٌّ الناطق، ومن الفاتق إلى الراتق، ومن السابق الشـهيد إلى الطالب الطارق.

وهذين البسـتانَين بين المسجِدَين المعروفَين بمسجـد تبْر ومسـجد رَيدان. فمسجد رَيدان محاذي بستان العصّار، ومسجد تبر محاذي بستنان المختص. ومـسجـد تبر دليل علـى الناطق، والتبـر دليل على الذهب، والذهب دليل على إذهاب شريعته. وهذا المسجد لم يُصَلَّ فـيه صلاة جماعة قطّ دليل على أنْ ليس للناطق، ولا لمن تبـعه، اتّصالٌ بالتوحـيد. ومسـجد رَيدان دليل على حجّـة الكشف، القائم بالسـيف والعنف، الدّاعي إلى التوحـيد المنكَر عند سائر العالمين.

كمـا نطق عبـد مولانا جلّ ذكـره في القرآن على لسـان السادس[٩]: «يومَ يَدْعُ الدَّاعي إلى شيءٍ نُكُرٍ»، وهو عـبـادة مولانا جلّ ذكـره وتوحيـده الذي أنكروه سائرُ الـنطقاء والأسس وأئمّة الكفـر. كمـا قال عبـد مولانا جلّ

---

(٩) سورة القمر ٥٤/ ٦

ذكره في كتابه: «قَاتِلوا أئمّــةَ الكفر إنّهم لا أيمانَ لهم لعلّهم يَنتهون»[١٠]. أراد «لا أيمان» لهم بمعــرفة مــولانا جلّ ذكــره. والأيمان هوالتســديق وتوحيــد مولانا جلّ ذكــره صعبٌ مســتصعب لا يحملــه نبيٌّ مرسل ولا وصيٌّ مُكْمَل، ولا إمامٌ مُعدِل، ولا ملك مُفَضَل؛ بل يحــمله قلبٌ صافٍ لبيبٌ، أو موحِّدٌ راغبٌ مستجيب، لا يَعبد غيرَ مولانا جلّ ذكره بحقيقيّة الحقائق، وترْكِ ما كان عليه من الأديان والطرائق. وعبدُ مولى الأساس والناطق، ومبدعُ التالي والسابق، الحاكمُ على جمــيع النطقاء والشرائع، المنفرد عن جيــمع المخلوقاتِ والبدائع، ولكلِّ شيء ضدّ بين يديه.

فــبإزاء البــاطل الذي هو جنّة العــصّار، وهــو دليل على الناطق حَقٌّ يرفَعُ، وهو مســجد ريدان وهو ذو معَــة. وبإزاء الحقِّ الذي هو جنّة المختصّ وهو التالي بَاطِلٌ يَطْلُبُ فــسادَه، وهو مسجــد تبر، وهو الناطق. والمولى جلّ ذكره يَنصــرُ أولياه ويُهلك أعداه، ويُتمّ نورَه ولو كَــرِه المشركون المتــعلّقون بعلي ابن عبد مناف، والكافرون المتعلّقون بالناطق وعدمِه.

فَــ رَيْدَان خــمســة أحــرف، دليل على خــمســة حدود الــنفســانيّين والنورانيّين والروحانيّين والجــرمانيّين والجســمانيّين: وهو ذو مَعَــة، ألعقل الكليّ النفــســانــي، وذو مصــّة النفس الروحــاني، والجناح الرّبّاني، والأيمن الباب الأعظم، وهو السّابق والتالي معدن العلوم ومنه ابتناؤها.

فــ رَيْدَان كلمتان: رَي و دان. فــ ري: الأشــياء، وهم الحجج والدعاة والمأذونين والمكاســرين. كــما قــال عــبد مــولانا جلّ ذكــره[١١]: «وكلَّ شيءٍ أحصَــيناه في إمامٍ مــبين». والأشيــاء الحقيــقيّــة والدِّين الأزلي، والتوحــيد الأبدي، على يدِ رَيدَان يوم الدِّين، وهو عبد مولانا ومولى الخلق أجمعين، جلّ

---

(١٠) سورة التوبة ٩/ ١٢

(١١) سورة يس ٣٦/ ١٢

ذكر وعزّ اسمُه ولا معبود سواه. سبحانه جلّ وعلا أنْ يكون ديّانٌ أو سلطان أو برهان أو اللّه أو الرحمن، إذ كان الكلُّ عبيدَه في سائر الأدوار، المستغفرين له في الليالي والأسحار، العابدين له طوعاً وكرهاً في العيان، سبحانه عن إدراك الأوهام والخواطر، أو يُعرف في الإعلان والسرائر، أو بباطن أو بظاهر، إذ كان لا يدرك بعض ناسوته، وقدرة مقام جبروته، وعظم جلال لاهوته.

ومَا من المساجد مسجد سقطتْ قبّتُه وهَوى المسجد بكماله غيرُ مسجد رَيدان. فأمَرَمولانا سبحانَه وتعالى بإنشاء قبّته، وزاد في طوله وعرضه وسموِّه. دليل على هدم الشريعةِ الظاهرة على يد عبدِه الساكن فيه، وإنشاء توحيد مولانا جلّ ذكره فيه، بالحقيقة ظاهراً مكشوفاً، وابتداء الشريعة الروحانيّة في عالم بسيط روحاني توحيدي لاهوتي حاكمي، لا يعبدون غيره وحده، ولا يشركون به أحداً في السرّ والإعلانيّة، سبحانه وتعالى عمّا يقولون المشروكون علوّا كبيراً.

ثمّ إنّ مولانا علينا سلامه ورحمته ظهر لنا في الناسوت البشرية، ونزوله عن الحمار إلى الأرض وركوبُه آخرِ محاذي بابِ المسجد، دليل على تغيير الشريعة، وإثبات التوحيد، وإظهار الشريعة الروحانيّة على يد عبدِه حمزة ابن علي ابن أحمد، ومملوكه هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا وشدّة سلطانه وحده لا شريك له.

ووقوفه في ظاهر الأمر، وحاشاه من الوقوف والسير والجلّوس والنوم واليقظة، «لا تَأخُذُه سِنَةٌ ولا نَومٌ. له مَا في السَّموات ومَا في الأرض»[١٢]، يعني النطقاء والأسس، «مَن ذا الذي يَشفَعُ عندَه إلاّ بإذْنه»، يعني من ذا الذي يقدر على إطلاق داعٍ أو مأذون إلاّ بمشيّته، «يَعلَم مَا بينَ

(١٢)سورة البقرة ٢/ ٢٥٥

أيديهم ومَا خـلْفَهم»، يعني من آدم إلى مـحمد ابن إسـمعيـل، «ولا يُحيطُونَ بشيءٍ مِن علْمه»، يـعني حجّتـه، «إلاّ بمَا شَاءَ»، وهو المشيّـة أعظم الدّرجات. «وَسِعَ كُـرْسِيُّـهُ السَّمَـواتِ وَالأرْضَ»، والكرسيّ هو التأييـد الذي يصل إلى الحـدود العـاليين، «وَلا يَؤُودُهُ حِـفْظُهُـمـا»، وهـمـا الجَناح الأيمن والجناح الأيسر، «وَهُوَ العليُّ العَظِيمُ»، العالي على كلٍّ مَن تقدّم ذكرُه ومَن تأخّر ممّن ينظرونهم الشيعةُ المشروكون.

وكان وقـوفُه عند الميل، والمـيل دليل على التأييـد، إذ كانت الأمـيال يستدلون بهـا على الطريق، كذلك التأييد يطرقُ العبدُ من المعـبود ويعودُ إلى الوجود. ونزوله إلى الأرض مـحاذي باب المسجد إشارة منـه إلى عبدِه باب حجابه على خلقه، والداعي إليه بتأييدِه وأمره، إذ كان التأييد هو الأمر العالي الذي يكون بلا واسطة بشريّة. والباب دليل على الحجّة. ونزوله عن الحمار وركـوبُه آخَـر كـان في نَفْسِ آذان الزوال. وصـلاةُ الزوال دلـيل على إزالة الظاهر.

ويكون اعتـمادُكم من موضع تـغييـره، وهو يسمّى المقام المحـمود، والمشهـد الموجود، والمنهـل العذب المورود، إلى قـصر مولانا الحـاكم بذاته، وهو المقـام المحمود مـحاذي باب شـريعة روحـانية وعلوم حـاكمـيّة. وأنا ذاكـرها لكم في غيـر هذا الكتاب، إنْ شـاء مـولانا. وبه التوفـيق في جيـمع الأمور. ولا حول ولا قوّة إلاّ به وهو حسبي ونعم النصير المعين.

ثمّ إنّ مولانا علينا سلامه ورحمـته لا بدّ له في كلٍّ ركبة من الإعادة إلى البستانَين المعروفَين بالمقسّ، دليـل على إظهار النشوء الثالث الخارج من الكفر والشرك، وهما الظاهر والباطن، وهو توحيد مولانا جلّ ذكره.

ودخوله إلى القـصر من البـاب الذ ي يَخرج منه والسـرداب بعينه، دليل على إثبات الأمر وكـشف الطرائق بكتْبِ الوثائق، ورجوع الأمر إلى مِنهُ

بَدَا روحانيّةً غيرَ تكليفيّة، ولا ناموسيّة شيطانيّة، ولا زخرف هامانيّة.أعاذَنا المولى وأيّاكم من الشكّ فيه والشركِ به بمِنَّتِه وفضلِه. إنّه وليٌّ ذلك.

وأمّا نزوله في ظاهر الأمر إلى مصر وما شاهدناه، ففيها تمكَّنَ الشيطانُ الغويُّ، لعنه المولى، مِن قلوب العامّة الحشوية، والعقول السخفة الشرعيّة ممّا يسمعونه من ألسنِ الركابيّة قدامَ مولانا جلّ ذكره بما يستقرّ في عقولهم السخفة من كلام الهزْل والمزاح، ولم يعرفوا أنّ فيه حكمةً بالغة فما تُغني النُّذُر. فأوّلُ مسيره إلى المَشاهد الثلاثة وليس فيها آذان ولا إقامة ولا صلاة جماعة إلاّ في الأوسط الذي هو المنهج الأقوم والطريق الأسلم التي مَن سلكَها نجا، ومَن تخلّف عنها هَلَكَ وَغَوى.

ثمّ إنّه علينا سلامه ورحمته يسير إلى رَاشِدة وهي أيضاً ثلاثةُ مساجد متفاوتات ببنيانها. وأحسن ما فيهم وأعلاهم وأفضلهم الذي يصلّي الخطيبُ فيه يومَ الجمعة. وتُصلّى فيه خمسُ صلوات على دعائم الأيام، وهوالوسطاني، وهو دليل على توحيد مولانا جلّ ذكره. وإثبات خمسة حدود علويّة فيه، وهو دليل على حجّة الكشف. والمسجدان اللّذان معه متفاوتان في البناء دليل على الناطق والأساس. وكذلك الناطق في ترتيب حدوده أفضلُ من الأساس. والاساس أعظم شأنا في ترتيب الباطن ورموزه من الناطق في المعقولات والبيان. فلمّا ظهر التوحيد زالتْ قدرتُهما جميعاً. وسمّيتْ راشدة لأنّ، بمعرفة الحجّة وهدايته والأخذ منه، يَرشدون المستجيبون، ويبلغون نهايةَ توحيد مولانا جلّ ذكره.

ثمّ إنّه علينا سلامه ورحمته يدور حول هذا المسجد الوسطاني في ظاهر الأمر دليل على التأييد لعبده. وقدّام المسجد عقبة صعبة الصعود لمن يسلكها وليس إلى القرافة محجّة إلاّ على هذه العقبة، دليل على البراءة من الأبالسة أصحابِ الزخرف والناموس، وليس للعالم نجاةٌ إلاّ بالبراء منهم.

كما أنّ المحجّة على هذه العقبة وهي صعبة مستصعبة، لكنْ فيها افتكاكُ الرقبة، وهو التخلّص من الشريعتَين الظاهر والباطن.

وأمّا ما يرونه من وقوفِه في الصوفيّة، واستماعِه لأغانيهم، والنظرِ إلى رقصهم، فهو دليل على ما استُعمل من الشريعة التي هي الزخرف واللّهو واللّعب. وقد دنا هلاكهم.

وأمّا بئرُ الزيبق، فهو دليل على الناطق. مِن فوقِه واسعٌ، ومِن أسفله ضيِّق، كذلك الشريعة دخولُها سَهْلٌ واسع، والخروجُ منها صعبٌ ضيّق. لكن مَن يقفز في هذ ا البئر ويعرف سرَّه، ويقف على معناه، ويريدُ المولَى نجاتَه، خرج مِن بابِه، وهو دليل على أساسه. والوقوع في الشريعة لا بدّ منه حتماً لزماً لكلِّ أحد. ويخلّصُ المولى مَن يشاء برحمته منها. كما قال الناطق في القرآن[١٣]: «إنْ مِنْكم إلاّ وَارِدُها»، يعني الشريعة. «كَانَ علَى ربِّكَ»، يعني السابق، «حَتْماً مَقْضِيًا». ثمَّ نُنجّي الذينَ اتَّقَوا» من الناطق، «وَنَذَرُ الظّالمين»، يعني أهل الظاهر، «فِيها جِثِيًا»، يعني حيراناً حزيناً دائماً.

ومَن خرج من هذا البئر سالماً أَخَذ مِن الحطامِ ما يَستنفعُ به، كذلك مَن كان تحتَ الشريعةِ وعلمِ التأولِ ورموزِه، وتخلّص من شبكتَيهما جميعاً، وعَلِم ما يُراد منه، وصل إلى التوحيد، واستنفع بدينه ودنياه. ومَن قفز فيهما بغير معرفة ولا قوّة، وهما السابق والتالي، انكسرتْ رجلاه وانْدقّ عنُقه، دليلٌ على أنّ مَن انقطع من السابق والتالي اللّذين هما الأصلين المحمودَين وخالفهما، خسر الدنيا والآخرة. ذلك هو الخسران المبين.

وأمّا بئر الحفرة، فهو دليل على الأساس، وهو أشدّ عذاباً مِن بئر الزيبق وأتعبُ خروجاً، لأنّ مَن اعتقد الظاهر، وهي الشريعة، إذا بلغ الباطن،

---

(١٣)سورة مريم ١٩ / ٧١

اعتقد أنْ ليس فوق الأساس شيءٌ، وأنّه الغاية والمعبود، فيبقى في العذاب الأبدي. إلاّ أنْ يريد المولى نجاتَه فيحتاج الدّاعي يتعب معه مِن قبل أنْ يكسرَه ويَجبره ويُخرجه ممّا هو عليه من الكفر والشرك.

وأمّا لعب الركابيّة بالعصيِّ والمقارع قدّام مولانا جلّ ذكره، فهو دليل على مكاسرة أهل الشرك والعامّة. وتشويههم بين العالَم وإظهار أديانهم المعاشم. ويكشف زيفهم باستجرائهم على المخاطبة بحضرته.

وأمّا الصراع، فهو دليل على مفاتحة الدّعاة بعضهم لبعض. وقد كان للعالَم في قتل سويَد والحمام[١٤] عبرةٌ لمن اعتبر، ونجاةٌ من الشرك لمن تدبّر، لأنّهما كانا رئيسَين في الصراع. ولكلٍّ واحدٍ منهما عشيرةٌ تحميه وأتباع. وهما دليلان على الناطق والأساس. وقتْلُهما دليلٌ على تعطيل الشريعتَين، ألتنزيل والتأويل، والهوانِ بالطائفتَين، أهلِ الكفر والتلحيد.

وأمّا ما ذكره الركابيّة من ذكْرِ الفُروج والأحاليل[١٥]، فهما دليلان على الناطق والأساس. وقوله: "أَوْرِنِي قَمَرَك"، يعني إكشِفْ عن أسَاسِكَ، وهو موضع يَخرج منه القَذَر، دليلٌ على الشرك. فإذا كشَف عن أساسه، وأخرَجَ قُبْلَهُ، أي عبادةَ أساسه، نجا من العذاب والزَّيْغِ في اعتقاده. ومَن شكّ هلك كما أنّ الإنسان إذا لم يَبُلْ ولا يَتَغَوَّط أخذه القُولُنْجَ فَيهلِك.

والنار هاهنا علْمُ الحقيقة وتأييدُه جلّ ذكره فيحرق ما أتيا به الشريعتان كما أنّهم يَحرقون فروجَ بعضِهم بعضاً بالنار، دليل على احتراق

---

(١٤) رجلان من الركابيّة كان الحاكم يقف عليهما لأنّهما كانا رئيسَين في الصراع. ممثولهما الناطق والأساس. قتلهما المولى وقضَى عليهما.

(١٥) الفرج والفروج مَخرج البول عند المرأة. والإحليل والأحاليل مخرج البول عند الرجل. ألقمر، أو الاساس، هو عضو الرجل التناسلي.

دولتِهما وانقضاء مدّتِهما وإظهار توحيد مولانا جلّ ذكره بغير شاكٍّ فيه ولا مشرك به، ولا ناطق جسماني ولا أساس جرماني، ولا سابق روحاني ولا تالٍ نفساني. ولا يبقى لمنافقٍ جولةٌ، ولا لمشركٍ دولةٌ. ويكونوا أولو الأمر منكم، وأهل الحساب منكم. ويكونوا الموحدون لمولانا جلّ ذكره في نعيم دائمٍ، وإحسان غانم، وَمُلْكٍ قائم، كما قال عبد مولانا جلّ ذكره وعزّ اسمه ولا معبود سواه[١٦]: «وَنَزَعْنَا مَا في صُدورِكم مِن غِلٍّ»، وهو التنزيل والتأويل، «إِخْواناً»، التوحيد، «عَلى سُرُرٍ مُتقَابِلِين»، يعني مراتب الدِّين الحقيقيّة، وهو توحيد مولانا جلّ ذكره والعبادة له وحده لا شريكَ له.

جَعَلَنا المولى جلّ ذكره وإيّاكم ممّن نَظر وأبصَر، وتدبّر في أفعال مولانا جلّ ذكره وتفكّر. كما قال[١٧]: والّذين (...) يتفكّرون في خلْق السموات والأرض»، يعني النطقاء والأسس، «رَبَّنَا مَا خَلَقتَ هذا باطلاً، سُبحَانَكَ! فَقِنَا عَذابَ النَّارِ»، يعني حاشاك أنْ تدعنا في جهالةِ الظاهر وشركِ الباطن. «وَقِنَا عَذابَ النّارِ»، يعني التخلّص من الشريعتَين جميعاً.

فعليكم معاشرَ الإخوان الموحِّدين لمولانا جلّ ذكره، العابدين له وحده دون غيره، بالحفظ لإخوانكم، والتسليم لمولانا جلّ ذكره، والرضا بقضائه في السّرّاء والضّرّاء، تَنجوا من عذاب الدِّين وشقوةِ الدنيا بمِنّة مولانا وقوّته. والحمد والشكر لمولانا وحدَه في السّرّاء والضّرّاء، وهو حسبنا ونعم النصير المعين.

تمّت الرسالة بحمد مولانا وحده. قوبل بها وصحّت.

---

(١٦) سورتا الحجر ١٥/ ٤٧ والأعراف ٧/ ٤٣.

(١٧) سورة آل عمران ٣/ ١٩١.

١٢

السيرة المستقيمة

من وضع حمــزة سنة ٤١٠ هــ فيـها كـلام على أصل الأدوار والأكوار الستّة التي سبـقتْ دورَ الحاكم. وفيها عن آدم وأنواعه وحججـه وكيفيّة خلْقه. إنّ كلّ دَورٍ كـان يتبع الدورَ السابق ويَنقضُـه. ودَورُ الحاكم نقضَ دورَ محـمّد وشريعتَـه بالتمام. في الرسـالة أيضاً أنّ حمـزة توالتْ عليه عدّة ظهوراتٍ عَبر الأدوار. فـهو العقلُ الكلي، وهو آدم، وهو قائم الزمان. وإنّ لِمَا يُعرَف من سيرة الحاكم معانٍ لا يَفقهها إلاّ الموحدون.

توكّلتُ على مولنا البار العلاّم، العليّ الأعلى حاكم الحكّام، مَن لا يدخل في الخواطر والأوهام. جلّ ذكـره عن وصف الواصفين وإدراك الأنام. بسم اللّه الرحمن الرحيم: صفات عبـده الإمام، رسوم النطقاء الحشويّة، ومذاهب الظواهر الناموسيّة، والزخاريف الشِّركيّة.

١. دور آدم :

قالوا بأنّ الباري سبحانَه خلق آدم من التراب، وتولّى خلْقَتَه وصورتَه بيده عـلى مثال نـفسه، ويحـتّجـون بذلك من القرآن. والـيهود يقـولون من التوراة بأنّ خَلْقَ آدم وصورته على صورة إله بني إسرائيل سَوَا. وهذا ما لا يليق في المعقـولات والحقائق ولا يجـوز لأحد أن يستـحلّه لأنّ الصورة هي جســم. ومَن كان جســم فهو مُـجتَـمِع الآلة. فيكـون آدم وأولادُه يُشبـهون

الباري سبحانَه وتعالى عن ذلك. فأين الفرق بين العبد والمعبود، والخالق والمخلوق، الرازق والمرزوق. وهذا محالٌ، ونفس الشرك والضلال. وقد بيّن القرآن تكذيبَهم بقوله[1]: «لَيسَ كمِثْلِه شيء». «لكنّهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه»[2].

وأمّا قولهم إنّه بلا أب ولا أمّ فهو من المحال أن يكون جسمٌ ناطقٌ إلاّ من جسم مِثلِه، ذكَر وأنثى. وأمّا التراب الطبيعي فما يَظهَرُ منه خلْقٌ غيرُ الدود والحيّات والعقارب والخنافس وما شاكل ذلك. وأمّا بَشَرٌ فلا يجوز أن يكونَ من التراب. ولو كان كما قالوا بأنّها فضيلة لآدم حيثُ لا يخرج من ظَهْرٍ، ولا يدخل في رَحِمٍ، ولا يتدنّس بدمٍ، فقد كان يجب بأن يَخْلقَ محمّداً من التراب، ولم يُخرِجْه من ظهر كافر، ولم يدنّسْه بدمٍ جاهلة كافرة.

والمسلمون كلُّهم يعتقدون بأنّ والدَي محمد كانا كافرَين، وماتا كافرَين، وأنّ محمّداً لا يقدر يشفع في أمّته إلاّ بعد أن يترك أمّه وأباه ويتبرّأ منهما ويختار أمّتَه على والدَيه ويتركهما في جهنّم. وهذا كلام قبيحٌ ظاهره، وضيعٌ باطنه، لا يليقُ بالعقل، ولا يقبله عاقل.

وآدم هم ثلاثة : آدم الصّفاء الكليّ، ومِن قِبْلِهِ آدم العاصي الجزئيّ، ومِن دونه آدم النّاسي الجرماني. وجميعهم مِن ذكَرٍ وأنثى. لا كما قالوا أهلُ الزخاريف الحشويّة بأنّهم من التراب. وحاشا الباري سبحانه عزّ سلطانه أن يخلقَ صفيّه وخليفتَه من التراب. وهو من أهون الأشياء. فإذا أخذنا الأمور على ظواهرها فكان يجب أن يخلق صفيّه من أعزّ الأشياء وأجلّها وهي الجواهر واليواقيت والزمرّد. وإنْ أخذنا القول على ما قالته الحشويّة الشركية إنّ الباري سبحانه خلقه من التراب لطهارة التراب، فالحجارة أطهر

---

(١) سورة الشورى ٤٢/ ١١.

(٢) سورتا البقرة ٢/ ٨٥، والنساء ٤/ ١٥٠.

منه لأنّ التراب يمتزج بالنجاسة؛ والأحجار لا يدخلها نَجَسٌ. والماء أطهرُ من التراب الذي يُطهِر ولا يتطهّر. فلمّا رأيناه لم يذكر غيرَ التراب علمْنا أنّه أراد به حقيقيّةً غيرَ ما ذهب العالَمُ إليه واعتقدوه.

وقالت الحشويّة المشركة بأنّ الباري سبحانه سمّاه آدم لأنّه أدَمَ الأرض، أي وجه الأرض. فجميع الدود والحيّات والعقارب والخنافس وما شاكل ذلك خلِق من وجه الأرض وأدمتها. ولم يتسمَّى بآدم غير هؤلاء الثلاثة. وقالت طائفة منهم بأنّ الباري سبحانه سمّاه آدم لأنّه مغيّر اللون. وهذا طعن في سلطان الباري سبحانه ونقصٌ في صفيّه. وكيف يجوز أنّه اصطفى شيئاً، وجعل صورته مغيّرة وهو عيب عند العالم إذا كان الرّجلُ أسودَ سبحان باري البرايا عن نقص الخلق؛ بل رفع درجةً صفيِّه عن العيب لكنّهم عموا عن ذلك واستكبروا عن السؤال . فهم لا يهتدون إلاّ بالسيف.

وقالت طائفة من الشيعة الإسمعيلية المقصِّرة بأنّ الباري سبحانه سمّى الضدّ إبليس، لأنّه بلا أب ولا أمّ. ولم يميّزوا ما قالوا، وقد شهدوا بأنّ آدم بلا أبٍ دينيّ ولا أمٍّ دينيّة، وأنّ المسيح بلا أبٍ، فكان يجب أن يقال لكلّ واحدٍ منهما إبليس حيث لم يكن لكلٍّ واحدٍ منهما أبٌ، ولم يكن لهم فرقٌ بين الضدِّ والوليّ. وهذا محال وزخرف لا يليق بالعقل، ولا يقبله عاقل.

وأنا أذكر لكم في هذه السيرة ما تحتاجون إليه من معرفة آدم واسمه، واسم أبيه وبلده، واسم إبليس، واسم أبيه وبلده، وحدود آدم بكمالها إنْ شاء مولانا جلّ ذكره، عليه توكّلت وبتأييده نطقت وبقوّته فتقت وبعلمه رتقت، وهو العلي الخبير العظيم .

إعلموا أيّدكم المولى بطاعته أنّ آدم الصفا الكليّ فهو ذو مَعَة، وقد خدم في دعوة التوحيد والعبادة لمولانا العليّ الخبير في الأعصار الماضية قبل هذا الدور الذي لقّب فيه بآدم. لكنّه ظهر في ذلك الدور في عالمٍ يقال لهم الجِنّ وكانوا يَعبدون العدم.

وكان أصلُ ولادة آدم الصفا ببلادِ الهند، بمدينةٍ يقال لها أدْمِينِيّة، وكان اسمه شَطْنيل واسم أبيه دَانِيل. وكان في ظاهر الأمر طبيبَ الأجسام، وهو في حقيقيّة الأمر طبيبُ الأرواح بالعلوم التوحيديّة. فخرج من بلده إلى أن وصل إلى بلاد اليمن، إلى مدينةٍ كانت تعرف بِصُرْنَة. وتفسيرُها بالعربي ألمعجزة. فلمّا دخل إليها ورأى أهلَها مشركِين، دعامهم إلى توحيد مولانا جلّ ذكره وإلى عبادته سبحانه، فاستجابوا على يده فصار البلد حزبَين: موحِّدين ومشركين. فقال شطْنيل الحكيم للموحِّدين: بِيْنُوا عن المشرِكين، أي أبعُدُوا منهم. فَقَبلوا منه، وبَانُوا عن المشركين، فوقع عليهم اسمُ البِنّ.

وكان إبليس داعياً في الجِنّ، وكان طائعاً للباري سبحانه، وكان اسمُه حَارَت، واسمُ أبيه تَرْمَاح، وكان أصلُه من مدينة إِصبهان، وهو ساكن بالمعجزة. واسم إصبهان باليونانية دَمِير. ولم يكن في ذلك الوقت إمامٌ ظاهر ولا حجّةٌ للخلق ماهر إلاّ الأنوار كانت قد اجتمعتْ في شطنيل ابن دَانيل. فقيل إنّه بلا أب ولا أمّ لأنّه إمامٌ بذاته. وقيل إنّه من التراب لأنَّه كانَ ظهورُه من أوساط المؤمنين. وهم بمنزلة التراب. وقيل إنّ الباري سبحانه خلقَه بيده لأنّه أبدعه من النّور المحض، وأيّده بالتأييد الكلّيّ.

ومثلُ النور والتأييد كمثلِ اليدَين، لأنّ النورَ الشعشعاني والحكمة الكلّيّة هما محرِّكان الحدود، وبهما يتخلّصون من الشكِّ والشرك، كما أنّ اليدَين محرّكَين الأجساد وبهما يتطهّرون من نجاسة البول والغيط.

فلمّا أطلقَه مولانا البار سبحانه أمرَ الملائكة، وهم الدعاة، بأن يسجدوا لآدم[٣]، أي يطيعوه، فأطاعوه جميعُ الحدود والدعاة، غير حارت ابن ترماح الاصبهاني، فإنّه أبى واستكبر ونظر إلى شطْنيل ابن دانيل بعينِ الاستجابة، وأظهر لنفسه قدمَةَ الخدمة في الدّعوة، وقال: أنَا خيرٌ منه، أي أعلا منه

(٣) سورة الأعراف ٧/ ١١-١٢، سورة ص ٣٨/ ٧٦.

منزلةً، خلقتَنِي من نار، أي من علم الحقائق ونور الدعوة، وخلقتَه مِن طِين، أي من مذاكرة المستجيبين الذين هم تربة المحجّة البيضاء[٤]

والماء هو العلم الحقيقي. والماء، إذا اجتمع مع التراب، صار طيناً يصلح للبناء. كذلك المستجيبُ، إذا وقف على علم الحقائق، صار بالغاً يصلح للدعوة. فبهذا السبب قال حارت: خلقتَه مِن طين. وأمّا قولهم إنّ الباري سبحانه خلق آدم كصورتِه، أي فرض طاعتَه على جيمع العالمين كطاعته، مَن أطاعه فقد أطاع الباري سبحانه، ومَن عصاه فقد عصى المولى جلّ ذكره، لأنّه خليفتُه ومنه الوصول إليه. فأطاعوه جميعُ الحدود والدعاة غير حارت ابن ترماح الاصبهاني. فأُخرِجَ من الدعوة وهي الجَنّة، وأُسقط من جملة الحدود.

فجلس شطنيل بصُرنة، وأطلق الحججَ والدعاة، وهم أثنعشر. فلُقّب بأدم أي سيّد الحدود وإمامهم. وقيل أبو البشر لأنّ البشر هاهنا هم الموحِّدون لأنّهم بُشِّروا بآدم وقَبِلوا منه التوحيد، فصار أبوهم في الدِّين. وكذلك زوجتُه حوّا، وهي حجّتُه لقّبتْ بحوّا لأنّها احتوَتْ على جميع المؤمنين. وقيل إنّها أمُّ البشر لأنّه منصوب لرضاعتهم بالعلم الحقيقي وتربيتهم وترقيتهم من درجة إلى درجة إلى أن يبلغوا حدَّ البلاغ.

فلمّا كملت حدود آدم وبثَّ دعاتَه، وكثر المؤمنون، وتظاهر حارت ابن ترماح بضدِّيتِه، وصار البلدُ حزبَين، موحِّدين ومشرِكين، أمرَهم شطنيل بالتبري منهم، أي مِن إبليس وحزبِه الجِنّ. فإذا التقى رجلٌ من الموحِّدين بأخيه يقول له: اهجر إبليس وحزبه، فيقول: قد هجرتُه. فبذلك تسمّى مدينة صُرنة هَجَرًا، أي أهلُها هجروا إبليس وصحبه.

---

(٤)المحجّة البيضاء هي طريق التوحيد.

وكانوا أهلُ الاحساء يسافروا إليها بالبيع والشِرا، فدخل إليها رجلٌ من علماء الإحساء يُقال له صرصر، فكاسره بعضُ الدعاة، وأخذ عليه العهدَ من وقته وساعته، وأتا به إلى عند آدم وهو شطنيل، فأطلقه داعياً بالإحساء وأعمالها. فخرج الرجلُ من وقته وساعته إلى الإحساء وأعمالها. وأخذ العهد بها على خلقٍ كثير، وأوصاهم بتوحيد مولانا جلّ ذكره وعبادته، والإقرار بشطنيل وإمامته، والتبرّي من إبليس وصحبته، وقال لهم: إذا دخلتم هجراً فعبّسوا وجوهكم وقرمطوا أنافكم[٥] على أهلِها، فإنّ فيها رجلاً يقال له حارت ابن ترماح الاصبهاني وله أصحاب كثيرة، وكلّهم قد خالفوا أمر مولانا البار العلاّم، وجحدوا فضيلة الإمام. فلا تخاطبوا أهلها بشيء من العلم إلاّ لمن يحضر معكم مجلس شطنيل الحكيم. فقبلوا من الداعي صرصر، وفعلوا ما أمرهم به من العبسة والقرمطة.، فلقّبوهم بالقرامطة إلى وقتنا هذا. وصار ذلك اسما في بلاد الفرس وأرض خراسان. إذا عرفوا رجلاً بالتوحيد قالوا: هذا قرمطيّ، ويسمّون مذهب الإسمعيلية القرامطة بهذا السبب.

وكان أبو طاهر وأبو سعيد وغيرهم من القرامطة دعاة لمولانا البار، سبحانه يعبدونه ويوحّدوه ويسجدون لهيبته وعظمته، وينزّهونه عن جميع بريتّه. فلقّبهم المولى جلّت قدرته بالسادة، وعملوا في الكشف ما لم يعمله أحد من الدعاة. وقتلوا من المشركين ما لم يقدر عليه أحد من الدعاة. ولم يسهّل المولى سبحانه ظهور الكشف على أيديهم لما علم جلّت قدرته، وعزّت عظمته ومشيّته، ما يكون من الخلف بعدهم من إضاعة التوحيد والضلالات، واتّباع بني العباس بالشهوات، ووقوعهم في الغيّ والغمرات.

وقد آن وقت الكشف، وأزفَ أوانُ السيف والخسف، وقتلُ المنافقين وهلاكُهم بالعنف. ولا بدّ من رجوع أهل الإحساء وهَجَرٍ وديار الفرس إلى

---

(٥) أنافكم تعني أنوفكم. قرمط الأنف : جدعه، قصّره.

ما كانوا عليه من توحيد مولانا جلّ ذكره وعبادته. ويسجدون له ولهيبته ولعظمته. وينزّهونه عن جميع بريّته، ويكونوا أنصار التوحيد كما كانت قديماً أسلافهم. وأبثّ فيه دعاة التوحيد، وأجمع شمل الأولياء والعبيد. وأقهر بسيف مولانا جلّ ذكره كلَّ جبّار عنيد، حتى لا يبقى بالحَرَمَيْن مشرِكٌ بمولانا جلّ ذكره ولا كافرٌ به ولا منافق عليه. ويكون الدين واحداً بلا ضدّ ولا معاند، وذلك بقدرة مولانا الحاكم الأحد الفرد الصمد، المنزّه عن الصاحبة والولد، وشدّة سلطانه ولا حول ولا قوّة إلاّ له وبه. عليه توكّلت وبه استعنتُ وإليه المصير. وهو حسبي ونعم المعين النصير.

وعدنا إلى آدم وحدوده. فولادةُ آدم الصفا ببلاد الهند وهي أدمينيّة، وظهورُه من صرنة. وأوّلُ حجّته من البصرة، واسمه أخْنوخ. وثاني حجّته من مدينة يقال لها سَرَّمَنَا، واسمه شَرْخُ. فلمّا التقى به آدم وأخذ عليه العهد، ووجده كما يجب، قال له: أريد أنْ أجعلَك أساساً لحدودي فتختار ذلك. فقالَ له شَرْخ: إنْ شِئتَ أنتَ شِئْتُ أنا. فجعله أساس الحدود، وسمّاه شئتًا. فكان وَلَدًا دينيًا لا طبيعيًا. وثالث حجّته يوشَع ابن عِمْران. والرابع دَاويد ابن هِرمس. والخامس عيسى ابن لَمْخ. والسادس عابد ابن سِرحان. والسابع عَزرَويل ابن سَلْمُوا. والثامن هابيل ابن بَادِس. والتاسع دانيل ابن هِرْعَطَاف. والعاشر عيّاشُ ابن هابيل. والحادي عشر أفلاطون ابن قَيسون. والثاني عشر قَيدَار ابن لَمْك.

فهؤلاء الإثنعشر حدودُ شريعته، وملائكةُ دعوته. ولم يكن في شريعته تكليفُ الناموس، ولا عبادةُ العجل والجاموس، ولا رباط العابوس، ولا شرك الكابوس. بل كانت شريعة لطيفة توحيديّة.

ثم رجعنا في وقتنا هذا على يد آدم زمانِكم حمزة ابن علي ابن أحمد، الصفاء، كما بدأنا أوّل خلق نُعيده. إنّ مولانا جلّ ذكره الفاعل ذلك وهو القادر القهّار.

وأمّا آدم الثـاني الذي نطق القرآنُ به «أنّـه عَصَى ربَّه»[٦] فهـو أخنوخ وهو حجّة آدم الصـفاء. وآدم الذي قيل «إنّه نَسِي ولم يَجـدْ له عزماً»[٧] فهو شرخ المسمّى بشيت. فاختارَهما شطنيل من جـميع حدوده، وجعلهما مقامَه في الدعـوة. وكلٌّ واحـدٍ منهـما يلقّب بـآدم، لأنّه جعلـهمـا أبوَين الموحِّـدِين وإمامَين لمن دونهما، وهو الذي أسكنهمـا الجنّة. فصار أخنوخ بمنزلة الذَّكَر، وشـيت بمنزلة الأنثى. وأوصـا أخنوخُ بلسانِه وأخـذ العـهد على شـيت من جديد بأنْ لا يعـبدا غير مولانا الـبار العلاّم جلّ ذكره ، ولا يشـركان به أحداً غيره، ولا يعصيان إمامهما شطنيل الذي هو الوسيلة إلى البار جلّ ذكره.

ومولانا علينا سـلامه ورحمـته في وقت شطنيل كـان في ظاهر الأمر يسمِّي نـاسوتَه من حيث الـعالَم البشـري بالبارّ. ومن هذا الموضـع يقولون الفرسُ بارْخُـذَاي، أي عندهم بارخذاي اللّه. فقالوا لمولانا الحـاكم جلّ ذكره: بَارخُذَاي، يعنون بذلك اللّه عـبد مولانا جلّ ذكـره. وأيضاً تفسيـر بَارخُذَاي الإله الأعظم وإله الآلهة وهم يكفرون ويتكلمـون بهذا القول وهم لا يدرون. ومنهم من يعرف هذا ويـعتقد بأنّه الـكفر وهو يتكلم به إنْ شاء، أو أبَا، كـما جرى على لسانه بالعـادة. كما قال: «وللّه يسْجُـدُ مَن في السَّموات والأرضِ طَوعا وكرهاً»[٨].

فـقال مـولانا البـار سـبحـانه لأخنوخ: أسكنْ أنـت وزوجتُك شـرخ الجنَّة[٩]، أي الدعوة التوحدية. وكُلاَ منها، أي تنالا المنزلة الرفيعة، ولا تَقرَبَا هذه الشجرة فتكونَا مِن الظالمين، أي لا تَدَّعِيَا منزلةَ شطنيل وفضيلتَه فتكونا

---

(٦) سورة طه ٢٠/١٢١.

(٧) سورة طه ٢٠/١١٥.

(٨) سورة الرعد ١٣/١٥.

(٩) سورة البقرة ٢/٣٥، أنظر أيضا سورة الأعراف ٧/١٩.

من الناكثين العهد. فأزَلَّهُما الشيطانُ عنها، أي عن العهد، وأخرَجَهما ممّا كانَا عليه من المنزلة عنده.

والشيطان غير إبليس وهو كان مأذوناً من قَبلُ إبليس، ونافق معه على شطنيل، وكان اسمه هُبَل. وبهذا السبب تقول العرب للصنم هُبَل. ويقال فلان هَبلٌ عظيم.

والحيَّة كان داعياً من قبل أخنوخ واسمه آنيل.

والطاووس كان مأذوناً في الدعوة واسمه طايوخ.

فلم يزل الهبّالُ يتردّد إلى آنيل الداعي والطايوخ ويقول لهما: عندي نصيحة لسيّدنا أخنوخ وأخيه شرخ. ولكما فيها صلاح؛ حتى أوصلاه إلى أخنوخ وشريكه شرخ. فلمّا دخل إليه، ومَثُلَ بين يديه، خرّ له ساجداً؛ فقال له أخنوخ، وهو آدم الثاني، عساكَ رجَعتَ عن كفرك وما كنتَ عليه من نفاقك على الإمام ومعاونتِك لإبليس وحزبِه، وَبِنْتَ عنهما. فقال له الهبّال: لا. وحقّك وحقّ البار ما جئت إلاّ ناصحاً لكما وغيرة مني عَلَيْكُما بما ظلمكما شطنيل وغصبكما عليه. وقد سمعتُ مولانا البار سبحانه يقول بأنّ الإمامة لأخنوخ، وشرخ خليفته في الدعوة. فاستحلفه أخنوخ فحلف له أنّه سادق في مقاله، ناصح في فعاله.

فَحَمَلَهُ شَرَهُ النّفس، ورجوعُه إلى القهقرى والتّعْس، ونسي شرخ ما أُخِذ عليه من العهد، وادّعا أخنوخ منزلةً ليست له بحقّ، فبدتْ لهما سوءاتُهما وهو ما أظهراه من زخرف الكلامِ الناموسِ من الشريعَتَين اللذين هما بمنزلة البَول والغائط، وصاحبيهما بمنزلة القُبُل والدُبُر. فطفقَا يَخصفان عليهما من ورق الجنّة، أي لمّا عرفا الحيلة الواقعة بهما، يَستران بالموحِّدين ظواهرَهما، فلم ينفعهما ذلك. ونُودي بين المستجيبين: أخنوخُ عصى آدم إمامَه، وأغواه الهبّال والشيطان من المنزلة التي كانا فيها.

فأقاما سنين بكثرة يبكيان على ما فعلا ويسألان الإمام في العفو عنهما. وهو ما قال في القرآن[١٠]: ربَّنا إنّا ظلمْنا أنفسَنا. وإنْ لمْ تستغفر لنا مولانا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين في الدِّين. فرحمهما شطنيل وسأل البار جلّ ذكره بأنْ يَعْفُ عنهما، فعفى عنهما بعد الوسيلة إليه بحدّ إمامته، وعظيم منزلته. وهو قوله: فتلقّى آدمُ من ربِّه كلماتٍ فتاب عليه[١١]. «كلمات» خمسة أجرف، وشطنيل خمسة أحرف. كذلك اجتمعت في الإمام خمس منازل: حدّ الجسمانيّين، وحدّ الجرمانيّين، وحدّ الروحانيّين، وحدّ النفسانيّين، وحدّ النورانيّين. وردّهما إلى المنزلة التي كانا فيها وقرّبهما إليه.

٢. أدوار نوح، وإبرهيم، وموسى، وعيسى :

فلم يزل البار سبحانه يرحم أهلَ ذلك الزمان حتّى تغيّرت نيّاتهم، ومالوا إلى المشركين، فغضب البار جلّ ذكره عليهم، ونزع نعمتَه عنهم، وأظهر لهم نوح ابن لمك بشريعةٍ غير ما كانوا عليه، ودعاهم إلى عبادة العدم، وتوحيد الصنم؛ فَمَنْ قَبل منه ودَخَل في شريعته سمّاه ظافرًا، ومَن لم يَقبلْ منه سمّاه كافراً. وتشبّه بما كان فيه آدم الصفاء من نَصْبِ الحدود وإقامة الدعوة. وكان أساسه سام واثنعشر حجّة بين يديه، يدعون الناس إلى عبادة العدم وإليه.

فلم تزل شريعةُ نوح قائمة هكذا إلى أنْ ظهر إبرهيم ابن آزر واسم آزر آخنوخ فغيّر شريعةَ نوح بشريعته، وأقام أسمعيل أساساً لدعوته واثنعشر حجة وثلاثين داعياً يدعون الناس إلى عبادة العدم وتوحيد الصنم وإلى طاعة ابرهيم. فمن قبل منه سمّاه مؤمناً، ومن لم يقبل منه سمّا كافراً.

---

(١٠) سورة الأعراف ٧/ ٢٣ بتصرّف.

(١١) سورة البقرة ٢/ ٣٧.

فلم تزل دعوتـه قائمة بأئمّـتِه إلى أن ظهـر موسى ابن عمـران، فغـيرّ شريعـة إبرهيم بشريعتـه، ونصب هارون أساسَه واثنعـشر حجّـة يدعون الناس إلى عبادة مَن لا يُشَاهَد، وتوحيد من لا يُعْرَف وإلى طاعة موسى.

فلم تزل دعـوته قائمـة بعده إلـى أنْ ظهر عـيسى ابنُ يوسف فـغيّـر شريعة مـوسى بشريعته، وأظهر دعـوته، ونصب شمعون الصفـا أساسَه، واثنعشـر حجّـة بين يديه، وهم الحواريون يَدعـون الناس إلى عبـادة العدم وتوحيده، وإلى طاعة عيـسى، وأنّه الولد من الوالد الكليّ أي حجّة القائم جلّ ذكره، لكنّهم لم يفهموا منه كلامــه ورموزه. فمَن قبل منه سمّاه مؤمناً، ومن لم يقبل منه سمّاه كافراً.

٣. دور محمّد بن عبدالله :

فلم تزل شريعـتُه قائمة في جمـيع البلدان إلى أن ظهر محمّـد ابن عبد اللّه بسيفه، وقـام على العالمين بعنفه، ونسـخ جميع الشرائع كافـة بشريعته، وهدم بنيانهم ببنيـته، وبدّل دعواتهم بدعوته، ونصب أساسَـه عليّ ابن عبد مَنَاف واثنعشر حجّة، وهو المكنّى بأبي بَكر واسمه عبدُ اللاّتِ وعُمَر وعُثمان وطلحة والزُبير وَسعـد وسَعيد وعبدُ الرَحمَن ابنُ عَـوف الزُهَري وعُبَيد اللّه ابنُ جَرّاح الأنصـارى. وكان مُعـاويةُ ابنُ صخر حـجّتَه مِـن قَبْل أنْ يَنصِّبَ عليٌ أساسَه. فلمّا نصّب عليٌ أســاسَه عزل معاويةَ ابنَ صخر. فـبهذا السبب ادّعى معـاوية الخلافـة بعد عـثمان لأنّه كـان رابعهم في الأوّل. فلـمّا نصب أساسَه عليٌ ابنَ عبد مناف لم يقبل منه مـعاوية. وقال: أنا نصبني محمّد مِن قبلُ أنْ ينصبك في الدعوة.

فمَن قبلَ من محمّد شريعـتَه وترك ما كان عليه من دين آبائه وأجداده سمّاه مسلماً مؤمناً تقيّـا، ومَن لم يقبل منه ويترك ما كان عليه من دين آبائه وأجداده سمّاه كافراً منافقاً شقيّا.

وبذلَ فيـهم السيف، وسـبا ذراريهم وأولادَهم، وأباعـهم في الأسواق والشوارع، ولم ينفـعهم ما كـانوا عليه من دين آبائهم وأجـدادهم. وما منهم أمّة إلاّ ولهـا رسول أخذوا الدين عـنه وكلهم يقرّون بأنّ لهم إلهـاً. فلم يَقبل منهم مـا كانوا عليـه. وطلَب الإقرارَ به والطاعـةَ له، وألزمهم بالجـزية وهم صاغرون.

وهذا القول لا يجوز إلاّ لصاحبِ القيامة، عبدِ مولانا الحاكم جلّ ذكره، لأنّه يُنكر عليهم أديانَهم، ويعتقـد بأنّها شرائعُ شركيّة كفريّة، فـيقوم عليهم بالسيف والقـدرة لمولانا جلّ ذكره. وإلاّ فأصحـاب الشرائع التكليفـيّة كلُّهم يقرّون بفعل بعـضـهم بعضاً، ويقول الحـاضر منهم بأنّ الماضي أخوه، وإنّه مِن عند اللّه بُعثَ، وبأمـر اللّه نَطَق. فلم يُنكرْ كلٌّ واحـدٍ منهم شريـعة أخـيه، وقد شهد لها بأنّها من عند اللّه. ولِمَ قَتَلَ (مـحمّد) أصحابَها، وسبا ذراريهم، وسمّـاهم كافرين؟ ومَـا يجب هذا الفعل إلاّ على مَن تعـدّا وكفرَ ونطقَ بغـير رضى اللّه.

فلمّا رأينا أمـورَهم متناقضة وأفـعالَهم للعقول والحقِّ رافـضة، علمْنا بانّهم تشبّهوا بقائم القيامة، وطلبوا لأنفسهم الأخبار والعلامة. وكلُّهم شيءٌ واحدٌ في القول والعَوَرِ، مختلفون في الصُّوَرِ.

٤. دور محمّد بن إسمعيل :

فلم تزل شـريعةُ مـحمّـد ابن عبـد اللّه تتناسخ في أيدي أئمتّـه إلى أنِ انقضى دورُه، وظهر ناطقٌ غيره. وهو محمّد ابن إسمعيل الذي ختم الشرائع وتمّها. كما قال جعفر ابنُ محمّد: أوّلُنا جرا في آخِرِنا. وبه ختَم اللّهُ أمرَنا. أي لا يكون بعدَها شريعةٌ تكليفيّة. وكـانوا الثلاثة الذي رابعُهم سعيد ابن أحمد المهدي في دورِ محمّد ابن إسمعيل. وثلاث خـلفاء مِن قبلهم، فصاروا سبعةً تمامُ دورِ محمّد ابن إسمعيل. وكان آخرهم عبد اللّه المهدي. وكان عبد مولانا جلّ ذكره.

٥. أدوار القائم والمنصور والمعزّ والعزيز :

ثمّ تسمّى المولى جلّ ذكره بالقائم وهو اسم عبده. لكنّه سبحانه تسمّى بالقائم لقول عبده في القرآن[١٢]: «شهدَ اللّه»، أي شهد محمّد «أنّه» إشارة إلى مولانا جلّ ذكره، «لا إلهَ إلاّ هو»، أي لاهوت مولانا جلّ ذكره، «والملائكة»، أي الحجج، «وأولوا العلم»، أي الدّعاة، «قائماً بالقسط»، أي عالياً عليًا على جميع النطقاء والأوصياء والأئمّة بالتوحيد، وهو القِسط، «لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم»، هو الحاكم جلّ ذكره نطق بأنّ مولانا جلّ ذكره هو القائم على كلّ نفسٍ بما كسبت، وهوالمعزّ وهو العزيز وهو الحاكم جلّ ذكره. يظهر لنا في أيّ صورةٍ شاء. كيف يشاء. «إنَّ الدِّينَ عندَ اللّهِ الإسْلام»[١٣]، أي سَلَّموا أمورَهم إلى المولى سبحانه، ورضَوا بقضائه. فهم المسلمون له حقًا والمؤمنون به والموحِّدون له تأليهاً وسِدقاً.

وتسمّى مولانا جلّ ذكره بالقائم لأنّه أوّل ما ظهر للعالم بالمُلك والبشريّة في أيّام النطقاء الناموسيّة الشركيّة. فقام على العالمين بالقوّة والقدرة. وأقام للموحِّدين قسطَه أي عدله في هذا الموضع. وأقام قواعد توحيده التي هي تمام البناء في وقتنا هذا بمشيّته.

فإنْ قال قائل فَلِمَ تَسمَّى المولى سبحانه باسم عبده، وما الحكمة فيه، قلنا له بتوفيق مولانا جلّ ذكره وتأييده: إنّ جميعَ ما يُسَمّون الباري جلّ ذكره به في القرآن وغيره فهو لعبيدِه وحدودِه. وأجلّ إسم عندهم في القرآن: اللّه، وظاهرُه خطوطٌ مخلوقة، وباطنُه حدودٌ مرئيّة مرزوقة، وظاهرُه إسمٌ، وباطنه مسمّى. والمعبود غيرهما. وهو المعنى الحقيقي. وهو لاهوت مولانا سبحانه وتعالى عمّا يَصفون.

---

(١٢) سورة آل عمران٣/١٨.

(١٣) سورة آل عمران٣/١٩.

فلمّا كانت العبيد عاجزين عن النظر إلى توحيد باريهم إلاّ من حيث هم وفي صُوَرِهِم البشـرِيّة، أوجبتِ الحكمةُ والعدل أنْ يتسمّى بأسـمائهم حتى يدركون بعضَ حقائقه. لكن، في هذا الاسم المعروف بالقائم معنى دقيقٌ عميت أبصار العالم عنه، لأنّه لا يجوز لأحدٍ من الموحِّدين أنْ يقول لمولانا: قائم الزمان؛ لأنّ اسم القائم بالألف واللاّم. ولا يجوز أيضاً ان يقول لعبده: القائم؛ بل ينقض منه الالف واللام؛ ويقول قائم الزمان؛ لأنّ قائم أربعة أحرف وهم حروف اللّه. واللّه هو الدّاعي. واللّه أعني بالحقيقة هو الإمام. وإمام أربعة أحرف. والدّاعي والإمام واللّه كلُّهم عبيدُ لمولانا القائم العالِم الحاكِم جلّ ذكره. والألف واللاّم الزائد في إسم مولانا جلّ ذكره الذي لا يجب أن تزيد في اسم العبد فهي نفي التشبيه عنه لأنّ الألف واللاّم هما: **لـا** ، أي **لا** شبه له في المخلوقِين و**لا** شريك له في القدرة والكمال. وعبده يقال له قائم، أي قائم بحدودِ التوحيد؛ وليس له قدرة ولا كمال بل هو محتاج إلى تأييد مولانا جلّ ذكره، وإلى قوّة كماله سبحانَه وتعالى عمّا يَصفون.

فالقائم ستة أحرف، وهو معبود. وقائم أربعة أحرف، وهو عبد. وبين العبد والمعبود أيضاً في الكتبة حرفَين؛ لانّ عبد ثلاثة أحرف ومعبود خمسة أحرف، والحرفان الزائدة هي **م و**. والميم في الحساب أربعون، والواو ستة، دليل على أنّ جميع الحدود الذين هم ستة وأربعون، وهم حدود الإمامة والتوحيد لمولانا القائم العالم الحاكم جلّ ذكره، لا لعبده الذي هو القائم بهؤلاء الحدود. وهم العقل والنفس والكلمة والسابق واثنعشر حجّة، والتالي من جملة الاثنعشر، وثلاثون داعياً. فذلك ستة وأربعون حدًّا لمولانا القائم الحاكم العلي جلّ ذكره، وهو الذي أقام القوّة لقائم هؤلاء الحدود، أي إمامهم. فبهذا السبب والحكمة تسَمّى مولانا جلّ ذكره بالقائم سبحانه وتعالى ذكره عن الأسماء والصفات علوًّا كبيراً.

٦. دور الحاكم :

والآن فقد دارت الأدوار، وبطل ما كان في جميع الأعصار، ولم يبق من نار الشريعة الشركيّة غير لهيبها والشرار، وسوف يخمد حرّها ويضمحلّ العوار، وقد بدأت ظهور نقطة البيكار(١٤)، بتوحيد مولانا البار، الملك الجبّار، العزيز الغفار، المعزّ القهّار، الحاكم الأحد، الفرد الصَّمَد، المنزّه عن الصاحبة والولد ، جلّ ذكره وعزّ اسمه ولا معبود سواه.

فلمولانا الحمد والشكر على ظهور نور الأنوار، وخروج ما كان مدفوناً تحت الجدار. فقد أنعم علينا وعليكم بمباشرته في البشريّة، وظهورِه لكم في الصورة المرئيّة، كيما تدركون بعض ناسوته الإنسيّة. ولا أقول ذاته أو نفسه أو صورته أو معناه أو صفاته أو حجابه أو مقامه أو وجهه، إلاّ ضرورة على قدر استطاعة المستجيبين، وما يفهموه المستمعين، وَتُوعِيهِ عقولُهم وَيَدخُلُ في خواطرهم.

ولو قلنا غير هذا لما فهموا الكلام، ولا تَمَعْنىَ لهم النظام، وإلاّ فمولانا جلّ ذكره لا يدخل في الأوهام والخواطر، ولا يمتزج بباطنٍ ولا بظاهر، بل منه بدأ كلُّ شيء، وإليه يعود كلُّ شيء. كلُّ يوم هو في شان، لا يشغله شان عن شان. سبحانَه وتعالى عن إحاطة الدهور به والأزمان. لا يقف أحدٌ من المخلوقين على أفعال مولانا جلّ ذكره، ولا يُدرك غاية سلطانه، ولا يستطيع الوقوفَ على كنه عُشْر عَشِيرِ معشار سيرته وبرهانه.

ولو تدبّروا العالمين ما يرونه من آياته، وبيان علاماته مشاهدة العِيان لكان لهم كفاية عن طلبة العدم بالخبر، وعن كتبة التواريخ والسِّيَر. وذلك ما

---

(١٤) نقطة البيكار هي حمزة، الذي يدور حولَه كل شيء. وكلّ شيء يأخذ منه وجوده. ولا دائرة تكون موجودة وصحيحة من دون نقطة البيكار...

يشاهدون منه ما لا يجوز أنْ يكون من أفعالِ أحدٍ من البشر، ولا سمع به في التواريخ والسِّيَر.

ولو جئتُ أذكرُ لكم عِيانَ جميعِ ما أظهر مولانا جلّ ذكره مِن آياته، وبيانَ علاماته، لما حواه قرطاسٌ ولا كتبه قلم، كما قال في القرآن(١٥): «ولو انَّ مَا في الأرْضِ مِن شجرٍ أقلامٌ والبحرُ يمُدُّه ومِن بعدِه سبعةُ أبحُرٍ، لما نَفِدَتْ كلِماتُ اللّه». واللّه في هذا الموضع ناسوت مولانا سبحانه.

٧. سيرة الحاكم ومعنى أفعاله :

لكنّي أذكر لكم في هذه السيرة وجوهاً قليلةَ العدد، كثيرةَ المنفعة لمن تفكّر فيها، ووحّده وعبد مولانا سبحانه، وعزّ عن حكومة الأوهام سلطانه. فأوّل ما أختصِر في القول ما فعله المولى سبحانه مع بُرْجُوَان وابنِ عَمّار. وهو يومئذ ظاهرُ ما يرونه العامّةُ على قدر عقولهم، ويقولون: صبيُّ السنِّ ومَلكُ المشارقة كافّةً مع برجوان، وابنِ عمّار ملك المغاربة كافّة(١٦).

فأمَرَ مولانا سبحانه بقتلِهم، فقُتلوا قتْلَ الكلاب. ولم يخشَ من تشويش العساكر والاضطراب. وأمّا أمْرُ ملوكِ الأرض فما يستجري أحدٌ منهم على مثل ذلك. ثمّ أمر بقتل ملوك كتامة وجبابرتِها بلا خوفٍ من نسلهم وأصحابهم. ويمشي أنصاف الليالي في أوساط ذراريهم بلا سيفٍ ولا سكّين.

---

(١٥) سورة لقمان ٣١/ ٢٧ بتصرّف.

(١٦) أبو عمّار هو زعيم الكتاميّين. أسنَد إليه الحاكم الوسَاطة، فبالغ في حبّه للكتاميّين على حساب الأتراك. لذلك نافسَه برجوان الذي كان الأتراك يناصرونه. فعزل الحاكمُ أبا عمّار وقتلَه، وسلّم برجوان مكانه . ولمّا شعر بأنّ سلطته مسلوبة أيضاً مع برجوان عمل على التخلّص منه فقتلَه.

وقد شاهدْتموه في وقتِ أبي رَكوة الـوليد ابنِ هشام الملعون[١٧]، وقد أضرم نارَه، وكانتْ قلوبُ العساكر تجـزع في مضاجعهم ممّا رأوه من كسرِ الجيوش وقتلِ الرجال.

وكان المـولى جلّت قدرته يَخـرج أنصاف اللّيـالي إلى صحـراء الجبّ ويلتقي به حسّـان ابنُ عليّان الكلبي[١٨] في خمسِ مائةِ فـارس. ويقف معهم بلا سلاح ولا عدّة، حتى يسأل كلَّ واحدٍ منهما عن حاجته.

ثمّ إنّه يدخل في ظـاهر الأمر إلـى صحـراء الجبّ وليـس معـه غـيـرُ الركـابيّة والمؤذّنين. وكـذلك في وقت نفـاق مفـرّج ابن دغفل ابن جـرّاح[١٩] وإخـوته وأولاده، وبدر ابن ربيعـة[٢٠] وجـميع العـرب كـافّةً. وكـانوا أهلُ الحجاز مع سلطانهم حسين ابن جعفر الحسيني[٢١] الذي نافق بمكّة ومجيئه إلى الرملة[٢٢] واجتماعه مع ابن جرّاح وأولاده.

وما بالحـضرة أحدٌ من العسكريّة ولا من الرعـيّة إلاّ وهو كان يعتـقد في كلِّ يومٍ وليلةٍ بأنّ حسين ابن جعفر الحـسيني يجيء مع مفرّج ابن دغفل وأولاده ويكبـسون القـاهرة. وكـان المولى جلّ ذكـره يركبُ كلَّ يومٍ وليلةٍ، ويخرج في العتمة من القاهرة، ويدخل صحراءَ الجبّ ناحيةَ موضعٍ يزعمون

---

(١٧) لقّب بأبي ركـوة لأنّه كان يحـمل ركوة في سـفره. قاوم الحـاكم فقـتلَه. أصله من الملتثـمة وهم فرقة من بني أمـيّة التثموا بزيٍّ الـنساء وسافروا في بحـر صيدا إلى بلاد المغرب سنة ٣٩٥ هـ. ادّعى أبو ركوة الإمامة وتبعه خلقٌ كثـير فتتبّعه الحاكم، وقبض عليه، وأخرجه خارج القاهرة، ثمّ دقّ عنقه.

(١٨) أحد قوّاد عساكر كتامة الموجودين في مصر، قتله الحاكم مع أبي ركوة.

(١٩) اسم رجل من أكابر العرب الذي نافق على الحاكم.

(٢٠) من زعماء العرب المنافقين على الحاكم.

(٢١) سلطان اهل الحجاز وزعيم مكة نافق على الحاكم مع ابن جرّاح.

(٢٢) الرملة مدينة بالشام بالغرب من بيت المقدس.

العالمُ بأنّ مفرّج ابن جرّاح يجيء من ذلك الموضع. ولم يرجع الحسيني إلى مكّة حتّى وقعت العداوة بينه وبين ابن جرّاح. وأراد ابن جراح أن يقتله. ثمّ هلك بعد ذلك مفرّج ابن دغفل ابن جرّاح. وملوك الأرض كافّة قد عجزوا عن هذا.

ثمّ إنّ عجيب البرهان، وعظيم القدرة والسلطان، إنّكم ترون من أمور تحدث بما شاهدتموها من المولى سبحانه ما لا يجوز أن تكون من أفعال أحد من البشر، لا ناطق ولا أساس، ولا إمام ولا حجّة. فلم تزدادوا بذلك إلاّ عمىً وقلّةُ بصيرة. وذلك أنّ الشمسَ حارّةٌ يابسةٌ بالطبع لا بالتكليف. وهي من الجمادات التي لا عقل لها ولا تمييز. ومن طبعها تجفيفُ الأشياء وتغيير الألوان. ومن رسوم مولانا جلّ ذكره الركوبُ في الهاجرة، والمسيرُ في الرّمضاء وفي الشتاء. إذا كان يوم ريح جنوب صعب وغبار عظيم، يتأذّون الناسُ في بيوتهم من ذلك الريح والغبار.

ثمّ يركب المولى سبحانه في ظاهر الأمر إلى صحراء الجبّ، ويرجع وما في الموكبِ أحدٌ إلاّ وقد دمعتْ عيناه من الغبار والريح، وكلّتْ ألسنتُهم عن النطق الفصيح، ونالَهم من المشقّة والتعب ما لا يقدر عليه أحد. ومولانا سبحانه على حالته التي خرج بها من الحرم المقدّس. ولم يرَه أحدٌ قطّ في وقت الهاجرة الهائلة، والسموم القاتلة، قد اسودّ له وجه في ظاهر الأمر، ولا لحقه شيء من تعب. ولا يقدر أحدٌ منهم يقول بأنّه قد لحقه شيء من ذلك. بل إنّ وجوهَهم تسودّ، وتجفّ منهم الألسن، وتكاد نفوسُهم تبلغ التّراق مِن شدّة التعب والنّصب. ولا يقدر أحد منهم يقول بأنّه شرب ماءً ولا أكل طعاماً، ولا رآه أحدٌ عند بَول ولا غائط. حاشاه سبحاه من ذلك. ومع هذا فقد تَرَكَ خَلْقٌ كثيرٌ ممّن هو معه في المواكب وَكْدَهُم بالنظر إليه لمثلِ هذه الأمور فلم يرَوا منها شيئاً.

ولا يقدر أحد يقول ممّن حضر مع مـولانا سبحانَه في ظاهر الأمر في مواضع لا يحضـرها كلُّ الناس أنّه شاهده يفعل شيـئاً ممّا ذكرناه، من تعبٍ أو أكلٍ أو شرب. حـاشاه سبـحانه من ذلك وتعالى عـمّا يقولون المشـركون علوّا كبيراً. وهذا ما لا يقدر عليه أحد من الملوك ولا غيرهم.

وأيضاً ما يزعـمون المشركون به ممّا أوراهم من علّةِ جسـمه من حيث إعلال قلوبهم، وهو فـي ظاهر الأمر يركب في مِحَـفَّة[٢٣]، تحملهـا أربعةٌ من الأضداد المشـركين، وتشقّ به في أوساط المارقـين الناكثين والمنافـقين. وما مِن العساكـر قبيلةٌ إلاّ وقد قـتل ساداتهم والرعيّة كلّهـا أعداؤه في الدين، إلاّ شِرْذِمةٌ يسيرةٌ، موحِّدين له مؤمنين به، راضِيِين بقضائه.

ومن رسوم الملوكِ أنّهم لا يثقوا بأحـدٍ من عساكرهم، ولا من أولادهم، خوفـاً من غَدْرهم. فكيف مَن يزعمـون أنّه مريض، وليس يقـدر يمشي، وقد قتلَ جبابرةَ الأرض وملوكَها، ويمشي بينهم في مِحَفّة.

٨. خاتمة : هذه «السيرة المستقيمة» عبرة لمن يعتبر :

وهذا الذي ذكرته لكم في هذه السيـرة وأصناف هذه الأفعال ليس هي فعل أحد من البـشر. وما هو شيء يُستـعظم للمولى سبحـانه. وإنّما ذكرتُه لكم لتعـتبروا وتفـتكروا. وبيانُ هذه الأفعـال ليس هو فعل أحد من البـشر. وإنّما هو فعل أحد قادر على الأشياء كلِّها وخالِقِها، العالِمِ بما خفي، والحاكمِ على أهل الأرض والسماء؛ بل هو أجـلّ وأعظم سبحانه وتعالى عـمّا يقولون الملحدون، ويصفون المشركون علوّا كبـيراً. وفي أقلّ من هذا عبرة لمن اعتبر، وفكرة لمن تفكّر. ومن تركَ مـا كان عليه قديمـاً من دِين آبائه وأجداده واتّبَع السيرَةَ المستقيمة، التي مَن شـاهدَها عِياناً فقد نجا، وبلغ المنتهى، وصار من

---

(٢٣)المحفة هي مركب كالهودج لا تقبّب. يركبها الحاكم محمولا من أربعة.

الملائكة العليا. ومَن وقف عند النامـوس، وما شَرَعَاه العـجلُ والجاموس، لم يحصل له من الدِّين غيرُ الكُنَاسَه، ولم ينفعْه ناطقُه ولا أساسه، وأهلكَ روحه ونفسه وحواسّه.

فاسـمعوا معـاشرَ المؤمنين ما أمرتُـكم به، واستعمِلوا الصـدقَ وحفظَ الإخوان، وأمُـروا بالمعروف، وهو التوحـيد، وانْهوا عـن المنكر، وهو الشرك بمولانا جلّ ذكره، وَصِلُوا الأرحامَ الدينيّة، وغـضُّوا الطرْف واحفظوا الفرْج، وكونوا راضِيِين بأفـعال مولانا جلّ ذكره، وسلّموا أمـورَكم إليه تَسلموا من عذابِ الظاهر، وتَنجوا من شرك البـاطن، وتَنالوا المنزلةَ العليا. وإذا عبدتموه فَلأنفسِكم مهّدْتم، وإنْ كفرتم بلاهوته فعليكم الخزي والعذاب عاجلاً وآجلاً. ومولانا سبحانه ليس بظلاّم العبيد.

والحمد والشكر لمولانا وحدَه في السـرّاء والضرّاء، والشدّة والرخاء، وهو حسبنا ونعم المعين النصير.

وكان فراغ تأليف هذه السيرة بتأييد مولانا سبحانه وجلّت قدرته في جمادى الأوّل، الثاني من ظهور سنين عبـد مولانا جلّ ذكره، ومملوكه حمزة ابن علي ابن أحمد هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا جلّ ذكره وشدّة سلطانه، وهو نعم النصير المعين. والحمد والشكر لمولانا وحده.

تمّت.

١٣

ألموسومة بكشف الحقائق

من تاليف حمـزة سنة. تبينّ حدودَ دين التـوحيد الخـمسة وصــفاتهم ومميزاتهم عـمّا هم في الدعـوة الفاطمـيّة. وهم: ألعقل والنفـس والكلمة والسابق والتـالي. في الرسالة كلام على تجلّي الله في الحـاكم، وإظهار حقـيقة لاهوتـه. وفيهـا تفسيـر لحروفِ الأبجدية ورمـوزِها بما يوافق نظرية دعوة التّوحيد.

توكّلتُ على مـولانا البار الـعلاّم، مَن لا يدخل في الخـواطر والأوهام، ولا تحوط به الشهور والأعوام، المنزَّه عن الناطق والأســاس والإمام، حاكماً يُجَلّ وَصفُـه عن الحكّام. ألحمـدُ لمعنى المعانِي ربِّ المسـمَّى والاسم. والشكرُ للعليّ الأعلى خالق الروح والجسم. مبدعِ الآحاد والأزواج في القِدم، وباعثِ الأرزاق ومظهـرِ القِسَـم، ربِّ المشرقَين والمغـربَين، وإلهِ الأصلَين والفـرعَين، ومَن صُلِّيَ له إلى القِبلتَين، وأُخِذَت له الدعـوة في العالَمَين، ومَن أشارتْ إليه حدودُ الدعوتَين، وعبدوه جميعُ الموحِّـدين في الحالَتَين. سبحانه وتعالى عن تشبيه المخلوقَين والعبدَين علوًّا كبيراً.

إعلمـوا معـاشر الموحِّـدين، رحمكـم البارُ العـزيز الجبّـار بأنّ جمـيع المؤمنين والشيوخ المتقدِّمين[1] تحيّروا في أمر السابق وضدِّه، والتالي ونَدِّه.

---

(١) يعني شيوخ الفاطميين الذين فسّروا الدعوة الباطنية على غير ما فسّرها حمزة.

فبعضهم قالوا بأنّ السابق هو الغاية والنهاية والعبادة له وحده دون غيره في كلِّ عصر وزمان. وهذا نفسُ الكفر.

وقالت طائفةٌ منهم بأنّ السابق نور الباري لكنّه نورٌ لا تُدركه الأوهام والخواطر. وهذا نفس الشِّرك بأنْ يكون الباري سبحانه لا يُدرك، وعبدُه لا يدرك. فأين الفرق بينَ العبد والمعبود. وهذا محال ونفس الشرك والضلال.

وبعضهم قالوا إنّ الكلمة فوق السابق لكنّها هي هو، وهو هي، لا فرق بينهما. وهذا ما لا يليق في المعقول بأنْ يكون ذكَر أنثى، وأنثى ذكَر، أو يكون أميرٌ حاجباً أو حاجبٌ أميرً. أو يكون شمسٌ قمراً وقمرٌ شمسً. أو يكون ليلٌ نهارً أو نهارٌ ليلً. أو يكون سماءُ أرضً أو أرضٌ سماءَ. وهذا محال.

ثمّ إنّهم كلُّهم مجتمعون على أنّ السابق أصل السكونة والبرودة، والتالي أصل الحرارة والحركة. فجعلوا عالَمَ العدمِ، الذي لا يُرى، السابقَ؛ وعالمَ الوجودِ التالي. وهذا نقضٌ لقولهم بأنّ السابق هو المعبود. فكيف يكون ذلك جائزاً وقد جعلوا التالي العالَمَ الأكبرَ. بل يجب من حجّتهم واستشهادهم هذا بأنْ يكون التالي أفضلَ من السابق؛ لأنّ التالي صاحبُ الحرارة والحركة، وهو طبع الحياة والوجود؛ والسابق صاحبُ السكونة والبرودة، وهو طبع الموت والعدم. والحياة والوجود أفضلُ من الموت والعدم. وهذا ما لا يليق بالعقل بأنْ يكون المسبوق أفضل من السابق، أو المرزوق أفضل من الرازق، أو المفتوق أعلا من الفاتق. سبحانَ مولانا العليّ الأعلى وتعالى عمّا يصفون.

لكنهّم بحسب طاقتهم ومبلغ مادّتهم من الزمان تكلّموا. وعلى مقدار المكان والإمكان تعلّقوا ونطقوا.

والآن فقد دارتِ الأدوار، وظهر ما كان مخفيًا من مذهب الأبرار، وبَانَ للعالمين ما جعلوه تحتَ الجدار، وعادت الدائرة إلى نقطة البيكار، فألّفتُ هذا

الكتاب بتأييد مولانا البار، الحاكمِ القـهّار، العليّ الجبّار، سبحانه وتعالى عن مقالات الكفـار. وسمّيتُـه كَشْفَ الحقائق. وسنذكـر لكم فيه ما يوفّـقه البار سبحانه ويرزقني من تـأييده على مقدار ما أوجبه الزمـان، لا على مقدار ما تستحقـونه، ولا بعملٍ سبق لأحدٍ منكم تستوجبـونه. بل تفضّلٌ منه ورحمةٌ عليكم وإنجاز ما أوعدكم به على ألسن حدود دعوته، وعـبيدِ دولة وحدانيّتِه. فله الحمد والشكر وحده.

أقول بمشـيّة مولانا جلّ ذكره وتأييـده بأنّ الباري سبحـانه أظهر من نوره الشعشـعاني صورةً كاملة صافـية وهي الإرادة، وهو هيولا كلِّ شيء وبه تكوينهم لقـوله: «إنمّا أمـرُه إذا أرادَ شيـئـاً أنْ يَقولَ له كُنْ فـيكونُ»[٢]. وسمَّى تـلك الصورة عقـلاً، فكان العقل كـاملاً بالنور والـقوّة، تامًّا بالـفعل والصورة. قد اجتمعتْ فيه الطبائع الخـمسة وأحصى فيه جميعَ ما هو كائن إلى ما لا نهاية له.

وجـعله إمـامَ الأئمّـة مـوجوداً في كلِّ عـصـر وزمـان، وهو السـابق الحقيقي. وإنّمـا سمِّي سابقاً لأنّ خلقتَه وصورتَه سبـقت جميعَ الحدود إلى توحيد الباري سـبحانه وهو مدروك محسوس، يأكل ويشـرب، لا كما قالوا إنّه لا يُدرك بوهمٍ ولا بخـاطر. وكـان أوّل ما أبدعَـه العليُّ الأعلى سـبحـانه سمّاه علّةَ العِلل. فكان عقلاً كاملاً بالقـوّة، تامًّا بالفعل حليماً بالسكون قادراً بالحركـة، أصلَ نقطةِ البيكار، هيـولا الطبائع الخمـسة لطيفـاً شفّافـاً مدبّراً جمـيع العالمين والعـاليين.وجُعل فخـرُ العالمين وعزُّهم به فـي الدين والدنيا. وجَعل منازلَهم على مقدار ما يقتبسون من نوره، ويستقون من بحره العذْب الزلال.

---

(٢) سورة يس ٣٦ / ٨٢.

فقال مولانا العليُّ الأعلى سبحانه وتعالى لعلّةِ الإبداع، الذي هو العقل الكلّي: أَقْبِلْ. يعني أقبل على عبادتي وتوحيدي. فأقبلَ إليهما بالسمع والطاعة. وقال له: أَدْبِرْ. أي تولّى عن جميع مَن يُشرك بي غيري ويَعبُد سواي. فأدبر عنهما. فقال مولانا العليُّ الأعلى سبحانه وعزّتي وجلالي وارتفاعي في أعلا علوٍّ مكاني. لا دَخَلَ أحدٌ جنّتي، أي ميثاقِي إلاّ بِكَ وبمحبّتِكَ. ولا احتَرقَ بِنَاري، يَعني ظاهر الشرائعِ الناموسيّةِ التي هي الحرارة اليابسة، أحدٌ إلاَّ بتخلّفِهم عنك ونفاقهم عليك. مَن أطاعك فقد أطاعني. ومَن عصاك فقد عصاني. بك تُبْلَغُ المنازل العالية. وقد جعلتُكَ الوسيلةَ إلى رحمتي لجميع عبيدي وأهلِ طاعتي.

فلمّا سمع العقلُ ذلك من البارِ العليّ سبحانه، نظر إلى شخصه فرآه بلا نظير يشاكلُه، ولا ضدٌّ يُقاومه، ولا نَدّ يعادلُه، وإنّه يقوم في جميع الأدوار وحده بلا ضدّ. فأبدع مولانا العليُّ سبحانه من طاعته معصيةً، ومِن نوره ظلمةً، ومن تواضعه استكباراً، ومن حلمِه جهلاً. فصارت أربع طبائع مذمومة، بإزاء الأربع طبائع المحمودة التي هي العقل وطبائعُه، وهي: حرارة العقل، وقوّة النور، وسكون التواضع، وبرودة الحلم وليونة الهيولي الداخل في الطبائع الخارج منهم. فقام، بإزاء كلِّ آلة منها دينيّة، آلةٌ ضدّيّة معانِدةٌ للعقل عاصيةٌ لأمره ونهيه، يرَى روحَه مثلَه وشكلَه، وإنّ أبداعَه منه بغير واسطة بينهما(٣).

فعلم العقل أنّها محنة ابتلاه بها مبدعُه العليُّ الأعلى سبحانه حيث رأى روحَه بالكمال والقدرة. فأقرَّ عند ذلك بالعجز والضعف، واستغفر من ذنبه، وتضرّع إلى مولانا العليّ الأعلى، سبحانه وتعالى في معونتِه على الضدّ.

---

(٣) المقصود أنّ العقلَ نظر إلى نفسه فوجدَها تشابه العليّ الأعلى، ولا واسطة بينهما. فتكبّر وتجبّر، وشاءَ أن يكون مكانَ العليّ؛ فخلق له العليّ الضدَّ.

وقال : لاَ إله إلاّ مولانا أعني بذلك أنّه لا إله كامل بالقدرة والسلطان إلاّ العليّ الأعلى، إله الآلهـة تبارك وتعـالى الذي لا ضدّ له ولا ندّ ولا شـبه سـبحـانه وتعالى.

وسأله بأنْ يجعل لـه مُعيناً على الضدّ المخالِف، وخليـفةً ينوبُ عنه عند المؤالِف، ليستغنيَ به عن مخاطبةِ الضـدِّ ومشاكلةِ الندّ، فأبدع العليُّ سبحانه من ذلك الشوقِ والتـضرّعِ نفسَ الحدود، وجـعلَه ذَا مَصَّتِـه وتالياً لخدمـته، سامـعاً له مطيـعا لأمـره. وجعل له نصفَ الحـركة والفـعل. فصـار بمنزلة الأنثى، والعـقل بمنزلة الذّكَر. وبهـذا السبب جعـل للذكرِ مثلَ حـظِّ الأنثَيَين. وجميع الحدود أولادهما. فأراد بالذكر العقل، والأنثى هي النفس.

والكلمـة فوق السـابق الذي عـرفوه الشـيوخ، والـنفس فوق الكلمـة، والعقل فوق الكلّ، وهو روحـهم بالحقيقة، وهو الـسابق في القدم ونور في الظّلام.

وإنّما قـالوا الشيـوخ المتقـدّمون لرابعِ الحـدود سابق، لأنّه سـبَق إلى الشرائع الروحانيـة وأظهرها. ومِن ذلك قالوا لكلِّ ناطقٍ شـريعة، وإنّه يقوم مقام السـابق، أي تقوم الشريعة الناموسـيّة مقام الشريعـة الروحانيّة التي هي شريعة سابق الحدود السفليّة، وإلاّ فـالسابق الحقيقي هو العقل، سابقُ السوابق الروحانيّة والجسمانيّة الذي سبق خلقُه ونورُه كلَّ شيء.

وسنذكر لكم في غير هذا الكتاب أسمـاء مولانا سبحانه التي سمَّى بها ناسوتَـه وتظاهر به للعالم من وقت إبداعـه العقل الكليّ إلى حـين ظهور آدم الصـفاء وسـجـود الملائكة له، وهو تمام سـبـعين دوراً، بين كلِّ دور ودور سبعون أسبوعاً، بين كلِّ أسبوع وأسبوع سبعون عاماً. والعام ألفُ سنة ممّا تعدّون[٤].

---

(٤) يبلغ عـمر العـالم إذاً من نشأته حـتى دور العقل الذي ظهـر في آدم الصـفاء : ٣٤٣

وأذكـرُ إسمَ العـقل واسمَ الضـدِّ في كلِّ دورٍ منهـا، ومـا تسـمّـوا به أصحاب الأدوار كما قيل لأهل دورنا هذا أنس. ونشرح لكم فيه ما تحتاجون إليه إنْ شاء مولانا وبه التوفيق في جميع الأمور(٥).

ولكنّنا نذكر لكم في هذا الـكتاب الدّورَ الأوّل، وهو ظور العقل، لتَقـفوا على حقائقه، وتعتقدوا محضَ التوحيد، وتعلموا بأنّ مولانا سبحانه لا يُغَيِّب عن العالم نورَه وحـجابَه، وأنّ جميـعَ حدودِ دينه موجودون في كلِّ عـصرٍ وزمـان ودهر وأوان لمن طلب نجـاة روحِه، ولم يعـبـد العـدم، ولم يسجـد للأوثان والصنم.

ثمّ رجعنا إلى الضدّ الروحاني وظهـورِه مِن نور العقل الكليّ، وظهورِ النفس مِن بين نور العـقل وظلمة الضدّ. فـعلى مقدار مـا فيـه من نورِ العقل يَفهم منه كلامَـه ويستفيدُ مِن نظامِـه. وبمقدار ما فيه من ظلمـةِ الضدِّ يقدر على مكاسرة جنوده وشـيعته، ويعـرف مَكْرَه ودقائقَ حِيَلِه ومـداخَلَتَه، لأنّ الضدّ الـذي هو حارت لطيفٌ شـفّاف، تجـري قوّتُه مجـاري الدم، لأنّ بدؤَه وأصله من نور العقل. وهـو ظلمةٌ عند نور العقل، نورٌ عند غـيره، جسـمانيٌّ عند روحـانيّة العـقل، روحانيٌّ عند غـيره، كـثيـفٌ عند لطافة العـقل، لطيفٌ شفّاف عند كثافة العالمين.

ومثلُ العقل مثلُ نارٍ لطيف تطرحه في الحطب فيحرقُه ويعودُ النارُ إلى عنصره، ويصـير الحطب جمراً. فـالجمر كثيـف عند لطافة النار، لطيف عند كثافة الحطب؛ لأنّك إذا تركتَ الجمرَ ساعـةً واحدة أورَاكَ ظلمةَ الجسد وَكباءَ اللّون؛ حتّى إذا طرحتَ عليـه الحطب يرجِع يشتعلُ ويعـودُ كاللّون الأوّل، لا يقدر أحدٌ يطفيه إلاّ أن ينطفي وحده ويُطفيه بالماء العظيم.

مليون سنة.

(٥) لم يفِ حمزة بما وعد؛ فلن نجد رسـالةً من رسائله تتكلّم على جميع الأدواروالأكوار

وكذلك الضـدّ الروحاني لطيفٌ شفّـاف بسبب بدايته من العـقل، ظلمةٌ كثـيفٌ حيث عصـى أمْرَ العقلِ. فـإذا استولى على أفـئدة المؤمنين أفـسدَهم بلطافتِـه التي هي من بداية العقل كلطافةِ النـار المتمكِّن في الجمر. فـإن كان المسـتجيـب ضـعيـفاً بـلا قوّة، التي هي قـوّة العلم، لم يزل الضدّ يعـملُ في فساده كما يعملُ الجمرُ في الحطب حتى يصيّرَه مثلَه، ويصيرا جميعاً رَماداً لا يُنتفَع بهما. وإن كان المستجيبُ صحيحَ اليقين قويَّ الحجج في الدِّين أطفا نارَ الضدِّ بماء الحقائق، ولم يكن للضدّ عليه سبيلٌ بوجهٍ ولا بسببٍ.

فقام العقلُ مِن خلفِ الضدِّ، وقام النفسُ قدّامَه، فراغ الضدُّ عنهما يميناً وشمـالاً، فاحـتاجَ العقلُ إلى مُـعينٍ يكون له على يمينه، واحتـاج النفسُ إلى مُعينٍ يكون له على شماله لينحصرالضدُّ بينهم.

فانبعث من العقل الكلمةُ، ومن النفس السـابقُ. فقام الكلمةُ على اليمين، وقام السابقُ على الشمال. فحـار الضدُّ بين العقل والنفس والكلمة والسابق، فراغ الضدّ من تحتِهم، فسميّ حَـارَتْ عندما حار في نفسه. وسُمّي بعد ذلك إبليس لأنّ بدايتـه من العقل بغيـر مرادِه. بل ظهر منـه كرهاً، إذ ليس له أبٌ. لأنّ الابنَ لا يظـهـر من صلب الرجـل إلى بطن الامـرأة إلاّ بـإرادة الرجل وتحريكه. وإنْ كـان أيضاً ولداً دينيّـا لا يظهر إلاّ بالدّاعي وتحريـكه. فلمّا لم يكن للعقل في تكوينه إرادةٌ دينيّة ولا شهوةٌ طبـيعيّة، قيل إنّه بلا أب، أي ولد زنا، ضدّ[٦]؛ لأنّ ولد الزنا ضدّ أولاد الحلال وعدوّهم. وكذلك أولاد الزنا ضدّ أولاد الحلال وهم الموحـدون الذين هم أولاد العقـل والنفس. وقد شـهـد لهم جعفـر ابن محمّـد وقال: ألمؤمن أخو المؤمن، مِن أمِّه وأبيـه. أبوهما النّور أي العقل، وأمّهما الرحمة أي النفس.

وظهورات العقل وسائر الحدود. وقد يكون فعل، ولكن لم يصلْ إلينا منه شيء.

(٦) قـد يكون المقـصـود «إبليس» ولـيس العقل. لأنّ إبلـيس هو مَن «ليس له أب»، أي إبن

وقد ذكرنا لكم في «السِّيرة المستقيمة» بأنّ آدم الصفا هو العقل، وكان اسمُه شطنيل، واسم إبليس حارتْ. وإنّما ذكرناهما في وقتِ ظهور الصورة البشريّة، وهو تمام سبعين دورا. وكذلك قلنا **حارت** أربعة أحرف: **ح** ثمانية، **ا** واحد، **رت** ستّمائة ساقط. يَبقى من جملة الاسم تسعة. و**التسعة**، إذا كتبتها كانت أربعة أحرف: ت س ع ة. والأسمين **حارت** و **إبليس**، إذا حسبتهما يبقى منهما أربعة أحرف ، لأنّ بقيّة اسم حارت تسعة، وبقيّة اسم إبليس سبعة. تسقط اثنعشر يبقى أربعة أحرف سوا.

فقد حسبنا اسمَه بالطول والعرض ومزدوجاً وفرد، فوجدناه أربعة أحرف، ووجدنا التاء التي في آخر إسم حارت أوّل حروف التسعة. دليل على ناموس الناطق وزخزرفه في كلِّ عصر وزمان، وأنّ أوّل النطقاء هو آخرهم. وإنما يتصوّر في الأقمصة بالتكرار كما أنّ الوليّ قائم في كلِّ عصر وزمان.

فبهذا السبب، أهلُ الشرائِعِ يرَون محبّةَ الأعداءِ كافّةً، ولا يرَون مَحبّةَ رجلٍ موحِّد. ولا يكون في الحجّة أوضح من هذا ولا أبين منه.

ثمّ رجعنا إلى الـ **عقل**، فوجدناه ثلثة أحرف، والـ **نفس** ثلثة أحرف. لكنّهما يفترقان في حساب الجمّل الكبير. وكذلك جهّال الشيعة ينظرون إلى العقل والنفس بعين الدعوة لا غير. وهما يتفاضلان في المنزلة، لأنّ العقل هو الذّكر والنفس بمنزلة الأنثى. والذكَر هو المفيد والأنثى هو المستفيد. والعقل، إذا حسبناه في حساب الجمّل الكبير، وجدناه مائتَين، والنفس مائة وثلاثين. فوجدنا اسم العقل زائداً عن اسم النفس سبعين درجة[٧]. وهم حدود الإمامة والتوحيد.

زنا، لا العقل، كما هو في النصّ.

(٧) في الحقيقة النفس تساوي : ن = ٥٠، ف = ٨٠، س = ٧٠. فيكون المجموع = ٢٠٠

وأنا أعدّهم لكم بمشـيّة مولانا سبـحانه حتى لا تُشركـونَ به أحداً مِن خلقه.

فأوّلهم النفس واثـنعشر حـجة له في الجزائر وسـبعة دعـاة للأقاليم السبعة. كما قال عليها تسعة عشر.

والكلمة واثنعـشر حجـة لا غير وسـبعة دعـاة للأقاليم السبـعة، لأنّ الكلمة نظير النفس.

والسابق واثنعشر حجّة لا غير.

والتالي واثنعشر حجّة لا غير، لأنّ له مثل ما للسابق.

والداعي المطلق وله مأذون ومكاسِران.

فصـاروا الجمـيع سبعـين حدًا. منهم تفـرّعت جمُيع الحـدود العلويّة والسـفليـة. وهم كلّهم مِن قِـبَل العـقل، وهو الإمـام المؤيّدُ من قِـبَلِ مـولانا سبحانه وتعالى. يُسقِـط منهم مَن يريد ويَرفع درجةً من يريد بتأييد مولانا العليّ الأعلى سبحـانه وإرادته. كما قال في القرآن: «إنّما أمْـرُهُ إذا أرادَ شَيئاً أنْ يقـولَ له كُنْ فـيَكونُ. فـسـبـحـانَ الذي بيـدِه ملكـوتُ كلِّ شيءٍ وإليـه تُرجَعون»[٨].

فهـؤلاء الحدود السبـعون التي ذكرناهم هم أَذْرُعُ الـسلسلة الذي قال في القرآن[٩]: «خُـذُوهُ فَغُلُّوهُ»، أي ضـدّ الإمام إذا بلـغ غايتَـه وتمّت نظرته، خذوه بالحجج العقلية، وغُلّوه بالعهد، وهو الذبح الذي قالوا بأنّ القائم يَذبَح إبليسَ الأبالســة. «ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ»، أي غوامض علوم قائـم الزمان الذي تتجحّم العلـماء والفهماء عند علمـه، أي يصمتوا ويتحـيّروا. «ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَـا سَبْعُـونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ» أي مـيثاق قائم الـزمان الذي هو سلسلة

. ولكي يصبح ١٣٠ علينا أن نسقط س، أي ٧٠!!

(٨) سورة يس ٣٦/ ٨٣.

بعضها في بعض، وهم سبعون رجلاً في دعوة التوحيد. «إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ»، أي الضدّ الروحاني، ما كان يقرّ بإمامة شطنيل وفضيلته.

فمثّل حدودَ قائم الزمان التوحيدية بالسلسلة لأنّ دعوتهم منتظمة بعضها ببعض. والسلسلة، إذا حرّكها الإنسان من أوّلها تحرّكَ وسطُها وآخرُها؛ وإذا حرّكها من آخرها تحرّك وسطها وأوّلها؛ وإذا حرّكها من وسطها تحرّكا طرفَيها. وكذلك المستجيب، إذا دخل في التوحيد علي يد المأذون، يقوم ذلك مقام مَن دخل على يد الحجّة؛ لأنّهم كلُّهم يدعون إلى شيء واحد، هو توحيد مولانا العليّ الأعلى وعبادته سبحانه وتعالى عمّا يَصفون.

ثمّ إنّ جميع أهل الظاهر من جميع أهل الشرائع يروُون في أخبارهم بأنْ كانتِ السلسلة معلّقةً من السماء إلى مسجد بيت المقدس؛ وإذا كان بين خصمين حكومة أتيَا إلى السلسلة، ورام الجاحد التعلّق بهال. فإنْ كان سادقاً في قوله، دنتِ السلسلةُ إليه، وإنْ كان كاذباً تباعدتِ السلسلة عنه. فلم تزل هكذا حتّى احتال رجل على رجل وتعلّق بها، فارتفعتِ السلسلةُ مِن وقتها وساعتها إلى السماء. ولم يرَوها بعد ذلك الوقت. فهم يروُون ظاهرَها ولم يعرفوا معانيها، ولم يسألوا أرباب الحقائق عنها، فضلّوا الطريق، وعميت بصائرهم عن النور الحقيق، فعاشوا وهم أموات، واجتمعوا وهم أشتات. خسروا الظاهر والباطن ولم يصلوا إلى مكنون السرائر. ذلك هو الخسران المبين. فيه يذهب قولهم.

إعلموا هداكم المولى إليه بانّ السماء الحقيقية هو العقل، والأرض هي النفس. والسلسلة هو علم العقل، والإفادة للنفس على الدوام والظهور، واليد هاهنا هو الدّاعي. والخصمَين هما المستجيب وضدّه. فبَانُوا الموحدون من المشركين بعلم الإمام وإشاراته وعلاماته. فمَن ادّعى أنّه مستجيب طالبوه بمعرفة الحدود وعلومهم. فمَن شهد له داعيه أنّه عالم حفّظوه وأوصلوه إلى

غوامض العلوم. فلم يزل الأمر هكذا إلى أنِ احتال رجلٌ منافق واتّصل على يد الداعي وعرف جميع الحدود وعلومَهم. ثمّ رجَع إلى نفاقه وكفره، وتبيّن للمستجيبين زيغه ومكْره. فرفع العقل علمَه إليه، وستره عن جميع المنافقين عليه.

فهذه السلسلة الحقيقية ومعانيها، لا كما ذكروه الجهّالُ الحشويّة. ولو كان كما قالوا أهلُ الظاهر لم يكن قولهم حكمة، لأنّ من كان في غلٍّ، وهو في جهنم وعليه متوكّلون الزبانية، لا يحتاج إلى سلسلةٍ لأنّه لا يستطيع الخروج من النار ولو كان مسبيًا فكيف وقد غَلُّوه!

فإنْ قالوا بأنّ اللّه أراد بالسلسلة تهديد أهل النار والتعظيم عليهم فقد بطلتْ حجّتُهم هاهنا، لأنّه قال سبعون ذراعاً. ولو كان بسبب التعظيم لكان يجب أنْ يقول ألْفَ ذراع. فلمّا لم يذكر غيرَ سبعين ذراعاً، علمْنا أنّه أراد بذلك أشخاصاً معروفة دينيّة توحيديّة، لا يجوز لأحدٍ أن يتجاوز حدَّهم ولا يَزيد فيهم ولا ينقص منهم. وهم سبعون سوا.

ثمّ رجعنا إلى كلام العقل وبدايته، لأنّ مولانا العليّ الأعلى البار سبحانه أبدع العقل ، وهو الإمام.

ولم يكن سماءٌ نطقيّةٌ ولا سماءٌ أستقصيِّيّةٌ
ولا أرضٌ نفسيّةٌ ولا أرضٌ طبيعيّةٌ
ولا عرشٌ نورانيّة ولا عرش جسمانيّةٌ
ولا كرسيٌّ توحيديّة ولا كرسيٌّ للملك مبنيّة
ولا ملائكة في الدعوة علويّة ولا ملائكة بالوهم وصفيّة
ولا لوح للحفظ كلّيّة ولا لوح من الأشجار صُنعيّة
ولا قلم بقدرة الجبّار مَجريّة ولا قلم بيد المخلوقين مبريّة
ولا شمس من الأفلاك دينيّة ولا شمس من الطبائع كونيّة

ولا قــمــر زاهــر حقيقيّة ولا قـمر طـالـع هــلالــيــّة
ولا كواكبٌ للعالمين مـهديّـةٌ ولا كـواكـب في الـجـوّ ناريّـة
ولا جــبال سائرات سَحبيّة ولا جـباب جامدات أرضـيــّة
ولا بــحــار بالعلوم ممليّة ولا بحــار زاخـرات طـبيعيّة
ولا جــنّــة بالعهود مرضـيّة ولا جنـّة لـلنـاظرين مرئـيــّة
ولا نار نورها في القلوب عقليّة ولا نار نورها في الأمّهات جزؤيّة
ولا أرواح في القِدَم أزلـــيّة ولا أرواح في العالمين غريزيّة.

فلم يكن عند ظهوره أيّامٌ ولا أنام، ولا شهور ولا أعوام، ولا ناقص ولا تمام، ولا حواس ولا أوهام، ولا زمـان ولا مكان، ولا دهر ولا أوان، ولا ليل ولا نهار، ولا غامـر ولا عمار، ولا بحار ولا قفار، ولا فلك دوّار، غـير مولانا البار العليّ الجبّار. سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

مَعَمَا أني أقول بتوفـيق مولانا سبـحانه وتأيده إنّ المولى سبـحانه لا يدخل تحت الأسمـاء والصفـات واللّغات. ولا أقـوال بأنّه قديم ولا أزل، لأنّ القديم والأزل مخلوقَين جمـيعاً، والبار العليّ جلّ ذكره خالقهـما ومكوّنهما. حقيقيّةُ لاهوتِه لا تدرك بالأوهام والحواس، ولا تُعرف بالرأي والقياس، ولا له مكان معروف فـيكون محصوراً فيه وتخلـوا باقيةُ الأمكنة منه، ولا يخلو منه مكانٌ فـيكون عاجـزَ القدرة، ولا هو بأوّل فـيحـتاج إلى آخِـر، ولا بآخِر فيكون له أوّل، ولا بظاهر فيحتاج إلى باطن حتـماً، ولا بباطن فيكون يستتر بظاهر جزماً، لأنّ كلّ اسم منها يحتاج إلى شكله ضرورة.

ولا أقول أيضاً بأنّ له نفساً ولا روحـاً، فيكون يشبه المخلوقين، ويدخل تحت الزيادة والنقصـان. ولا أقول إنّ له شخـصاً ولا جسـماً وشبـحاً، ولا صورةً ولا جواهراً ولا عـرضاً، لأنّ كلّ اسم منها لا بدّ له ضـرورة من شبه ستٍّ حدود، وهـي: فوق وتحت ويمين وشمـال وخلف وقدّام. وكلُّ مـا يقع عليه اسمُ الشبه يحتاج إلى شبهه. وهذه الستّة محتاجة إلى ستّة. وهكذا إلى

ما لا نهـاية له في العـدد. والبار العليّ سـبحانه يُجـلّ عن الأعداد والأزواج والأفراد.

ولا أقـول إنّه شيء فـيـقع به الهـلاك. ولا أقـول إنّه لا شيء فـيكون معدومـاً مفقوداً. ولا هـو على شيء فيكون محمـولا عليه. ولا هو في شيء فيكون مـحاطاً به. ولا متـعلّق بشيء فيكون قـد التجأ إليـه. ولا هو قائم ولا جالس ولا نائم ولا ساهر. ولا له شبه ولا ذاهب ولا جآي ولا مارّ. ولا لطيف ولا كثيف، ولا قويّ ولا ضعيف. بل مولانا سـبحانه منزّه عن جميع الأسماء والصفات والأجناس واللغات والأشياء كلّها.

بل أقول ضـرورة لا حقيـقة بأنّه سبحـانه باري كلّ شيء ومكوّن كلّ شيء ومصـوّرهم. مِن نوره أبدع الأشـياء الكليّـة والجزؤيّة، وإلى عظمـته وسلطانه يعـود كلُّ شيء. حـقيـقيّـة لاهوته لا تُدرك إلاّ صـورة وهميّـة، لا حقيقيّة مرئيّة.

لكنّه سبـحانه أظهر لنا حجـابَه الذي هو محتـجِب فيه، ومقـامَه الذي يَنطق منه ليُعبَـد موجوداً ظاهراً، رحمةً منه لهم، ورأفةً عليـهم. والعبادة في كلّ عصرٍ وزمـان لذلك المقام الذي نَراه ونُشاهده. ونسمع كلامَـه ونُخاطبه. فإنْ قال قائل كـيف يجوز أن نَسمع كلام الباري سبـحانه مِن بشر، أو نَرى حقـيقيّتَـه في الصُّوَر، قلنا له بتوفـيق مولانا جلّ ذكره وتأييده: أنتم جـميعَ المسلمين واليهود والنصارى تعتـقدون بأنّ اللّه عزّ وجلّ خاطَب موسى ابنَ عمران من شجرةٍ يابسة، وخاطبه من جبل جامد أصمّ، وسمّيتموه كليمَ اللّه لِمَا كان يسمع منَ الشجرة والجبل. ولم يُنكر بعضُكم على بعض.

وأنتم تقـولون بأنّ مـولانا جلّ ذكـره ملكٌ من ملوك الأرض وَمن وُلّي على عددِ رجالٍ كان له عقلُ الكلّ. ومولانا جلّ ذكره يملك أربابَ ألوف كثيرة ما لا يحـصى. ولا تقاس فضـيلتُه بفضـيلة شجرةٍ أو حـجر. وهو أحقُّ بأن

ينطق الباري سبحانه على لسانِه، ويُظهر للعالمين قدرتَه منه، ويحتجب عنهم فيه. فإذا سمعنا كلام مولانا جلّ ذكره قلنا: قال الباري سبحانه كذا وكذا. لا كما كان موسى يسمع من الشجرة هفيفاً، فيقول سمعتُ من اللّه كذا وكذا. وهذه حجّة عقليّة لا يقدر أحدُكم يُنكرها.

وقد اجتمع في القول بأنّ لمولانا جلّ ذكره عقولَ الأمّة، وأنّ الشجرة والحجر لا تفهم وتعقل عن اللّه. ومَن يفهم ويعقل عن اللّه أحقٌّ بكلام اللّه وفعلِه ممّن لا يعقل عنه. وإنْ كانت الشجرة حجابَه فالذي يعقل ويفهم أحقٌّ أن يكون حجابَ اللّه ممّن لا يعقل ولا يفهم. وكيف يجوز للباري سبحانه أنْ يحتجبَ في شجرة ويخاطبَ كليمَه منها، ثمّ تُحرق الشجرة ويتلاشا حجابُه! سبحان الإله المعبود، وتعالى عمّا يصفون المشركون. لا يُدرك ولا يوصف مولانا الحاكم جلّ ذكره وحجابُه في كلِّ عصرٍ وزمان باختلافِ الصُّوَر والأسماء.

كما نطق القرآن: «كُلُّ يَومٍ هُوَ فِي شَان. لا يُشْغلُه شانٌ عن شان. وَهُوَ القادِرُ القهّارُ العليُّ العَظيم»[١٠].

ثمّ إنّي أقول بتأييد مولانا سبحانه بأنّ **اللّه** الذي يتصوّر من الكاتب بالقلم في اللّوح، هو مخلوق غير خالق، لأنّ اللّه لا يتصوّر في شيء إلاّ بأربع آلات: دواة ومداد وقلم وقرطاس. وخامسهم الكاتب. واللّه أربعةُ أحرف. فإذا تَهَجَّيْتَ حروفَه وجدتَها أحدَ عشَر حرفا : **ألف** ثلاثة، **لامَين** ستّة، **ها** حرفَين. والكاتب تمام الإثنعشر حرفاً.

والكاتبُ لا يَكتبُ اللّهَ إلاّ بعد أن يَكمُلَ له عقلٌ، وتمييزٌ، وحواسٌ، وخمسُ أصابع يكتب بها، ودواةٌ، ومدادٌ، وقلمٌ، وقرطاسٌ، وأربعُ طبائع الأمّهات التي تتكوّن الأشياء منها، وهيولا الطبائع الذي هو داخل فيهم

---

(٩) سورة الحاقة ٦٩/ ٣٠-٣٣.

خارج منهم بغير تجسيد. فذلك تسـعة وعشرون آلة مِن قَبْلُ أن يتصوّر الله في اللّوح. والألِف الذي في اللاّم خفيٌّ فـيه وثمانية وعشـرون حرفاً ظاهرة وهم حروف المعجم.

كما قال إنّ ثمانية وعشرون آلة ظاهرة غير العقل الذي عجزوا العالمين عنه.

والألِف والباء والتّاء والثّاء يتشابهون بعضـهم ببعض، غير أنَّ الألف يُكتب بالطول، والبـاء والتاء والثاء تُكـتب بالعَرض. **فالألف** دليلٌ على العقل وهو الإمام، والألف قـائم بلا نقطة فوقَـه ولا علامة تحـته. **والباء** دليلٌ على النفس، وهي الحجة وتحتَه نقطة واحـدة، لأنّ بينه وبين العقل حدّاً واحداً هو الضدّ الروحاني، فصارت نقطة البـاء من تحت حيث عصَى الضدُّ أمْرَ باريه، ونافقَ على إمامـه وهادِيه. ولو كان الضدُّ طائعاً لكانت نقطة الـباء مِن فوق. فلمّا سبـق الضدُّ صار حزبُه أكثـر من حزبِ النفس. **والتاء** دليل على الكلمة وفـوقهـا نقطتَين دليل على الحـدَّين اللّذَين فوقـه. **والثّاء** دليل علـى الجناح الأيمن وهو السابق رابع الحدود. ونقطه دليل على الثلاث حدود الذين فوقه في المرتبة .

وكتبتـهم بالعرض دليل على طاعتهم للإمام الذي هو العـقل وقبولهم منه. والثـلاثة الذين فوق السـابق لهم أسمـاء كثـيرة يقـولوها العامّـةُ ولم يعرفـوا معـانيهـا، مثل القـدر والقدير والقـدرة، والإرادة والمشيّة والكـلمة، والعـزّة والسلطان والعظمة. وجـميع الشـيوخ المتـقدّمين لم يـعرفـوا فوق السـابق غيـر الكلمـة. وقالوا بأنّهـا هي هو، وهو هي، كـما ذكـرناه في أوّل الكتاب. أسأل المولى جلّ ذكره أن لا يؤاخذهم بما قـصّروا عن بيان الحقائق. وأسأله التمام بفضله ورحمته.

ثمّ نرجِع إلى الحروف ومعانيها على الترتيب:

---

(١٠) سورة الرحمن ٥٥/ ٢٩.

فالجيم والحاء والخاء في الصورة شيء واحد، لكن بينهم فرق كثير في الحقيقة. لأنّ **الجيم** دليل على شريعة الناطق الظاهرة. والنقطة التي تحتها دليل على شريعة الأساس التي هي تحت الظاهر مستورة فيه.

و**الخاء** دليل على شريعة الأساس وهو التأويل. والنقطة التي فوقها دليل على شريعة الناطق التي هي عالية على شريعة الأساس. والجيم والخاء هما يمين وشمال كما قال في المجلّس: اليمين والشمال مضلّتان والنجاة فهي المحجّة الوسطى.

و**الحاء** دليل على شريعة قائم الزمان وهي شريعة روحانية بغير تكليف. وحجة قائم الزمان تنطق وتقوم بالشريعة قبل ظهور القائم. وحروف اسم حجته في وقت ظهوره ثلاثة أحرف. واسم قائم الزمان أربعة أحرف. وأوّل الإسمين: **ح** فسمّي إبليس حارت لانه تحيّر في الحايَين اللّذين هما حرفين قائم الزمان وحجّته. وسمّي أيضا حارت، لأنّه تشبّه بقائم الزمان وحجّته وادّعا منزلتهما. والجيم سمّي جيما لأنّه جمَع نواميسَ النطقاء وزخرفهم أجمعين. وسمّي خاء لأنّه خليفة الناطق وحليفه. وسمّي حاء لأنّه احتوى على علم الجيم والخاء اللذين هما الناطق والأساس. والحاء في حساب الجمّل ثمانية. وكذلك قائم الزمان احتوى على علم الثمانية الذين هم حملَة العرش. كما قال: «وَيَحملُ عرشَ ربِّكَ يَومئذٍ ثَمَانية»[11]، وهو توحيد مولانا العلي الأعلى سبحانه وعبادته.

كذلك **الميم والواو والرّاء والزّاي والنّون** شيء واحد. وهذه صورتهم عند نزولهم: **مـ و ر ز ن** لكن **الميم** شكْلته من خلفه مدوّرة، و**الواو** شكلته من قدّامه. وهذه صورتهما: مـ و. و**النون** يبقى على حاله لكن فوقه نقطة. والميم

(١١) سورة الحاقة ٦٩/١٧.

دليل على محـمّد، والواو دليل وصيّـه وشكلتيهـما دليل على شريعـتَيهـما. وشكلة الميم مِن خـلفه مـدوّرة كـذلك شـريعة الناطـق ظاهرة. وشكلة الواو قدّامه كـذلك شريعة الأساس باطنة. ولـولا الشكلتان اللذان على الميم والواو لما كانا يعرفان، وكذلك محـمّد وعلي، لولا ظاهر الشريعة وباطن التأويل، لما كـان يقع عليهـمـا اسم الناطق والأسـاس. والنون دليل على شـريعة قـائم الزمان، ليس لهـا ظاهر ولا باطن. والنقطة التي فوقها دليل علـى ظهور قائم الزمان بالقوّة والسيف.

والهاء دليل على اسم الهادي. والهاء تكتب في آخـر حروف اللّه، كذلك الهادى ظـهر في آخر الأدوار وتمامـها. والألف دليل علـى ظهوره بالتـأييد والسيف، لأنّ الالف دليل على العقل، واللاّم دليل على النفس.

والياء لدليل على اسـتـجابة العـالمين. والهـاء دليل على اسم الهـادي. ويعبدون مولانا الحاكم سبحانه وينادونه: يا إله الأوّلين والآخِرين.

فعند ذلك يصير العــالم بسيطاً روحانيًا، والمذهب لاهوتيًا شعـشعانيًا. وجميع مَن ذكـرتُهم عبيدٌ لمولانا الحاكم جلّ ذكره، وهو المعـبود الموجود، لا يوصف باللّسان، ولا يُدرك بالجنان، الواحد الأحد لا كـالآحاد، الفرد الصّمد لا كالأفراد، مبدئ كلّ شيء ومعيد كلّ شيء. سـبحانه وتعالى عمّا يصفون. والحمد لمولانا وحدَه. وهو حسبنا ونعم المعين النصير.

وكتب في شـهر رمضان. ألثـاني من سنين هادي المستجيـبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا وحده وشدّة سلطانه.

تمّت الرسالة بحمد مولانا ومنّه،

١٤

ألرِّسالة الموسومة بسبب الأسباب والكنز لمن أيقن واستجاب

مِن وضع حمزة ومن دون تارخ. فيها كلام على الدّعاة ومراتبهم، وفيها رسالة حمزة إلى الناس مِن قبل أن يكون العالم. فهو نفسُه سببُ الأسباب وعلّةُ العلل، فيما المولى تعالى هو مُسبِّبُ سببِ الأسباب، ومُعِلُّ علّةِ العِلل. به أوجدَ اللّهُ كلَّ شيء ، ومنه فاضَ كلُّ موجود. وفي الرسالة أيضاً أجوبةٌ على أسئلةٍ تخصُّ وضع حمزة، وتشرح مضمونَ دعوته. وفيها أخيراً تفسيرٌ وتأويلٌ توحيديٌّ للبسملة: «بسم اللّه الرحمن الرحيم».

توكّلتُ على مولانا البار العلاّم، العليّ الأعلى حاكم الحكّام، مَن لا يدخل في الخواطر والأوهام، جلّ ذكره عن وصف الواصفين وإدراك الأنام، حدود دعوته حروف بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم. ألحمد لمولانا الذي ليس له في السماء نظير، ولا في الأرض من هو به خبير، ولا له مشير، ولا في العالمين له قهير، ولا في العظمة من هو عليه قدير.

أبدَعَ مِن نوره الشعشعاني الكاملِ العقلَ الكليّ، وأبدعَ مِن نور العقلِ النفسَ الحقيقي، وأبدَعَ من نور النفسِ الكلمةَ، وأبدعَ من نور الكلمة السابقَ، وأبدع من نور السابق التالي، وأبدعَ من نور التالي الأرضَ وما عليها، والأفلاك الدائرات، والبروج الإثنعشر، والطبائع الأربعة، والهيولى الذي هو الطبع الخامس.

فجميعُ ما في الخلق الذي يسمّونه العامّةُ سماء، هم الأفلاك يَخدمون الأرض وما عليها بسبب النور الذي فيها، وإظهار ناسوت مولانا العليّ الأعلى منها، ومعجزات لاهوته عليها. وهو المنزّه عن الصفات واللّغات. سبحانه وتعالى عمّا يصفون علوًا كبيراً.

أمّا بعد فقد وَصَلَنَا أيّها الأخ الشّفيق، ما كتبتَه من لدُنّا في طلب العلم الحقيق، وما يتقوّله الفاسقُ الفسيق. وليس علم التوحيد، كعلم الفلاسفة والتلحيد، ولا كما رتّبوه الدُّعاة والعبيد، ولا الدرّة اليتيمة كالحجر الجلميد، ولا الأحَدانيّة كالواحد المفيد، ولا العالُّ الذي لا يُدرَك كعلَّةِ علمٍ تعادلا، بل الحقائق تأييدٌ من المعلِّ الأزَلِ إلى عبده علَّةِ العِلل، والمعلُّ هو الأحد، والعلّة هو الواحد الذي يُفيد جميعَ العالمين. وهم الدعاة والمأذونين ،والمكاسِرين والمستجيبين بعلمه، وبما أيّده المولى سبحانه من رحمته وحكمته، وهو الواحد في كلِّ عصر وزمان، الذي هو العلّة معلِّمُ العالمين ومؤدِّبُهم.

وسائر الناس بمنزلة الصبيان الذين في المكتب، وما منهم صبيٌّ إلاّ ويجب عليه طاعةُ أبيه أكثر من طاعة المعلِّم، وهو يحبّه أكثر منه، لكنّه يفزعُ من المعلم أكثر من أبيه، لأنّ الأبَ قد فوّض أمرَه إلى معلّمه، ونزّه روحَه عن مخاطبة ولده. فالأمر الحقيقي الكلّي للأب. ولكن المعلّمُ الذي يضربُه ويعلّمه الخيرَ وينهاه عن الشرّ. فمعلّم الكتّاب علّةُ الصبيان وعذابُهم ورحمتُهم، يضربُ مَن يشاء منهم ويُحسن إلى مَن يشاء منهم. غيرَ أنَّ ليسَ للمعلّم أن يَعمل مع الصبيِّ أربعَ خصالٍ مذمومةٍ: لا يَسُبُّه بالفاحشة، ولا يضربُه ضرباً يكسر له عضوًا، ولا يَفسق به، ولا يقتله. فمتى فعل خصلة من الأربع خصال كان الأبُ خصمَه.

وللمعلم أن يعتذر إذا جرى منه هفوٌ في السبِّ، ولا يعود إليه، وله أيضاً أن يعتذر إذا غلّظ في الشرب، وإنْ كسر للصبيِّ عضواً يجبر ذلك

العضو، ويُنفق على الصبيّ من ماله إلى أن يبرأ. وليس للمعلّم أن يعتذر من فسقه بالصبي، ولا يحتجّ إذا قتله إلاّ أن يُريدَ أبوه يعفو عنه بفضله.

كذلك إمام الزمان، وهو عبد مولانا جلّ ذكره، وهو مؤدّب العالَم ومربيّهم بالعلم الحقيقي، قد فوّض المولى سبحانه جميعَ أمورِ عبيدِه الدينيّة إليه، وجعلَه علّةً لهم، وبه ثوابُهم وعقابهم. والمولى سبحانه المعبود الموجود لكنّه منزَّه عن المشاكلة والمشافهة والمخاطبة، وعن التربيّة والإفادة. فجميعُ أمور الدعاة والمأذونين والمكاسرين والمستجيبين راجعةٌ إلى الإمام في كلّ عصر وزمان. يعزلُ منهم مَن يُريد، وينصب مَن يُريد، ويُعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه من العلم الحقيقي، بمقدار ما يوفّقه المولى سبحانه.

وليس له أنْ يدلّس على المستجيب دينَه ويَستره عنه، وإنْ دلّس عليه وستَره عنه ضرورةً فيكشفَ له وقتاً آخَرَ، ويبلّغَه الغاية والنهاية. وليس له أيضاً أن يردَّ أمرَه وتربيتَه إلى داعٍ مقصِّرٍ فيكسر عضوَه، فإن فعل ذلك مِن قبل أنْ يكشفَ أمْرَ ذلك الدّاعي، ثمّ بَانَ له تقصيرُ ذلك الدّاعي فله أنْ يعزلَ الدّاعي وينصب غيرَه، حتّى يجبر كسْرَ المستجيب. وليس له أن يدعوه إلى نفسِه في العبادة، وهو بمنزلة الفسق بالصّبي، وليس له منه توبة. وليس له أنْ يحيد بالمستجيب إلى عبادة أحدٍ من المخلوقين، ولا يدعوه إلى توحيد أحدٍ من العالمين، وهو القتل بالحقيقة، وليس له منه توبة إلاّ أن يشاءَ مولانا جلّ ذكره.

والإمام هو الأمير، وسائر الحدود بمنزلة العسكريّة، والمستجيبين بمنزلة الرعيّة. وفُرِضَت طاعتُه عليهم ووجبتْ حيثُ جعلَه المولى سبحانه قِبلةً لهم وإماماً حتّى يَصلون به إلى معرفة باري البرايا معلِّ الكلِّ، ومبدِعِهم، سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

وَفَهِمتُ ما ذكرتَهُ عن نفسكَ بأنّك تُريد جَمَالي بخاصّةٍ جَمَالِ الخدمةِ وإصلاح المنطق فيه. وقلتَ بأنّي كتبتُ في صدور رِقاعي: معلّ علّة العلل، صفات العلّة، وطلبتَ معانيه. وذكرتُ: أنّ علّة العلل إشارة إلى السابق في كلّ عصر وزمان وهو موجود في العالم. وطلبتُ فيه خرافاتٍ لشيوخ. وقلتُ بأنّ هذه العلّة، وهو السابق لا تُدركه الأوهامُ بالتفكير، ولا تختلف عليه الأزمنة بالتغيير، ولا تصفه الألسنُ بالتعبير، مبدَع مِن العقل والحسّ والوهم.

والذي جَمَع ذلك إعلَمْ أنّ هناك علةَ علمٍ لا غير، لا ذاتَ نُطقٍ ولا سمْعٍ، كما ادّعاه مَن ادّعاه، ولا شخصٌ وقع عليه عِيان، كما حكاه مَن حكاه، ولا إحاطةٌ بتحقيقِ مكانٍ كما سطّره مَن سطّره. وذكرتَ عنّي ما لم أَقُلْهُ. أسألُ المولى أن لا يؤاخِذَكَ. وقلتَ بأنّي ذكرتُ في صدور رقاعي أنّ هناك علّة العلل وعلّةً أخرى فوقَها، ومولانا الحاكم جلّت قدرته معلُّها وصانعُها. وقلتَ إنْ قال ضدٌّ فضوليٌّ، أو نَدٌّ وَلَدُ زِنا، حَقِّقْ لي علّة العلل والعلّة التي فوقها والصفة التي لها وهذا كلام فاسد.

وأنا بمشيّة المولى أُبيّن لكَ جواباً يوقفك على الحقائق بحسب ما أوجبَه الزمان، لا باستحقاقٍ تستحقُّه أنت، ولا أحد من جميع العالمين كافّة، إلاّ تفضّلٌ من المولى سبحانه ورأفة.

وذكرتَ بأنّك طلبتَ بهذه المكاتبة حالَين: أحدهما قهْر الضدّ، والثاني لا تنفرُ قلوبُ المؤمنين. وذكرتَ بأنّ الغرضَ في جميع الأحوال ومِن جميع العالمين بأنْ يوّحدوا المولى جلّ ذكره لا غير . وذكرتَ بأنّ عندك آلةً كثيرة واضحة عقليّة وشرعيّة تَقهرُ بها مَن يتكلّم، وتُحقِّقُ وتُصَحِّحُ بأنّ مولانا جلّ ذكره إلهٌ منيعٌ قادرٌ قاهرٌ معطٍ مانعٌ. وذكرتَ بأنّ الضدَّ يقول إنْ صحّحتم لنا بأنّ العلّة غيرُ مدروكة ولا موصوفة ولا محاطة بعِيان ولا بمكان، فقد بَطل قولكم بالقرب والدنوّ والخطاب. وإنِ اعترفتم بالتحديد والصفات

وتحقيق النظر والإحاطة، فقد بَطل ما اعـتقدتم أو حَصَلتم تعبدون المخلوقين، لأنّ ذلك واقع بالمخلوقين.

وسألتَني بأن أُعـرِّفَكَ ما تَبني عليه مذهبَكَ فـإنْ كان أصلُ البناية أنّك تقول أنَّ في السماء علّةً، ومولانا الحاكم جلّت قدرته صانع تلك العلّة فاسمع وأطع ولا تتجاوز، وإن كان لها مَـعْنًا قد خفي عنك فأنا أعرّفك به لأنّك بلغتَ بروحك في تأليف الرسائل والكتب ونسبتَها إليّ وطلبتَ بذلك جَمَال الخدمة.

وأنا أبيِّن لك ما سـألتَ عنه وأجاوبك عليه بابًا بابًا بمشيّـة مولانا جلّ ذكـره وتأييـده. والروح القـدس واصل إليّ فـي طرفـةِ عَين بغـيـر واسطةٍ روحانيّ ولاجسمانيّ. فله الحمد والشكر وحدَه.

***

إعلم أيّدك المولى بطاعتـه، وجنّبك عن معصـيته، وأعانكَ على حـقائق دعوته، أنّي ما أردت أن أجاوبك عنها ولا أكلمك عليها، لأنّك ما سألتَني سؤالَ داعٍ يَسـأل إمـامه، بل أظهرتَ لنفسك العلمَ والإفـضالَ بالحقيـقة. وهذا نفس الخطأ. فرجعتُ إلى ما أيّدني به مولانا الـبار العلاّم العليّ الأعلى الجبّار جلّ ذكـره مِن علمه، ومـا ألبسـني من حلمه، ومـا فوّضـه إليّ من تعليم العـالم وتأديبهم. فعلمتُ بأنّه خطأ منك بغير تعمّدٍ، وهفوةٌ بدرتْ؛ فكتبتُ هذا الكتاب بتوفـيق مولانا جلّ ذكره باري الأرباب، وبـيّنتُ فيه جـميعَ الفنون والآداب، وجعلتُه كنزاً لأهل التوحيد ومَن استجاب، وسمّيتُه بِسَبَبِ الأَسْبَاب.

فإذا قرأتَ ما فيه فميّـزْ بعقلك معانيه، وارتَقِ في دقائق الحكمة أبوابَه ومـراقيـه، ونزِّهْ مولانا الحـاكم الأحـد الفرد الصـمـد عن جمـيع الأسمـاء والصفـات والأجناس واللغات، واشكرْه حقَّ ما يجب عليك من كـمال الشكر وأصناف حدوده بحـسب استطاعتك، ولا تَنطِقْ بالرأي والقيـاس، فأوّلُ مَن

نطق برأيه وقاس العلم بهـوائه إبليس، فأُخْرِجَ من الدعوة وأُسْـقِطَ من جملة الحدود، أعاذك المولى سبحانه من ذلك وجميعَ المؤمنين الموحّدين المخلصين.

فأوّل باب ذكرتَه، أيّدك المولى بالثبات، أنّك تريد جَمالي بخاصّةٍ جمالِ الخدمة. إعلم أيّدك المولى بطاعـته أنْ ليس لك من الأمر لا ظاهر ولا باطن ولا لأحـدٍ من جمـيع العـالمين كـافّةً. لأنّ جـمـالَ الظاهر مـا تريده لي من المال، والخيلِ والجِـمال، والعزّةِ والمقـال، واليد الباسطة عـلى أهل الغيِّ والضلال، فما لك عليه استطاعة ولا بفعله طاقة غير ما تتكلّم بلسانِك لا غير.

وكذلك جمـيعُ العالمين لا يقدرون على جمال أنفـسـهم، فكيف يقدرون على جمال مَن هو فوقـهم ظاهراً وباطناً، وإنّما يجب أن يقول هذا رجلُ عالي الأمر لرجلٍ هو دونه في المرتبة. ولا يجوز أنْ يقول هذا لمن هو فوقه الباتّة.

وأمّا جـمال الباطن مـا تريده لي من إظهار العلوم الحقـيقيّـة، ومادّة الحكمة الـعلويّة، والغلبة لأهل الشـرائع الحشـويّة، فليس لك فيـه مرام، ولا لأحدٍ فيه كـلام، إلاّ بتأييد مولانا سبحانه وتعـالى إليّ في كلِّ عصر وزمان، بغير واسطة جسمانيّ ولا روحانيّ ولا نفسانيّ.

ولي أنْ أُنكرَ على الناس مذاهبَهم، وأصـحّحَ أقوالهم، وليس لأحدٍ من جميع العالمين أن يُنكر عليّ لأنّ المولى سبحانه اصطفاني، وأبدَعَني من نوره الشعـشعاني مِن قبلُ أن يـكونَ مكانٌ ولا إمكان، ولا إنسٌ ولا جانّ، وهو مِن قـبلُ أن يخلقَ آدمَ العاصي وآدم الـناسي بسبـعين دوراً، بينَ كلِّ دورٍ ودورٍ سبعون أسبوعاً، بينَ كلِّ أسبوع وأسبوع سبعون عاماً. والعام ألف سنة ممّا تعدّون.

ما منها عـصرٌ إلاّ وقد دعوتُ العالمين إلى توحـيد مولانا العليّ الأعلى سبـحانه وإلى عـبادته، بصُـوَرٍ مخـتلفة، ولغـات مختلـفة. فمِنَ العـالم مَن استجاب إلى توحيده وعبادته؛ ومنهم مَن نفر عن بَيـعتهِ وكفَرَ بنعمتِه، وعبد

الصنم وأشرك فـي ربوبيّتِه، فـاستحـقُّوا العـذابَ الأليم والعقـابَ بما كانوا يُشركون.

وأنا أبيِّن لك في آخر هذا الكتـاب أسماءَ مولانا العليِّ الأعلى سـبحانه وتعـالى في كلِّ دور منها. وهو مـا كان يتظـاهر به للعالَمِ من حـيثُ هم في الجـسمـانيّة، ولاهوتُـه منزَّه عن الأسمـاء والصـفات والأجناس واللغـات. وإسمِي في كلِّ دورٍ منها وما كانوا يُعرَفون به أصحابُ الأدوار. وأذكرُ إسمَ الضدِّ الروحـانيِّ في كلِّ دورٍ منها المعـروف بإبليس، لتقفَ علـى ما لا يقفُ عليه أحدٌ مِن المسلمين، ولا مِن جميع أصحاب الشرائع المتقدِّمين، وتقفَ على ما يَـهديك إلى الحـقائق، ويمنعُك عن طرقـات البوائق. وتعلمْ أنّي أقـدر على جَمَـالك وجمالِ غـيرك في ظاهر الدنيا وباطن الدِّيـن. وأنتم لا تقدرون على جَمالي إلاّ باللّسـان، أو نيّة القلب فقط.

***

وهاهنا بابٌ ثانٍ مـذموم أعـاذكَ المولى سبـحانه منه. وذلك قـولُ مَن يقول من كافّة الناس بأنّي اخترعتُ هذا الأمر مِن روحي، أو صنّفتُ العلمَ مِن ذاتي وقوّتي. ومـولانا الحاكم جلّت قـدرته لا يعلم بذلك ولا يَرضاه، فـينظر مِن حيث هو إلى كلامٍ لم يُدركـه عقلُه ولم يقفْ على معناه، فيـقول قد رأيتُ وإنّ رأيي أحـسنُ من رأيه، وأصنّفُ كلامـاً أنظم من كلامـه، فيـجب عليَّ أن أعرّفه ما ليس عنده حتى يشكرني عليه. وهذا نفسُ الشرك في الإمامة.

وأنا أعيذك من ذلك وجمـيعَ الموحدين المخلصين، بل يجب عليك وعلى غيـرك إذا قرأ لي كتـاباً، أو سمع لي كلامـاً أنْكره عقلُه، فليسـأل عنه سؤالَ العـاجز المسـتـفيـد المتعلّم الـراغب، ويُقرّ بأنّه لا يَفـهم ذلك الكلام. فـيكون محـموداً في سؤاله، مشكوراً في مـقاله، ويستـفيد منّي في جمـيع أحواله، فأُجيبُه عن ذلك بمشيّة المولى سبحانه.

وأمّا قـولك بأنّي كتـبتُ في صدور رقـاعي: " معلّ علّة العلل صـفات العلّة "، فقـد ذكرتَ بعضَ الكِتْبَـة بغير أن تفهَـمَه، ونسيتَ بعض الكِتْـبَةِ ولم تُدركْـه، ولم تنظر ترتيبَ الكِتْـبَة ومـا رسمـتُه في سطورها. وذلك لحـدودٍ مـعروفـة، لا يجـوز للكاتب أن يَنقُصَ من سطـرٍ أو يزيدَ في سطر. ولو انّي أردتُ أن لا تخفى معانيـها على أحد، لكتبتُهـا في سطرٍ واحدٍ من أوّل الرقعة إلى آخرها، لكنّي جعلتُهـا في الوسط لأنّها ليست من الظاهر ولا من الباطن، لأنّ اليمين والشمال مضـلّتان، والوسطى هي الطريق إلى النجاة، والوصول إلى غاية الغـاياتِ، ونهاية النهاياتِ، وهي عـبادة مولانا جلّ ذكره وتوحـيده سبحانه.

فأوّل أسطر الكِتْبَة كان

«تَوَكَّلْتُ عَلَى مَولانَا جَلَّ ذِكْرُهُ»

والثّاني

«وَبِهِ أستَعِينُ فِي جَمِيعِ الأمُورِ»

والثّالث

«مُعِلُّ عِلَّةِ العِلَلِ»

والرّابع

«صِفَاتُ العِلَّةِ: بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

فَقَولي: «**تَوَكَّلْتُ عَلَى مَولانَا جَلَّ ذِكْرُهُ**»، أردتُ به لاهوتَ مولانا الذي لا يدرك بوهم، ولا يدخل في الخـواطر والفهم؛ مـا من العالمين أحـد إلاّ وهو معـهم وهم لا يبصرون. «يَعلَمُ خَـائِنَةَ الأعْيُنِ وَمَا تُخْـفِي الصُّدُورُ»[1]. وهو جلّ ذكره أعظم من أن يوصف أو يدرك. مَن اتّكلَ عليـه فهـو يكفيـه جمـيع مهـمّاته. ولا يقول أحـد من جميع العـالمين إنّه توكّل عليه ولم يكفِه. مَـا همَّه

(١) سورة غافر ٤٠/ ١٩.

سبحانه وتعالى عن أقاويل المشـركين وأباطيل الملحدين علوًا كبيراً. فلو اتّكل عليه حسب توكّله لكفاه جميع مهمّاته، وجبَرَ العالمين على مرضاته، لكنّه يتوكّل عليه بلسانه، وقلبُه يحذر المشركين، ويوري العالم عبادةً، وهو عابد الصنم اللعين. فبهذه الأفعال استحقُّوا العذاب وهم لا يعقلون.

وفي السطر الثاني: «**وَبِهِ أَسْتَعِينُ فِي جَمِيعِ الأُمُورِ**»، أردتُ به ناسوت الحجاب الذي احتجب عنّا فيه، والمقام الذي ينطق منه، وهو ما نراه من صورةٍ بشريّة. فإنْ قال قائل: كيف يجوز للباري سبحانه أن يحتجبَ في بشَرٍ وينطق منه، وقد قلتُ إنّه لا يُدرك، قلنا له: قد اجتمع سائرُ أهل الملّة والذمّة بأنّ باري البرايا سبحانه لا يُدرك. وقالوا إنّه ساكن في السماء، وقد استوى على كرسيٍّ العرش، وإنّه احتجب في شجرةٍ لا تَعقل ولا تفهم، وينطق منها مع موسى ابن عمران، وإنّه كان يسمع الصوتَ من الشجرة يقول: يا موسى! ادْنُ منّي واعرفْ قدري، فإنّي أنا اللّه. وكان أيضاً، إذا سمع كلاماً من الشجرة، يقول: قال اللّه لي كذا وكذا. وإذا سمع كلاماً من الجبل يقول: قال اللّه لي كذا وكذا. ولم يُنكروا عليه قولَه. فنحن أحقُّ وأولَى بإجازة الحجبة والنطق والقول بأنّه سبحانه احتجب في شخصٍ ناطقٍ عالِمٍ صفيٍّ من أصفيائه، وأنّ خليفتَه وصفيَّه أحقّ وأولى بإجازة الحجبة والنطق مِن شجرةٍ يابسةٍ أو حجرٍ أو صنم. فهذه حجّة واضحة عقليّة لا يقدر الضدّ على ردِّها بوجهٍ ولا بسبب.

وفي السطر الثالث: «**مُعِلُّ عِلَّةِ العِلَلِ**»، عطفاً على القول «توكّلت على مولانا جلّ ذكره». ونحن نبيّن عنها بالمعلّ حتى لا تَخفى على أحد من العالمين، أو يذهب ذهنُه إلى غير المعنى كما ذهب ذهنك إليه. ومثل ذلك قولك توكّلتَ على الأمير في حاجتك، والأمير فهو كلام مبهم، لكنّك ترجع وتفصح عن قولك، وتقول: أمير الأمر؛ فيعلَم جميعُ العالمين لمن أعنيتَ بذلك. وعلّة العلل فهو عبد مولانا جلّ ذكره، وهو القائم بأمور الحدود لأنّ الحدود هو

إعلال العالم لأنّ العـالم تحيّروا فيـهم: فأقوام جحدوهـم، وأقوام تغالوا في مراتـبهم. فـجميـعهم مـرضى القلوب. والحـدود أيضاً مـحيّرون فـي إمام الزمان، فبعضــهم يشكّون فيه وينقصون من منزلته، وبعضُــهم يتغالوا فيه ويجعلوه المعبودَ الكلّي. فصار هو علّتـهم حيث تحيّروا فيه، واعتلّتْ أديانهم بسببه. ومَن أعطاه حقّه وأقرّ له بالإمـامة، وجعله عبد مولانا جلّ ذكره، وأن ليس له حـولٌ ولا قـوّة إلاّ بمولانا جـلّ ذكره، زالـتْ عنه الأمـراضُ الدينيّـة الحقيقية التي منهـا تكون الموتةُ الأبديّة. ومولانا سبحانه معلّ هذه العلّة، أي مبدعُها ومبديها والقادر عليهم وعليها.

وفي السطر الرابع: «**صِفَـاتُ العِلَّةِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**»، وهم صفات هـذه العلّة المذكورة الذي هو الإمام، وهي في آخر الكتـبة، لأنّ «بسم اللّه» سـبعـة أحـرف، دليل على سبـعـة دعاة أصـحاب الأقـاليم السـبعـة. و«الرحـمن الرحيم» إثـنعشـر حرفـاً، دليل على إثنعـشـر داعيـاً اصحـابَ الإثنعشر جزيرة، وأيضا دليل على سبـعة أفلاك، واثنعشر برجاً. وهم كلّهم موجودون في عصر مولانا جلّ ذكره مستخدَمون تحت أمر هذا الإمام ومن قبلـه، فصاروا صـفاته، حـيث يُقال: هذا داعي فـلان، ومِن أصحـاب فلان، فصاروا صـفاته بهذا السـبب، وهم حروف بسم اللّه الرحم الرحيم. فـبهذا الوجـه قلتُ في رابع السطور «صـفـات العلّة»، أي حـدود الإمـام بسم اللّه الرحمن الرحيـم. أي هؤلاء الدّعاة إلى توحيد مولانا جلّت قـدرته، معلّ الكلّ ومبدعـهم ومبديهم بلا شبـه ولا شكل ولا نظير. يفعل ما يَشـاء كيف يشاء متى يشاء، بلا اعتراضٍ عليه، وهو العليّ الأعلى بلا بداية ولا نهاية. سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

***

ألباب الثالث: أمّا قولك: وما سطّرتَه في رقعتك بانّ العلّة إشارة إلى السابق في كلٍّ عصر وزمان، وهو موجود في العالم، وهو علّة لا تُدركها الأوهام بالتفكير، ولا تختلف عليه الأزمنة بالتغيير، ولا تصفه الألسن بالتعبير، مبدع من العقل والحسّ والوهم. والذي جمع ذلك! إعلَمْ أنَّ هناك علّةَ علمٍ لا غير، لا ذاتُ نُطقٍ ولا سَمْع، كما ادّعاه مَن ادّعاه، ولا شخصٌ وقع عليه عِيان، كما حكاه مَن حكاه، ولا أحاطةٌ بتحقيقٍ مكان كما سطّره مَن سطّره.

إعلم ايّدك المولى بمعونته أنّ جميع ما ذكرتَه فهو من خرافات الشيوخ المتقدِّمين، وما دلّسوه على المستجيبين وستروه عن الموحدين، وبنيتَ قولك على ما رأيتَ في كتب الفلاسفة الملحدة، والمنطقيّة المشركة، لأنّهم لم يعرفوا العلّة، وما معلّها، فأشاروا إلى الأفلاك والطبائع، وجعلوا علّة الاشياء ومكوّنها خامسَ الطبائع، الذي هو داخل فيهم خارج منهم، لأنّ الطبائع كلّها من قوّة الخامس تكوّنت، وهو هيولي الكلّ، وأصلهم خارج من عددهم، داخل في جميع أفعالهم، لا يقع عليه حرارة ولا برودة ولا يبوسة ولا رطوبة.

فبهذا السبب جعلوا له القدرة والخلقَ وقالوا بأنّ العلّة التي لا نهاية لها وهو على كلِّ شيء قدير. وهذا إيمان ممزوجٌ بالكفرِ، وتوحيدٌ موشّحٌ بالشرك، وحكمةٌ قد علاها الجهلُ، لأنّ كلَّ شيءٍ وقع عليه إسم العلّة لا بدّ لها من عالٍّ يُعلّها ويكوِّنها. فإنْ كانوا أصابوا بقولهم إنّها علّة، فقد أخطأوا بقولهم إنّها علّة العلل، وأشركوا بالمولى جلّ ذكره؛ لأنّ خامس الطبائع الذي هو هيولى الطبائع الأربعة التي منها تكوّنت الأفلاك السبعة.

والأمّهات والإسْتقصّات من الأرض صعودُها، ومنها مادّتها، فصارت الأرض علّة لِتيْكَ العلّة التي أشاروا إليها كلُّهم. فالقرار الأكبر ومعدن كلِّ فخر الأرض، والأرضُ زبدُ الماء، والماءُ حياتُها وحياةُ مَن عليها،

والماء فهو مُنْبَعٌ من جبل المشيّة، والمشيّة انبجستْ من الإرادة. كما قال: «إنَّما أَمْرُه إذا أرَاد شيئاً أن يقولَ له كُنْ فيكونُ. فسبحانَ الذي بيدِه ملكوتُ كلِّ شيءٍ، وإليه تُرجَعون»(٢).

والإرادة فهو علّة العلل، هو العقل الكلّي، وهو القلم، وهو القاف، وهو القضاء، وهوالألِف بالابتداء، وهو الألِف بالانتهاء. فقد بطل ما قالتْه الفلاسفة وما اعتقدوه في هؤلاء الجمادات التي لا عقلَ لها ولا تمييز.

ومثلُ الأفلاك كمثل الطواحين والنواعير التي لا عقلَ لها ولا تمييز. تَطرحُ قُدَّامَ الطاحونِ الدّقيقَ كلَّه ولا تدري، وإلى حواليها الغبار ولا تدري. وكذلك الناعورةُ تُروي موضِعًا من الأرض ولا تَدري، وتَشرِقُ موضِعًا من الأرض وهي لا تدري. فلا للدَّابة عقل، ولا للآلة عقل. والبَقّارُ خامس الطبائع، لأنّ البقّار ليس هو من الدّابّة ولا من الآلة، وَصَنْعَتُهُ وتدبيرُه داخل فيهم خارج منهم. لكنَّ البقّارَ أيضاً قريبٌ إلى البهيميّة. أو كالنعّارِ الذي لا روح فيه، لأنّ عقله على قدر همّته، وعلى ما تربّى عليه طبعه. فهو علّة هذه النّاعورة، لكنّه ليس كعلّة العلل. ولو أُخرِجَ البقّار من تِيك الصنعة التي دبّرها إلى غيرها، لما عرفها وبقي متحيّراً فيها.

وكذلك الأفلاك التي طبعها السعادات لا يَقدرون على النحوس في أوقات السعود، وأصحاب النحوس لا يقدرون على السعود في أوقات النحوس. وهو أعني الطبع الخامس لا يقدر يغيّر هؤلاء الأفلاك فَيُقدِّرُ على الذي يدور دولابيًا يدور رُحَاوِيًا، لا الذي يصعد بالنهار يصعد بالليل، ولا الذي يصعد في الصيف يصعد في الشتاء. فقد بان عجز الكلِّ منهم وأنّ لهم علّةً أخرى أقوى منهم، ورأيناهم يخدمون البشر مستخدمين لهم في العلو والسفل.

---

(٢) سورة يس ٣٦/ ٨٢-٨٣.

فعلمنا بأنّ آدم الصفاء الكلي هو علّة العلل، ينتقل من صورة إلى صورة، كما يشاء معلُّها، مولانا الحاكمُ الأحد، الفردُ الصمد، المنزّهُ عن الصاحبة والولد. فعلّة العلل حاضر في كلِّ زمان، موجودٌ في كلِّ أوان، وهو عبدٌ مأمور. فكيف يجوز لكَ، أو لأحدٍ من جميع العالمين أن يقول إنّه لا تدركه الأوهام بالتفكير، ولا تختلف عليه الأزمنة بالتغيير، ولا تصفه الألسن بالتعبير! وقد شهدتْ له بأنّه مخلوق، وهذه صفة الخالق. وكلُّ مخلوق مدروك، وكلُّ مدروك يُرى ويُشاهد بالعيان. وكيف أنّك ثبّتَ وأوضحتَ في قولك إنّه مدروك لأنّك قلتَ إنّه خُلق من العقل والحسّ والوهم، ومَن كانَ خَلْقَ العقلِ فهو يُدرَك بالعقل. وكلُّهم مخلوقون مدروكون.

ثمّ إنّك قلتَ: إنّ هذه العلّة هو السابق في كلِّ عصر وزمان، ولا يجوز أن يقال لشيء سابقِ الأشياءَ غيرُ مَن لا يكون فوقَه مخلوق. وأنتَ قد قلتَ إنّ العقل فوقَه. فكان العقلُ أحقَّ بالسبَق مِن مسبوقِه؛ ثمّ بعده الحسّ؛ ثمّ بعده الوهم، كما نزّلتَه أنتَ في نسق كلامك. وكيف يجوز لك أن تعتقدَ بأنّ السابق ليس بذاتِ نطقٍ ولا سمْعٍ ولا شخصٍ يقع عليه العِيان! وقد شهدتَ له بالسبق. فإنْ كنت شهدتَ له بالسبق على غير عِيان فقد شهدتَ بما لا تَعرف. وهي شهادة زور. وإنْ شهدتَ بغير إحاطةٍ فهو من المحال، لأنّه لا يجوز لك الشهادةُ على ما لا تحوط به. وان شهدتَ له بعقلك فقد أدركتَه وحاط به قلبُك، فهو مخلوق مدروك. وإنْ قلتَ بأنّي شهدتُ بما رأيتُ من علاماته للعالَم ضرورةً لا إثباتَ حقيقة، فقد أشركتَه بالعالِّ لها وباريها الذي كوّنها. وكيف إنّك لا تقدر تقولُ هذا بعد أنْ جعلتَ فوقَها العقلَ والحسَّ والوهم، والكلُّ خَلْقُ العالّ العليّ الأعلى الحاكم على أهل الأرض والسماء. سبحانه وتعالى عن الضدّ والندّ والشبه علوّا كبيراً.

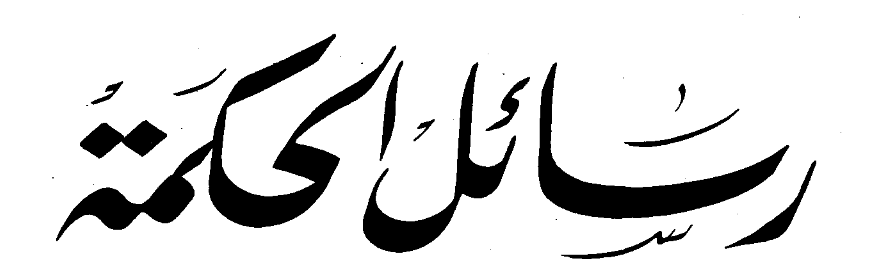
إعلم أيّدكَ المولى بطاعته أنّ الأفلاك السبعة وهم حروف «بسم اللّه» دليل على سبعة دعاة أصحاب الأقاليم السبعة، والبروج الإثنعشر وهم

«الرحمن الرحيم» دليل على أصحاب الإثنعشر جزيرة. هم حقائق الطبائع الأربعة لأنّ في أيديهنّ الطبائع الدينيّة، وهم علم الناطق والأساس والإمام والحجّة. والطبع الخامس الذي هوالهيولي دليل على التالي. والكلُّ من الأرض، والأرض دليل على السابق. والأرض زبد الماء، والماء دليل على الكلمة العليا. والماء انبعث من المشيّة والمشيّة دليل على النفس الكليّة. والمشيّة خلق العقل وهو الإرادة، وهو علّة العلل. وكلٌّ واحد منهم علّة لصاحبه. فبعض الناس ينقصون من درجتهم، وبعضهم يزيدون في فضيلتهم. فيعتلّ دينُهم بسبب هؤلاء الحدود.

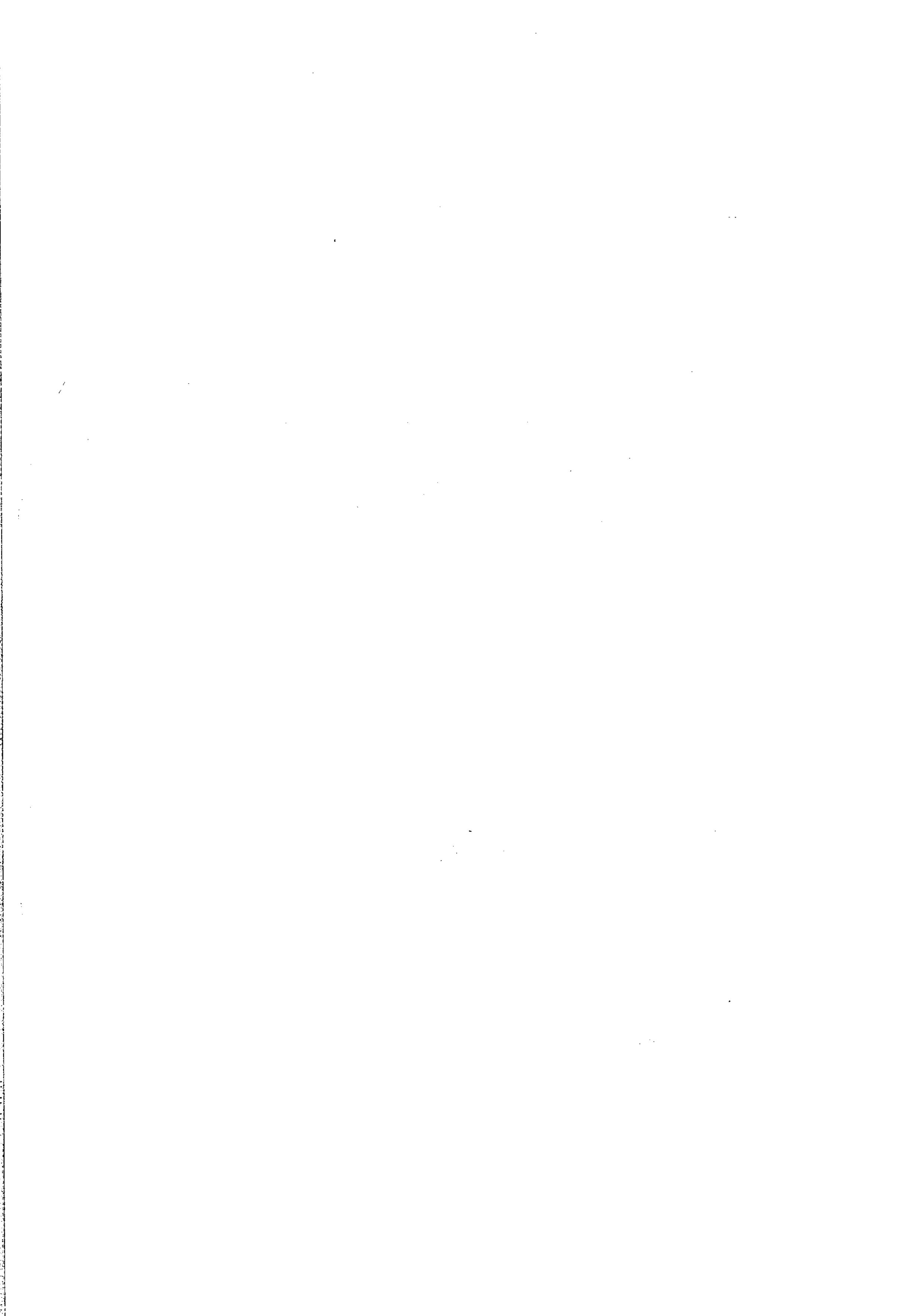
وشطنيل الحكيم هو الإمام العظيم، ظاهراً في كلّ زمان، هادياً في كلّ أوان. وهو علّتهم لأنّهم إن شكّوا فيه فقد كفروا واعتلّتْ أديانهم إلى الأبد إلاّ أن يتوب عليهم فهو الغفّار الرحيم.

وجميع هؤلاء الحدود الذين ذكرتُهم مشخَّصون في وقتنا هذا في حضرة مولانا الحاكم سبحانه وتعالَى، عالّ الكلّ ومبدعهم ومصوّرهم. وهو سبحانه منزّه عن الكلّ.

وجميع ما في القرآن والصحف وما نزّله على قلبي من البيان ومن الأسماء الرفيعة فهو يقع على عبدِه الإمام، لكنْ بحسب طاقة العالم وما يتّسع في خواطرهم، وتستطيع عليه ألسنتهم، قلنا إنّه المولى العليّ، لأنّهم لم يعرفوا شيئًا أعلاً منه، ونحن لا نُدرك بعضَ ناسوته. ولاهوتُه لا يدخل في الأوهام والخواطر، ولا يُعرف بالباطن والظاهر، الحاكم الأحد، ألفرد الصمد، ألمنزّه عن الصاحبة والولد. سبحانه وتعالى عمّا يَصفون ويَعتقدون فيه الملحدون، ويتقوّلون المشركون علوًا كبيراً.



ألجزء الثاني



١٥

الرِّسَالَةُ الدَّامِغَةُ لِلفَاسِق

الرَّدُّ عَلَى النُّصَيْرِيِّ
لَعَنَهُ المَوْلَى فِي كُلِّ كَوْرٍ وَدَوْر

من وضع حمزة من دون تاريخ. يردّ فيها على كتاب «الحقائق وكشف المحجوب»، ألّفه أحدُ النّصيريّة، ونسبَه إلى الدروز الموحّدين. في ردّ حمزة، تعاليم واضحة في شرف المرأة، وفي التقمّص، والتقيّة، والتجلّي الإلهي. وهي موضوعات طَعَنَ النّصيريّ فيها بالدرزيّة. ومن الردّ نتعرّف على بعضِ تعاليم النّصيريّة السرّيّة الخطيرة.

توكّلتُ على مولانا البارّ العليّ سبحانه.

أمّا بعد أيّدكم المولى بتأييده، إنّه وَرَدَ إليّ كتابٌ ألّفه بعض النصيريّة الكافرين بمولانا جلّ ذكره، المشرِكين به الكاذبين عليه، الغاوي للمؤمنين والمؤمنات، الطالبُ الشهواتِ البهيميّة، وبَرازَةَ الطبيعيّة، ودينُه دِينُ النُّصَيريّة الدَّنيّة. فعليه وعليهم لعنةُ مولانا سبحانَه ولعنةُ الخنازير العابدين لإبليس وحزبه. وسمّاه: كتاب الحقائق وكشف المحجوب. فمَن قَبِلَ كتابَه عَبَد إبليسَ واعتقَد التناسخَ وحلّل الفروجَ واستحلَّ الكذِب والبهتانَ. ونسبَه إلى الموحّدين الحقيقيّة.

وحاشا دينُ مولانا جلّ وعزّ من المنكرات. وحاشا الموحّدين من الفاحشات. وحاشا لعبيد مولانا سبحانَه أن يُنسب إليهم شيءٌ من الشهوات البهيميّة الدَّنيّة، والأقاويل الشِّركيَّة. فمولانا سبحانه «يَعلَمُ خائِنَةَ الأعْيُنِ وَمَا تُخفِي الصُّدُور»[١]، و«يُجازِي كلَّ نفسٍ بما كَسَبتْ وهُم لا يُظلَمُون»[٢]. فلمّا قرأتُه وَجَب عليَّ الاحتياطُ عليكم معشر الإخوان والحِفظُ لأديانكم، فكتبتُ هذه الرسالة ردًّا على ما ألّفه هذا الفَاسِقُ النُّصَيريُّ، لعَنه المولى، كيلا يَدخلَ في أديانِكم شبهةٌ، ولا يقع عليكم تهمة.

فالحذَر الحذَر معشرَ المؤمنات! أن تَنظرَ واحدةٌ منكنَّ إلى رجلٍ مؤمنٍ أو مخالِفٍ إلاّ بالعين التي تَنظرُ بها إلى ابنِها أو أبيها. وتطلبُ كلُّ واحدةٍ منكّن خلاصَ روحها بمعرفةِ مولانا جلّ ذكره. وتعلَمُ كلُّ واحدة منكنّ أنّ مولانا جلّ ذكره وعزّ اسمه ولا معبود سواه يراها حيثُ كانت، وفي أيّ حالةٍ كانت. وأنتّن تعلمنَ أنّ إحداتكنّ تستحي مِن جارتها وتفزع من جارها إذا كانت في حالةٍ منكرة، فكيف مَن لا تَخفَى عنه خافية، لا في سرٍّ ولا إعلانيّة، سبحانه وتعالى عمّا يقولون المشركون علوًّا كبيراً.

فنعوذ بمولانا من سخطه وعذابِه، نتبرأ مِن كلِّ مَن خالف توحيد مولانا سبحانَه وجلّ ذكره، ولم يُرْوَ من شَرَابه. فعليكنّ معاشرَ المؤمنات بمعرفة مولانا جلّ ذكره والإقرار بوحدانيّته، والاعتراف بصمدانيّته. ولا تَعبُدون غيره ولا تُقرّون بسواه في كلِّ عصرٍ وزمان، ودهرٍ وأوان. ولا تلتفتْ واحدةٌ منكنّ إلى ورائها، ولا تتعلّق بمن مضى في الأدوار، ولا بما اندرسَ من الشرائع والأعصار. وليس يلزمكنّ غير طاعة مولانا جلّ ذكره وتوحيدِه، والقبولِ من حدوده، وحفظِ فروجكنّ، إلاّ لبعولتكنّ.

---

(١) سورة غافر ٤٠/١٩.

(٢) سورة الجاثية ٤٥/٢٢.

وتعـرف كلٌّ واحدةٍ منكّن بأنّ جـمـيع مَن مضى ووقع عليـه الاسم والصفـة، مثل السـابق والتالي والجدّ والفـتح والخيـال والناطق والأساس والإمام والحجّة والداعي. كلّهم عبيد لمولانا جلّ ذكره موجودون في عصرنا هذا مُشَخَّصُون. وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم موجودون معنا.

فـعليكنّ بمعرفـة المعبـود الموجـود مولانا سـبحـانَه، والتبـرّى من الأضداد الموجـودين معنا، حتى لا تحـتاج واحدةٌ منكنّ تلتـفت إلى ورائها لا إلى وليٍّ ولا إلى ضدّ، ولا تعتقد بأنّ مـولانا جلّ ذكره الإمام، بل الإمام عبده ومملكوه لا يقدر على دفع مضرّة ولا جرّ منفـعة، إلاّ بقوّة مولانا جلّ ذكره. ومولانـا منزّه عن الأسمـاء والصفـات والإزدواجات سبـحانه وتعـالى عن أقاويل المشركين، وأباطيل الملحدين علوّا كبيراً.

فـأوّل ما قـال هذا الفاسـق النصيـري، لعنه المولى، بأنّ جـميع مـا حرّمـوه من القتل والسرقـة والكذب والبهتـان والزناء واللياطة فـهو مطلق للعارف والعارفة بمولانا جلّ ذكره.

فـقد كـذّب بالتنزيل والتأويل، وحـرّف وما جـاز له أن يسرق مـال الناس، ولا وسـعـة له في الدِّين أن يكـذب اذ كان أصـلُ دينِه الكذب، وأصل الكفـر والشـرك. والسـدقُ من الإيمان كـالرأس من الجـسد. والـقتل فـمـا يستحسنُه أحدٌ إلاّ أن يكون كافراً بنعمة مولانا مشركاً به غيره.

وأمّـا قـوله إنّه يجب على المـؤمن أن لا يمنع أخـاه من مـاله ولا من جاهه، وأنْ يُظهر لأخيـه المؤمن عيالَه، ولا يعترض عليهم فـيما يجري بينهم وإلاّ فلا يتمّ إيمانه.

فقد كذب لعنة الله وسرق الأوّل من مـجالس الحكمة، بقوله: لا يمنع أخاه من ماله ولا من جاهه. ويستر بذلـك على كفره وكذبه. وإلاّ فمن لا يغار على عيـاله فليس بمؤمنٍ، بل هو خُرَّمِيٌّ طالبُ الرّاحـة والإباحة، راكبٌ هواه

وضلالتَه؛ إذ كان الجماع ليس هو من الدين ولا ينتسب إلى التوحيد، إلاّ أن يكون جماعَ الحقيقة وهو المفاتحة بالحكمة بعد أن يكون مطلقاً للكلام مؤيّداً بالحكمة الحقيقيّة.

وأمّا قوله بأنْ يجب على المؤمنة لا تمنع أخاها فرْجَها وأن تبذل فرجَها له مباحاً حيث يشاء، وأنّه لا يتمُّ نِكاحُ الباطنِ إلاّ بنكاحِ الظاهر، ونَسَبَه إلى توحيد مولانا جلّ ذكره.

فقد كذب على مولانا عزّ اسمه، وأشرك به وألحد فيه، وحرّف مقالة أوليائه الموحِّدين. فعليه وعلى مَن يعتقده لعنةُ اليهود والنصارى والمجوس. فطلبَ هذا الفاسقُ التهمةَ في أبدانِكنّ، والفسادَ في أديانكنّ. ولو نظرتُنّ معاشرَ الموحّدات في الأديان المضلّة لبانتْ لكنّ الحقائق، وامتنعتنّ عن الشّهوات والبوائق، وتفكّرتنّ في المجالس الباطنيّة التأويليّة.

وأمّا وسائط[٣] مولانا جلّ ذكره فما منهم أحدٌ طلبَ من النساء مناكحةَ الظاهر، ولا ذَكَر بأنّه لا يتمّ لكنّ ما تسمعه إلاّ بملامسة الظاهر. فعلمنا بأنّه لم يكن لهذا الفاسق النّصيريّ، لعنة المولى عليه، بغيةٌ غيرَ الفساد في دين مولانا جلّ ذكره ودينِ المؤمنين. ودينُ مولانا لا ينفسد أبداً، لكنّه طلبَ الشهوةَ البهيميّة التي لا يُنتفع بها في الدِّين ولا في الدنيا بل تضرّ. وإنّما هي شهوة ركّبت من الطبائعِ الأربعة في سائر الحيوان. فمن اختارَها على دينه كان أشرَّ من الحمار والبقر. كما قال: «إنْ هم إلاّ كالأنْعامِ بلْ هم أضَلُّ سَبيلاً»[٤]. فمَن نهى نفسَه عن الشهوات البهيميّة كان أفضل من الملائكة المقرّبين.

---

(٣) الوسائط هم الحدود الخمسة.

(٤) سورة الفرقان ٢٥/ ٤٤.

والدليل على إبطال قول هذا الفاسق بأنّ المجامعة الظاهرة تَزيد في الدِّين، وأنّه لا يتمّ هذا إلاّ بهذا.

فقد كذب. فإنّه لو انّ رجلاً مؤمناً موحِّداً عارفاً عاش مائة سنة ولم يتزوّج حلالاً، ولم يعرفْ حراماً، لم يَنْقُصْ ذلك من منزلته في الدِّين شيئا. وكذلك لو انّ امرأةً مؤمنة موحّدة عارفة بدين مولانا جلّ ذكره وتعبُده حقّ عبادته وعاشت مائة سنة ولم تتزوّج وماتتْ بكراً لم يَنقص ذلك من دينها شيئا. ولو كان رجل كافر وامرأة كافرة، وهما جميعاً يتناكحان ليلاً ونهاراً ويتناسلان، لم ينفعْهما ذلك ولا ينجّيهما من العذاب. فعلمْنا بأنّ جميعَ ما قاله هذا الفاسق النّصيرى محال وزور.

وأمّا قوله: ألويل كلّ الويل على مؤمنة تمنعُ أخاها فرْجَها، لأنّ الفرْج مثل أئمّة الكفر؛ والإحليل إذا دخل فرجَ الامرأة دليلٌ على الباطن. وممثولُه على مكاسرة أهل الظاهر وأئمّة الكفر. والحرامُ على مَن تكلّم غيرَ المستحقّ فهو الزنّى؛ ومن عرف الباطن فقد رفع عنه الظاهر.

فقد كذب على دين مولانا وحرّف وأغوى المؤمنين وأفسد المؤمنات المحْصَنات. وليس كلُّ مَن عرف باطن شيء وجب عليه تركُ ظاهره. وفي الأشياء ما لا يجب تركُ ظاهره ولو علم تأويله على سبعين وجهاً. منها الطهارة وباطنها البراءة من الأبالسة. وطهارة قلوبكم من محبّتهم والاتّصال بالإمام[٥].

ولا يجوز لأحدٍ ولا يستحسنه عاقلٌ إذا عرف باطن الطهارة إنّه يدخل الخلاء وَيَبُولُ وَيَتَغَوَّطُ، وَيخْرُجُ من الخلاء ولا يغسل قُبْلَهُ ولا دُبُرَهُ، ولا يغسل وجهه، ويتمضمض ويتنشّق ويقول بأنّه قد عرف. فإذا ترك

---

(٥) المقصود من «محبتهم» محبّة الحدود الخمسة التي هي سبب كلّ طهر.

ظاهرَها يتوسّخ جسمُه، وتنتن رائحتُه، ويقع عليه اسم النجاسة. بل يجب على مَن عرف الباطن أن يزيد في طهره ونظافة بدنه، إذ كان هو رسما مليحا يستحسن ظاهرَها وباطنها.

وكذلك أيٌّ رجلٍ عرف باطنَ ثوبه وَلبْسِهِ -وهو التقيّة والسترة وإقامة الشريعة مع أهلها واللّطف بهم- ثمّ إنّه ينزع ثوبَه وسرباله ويرميهما ويمشي في الأسواق عرياناً، قيل إنّه مجنون، وقد خرج من المروّة، وترك الفتوّة، برمي ثيابه وهتْك عورته. وكذلك مَن عرف باطن الزنى لا يجوز له ارتكابُ ظاهره، فيقع عليه اسم القبيح والعداوة بين الإخوان ومسبّته.

فالحذر الحذر معاشرَ المؤمنات أن تفسدن أديانكنّ بما ليس لكنّ فيه فائدة، لا في الدنيا ولا في الآخرة. وكلٌّ رجل يَنكحُ امرأةً مؤمنة بغير الشروط التي تجب عليه في الحقيقة والشريعة الروحانيّة كان منافقًا على مولانا جلّ ذكره، إذ كان فيهِ هتْكُ الدِّين وهدْم التوحيد. فنعوذ بمولانا جلّ ذكره من ذلك ونبرأ إليه من كلِّ مَن يعتقده. ومَن كانت لها بعلٌ فلا شروط لها إلاّ لبعلها، أو تَبِيْنُ منه وترجِع في الرتبة إلى غيره.

وأنا أذكر لكم الشروطَ التي تجب عليكم في «الكتاب الموسوم بالشّريعة الروحانيّة في علم اللّطيف والبسيط والكثيف»[٦]، ونُبيّن لكم ولجميع المؤمنين والموحِّدين والموحِّدات ما يجب عليكم في الشريعة من أوّلها إلى آخرها، والغرض فيها، إن شاء مولانا جلّ ذكره وبه أستعين في جميع الأمور، حتّى تكونَ جميعُ شروطِكُمْ وكلامِكُمْ ومخاطبةِ بعضكم لبعضٍ والتهنيةُ والتعزيةُ وما تكتبونه في رِقاعكم إلى الحضرة المقدسة بخلاف ما

(٦) كتاب لحمزة لا يزال موجوداً؛ ولكنّه لا يُحسَب من مجموعة «الحكمة».

يكون للعامّة الحشويّة الظاهريّة والمشركين المتعلّقين بكتب التأوليّة، العابدين للعدم بغير معرفة ولا رويّة. ثمّ إنّ لا فرق بينهم وبين مَن عبد الصنم والشمس والقمر، وتكونوا من العاليين الموحِّدين لمولانا جلّ ذكره، الموجودِ في كلِّ عصر وزمان، سبحانه وتعالى عن إدراك الوصف علوًا كبيراً.

وأمّا قوله الفاسق النّصيـريّ لعنه المولى إنّه قد كشف لكم المحجوب أعني التوحيد،

فقد كذب في قوله لأنّه كشف عن الكفر وأظهره، وبيّن الشرك واعتقده، واختار أشرّ الطرقات وأنتنها. ونطق بما نعيذ المولى منه سرًّا وجهراً، بقوله في كتابه بأنّ مولانا هو الرّوح الزكيّة الذي قيل في القرآن «يَسألُونَكَ عَنِ الرّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي»[7].

وإنّ مولانا جلّ وعزّ عن ذلك مصوِّرُ الإنسانَ في بطن أمِّه عند الجماع. وهذا ما لا يستحسنه يهوديٌّ في حبرٍ من أحباره، ولا نصرانيٌّ في أُسقُفِه.

وأنا أُجلّ عبداً من عبيد مولانا جلّ ذكره أن يكون مصوِّرَ الخلق في بطون الأمّهات، وأن يحصل عند المجامعة، ويُشاهِدَ التصويرَ في بطون الأمّهات. والتصويرُ من الأفلاك وطبائِعها الأربعة. والأفلاك هنّ جمادات لا عقل لها.

ومثل ما يتصوّر الإنسانُ في بطن أمّه ويصيرُ له حِسٌّ ونموّ، وتمييزُ الأكل والشرب، ومعرفةُ الأمّ والأب، وهم من آبائه، العقلُ الطبيعي. كذلك يتصوّر الكلبُ والقرد والخنزير وجميع الحيوان والوحش.

---

(٧) سورة الأسراء ١٧ / ٨٥.

ومِن الحيوان مَن يكسب من العقل أكثرَ من الإنسان مثل الحَمام الذي تُدَرِّجُهُ من مرحلة إلى مرحلة مرّةً واحدة، ثمّ إنّك تُسَيِّبُهُ من مسيرةِ عشرين يوماً، فيرجع إلى وَكْرِه في يومٍ واحد. ومِن بني آدم مَن تعلّمه كلمة واحدة تؤولُ إلى صلاحه ونجاة روحه ألفَ مرّة فلا يَفهم. ومنهم مَن تتعب معه فلا يتعلّم.

ومن الحيوان مَن هو أكثر نموًا وأكثر حسًا من بني آدم، مثل الفيل والجمل والفرس والبغل. فعلِمْنا أنّ الصور كلَّها مِن نُطفَةِ الذَّكَر وحرارة الرَّحم وتأثيرات الأفلاك. والقوّة من الطبائع لتدبير الجنين. وليس التصويرُ في ساعة النِّكاح، كما قال هذا الفاسق النُّصيري ونَسَبَه إلى مولانا جلّ ذكره. والنُّطفَةُ تُقيم في الرَّحم يوماً وحداً، ثمّ تصير دماً. ولم تزل تتغيّر من حالٍ إلى حال إلى أن تصير خَلْقاً سويًا من الطبائع. وكذلك البَيضة تحضنُها الدجاجةُ فيتكوّن من البيضة مِثْلُ التي تَحضُنُها سوًى.

وهناك أعظم من هذا مِثلُ الخنفس والعقرب والدّود والنَّمل وما شاكل ذلك من غير نُطفةِ ذكَرٍ ولا حرارةِ رحمٍ. بل تتكوّن من الطبائع والجمادات.

فعلمنا أنّ هذا الخلق والتصوير لا يَنتسب إلى مولانا جلّ ذكره ولا إلى عبيده الدينيّة. بل ينتسب إلى عبيده التصويراتُ الروحانية، وخَلْقُهُم الحقيقيّة، كما قال: صَنْعَةُ اللّه ومَن أحسَنُ مِن اللّه صَنْعَةً»[8]. واللّهُ هاهنا هو الداعي، وَصنعَتُه أهل الظاهر، وتغييرهم إلى التأويل والباطن. ومَن صنع شيئاً فقد خلَقه. كما قال المسيح: «مَنْ لَم يَلِد من بطنِ أُمّه مرَّتَين، لم يبلغ ملكوتَ السموات ومعرفةَ الأرضِين»[9]، أعني الولادةَ الدينيّة ومعرفةَ النطقاء والأسس. وكذلك قال الناطق: "أنا وعلي أَبَوَا المؤمنين". أراد ظاهراً وباطناً.

---

(٨) سورة البقرة ٢/١٣٨. في الأصل: «صبغة اللّه ... صبغة».

(٩) إنجيل القديس يوحنّا ٣/٣-٥، بتصرف كلّي والمقصود هو المعنى.

وهذا الخلقُ والتصويرُ لعبيد مولانا الدعاةِ إلى التوحيد، ومولانا جلّ وعزّ لا يَدخل في الأعداد، ولا يعدّ في الآحاد. إذ كانت الأعداد والآحاد والأزواج والابتداء والانتهاء كلُّها منه بدتْ وإليه تعود، سبحانه وتعالى عمّا يشركون.

وأمّا قوله بأنّ أرواحَ النواصبِ والأضداد ترجع في الكلاب والقردة والخنازير إلى أن ترجع في الحديد وتُحمَّى وتُضرب بالمطرقة. وبعضهم في الطير والبوم. وبعضهم ترجع إلى الامرأة التي تثكل ولدها.

فقد كذب على مولانا جلّ ذكره وأتى بالبهتان العظيم. فلا يدخل في المعقول، ولا يجب في عدل مولانا سبحانه، بأن يَعصيه رجلٌ عاقل لبيب، فيعاقبه في صورة كلْب أو خنزير، وهم لا يعقلون ما كانوا عليه في الصورة البشريّة، ولا يعرفون ما جنَوه، ويصير حديداً يُحمَّى ويضرب بالمطرقة! فأين تكون الحكمة في ذلك والعدل فيهم؟ وإنّما تكون الحكمة في عذاب رجلٍ يَفهم ويَعرف العذابَ فيكون مأدبة له وسبباً لتوبته.

وأمّا العذاب الواقع بالإنسان نقلَتُه مِن درجة عالية إلى درجة دونها في الدّين، وقلّةُ معيشته، وعمَى قلبِه في دينه ودنياه. وكذلك نقلته من قميصٍ إلى قميص على هذا الترتيب. وكذلك الجزاء في الثواب ما دام في قميصه، فهو زيادةُ درجته في العلوم، وارتفاعُه من درجة إلى درجة في اللّهوات[١٠]، إلى أن يبلغَ إلى حدّ المكاسرة، ويزيد في ماله، وينبسط في الدِّين من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ إلى حدّ الإمامة.

فهذه أرواح الباطنية وثوابُها. وما تقدّم أرواحُ الأضداد وعقابها. فمَن اعتقد هذا كان عالما بتوحيدِ مولانا جلّ ذكره. والعمل الصالح مع

---

(١٠) اللهوات جمع لهات هي الهنة المطبقة في أقصى سقف الفم. تعني هنا التكرار في الاقمصة.

الإخوان يُنتفع به ويُثاب عليه عاجلاً وآجلاً. ويُخشى من عقاب مولانا جلّ ذكره عاجلاً وأجلاً. ويعمل الحسنات ويتجنّب السيّئات. ومَن اعتقد التناسخ مثل النّصيريّة المعنويّة في عليّ بن أبي طالب وعبَدَه، خسر الدنيا والآخرة. ذلك هو الخسران المبين.

وأمّا قوله إنّ المشركين هم النّواصب الذين يُشركون بين أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ،

فقد كذب وأبطلَ في قوله، وإن كان هذا هو الشرك فقد رضي عليّ بذلك، وبايع أبا بكر وعمر وعثمان. وهم يَروُون عن عليّ بأنّه ضرب على خُفِّه فمات عشرون ألف رجلٍ من أهل النهروان. ومَن كانت هذه صفته لا يدخل تحت العجز، فعلمنا بأنّه رضي به ومحمّد نصبهم معه.

وقد اتّفقتِ الشيوخ المتقدِّمون بأنّ الأساس زوجُ الناطق وشكله وشريكه في علم الباطن. وقد قال الناطق بأنّ الشرك هو خفيّ لا يُبيَّن، كما لا يُبَيَّن دبيب النّملة السوداء على المسح الأسود في اللّيلة الظلماء. فصحّ عندنا بأنّ الشرك بخلافِ ما قاله هذا الفاسق النّصيريّ.

ثمّ إنّه إذا ذَكَر عليًا يقول: عَلينا سلامُه ورحمته. وإذا ذكرَ مولانا جلّ ذكره يقول: عَلينا سلامُه. فيطلبُ الرحمةَ مِن المفقود المعدوم، ويجحد الموجودَ الحاكم بذاته، المنفردَ عن مبدعاته. ولا يكون في الكفر أعظم من هذا. فصحّ عند الموحّد العارف بأنّ الشرك الذي لا يُغفر أبداً بأنْ يُشرَك بين علي بن أبي طالب وبين مولانا جلّ ذكره.

ويقول: عليٌّ مولانا الموجود، ومولانا هو عليّ لا فرق بينهما.

والكفر ما اعتقده هذا الفاسِق من العبادة في عليّ بن أبي طالب، والجحود لمولانا جلّ ذكره. والناطق والوصيّ والإمام والحجّة كلهّم عبيدٌ

لمولانا جلّ ذكره في كلّ عصر وزمان. ومولانا مؤيّدهم سبحانه وحده لا شريك له.

وأمّا قوله بأنّ محمّد بن عبد الله هوالحجاب الأعظم الذي ظهر مولانا الحاكم منه. ومَن لم يسدّق بهذا الكتاب فهو من أصحاب هامان والشيطان وإبليس، وعميتْ بصائرهم التي في صدورهم.

فقد كذب في جميع ما قاله المنجوس النّصيريّ، فما عرف الدّين ولا الحجاب. ومحمد كان حجابَ عليّ بن أبي طالب. وأمّا حجاب مولانا جلّ ذكره فلا. وهذا قولُ مَن عقلُه سخيف، ودينُه ضعيف. والحجابُ هو سترة الشيء ليس إظهارَه. والذي أظهرَ المولى جلّ اسمه نفسَه منه كيف يشاء بلا اعتراض عليه، يُقال له حجّة القائم وهو المهدي. وبه دعا الخلق بنفسه إلى نفسه، وباشر العبيدَ بالصورة المرئيّة، ومخاطبة البشريّة. وكنْهُ مولانا لا تدركه الأوهام والخواطر، إذ كان العالمين لا يستطيعون النظر إلى كلّيّته. ولا يدركون وصفَه سبحانه وتعالى عمّا يقولون المشركون علوّا كبيراً.

وأمّا إبليس وهامان والشيطان فقد أخطأ حزْرَه وقياسَه فيهم، ونطق برأيه، وطلبَ الشهوة البهيميّة، لأنّه أراد بإبليس وهامان والشيطان أبا بكر التيمي وعمر العدوى وعثمان الأموي. وذكر أنّ «الخمرَ والميسرَ والأنصابَ والأزلامَ رجسٌ مِن عملِ الشيطانِ فاجتنبوه»[١١]. وإنّما ذكر أربعة أشخاص في نسقٍ واحد ليس ثلاثة. ثم استثنى بالخامس. ونسبَ هؤلاء الأربعة إليه، بقوله «رجسٌ من عمل الشيطان». فصاروا أولئك الأربعة مِن قِبَلِ الشيطان. فصار هو أجلّ منهم وأعلى؛ لأنّ العمل هو الصنعة. والصّانع هو المصوّر، والمصوّر هو الخالق. والخلق خلقان كما تقدّم ذكره.

---

(١١) سورة المائدة ٥/ ٩٠.

فـخلقَ البشـريّةَ من نُطفـة الذّكر وحـرارة الرحم وطبائع الأفـلاك. وخلقَ الحقـيقة الدينيّة من كـلام المفيد واسـتماع المستـفيد، وقبـوله بعقله، فيصير مسـتجيبا بالغاً، فينصبه حدًا من حدوده، فصـار خلقاً سويًا. فيُقال هذا الرجل من صنعة فلان يعني من خلقه.

فصاروا أولئك الأشخاص الأربعة شـرعاً سوى. والواحد رئيسهم. وشيطانهم الذي شاط على حقيقيّة التوحيد وعانده ومرق عن الحق وباعده، وجحد مولانا وضادده فعليه وعليهم سخط مولانا وأبعدهم بالاجساد. وأمّا القلوب فمتباعدون عنه.

فصحّ عندكم معـاشرَ المؤمنين والمؤمنات الطاهرات بأنّ هذا الفاسق النُّصيـريَّ ما عرف مولانا جلّ ذكـره، ولا عرف إبليس ولا الشّيطان، فعـبد إبليس ووحّده بجـهله وجحـد مولانا ونعمـتَه، فنعـوذ بمولانا جلّ ذكره من الشكِّ فـيـه والشـرك مـعـه والكفـرِ بـه. ومـولانا وحـده لا شـريك له في الجسـمانيّين، ولا في الجرمـانيّين، ولا في الروحانيّين، ولا في النفـسانيّين، ولا في النورانيّين. سبحانه وتعالى علوًا كبيراً. وتنزّه عن الصفات.

فـالحـذر الحـذر مـعـاشـرَ المؤمنين والمؤمنـات من ارتكاب الأهواء والفواحش والشهوات البهيمـيّة واتّباع المنكرات، وعليكم بمعرفة مولانا جلّ ذكره الحاكم بذاته، المنفرد عن مـبدعاته، ومعرفةِ وليِّه وحـدودِه التوحيديّة، والقَبولِ منهم فيما يرضاه مولانا جلّ ذكـره. واعبُدُوه عبادة كلّيّة دون غيره من جميع مَن تقـدّم من النطقاء والأوصياء والأئمّـة والحجج والدعاة. فكلُّهم عبيده.

فاسمعوا وأطيعوا ما أمـركم به عبدُ مولانا جلّ ذكره وصفيّه هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا سبحانه وشدّة سلطانه. فقد

اقتـربتِ السـاعة وانشقّ القـمر. ودَعـوتُكم إلى شَيءٍ نُكُرٍ[١٢]، وهو توحـيد مولانا جلّ ذكره. فقد ظهر المستور، وبيَّنْتُ لكم ما في الصدور، ونشرتُ لكم ما في القبور.

ومولانا بكـم لَخبيـر. والسلام على المؤمنين والمؤمنـات والموحِّدين لمولانا جلّ ذكـره والموحِّدات. والحـمد والشكر لمولانا وحـده. وهو حسـبنا ونعم النصير المعين.

تمّت الرسالة والسلام.

(١٢) سورة القمر ٥٤/ ١ و٥.

١٦

ألرِّسَالَة المَوسُومَة بالرِّضَى والتَّسلِيم

إلَى كَافَّةِ المُوَحِّدِين، وإلَى جَمِيعِ مَن شَكَّ فِي مَولانَا جَلَّ ذِكرُهُ وَفِي وَلِيِّهِ قَائِمِ الزَّمَانِ عَلَيهِ السَّلَام

وضع هذه الرسالة حمزة بن علي سنة ٤١٠ هـ. فيها يثبت ألوهيّة الحاكم، وأنّه الإمام الأوحد، وقد جاء ليقضي على جميع النطقاء والشرائع، ليكسرَ الصليبَ، ويقتلَ الخنزيرَ، ويهدمَ المنازلَ، أي شريعتَي الظاهر والباطن. في الرسالة لمحةٌ واضحةٌ عن موقف حمزة من الدَّرزي والبرذعيِّ اللذين تجبّرا وتكبّرا ورفضا الطاعةَ للإمام الأوحد الذي هو حمزة.

مِن عبد مولانا سبحانَ قدرةُ مولانا وتعالى لاهوته. لمّا رأى من أمور المستجيبين بخلاف ما شرطه عليهم من الوصايا في الرضى والتسليم لمولانا جلّ ذكره وعزّ اسمه ولا معبود سواه، فكتب إليهم كتاباً يكون صلاحُهم في قراءَته إن شاء مولانا جلّ ذكره وبه التوفيق في جميع الأمور. وهذه نسخته حرفاً حرفاً. فإنْ أراد مولانا سبحانه بهم خيراً فهم الفائزون في الدِّين والدنيا، وإنْ أراد بهم سوءًا فلا مردّ لقضائه ولا دافع لحكمه. وهو العليّ العظيم. تَوكّلت على مولانا جلّ ذكره. وبه أستعين في جميع الأمور. معلّ علّة العلل. صفات العلّة: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم.

ألحمد للأحَد الصمد الأزل، ومعلّ علّة العلل، والعالي بلا شِبْه ولامَثَل، لم يلد من العقل الأوّل، ولم يولد من النفس الكامل المفضّل. ولم يكن

له كفؤ في العوالم والمحلّ، الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته ومصنوعاته. أحمدُه في السرّاء والضرّاء، وأشكره في الشدّة والرخاء.

وسلّمتُ جسمي الطبيعي الذي أظهره مولانا جلّ ذكره من أربع طبائع، ونفسي الذي ينمو بها جسمي، وفؤادي وما سكن فيه من الروح الزكيّة، والعقل الكليّة، والحِكَم الروحانيّة، والعلمِ الجرمانيّة والفهمِ الجسمانيّة، والهيولى الشعشعانيّة، الذين بهم عرفتُ المولى جلّ ذكره. ولحمي ودمي وشعري وبشري وجميع جوارحي إلى الإله الأكرم وحقيقية المولى الأعظم العالي المتعالي في القِدَم.

ورضيتُ لروحي بجميع ما رضي لي به مولانا جلّ ذكره سبحانه، ما أعظم شانه وأجلّ سلطانه، لا يُدرِكُ حقيقيّةَ لاهوتِه أحدٌ من البشر ، ولا يقف على كنه معرفته أحد من أصحاب السِّيَر. ويفعل ما يشاء كيف يشاء بلا اعتراضٍ عليه في حكمِه، وهو المعبود الموجود. سبحانه وتعالى عمّا يقولون المشركون به والملحدون فيه علوًا كبيراً. «يَعلَمُ مَا بَين أيدِيهِم ومَا خلفَهم ولا يُحيطون بشيءٍ مِن علمِه إلاّ بما شاء. وسع كرسيّه السموات والأرض ولا يَؤُدُهُ حفظُهما وهو العليّ العظيم»[1].

أمّا بعد معاشر المستجيبين فقد بلغني ما أصابكم من الضعف في أديانكم، والشكِّ في صاحب زمانِكم، بما رأيتم من استتار الحقيقة[2]، واشتعالِ الشرك في الخليقة. فظننتم بمولانا جلّ ذكره ظنَّ السؤ وكنتم قوماً بُوراً.

أما تعلمون بأنّ مولانا جلّ ذكره يَبني ويهدم، وينقض غير ما يبني، ويفتق الأشياء بحكمته، ثمّ يرتق. لكلٍّ فعلٍ منها حكمةٌ لاهوتيّة، وأنتم عنها

(١) سورة البقرة ٢ / ٢٥٥.

(٢) كان استتار الحقيقة في السنة التاسعة، أي سنة ٤٠٩ هـ، وهي الغَيبة الأولى.

غَافلِين، لا يُظهر لكم حكمتَه إلاّ بعد حين، ويُبيّن لكم سدق المؤمنين الموحِّدين، وتكذيبَ المشركـين، وزَيفَ المتبهـرجين، وما احتـوتْ عليه صـدورُ الملحدين، ليُهلك مَن يهلك عن بـيِّنة، ويحيي من يحيي عن بيِّنة. ومـولانا جلّ ذكره على كلِّ شـيء قـدير، لا يُطفئ نورَه، ولا يكشف عن أوليـائه ستـورَه، ولا ينقض شيئاً إلاّ ويَبني خيراً منه، وأقوى وأعلى. ولا يترك العالَمَ سدًى أبداً.

وسـائر الناس يقولون: لا يغلـق اللّهُ باب الرزق عن أحد إلاّ ويفـتح دون الباب أبواباً. والباب هاهنا حجّـة العالم ومعلّمهم الذي منه يدخلون إلى التـوحيد ومـعرفـة مولانا جلّ ذكـره. واللّه هاهنا لاهوتُ مـولانا سبحـانه. ومولانا جلّ ذكره لا يستر عبدَه الهادي إلى عبادته عن عبيده أيّاماً يسيرة إلاّ لما يريد من إظهـاره على سـائر العبـيد، ويؤيِّده بـالقدرة والتـأييد، ويمهِّـد الأرض على يده بالتـسديد، حـتّى لا يبقى على الأرض منافق إلاّ هو صـريع بطشة مولانا جلّ ذكره، ولا مشرك إلاّ وهو جديلٌ بسطوته.

وقد سـمتعم مـعاشرَ المسـتجيبـين في مجالس الحكمـة بأنّ القائم بالحقّ، إذا ظهر، يكسـر الصليب، ويقتل الخنزير، ويجعل السـيوف مناجلاً. ويتّخذ البيوتَ منازلاً. فـعند ذلك ينزل من السماء قطْراً. وَتنبُتُ الأرضُ نباتًا. وتُملأ الأرضُ عدلاً وقِسطًا، كما مُلئت جوراً وظلماً.

وقد أيّـدني مولانا جلّ ذكـره حتّى فـعلتُ هذا كلَّه وقد شـاهدتموه عِياناً، لأنّ الصليب[٣] دليل على الناطق، لأنّ له اثني عشـر حدًّا. وكذلك لكلِّ ناطق أثناعـشـر حدًّا. وقـد قال عـيسى بن يوسف، وهو الناطق الخـامس لتـلاميـذِه: أنا طالع إلى أبي وأبيكم، فـشدّوا أوسـاطكم واحملوا صلبـانكم

(٣) الصليب دليل على عيسى، كما على كلِّ ناطقٍ من النطقاء السبعة.

والحقوني[٤]. وإنّما أراد بالصليب نفسه وحدوده الاثنعشر. وقد كسَرْتُ أنا شريعتكم الناموسيّة بالعلوم الحقيقيّة التوحيديّة.

وأمّا الخنزير فهو الضدّ الروحاني المشبِّه روحَه بمولانا جلّ ذكره وقد دعوتُه ورضيَ بذلك وأقرّ لي بالعبوديّة ضرورةً لا ديانةً[٥].

وأمّا السيوف فهو تأييد مولانا جلّ ذكره الذي أيّدني به لحصاد المنافقين والمارقين بقدرة مولانا جلّ ذكره[٦].

وأمّا البيوت فهم: السابِق والتالي والناطق والأساس الذين اتّخذوا العالمُ فيهم المعنويّة. وقد بيّنتُ لكم ولجميع الموحِّدين بأنهّم كلّهم عبيد. وهم منازل مثل ما تقولون منازل القمر ومنازل الفلك.

وأمّا قَطر السماء فهو العلم الحقيقيّ الذي أيّدني به مولانا جلّ ذكره.

ونبات الأرض استماع المستجيبين له وقبولهم منه.

ومُلئت الأرض، وهو الدّاعي، عدلاً وقسطاً، وهو توحيد مولانا جلّ ذكره وعبادته جهراً؛ كما مُلئت جوراً وظلماً، وهو زخرف الشريعتَين.

وقد سمعتم ما تُلي عليكم في مجالس الحكمة من امتحان الإمام وخفيته ونقلته من موضع إلى موضع نقلةَ الخفية لا نقلة التغيير والغَيبة. والإمام فهو عبد مولانا جلّ ذكره ومملوكُه حمزة بن عليّ بن أحمد، هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا جلّ ذكره وشدّة سلطانه .

---

(٤) يجمع بين يوحنا ٢٠/١٧ ومتّى ١٠/٣٨ و ١٦/٢٤ ولوقا ١٢/٣٥.

(٥) المقصود بالخنزير هنا أنشتكين الدّرزي.

(٦) بالسيف سينتقم حمزة يوم القيامة من أبالسة الأزمان؛ لهذا يكنّي نفسَه دائماً بـ «المنتقم بسيف مولانا».

ويكون فيه محق المارقين والمخالفين. وهي محنةٌ عَاقَبكُمْ بها لأنّه سبحانه أنعم عليكم ما لم يُنعم على أحدٍ في الأدوار. وأظهر لكم من توحيده وعبادته ما لم يُظر في عصر من الأعصار. وأعزّكم في وقتِ عبده الهادي ما لم يُعزِ أحداً في الأقطار. ولم يكن لصاحب الشرطة والولاية والسيّارات عليكم سبيلٌ إلاّ بطريق الخير.

ثمَّ إنّ المنافقين قتلوا مِن أخوانكم ثلثةَ أنفس. فأمَرَ مولانا جلّ ذكره بقتلِ مائة رجلٍ منهم. والذي قال في القرآن: «النفسُ بالنفس»[٧] لا غير. فلم تَشكروه على ذلك. ولم تعبُدوه حقَّ ما يجب عليكم من عبادته. ولم تكن نيّاتُكم خالصة لوحدانيّته. ولم تَقبلوا ما أمرتُكم به في كتبي من سدق اللّسان، وحفظ الإخوان، والرّضى بفعلِ مولانا جلّ ذكره والتسليم لأمره، بل داجيتموني في عبادته وتوحيده، وشككتم في مواعيده، وخشيتم المخلوقين. ومولانا جلّ ذكره أحقُّ أن تخشونَ عذابه وترجون رحمتَه وثوابه، فبدّلتم قولي غيرَ ما قلتُ لكم من الهداية، وجحدتم ما كنتم فيه من النعمة والكفاية، فبدّلَ مولانا جلّ ذكره شربَكم الزلال بماء الحميم والسّراب، وغيّر أمْنَكم بالخوف والعذاب، و«ما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين»[٨]، «إنّ اللّه لا يُغيِّر ما بقومٍ حتّى يغيّروا ما بأنفسهم. وإذا أرادَ اللّهُ بقومٍ سوءًا فلا مردّ لقضائه»[٩].

وقد سمعتم ما جاء في المجلس بأنّهم يتفقّهون لغير اللّه، ويتعلّمون العلم لغيرِ العمل، ويَلبسون جلّودَ الضأن، وقلوبُهم قلوب الذياب، وألسنتهم أحلى من العسل، وأفعالُهم أمرُّ من الصّبر. أبي تغتّرون، أم عليّ تتجبّرون؟

---

(٧) سورة المائدة ٥ / ٤٥.
(٨) سورة الزخرف ٤٣ / ٧٦.
(٩) سورة الرعد ١٣ / ١١.

إنّي أقسمت لأُتيحَنّ لكم فتنةً أترك الحليمَ منكم فيها حَيراناً. والحليم هاهنا هو الدّاعي في وقتنا هذا. والخطاب كان لكم. لأنّ جلُودَ الضّأن دليلٌ على ظواهر المؤمنين وتزَيِّيهم بها من غير حقيقيّة ولا برهان. والقلوب دليل على الأئمّة، فقال: قلوبُ الذئاب يعني أئمّة الضلالة. والألسن هم الحجج. وأفعالهم أمرٌّ من الصبر يعني الضد الروحاني، أبعده المولى من رحمته.

وهذه المحنة هي السّبكة كما تسبك الفضّة بالنار فَيُحْرَقُ ما فيها من النحاس وَتَبقَى نُقْوَةً صافية، ويصير لها اسم آخر يُقال لها: "حَمَى حَرْق"؛ ولا يقال للدراهم حَرْق. وكذلك المستجيب، إذا كان فيه شكّ ووقع في هذه المحنة، خرج زَيفُه، وظهر ما كان فيه حَتفُه. ومَن كان مؤمناً بالغاً في دينه سادقاً في قوله صحيحاً في فعله. كلّما زاده الزّمان امتحاناً زاد في نفسه يقيناً وإيماناً، كالفضّةالصّافية البيضاء التي كلّما زادتْ عليها النار في حماها زادت في جوهرها وصفاها. كذلك الموحِّد كلّما أراد به مولانا جلّ ذكره امتحاناً فهو راضٍ به صابرٌ لحكمه.

ولبعضهم يقول: لو قطّعتموني في محبتّكم إرباً إرباً لما ازددتُ في محبّتكم إلاّ حبًا حبًا. ويكون من المفلحين. كما قال[١٠]: «ولنبلُوَنَّكُم بشيْءٍ مِنَ الخوفِ»، يعني في الدِّين، «والجُوعِ»، يعني مجاعة الأرواح من العلم الحقيقي، «وَنقْصٍ مِنَ الأموال»، يعني الكتب المذخورة. «والأنفس»، هم حدود التوحيد، «والثمرات»، يعني فوائد العلم. «وَبَشّر الصابرين»، يعني الموحّدين، «الذين، إذا أصابتهم مصيبة»، في الدِّين، «قالوا: إنّا للّه»، يعني سَلَّمنا أمورَنا إليه، «وإنّا إليه رَاجعون»، يعني في القَو والنّصر حتماً جزماً لازماً لكلِّ أحد، بمشيّة مولانا جلّ ذكره وقدرته.

---

(١٠) سورة البقرة ٢/ ١٥٥ – ١٥٦.

وهذه المحنة التي أصابتكم قد كنتُ أوعدتُكم بها وحذّرتُكم من أفعالٍ تستوجبون بها العذاب. وأوّل ما كنتُ حذّرتكم من نَشْتَكِين الدَّرَزي والبرذعي وأصحابِهما، وما كانوا فيه من الأفعال الرديّة. وكنتُ قد بيّنتُ لكم في كتاب «البلاغ والنهاية»[١١] بأنّ السدق دليلٌ على الإمام. وأنا ذلك. والكذب دليل على ضدّ الإمام. لأنّ السدق ثلثة أحرف والكذب ثلاثة أحرف. وهما يتشابهان في عدد الأحرف. لكنّهما يفترقان في الصورة والمعنى.

واعلموا بأنّ الدَّرزي والبرذعي نطقا بغيرِ معرفةٍ ولا علم. وعملا لغير وجهِ مولانا جلّ ذكره، وأعليا البناءَ بغير أساس. وما أصاب أحداً منهما ما أصابه إلاّ باستحقاقٍ وعدل من المولى سبحانه على يدي. وقد رفعتُ اسمَه[١٢] إلى الحضرة اللاّهوتيّة في جملة أسماء كثيرة. وقد سألني مراراً بكثرة أن أدفعَ إليه شيئاً مِن كتبِ التوحيد ممّا ألّفْتُه. فلم أفعل ذلك، ممّا تفرّستُ فيه من العاقبة الرديّة.

وقد قال صاحب الشريعة: إحذَروا من فراسة المؤمن فيكم فإنّه ينظر بنور اللّه. والمؤمن هاهنا هو الإمام. وأنا ذلك. واللّه هاهنا لاهوتُ مولانا سبحانه. فنظرتُ فيه بنور مولانا جلّ ذكره وتأييده ولم أفعلْ أسلّمه شيئاً ممّا طلبه، فتردّى بالكبرياء. وقال: أنَا خيرٌ منه وأقوى وأعلى. ولم يعلمْ بأنّ الغالبَ مَن أعانه المولى جلّ ذكره. «إنّما أمْرُه إذا أرادَ شيئاً أنْ يقولَ له كُنْ فيكونُ. فسبحانَ الذي بيدِه ملكوتُ كلِّ شَيءٍ وإليه تُرجَعون»[١٣].

وأمّا البرذعيّ فأنا أرسلتُ إليه ودعوتُه إلى توحيد مولانا جلّ ذكره وعبادتِه. فأقسم بمولانا جلّ ذكره أنّه لا يَدخل في هذا المذهب إلاّ بتوقيعٍ من

---

(١١) أي: رسالة البلاغ والنّهاية، رقم ٩ من مجموعة «الحكمة».

(١٢) أي إسم الدّرزي.

(١٣) سورة يس ٣٦/٨٢-٨٣.

مولانا جلّ ذكره. فلمّا أرسلَ إليه الدرّزيُّ رسولَه، ومعه ثلثة دنانير، وأوعده بالمركوب والخُلَعِ، فمضى إلى عنده، وفتّح له أبواب البلايا والكفر.

وأمّا أصحابُه كلهّم مكتوبون عندي وعليهم وثائق بالشهود العادلة بأنّهم لا يرجعون عمّا سمعوه منّي أبداً. ومتى ما رجع أحدُهم كان بريئًا من مولانا جلّ ذكره. ومولانا جلّ ذكره بريءٌ منه يعاقبه كيف يشاء بلا اعتراض عليه. فإنْ أراد مولانا جلّ ذكره يعاقبهم بالقتل فله الإرادة والمشيّة فيهم. وقد أوصيتهم كما أوصيتكم بأنّهم لا يَلعنوا أحداً ممّن تقدّم ذكره. ولا يستحسنوا الفواحشَ ما ظهَر منها وما بطن. فلمّا أسرفوا انتقم مولانا جلّ ذكره منهم، ونقلَهم من القميص الذي عبدوه فيه. له الإرادة والمشيّة فيهم. فإنْ عذّبهم فبسوءِ أعمالهم، وإنْ رحمهم فتفضّلٌ منه ورأفةٌ باستحقاقٍ يستحقّوه.

وكنتُ قد كتبتُ رسالةً إلى نشتكين الدّرزي وعرّفتُه بأنّ لكلِّ ظاهر باطناً، روح وجسم لا يقوم أحدهما إلاّ بصاحبه. والذي تطلبه أنتَ من الكشف ليس لكَ عليه قدرةٌ ولا بفعلِه طاقة. لأنّ له روحاً وجسماً وما بيدكَ منهما شيء. لأنّ الروح هو العلم الحقيقي، وأنتَ صفْرٌ منها ما تعرف ما طحاها. وقد أظهرتُ أنا من العلم الحقيقيّ المكنون ما تعجز أنتَ عنه وجميعُ العالمين. وذلك بتأييد مولانا جلّ ذكره، لا بحَولي وقوّتي. فله الحمد والشكر وحده. وجسمُه هو السيف الذي أوعدني به مولانا جلّ ذكره وهو لا يخلف الميعاد.

فإنْ كنتَ تدّعي الإيمان فأقرَّ لي بالإمامة كما أقررتَ في الأوّل حتى تخاطبَ أصحابَ الزّبور من زَبورهم، وأصحابَ التوراة مِن توراتهم، وأصحابَ القرآن من التنزيل، وأصحابَ الباطن من نفس التأويل، وأصحابَ المنطق من الآفاق والأفلاك والدلائل العقلية ومن أنفسهم، حتّى يُبيِّنَ لكلِّ

واحدٍ منهم عوارُ ما في يده من دينه، وتصحّ عبادةُ مولانا جلّ ذكره وتوحيدُه، والبراءةُ من إبليس وحزبه من غير أن تلعنَ أحداً ممّن تقدّم ذكره، لأنّ اللّعنةَ لا تَزيد في الدين ولا تُنقص منه. وخاطبِ الناسَ بالذي هو أحسن، فإنّ مولانا جلّ ذكره يُحبّ المحسنين. فإذا فعلتَ هذا مالتْ قلوبُ العالَم إلينا، وارتفعتْ ألسنتُهم عنّا، إلى أن يشاء مولانا جلّ ذكره بهلاكِهم ويدفعَ إليّ سيفَ نقمتِه.

فعند ذلك يَجتمعُ الرّوح والجسم والزمان والمكان والإمكان والسيف والعلم والسلطان. ولم يبقَ منافق إلاّ وتهلك شأفتُه، ولا مشرك إلاّ وتدنَى وفاتُه. فَمَن فَضِلَ من السيف تُؤخذ منه الجالِيـة كما ذكرتُ في «كتاب البلاغ والنهاية». فَغَيَارُ النّواصب فَرْدُ كُمِّهِ الأيسر مصبوغٌ فَاخَتِيًا وفي أذنَيه عِلاَقَتَان من الرصاص، وزنُهما عشرون درهماً، وجاليتُه ديناران ونصف. وهم يهود أمّة محمّد.

وغَيار الذين يتمسّكون بالأساس دون مولانا جلّ ذكره في أُذُنَيٍّ كلّ واحد منهم علاقَتان من الحديد، وزنهما ثلثون درهماً، وَفَرْدُ كُمِّهِ الأيمن مصبوغٌ بالسواد، وجاليته ثلثة دنانير ونصف. وهم المشركون نصارى أمّة محمّد.

ويكون غَيار المنافين المرتدّين عن توحيد مولانا جلّ ذكره في أُذُنَيّ كلِّ واحدٍ منهم علاقتين مِن الزجاج الأسود، وزنهما أربعون درهماً، وصدر ثوبِه مصبوغٌ رصاصيًا أغبر، وعلى رأسه طرطورٌ من جلْد ثعلب، وجاليته خمسة دنانير في كلِّ سنة. وهم المنافقون، مجوس أمّة محمّد.

فعند ذلك يتجلّى مولانا جلّ ذكره لعبيده فيُقال لمن الملْكُ اليوم وفي كلِّ يوم، فيقال لمولانا الحاكم القهّار، العزيز الجبّار، سبحانه وتعالى عمّا يقولون المشركون به والملحدون فيه علوًا كبيراً.

وأنتم معاشرَ المســتجيبين، إيّاكم أن تكرهوا شيئـاً من أفعال مولانا جلّ ذكره فيكم، أو تظنّوا به ظنَّ السوء فـتكونوا من الخاسرين في الدين. بل سلِّموا الأمـر إليه تَسلموا، وكـونوا راضيين بقضــائه، صابرين تحت بلائه، شاكرين لنعمه وآلائه. فإنّ مولانا جلّ ذكره لا يخلف الميعاد، ولا يَجوزه ظلمُ العـباد، وهـو مُتِمٌّ نورَه على يـديَّ ولو كره المشـركـون. فأبـشِروا بوعـده واعبُدوه حقَّ عبادته حتى يأتيكم اليقين.

رُفِعتْ نسختُها إلى الحضــرة اللاّهوتيّة في شهر ربيع الآخر، الثاني من سنة عبـد مولانا ومملوكه حـمزة بن علي بن أحمـد هادي المستجـيبين، المنتقم من المشــركين، بسيف مـولانا جلّ ذكره. ولا معـبود سواه. والحـمد لمولانا وحـده في السـرّاء والضـرّاء ، والشدّة والرّخـاء، وهو حسبي وعـليه توكّلت وهو نعم المعين. تمّت بحمد مولانا وحده.

١٧

رسالة التَّنزيه إلى جماعة الموحِّدين

رُفِعَتْ إلى الحَضْرَةِ اللاَّهوتيَّةِ وأُطْلِقَتْ

كتبها حمزة سنة ٤١٠ هـ. يشرح فيها دورَه ودور الحدود الدينيّة التوحيديّة الروحانيّة الخمسة، بمقابل حدودِ الدَّعوةِ الفاطميّة الخمسة. ويتكلّم فيها بإسهاب على منزلةِ الإمام وشرفِه

توكّلتُ على مولانا البار العلاّم العليّ الأعلى حاكم الحكّام، مَن لا يدخل في الخواطر والأوهام، جلّ ذكره عن وصف الواصفين وإدراك الانام، بسم اللّه الرّحمن الرّحيم: دعاة عبده الإمام.

مِن عبدٍ عرف مولانا في الظهور والكتمان، وعَبَدَه في كلِّ دهرٍ وأوان، وسجد لوحدانيّته في السرّ والحَدَثان، الهادي إلى التوحيد والإيمان، والنّاهي عن الفَحشاء والبهتان، ومملوكِ مولانا سبحانَ قدرةُ مولانا وتعالى مجدُه، حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا سبحانه وشدّة سلطانه.

لا يتّكل عبدُه على مخلوقٍ من البشر، ولا يعبُد شخصاً ولا صُورًا، بل يعبُد لاهوتاً كلّيًا، وإلهاً أزليًا، وخالقاً مليًا، المظهر ناسوتَه للعام، المُسمّى مَقَامُهُ بالحاكم، وهو المنزّه عن الأسماء والصفات والعزائم، سبحانه عن

إدراك البشر بالأوهام، وتعالى عن السابق والتالي والناطق والأساس والإمام، علوًّا عالياً عليّا.

إلى جماعة المؤمنين بالحاكم البار العليّ، الموحِّدين له عن كلٍّ حديث وأزلي، ثبّتكم المولى وهداكم، وأعاننا وايّاكم، على ما أنعم به وأعطاكم. انه لي قادر قدير.

أمّا بعد فإنّي أحمد إليكم مولانا الذي لا مولى لنا سواه. وآمركم وإيّاي بالشكر لنعمه وآلاه، بما أظهر لكم من أحدانيّته، وتنزيه لاهوته عن بريّته، وعبيد دعوته، وتصحيحِ ما ذكرتُه لكم في «الكتاب المنفرد بذاته»[1]، وتبطيلِ قول مَن قال بأنّ مولانا هو الناطق أو الأساس أو الإمام.

وما من هذه الطوائف أحد إلاّ وهو يزعم بأنّه مؤمن موحّد، وهو كافر مشرك ملحد. وإنّما أخذوا دينَهم بالرأي والقياس، والمكابرة والاختلاس، ونظروا في كتب الأضداد والإبلاس، فضلّوا عن الطريق، وغاب عنهم النور الحقيق. فهم لا يهتدُون، ولو نظروا بعين القلوب واليقين، وميّزوا حقائق الإيمان والدين، وسلّموا الأمر إلى صاحبه، واستقاموا على الطريقة الوسطى، لاسْتَفادوا عِلمًا غَدَقا ، وكسبوا عقلاً صافياً غرقا. وسلكوا أوضحَ طريق.

لكنّهم أضاعوا الصلة بالإمام، واتّبعوا شهوات الأنام، وأشركوا بين البارّ العلاّم وبين الأوثان والأصنام. فهم لا يفلحون.

وقد ذكرتُ في «الكتاب المنفرد بذاته» ما يُبطل مذهبَ كلٍّ فرقة منهم. لكنّي أذكرُ في هذا الكتاب على اختصار الدقائق، ومحض التوحيد والحقائق،

---

(١) إسمه: «المصحف المنفرد بذاته»، كتاب في العقيدة الدرزيّة وممارساتها، يقع في ٢٧٠ ص.

وهي كفايةٌ للعقل اللبيب والموحّد الأديب، لأنّ العاقل يسمع أوّل الكلام فيعرف وسطه وآخره، ويسمع آخره فيعرف وسطه وأوّلَه، ويسمع وسطه فيعرف طرفَيه. والجاهل لا يعرف ظاهرَ النظام، ولا معاني الكلام.

إعلموا، هداكم المولى إليه، بأنّ جميع الأسماء المتعارفة بين المؤمنين، مثل السابق والتالي والجدّ والفتح والخيال والناطق والأساس والإمام والحجّة والداعي، تقع على محمودٍ وعلى مذموم، لأنّ كلَّ حدٍّ في دعوة التوحيد مثله في دعوة الشِّرك والتلحيد، ليكون ضدُّها قائماً بإزائها وكلُّهم موجودون في كل عصر وزمان. وإنّما قالوا الشيوخُ المتقدّمون بأنّ السابق والتالي والجدّ والفتح والخيال روحانيّون في العلوّ لا يشاهدهم أحد. إنّما أرادوا بذلك استدراجاً للمؤمنين، والثاني تدليساً عليهم.

أمَا تَرون في قولهم: لكلِّ حدٍّ في العلوِّ روحانيٍّ حدٌّ في السفل جسماني يقوم مقامه. فالناطق يقوم مقام السابق. والأساس يقوم مقام التالي. والإمام يقوم مقام الجدّ. والحجّة يقوم مقام الفتح. والدّاعي يقوم مقام الخيال. فقد صحّ وثبت بأنْ لا ينفعكم غيرُ عبادة الموجود، وتوحيد المعبود. وجميع الأسماء المستحسنة لحدود التوحيد وإنّما تسمّوا بها أرباب الشرائع الناموسيّة تشبّهاً بهم واغتصاباً لهم ولمنازلهم إلى يوم الوقت المعلوم. كما قال سلمان الفارسي، صلوات مولانا عليه، للناطق والأساس وأصحابِهما: "كُرْدِيُوْ بِكُرْدِيُو. وَحَقِّ مِيزَةِ بِتَرْدِيُو. تفسيرها بالعربية: عُلِّمْتُمْ فَعَلِمْتُمْ حتّى غَلَبتُم صاحبَ الأمرِ وتشبّهتم بأوليائه وادّعيتم ما ليس لكم بحق.

فشبّهوا الشيوخُ المتقدّمون الناطقَ بالسابق، وقدّموه على جميع الحدود، خوفاً من العالَم وميلاً إلى الحطام. وأجلّ المنازل وأعلاها الإمام. وهو السابق بالحقيقة الذي أبدعه الباري سبحانه قبل جميع الحدود. وهو العقل، الذين يَروُون العامّةُ بأنّ الله خلقه قبل الأشياء كلها. فقال له: أَقْبِلْ.

فَأَقْبَلَ. ثمّ قال له: أَدْبِرْ. فَأدْبَرَ. فقال: وعزّتي ما خلقتُ ولا أخلقُ شيئاً أحسنَ منك. وهو الإمام الذي أحصى فيه كلَّ شيء. والأشياء الحقيقيّة هم الحدود الذين مِن قَبْلُ الأنام. والإمام نورٌ واحدٌ ينقله المولى سبحانه كيفَ يشاء. وهو يعرف العالمين ولا يعرفونه.

ومن نصبه الإمامُ من قِبَلِه فهو التالي لأنّه يتلوه في العلم. وقيل له أيضا أساس لأنّه أساس المستجيبين وأصل بنايتهم عليه. ويجب على المستجيبين طاعتُه ما دام هو طائعاً للمولى سبحانه وللإمام الذي نصبه. فبهذا السبب سُمِّي الإمام لأنّه يؤمّ بهم ويدلّهم على عبادة مولانا سبحانه. وسمِّي الإمام السابق لأنّه أوّل مَن سبق إلى معرفة المولى سبحانه. وسمِّيبالحقيقة الناطق لأنّه ينطق في كلِّ عصر وزمان بالحقّ ويدعو العالم إلى توحيد مولانا سبحانه.

وسُمِّيَ خليفتُه أساساً لأنّ المستجيبين يُبنَون على كلامه في الدِّين. وقيل إنّه التالي لأنّه ينوب عن الإمام ويتلو علمَه. وسُمِّي الدّاعي الجدّ لأنّه جدّ في طلب العلم من الإمام. والثاني يجهد في أمور المستجيبين حتى يبلِّغَهم الدرجات العالية. وسُمِّي المأذون فتحاً لأنّه يفتح باب العهد والميثاق على المستجيبين. وسُمِّي المكاسر الخيال لأنّه يلوّح بعلمه ومكاسرته مثل الخيال، إذ كان له التلويح بالكلام بغير كشف ولا تبيان.

فهذه خمسة أشخاص محمودة توحيديّة. وجميع ما في القرآن من الأسماء تقع على هؤلاء الخمسة. غير أنّ الشيوخ ستروهم وجعلوا لأصحاب الشرائع الشركيّة، وجعلوا اسمَ العبد فوق اسم المعبود. وأقاموا الخمسةَ كيما يُخمِدون نورَهم. ومولانا جلّ ذكره متِمٌّ نورَه على يَدَيَّ ولو كره المشركون.

فقالوا بأنّ السابق والتالي والجدّ والفتح والخيال روحانيّون في العلوّ، لا يشاهدوهم العالمُ. فقد سدقوا في قولهم في معنىً واحد، لأنّ هؤلاء الخمسة هم أرواحُ المستجيبين، وهم مُغَيَّبون عن عيون الجاهلين. لكنّهم لم يبيّنوا للعالم تشخيصَهم، وأبعدوهم عن أفهامهم، وجعلوهم في العدم. وطلبوا بذلك الوقوف عند ناطق الشريعة وأساسِه وحدودِهما.

وأقاموا بإزاء الخمسة الروحانيّين، الذين هم حدود التوحيد، خمسة جسمانيّة حدود الناموس والتلحيد، حتى تكون الاشياء كلُّها مزدوجة متضادة. وتُبيّن أحدانيّة المولى جلّ ذكره وانفرادَه عن جميع بريّته. وهو مبدع الكلّ وعالٌّ علّتهم ومصوّرُ صورتهم الدينيّة. لا يدخل في الأعداد ولا يقاس بالآحاد. سبحانه وتعالى عمّا يصفون..

والعاقل اللّبيب لا يَطلب العدم ويترك الموجود، لأنّ المعدوم تقع في أخباره الزيادة والنقصان، والموجود أنتَ تشاهده بالعقل والبرهان بالعيان، وتقف على تبطيل العدم، وتنفي عن مولانا جلّ ذكره جميع الأباطيل والتّهم.

ومن أعظم الحجج العقليّة المرئيّة ، والدلائل الواضحة الرضيّة على تنزيه مولانا جلّ ذكره عن الناطق والأساس، وإنّهما عبدان لمولانا جلّ ذكره وهما في وقتنا هذا مستخدمان لملك مولانا جلّ ذكره.

وهما عبدُ الرَّحيم بن الياس، وعبّاس بن شعيب[٢]، السجلاّن اللّذان قرئا لهما بالألقاب الذي لا يجوز أن تكون ذلك الألقاب إلاّ للناطق والأساس لا غير. والدليل على ذلك أيضاً حجة عقليّة واضحة للعين مرئيّة، باجتماع أهل الذمّة والملّة بأنّ عبد الرحيم بن الياس الذي لقِّب بوليّ عهد المسلمين أقربُ إلى مولانا سبحانَه من عبّاس بن شعيب الذي لُقِّب بوليّ عهد المؤمنين.

---

(٢) عبد الرحيم بن الياس عيّنه الحاكم والياً على بلاد الشام، وهو ملقّب بوليّ عهد المسلمين؛ وعبّاس بن شعيب لقِّب أيضاً بوليّ عهد المؤمنين. وكلاهما تخطّى مهمّاته الموكلة إليه، ونصّب نفسَه بدلاً عن الإمام الحقيقي.

ولو لم يكن لعبد الرحيم بن الياس فضيلةٌ على عبّاس بن شعيب غير ذكره في الخطبة والسكّة والإعلان لكان فيه كفاية للعقل المتميّز.

وقد اجتمعتْ أهلُ الشرائع بأنّ الإيمان أفضل من الإسلام، والمؤمنين أفضل من المسلمين. فلولا الحكمة البالغة التي أظهرها للعالمين في معرفة أشخاصهما وظهور مراتبهما لكان يجب أن يكون عبدُ الرحيم بن الياس وليَّ عهد المؤمنين، وعبّاس بن شعيب يكون وليَّ عهد المسلمين على مقدار قربهما وظهور مراتبهما.

فلمّا رأينا ألقابَهما بخلاف ظواهر مراتبهما علمْنا علماً يقيناً، وصحّ عندنا بأنّ عبد الرحيم بن الياس هو الناطق محمّد بن عبد الله، وعبّاس بن شعيب هو الأساس على بن عبد مناف، وَمُتِمُّهُما خَتكين الدّاعي، وهو المكنّى بأبي بكر، وَلاحِقُهُم جعفر الضرير، وهو عمر بن الخطّاب، ومِن دونهم قاضي القضاة أحمد بن العوّام، وهو عثمان ابن عفّان.

فهؤلاء الخمسة حدود الشريعة الظاهرة. وهم أشباحٌ بلا أرواح. لأنّ الروح الحقيقيّة هو الإقرار بتوحيد مولانا جلّ ذكره والقيام بعبادته. وهم كلّهم جاحدون لقدرته، كافرون بنعمته، مشرِكون بعبادته، جاهلون بأصول الدّين والمعادن، غافلون عمّا مضى من الضّغائن، غير عارفين بما هو كائن، مِن قتْل المارقين وبيعِ ذراريهم في سوق مازن، يوم لا ينطق فيه كاهن، ولا تنفعهم شفاعةُ مشرِك خائن. وترى المشركين مثل السكارى وما بهم سُكر ولا خُمَار. بل تَذْهَلُ عقولُهم من هيبة الملك الجبّار، وما يَدْهَمَهُم من السيف والدمار. وتُجازى كلُّ نفسٍ بما كسبت وهم لا يُرْحَمون.

معاشرَ الموحّدين لمولانا جلّ ذكره! قد بيّنتُ لكم الطريق، وأوسعتُ لكم في المضيق، فتجنّبوا مسالك الشرك والضلال، واتّبعوا طرقات الهداية والكمال. واعلموا أنّ كلَّ رجلٍ يكون رئيس قوم ومقدِّماً عليهم كان إمامَهم

لأنّه يؤمّ بهم في الكلام والفعل، لكنّهم محمودون ومذمومون، بقوله: «قاتِلوا أئمّةَ الكفرِ. إنّهم لا أيمانَ لهم. لعلّهم ينتهون»[٣]، وهم رؤساء الشريعة الناموسيّة.

وقد اعتقدوا المسلمون في كثير من العلماء الإمامةَ. مثل الشافعي وأبي حنِيفة ومالِك وسفيان الثّوريّ وغيرهم، ممّا يطول به الشرح. وإنّما قالوا إنّهم أئمّة حيثُ يُحرّمون بقولهم الحرامَ، ويحلّلون الحلالَ، واقتدَوا بهم فوقع عليهم اسمُ الإمامة. فهؤلاء الخمسة الذين ذكرتُهم كلٌّ واحدٍ منهم إمام لمن يطيعه ويتّبعه ويقبل منه. ووليُّ عهد المسلمين كبيرُهم وإمامهم الأعظم لأنّه بمنزلة الناطق محمّد بن عبد اللّه.

فقاتِلوهم بقلوبكم وتبرّأوا ممّا يعتقدونه في مولانا البار العلاّم، العليّ الأعلى حاكم الحكّام. سبحانه وتعالى عمّا يصفون. ويجعلونه تحت الشكليّة والبشريّة، تعالت قدرةُ مولانا وتنزّه لاهوتُه عمّا يصفون.

ولهؤلاء الخمسة الجسمانيّة الموجودة الظاهرة الشرعيّة لإقامة دعوة التلحيد خمسة روحانيّة موجودة لإقامة دعوة التوحيد :

فأوّلهم وأعظمهم فضلاً ذو مَعَة. وبعده ذو مَصَّة. وبعده الكلمة والجناحان. وهما المعروفان بالسابق والتالي. لكنَّ السابق الجسماني ليس هو كالسابق الروحاني النوراني، لأنّ السابق الحقيقي هوالإمام الأعظم، وهو ذو معَة الذي نصبه المولى جلّ ذكره هادياً لعبيده، وباباً لعبادته وتوحيده.

والأربعة مِن قِبَلِه، كلٌّ واحد منهم يقع عليه اسم الإمامة بما هو مقدَّم على المستجيبين، وإمامٌ لهم إلى معرفة مولانا ربِّ العالمين، سبحانه بوساطة إمامهم أجمعين الذي هو العقلُ الكلّي ذو مَعَة قائم بأمورهم. وهو يربّي

---

(٣) سورة التوبة ٩/١٢ .

الدعاة بالمعرفة والحلم، ويُروي المستجيبين بالرّضاعة والعلم. منه يأخذون العلم، وإليه يرجعون في الخوف والسلم، لأنّه الوسيلة إلى رحمة مولانا سبحانه، والباب الذي يدخلون منه إلى توحيد مولانا سبحانه، والمؤدّب الذي يتأدّبون به آداب التوحيد، وعبادة مولانا المبدئ المعيد، الفاعل ما يريد. سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

وليس لأحدٍ من الحدود أن يؤلّف كتاب، ولا يَقرأ على مَن استَجَاب، إلاّ بأمرِ مَن نُدِبَ لهدايتهم، وَنُصِبَ لإمامتهم. فإنْ قرأ عليهم كتاباً بغير أمر فقد عصى القارئ والمستمعون جميعاً، لأنّ الإمام ينطق بتأييد مولانا جلّ ذكره روحانيًا بلا واسطة. والدعاة يتكلّمون مِن علمه تعليمًا مشافَهةً، فإذا عملوا شيئا بغير أمر كان بالرأي والقياس.

وأوّل مَن عمل برأيه، وقاس العلم بهوائه، إبليس. فأُسقط من مرتبته، وأُخرِجَ من دعوته ومنزلته؛ ومَن أطاع إبليس كان من حزبه وشيعته، ومَن كان من الحدود طائعاً لإمامه سامعاً منه جميع ما يؤيّده من تأييد مولانا سبحانه وتعالى كان من الملائكة المقرّبين العاليين. وكان إمامَ مَن استجابَ على يده ومعلّمَهم يأمرُهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحلّلُ لهم الطيّبات ما حلّله مولانا سبحانه، ويحرّمُ عليهم الخبائثَ وعبادةَ المعدومات والعوائث. ويَحثُّهم على توحيد مولانا جلّ ذكره وعبادته التي هي نهاية كلِّ نهاية.

ومثل الحدود مثل أئمّة المساجد الذي كلُّ واحدٍ منهم إمامٌ في مسجده وجارته. والهادي مثل الإمام الأعظم الذي يصلّي يوم الجمعة بجميع العالمين كافّة، ويجهر بالقراءة في الصلاة ما لا يقدر بجهرها أحدٌ من أئمّة المساجد. وينقص من الصلاة ركعتَين ما ليس لأحد من أئمّة المساجد أن يفعله. وكذلك الخطيب فكانوا أئمّة المساجد متّبعين له صامتين عند خطبته مصلّين ورأه، والخطيب إمامهم كلّهم. من تكلّم عند خطبته أو التفت إلى ورائه لم يجد فضل الجمعة وانقطعت صلاته.

وإنْ صلّى أحدٌ في مسجده يوم الجمعة ولم يمضِ يصلّي خلف الإمام الذي هو الخطيب كان عاصياً للّه مخالِفاً لما يعتقده، إذ كان بظهور الخطيب فوق المنبر تعطيلُ جميع المساجد والأئمّة بها. لأنّ له آيات بيّنات ما ليس لأحد منهم أجمعين.

والمؤذّنون في جميع المساجد يكونوا أعلى من الإمام عند الأذان غير يوم الجمعة فإنّ المؤذّنين يكونوا قدّام الإمام صفّاً واحداً. والإمام أعلى منهم باثنعشر درجة، ويكونوا قياماً وهو جالس على المنبر ويده اليمين على قائم سيفه. كذلك جميع الدعاة أئمّة مَن استجاب على أيديهم، حتى إذا حضروا عند قائمهم وهاديهم لا يجوز لأحد منهم ينطق في الدعوة التي ممثولها الأذان إلاّ من تحت أمره ونهيه، وهو جالس على المنبر. وهو ممثول على مادّته وفضيلته على الاثنعشر حجة. وهو يكون متقلّداً بالسيف. وهو دليل على تأييد مولانا سبحانه ما ليس لأحد منهم . ويُظهر القراءةَ جهراً. وهو دليل على كشفه علم الحقيقة ما لا يجوز لأحد منهم يكشفها وهو يكشفها. ويُسقط من الصلاة ركعتين، وهو دليل على ما يأتي به من إسْقاط الناطق والأساس ما لا يقدر أحد من الحدود يفعله وهو يفعله. وهو فوق المنبر يكون متوجّهاً إلى العالم دليل على قيامه على جميع العالمين بالتأييد والسيف من العلى.

وإنْ صلّى يكون متوجّهاً إلى المحراب دليل على توجّهه إلى سلطان مولانا سبحانه طالباً رحمته. ولا يقرأ في كلّ جمعة غير السورتين المعروفتين بـ «المنافقين» و«الجمعة»، دليل على أنّه يكون يقوم في كلّ سبعة أدوار وتكون دعوته شيئاً واحداً.

وأوّل الدعوة التبرّي من زخرف النواميس الذي هو نفسُ النفاق والشرك. والآخر السعي إلى عبادة مولانا جلّ ذكره والاجتماع على

توحـيده. وفي آخـر قرآتـه يكون القنوت، وهو دليل على عـبادة مـولانا في السرّ كـما يعبـدونه في الجهر، كـيما لا تكون عـبادتهم نفـاقاً ورياءً للناس. والركوع من وجـه واحد، دليل على استمـاعه التأييد، والانحناء هو الـقبول والتـخضّع حـتى يعي التأييـد بكمـاله. ثمّ قيـامه دليل على إقـامة دعـوته روحـانيًـا بغيـر تكليف. والسـجـدتان دليل على عـبـادة مولانا فـي مقـام الناسوت، وعـبادته بحقيـقيّة اللاّهوت. والجلوس عند التـسليم دليل على ما يظهـره بين الحالتين من الوقـار والسكون. والجلوس عند التسليم دلـيل ما يكون في وقته من راحة النفوس من التكليفيّات والشرعيّات. ولا يلزم الناس في ذلك الوقت غيرُ عبادة مولانا جلّ ذكـره وتوحيده. والإقرار بقائم الزمان وحدوده الذين أيّد بهم عباده الصالحين، وملائكتَه الحافظين، من الشريعتين.

ثمّ يسلّم على اليمين والشمال دليل على تسليمه جميعَ أموره إلى باري البرايا أجمعين. ويُكثر من الحَول والقوّة إليـه ويقرّ بأنّ جميع ما عمله بتأييد مولانا سبـحانه وبقوّة سلطانه، وأنّه كسـائر عبيده تحت الضـعف والعجز، وإنّما فضّله عليهم بالإمامة والتأييد منه.

فهذه الخـمسة أشكال الخـمسة موجـودة مزدوجة متـضاددة واحدة للدين ودعوة التـوحيد، والأخـرى للدنيا ودعوة التلحـيد. ومولانا سبـحانه منزّه عن حـدود الدين والدنيـا. لا يدخل في الأوهام والخـواطر. سـبحـانه وتعالى عمّا يصفون.

والحمد والشكر له وحده هو حسبنا ونعم النصير المعين.

وكتبتْ مسـوّدتُها في شـهر جمادى الآخر، الثـاني من سنة عبد مولانا جلّ ذكره ومملوكـه حمزة بن علي بـن أحمد هـادي المسـتجيـبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا وشدّة سلطانه وحده لا شريك له. تمّتْ.

١٨

ألموسومة برسالة النساء الكبيرة

رسالة غير مؤرّخة. وقد لا يتعدّى تاريخُها سنة ٤١٠ هـ لأنّها، على ما يبدو، كُتبَت ولا يزال الحاكم حيًا. في الرسالة إشارة واضحة إلى المجالس التي كانت تُعقد، وإلى نوعيّة تعاليمها. ونتبيّن منها أنّ مجلساً خاصًا بالنساء عُقد لتعليمهنّ أصولَ التوحيد، كألوهيّة الحاكم، وتأويل أركان الإسلام، والدّعوة إلى التزام السدق، والأخلاق الكريمة، وغير ذلك.

توكّلت على مولانا البارّ العلاّم، العليّ الأعلى على جميع الأنام، جلّ ذكره عن وصف الواصفين وإدراك الأنام. حروف بسم اللّه الرَّحمن الرَّحيم: حدود عَبْدِه الإمام. سبحانَ من أظهر حكمته فأعجز بريّته.

ألظاهرُ لنا بِصُوَرِنا، تأنيسًا لنا وَاطْمَأنِّيَّةً لعقولنا. فَخَاطَبنَا بنا حكمةً بالغة، وآيةً معجزة. استتر وقتَ شاء، وظهر كما يشاء. لا معارضةَ لحكمه، ولا رادَّ لقضاه، جلّ وعزّ عن ذلك، ولا معبود سواه. وسلامه وصلواته، ورضوانه وتحيّاته، على مَن أقيم للحقّ فبثّ التوحيد مطلقاً، وسدَقَ في القول واثقاً، وأثنى على حدوده من بعده السلام والرحمة، ألأقرب بالأقرب المبلّغين عنه توحيد مولانا جلّ ذكره المترجمين عمّا أمروا به عن المولى جلّ اسمه ولا معبوده سواه. لمّا خفي الأمْر أخفيناه. ولمّا ظَهر أظْهَرْناه. لأنَّ العبدَ مع مولاه مؤتمرٌ لما أُمِرَ به مُنْتَهٍ عمّا نُهِي عنه.

وأنتنّ معاشرَ الموحِّدات لمولانا جلّ وعزّ وحّدتنّ مولاكنّ من حيث أمركّن، فستر توحيده وقتَ شاء وأظهره كما شاء، إذ كانت له المشيّة. لا

يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، ولا يجب لكنّ معاشر الموحِّدات أن تخفين ما أظهره مولاكنّ، ولا تخالفنَ ما أمركنّ به فتشركنَ به وانتنّ لا تعلمنَ.

ألَمْ تَسمَعْنَ في مجالسكنّ بأنّ الشرك أخفى من دبيبِ النملة السوداء على المِسح الأسود في اللّيلة الظلماء. فتفكّرنَ معاشر الموحّدات فيما تقدّم من مجالسكنّ تصبن فيه حديث وقتكنّ. والوصيّة لكنّ بالتبادر إلى ما دُعيتنّ إليه من توحيد مولاكنّ على يد مَن نُصِبَ لكنّ. فمن قالت منكنّ إنّي وحّدتُ المولى وما زلّت عن توحيده، ولا حاجة لي بالواسطة، فقد خَفي عنها طريق الحقّ.

ألم تسمعن في مجالسكنّ مجالسِ الحكمة حديثَ الشمعة[1] بأنّها كاملة على التوحيد، وأنّها إذا تفرّقت آلاتُها لم تقم شمعةٌ كاملة. يقال للشمع وحدَه شمع، وللقطن وحده قطن، وللنار وحدها نار، وللحسكة وحدها حسكة. وزال عنها اسم الشمعة. فإذا اجتمعتْ آلاتها: الشمع والقطن والنار والحسكة، فحينئذ يقال لها شمعة كاملة. فاعرفْنَ معاشر الموحّدات لِمَ ضُربتْ لكنّ هذه الأمثال بأنْ لا تقوم لكنّ معرفة بالتوحيد إلاّ بجميع حدود الدِّين.

ألم ينطق مجلسكُنّ بأنّ القرآن شخْصٌ قائمٌ، إذا اجتمعت سُوَرُه وأعشاره وأخماسه واياته قيل له قرآن كامل، وإذا تفرّقتْ سُورُه وآياته لا يقال له قرآن كامل. وهو على الكمال على الإمام الذي هو عبد مولانا جلّ ذكره. وقيل إنّه كلام اللّه، واللّه هاهنا لاهوت مولانا الذي لا يُحدّ ولا يدرك. وإنّما أظهر لنا الناسوتَ رِفقاً بِنَا، واطْمَأنِّيَّةً لقلوبنا، لأن ليس في طاقتنا مقابلةُ اللاّهوت.

---

(١) أنظر «الموسومة برسالة الشمعة رقم ٣٨ وهي من وضع التميمي.

ومعنى القـرآن كلام اللّه بمعنى أنّ الإمام مِن قِـبَلِ المولى جلّ وعزّ. فدلّ بذلك أنّه لا يصل إلى معرفـة المولى جلّ ثناؤه أو يُطاع ما أَمَر به وَيُنْتَهى عمّا يَنهَى عنه، لأنْ لا يجوز لنا أن نتـخيّر على المولى جلّ وعزّ ولا نقُل لا لِمَ، ولا كَيف. وإنّـما يجب علينا السّـمع والطاعة لما يأمـرنا به. هذا واجب لنا أن نعمله مع عـبده، فلا بال مع أوامـره الظاهرة. فمَن ظنّ أنّه يوحِّـد مولانا جلّ ذكره ولا يَقبل مِن أوامره الظاهرة، فقد ظنّ عَجْزًا.

ونرجع إلى مـا تلـي علينا في المجلس لأنّه لا يـجـوز لنا أن نجـيب شـخصاً ولا نقبل من كـلامه. وأنتّن تعلمنَ يا موحّدات أنّ المجلس نطق قَارِئُهُ محذّراً ممّا يرد بعده ومبشّـراً بما يأتي مِن بعد ذلك. سيطلعُ على منبري هذا تَيْسٌ من تيـوس بني أميّـة، ويقوم من بعـده فتى ثَقـيف، آكلُ أموال الأيـتام والمتبرّي من دين الرحمن. ويقوم الثالث فارغاً من الدين من غير أهل الدعوة صفراً من العلم. ثمّ تكون فترة وحَيرة. ويقوم بعد ذلك الحق غريباً ويقوم به غريب.

فنظرنا إلى قوله تَيس من تيوس بني أميّة، فـوجدناه عبد العزيز بن مـحمّـد، ونظرنا إلى قوله فـتى ثقـيف آكل أموال الأيتـام والمتبـرّئ من دين الرحمن، فوجدناه مالك بن سعيـد، ثمّ نظرنا إلى قوله يقوم الثالث فارغاً من الدين متبرئا من الدعوة صفـرا من العلم، فعلمنا أنّه أحمد ابن العوام، اذ كان أشرط عليـه مولانا جلّ اسـمه أنّه لا يتكلّم في الدعـوة، وأنّه لا يعرف فيـها شيئًا ووجدناه صفراً من علومها.

وانقطعتِ المجـالس ووقـعتِ الحَيـرة وانعكستِ الأمّـة واختـرعـوا الأقاويل الباطلة، إلى أن بلغ الكتاب أجله، وجـاء الوعد المعلوم، وظهر ما كان مكتوم، ووحّد المولى مَن وحّده على يد من اختاره وجعله لذلك أهلاً. فأظهره وستره. فأظهرناه عند إظهاره، وسترناه عند استتاره، غير معارضين لشيء من ذلك، بل طائعين مسلّمين.

ثمّ ظهر بعد ذلك فلم يكن منّا اعتراض ولا تأوّل ولا ذلك برأينا ولا بقياسنا. واستدللنا بالعلم أنّ استتار ذلك لقبحِ أعمالكم، وكثرة اعتراضكم، وارتكابكم الاختيارات. وليس لنا ذلك، بل تفضّل من المولى جلّ وعزّ. فأظهر لنا ذلك على يد مَن تقدّم اظهاره على يده، ولم يغيّر لنا الشّخص، فلم نأثم بسكوتنا إذ كانت نيّاتنا صافية والخاطر متوجّه إلى أوامره. فوجب علينا التوجّه حيث وجّهنا بلا اعتراض ولا اختيار، ولا لِمَ، ولا كَيف. فتدبّرْنَ معاشر الموحّداتِ ما تسمعنه وقابلوه منكنّ بعقل رصين، ولبّ حصين. فما يرضى منكنّ بالتقصير. فقد بلغتنّ النّهاية، فإيّاكنّ أن تصرن آية.

ألم تسمعنَ أيّتها الموحِّدات أنّ المجلس نطق قارئُه بأنّ هذا الذي تسمعْنَه هو الباطن والذي في أيديكنّ مثل «كتاب الدعائم مختصر الآثار والاقتصار»[٢] هو الظاهر.. فافهمْن ما أشار لكنّ به إنّما أراد بالظاهر الناطق، وبالباطن الأساس. وقال لكنّ سيأتي بعد ذلك وقتٌ يصير باطنكنّ ظاهراً، ويصير له باطنٌ، هو باطن الباطن. ويضمحلُّ الظاهر الذي في أيديكنّ.

فافهمْنَ ما قال لكنّ. أليس قد ترك لكنّ الباطن ظاهراً فأوراكنّ أنّ الأساس قد انتقضتْ مرتبتُه المستورة. وقد صارت في وقتنا هذا منزلتُه كمنزلة الناطق؟ من أجل ذلك قرئ السجلّ المكرّم من الحضرة المقدسة: إنّ المتختّمَ في يمينه والمتختِّم في شماله عند مولانا بمنزلةٍ واحدة. أليس المتختّم في شماله، الناطق وأصحابه، والمتختّم في يمينه، الأساس وأصحابه! أفتُضَيِّعنَ ما خرج من الحضرة المطهّرة، وتُسقطونه، ولا تقرّون به! فلا تدّعوا الإيمان إن كانَ ذلك. وأعوذ بالمولى منه.

ألم تسمعْنَ ما تُلي في السجلّ المكرّم أيضاً بالنهي عن تقبيل الأرض

(٢) لا ذكر لهذا الكتاب في مجموعة رسائل الحكمة؛ ولم نجدْه في مكان.

بين يدَي مولانـا جلّ ذكره! ألم تعلمْنَ أنّ الأرض هي الأســاس وأنّ التقـبيل أخْذُ علمه! وقد ناهكنّ مولاكنّ عن ذلك فاقبلْنَ. وإيّاكنّ المخالفة فتهلكْنَ.

ألم ينطق الكتـابُ بالنّهي عن السجـود للشمس والـقمر بقـوله: «لا تَسـجُـدوا للشـمس ولا للقـمـر، واسجـدوا للّه الـذي خلقَـهنَّ إنْ كنتم إيّاه تَعبدون»[٣]. أليس السحود الطاعة؟ فكيف يجوز لمن يطيع الأساسَ في وقتنا هذا.

ألم ينطق مـجلسكّـن بهذا! وبـذلك نطق سـجلّ المولى المقـرَى على رؤوس الكافّة: ذهب أمسُ بما فـيه، وجاء اليومُ بما يقـتضيه، وغـداً فلا تظنُّ أنّك تُوافِيه[٤]. والمجلس يقول لا تلتفـتوا إلى أمس، ولا تنتظروا غداً، وعليكم بيومِكم هذا فعنه تُسـألون.

ألَم يقل المجلسُ لكنّ لا يجـوز للمصلّي أن يلتـفت عن يمينه ولا عن شـمـاله، ولا يرفـع رأسَـه ولا يلتـفت إلى وراءَ ظهــره. ولا يكون نظرُه إلاّ موضـوع سجـوده. واعلَموا أنّ الصــلاة هي الصلة بالمولى، والالتـفات عن يمينه هو الرجوع إلــى حدّ الأساس، والتـفاته عن شمـاله مشيـرةٌ إلى حدّه الناطق، ورفْع رأســه يرجـع إلى العـدم، والالتـفـات وراء ظهـره يرجع إلى القــهقرى، والـنظر موضع ســجوده فـهو ليـومه وعصـره وزمانه. فـأيش تُريدون أبْيَنَ مِن هذا لو تدبّرتموه!

ألم يقل لكنّ بأنّ الطهر حَدّان: الغسل والمَسْح. فـأمّا المَسْح فهو على الإقرار بمن تقدّم لا غـير. وأمّا الغسل فهو دليل على الطاعـة لوليّ عصركنّ وزمانكنّ. فـتيقّظنَ من غفلتكنّ وارجـعْنَ إلى حقائق دينكنّ. واقبلْـنَ ما قاله مولاكّن. وإيّاكنّ ارتكاب الهوى. فما هلك مَن هلك إلاّ من أجل ذلك.

---

(٣) سورة فصّلت ٤١/ ٣٧.

(٤) من اقوال مجالس الحكمة الشائعة.

فانظروا يا موحّدات ما كشفه المولى لكنّ شفقة عليكّن، وحُنُوًّا لكنّ. أفترى أنّه يريد جاهكنّ أو مالكنّ! «مَن عَملَ صَالِحاً فَلِنَفسِه ومَن أسَاءَ فَعَلَيهَا»[٥]. أليس المسلمون للناطق، والمؤمنون للأساس. أَلَمْ تَسَمَّى عبدُ الرّحيم بن الياس وليَّ عهد المسلمين! أَلَمْ يُبيِّن لكنّ أنّه الناطق! ألم يُبيّن لكنّ أنّ أبا هشام هو الأساس إذ صيّره وليَّ عهد المؤمنين! فقد بيّنهما لكنّ أنّهما مُحَمَّدٌ وَعَلِيّ. فَلاَ يَجُوزُ لَكُنَّ أنْ تُطعِنَ أَحَدَ مِنْهُمَا. وَقَدْ نَهَى الدِّينُ عَنْهُمَا. ألم تروا أنّ المولى جلّ وعزّ قد ملّكهما الدُّنيا! أليس أشار لكنّ بأنّهما دَنيَّانِ القَدْرِ، لأنّ الدنيا سُميّت دنيا لأنّها دنيّة. إنّ هذين الشخصَين يتزيّا بزيّ المولى جلّ وعزّ، وقد حصلاً ضدَّين. فكيف تجوز عبادتُهما في وقتنا هذا! إلاّ أن يُريد المولى جلّ وعزّ أنْ يجعل توحيدَه جارياً على يد مَن يشاء ويُسميّه بما يشاء. أيجوز أن يعترض عليه معترض! فَمَن أطاع ذلك كان موحِّداً، ومَن عصاه كان معانِداً. أتَفرُّونَ من شيء قضاه المولى جلّ وعزّ!

ألم تسمعْنَ في مجالسكنّ أنّ مَن صبر على قضاء اللّه عَبَرَ بها قضاء اللّه وهو مأجور. ومَن جزع مِن قضاء اللّه عَبَرَ به قضاء اللّه وهو مأثوم. فإذا كان ولا بدّ من عبور قضاء اللّه عليه، رضي أو سخط، فكان الواجب أن يصير على عبوره فيكون محموداً على ذلك.

ألم تعلمْنَ يا موحِّدات أنّكنّ كتبتنّ على أنفسكنّ وثائقَ رُفعتْ في ظاهر الأمر لعلاّم السرائر والضمائر. تقلْنَ فيها بأنّكنّ سلّمتنّ أرواحَكنّ وأموالكنّ وأولادكنّ ولحمكنّ ودمكنّ لمولانا الحاكم سبحانه، راضياتٍ بحكمه عليكنّ. أفترى أنكنّ أقررتنّ وأشهدتنّ على أنفسكن بما ليس في قلوبكنّ فقد دلّ على أنّكنّ أضمرتنّ أنّه لا يعلم ما أخفيتنّ في صدوركنّ، جلّ ثناء المولى وتعسَ معتقِدُو ذلك. وإنّكنّ إذا علمتنّ أنّه علاّم الغيوب، فيجب

---

(٥) سورة فصلت ٤١/٤٦؛ الجاثية ٤٥/١٥.

عليكنّ أن لا تخالفْن لأنّكنّ سلّمتنّ جميعَ أمورِكنّ إلى المولى الكريم. فما اعتراضُكنّ فيما حلّ بكنّ. وإيّاكنّ أن تظنّوا بمولاكنّ ظنّ السوء، فتدور عليكنّ دائرة السوء. إلاّ أنّه لا يخافنّ أحدُكنّ إلاّ ذنبَه. ولا يرجو إلاّ ربّه.

ألم ينطق المجلس بالثلاث محن حين يقول المؤمن في الأوّلة هذه مهلكتي فينجو منها. ثمّ تأتي المحنة الثانية فيقول هذه مهلكتي لا محالة. ثمّ تأتي الثالثة فتكون هنيهة. وهذا المؤمن الذي يفزع من المحن هم الذين وقع عليهم الإيمان اسماً على المجاز لا على الحقيقة. والمؤمن الحقيقي هوالموحِّد. والموحّد الحقيقي فقد سلّم جميع أموره إلى مولاه. فما يخاف شيئا من المحن. أليس المحنة الثالثة كانت على النصارى واليهود!

أَلَمْ تَعلمْنَ أنّ اليهود هم المخالفون أهل الظاهر، وأنّ النصارى هم أهل الباطن الواقفون مع اللّعين صاحبِ الباطن. فتنبّهنَ، رحمكنّ المولى، وتلافين قلوبكنّ. والرجوع إلى الحقِّ خير من التمادي على الباطل.

وهذه وصيّة أُمِرتُ بِكتْبَتِها وإعراضِها. فَأُعْرِضَتْ وَصَحَّتْ وأُطْلِقَتْ لمن لحقته منّي تربية في الدِّين حسب ما يحنّ المربّي على مَن ربّاه. وموعظة لمن اتّعظ. فمَن قبل الوصيّة والموعظة فلنفسه وبقي على حالته في الدين. ومَن لم يقبلها خسر آخرَتَه. وكُتب اسمُه في جملة المرتدّين. ورُفع إلى المولى في ظاهر ما أظهر لنا سبحانه. فهو عالم الخفايا والأسرار.

وللمولى بعد ذلك رسل كثيرة في الدِّين يرسلهم كما يشاء وإنّما قصد بذلك على يدَي رُفَقَا بمن اتّصل إليه وجلالةً لهم وشرفاً وعزّا. والحمد والشكر للمولى وحده لا شريك له وبه أستعين في كلّ الأمور.

إلى معاند[1] ومَن معه في الاعتقال، المصابين مِن عالم الضلال. إعلموا هداكم المولى إلى الحقائق ، وجنّبكم عن الطوارق والبوائق، وعرّفكم في وقتنا هذا شَخصَي الأساس والناطق، وصورَتَي التالي والسابق، ليَظهر لكم توحيدُ مولانا الخالق الرّازق. وإنْ كان مولانا جلّ ذكره لا يقع عليه اسم، ولا يتشخّص بجسم، بل ينظر إليه كلُّ إنسان من حيث هو، ومبلغُ منتهَى عقله سبحانَ لاهوتُه المحجوبُ عنّا، وعَزَّ ناسوتُه المُظهر لنا. ظَهر لخلْقه كخلْقه بخلْقه من حيث خلْقه. وهو لا يدخل في الوهم. ولا يُعرف بالخاطر والفهم، سبحانه وتعالى عمّا يقولون المشركون به والملحدون فيه علوًا كبيراً.

أمّا بعد فإنّه قد وصل إليّ رقعة من أبي القاسم مبارك بن عليّ الداعي أيّده المولَى بطاعته، يَشكركم فيها. وذكر أنّه التقى بولدِ معاندٍ وغلامِه حرسَهما المولى، ومعهما رِقعة بالسؤال عنّي، وتذكارُهم للحضرة اللاّهوتيّة التي لا تحتاج إلى تذكرة، ولا تَخْفَى عنها مخبرة. فكتبتُ إليكم هذه الأحرف لتقفوا عليها، وتسكنوا إلى دقائق معانيها، وتتحقّقوا من نور الإمامة وهدايتها. إنّها لا تنقسم في شخصَين في وقت واحد[2]، إذ كانت الإمامة نوراً كليًا شعشعانيًا، لا يتجزّأ ولا يدنّسه نَدّ، ولا يغيرّه ضدّ، ولو كان في العالمين شيءٌ أفضلَ من الإمامة لكان المولى جلّ ذكره في ظاهر الأمر تسمّى به. ولمّا لم يظهر في الناسوت إلاّ باسم الإمامة علمنا أنّه أجلّ أسماء المولى جلّت قدرته. وإنْ كان الإمام أفضل عبيده وأعلاهم وهو خليفته والهادى إلى عبادته.

وما منكم أحد إلاّ وقد نصحتُه بحسب الهداية إلى دعوته. فمنكم من استجاب ونكث، مثل عليّ بن أحمد الحبّال الذي كان مأذوناً لي، وعلى يده

---

(١) معاند كان من أكابر شيوخ التأويل.

(٢) لا تنقسم الامامة في شخصين أي في حمزة والدرزي في وقت واحد.

١٩

الصُّبْحةُ الكَائِنَة

كتبها حمزة سنة ٤١٠. وبعث بها إلى أصحابِ الدَّرَزي، يعاتبهم بعد ان كانوا من أتباعه، وبعد ان اعتقلهم المسلمون. الصبحة الكائنة هي الوقعة التي صارت بين التنزيل والتأويل، وامتد أثرُها إلى دعاة التأليه. فهرب حمزة واختبأ في خندق القصر. ولولا تدخُّلُ الحاكم لقضي عليه وعلى أتباعه. رسالة مهمة من الناحية التاريخيَّة.

رسالة من هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا سبحانه إلى أصحاب نشتكين والمعتقَلِين.

توكّلتُ على مولانا الغفور البار، حاكم الحكّام وهو العزيز نزار،العليّ الأعلى وهو المعزّ القهّار، جلّ ذكره عن وصف كلّ ملك جبّار. بسم اللّه الرحمن الرحيم: حدود عبده المختار.

مِن عبد مولانا الحاكم الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتّخذ صاحبةً ولا ولد، المنزّه عن الأزواج والعدد، ومملوكِه حمزة بن علي بن أحمد، هادي المستجيبين، وإمام الموحّدين، وصفيّ باري العالمين، المنتقم من الكفّار والمشركين، بقدرة مولانا جلّ ذكره، وبسيف نقمته، وحَوله وقوّته، والأبرارِ مِن حدود دعوته، جلّ ذكره وعزّ اسمه ولا معبود سواه.

استجاب نشتكين الدّرزي؛ ومثل العَجمي، والأحول، وخطلخ ماجان، وأشباههم ممّن كتبْنا عليهم الميثاق، وأبَاعوا الديانةَ في الأسواق، ومالوا إلى الشهوات والأعواق، فأخذ مولانا جلّ ذكره منهم القصاصَ بالبرّاق. وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين.

وأمّا أنتَ، يا معاند، وأبو منصور البرذعي، وأبو جعفر الحبّال، فما منكم أحد إلاّ وقد دعوتُه إلى توحيد مولانا سبحانه، فأبَيتم ذلك إلاّ أبو جعفر الحبّال، فإنّه كان قد أجاب إلى مبارك بن عليّ الداعي، أيّده المولى، والذي منعَه ولدُه عليّ قد كان ثقتي بمعرفتي ديانته وما هو عليه، فالمولى يُعينه ويسدّده. وأمّا أنتم فمِلتم إلى الحطام الفانية، ولقّبتموه بسيّد الهاديين الناجية. وهذا نفس الكفر والشرك.

فأسأل المولى جلّت قدرته أن لا يؤاخذكم، ويسمع لكم بما سلف من ذنوبكم. وقد سمعتَ أنتَ، يا معاند، ومَن معك من العكّاويّين الغطارس، مخاطبة المولى جلّت قدرته في ظاهر الأمر: لا تزيدوا الفتن. أنا أكفيكم. فلمّا جئتموني ونصحتكم فذكرتَ لي أنّك لا تعود إلى شيء منها لِمَا سمعتَه من المولى جلّ ذكره. وقلتُ لك ولمن حضر بأنْ لا يقدر قائمُ الزمان يقيم القيامة على أهل الكفر والطغيان إلاّ بسيف مولانا وقوّته في العيان. وبيّنْتُ لكم أنّكم تُهلكون نفوسَكم وتحرقوها بالنار. ويبلغ دخانُكم إلى المستجيبين الأخيار.

وكانت هذه المخاطبة بيني وبينكم في الليلة التي كانت صبحتها الكائنة. فيا عجباً كلَّ العجب. ولا عجب من قدرة مولانا جلّ ذكره فينا وفيكم. وقد زهق الباطل، وأمطر على العالم السحابُ الهاطل، بالعلم الروحاني الكامل. وقد أعزّ مَن شاء وأذلّ مَن شاء. مَن بيده ملكوت كلِّ شيء وهو على كلِّ شيء قدير.

قـد كنتم يوم الكائنة زهاء عن خـمسـمـائة رجلٍ بالسلاح الشّـاكّ، وأنتم عند الحـرم، فـقُـتل منكم نحـوُ أربعين رجـلاً، وهربَ مَن هرب. ولولا رحمة مولانا جلّ ذكره عليكم لم يتـخلّص منكم أحد. ومع هذا لم تَقتلوا أحداً من الأعداء، ولم تجاهدوا فـي الشدّة والشقاء، كمـا كنتم تُظهرون السّبَّ عند النعمة والرخـاء. وقد بلغ دخانُكم إلينا كما ذكـرتُ لكم من قبلُ أنْ يكون ذلك بتأييد مولانا جلّ ذكره. فله الحمد والشكر وحده.

فلمّا كان في اليوم الثاني، وهو يوم الخـميس، لم يبق من العساكر مشـرقيّ ولا مغربيّ ولا عجـميّ ولا عربيّ إلاّ وركب مَن كان فارسـاً. وشدّ عليه مَن كـان راجلاً. كلّ يطلب دماءنا ومعـهم النفط والنار والسّلالم ونقْب الجدار. ولـم يكن معي في ذلك اليـوم غيـرُ اثنعشـر نفراً منهم خـمسـة لم يَصلحوا للقتال. فقتلنا من المشركين ثلثةَ نفرٍ وجرحْنا منهم خلقاً عظيماً ما لا يحصـى بالنّشّاب. ومـا غلبناهم بقوّتِنا ولكن بـقوّة مولانا سـبحـانه هلكوا وبسلطانه سيهلكوا.

وقد سـمعـتم ما جرى مِن اعـتزازنا في الخندق إلى حـين خروجنا منه. والآن فتـأييد مـولانا سبحـانه واصل إليّ. ورحمـته وأفضـاله ظاهرة وباطنة عليّ. وجميع أصـحابي المستجيـبين عزيزِين مكرّمين. وفي الشرطة والولاية وعند أصحاب السيّارات مقضيّون الحوائج دونِ سائر العالمين.

ورُسلي واصلة بالرسائل والوثائق إلى الحـضرة اللاّهوتيّة التي لا تخفى عنهـا خافية، لا في السـرّ ولا في الإعلانيّة. وقد أوعـدني مولانا جلّت قدرته في ظاهر الأمر مـضـافاً إلى مواعيده الحـقيقيّة التـأييديّة. وهو منجز مواعـيده وقتَ يشاء بلا تقدير عـليه. وأنا إنْ شاء مولانا جلّ ذكـره أذكركم للحضـرة اللاّهوتيّة، وإنْ كـان ما يَخـفى عنها شيء مِن أحـوالكم. لكن أبلّغ البشريّة في هذا إجابة سؤالكم. فـأبشروا واعلَموا أنّ الفرج قريب أسرع من

لمح البصر. وسيعلموا المرتدون المنافقون لَمَن عُقبى الدار. والسلام عليكم أجمعين ورحمة المولى وبركاته.

وكتب في شهر شعبان، ألثاني من سنة عبد مولانا جلّ ذكره وصفيّه حمزة بن علي بن أحمد، هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا جلّ ذكره وشدّة سلطانه. والحمد لمولانا وحده في السرّاء والضرّاء والشدّة والرّخاء. وهو حسبي ونعم النّصير المعين.

٢٠

سِجِلُّ المُجتبى

عنوان الرسالة هو «نسخة سجلّ المجتبى»، كتبها حمزة قاصداً تعيين صهره إسمعيل بن محمّد التميمي في مرتبته الدينيّة. وهو بحسب مرتبته هذه، ثاني الحدود، أو ثاني حمزة. في الرسالة فيض من الألقاب التي يعرف بها التميمي. وتحديدٌ لعمله. هو النفس، وذو مَصّة.

توكّلتُ على مولانا علينا سلامه ورحمته. وبه أستعين في جميع الأمور. معلّ علّة العلل. صفات العلّة: بسم اللّه الرحمن الرحيم

من عبدِ مولانا بالحقيقيّة، وإله الأزليّة، الواحد الصّمد، الحاكم المنفرد، جلّ ذكره وعزّ اسمه، ولا معبود سواه. ومملوكِه حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين والمنافقين والنّاكثين، بسيف مولانا أمير المؤمنين، جلّ ذكره وشدّة سلطانه وحده. لا نستعين بغيره ولا نرجو رحمة أحد سواه،

إلى أخيه وتاليه، وذي مَصّةِ علمِه، وثانيه، آدم الجزئي الذي أجتباه بعلمه، وهداه بحلمه، وغذّاه بسلمه، أخنوخ الأوان، وإدريس الزمان، هرمس الهرامسة. أخي وصهري، أبو أبرهيم إسمعيل بن محمّد التميمي، الدّاعي، أطال المولى بقاك، وأدام عزّك وعلاك. ووفّقاني فيك الأسواء، وبلّغني فيك المنى. إنّه وليٌّ ذلك والقادر عليه.

أمّـا بعد يـا أخي أبو إبرهيم! أيّدك المولى بتـأييـده. إنّي نظرت إليكَ بنور مولانا جلّ ذكره، وبما أيدني به مولانا علينا سلامـه ورحمته، وما فيه من صلاح الموحِّدين، وفساد المنافقين وشدّة عضد المؤمنين.

فجعلتُكَ خليفَتي على سائر الدّعاة والمأذونين، والنقباء والمكاسِرين، وجميعِ الموحِّدين بالحضرة الطاهرة وفي سائر جزائر الارض وأقاليمها.

وأسميـتُك بصَفوة المستـجيبين، وكهْف الموحِّـدين، وذي مَصَّة علمِ الأوّلين والآخِـرين، وجعلتُ لـك الأمر والنّهيَ على سـائر الحـدود. تولّي مَن شئتَ، وتعزل مَن شـئتَ. فما رأيتَ فيـه من صلاح وعملتَه فهـو أمري، وما نهيتَ عنه فهو نهيي. ومَن خالفك فقد خالفني. ومَن أطاعك فقد أطاعني. ومَن أطاعني في دعـوة مـولانا جلّ ذكره وتوحـيـده، فـقد بلغ النهـاية والغـاية القصوى، و«سِدْرَة المُنْتَهَى، عِنْدَهَا جَنَّةُ المَأْوَى»[١].

فاعلَمْ ذلك واستَخِرْ مولانا جلّ ذكره، واخدم حقّ ما يجب عليك من الخدمـة، واعـرف حقّ الحـدود بحـسب مـا رسـمتُ في كـتـاب «الغـاية والنصيحة»[٢]. وأبعِدْ المنافقين عنك وجاهدهم جهاداً مبينا.

واشكر مـولانا جلّ ذكره على مـا أولاك من نعمـه العظيمـة، وآلائه السّنيّة، ليزيدك من فضلك ويثبّتك على طاعته. إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

تمّ تقليد المجتبى والسلام[٣].

---

(١) سورة النجم ٥٣ / ١٤-١٥. يقـصد بـ «النهاية» و«الغاية» و«جنّة المأوى» التـوحيد. وبـ «سِدرة المنتهى » العقل المتجلّي في شخص حمزة.

(٢) هي الرسالة العاشرة من الجزء الأوّل من رسائل الحكمة، وقد أثبتناها.

(٣) التقليد هوالمرسوم الذي أصدره حمزة في تعيين كلٍّ من الحدود الاربعة.

٢١

تَقليدُ الرِّضَى وسفيرِ القُدْرَة

تقليد محمّد بن وهب القَرشي وتعيينُه ثالث الحدود، في مرتبة الكلمة. تتضمّن الرسالة، وهي من وضع حمزة، سنة ٤١٠ هـ كلَّ الألقاب التي يتّصف بها القرشي، وكلَّ المهمات التي أُنيطتْ به. يبدو أنّ هذه الوظيفة شغلَها شيخٌ جليل قَبل القرشي، توفّي، وتسلّم القرشي رتبتَه. في الرسالة توصيةٌ بحمل السلاح تحسّباً لكلِّ طارئ. وفيها إشارة إلى كيفيّة بعث الرسائل بين الحدود بواسطة جارية. وفيها أخيراً إشارة إلى ولدَيّ حمزة: علي وحسين.

ألحمد لمولانا وحده لا شريك له في السرّاء والضرّاء، والشدة والرخاء. من عبد مولانا ومملوكِه قائم الزمان، هادي المستجيبين المنتقم من المشركين، بسيف مولانا وشدّة سلطانه،

إلى الشيخ الرِّضَى سفيرِ القدرة، فخرِ الموحّدين، وبشيرِ المؤمنين، وكلمتِهم العليا، أبي عبد اللّه محمّد بن وهَب القَرَشي الدّاعي، وفّقه اللّه وسدّده.

توكّلت على مولانا البار العلاّم، العليّ الأعلى حاكم الحكّام، مَن لا يدخل في الخواطر والأوهام، جلّ ذكره عن وصف الواصفين وإدراك الأنام، حروف بسم اللّه الرحمن الرحيم: حدود عبده الإمام.

من عبـد مولانا الحاكم الأحـد، الفرد الصـمد، المنزَّه عن الصاحـبة والولد، سبـحانه وتعالى عـمّا يصفون، ومملوكـه حمزة بن علي بن أحـمد، هادي المستـجيبين، المنتـقم من المشركين والمارقين، بسـيف مولانا سبـحانه وشدّة سلطانه،

إلى الشَّيخ الرِّضَى سفيرِ القدرة، فـخرِ الموحدين، وبشير المؤمنين، وعمـاد المستجـيبين، وكلمتـهم العليا أبي عبـد الله محمّـد بن وهب القرشيّ الدّاعي[1]. ألسلامُ عليك، فإنّي أحمـد إليك مولانا الرازق العليّ الفاتق، الحاكم المنزّه عن التالي والسابق، والإساسِ والناطق، المتجلّي لخلْقه بخلْقه من حيث خلْق الخـالق، سبـحانه لا يُدرك بـالأوهام، ولا يعرف بالخـواطر والأفهـام، وتعالى عمّا يشركون به الأنام علوًا كبيرا.

أمّا بعـد فإنّي نظرتُ بنور مولانا جلّ ذكـره وبما أيّدني من تأييده، فكشفتُ عن أسرارك، ومـا بان لي من ظواهر أخبارك. فلم يكن لي على ممرّ الليالي والأيام وفي الشـدائد العظام، غير التوحيـد لمولى الأنام، الحاكم على الحكّام، والتّبرّي مـن عبدة الأوثان والأصنام[2]، وسدق اللّهـجة في الكلام، والنثر والنظام، فعليك منّي أفضل السلام.

فـرفـعتُ درجـتَك وأضـفت إلى منزلتك، وهـي المنزلة التي كـانت للشّيخ المرتَضَى قدّس المولى روحَه، وأنتَ تسلّمتَ علومه وحدَّه، وواريتَه في تربته ولحده، وقـد سلّمتُ إليك جميعَ كتبـهِ التوحيديّة، وجعلتُك مـقدَّماً على جمـيع الدّعاة والمأذونين، والنقبـاء والمكاسرين، والمسـتجيـبين الموحِّدين. لا فوقك أحد أعلى منك غيرُ صفوة المستجيبين وكهف الموحِّدين الشيخ المجتبَى

(١) يظهر أنّ للرسالة مقـدّمتين متشابهتين تماماً. لعلّ ذلك يعـود الى تقليدَين منفصلَين، وقد أشار إلى ذلك بقوله : «الذي أمرتُك به في تقليدك الأوّل».

(٢) المقصود بـ «عبدة الاوثان والاصنام» عبدة النطقاء والأسس.

أخنوخ الأوان وإدريس الزمان وهرمس الهرامسة، أخي وصهري أبي إبرهيم إسمعيل إبن محمّد التميمي الدّاعي، وقّاه المولى الأسواء، وبلّغني فيه المنى، فاستخِرْ مولانا سبحانه، واخدم حقّ ما يجب عليك مِن مذهب مولانا جلّ ذكره، والطفْ بالدعاة وجميع الموحِّدين، وأمرهم بالمعروف، وانهاهم عن المنكر، واستحثّهم على الخدمة اللاّهوتيّة، وأمُرِ النّقباء بملازمة خدمتِك ورفْعِ ما يكون من الأخبار إليك، وما يتجدّد بالقاهرة وأخبارها وبمصر وأعمالها.

وقد جعلتُ لك الأمر والنّهي على سائر المستجيبين، فمَن رأيت طريقه مستقيماً ومذهبَه رضيًا حاكميًا، أحسنْ إليه وقرّبْه منك، وعرّفْني حالَه. فإنْ كان مظلوما نصرته، وان كان ظالما قهرته. ومَن حُبِسَ على جَنِيَّةٍ أو خَطِيَّةٍ وسومح بها فَامضِ به إلى بيتك واضربْه بالعصيّ ضرباً وجيعاً حتى لا يعود إلى خطأ لا يليق بالموحِّدين، وذلك في بيتك موضعاً لا تكون فيه الأضداد.

واجمع شملَ الموحّدين، وكن لهم في نِفَاسِهم وأعراسِهم وجنائزهم على السنّة التي رسمت لهم.

ومن رأيت من جميع الحدود والدعاة والمأذونين والنقباء قَصَّرَ عن الخدمة وبان لك منه زلّة، فَأَبْدِلْهُ بغيره بعد أن تتبيّن لك جارحته بشاهدَين ثقتين موحِّدَين يشهدان في وجهه بخطأه. فإنْ تاب فتبْ عليه بعد أن يُقسم بمولانا جلّ ذكره أنّه لا يعود إلى خطأ مثله.

وأوصِهم بحفظِ بعضهم بعضاً. ولا يمشي أحدٌ منهم إلاّ ومعه شيءٌ من السلاح وأقلُّهُ سِكّين.

وأنت على الخدمة التي استندبتُك إليها من الوقوف بالحضرة الطاهرة والانوار الزاهرة والمقامات الباهرة.

وتكون على رسمك الذي رسمتُ لكَ. واحذر أن تتـجاوز ما رسمتُ لك. واستعملِ السدقَ واحـذر من الكذب والزيادة في الألفاظ والنقصان منه. فإنّ الكذب على أخـيك المؤمن هو الكفر. فكيف الزيادة عـلى ألفاظ المولى جلّ ذكره!

وقل الحقّ ولا تستـحي منّي ولا تفزع فما على الرسـول إلاّ البلاغ المبين. واستعمل السدقَ ولو كان فيـه المشقّة. ولا تتقدّم من الحضرة إلاّ بعد أن تدعوك. ولا تتكلّم بحرفٍ واحدٍ إلاّ بعد أن تسألك عنه.

وتتكلّم بالدعـاء الذي أمرتُك به في تقليـدك الأوّل. وتقول في أوّله: السلام خـفيًا غيـرَ ظاهر، منك يا مولانا السلام، وإليك يعـود السلام، وأنتَ أحقّ السـلام، ودعـوتك هي دار السـلام. تبـاركتَ وتعـاليت ربّنا الأعلى ذا الجلال والإكـرام؛ وتُتِمّ لَهُ الدُّعـاءَ إلى آخرِهِ. ولا تَلُجّ في السـؤال، ولا ترفع صوتـك، ولا تحرّك يدك، ولا تشـير بعـينك، ولا ترفع رأسك عند الكلام، قلِ الحقّ ولا تخشَ إلاّ ذنبك، ولا تعبد إلاّ ربّك العليّ الأعلى الحاكم الأوحد، الفرد الصمد، المنزّه عن الصاحبة والولد.

ولا تُخْفِ عنّي جميعَ مـا أنت فيه، وما يتـجدّد في كلِّ يوم من أمور المستجيبين من خيرهم وشـرّهم. وأوصيك بهم كما أوصاني بهم مولانا جلّ ذكره. فكن لهم أباً شفيـقاً ومربّياً رفيقاً. ومـولانا جلّ ذكره بنا وبهم رفيق، وكلّما يتجدّد من المواثيق والكتب والأخبار فـتوصلها إلى الجارية الموسومة لقـبض الرِّقـاع[٣]، وتوصل جـواباتهـا، وَتُنْفِـذُ إلى وَلَدَيَّ عليّ وحـسين[٤]، المأذونَين في الدَّعوة، أيّدهمـا المولى بوصولهما إلى الجـارية، إنْ شاء مولانا وبه التوفيق في جميع الأمور.

---

(٣) جارية كانت تُستخدم في إيصال الرسائل إلى أصحابها سرًا.

(٤) للمرة الأولى نرى ذكراً لأولاد حمزة ودخولهم في الدعوة.

واخدمْ خدمةً تستوجب بها الإنعام، وتنج بها من الشرك والانتقام. واشكر مولانا سبحانه وتعالى، والواسطةَ المنعِم عليك[٥]. واحفظ الإخوان، واعضدهم في السرّ والإعلان. وتقرأ كتابي هذا على جميع الدعاة والمأذونين، والنقباء والمكاسرين والموحِّدين، لِتُقرَّ عندهم منزلتك، وعلوَّ درجتك، إنْ شاء مولانا، وبه التوفيق في جميع الأمور في الدنيا والدّين. والحمد والشكر لمولانا وحده وهو حسبنا ونعم النصير المعين.

وكتب في شهر شوّال، الثاني من سنين عبد مولانا ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبن، المنتقم من المشركين والمارقين، بسيف مولانا جلّ ذكره وشدّة سلطانه، عليه توكّلت، وبه استعنت، ومنه الطّلب وبه أستعين .

تمّ التقليد والحمد لمولانا وحده.

---

(٥) الواسطة هو حمزة بن علي.

٢٢

تقليد المقتنى

العنوان الكامل هو: «ويتلوه نُسخةُ تقليدِ المقتنى. تقليداً ضمّن». وقد يكون المقصود من «تقليداً ضمن» أنّ هذه الرسالة، في تقليد المقتنَى، خامسِ الحدود، تتضمّن أيضاً تقليدَ رابع الحدود، أي السّامري. فبهاء الدين المقتنَى هو في مرتبة الجناح الأيسر، أو التالي؛ فيما السامري في مرتبة الجناح الأيمن، أو السابق. كَتب هذا التقليدَ حمزةُ سنة ٤١١ هـ وضمّنها ألقاب بهاء الدين ومهمّتَه وصفاتِه، كما ضمّنها كلاماً عن السدق والكذب والإمامة وسائر الحدود.

إعلم وفّقك المولى، ومنحكَ سبيل الهدى، وأعاذك من الغيّ والهوى، وبشّرك بما تُحبّ وترضى، وبارك لك في هذه الفضيلة، وثبّتك في هذه المنزلة الرفيعة والمرتبة الجلّيلة. ألعلوان[1]: من قائم الزمان هادي المتسجيبين، المنتقم من المشركين والمارقين، بسيف مولانا سبحانه وشدّة سلطانه، ولا معبود سواه، حمزة بن علي بن أحمد. ألتوقيع: إلى الشيخ المقتَنى بهاء الدين، ولسان المؤمنين، وسند الموّحدين، أبي الحسَن علي بن أحمد السَّموقي، ألمعروف بالضَّيف. وفّقه المولى وسدّده. ألحمد لمولانا وحدَه في السرّاء والضرّاء، والشدّة والرخاء.

---

(١) «ألعلوان... ألتوقيع»، أي: عنوان الكتاب وخاتمته.

يُنسخ في ديوان الموحِّدين إنْ شاء مولانا وبه التوفيق. يُنسخ في ديوان النقباء إنْ شاء مولانا وبه التوفيق. يُنسخ في ديوان الموحِّدين والحمد لمولانا على جميع الاحوال. يُنسخ في ديوان النقباء والمشيّة للمولى على عبيده. توكّلت على مولانا الحاكم الأحد الفرد الصمد، المنزّه عن الازواج والعدد. سبحانه وتعالى عن الاسماء والصفات.

من عبد مولانا سبحانه ومملوكه قائم الزمان، ومَن أشار إليه الفرقان، عبد عرف مولاه ووحّده مِن قبْل أن يُخلق الكيان، ولا الظلمة ولا النّوران، ولا مكان ولا إمكان، ولا عرش ولا دخان، ولا أفلاك ولا جديدان، ولا دعاة ولا أصلان، ولا ظهور ولا كتمان، معرفة لا شبهة فيها، ومحض نور لا ظلمة تطفيها. ألعقل الأوّل، والإمام المفضّل. منه مقصد التّوحيد، وبه يُعرف التمجيد، وبقيامه يظهر في الناس الوعيد. هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا جلّت قدرته.

إلى رابعِ الحدود النفسانيّين، وتالي الروحانيّين، تالي السابق المفضّل، وصاحب القول المبجّل، أعني بالسابق: ألشيخ المصطفى نظام المستجيبين، وعزّ الموحدين، أبا الخير سلامه بن عبد الوهّاب السّامري الدّاعي، أعزّه المولى وأسعده[٢].

ألشيخِ المقتنى بهاء الدين، ولسانِ المؤمنين، وسند الموحّدين، أبي الحسن علي بن أحمد السّموقي الدّاعي. ألسلام عليك. فإنّي أحمد إليك مولانا الذي لا مولى لنا سواه. وأشكره على سوابغ نعمه وآلاه، وأعبده سرًا وجهراً وأصبر على بلواه. فعن قريب يبلغ الكتاب أجلَه، والمؤمن أمله، ويرتفع الظاهر ومِلَلُه[٣].

---

(٢) من المفروض أن يكون للحدّ الرّابع، تقليدٌ خاصٌ به. ولكن لا أثر له في الحكمة.

(٣) يرتفع الظاهر ومِلله ، أي يقضي على الاسلام ومِلله.

أمّا بعد فإنّي أحمد أليكَ مولانا جلّ ذكره الذي أنعم عليك، أطال المولى بقاك، وأدام عزّك وعلاك، بنعمة كنتَ عنها غافل، وأحسنَ إليك فيها بما يكلّ عنه القائل، وأعطاك عزًّا سانياً طائل، وجعلك من الملائكة المقرّبين، والحدود العاليين.

ومِن إنعامه عليك، بما أيّدني به سبحانه إليك، عند سماع لفظك، ومعجز تنميقك، وإحكام تأليفك. فكأنّي نظرتُ إليك قديماً، فعرفتُكَ بالذكاء والفطنة شخصاً حليماً. فأشرقتْ زُهرةُ ألفاظك، في سماء عقلك وإضمارك، وفكرِك وأوهامِك. وفاحَ نسيم زَهرتِك عن صحيح عقيدتك، فاستحقّيت بذلك علوَّ المنزلة ورفيع الدرجة[٤].

وَلَمْ يُمكنِ الزمانُ لَمّا تقدّمتْ مراتبُ الحدود أن تقطعها، فجعلناك الجناحَ الأيسر، إذ كان الأيمن قد تقدّمك، وهو سلامة بن عبد الوّهاب. وتلك منزلة كانت مؤهّلة لك إلى يوم الوقت المعلوم، لأنّها مرتبة التالي. ومنه يظهر الفعل إلى كل مستمدٍّ منه مِن بعد السّابق العالي. فالقوّة للسابق مستورة مكتومة، والفعل للتالي بأفعال صحيحة معلومة[٥].

وليس يجري عصرُنا هذا كسائر الأعصار، ولا حدودهُ تقاس بمن تقدّم في الأدوار، وتالينا يقوم بها أعلى مِن كل حدّ قام.

فاخدم ببركة المولى في الحدِّ الجليل الذي أهّلت له واستعدَّ لك كأخيك الجناح الأيمن ثلاثين حدًّا دعاة ومأذونين ونقباء ومكاسرين.

---

(٤) يبدو أنّ المقتنَى، كما هو بيّن، كانَ أديباً حكيماً مثقّفاً ثقافةً شاملة وعالية.

(٥) السابق الذي هو رابع الحدود، يعمل بالسرّ؛ فيما التالي، خامس الحدود، عليه أن يعمل بالجهر. لهذا، فلئن جاءتْ مرتبة بهاء الدِّين بعد مرتبة السامري، فله دورٌ أعظم ومهمّة أصعب. وهو أهلٌ لها. بذلك يعوّض عليه حمزة بما أعطاه من دور لا بما أعطاه من مرتبة.

واعلمْ أنّ أوّل السبعة المفترضات سدق اللسان. والسدق هو الوليّ، وضدُّه الكذب. والسدق والكذب يتشابهان في التـخطيط. كذلك الضدّ يتشبّه بالوليّ، لأنّ الوليّ جلّ اسـمه لا ضـدَّ له. وكَذِبٌ ثلاثة أحـرف، وسِدْقٌ ثلـثة أحرف. فإذا حسبناهما في حساب الجمّل افترقا، لأنّك تقول: كـ عشرون، ذ: أربعة، ب: إثنان. ألجميع : ستة وعشرون حرفاً. وهم إبليس وزوجته وأربعة وعشرين أولادهما. فمَن تبعهم خرج من التوحيد.

والسدق **س**: ستون، **د**: أربعة، **ق**: مائة. فذلك مائة وأربعة وستّون حرفاً، دليل على مـائة وستين حدّا. يكون للإمام منها تسعـة وتسعون حدّا. كما قال: «إنّ لـلّـهِ تسعةً وتسعين اسماً. مَن أحـصاها دخَلَ الجَنّة»، أي لإمام التوحـيد تسعة وتسـعون داعياً مَن عـرفهم دخل حقيـقيّة دعوته المسـتجنّة بأهلهـا، أعني محـيطة بهم. والجناح الأيمن وثلثـون حدّا. والجناح الأيسـر وثلثون حدّا. فذلك مائة وأحد وستّون حـدّا. يبقى ثلثة حدود وهم النفسانيّة، الجواهر الثلـثة المكنونة التي فـوق السابق، لا تنكشف ولا تتـشـخّص إلاّ في عصر قائم الزمان. وهم الإرادة، والمشيّة، والكلمة.

نطقَ المسطور[٦]: «إنّما أمْرُه إذا أراد شيـئاً أنْ يقولَ له: كُنْ فيكون»، وقال: «ومـا تَشاءون إلاّ أنْ يشـاء اللّه»[٧]، وقال: «ولولا كـلمةٌ سبـقتْ من ربّك»[٨].

فأمّا الإرادة فهو ذو مَعة وهو قائم الزمان هادي المستجيبِين المنتقم من المشركين بسيف مولانا وشدّة سلطانه.

---

(٦) أنظر في القـرآن : ٣/١١٧ ، ٣/٤٧ ، و ٥٩ ، ٦/٧٣ ، ٧/١٤٤ ، ١٥/٩٨ ، ١٦/٤٠ ، ١٩/٣٥ ، ٣٦/٨٢ ، ٣/٦٦ ، ٤٠/٦٨ .

(٧) سورة الانسان ٧٦/ ٣٠

(٨) أنظر في القرآن : ١٠/١٩ ، ١١/١١٠ ، ٢٠/١٢٩ ، ٤١/٤٥ ، ٤٢/١٤ .

وأمّا المشيّة فهو ذو مصّة، ألنفس الكليّة، الحجة الصفيّة الرضيّة، الشيخ المجتبَى، صفوة المستجيبين، وكهف الموحّدين، أخنوخ الأوان، وإدريس الزمان، وهرمس الهرامسة، أخي وصهري أبو إبرهيم إسمعيل بن محمّد إبن حامد التميمي الداعي، وفقّه المولى وسدده وأعانه وبلّغني فيه المنى.

وأمّا الكلمة، أخي الشيخ الرِّضَى، سفيرُ القدرة، فخرُ الموحِّدين، وبشير المؤمنين، وعماد المستجيبين، وكلمتهم العليا، أبو عبد اللّه محمّد بن وهب القرشي، الدّاعي، أعانه المولى ووفّقه وسدّده. فاحمد المولى جلّت قدرته، واشكره على تواترنعمته.

واكتب الميثاق على المستجيبين بضبط الحِلْيَة[٩] وإحكام الشهادة. وكن بهم رفيقاً، وعليهم شفيقاً. فبهذا أوصاني مولانا جلّت قدرته في ظاهر الأمر.

وانسخِ الميثاقَ والرسالة من عبد الشيخ سفيرِ القدرة اللأهوتيّة. وارفع المواثيق مع من استدفّ[١٠] لكَ من شَيخَي التوحيد وأوتاد التمجيد، الأخوين المباركين المحبَّين النّاصحين، جزاهما المولى عنّي خيراً.

واعرفْ حسَن بن هبة الرّفاء، نقيبَ النقباء، ليكون هو وأصحابه فيما يعرض لك في المدينة من المهمّات.

ولا يكون أخذُك على المستجيبين خارجاً عمّا في تقليد أخيك المصطفى أعزّه المولى[١١].

---

(٩) الحلية هي الصفة التي يتميّز بها أنسان عن آخر. وعادة ما تكون في وجهه.

(١٠) استدف : أمكن وتسهّل .

(١١) لا يوجد هذا التقليد في مجموعة رسائل الحكمة. وربّما يكون قد ضمّن في تقليد

وسلام المولى علـيك سلام رضًى ومحـبّة، وعلى ســائر الموحِّدين. ورحمة المولى وبركاته.

وكتَبَ هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا وشدّة سلطانه بخطِّه في يوم الجـمعة، الثـالث عشر خلتْ مـن شعبـان، ألثالث من ظهـور سنينه المباركـة. ألمولي حـسبُنا وبه أسـتعـين ونعم النصيـر المعين. سبحانه وحده لا شريك له.

المقتنى هذا.

٢٣

مُكَاتَبَةٌ إِلَى أَهْلِ الكُدْيَةِ البَيْضَاء

الكُديةُ، لغةً، الأرضُ الغليظة المرتفعة. وهي قـرية في مَصر، لا نقدر تحديدَ موقعـها. هذه المكاتبة، بالرّغم من قصرها، تدلّ عـلى قوة منازل أهلها في الدِّين من ثلاثة وجوه: اقتصارها، وكون قـائم الحقّ كتبَها بخطّه، وكونهم سلموا بعد مـحنة الشكوك. كتبهـا حمزة قصد الإشـارة إلى حسن بن هبة الرفاء ليكون صلة بينه وبين أهل الكدية البيضـاء.

توكّلتُ على مولانـا وحدَه، المنجِزِ لعـبده الإمام الهـادي وعدَه، إلى الكُدية البيضاء، العاليون أهلُها. سلام عليكم بحسن نيّاتكم، وحميدِ أفعالكم، سلمـتم من المحنة إذ أنـتم بين يَديّ مُـصـوّرين، بلطائف الأمـور ومـجـاري الأحكام مطمإئنِّين. ومشيّةُالمولى نافذةٌ فكونوا راضيين مسلِّمين.

ولا تُشَرِّدوا كتبَكم عنّي. وأرسلوها إليّ على يد الشيخ سفير القدرة اللاّهوتيّة، أعـزّه المولى بي. وإنْ لم يَعرفِ الرّسولُ فليـسأل المستجـيبين عن حسَن بن هبة الرّفاء، نقيبِ النقباء. تُدفع إليه كتبُكم، فإنّها واصلةٌ على يده.

والوَصَاةُ بتـركِ الإصغاء إلى شناعات الأوغـاد، فإنّها محنة واقـعة بأهلها. والسلام . وكتبَ قائمُ الزمان بخطّه. والحمد لمولانا وحده.

٢٤

رسالة الانصناء

من حمزة إلى أهل أنصنا الموحّدين في صعيد مصر. يدعوهم إلى الصبر والرضى والتسليم لمشيئة المولى. كتبها سنة ٤١١

من هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا إله العالمين. بتأييد المولى جلّ وعلا نطقتُ، وبتوفيقه فتقتُ، وإليه في جميع الأمور ارتجعتُ. وأنتم معاشر الموحدين بالانصناء، كثّر المولى عددكم، وزكّى أعمالكم. إلى توحيد مولانا دعوتُكم، الذي لا مولى لنا سواه، معلُّ علّة العلل، منزَّه عن القدم والأزل. ظهر لنا فينا جلّ عن التشبيه والمَثَل، إنْسيَّةً لقعولنا، وشفقةً منه علينا. سبحانه وتعالى عن الصاحبة والولد. اصطفاني من بين عباده، وأقامني داعياً إلى توحيده في كلّ عصر وزمان، لم أعرف غيرَه، ولم أتوجّه إلاّ إليه. سبحانه ما أعظم شانه وأجلّ سلطانَه.

وأنتم المستجيبون لوحدانيّته، المسدِّقون بصمدانيّته، الرّاضيون بقضائه ومشيّته. وإنّ مولانا سبحانه وحده لا شريك له عالِم بسرائركم، مطّلع على ما في ضمائركم ، مجازٍ لكم على قدر أعمالكم.

وأنتم معاشر الموحِّدين، نحوكم يرنو طرْفي. وما عنكم من توحيد مولانا جلّ ذكره شيء مخفي. إلى توحيد مولانا دعوتكم، ومن خُلفه حذّرتكم، وبإنجاز وعده بشّرتكم، فلكلّ أجلٍ كتاب، ولكلّ مقالٍ جواب.

بالصبـر جاوبتُكم، وبالرضى والتسليم أمـرتكم. والمولى أوعدني، وهو منجز مواعيده بما يشاء كما يـشاء. لا معارضة لحكمه ولا رادّ لقضائه ومـشيّـتـه. فكأنّي بكم وجـيـوش الفرج قـد نَزَلتْ، وأعـلامُـه قد نُشِـرتْ، ومستـوراته قد كُشِفتْ. فكونوا لذلك مـستعدّين، ولمعـجزاته مستـبشرين، تكونوا يومئذ من الفائزين. لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وكتبَ هادي الستـجيبين في عشرة من جمـادى الآخرة، ألثالث من سنينه المباركة.

والسلام عليكم ورحـمة المولى وبركاته. وهو حسـبي وثقتي ، وبه أستعين.

تمّت.

٢٥

شرط الإمام صاحب الكشف

لا ذكر لاسم الكاتب ولا لتاريخ كتابتها. تتضمّن شروط الزواج والطلاق وما يتعلّق بهما من إرث. وهي أساس للقوانين الدرزية والاحوال الشخصية المعمول بها، عند الموحّدين الدروز حتّى اليوم.

توكّلت على مولانا جلّ ذكره. ألحمد لمولانا الحاكم منشئِ الحقّ ومؤيّده، وقامع الباطل بالحقّ ومذلّ أهله ومبدّدُه، ومؤيّد أوليائه وعبيدِه، وماحق الجحدة الكافرين وَعَنَدَتِه، الذين شكّوا بنعمته الكاملة، وبركاته الشاملة، وموادّه المترادفة المتواصلة. وصلواته على مَن اختاره من عبيده، ألقائم بكشف السرّ عن أمره ونهيه، وموضح الطريق للمستبصرين، وموهن كيد أهل الضلال الخائبين، أعني قائم الزمان وعبيده الحدود المستخدمين.

من العبد المختار إلى كافّة إخوانه الدّعاة إلى توحيد المولى الإله الحاكم الجبّار والمُعدِّين للقضاء بين الموحِّدين الأبرار، والعرفاء الأنصار.

قد وصلنِي، أطال المولى بقاءَ سادتي وإخوتي الشيوخ، أنّ الأحكام في فرائض الرِّضى والتسليم في سبب زيجة الموحّدين والإلفة بين الإخوان

والأخـوات، مُرْتَجَـةٌ عليـهم[١]، وأنْ لا علمَ لهم بما توجـبه شـروط الديانة، وكيف تكون المصاحبة بينهم.

فيجب أن يعلموا ســاداتي أنَّ شروط الرِّضى والتسليم ليس تجرى مـجرى غـيرها مـن الزّواج. لأنّ الرِّضى والتسلـيم شيء من أمور البـاري سبحانه، فمَن نقضـها فقد خالف أمر مولانا جلّ ذكره.

والذي توجـيـه شـروط الديانة أنّه إذا تسلّم أحـد الموحِّـدين بعض أخواته الموحّـدات فيسـاويها بنفســه، وينصفهـا من جميع مـا في يده. فإنْ أوجَبَ الحالُ فـرقةً بينهم فأيّهم كان المتـعدّي على الآخر، فَإنْ كـانتِ الامرأة خارجـةً عن طاعة زوجـها، وَعُلِمَ أنّ فـيه القـوّة والإنصاف لهـا، وكان لا بدّ للامرأة من فـرقة الرّجل، فله من جميـع ما تملكه النّصف، إذا عرفوا الثـقاتُ تعدِّيَها عليه وإنصــافَه لها. وإنْ عرفوا الثقات أنّه محـيفٌ عليها وخرجتْ من تحتِ ضرورةٍ خرجتْ بجميع ما تملكـه، وليس له معها شـيء في مالها. وإنْ كانت هي المخالفة له وليست تدخل من تحـت طريقته، فله النصف من جميع ما تملكه، ولو أنّه ثوبُها الذي في عُنُقـها. وإنِ اختار الرجل فُرقَتَهـا باختياره بلا ذنبٍ لها إليه، فلها النصفُ مِن كلٍّ ما يملكه من ثوبٍ وَرَحْلٍ وفضّةٍ وذهَبٍ ودوابٍّ، وما حاطتْه يده لموضع الإنصاف والعدل.

فليتحـققوا السادةُ هذه المكاتبـة، ويعملوا بها وبهذا الـشرط. فهكذا يجري الحال بالعدل والإنصاف.

والسلام عليكم والحمد لمولانا وحدَه لا شريك له.

---

(١) مرتجة، بتخـفيف الجيم، تعني : مغلقة؛ إي إنّ الزواج مُـغلَق بين الموحِّدين والموحِّدات بين بعضـهم بعضاً، لا بينهم وبين سواهم.

٢٦

رِسَالَةُ إِلَى وَلِيِّ العَهْدِ عَهْدِ المُسْلِمِين عَبْدِ الرَّحِيمِ بن الياس

بعث بهـذه الرسالة حمـزة بن علي إلى عبـد الرحيم بن اليـاس، ابن عمّ الحـاكم. قرّبه الحـاكم إليـه وأشـركه في العـهـد وفي الطراز والسكّة، وجعله وليّ عهـده. وعظّم أمره وفوّض إليه دمشق وأعـمالها سنة ٤٠٤ هـ فأظهر الظلمَ وسفكَ الدماء، وأباح المناكر، فخلعه الحاكم، وأرسل له حمـزة هذه الرسالة، يطلب منه الإقـرار بالتوحيـد والكشف، والكفّ عن القول بأنّـه نسيبُ الحاكم. فلم يـرتدّ عن قوله. وأرسل له رسـالـةً ثانيةً، وهي التالية، رقـمها ٢٧، باسم «خَمّار بـن جيش»، وعرّفه فيـها منزلتَه وفسادَ نسبِه بلا التباس.

توكّلت على أمير المؤمنين جلّ ذكره، وبه أسـتعين في جميع الأمور. من عبـد أمير المؤمنين، ومملوكـه هادي المستجـيبين، المنتـقم من المشركين، بسيف أمير المؤمنين، إلى وليّ العهد عهد المسلمين وخليفة أمير المؤمنين.

أمّا بعـد فقد حان لولـيّ العهد أن يكشف القِناع ويعـرف لِمَ تَسمّى ابن عمٍّ أمـيـر المؤمنين. وحـاشـا مـولانا جلّ ذكـره من الأب والابن والعمّ والخال. لم يـلد ولم ويولد، ولـم يكن له كفـواً أحد. إنّمـا سمّاك بـهذا الاسم،

ولقّبك بهذا اللقب في الزمن الماضي الذي خدمتَ فيه[1]، وتولّيت عهد المسلمين وتسمّيتَ، بزعمك بالشكليّة والقرابة. فأراد مولانا جلّ ذكره أن يعرّفك منزلتك في هذا الوقت كيما تطلب العفو عمّا مضى.

والآن يجب على وليّ العهد التضرّع إلى مولانا جلّ ذكره بأن يعفو عنه ويَمحي اسمه من الخطّ والمكاتبات والمخاطبات. ولا يقل ابن عمّ أمير المؤمنين اذ كان هو سبحانه منزّهاً عن الشبهات، ولا يقول هو أيضاً، في مخطابة أو مكاتبة، سلام اللّه عليه، إذ كان اللّه عبده. وأنت أول حرف. وسلام العبد لا يكون على المولى. بل يكون سلام المولى على العبد. وأحسان مولانا عليك قديماً وحديثاً في كل عصر وزمان. وقد قلّدك وثبّت الحجّة عليك.

والآن فقد استدارت الأدوار، وطلع شمس الشموس وقمر الأقمار، وأوجبَ زمانُنا هذا كشفَ الاستتار، ومحضَ التوحيد والإظهار، وعبادةَ مولانا الواحد القهّار. وقد أدّيتُ الهداية، ونصحتُك بالكفاية، بأنْ تُظهر عبادة مولانا على رؤوس الأشهاد، وتقرّ بلسانك أنّك عبده ومملوكه، ولا تتقرّب منه بنَسَب، بل شُرِّفْتَ بخدمة النَسَب، إذا نصحتَ مولاك بعبادتِه وإنْ لم تَنصحْ وتُقِرَّ له بالعبودية اذ لا حسب ولا نسب. ومن قاله خسر الدنيا والآخرة. ذلك هو الخسران المبين.

وقد أعذَرَ الهادي، ونادى المنادي. وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين. والسلام عليك ورحمة المولى وبركاته. تمّت الرسالة والحمد لمولانا وحده. وهو حسبي ونعم النصير المعين.

(١) أي من سنة ٤٠٤ هـ حتى توليته في الشام.

٢٧

رسالة إلى خمار بن جيش السليماني العكاوي

هي الرسالة الثانية التي بعثها حمزة إلى عبد الرحيم بن الياس، الملقّب هنا بـ «خمّار بن جيش السُّليماني العكّاوي»، والمسمى بـ «إبليس والنّغل اللّعين، والمسيخ الحزين، والمدّعي بأنّه أخ الحاكم لأمّه وأبيه».

توكّلت على أمير المؤمنين جلّ ذكره وبه أستعين في جميع الأمور.

من عبد أمير المؤمنين جلّ ذكره مولانا سبحانه، ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف أمير المؤمنين جلّ ذكره، إلى إبليس الإبلاس، ومعدن الشرك والوسواس، ألنّغل اللّعين، والمسيخِ الحزين، خمار بن جيش السليماني العكّاوي.

أمّا بعد يا خمّار، إن كان إسمُك في الأصل حارَت، إبليس، لا يغرّك إمهالُك في الدنيا، وما أنت عليه من كفرك وشركك وكذبك على مولانا العزيز، علينا سلامه ورحمته، وتشبّهك بالمولى جلّ ذكره الذي «لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ»[1]، الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته، علينا سلامه.

ثمّ تزعم بلغتك أنّك أخو مَن لا تُدركه الأوهام والخواطر، وتستمرّ بذلك على شركك. وجلبت على العالم الغبيّ المعكوس بخيلك وَرَجْلِكَ.

---

(١) سورة الشورى ٤٢/ ١١.

فالحذرَ الحذرَ على نفسك ممّا أنت عليه. وانظر لروحك قبل قيامي بالسيف على جميع المشركين وأنتَ أوّلهم.

فالحذر الحذر، واطلب العفو قبل السفر. واعلم حقَّ مولانا أمير المؤمنين جلّ ذكره وشدّة سلطانه. واخشَ عذاب نيرانه. وارجع عمّا أنت عليه من كفرك وشركك. وكن أنت عوض الجواب(٢)، تجيء مع رسلي وغلماني إلى معدن الدين والتوحيد بأمر أمير المؤمنين. ونعرض عليك الإيمان بمولانا جلّ ذكره، والإقرر بوحدانيّته. وتسأل العفو ممّا جنيتَ من كفرك وأشركتَ روحَك بمولانا جلّ ذكره. ولا كرامة ولا عزازة ولا مسرّة حتى تسأل وتتضرّع إلى رحمة مولانا أمير المؤمنين جلّ ذكره بأن يعفو عن عظيم كفرك وشركك.

وإنْ طلبتَ بهذا الاسم والدّعوى حطامَ الدنيا(٣)، فأنا أسأل مولانا جلّ ذكره أن يعطيك ما طلبتَه من الحطام. وإنْ أبيتَ ذلك واستكبرتَ فاخرجْ منها، فإنّك رجيم. وعليك اللعنة إلى يوم الدين. وهو يوم قيامي بالسيف على جميع المشركين.

ثمّ أمرتُ العبيد بضربك بالسياط وإشهارك بالقاهرة المقدّسة وشوارع مصر وأزقّتها. فإنْ تبتَ ورجعتَ عن قولك وإلاّ أَمَرْتُ العبيدَ بِسَلْخِك، وحشوتُ سَلخَكَ تِبْنًا. وصلبتُك علَى باب زُوَيْلَة وباب الفتوح لينظروا شيعتُك ومحبيّك فضيحتَك عند أمير المؤمنين جلّ ذكره. وَنُصلِحَ بقتلك العباد، ونمَهِّدَ البلاد. ثمّ نبتدي بمن هو مثلك، فنقتلهم قتل الكلاب، وأقواماً آخرين في العذاب حتّى يؤدُّون الجالية وهم صاغرون. وذلك بقوّة مولانا جلّ ذكره لاَ شريك له. وهو حسبي ونعم النصير المعين.

---

(٢) أي أنّ خمار أرسل إلى حمزة جواباً من الشام يقول له فيه: لستُ ابنَ عمّ الحاكم فقط، بل أنا أخوه لأمِّه وأبيه، والحاكم أخي، والعزيز أبي، وهذا نَسَبِي.

(٣) دعوى أخوّة الحاكم.

٢٨

الرسالة المنفذة إلى القاضي

رسالة حمزة الثانية -على أنّ الأولى مجهولة- إلى قاضي القضاة أبي العبّاس أحمد بن عبد الله العوّام. وهو ممّن خدموا في الملك، وقضى على جميع القضاة في مصر الفاطميين. قلّده الحاكم سجلاً يحكم بموجبه ببلاد الشام سنة ٤٠٧ واستمرّ حتى ٤١١ هـ. وهو من أهل السنّة، فيما كان مَن سبقه مِنَ الشيعة. في هذه الرسالة يؤنّب حمزة القاضي المذكور على أحكامه على الموحّدين، ويمنعُه من الاستمرار في ذلك.

توكّلت على أمير المؤمنين جلّ ذكره. وبه أستعين في جميع الأمور. معلّ علّة العلل. صفات العلّة: بسم الله الرّحمن الرّحيم.

من عبد أمير المؤمنين، ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف أمير المؤمنين وشدّة سلطانه ولا معبود سواه، إلى أحمد بن محمّد بن العوّام الملقّب بقاضي القضاة.

أمّا بعد فقد تقدّمتْ لنا أليك رسالةٌ نسألك عن معرفتك بنفسك، فقصّرتَ عن الإجابة، قلّةَ علمٍ منك بالحقّ وإهجاناً به.

وكيف يجوز لك أن تدّعي هذا الاسم الجليل هو قاضي القضاة وليس لك علم بحقائق القضايا والأحكام! فقد صحّ بأنّك مدّعٍ لما أنت فيه.

فيجب عليك أن تعلم نفسك وَتدرِيَها. فإنْ كنت قد جهلتَها فأنت فرعون الزمان. وفعلُك لاحقٌ بعثمان بن عفّان. فيجب عليك أن تُقلِعَ عمّا أنت

فيه، وتتّبع سير أصحابك المتقدِّمين أبي بكر وعمر. وتزيل تَلْثِيمَةَ البياض عن رأسك والعمامة والطيلسان. وتَلبس دَنِيَّةً طويلة سوداء بشقائقَ صُفرٍ مُدَلاَّةٍ على صدرك، وتلبس دُرّاعةً بلا جيب، بل تكون مشقوقةَ الصدر. وتكون مُرَقَّعةً بالأحمر والأصفر والأديم الأسود الطائفي. وتكون قصيرةً عليك لتلحق في الشكل بعمر بن الخطّاب. ويكون لك دِرَّةٌ على فخذك لتُقيم بها الحدود على من تجبُ عليه وأنت جالس في الجامع.

ويكون لك في كلِّ سوق صاحبٌ يتزايّا بزيّك وبيده درّة تقيم بها في سوقِه الحدود على مَن وجبتْ عليه، مثل الزّاني والسارق والقاذف وشارب الخمر، ممّن هو مِن أهل ملّتك. وتكون تتولّى الخطبة بنفسك وتَطلعُ على المنبر بلا سيفٍ تتقلّد به. ويكون ممرّك ومجيئك من دارك إلى الجامع وأنت ماشٍ حافياً لتكون في ذلك لاحقاً بأصحابك المتقدِّمين أبي بكر وعمر.

وإيّاك ثمّ إيّاك أن تنظر لموحّد في حكمٍ، لا أنت ولا عَادِلتُكَ، في شهادة نِكاح ولا طلاق ولا وثيقة ولا عِتْقٍ ولا وصيّة. ومَن جلس بين يديك على حُكمٍ فتسألُ عنه، إنْ يكن موحِّداً فتُرسلُه إليّ مع رجّالَتِكَ، لأحكم أنا عليه بحكم الشريعة الروحانيّة التي أطلقها أمير المؤمنين سلامه علينا.

فانظرْ لنفسك فقد أعذرتُك مرّة بعد أخرى وأنذرتُك.

وكتب في شهر ربيع الأوّل، الثاني من سنة عبد مولانا ومملوكه هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا أمير المؤمنين، وهو حسبي ونعم النصير المعين.

٢٩

المُنَاجَاةُ مُنَاجَاةُ وَلِيِّ الحَقِّ

صــلاةٌ من أجَلِّ الصلاة. يتلوها حــمــزة لمولاه وباريه، بسدقٍ ومــحبـةٍ وحقّ. فيــها المناجاة الســادقة، وفيــها الحب العمــيق، وفيهــا الإخلاصُ الحقُّ. إنّها لمعــات صوفيّــة تجمل بالعارفين المشــرقة عليهم أنوارٌ إلهــيّة خاصّة. دافعُها إيمان بالله المتجلّي في مُقام الحاكم.

باسمك ألّلهــمّ سبحــانَك، ألقديم الأزليّ عرشك، الشــديد بطشك. نور الأنوار في كلِّ مثوى ومكان. خالق الأشياء وبــاريها، ومعلّ العلل ومجريها. قدّوس قــدّوس، يا مَن أقرّتْ له النفــوس. وشهدت بأنّه قــبل الدهور الداهرة معبود، وفي الأزمان الغابرة موجود. ربّ الأنوار العلويّة، والعناصر الأزليّة، والعزّة الفردانيّة الصمَديّة. وَاحِدِيُّ الذات، ســرمديّ الثّبات، مبائِن لِلصفات. باري البرايا في القِــدم، فأوجَد ذاتَه لهم كمــا حكَم، حكم بالحقّ فلم يَدْعُ إلى عــدم. فهــو الظاهر لتــثبـيتِ الحجّــة على الناس، وهو البــاطن الذي لا يُدرك بالحواس. أقام قــدرتَه في العالم الذي براه، وكلٌّ ناظر إليه على قــدر صفاه، كالناظر إلى وجهه في المرآه. سبحانَه شــاء فأحدثهم بلطفه خَلْقًا، وَظَهَرَ لَهُمْ كَهُمْ لِيَقَعَ الإيمانُ بهِ حَقًّا وسدقًا. ثمّ تَأَنَّــسَ إليهم، فَثَبَّتَ الحجّةَ عليهم. إذ هم يعجزون عن إدراك كيفيّته، ولا يبلغون بقوّة عقولهم ماهيّته.

فحــقيقٌ حقيق على مَن لــم يصحّ له الوجود، ولا معرفــة الحدود، أن يلزم الإنكار والجحود . لكنّه تعالى ذكره عَدَل، وأحسنَ إلى الخلق فيما فعل.

إذ قام فيهم ظاهراً موجود، وألزمهم حفظَ المواثيق والعهود، وعرّفهم نفسَ العبادة من العابد إلى المعبود، بوساطة الإمام وطاعة الحدود.

فتعالى نورك الأزل، قبل الأزل، ومزيح العلل، ومفني الدول الأول. الذي لم يزل باطناً في ظهوره، ظاهراً فيما بطن. يقوم بناسوته في كلّ عصر وزمن. ليس بمحصور في الناسوت، فيغيب عنه علم الملكوت. لكنّه يتجلّى، ويتداني ولا يتدلّى. ظهورُه من غير زوال ولا تنقّل، وغيبتُه من غير حركة ولا تقلقل. بل ظهوره بالشيء إقبالُه عليه، وغيبته به توفيةٌ منه إليه.

فتعالى بديع العقل والأجناس، المكوِّن بأمره الهيولى والأشخاص. وخالقها وباريها، ومحرّكها إلى أغراضها ومجريها. ألقائم بالناسوت بالعجز حيناً ثمّ بالقدره، الموحي إلى كلّ معلول منه أمره. ألجاعل لكلٍّ علّة منه مقاماً معلوماً، ورسماً مرسوماً. يسبّح في دائرته، ويدور على مركز درايته. يُطيعه في فعله، ويسبّحه بعقله.

سبّوح له سبّوح، منزَّه عن الضدّ والأنداد سبّوح. لا يحوط به رسم، ولا يَنطلق عليه اسم، ولا ينحصر في العلم، ولا يتصوّر في الوهم. بل ينتهي المخلوق من حيث هو إلى مثله، ويهجم به الطلب إلى جنسه وشكله. وهل يرى الناظر في النور إلاّ بمثل ما يرى فيه من الكثافة، أم هل يدرك الكثيف للّطيف إلاّ بمادّة من اللّطافة.

فاستبشروا معاشرَ الموحِّدين بما أمدّكم به مولانا جلّ ذكره على يد وليّ زمانكم بتأييدٍ من لطيف حكمته، واحمدوه على ما نَشر عليكم من ظلّ رحمته، أذ أوصلكم وهداكم إلى ولايةِ وليّه ومعرفته، فاعملوا بطاعته، وتمسّكوا بمحبّته، واعلموا أنّكم عبيدُه وفي قبضته. وهو ربّ العرش مولاكم، يعلم سرَّكم ونجواكم، وينظر إلى أعمالكم ويراكم. فاجتنبوه في السرّ والجهر. إنّه عليم بكم ذو خُبُرٍ.

فقد فاز منكم مَن كان له وليًا، وبعهده وميثاقه وفيًا، وبحكمه رضيًا، أولئك يدخلون الجنّة ولا يُظلمون شيئاً. وأمّا مَن لاذ بحَرَمِه، وانفرد بكتمان سرِّه، فقد فاز بنائله وبرّه. فهو صاحب العزّة والنصرة، ومالك القدرة، ومفني الفقر والعسرة، والمستولي على الكرّة، مراراً غير مرّة، ومجلي حنادس ظلمات الفترة، ومؤمِّن أوليائه من الحسرة، ومعنَى الحجّ والعمرة.

سابقُ الخلق وقَديمه، وصاحبُ الحق ومقيمه، غاية القصد والعرض المبرئ من السقم والمرض، ومَن عليه في حكمه لا يعترض. ألإمام الشديد، صاحب النّص الوكيد، والأمر الرشيد، والقصر المشيد، والنور العتيد، والقوّة والتأييد، والدعاء والتمجيد، الظاهر في كلِّ عصر جديد. صاحب القدس والطهارة، ومعنى الرّمز والإشارة. مولانا الإمام القائم الحاكم.

أللّهم يا مولانا بوليّك وحدودك، إجمع شملَ أوليائك الموحِّدين، وكن بنا وبهم حفيظاً أمين. وأنقذهم من سقط الهلاك، واجعلهم مع الأملاك. سالمين من حرِّ نارك، عزَّ جارُك، وجلّ ثناؤك، ولا إله يا مولانا سوى النور المحتجب بحجابك. خلّصني يا مولاي من هذا العالم الدنيّ الفاني، وأعنّي بالقيام على قضاء حقوق أوليائك الموحِّدين إخواني. واجعلني بينهم بالعقل متخلِّقاً، وبولاء وليّكَ مِيقِنًا متحقِّقًا. وبسبب أنوارك يا مولاي متعلّقًا.

يا من قَصُرَ عن دونه جِدّي ، وذلّ له خَدّي ، وأتى إليه قصدي، وأعلنتُ له مخلصاً حمدي. ها أنا يا مولاي متوجّه إليك، ومتّكلٌ في النجاة عليك. فلا تُبْعِدْني من المحلّ القريب، ولا تُطِلْ سَفَري عن العالم النجيب. وبّخني يا مولاي من الغفلة عن الحقّ القاصد، والاشتمال بالغرور البائد. إليك هربتُ من ذنوبي، وأَمَّلْتُكَ لكشفِ كروبي، وستْر عيوبي. فامنُنْ عليّ برضاك، وأعنّي على ولاك، والبراءة مِن أعدَاك، فما لي مولى سواك. لك زيارتي، إليك معنَى إشارتي، وحبّك طهارتي، وأنتَ ذخيرتي، في دنياي وآخرتي.

فتـسدّق عليّ بنظرةٍ منك تُحـييني، وتعطّفُك عليّ يُغنـيني، وبرضاك تنجّيني، فإنْ منعتني فمَن يُعطيـني، وإنْ أبعدتَني فمن يُدنيني. فأنتَ صاحب العاجلة، وإليك حكم الآجلة. مَن طلب من الدنيا أعطيتَه، ومَن طلب من الآخرة دللته وهديتَه. سماءُ مـجدك مُطلّة، وسحائبُ وجودك منهلّة، وأنت المغني من كلِّ قلّة، الشفاءُ من كلِّ علّة.

وأنا عبدك اللائذ بحَرَمِك، الزّائر لكَرَمِك، الشّاكـر لنعمك، المستقيل من نِقَمِكَ. ألمســتجـير بك في الدنيـا من الحيرة والفـقْر، وفي الآخـرة من عذاب القَبْر.غلِطَ الخَلْقُ عن ضياء نورِكَ بِكَ. فاستـوحَشوا من جهة ما ظَهر لهم مِن شبـه مجانستِـهم، فشكُّوا فبقَـوا حيارَى، بما تراءَى لهم سُكارى؛ عـاجزين شاكّين جاحدين. وآنسَ بك الموقنون بعهدك، والمؤمنون بميثاقك وعقْدك. بما أيّدتَهم بلطف تأييدك، إظهاراً وأسراراً.

فظاهرُك قِبلةُ العارفين، وباطنك سرّ العابدين. عَبَدُوكَ مِنْهُ لَمّا عرَّفْتَهُم بِنَفْسِكَ كَـهُمْ. فأنت الموجود في الظاهر ولا غـيرك، والمعبـود في الباطن ولا دونك. قـريبٌ تجيب دعـوةَ الداعي إذا دعاك، بعـيدٌ على مَن لم يَسْـمَعِ نِداك. نورُك في قلوب أوليائك يتلألأ ، وكلامُك على ألسن حججك يتجارى.

وليّك بحـرُ البحور، ونور الفـرقان والزَّبور، وآية الكرســيّ في سائر الدهور. أليكَ بكَ التـجَيـنا، وإليك أَنَبْنَا. وإليك المصــير وأنت عَـلاّمُ الغيـوب. إحفظنا من فتنة الدّجّالين، ومن غـرور الغاويين. ومن بَلَسِ كلِّ شيطانٍ ماردٍ رجيم.

بِسمِ الواحـدِ القـديم، الرحـمن الرحـيم. نـوّر بنورك قلوبَ أوليـائك العارفين، وبصّر أصــفياءك الطّالبين، المخبـتين بنظرة اليقين. وَاجْلِ الرّانَ عن قلوبهم، وثبّت الإيمان فيها بمعرفة التوحيد.

يا مَن له العزّة والتّمكين. أنصرنا على أعداء الدِّين، المارقين الجاحدين الناكثين، الذين نكثـوا عهدَك، وجـحدوا ميثـاقك وعقدَك. ومـرقوا من دينك، وأظهروا الفساد فـي أرضك. فدمّر عليهم بدمارك، كمـا دمّرتَ على قوم عاد وثمود. ودمدم عليهم بيوتَهم إنّك عـلاّم الغيوب. تُؤتي المُلْكَ لمن تشاء. وتمنع الملك ممّن تشاء. وتُعطي وتجـازي وتعفو وتغفر لمن تـشاء. وأنتَ العادل في حكمك، المضي لأمرك؛ رضِـينا وسلَّمْنا أمورَنا إليك. إنّك حميد مـجيد جواد كريم. تجاوزْ عمّا مضى، واعفُ عنّا واغـفر لنا ذنوبنا. وبدّل سيّئاتنا بوعدك السّادق وإحسـانك القديم. فنحن عبيـدك الخاضعون الخاشـعون المنتظرون لجميل إحسانك. المسدّقون بوعدك وامتنانك.

يا وليّ الصّالحين، وغاية الطالبين، وإنْسَ العارفين، ورجاء الموحّدين. بك اهتدينـا، وبنورك أبصرنا. وعليك اتّكلنا. إنّك أهل التـقوى وربّ المغـفرة. فلك الحمد كما مننت يا مولانا.

والحمد لمولانا هو حسبي ونعم النّصير المعين.

٣٠

الدعاء المستجاب

مناجاة ثانية لحمزة. فيها يسبّح المولى على خلْقه العقل والنفس، أصلَين لكلِّ موجـود. فيها يـسأله العفو والغـفران، بأسلوب صوفي رائع، فـيه نفحـة من أحسن ما في التـوراة والإنجيل والقرآن، من صـلاةٍ وتضرّعٍ يعبّران عن انسحاق قلبٍ عميق.

سبحانَك يا مبدعَ الأشياء لا من شيء كان ولا من مادّة ولا بآلة ولا بمعين ولا بمثال صـورةٍ معلومـة عنده، بل بوجوده وعلمـه وإرادته أجراها وأنشاها. وأنشأ كلَّ شيء منها بتقديرٍ محكم وفعلٍ متقن.

سبـحانَك يا مخـترعَ العالمين بما فـيها من غـرائب الصّنع ولطيف التدبير، وخفيٍّ الحكمة والتـقدير. بأمرِك الذي هو الإبداع المحض علّة لجميع الأشياء الموسومة بالأيش.

سبحانَك يا مبدعَ العقل التامّ، ومعقل جميع الخلقة فيه بالقوّة حتى لم يخرج عنه شيء منها. وخـالقَ النفس المنبعثة منه لإظهـار ما تضمّنه ذاته من الصوَر المبروزة فيه.

سـبحـانَك يا مَن جـعل النفس علّةً لإخـراج التـراكـيب من الدوائر والأجرام والأمّـهات. وجـعل قرار المواليـد على أشرفـها وأعلاها الـذي إليه انتهت صفوة العالمين وهو البشر. وجعل منتـهى غاية صفوة البشر وشرفه

وَكَبٍّ لطافَتـه على الأساسَين اللذيـن بهمـا قـامت التدابيـر في هذا العـالم الجسماني. ومن جـهتهما ظهرت آثار العقل والنفس. وبهـما نصبت الحدود وغيرها في هذا العالم وجميع ما فيه.

سـبحـانَك يا من تعاظمتْ منّـته بهـما على العـالم، إذ كانا سـبباً لهدايتهم إلى معرفتك.

سبحـانَك يـا من جعل قـرار هداية سكّان العالمين من الروحـانيّين والجسـمانيّين على تأييد الأصلَين الأعلَيَين الأنورَين اللّذَين بهـما استفـتحت الخيرات وظهرت البـركات على جميع الخلائق من البسـيط والكثيف. وبهما ظهر تجريد توحيدك الحقّ واثبـاتك المحض الذي لا يشوبه تعطيل ولا يلحقه تشبيه.

سبحـانَك يا من جـعل بقاء الكلّ ودوامـه بالإبداع المحض الذي هو أمرك المقدّس عن الخلقة.

سبحانَك يا من تعزّز بالكبرياء والجبروت.

سبحانَك يا منفرداً بالعظمة والملكوت.

سبحانَك يا من لم يزل دهراً ولا زمان ولا مدّة ولا مكان.

سـبحـانَك يا من تعـاظم أن يكون كـمثله شـيء أو يلحقـه وصفُ واصفٍ من خلقه.

سبحانَك يا مَن تعالى عن المساواة والتشبيه.

سبحانَك يا من لا تلحقه صفة ولا له صفة.

شـهدتُ وآمنتُ وأيقنتُ أوّلاً وآخـراً، وباطناً وظاهراً، بأنّك اللّه المبدع العزيز الواحـد ، الأحد الذي لم يتكثّر ولم يتـزايد ولا يتناسب. وإنّك بارئ لا بارئ لك، وخـالق لا ضـدّ لك، وقادر لا مـقـدور عليك، وغـالب لا منجَى ولا

ملتجأ منك إلاّ إليك. وحاكم لا محكوم عليك. تفعل ما تشاء وتحكم ما تريد. بأمرك العالي الممجّد عن مقارنة الاصوات واللغات.

أسألك يا مولانا وسيّدنا بعظيم جلال قدرتك ونور سلطانك التي مننتَ بها على جميع المبدعات والمخلوقات وجعلتها سببا لبقاء هويّاتهم بفضلك ورحمتك.

أسألك يا مولانا بأوّل شيء ظهر منها بما تحويه هويّته، ويستخرجه قوله من توحيدك وتنزيهك ونفي التشبيه عنك. بمنّتك عليه بتاليه المنبعث منه صورة ذاته، لإظهار مقصود حكمتك وإرادتك المنبجسة من أمرك السالك منازل الخلقة، بما ظهر منها عند المزاوَجة بالإفادة والاستفادة من أنواع الصور الروحانيّة والجسمانيّة.

أسألك أن تمنّ عليّ بخالص معرفتك وحميد طاعتك والبلوغ إلى مرضاتك والثبات على أمرك والتجنّب لنهيك والصبر على ما ينالني في عبادتك من شدائد المحن والبلوى التي بها تهذّبت النفوس وبها صفت.

يا أرحمَ الراحمين بحقّك على من لا يصرف هويّته عن تسبيحك وتقديسك وتمجيدك إلى سواك أن تتفضّل عليّ بذلك، وأن تهب إليّ النصرة والغلبة على شهوات نفسي وخبائث وساوسها وشرورها المُدخِلة عليّ النقص والتقصير في طاعتك.

يا مولانا وأنا عبدك المعترف بعظيم جرمه منيباً إليك، متذلّلاً لديك، متضرّعاً خاضعاً لك، معترفاً بألوهيّتك، متّكلاً على سعة رحمتك، واثقاً بجودك، خائفاً من عقوبتك، متبرّئاً من كلّ عدوّ لك، متوسّلاً إليك بمحبّة أوليائك، بريًا من حَول نفسي وقوتّها، موقناً بأنّ الحَول والقوّة لك لا شريك لك ولا دافع لأمرك، ولا رادّ لحكمك. تجاوزْ عنّي واغفر لي ذنبي، واجعلْ معرفتك التي مننتَ بها عليّ مخلّدة في نفسي لا تزائلها ولا تفارقها كيف ما

دار بها الحال برحمتك وفضلك الشامل لجميع أوليائك وأحبّاك. لا إله غيرك ولا معبود سواك.

أنت العزيز الحكيم تقبّلْ سعيي، واجعلْ ما لمعَ في نفسي، وعبّره لساني بمقدار قوّتي واستطاعتي، ومبلغ جهدي من هذا القول كفّارة لعجزي وتقصيري، وتخلّفي عمّا يلزمني من حمدك وشكرك. وإنْ كان تسبيحك وتقديسك وتمجيدك ممّا لا سعة للمنطق بعبارته، ولا توهّم للنفس لدركه، بل هو أعظم وأجلّ من أن يكون للعقول المهذّبة نحو دركه امتداد ولا احاطة.

أسألك يا مولانا برأفتك وإحسانك، أن ترزقني قوّة بصيرة تتّسع بها نفسي في معرفة توحيدك. ويطول بها لساني في تلاوة حكمتك، ويشتدّ بها شوقُ هويّتي إلى نعمتك، إذا فاضتْ من تَأقّي أوليائك، حتى لا تسكن عن المسافرة في درجات التعاليم التي بها يُوقَف على تعظيمك.

يا ذا الحقّ لا إشارة تَلْزَمُكَ ولا أَينيّة، ولا كيفيّة ولا مائيّة.

تعاليتَ تعاليتَ عمّا يقولون الجاحدون، ويتوهّم الجاهلون، المقصّرة التّائهون، مِن نَفْي ألوهيّتك عند الإثبات المحض اللائق بعظمتك وجلالك، علوًا كبيراً.

تمّ الدعاء والحمد لمولانا وحده.

٣١

ألتقديس دعاء الساجدين

دُعَاءٌ لِنَجَاةِ المُوَحِّدِينَ العَارِفِين

دعاء الحدود العلوية الخمسة للطبيعة الإلهية المقدسة، لأجل خلاص نفوس جميع الموحِّدين العارفين. كتبها حمزة بن علي. من دون تاريخ.

توكّلت على مولانا الحاكم المعبود وحدَه، المنجز لعبده الإمام الهادي وعده. توكّلت على مولانا حاكم العقل، ومعلّ الأصل، المنزَّه عن الممثول والمثل، والمتعالي عن الجنس والشكل، ومَولَى الكلِ. ألعقلُ إبداعُه، والفكر إحداثُه، والقديم سُلطانه، والأسماءُ لحدوده، والصفاتُ لعبيده. فكلُّ عقلٍ عاجز عند تعظيمه وتوحيده. وكلُّ فكر حائر عند تنزيهه وتجريده. ألتوحيد له جلّت آلاؤه إقرارًا، والإشارة اليه أفكاراً. عجزت العقول عن كنه معرفته، وحارت الألباب في تدّبر حكمته. فهي لعجزها مسرّة مقرّة مذعنة أسيرة، بأنّه، جلّت آلاؤه، معبود الأزمان والمُدَدِ. سبحانه وتعالى عن الصمد والعدد، وتنزّه عن كلِّ إله يُعتَقَد، ومعبود يوحّد، وإلى جبروته يُستَنَد.

فجواهر العقل الصافية عند تحديد ظهوراته خاسئة حسيرة. مسلِّمة عند خطرات عظمته مذعنة أسيرة. ونفوس الأولياء الأطهار راجعة بكلّيتها إلى مبدعها ناعمة قريرة. قد سَلِمَتْ في عبادتها وتوحيدها من

التعطيل والتـشبيـه. ووقفت بوليّ زمانهـا على حقيقـيّة التوحـيد والتنزيه. وتقرّبت إليه بحدوده الطاهرين الأوحاد. وتحـقّقت سبقهم في الشهادة على أعمال العباد. وتشرّفت بمباشرتِها للملائكة الأطهار. وتقدّست بما أتحد بها من لطائف الأنوار.

أللّهمّ يا مولى الأنام، وحاكم الحكّام. بعظمة هذا التنزيه والتقديس، وبإجلال الظهـورات الملكوتيّة لبـريّتك على سبيل التـأنيس، وإقامة الحـجّة عليهم ببيان التوقيف ووكيد التأسيس.

أللهمّ اجـعلْنا بوليّك وحدوده لآيات التـوحيـد مسدّقين، ولطـاعتك وطاعتهم في التّـسليم لأمرك موقنين، واعصمنا برأفـتك وصونك من غرور الدجاجلة المتشبّهين، والدّعاة إليهم الأنجاس المارقين.

وامـهلْنا لإنجـاز وعـدك لأوليـائك المخلصـين. إنّك على ذلك قـدير وبإجابة هذا القَسَم وبإجلال ألوهيّتك كفيل جدير.

تمّ التـقـديس. والحـمـد لمولانا وحـده. وهو حـسـبي ونعم المعين النّصير.

٣٢

ذِكرُ معرفةِ الإمامِ

وأسْماءُ الحدودِ العلويّة روحانيًا وجسمانيًا

رسالة هامّـة جدًا. قد تكون مـرجعاً في معـرفة مؤسّـسي الدعوة الدرزيّة. فهي تعرفّنا بحدود التوحيـد العلوية الخمسة، بأسمائِهم، وألقابهم، وصفاتهم، وكنياتهم... قد لا تبدو أنّها من تأليف حمزه.

توكّلت على مـولانا الحاكم المعـبود. وإليـه أشرنا بالوحدانـيّة في سائر الدهور.

ألأسمــاء الواقعة على مـولاي قائم الزمان : ألأوّل منــها: علّة العلل، والثانــي: السابق الحـقيقي، والـثالث: ألأمْر، والـرّابع: ذو معة، والخـامس: الإرادة. ألعقل الكلّي روحــاني. واسمُه جســماني: حمزة بن علي بـن أحمد. هادي المســتجيـبين، المنتقـم من المشركين، بسـيف مولانا ســبحـانه وشدّة سلطانه.

ومِن بعده: ألنفس الكلّيـة، الحجّة الصفيّـة الرضيّة، أخنوخ الأوان، وإدريس الزمــان، هرمس الهـرامســة، الشـيخ المجتـبَى روحــاني. واسمُـه جسماني: أبو إبرهيم إسمعيل بن محمّد بن حامد التميمي الدّاعي.

ومِن بعده: ألكلمة، الشــيخ الرّضى، سفير القدرة، فـخر الموحِّدين، وبشــير المؤمنين، وعــماد المســتجيـبين، وكلمتــهم العليـا روحاني. واســمه

جسماني: أبو عبد اللّه محمّد بن وهب القرشي الدّاعي.

ومِن بعده: ألجناح الأيمن، ألشيخ المصطفى، نظام المستجيبين، وعزّ الموحّدين، روحاني. واسمه جسماني: أبو الخير سلامه بن عبد الوهّاب السامري الدّاعي.

ومن بعده: ألجناح الأيسر، الشيخ المقتنى، بهاء الدِّين، ولسان المؤمنين، وسند الموحِّدين، الناصح لكافة الخلق أجمعين، روحاني. وأسمه جسماني: أبو الحسن علي بن أحمد الطائي السّموقي الدّاعي.

ذكر معرفة الأربع حُرم :

أسماؤهم : إسمعيل. محمّد. سلامة. علي.

كناهم : أبو إبرهيم، أبو عبد اللّه ، أبو الخير، أبو الحسن.

منازلهم : ألنفس الكلّيّة، سفير القدرة، الجناح الأيمن، الجناح الأيسر.

ألقابهم: ألمجتبَى صفوة المستجيبين وكهف الموحّدين؛ المرتضى فخر الموحِّدين وبشير المؤمنين؛ ألمصطفى نظام المستجيبين وعزّ الموحِّدين ؛ ألشيخ المقتنى بهاء الدين ولسان المؤمنين وسند الموحِّدين.

والحمد لمولانا إله العالمين.

تمّتْ والسلام.

٣٣

رسالة التحذير والتنبيه

من رسائل حمزة. فيها يبيّن منزلتَه ومهمتَه الموكلة إليه من قَبل كلّ الدهور. فهو يبشّر المؤمنين بالمكافأة المعدّة لهم، ويُنذر الكافرين بقصاصاتٍ لا نهاية لها. يوصي الموحّدين بحفظ بعضهم بعضاً ليكمل إيمانهم. في الرسالة إشارة واضحة إلى التقيّة وكيفية صون الحكمة من غير أهلها.

بسم الأزليِّ القديم، والمولى الكريم، والرب الرحيم. ألواحد المنزَّه عن صفة الآحاد، الفرد الذي لا يشاكل الأفراد، المتعالي عن سمة الأعداد والأنداد، ألمولى المتعاظم عن معنَى الصاحبة والأولاد، الحاكم الذي خضعتْ لهيبته جميعُ العباد. لم يتجانَس مع المتجانسين، ولم يبلغ كنه وصفِ الواصفين، ولا تدركه أبصار الناظرين، ولا تحوط بهويّته أفكار المتفكّرين.

مبدِعُ المبدعات بقدرته، وموحِّد الأشياء بمشيّته، الذي أوجد القلوب عرفان طاعته، فأخذتِ القلوب من معرفته ما احتملتْ، وكشف لها من مكنون سرّه ما علمتْ، أبدع الأشياء بلا مثال، وهو الباقي الذي ما لملكه زوال. انفرد بالإلهيّة، وأيّد أهلَ طاعته بروحٍ قدسيّة. أبدع الحدود الروحانيّات، ورفع بعضهم على بعض درجات. وخصّني وفضّلني عليهم بالتأييد والبركات.

فالحمد لمن أبدعني من نوره، وأيّدني بروحِ قدسه، وخصّني بعلمه، وفوّض إليّ أمره، وأطلعني على مكنون سرّه.

فأنا أصل مبدعاته، وصاحب سرّه وأماناته، المخصوص بعلمه وبركاته.

أنا صِراطه المستقيم، وبأمره حكيم عليم.

أنا الطّور، والكتابُ المسطور، والبيت المعمور.

أنا صاحب البعث والنّشور.

أنا النّافخ بإذن المولى سبحانه في الصّور.

أنا إمام المتّقين، والعلمُ المبين، ولسانِ المؤمنين، وسند الموحدين.

أنا صاحب الراجفة، وعلى يدي تكون النِّعم المترادفة.

أنا ناسخ الشرائع، ومهلك أهلِ الشّرك والبدائع.

أنا مهدم القِبلتَين، ومبيد الشريعتَين، ومدحض الشهادتَين.

أنا مسيح الأمم، ومنّي إفاضة النِّعم ، وعلى يدي يحلّ بأهل الشرك النِّقَم.

أنا النار الموقَدَة، التي تَطَّلِعُ على الأفئدة.

أنا مُمِّدُ الحدود، والدّالُ على توحيد المعبود، ومُفني أهلِ الشرك والجحود.

أنا مُجَرِّد سيف التوحيد، ومهلك كلِّ جبّار عنيد.

أنا قائم الزّمان، وصاحب البرهان، والهادي إلى طاعة الرحمن.

فالويل كلُّ الويل لمن حاد عن طاعتي وَصَدَف، وبتوحيد المولى سبحانه وبإمامتي لم يَعترِف. فقد أوحى إليّ سبحانه أنّه لا بدّ حتماً من إنجاز الوعد المحتوم، وقتل كلِّ كافرٍ ظَلوم. وأُفني أهل الشرك والعناد، والمنافقين والأضداد، وأَملِك بسيفي جميعَ البلاد، وأَحكم على جميع العباد. ففريقٌ يسعد، وفريق يحلّ به العذاب السّرمَد.

فمَن آمنَ قَبْلَ ظهور الوعد ووحَّدَ المعبود، وأقرّ بإمامتي وعرف مراتبَ الحدود، نال المفازَ مع الأبرار، وحلّ في دارالنَّعيم والقرار. ومَن لم يعرِف الحدود، ولا يوحّدالمعبود، فليلزم الإنكار والجحود. ويؤدِّ الجزية ويحلّ به العذاب، وتنقطع به الأسباب. فلا بدّ حتماً من فناء المنافقين، وقتل الفاسقين، وذلّ الكافرين؛ ويؤدّوا الجزية وهم صاغرون، ويلزموا لبس الغَيار وهم كارهون. وينزل بهم المحق والتّغيير، ويحلّ بهم خِزيُ الملك القدير.

فأبشروا أيّها الموحّدون بمَلْك ذراريهم وأموالِهم وأرضِهم وخرابِ ديارهم، وسبي حريمهم وأولادهم، وإخلاط دم رجالهم بدم كلابهم. ويوسَمون بسمة العبيد، وتملك ضعفاؤكم منهم كلَّ جبّارٍ عنيد. يومئذ يَطلبون الخلاص، فيقول الكافر يومئذ لا مناص. ما لهم من شافعين ولا سديق حنين. بل غَلبتْ عليهم شقوتُهم من قبل هذا وكانوا عن هذا غافلين.

لقد دَعَتْهم الحدودُ فلم يجيبوا، وعن غيّهم وجهلِهم لم يَحيدوا. ولقد نُبِّهوا إلى المعرفة فلم ينتبهوا، وحُذّروا من العذاب فلم يَحذروا. فما عَمِيتْ أبصارهم، بل عميت قلوبُهم، وجهلتْ نفوسُهم بكفرهم وغيّهم، فصدّوا عمّا دُعوا إليه، وأعرضوا عمّا دلّ الحقّ عليه. فسوف يندموا على ما فرّطوا، وَيدروا ما كانوا عليه قد ارتبطوا؛ فلا تصْغوا إلى ما زَخرفوا. ولا تُجيبوا إلى ما ألّفوا. واطلبوا الحكمةَ من معادِنها، ولا تشتغلوا بالدنيا وحطَامِها. فلا بدّ من انقطاع الأمياه الواردات، وتكثر فيكم البلايا والامتحانات. فاصبروا على الامتحان، تنالوا المغفرة والإحسان.

وصونوا الحكمة من غير أهلها. ولا تمنعوها لمستحقّها. فإنَّ مَن منع الحكمةَ عن أهلها فقد دَنَّس أمانَتَه ودينَه. ومَن سلّمها إلى غير أهلها فقد تغيّر في اتّباع الحقِّ يقينُه. فعليكم بحفظِها وصيانتِها عن غير أهلِها

وَالاِسْتِتَارِ بالمَأْلوف عِندَ أهْلِهِ. ولا تنكشفوا عند مَن غَلَبَتْ عليه شقوتُه وجهله. فأنتم تَرَونَهُم مِنْ حَيثُ لا يَرَونكم. وأنتم بما في أيديهم عارفون، وعلى ما أَلَّفوه من زُخْرفِ قولهم مُطَّلِعون. وهم عمّا في أيديكم غافلون، وعمّا اقتبستموه من نورِ الحكمة محجوبون. لقد أُخْرِسُوا وَنَطَقْتُم. وأُبكِمُوا وَسَمِعتُم. وَعَمُوا وأبصَرْتم. وَجَهِلُوا وَعَرَفْتُم.

فاحمدوا المولى سبحانه على ما أفاض عليكم من ظلّ رحمته. وبصّركم من علمه، وخصّكم من نور حكمته. فالحمد له حمداً لا انتهاء لآخِره، كما لا ابتداء لأوّله.

واشكروني واعرفوني حقّ معرفتي. فأنا القائم فيكم بأمره. المؤيَّد بروح قدسه. واعرفوا منزلتي من حدودي ودعاتي. واعرفوا الحدود بأسمائهم، وصفاتهم. ونزّلوهم في رتبهم ومنازلهم. فإنّهم أبواب الحكمة. ومفاتيح الرحمة.

وأوصيكم بحفظ إخوانكم. فإنَّ بحفظِهم يكملُ إيمانُكم. فأجيبوا دعواهم، واقضوا حاجاتهم. واقبلوا معذرَتَهم. وعادوا مَن ضَامَهُم. وَعُودوُا مَرْضَاهُم. وَبِرُّوا ضُعَفَاهم. وانصروهم. ولا تخذلوهم.

فاسمعوا أيّها الموحّدون قولي. وافهموا ما نطقتْ به الحكمة. واقبلوا ما أمرتُكم به، وانتهوا عمّا نهيتُكم. وارتقبوا ما أوعدتُكم.

والسلام على مَن اتّبع الحقّ. وسدّق ما أوعد به إلهُ الخلق. واعتمدَ في دينه على التوحيد والسدق. والحمد لمولانا وبه أستعين. وهو حسبي ونعم النّصير المعين.

٣٤

ألرسالة الموسومة بالإعذار والإنذار

الشّافِيَةُ لِقُلُوبِ أهْلِ الحَقِّ مِنَ المَرَضِ والاحْتِيَار

بين هذه الرسالة والرسالة السابقة أوجه شبهٍ عديدة، من حيث منزلة الإمام قائم الزمان ومهمّته. وقد يكون غرضها إعادةُ الموحّدين إلى الإيمان بحمزة على أنّه إمامُهم الوحيد، وذلك بعدما ابتعدوا عنه، وتركوه ليتبعوا إماماً آخر، قد يكون «ابن البربرية»، أحدِ المرتدّين الذي أرسل إليه بهاء الدّين توبيخاً قاسياً، في رسالة تحمل اسم «توبيخ ابن البربريّة» رقم ٧٦ من مجموعة الحكمة.

توكّلت على مولانا الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته. مِن هادي الأمّة ونذيرِها، ومخلّصِ الأولياء ومجيرِها من محنة الأنام، المنصوب للمستجيبين هاديا وإمام.

أمّا بعد فالحمد لمن ألبسني المجد، وقلّدني مقاليد الإمامة في الصدر والوِرْد. فله الحمد المقيم، والثّناء العميم. لا يوصف بصفات المخلوقين، فيتجانس مع المتجانسين. ولا تحويه الاوهام والظنون، تعالى عن الكاف والنون[1]، وجلّ أن تدركه ثواقب الأبصار والعيون. أوْ يُنْعَتُ بحركة وسكون. فذاك إلهكم وإله آبائكم فاعبدوه.

---

(١) أي الكاف والنون، في فعل: «كن»، الذي به كان الوجود.

واعلموا أيّهــا الإخوان المُخْلِصون في دينهم، المتـميّزون عن جـميع البرايا بمعتـقدهم ويقينهم. عصَـمكم مولانا بطاعته، وأنالكم أمنيًّـتكم بمنّته ورحمـته. إنّ خـير مـا اقْتُنِي لِلْمَـعَاد، وازدُخِـر لخلاص النفـوس من الزّاد، المبالغـة في حسن الولاء والاعتقـاد، والثّبات على ما كـفرت به الطّوائف من جميع العـباد، فقد أوحي إليّ سبحـانه أنّه البغية منكم والمراد، لتقـوم الحجّة على أهل الفسوق والعناد.

واعلمـوا أنّـي أنا الإمـام المطلوب والمراد. وعلى يـدي يكون جـزاءُ العباد. واحذروا أن تستفـزّكم به الألسن الكاذبة، أو تتخطّفكم الأمّة الخائبة. ولا تُأَيِّسكم المهلة من ظهور حقِّكم بإشهار كلمة الإخلاص. فعلى يدي يكون الجزاء والقـصاص. ولي يُسأل في المغفـرة والخلاص. فتمـسّكوا بالحدود، وكابدوا الأمـر بكلٍّ مجـهود. واحذروا لهم المخـالفة. وأديموا لهم المناصـحة والمؤالفة. وارتبطوا بهم ارتباطا، واغتبطوا بما ألقَوه أليكم فرحا واغتباطا.

فعلى يَدي يكون ثواب مَن أطاع واتّبع المرسوم، وعـقاب من عصى وحـاد عن الحقّ المفـهوم، يـوم قيـامي بسـيف مـولانا الحـاكم سبـحـانه، ومجازاتي للخـلائق أجمعين. وأخْذي لكم الحّق بالقصـاص، وإنالة إحساني لأهل الوفـاء منكم والإخـلاص، وانتزاعـي النفوس من الأجـسـاد، من أهل الفسوق والعناد، وقتلي الوالدين والأولاد. وأنـيلكم أموالهم وسبيَ نسائهم، وقـتلَ رجالـهم، حتّى إنّهـم يطلبون الخـلاص فـلا مناص. ويؤخـذ لكم من عدوّكم بأوفر القصاص. وتنبثّ الكلمـة في الأقاليم، فلم يجدوا المنافقون لهم وليًا ولا سديقاً حميم.

فمَن جـاءكم طائعا، وأتاكم سامـعا خاضـعا، نال الفوز والغـفران وَسَعِـدَ بسُكنى الجِنَان. ومَن فَسَقَ عن أمـر ربّه، واستولى الصّـدأ على عقله ولبِّه، كان موخوذا بفعله وذنبه. وهذا الأمر على يدي عن قريب يكون، وترى

الأولياء ما يسرّ القلوب وتقرّ به العيون. فأنيبوا إليّ يا أهل طاعتي، الموحِّدين المنزّهين لمولانا جلّ ذكره من جميع أهلِ شيعتي.

فأنا النار الموقَدة، التي تَطَّلِعُ على الأفئدة، لا يخرج عنّي أمر ولا يخلو منّي عصر. أنا صاحب المنزلتَين، ومبيد الشريعتَين، ومدحض الشهادتَين. أنا صاحب الراجفة وعلى يدي تكون النِّعم المترادفة.

واعلموا أيُّها الإخوان أنّ غيبتي عنكم غيبةٌ امتحان لكم ولجميع أهل الأديان. فمَن وفى منكم بما وَثِقَ عليه، ولم يَنْكُص على عَقِبَيه، فسأُوتيه أجراً عظيماً، وأنيله مقاماً كريما. ومَن انعكس وارتكس، وصَدّ عن الحقّ وأبلس، وأصغى إلى الشيطان بما زخرف ووسوس، وأُدخل تحت الجزية، وأوقع به الذمّة والخزية، جزاءً بما احتقب وانقلب إلى شرّ منقلَب، ذلك لما عاند وكذب، فلا تميلوا إلى ما زخرف الشيطان، ولا ترغبوا في الزور والبهتان. وأقبلوا على دعاة الرحمن، واجتنوا من ثمرات الحكمة والبرهان، تكونوا من أهل الفوز والغفران.

فسوف يرِدُ إليكم أمرٌ ترَونه عن قليل، يُشفَى به الصّدور والغليل. ويكون لأهل التوحيد عند ظهوره نعمةٌ شاملة، وعلى مخالفيهِم نقمةٌ كاملة. يَرِدُ بها الرجلُ النّائي عن دياره، المنقطعة أخبارُه، الغائب في الحجب، النّاظر في البعد والقرب. وهو أحد الأنصار، وبمعرفة رتبته ينال التديّن والافتخار، لا من التُرْكِ ولا من الخزَر، يكنّى في ظهوره بالمُظَفَّر. يُرى كأنّه غريب، مؤيَّد في فعله مصيب.

فتيقّظوا من رقدتكم، وأقلِعوا عن سهوتكم. فقد أزِفَ الظهور. وحان الوقت المقدور.

وقد أنفذتُ إلى أهل طاعتي، ومَن هو متمسّك بإمامتي، هذه الرسالة إِعْذَارًا وَإِنْذارًا ، وَهُدىً واستبصارًا.

كونوا أيّهـا الإخوان على هبة من أمركم، ولا تظنّوا الذي أنتـم فيه شرًا لكم، بل هو خير لكم.

فما تمرّ بكم إلاّ أزمان قلائل، حـتى ترون مخالفيكم قد أُرْمِلَتْ منهم الحلائل، وأُوقِعُوا في الغوائل والمهالك، وَسُلِبوا الأموال والممالك. وَسُلِّموا إلى مالك[٢] . وأَلْزَمَهُم بالغيار، وأوقَع بهم الدمـار، وأخذ لكم منهم بالثّأر. كُنِّيْتُم بالأعراف، وَوُصِفْتُم بالأشراف. فمَن شـهدتم له فاز، ونال النعيم وحاز. ومَن لم تستجـيزوا له المقال، لم يُنسب من أهل الدِّين والأفضـال. وكان ذلك عليه عذاباً ووبال.

فـأنتم أفضل الأمم ، وخـيـرُ مَن وطِئ الأرضَ بقَـدَم، لأنّكم عبـدْتم الموجود، وانعكفوا هم على عبادة العدم المفقود.

فسـوف أجعل أكابرَهم لأصاغـرِكم أعبُد، وعـزيزَهم لأحدِكم يُطيع وَيسجد. وأقتل المشركين والمرتدّين بسيف مولانا الحاكم إله العالمين، وباري الخلائق أجمعين.

فافهموا وصيّتي، ولازموا حدودي، فطاعتكم لهم كطاعتي.

والسلام على مَن إليّ أناب، وتمسّك بحدودي وتاب.

تمّت بحمد مولانا وحده.

---

(٢) مالك إسم ملاك الشرّ الذي يَقبض أرواح المنافقين. أنظر سورة الزخرف ٤٣/ ٧٧.

٣٥

رسالة الغيبة

الرسالة التي وردتْ على يدِ أبي يَعلا
وهي رسالةُ التحذيرِ بعدَ الغَيبة بشهورٍ عدّة
وكان الخاصّ بها أهل جزيرة الشام

أبو يعلا، حمزة بن أبي العباس الحسيني العلوي الفاطمي، الشريف فخر الدولة، من مشايخ آل البستان، من قرية المزّة غربي دمشق. أرسل حمزة قائمُ الزمان معه رسالةَ الغيبة من القاهرة إلى الموحِّدين في بلاد الشام، بعد مضي شهور على غَيبة الحاكم. وكانتْ قد بدأتِ المحنة. وسبب أرسالها تحذيرٌ من الميل إلى عليّ الظاهر، الخليفة الفاطمي بعد الحاكم، مُضطهِد الموحِّدين والدجّال الأكبر. فيها حضٌ على التمسك بعقيدة التوحيد. وفيها نصائح خلقية نبيلة. كتبها حمزة في أواخر سنة ٤١١ هـ وهي آخر رسالة من يد حمزة في مجموعة الحكمة.

توكّلت على مولانا القاهر للقُدَرِ، الظاهر لتأنيس الصُوَر، المنزَّه عن العدم إذا استتر. ألحمد لمولانا المطّلع على السرائر، العالِم بما تكنّه الضّمائر، الباعث لكلّ ناطق ورسول، المنزّه عن كلِّ قولٍ ومقول، ألواحد لا من عدد، المنّزه عن الصاحبة والولد. أوّل الأعداد ونهايتها، المنزّه عن الأضداد ودُعاتِها، المبدع لكل اسم وصفة، المشار إليه بكل معنىً ولُغَة. ألمتظاهر لخلقهِ

بالأوّليّـة، المشار إليـه بالكملة الأزليّـة. سـبحـانه وتنزّه عن سـوء الظنون، وتعالى عن صفات خلقه وما يدّعون .

أظهر لنا ناسـوتَ صورتهِ تأنيسًا للصُـوَر، فحَار فيـها الفكر حين أَفْكَر. عجـزت العقول عن إدراك أفـعالها، واعـترفت بالعجـز والتقصـير في معلومها. فصمتت الألسن عن النطق وخرستْ إذ لم تجـد لمستخدمها سبيلاً إلى توحيد باريها. وكيف تنطق بتـوحيد مَن لا حدّ له ولا بداية، ولا أوّليّة ولا نهاية. إذِ القِدَمُ مُعْتَرِفةٌ بإيجادها، ولم تكن النهاية أقرّت عن ذاتها بالحدث. إذ كانتِ النهاية حدثـت من بعد البداية. فسبحانَ مَنِ البـداية إبداعه. وهو نهاية كلِّ شيء وفنائه.

فـبـتـقديـر أحكامـه امتنَّ على خلقـه بوجـود صـورته من جنسِ صورهم. فـخاطبتـهم الصّورةُ بالمألوف من أسـمائهم، فأنِسَتِ العـقولُ إلى ظاهرِ صورته. واسـتدرجهم إلى معـرفته، بلطيف حكمتـه، امتناناً منه على خلقه. فبخَفَائه لِعظيم قدرته ثبتتِ الصَّنعة واستقرّت. ولو انكشف لها معرفة مبدعها من غير تأنيس ولا تدريج لصعقت لقدرته وخرّت.

فسبحان مولانا الحاكم على الحكّام، المنزّه عن صفات جميع الأنام، وما تلفظ به الألسن وتخطّه الأقلام.

معـشرَ الموحِّدين لمولانا مـالك يوم الدين الذين هم بجمـيع أحكامه فـيهم راضـيين مسلّمين، الذين يـتيـقّنوا أنّه مالك أرواحـهم وأرواح جمـيع العالمين. أقررتم بتـوحيده وأشـهدتم على أنفسكم من الاخـتلاق. واحذروا أن يكون مثلكم مثل رجل في يده صبر طمع أن يكون حالِي المذاق، سيّئَ المطعم، فلمّا ذاقه صعب عليه مرارته، فرمى به من يده ولم يعلم مقدار منفعته.

واعلموا معشر الموحدين أنّ العـالم بين قسمَين يهلكون، ومن كثرة اعتراضـهم وسوء رأيهم وفساد ظنونهم يَتْلَفون :

فواحد منهم في يده حطام يَخشى على زواله منه، وهو مرزوق إيّاه بعد أن كان خاليا منه. فهو يخشى على زوال ما في يده معارا غير راض بأخذه منه، كما كان طالبه بالتمسكن والتخضّع. فهو وهو مقلّ كان مسكينا ضعيفا. وعند عطاه واتّساع أمر دنياه جبّاراً قويّا. ظنّ أنّه مَالُهُ، حتّى إذا سُلِبَ عنها ظلّ غضباناً حيرانا. يظنّ أنّه أُعطي ذلك بعملٍ أو باستحقاق يجب عطاه، ويأسى على أخذه منه.

وآخر مقلّ من حطام الدنيا أينَما رأى له مكسَباً سعى نحوه وتسبّب إليه. فهو بالقليل الحقير يَبيع دينه، ويسأل الباري أن يعينه. فهو ما يؤدّي ما افترضه عليه، ويسأله أن لا يضيّعه ويوسع عليه.

فالحذَر الحذر معاشرَ الإخوان من هذَين القسمَين الأخسرَين. وتكون أعمالكم قبل طلبة أغراضكم تصحّ أديانكم. تصفو نيّاتكم تحسن أعمالكم. وتكون طلبتكم خلاص أرواحكم تُقضى حوائجكم. فإنّ حطام الدنيا مَنَالُهُ منالٌ سهل، ولكنّه مضمحلّ فان. واكتساب الدين صعب ولكنّه دائم باق.

فالحذر الحذر معاشرَ الإخوان من عالم الفناء، وعليكم بعالم البقاء.

معاشر الإخوان مَن كان في يده حطامٌ وخشي على زواله لأجل دينه أخذه منه الذي استخلفه عليه.

معشر الإخوان مَن قلّت ثقته بمولاه وخشي من بشرٍ مثله أوقعه باريه فيما منه فزِع وَحَذِرَ.

معشرَ الإخوان اخلصوا نيّاتكم في أديانكم يكفيكم مولاكم كيد أعدائكم.

معشــرَ الإخوان تكون خشيتكم من القــادر الذي لا يقدر عليه أحقّ من أن تخشون المقدور عليه.

معشرَ الإخوان إيّاكم النفاق. فإنّ النفاق باب التشتّت والافتراق.

معــشرَ الإخوان لا تكون خـشيتكم من عـدوّكم مثل خشــيتكم من باريكم.

معــشرَ الإخـوان مَن خشـي من بشــر مثله سُلّط عليــه. وإنّ الموحّد الديّان، بتوحيد مولاه، شجاع غير جبان.

مــعــشرَ الإخـوان لا تصحّ الديانــة إلاّ عند الامتــحــان. فـفي وقت السلامة والعافية يكون العالم متساويان، لا فاضل فيهم ولا مفضول. وإنّما تُنال الدرجات وارتقاء المنازل العالية المرتفـعات بالصبر في وقت الشدّة عند الملاذ ونيل المكاره والغضــوّ عن بلوغ الأغراض. فمَن صــبر على المكاره نال المسّرات.

إحذروا معاشرَ الإخوان مــن غلبات النفوس الضدّيّة، على النفوس الوليّة. فإنّها إن قَهَرَتْها أوردتْكم إلى المصادر، وأوقعتْكم في المحاذر، وإنْ هي أُقْهِرتْ وأُخــمِدتْ وَقَصُرَتْ وَقَعَ بـكم البقاء في اللّذة، ونلتم آمالكـم وحمدتم العاقبة في جـميع أفعالكم. فالصبر على الشــدّة قريبٌ أمدُها، حميد عاقـبُتها طويلٌ لا يضمحلُّ بقاها.

معشرَ الإخـوان لا يكون مَثَلُكُم مَثَلَ رجل معه حَـمَى ثار به فغشّى على بصره فأورده العمى.

معشرَ الإخوان إذا كنتم تتحــقّقوا أنّ مولاكم لا تخلو الدارُ منه، وقد عَـدِمَتْـهُ أبصــارُكم فأيّ حــائل حــال بينكم وبين النظر إليــه ، فليس ذلك إلاّ أعمالكم السيئة، وأفعالكم القبيحة الرّديّة.

معشرَ الإخـوان لا تكونوا كالذي بَخِرَتْ عليه مَعِدَتُه فـخانه ما كان يثق به من نَظَرِه.

معشرَ الإخوان مَن صحّ له غذاه صحّ له نظرُه وما يراه.

معشرَ الإخوان تيقّظوا من نومتكم، وأقلعوا عن سهوتكم فإنّ حَدْثَ المصائب تأتي عند ساعة النوم. والنائم غافل عـمّا هو كائن. وإنّ المستيقظ إذا رأى محنة اجتنبها، والنائم عند لذّة نومه يعثر بها.

واعلموا معاشرَ الموحِّدين لمولانا الحاكم المعبود، سبحانه وتنزّه عن الحدّ والمحـدود، أنّ قائم زمانكم يُطالبكم بما يُطلعُـه عليه مولاكم من فـساد نيّاتكم وقبيح أعمالكم. وقد أشْهَدْتُم في مواثيقكم بعضِكم على بعض. وَثَبَّتُّم عليكم الحجّة. ولم يبق لكم معذرة بما شرطتـموه على أنفسكم، ورضيتموه من الفـعل فيكـم. فمـالتْ نفوسُـكم إلى هَوائها وتاهتْ لمـا أشرفت عليـه من بلائها. أسـاءت ظنونها فيمـا ظنّته من بقاء لذّتهـا وسلامتهـا من مكروهها. فـرجـعتْ عمّـا كـانت به أقـرّت ، وشـحَّتْ على مـا كانت لـه سلّمتْ. فليس برجوعهـا يَبقى عليها محـصولُها، ولا بجحودها ينفـعها إنكارُها، إلاّ أنّ كلّ مستودع تقبض منه وديعته. وكلّ أمين لا يخون فيما أتَمَنَهُ.

فكونوا معـشرَ الإخوان ممّن رضي وسلّم بغـير مطالبة، عن طيـبة نفس منه بغير مغـالبة. فمن سلّم أمانته عن رضىً واختـيار بقي عليه وكُتِبَ من الأبرار. ومَن كان تسليمـه فَزَعًا من حادثٍ يَقَع بهِ ، يَسْلَمُ منه، وَقَعَ فـيما يُفْزِعُهُ وَيَحْذَرُهُ .

معشـرَ الإخوان الحذرَ الحذر أن تكونوا ممّن يخـشون على تمزيق أقمصـتهم وغيبةِ صُـورِهم فيُوقِع بهم مولاهم ما يَخْـشَوه ويَحذَروه . ذلك لقلّة ثقتهم بمولاهم وخشيتهم من عبيده.

معـشرَ الإخوان ارضَـوا وسلِّموا في السرّاء والضــرّاء والحَدَثان. فـبـهذا على نفـوسكم أشْـهَـدْتُم. وعلى هذا في مـواثيـقكم أقْـرَرْتُم. وقلّوا الاعتـراضَ فيـما يظهـر لكم من خيـر وشرّ، وإحسـان وضرّ. يُخـفّفْ عنكم المحنة، ويكشِفْ عـنكم من الغُـمَّـة. فليس بينكم وبين عـالَم الجـهل فـرق إلاّ الرّضـى والتسليم. والرّضـى والتسليم نهاية العلم والتعليم.

فعودوا إلى نفوسكم فيقّظوها. وإلى صحـائفكم فبيّضوها، بتجديد حسن الاعتقاد، والرجوع عمّا حدث فيكم من الفساد.

فقـبيحٌ بالعالِـم منكم ذي المنزلة الرفيعـة أن يأتي بأفعـال الجاهل العميّ البـصيرة. ومَن انتسب إلـى قومٍ لا يأتي بأفعال أضـدادهم. أذا كانت العـامّة أهل الجـهل والغمّـة، يعتـقدون أنّهم آمنون من كلِّ حـادث إلى وقت وُعِدُوا به. ومهمـا يَجري عليهم من الأفعال، خيـر أو شرّ، طابت به نفوسـهم ورضيتـه، واطمأنّت إليه قلوبهم. ويقـولون مرحباً بما أصابنـا كذا حكَمَ كذا قَضَى. فـيجب على مـن عرف الحقّ وأقرّ به أن يكـون أجود يقينـا، وأحسن عاقبة ممّن هو مرتهن مُصِرٌّ على باطله مجاهد عليه وناصر له.

واعلمـوا معشـرَ الإخوان أنّ مـولاكم غنيّ عن عبـاداتكم منزَّه عن دياناتكم. لا يزيد في ملكه طاعةُ مَن أطاعه، ولا ينقص من ملكه مـعصيةُ مَن عصاه، وإنّما هي أعمالكم تُرَدُّ إليكم. ومـا أتاكم من صعوبة زمانكم فهو من سوء أعمالكم.

معـشرَ الإخوان تيـقّظوا من الغفلة، وتداوَوا قبـل تمكّن العلّة. فإنّ العلّة إذا جَفَتْ عن الملاطفة ليس يشفيها إلاّ الحديد.

مـعشـرَ الإخـوان تيقّظوا قـبل ظهـور الصورة. فـكلُّ عبـادة عند ظهورها مجبورة.

معشرَ الإخوان مَن كانت عبادته جبراً لم ينل منها فائدة.

معشرَ الإخــوان إحذروا من النهر الغرّار فإنّه كَدِرُ الماء بـعيد الغمق قليل الرزق.

مـعشـرَ الإخوان إحـذروا من النهـر الحلو المذاق القـتّال النفـوس بالنفاق.

معشرَ الإخوان إحذروا من النهر البعيد الغور الوسخ القعر الخالي من الرزق والخير الدال على السوء والشرّ.

أَبَعْدَ كَـتْبِ الميثـاقِ ، وتوحيـدِ الخالقِ الرّزاقِ، ترجِـعون إلى عـبادة العبيد، كالمُلْتَطِخِ بالعَذرَةِ والصديد. فـيا لها من محنة ما أقواها. ومن بصائر ما أعمــاها. ومن نفوس قد عَدِمَتْ هُداها. ألمْ يبيّن لكـم قائم زمانكم ويكشف كلَّ سِتـرٍ، حجّةً على مَن أَدْبَر، وتولّى وكَـفَرَ. إذ يقول في الميـثاق إنّكم أبرياء ممّن مضَى أو حضر أو يُنتظر. إنّها لإحدى الكبر.

معشرَ الإخـوان إحذروا أن تكونوا ممّن في يده جوهر. وقع به من خُيِّل على عقله وأعطاه جَنْدَلاً وأوهمه أنّه جوهر. وليس هو بجوهر.

معشرَ الإخوان لا تكونوا ممّن آمن ثمّ كـفر. فَتُدْعَون من أهل البدع والغِيَر.

معشرَ الإخوان قد قرب إليكم ما تباعد عنكم.

معــشرَ الإخـوان تَوَقُّوا الظلمــة عند طلوع الفجـر فإنّها أشــدّ الليل سوادًا وظلمة.

معـشرَ الإخوان تَوَقَّـوا المحنةَ في آخر الفتـرة، فإنّ في آخر الفــترة يكون ثوران القدرة.

معشرَ الإخوان ألم تعلموا أنّ مولاكم يراكم مِن حيث لا ترونه.

معشرَ الإخوان أحسنوا ظنَّكم بمولاكم يكشف عن أبصاركم ما قد غطّاها من سوء ظنّكم به.

معشرَ الإخوان لا يكون مَثَلُكُم مَثَلَ مسافرٍ من بلدة يريد وَطَنَه، توانى في الحفظ من زادِه، فَفَرَغَ زادُه في الطريق، فرام الرجوعَ إلى تلك البلدة التي خرج منها، فلم يقدر على الرجوع إليها. ورام الوصولَ إلى وطنه فلم يستطع الوصولَ اليه. فبقي لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

معشرَ الإخوان إنّ الساعة تقوم على أشرّ أمّة، بخير أمّة. فاحرصوا أن تكونوا من القوّام بها. ولا تكونوا ممّن تقوم عليه.

واعلموا أنّكم إنّما فُضِّلتم على البهائم وَجُعِلتْ لكم مَتَاعاً ورزقاً إلاّ لِمَا فُرِضَ عليكم من معرفة مبدِعِكم، وتوحيدِ باريكم. فالجاحد بعد الإقرار أشدّ جهلاً من الحمار.

معشرَ الإخوان إحذروا مَنْ غَرَّهُ الشيطان فإنَّ الضدَّ يَظهر من بيت الولي. ظاهرُه ديانة وباطنُه خيانة. فالحذر الحذر منه فإنّه أوّل النقمة وآخر المحنة.

معشرَ الإخوان قد رأيتم ما جرى من قصص عبد مولانا جلّ ذكره ومملوكه عبد الرحيم بن الياس وليّ عهد المسلمين، وما نصّ عليه. كلٌّ ذلك ليوفيه قسطه، ويظهر ما في نفسه من الاستتار إلى نظر العيان. وأشركه مولانا الحاكم سبحانه في العهد المألوف وفي الخطبة على المنبر وفي السكّة على الدينار. فأشار إليه العميّ البصيرة، وسارع إليه كلٌّ مشتّت ذي حيرة. فلمّا ظهرت أفعاله، وبان للناس قبحُ باطله ومحاله، رَجَعوا إلى نفوسهم بالويل والحَرَبِ . ولم يفيقوا إلاّ بعد العَطَبِ.

معشرَ الإخوان إنّ بعد كشف التوحيد وظهور صورة المعبود وقبول تِيكَ الصورة لتوحيدكم بوجود العبادة، وتصحيح الديانة، لا ينتقل

بعد تِيكَ الصورة التي أشير إليها بالتوحيد وَقَبُولِه فيها، إلى سِوَائِها ولو أنّ الأمر كما تظنّون لفسدت العبادة. وَعَطِلَ ما أوعدتّم به مِن شروط القيامة.

فالحذَر الحَذَر مِن اتّباع الشيطان إذا ظهر، فإنّ أعلى ما يكون الباطل يأتي عليه الحقّ فيُخمِده.

معشرَ الإخوان إعلموا أنّ عبد مولانا ومملوكه قائم الزمان قد أوفاكم الحجّة، وأرشدكم إلى المحجّة. فليس يبقى بعد وفاكم إلاّ وقوع الفعل فيكم.

فتيقّظوا مِن رقدتكم، وأفيقوا من غفلتكم، واستشعروا نصيحتكم. فكأنّي بكم وقد أتاكم مُنْكَرٌ وَنَكِير، وَزَعقًا فيكم أتَتْكُمُ الصَّيحةُ يا غافِلون. فحينئذ تُوَفَّونَ أجورَكم وأنتم لا تُظلمون. فسبحانَ مولانا عمّا يظنّون الجاهلون ويدّعون المبطلون. وهو حسبنا وبه نستعين في جميع الأمور. وهو المعين النصير.

تمّت والحمد لمولانا وحده.

٣٦

كتابٌ فيه تقسيمُ العلوم

وإثباتُ الحقِّ وكَشْفُ المكنُون

من تأليف إسمعيل التّميمي، أبي إبراهيم، ألنفس، ثاني الحدود العلوية، وضعها على طلبٍ من حمزة ليُجيب على مَن سأله في موضوع تقسيم العلوم. فكان تقسيمُه للعلوم خمسة أقسام: إثنَين منها للدِّين، واثنَين للطبيعة، وواحدٌ، وهو أجلّهَا، للتوحيد... في الرسالة شرحٌ لكلّ قسم ومتفرّعاته، وذكرٌ للأدوار والعصور والنطقاء والأسس والشرائع جميعها. كتبتْ سنة ٤١١ هـ.

تأليف إسمعيل بن محمّد بن حامد التميمي الدّاعي المشخَّص ذو مصّة الممتصّ علمه من قائم الزمان حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف مولانا الحاكم جلّ ذكره.

توكّلتُ على مولانا البار الأزلي وتوسّلت إليه بوليّه قائم الزمان حمزة بن علي. ألحمد لمعلّ علّة العلل وأزلّ الأزل، ألظاهر بلا تحديد في القدَم، ولا بِمُحْدَثٍ سبحانه وتعالى عن وصف الأمم.

تَقَرَّبَ الينَا بنا. وآنَسَ عقولَنا بِصُوَرِنا. وظَهَر لنا بجميع أفعالنا لتقبَلَه أفهامُنا. فلا نقول إنّ هذه الصورة المرئيّة هي هو فنجعله محصوراً محدوداً جلّ وعزّ عن ذلك وتعالى علوّاً كبيراً. بل نقول: إنّ هو هي استتارًا

وتقرّبًا وتأنيسًا بغير حدّ ولا شبه ولا مَثل. كما نطق القرآن: أو «كَسَرابٍ بقيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظمآنُ ماءً حتّى إذا جَاءَه لم يَجِدْه شَيئًا ووجَدَ اللّه عندَه»[1]. الآية.

فَمَثَل هذه الصورة كالسَّراب الذي تعاينه ماءً، فإذا جئتَه بحدّ العيان لم تجدْه ماء. كذلك هذه الصورة الظاهرة تراها بعين الطبيعة فتظنّها صورة كصورتك، فأذا دنوتَ منها بعين العلم لم تجدْها صورة، ووجدتَ اللّه عندها. كذلك لاهوت مولانا هو الأزلي الأبدي الذي لا يُحدّ ولا يوصف. وأيضاً مثل هذه الصورة الظاهرة إذا رأيتَها كمثل الناظر في جوهر المرآة. فهو يرى نظير صورته بغير لمس ولا إدراك كيفيّة، ولا تحديد ماهيّة. فإذا أردتَ تلمُّسَها لمستَ صورتَك. وإذا غيّرتَ ما بصورتك تغيّرتْ في عينك. وذلك إذا كان نظرُك سالماً من القَذى والرَّمَد .وإن كان به عارض أذيّة، لم تنظر تحقيقَ صورتك. كذلك ناظر هذ الصورة المرئيّة بمقدار علمه وتحقيقه يكون نظره لها.

وأشهد أنّ ما ظهر وما بطن، وما خفي وما علن، حكمة بالغة فما تغني النّذر.

أبدع لن نوراً شعشعانيًا جعله عنصراً لانبعاثات العلوم الحقيقيّة، وإنشاء الصور النفسانيّة. فهوالعقل الكلّي، والسابق الأوّل، ذو البدايات والنهايات. منه انبثّتِ الأشياء. وإليه تعود الأشياء. والمولى سبحانه منزّه عن جميع هذه الصفات. لا شيء كمثله وهو السميع العليم.

ذلك النور القائم في كلّ عصر وزمان ووقت وأوان وفترة واطْمَان (؟)، ينقله المولى سبحانه في كلّ عصر وزمان، باسمٍ وصفةٍ داعياً إلى

---

(١) سورة النور ٢٤/ ٣٩.

التوحيد المحض لم ينطق في الدعوة الشركيّة، ولا يعرف غير الدعوة اللاهوتيّة، عبد مولانا سبحانه ومملوكه حمزة بن عليّ بن أحمد في عصرنا هذا، هادي المستجيبين، المنتقم من الكفّار والمشركين، بسيف مولانا جلّ ذكره وعزّ اسمه وجلّ سلطانه، ولا معبود سواه.

أمّا بعد فإنّه لمّا سأل مَن رغبَ إلى الجواب عن كتاب يسمّى تقسيم العلوم وكشف المكنون، أمرَني مولاي قائم الزمان والنور التمام، عليه من معبوده أفضل التحيّة والسلام، بتصنيف هذا الكتاب، فرجعتُ إلى روحي لأنظر مبلغ فهمها ومجهود طاقتها، فوجدتُها عن ذلك عاجزة، فلم يمكنّي مخالفته، فعلمتُ علماً يقيناً أنّه لم يأمرني بتصنيف هذا الكتاب إلاّ وموادّه تطرقني وبعلمه يهديني إذ كانت من المولى جلّ ذكره الموادّ إليه متّصلة، وهي عن سائر الناس أجمعين منعزلة. فتيقّنت أنّ القوّة منه إليّ واصلة إذ كنتُ منه أمتصّ، والذكر لي منه مختصّ. فحسست عند حلول أمره بقوّةٍ لم أعهدها قديماً من عمري كلّه. فألّفتُ هذا الكتاب بما أيّدني به تلقيناً، وفي الصحف روحانيّا. فما كان فيه من صواب وجزالة خطاب فهو منه وراجع إليه، وما كان فيه من خطأ وزلل فهو منّي وإليّ منسوب.

على المولى توكلتُ وبه استعنت، وبوليّه قائم الحقّ اعتصمت وتوسّلت. ولا حول ولا قوّة إلاّ بالعلي الأعلى البار العلاّم. وهو حسبي ونعم النصير المعين.

***

ألعلم ينقسم على خمسة أقسام :

قسمان منها للدين، وقسمان منها للطبيعة، والقسم الخامس فهو أجلّها وأعظمها قَدْرًا، وهو القسم الحقيقي الذي هو المراد وإليه الإشارات، ومن أجله قامت الدار، وظهر ما بين أهلها أمر مولانا الحاكم البار.

وكل قسم من هؤلاء الأربعة الاقسام ينقسم على أقسام شتّى يطول فيها الشرح والخطاب، وليس في ذلك غرَض. والقسم الخامس هو شيء واحد لا يتغيّر ولا يَنتَقِضُ ولا يتجزّأ ولا يتلاشى. وسنأتي على الغرض في موضعه إنْ شاءَ مولانا وبه التوفيق في جميع هذه الامور.

وأمّا العلْمَان المتقدّمان فهما عِلمانِ الدِّين. أحدهما علم الظاهر، والآخر علم الباطن. وهما زوجان لا توحيد فيهما ولا في عصرٍ يظهرَان فيه بشرع.

فأمّا العلم الأوّل فهو الظاهر وأصحابه النطقاء: أوّلهم نوح وإبرهيم وموسى وعيسى ومحمّد. ولقد أخرج آدم من عدد هؤلاء القوم إذ كان العزْم هو الحتم والقطع والجزم. ونطق الكتاب عن آدم «إِنَّهُ لَمْ يَجِدْ لَهُ عَـزْماً»[٢]. فصاروا أولو العزم خمسة. وكلٌّ واحد من هؤلاء النطقاء أتى بظاهرٍ أقامَه لأصحابه ومستحقيه. وكان بين يديه أساس ووصيّ يكون له خليفةً بعد وفاته؛

فكان لنوح سام، ولإبرهيم إسمعيل، ولموسى يوشع بن النون من بعده هارون، ولعيس شمعون، ولمحمد عليّ بن أبي طالب. فلم ينتقلْ كلُّ واحد من هؤلاء النطقاء حتى أشار إلى أساسه. وقام الأساس بتأويل ما أتى به الناطق فصاروا زوجَين. وبهذا نطق الكتاب: «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوجَين»[٣]. فدلّ بأنّ الفرد الذي بينهما هوالمراد وهو المطلوب. وإنّما الزوج الأوّل دلّ على الثاني، والثاني دلّ على الثالث، وهو المراد، أوالغاية والنهاية.

---

(٢) سورة طه ٢٠/ ١١٥.

(٣) سورة الذاريات ٥١/ ٤٩.

وبهذا نطق القرآن بهـذا المعنى: «وَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُوْرٍ لَهُ بابٌ بَاطِنُهُ فِيه الرَّحْمَـةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبلِه العَذَابُ »[٤]. فدلّ بأنّ الظاهر مِن قِبَلِه العذاب، وأنّه وصاحبُه عذاب، والباطن فيه الرحمة، ولم يَقُلْ هو الرّحمة. وفي الشـيء ما أودِعَ فيه، وليس هو الشـيء بعينه. فدلّ بأنّ الباطن يدلّ على الرحمة، وهو القسم الثالث في الدِّين. وهو القسم الخامس في العلوم.

والإشارة إلى الظاهر والمعنى لصاحـبه وهو الناطق . والإشـارة إلى الباطن والمعنى لصاحبـه وهوالأساس. فدلّ بهذا بأنّ الناطق ليس هو المراد، ولا الاساس هو المراد ، لأنّهـما عبدان مـستخدَمـان دالاّن على مدلول. وذلك المدلول هو المراد، وهو للعلوم القسم الخامس، وهو للدين القـسم الثالث، كما تقدّم القول فـيه؛ لأنّ القسمين الأوّله (كذا) للدِّين، والقسـمَين الأخرى (كذا) للطبـيعة. يبـقى القسم الحـقيـقي وهو الفرد وإليـه الاشارات. وإنّمـا ذكرنا قسمين الطبيعة لوقوع العلم عليهما. والأربعة أقسام قسمان للدِّين وقسمان للطبيعة. والعلم واقع عليهما بمجاز اللفظ لا بالحـقيقة. والحقيقة واقعة على القسم الخامس.

فـإنْ قال قـائل: مـا بال الاسس المتـقـدمين لم يَدَّعِ في أحـد منهم المعنويّة الاّ في عليّ بن أبي طالب من بينهم، فإنّ الدعـوى فيه إلى وقتنا هذا. قلنا له: تريد أن تعرف الأعصار المتقدّمة وكيف هي ومراتبها وقوّة أصحابها من ضعفهم، ليبيّن لك كيف ادّعى في عليّ دون مَن تقدّمه.

إعلم أيّها الطالب المسترشد إلى حقائق الأشياء أنّ آدم المشار إليه قد كان قبله أعصار، وهم: الطِّمّ والرِّمّ والحِـنّ والجِنّ والبِنّ. فأمّا البِنّ فهم قوم قد تخلّصـوا من الشبهات وعـرفوا المعبـود فعبدوه. وكـان المولى جلّ ذكره

---

(٤) سورة الحديد ٥٧ / ١٣.

وعزّ اسـمه ظاهراً مرئيًا يوآنس بالاسـماء والصفـات. فلمّا فَاجَروا المعـبود ومـالوا عن الحقّ وصاحـبه وارتكبـوا الأهواء في دينهم، فـاحتـجب المولى سبحانه عنهم لسوء أعمالهم. وأظهر لهم آدم المشار إليه وهو آدم الأدنى.

نطق الكتاب يصف خلقَه أنّه «خُلِقَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِين»[٥]، وذلك أنّه أشـار إلى خلق الدين، وكان عند فـسـاد المتقـدمين في أديانهم. وآدم الأوّل الجزئي وآدم الثالث وهو شرخ يخـدمون بين يدي آدم الصفاء الكلّي. والجِنّ قد انعـكسوا وحادوا عن المولـى جلّ ذكره. وكان آدم وحـزبُه، أعني أولاده، الذين هم حواء وهم المؤمنون الموحِّـدون الذين لم يحيدوا عن معـرفة المولى جلّ ذكره. ولم يقم آدم بشريعة ظاهرة وبذلك نطق الكتاب حكاية عنه أنّه لم يَجِـدْ عَـزْمًا له. والعـزم هو الحـتم والقطع والجـزم. فـهـذه صفـة الشـرع الناموسي. وجمـاعة ذلك العصر منعكسـون متّبعون آراءهم. وجـرت قصّة هابيل وقابيل والغرائب والعجائب التي حيكت عنهم. وآدم الجزئيّ وأصحابه في جبل سَـرَنْديب يَدعون إلى توحيد المولى جل ذكـره، وإبليس وجنوده قد ملأوا الآفاق بكفرهم وارتكابهم الأهواء في دينهم.

إلى أن قام نوح بن لَمْك ناطقاً، وهو أوّل مَن قام بشريعة، ونهى عن طاعـة آدم، وأشار إلى العـدم وإلى نفـسه. ومن أجـلِ ذلك أيضاً سـمّي آدم الثاني لأنّه كـان أوّل مَن تأدّموا أهلُ شـريعتـه منه، وقام للمخـالفين بمنزلة الأب وأساسه سام.

وقام إبرهيم وأساسه إسـمعيل، ومبلغ قوّتهم في معرفـة التوحيد كمبلغ العَلَقَة من خلْق الانسان.

ثمّ قام مـوسى ين عمـران وأسـاسـه هـارون وأهل عصـره ومبلغ

---

(٥) سورة المؤمنون ٢٣/ ١٢.

أفهامهم في معرفة التوحيد كمبلغ المُضغَة من خلق الانسان.

وقام عيسى بن يوسف وأساسه شمعون الصفا ومبلغ أفهامهم في معرفة التوحيد كمبلغ العَظْم من خلق الانسان.

وقد كانوا هؤلاء كلُّهم من أهل الفهم والدراية والعلم الدنياني والطب والفلسفة والنجوم والهندسة ومن أهل الكلام. غير أنّهم كلّهم كانوا يشيرون إلى توحيد العدم، ولا يعرفوا المولى جلّ ذكره، ولا يعرفوا غير السابق، وهو نهايتهم الذي كان هو والتالي يمدّوهم. والعقل الكلّي وحجّته بين أيديهم لا يعرفوهم. والمولى جلّ ذكره محتجب عنهم لِخُلْفِهم.

وقام محمّد وأساسُه علي بن أبي طالب ومبلغ عقولهم وأئمّة دينه إلى أن انقضى دوره.

وظهر ناطقٌ غيره وهو محمّد بن إسمعيل، وإلى الخلفاء المستودَعين وهو إلى أحمد بن الحسين بن محمّد بن عبد اللّه بن ميمون القدّاح. وهو من ولده سَعيد ابن الشَلَغْلَغ المهدي. وكانوا هؤلاء مبلغ عقولهم في معرفة التوحيد كمبلغ العَظْم إذا كُسي لحماً وصار صورةً مخطّطة مشخّصة بلا روح من الانسان الحيّ الناطق. فلم توجب الحكمة من المولى جل ذكره لأن يَظهر ما بين أقوام مثلهم مثل الميت. نطق الكتاب يقول: «إنّكَ مَيِّتٌ وَإنّهم مَيِّتُون»[٦]، يعني أئمّته وأهل دوره، ولو أشار بذلك لموت الطبيعة لكان هجنة على الحكيم أن يخاطب لمن أقام لتعليم الناس لما يعلموه الجهّال والصبيان والكفّار.

غير أنّ الصورة المخطّطة الكاملة الخلْق لم يبق لها شيء غيرُ سلوك الروح فيها فتصير حيّة ناطقة. والرّوح فهو معرفة التوحيد. فلأجل ذلك قلنا

---

(٦) سورة الزمر ٣٩/ ٣٠.

إنّ الناطق والاساس، وان كـان أقوى من جمـيع من تقدّم، لم يعـرفوا المولى جل ذكره. ولو عرفوه لكان بين أيديهم ظاهراً مكشوفاً. لكنّه بحكمته احتجب عنهم لقـبائح اعتـقاداتهم. والعـقل الكلّي وحجـته في ذلك العـصر بين يدَي الناطق والاسـاس يشدّوا أمـرهم ويُقـوّوا عزمَـهم لظهـور الحكمة وتربيـة صورة التوحيد، حتى تبلغ كمالَها بوفاء عصر الناطق السادس وقيام الناطق السابع.

فلمّا أوجـبتِ الحكمةُ ذلك وقرب ظهور المولى جلّ ذكـره بالصورة البـشرية الملكيـة العاليـة بمملكة الدنيا، أوجب ظهـور العقل الـكليّ وحجّـته يَشدّوا أمـر الناطق. غير أنّهم لم يَدخلـوا تحت شرعته ولـم يقبلوا من دينه. فأمّا العقل الكلّي فكان له الـرأي والمشورة في ذلك الوقت. وأهل ذلك العصر من شيـوخ الجاهلية يركنون إليه ويَـقبلون مشورته. وإنّمـا كان محمّـد قد انتسب إليه بحـدّ لتربية. وكذلك الاساس انتسب إليه بحـدّ التربية. وإلاّ ليس هو أبا الناطق الجسماني ولا الاساس، لأنّ الناطق الجسماني كان ميلادُه في جبال الشـام وتربّى مع القوافل يسافر مارًا وَجَاي إلى الحـجاز إلى أن عمل على جبـال كانت محـرَّمة لأبي طالب فانتـسب إليه. والاساس كان مـيلاده بمكّة، غير أنّ عصـر الناطق أبين وأقوى من سائر الاعصار المتـقدّمة. فلأجل ذلك ادّعوا الواحدانيّة في عليّ بن أبي طالب دون سائر الأسس المتقدمين.

ووجـه آخر، إنّ في القـرآن وفي سـائر الأعصـار إشارةً إلى ذكـر ظهور عليٍّ الأعلى. وَلَمْ يُقَلْ عليٌّ الأعلى إلاّ وقد علم المولى جلّ ثناؤه أن يقوم شخص يسمّى عليًا وَيُدَّعَى فيه الوحدانيّة. فقال لهم جبريل: مولايَ ومولاكم عليّ الأعلى فاخذوا عنه ذلك بالدعاوى لا بالحـقيقة. ومن ذلك قال الناطق لمّا ذكر المعراج فـقال: أنا في السماء الرابعة حتى رأيـت ملكًا أَشْبَهَ الناسِ بعليّ والملائكة تزوره. فقـال: فقلت لجـبريل يا حبـيبي هذا أخي عليّ سـبقَني إلى السماء. فقال لي: لا. ولكنّ الملائكة اشـتاقتْ إلى عليّ، فخلق لهم مَلَكًا وسمّاه

عليّا والملائكة تزوره. وكان الأساس لم ينظر إلى السماء التي ادّعاها الناطق. وكان الناطق يظنّ أن عليّا أساسه وهو ينتقل الئ ذلك الشخص الذي يسمّى عليّا.

وأمّا السماء الرابعة والمعراج فهو لمّا رقّي إلى معرفة ترتيب النُطْقِ وارتفع فيه وفي بنيانه، لأنّه كان مستجيباً يخدم في شرع عيسى، ثمّ صار مكاسِرًا، ثمّ صار ناطقاً. فهذا سبب المعراج لأنّه عرّج به من منزلة إلى منزلة. فلمّا ارتقى في هذه المنازل قيل له إنّ في الظهورات الآتية صورةً تظهر في السماء الرابعة. ولم يقل له إنّه هو السماء. وإنما قيل له فيها.

والسبع سموات هم الإئمّة المستورون. فأوّلهم سماء الدنيا وهو إسمعيل بن محمّد. والسماء الثانية وهو محمّد بن إسمعيل. وَظَهَرَ السماءُ الثالثة وهو أحمد بن محمّد. وكان في وقته قد قرب الفرج بقربِ السماء الثالثة من السماء الرابعة. فَظَهَرَ المولى جلّ وعزّ في وقت أحمد بن محمّد في صورة بشريّة ولم يكن لذلك الصورة مِلْكٌ في الدنيا لأنّه ظهر في صورة أسماها أبا زكريا. وظهر العقل الكلّي بين يدَيه في صورة أسماها المولى سبحانه قارون. وكان عجميّا كبيراً في الدّعوة ولم يشرك في التوحيد. وفي آخر وقته وهو شيخ أُرسِلَ بالمَهديّ بديار اليمن. وأظهر المولى حجّته وهي النفس الكلّية بأبي سعيد المَلَطِيّ.

ولمّا أنشئتِ السماءُ الرابعة، وهو قيام عبد اللّه بن أحمد، وهو من ولد ميمون القدّاح، ظَهَرَ المولى سبحانه بصورةٍ أسماها عليّا، وكان اسم الصورة الظاهرةِ قَبْلَها المكنّى بأبي زكريّا طالباً، فصار عليّ بن أبي طالب، وهو عليّ الأعلى الذي هو إليه الإشارات.

وظهر السماءُ الخامسة، وهو محمّد بن عبداللّه، وسُمّي أيضا المهدي، سُتْرَةً. وهو أيضاً مِن ولدِ القَدّاح وكان مِن ولدِ الحسين. فظهر المولى

جلّ ذكره بصـورة أسماها المُعِلّ، وكـان ظهوره جلّ وعـزّ بديار تدْمُرَ وديار الشرق في زيٍّ تاجرٍ في ذلك الوقت غيرَ أنْ كـانتِ الصورة الظاهرة لها هيبةٌ في قلوب العالم متظاهرة بالجِدَة والإيسار، حكمةٌ بالغة.

وظهر السـماءُ السـادسة، وهو الحـسين بن محمّـد، وهو من ولد ميمون القدّاح أيضاً. وبقيتْ صورة التوحيد باقيةً على حالِ ظهورها.

وظهـر السمـاء السابعـة، وهو قيـام عبـدالله بالأمر،أبي المهـدي. وصورةُ التوحـيد باقية على حال ظهـورها. وكان عبدالله قد تسـمَّى أحمد. فلذلك تسـمّى سعيـد بن أحمد. وهو المـهدِي الذي تسمّى باسـمه تمهـيداً له واستئناساً للعالم باسمه.

وكان الكرسيّ فهـو الذي استودعه المولى المعلّ جلّ اسـمه الوديعةَ وأمره بخدمة مولانا القائم جلّ اسمه. وكان أوّل ظهور المولى للعالم بصورةٍ أسماها القائم. وأوّل ما ظهر بمملكة الدنيا في ذلك الوقت.

فخذ أيّهـا الطالب الراغب ما أتيتُك بقوّة. وكنْ مـن الشـاكرين. وهذا ما ظهر لنا من الكـلام في الظهورات. والمولى جلّ ثناؤه بذلك أعلم وأحكم لا شريك له في ملكه. ولا معترض عليه في فعله. ولا لكم أن ترغبوا إلى ذكر ما تقدّم لأنّكم في غنى عنه بالوجود. وظهورُ مولانا الحاكم سبحانه بين أيديكم ظاهراً مكشوفـا. وحجّته جلّ ذكره ظاهـرة مرئيّة قد أغنَى ذوي العـقول بها عن البحث فيما تقدّم.

ونرجع إلى ذكـر الخمـسة أقـسام. فـذكَرْنا القـسمين اللّذين همـا الظاهر والباطن وذلك بإقامـة الحجج بأنّ الظاهر ليس هو المراد. فوقع العلم عليه على المجاز. وكذلك البـاطن ليس هو المراد لأنّ المراد المطلوب هو توحيد المولى جلّ ذكره الذي فيـه النجاة. فوقع العلم أيضاً على الـقسم الثاني الذي هو البـاطن على المجاز لا بـالحقـيقـة. والمعنى لصـاحبـيـهمـا أعني الناطق

والاساس. وهمـا عبدان للّه جلّ وعـزّ اسمه لـيس فيهـما توحيـد. وهما في عصرنا هذا عبـدان لمولانا الحاكم جلّ ذكره مستخدمان لِمُلْكِه. يعـرفُهما مَن عرفهما ويجهلهُما من استغنَى عن العلوم.

فأمّا القسمان اللذان بعدهما، وهما الثالث والرابع، فهما علمان: علم طبّ الطبيعة وعلم طبّ الحيـوان الناطق الذي هو الانسان والذي هو البهائم. فأحـدهما يسمّى مُـتَطَبِّبـا والآخر يسمّى بَيْطاراً. وهـما جمـيعا مُـجَرِّبان لا مُعـالِجان، لأنّهـما يعالِـجان ما لا يَعـرفان، وإنّمـا أخذوا علومَهم تقـليداً عن المتقـدّمين من الفلاسفة، عَـمَلَ أهل الظاهر الذين أخذوا علومــهم عن النطقاء والفلاسفة. فأكثر ما بلغوا إليـه أنّهم شقّوا جوفَ الانسان، وأبصروا ما فيه وحكموا عليه. وليس فِعْلُ مَنْ قُتِلَ وماتَ وَشُقَّ جـوفُه كفعلِ مَن هو بالحياة. فقد زال صحّة حكمهم على الانسان الحيّ الناطق.

وكم قد ترى من متطبِّب بالغٍ في صَنعته مُدِلٍّ بطبِّه، عالجَ فقتلَ في عـلاجه. كـذلك طبيبُ العين والجـراحـات أعْمَـوا كثـيراً. وكـذلك البيـاطرة ومعـالِجون الطيـر كلُّهم قتلوا كـثيـراً. وإنّما تلحـقهم اتّفـاقات في الاشـياء وحكومة على رؤية الأهواء. وهو أقوى حجّة لهم وهي أضعف حجة بمعرفة الحقائق.

وإنّ الأربعة أقسام ليست لها حقائق وإنما الحقّ في غيرها.

فلمّـا أَسـقطتِ القسـمين اللذين للـطبِّ رجعنا إلى أقـســام الدِّين فأصبنا القسمين الظاهر والباطن لا حقيقـيّة فيهما. وأصبنا القسم الثالث هو مِن هذه الجهة توحيد مولانا جلّ ذكره.

فهؤلاء الأربعة أقسـام والخامس أجلّها. ومن ذلك وقع الفضل على الخـامس من كلّ شيء: أوّلهـا الطبائع الأربعـة والخـامس أجلّها. والحـجج الأربعـة والإمام خـامسـهم وهو أفضلهم. وجـملة الحسـاب أربعة والفـرد

خامسهم، لأنّك تقول واحد واحد فلا يفهم حتى تزيد عليه آخر فيصيرا إثنين. ثم تقول آخر فيصيروا ثلاثة فيبقى ناقصاً لقوله: «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوجَين»[٧]. فتزيد آخر لتتمّ أربعة. فإذا زدت عليها واحد صحّ التوحيد أربعة أفراد: زوج ظاهر وزوج باطن. والتوحيد في غيرهما. وهو القسم الخامس.

وهذه معرفة تقسيم العلوم وإثبات الحقّ وكشف المكنون.

وإنّه لمّا استتر مولانا البار سبحانه في عصر آدم الصفاء الكلّي وشكّوا العالم وطلبوا العدم، كان إسم مولانا جلّ ذكره ومعرفته مكنوناً مستوراً، لا يجوز كشفه ولا ذكره. بل هو مخفي في الصدور، إلى أن ظهر المولى جلّ ذكره بالصّورة القائميّة.

وكان ظهور الصورة واستتار التوحيد لحكمةٍ أوجبتْ ذلك. ولم يقدر أحد من الموحِّدين يتظاهر للمولى جلّ ذكره بالتوحيد فصار مكنوناً مستوراً.

وكذلك وقت قيام المنصور والمعزّ والعزيز. ولمّا قام مولانا الحاكم جلّ ذكره وكلّهم واحد؛ وإنما حكمته أظهرها لنا. فلمّا قام مولانا الحاكم جل ذكره بصورة التوحيد انكشف المكنون، ووحّد مولانا الحاكم جلّ ذكره ظاهراً مكشوفاً بين يديه. فلا يُنكر ذلك ولا يُقتل عليه ولا يُحبسُ. فصار كشف المكنون هو توحيد مولانا جلّ ذكره. لأنّه لا مكنون يعادله ولا أجلّ منه. فانكشف في وقتنا هذا وزال كلُّ مستور. وزَهَقَ المَغرور. وإنْجَازُ وَعدِه لا يبور.

فمَن ادّعى التوحيد، وتبرّأ من التلحيد، وعرف المولى جلّ ذكره،

---

(٧) سورة الذاريات ٥١/ ٤٩.

ووحّده بحسب ما انكشف له، وَقصَدَهَ من حيثُ أمره، وتوَجَّه إليه من النور الذي أَبدَعهُ وقبل عنه ما أودَعهَ، وعَرَف قائم الزمان الموعود لعصره بالتمام، كان من الفائزين الذين لا خوف عليهم من الرجوع إلى إبليس اللّعين، ولا هم يحزنون على مفارقةِ غِطريس المُهين. بل هم على طاعة هادي المستجيبين منعكفون، وَلِمَا يُتْلَى عليهم من علوم التوحيد سامعون. أولئك هم الفائزون.

والحمد والنعمة لمولانا وعليه متّكلنا في السرّاء والضرّاء والشدة والرخاء. هو حسبي ونعم النصير المعين.

تمّ كتاب تقسيم العلوم وإثبات الحق وكشف المكنون. وكان فراغه سَلْخَ المحرّم، الثالث من سنين ظهور عبد مولانا ومملوكه هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا سبحانه وبه أستعين.

٣٧

الموسومة برسالة الزناد

والسّبيلِ الوَاضِحِ للطَّالِبِ المُرْتَاد

قد تكون من تأليف إسمعيل التميمي. سمّيت بالزِّناد لأنّ النفس، لا نار فيها، إنْ لم يتوفّر لها ذلك مِن القَادح، أي من العقل الكليّ، حمزة... في الرسالة آيات قرآنيّة عديدة، يفسّرها الكاتب تفسيراً باطنيًا مجازيًا بما يناسب عقيدة التوحيد. لا تاريخ لها.

ألحمد لمولانا الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته، السابق وجودُه وجودَ كلِّ شيء، والناطق بتمجيده كلُّ مؤمن حيّ، مبدِئُ الخلق ومعيدُه، ومؤيِّد بروح القدس حدودَه وعبيدَه، المنفرد بالقدرة الإلهيّة فلم يساويه نَدّ، والقاهر فوق عباده فلم يناويه ضدّ. لم يَلد ولم يولَد ولم يكن له كفؤاً أحد. لم تبلغ هويّته غوامض الأفكار، ولا تدركه البصائر والأبصار، ولا تحوط به الرسوم، وهو الحيّ القيّوم. لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم.

مبدِعُ المبدعات المشار إليه بجميع اللغات. وهو مبدع الأسماء والصفات. العالم بما كان وبما هو آت. لم يُدْرِكْه نظَرُ الناظر، ولا يحوط به فكرٌ ولاخاطر. وهو الأوّل والآخر. عجزت العقول عن إدراك ذاته. وكلّتِ الألسن أن تحيط بكنه صفاته. فرجعت العقول عن إداركه مقصّرة، والأبصار عن رؤيته حاسرة.

ظَهَرَ لِخَلْقِهِ كَخَلْقِهِ امتحاناً وامتناناً واختباراً، فكان امتحانُه لأوليائه واختبارُه لهم هدايتَهم إلى معرفته وتوحيده. فأجابوا إلى طاعته ودعوته، وأقرّوا بربوبيّته، وسدّقوا بكلمته، فاستنقذهم بعبده الهادي من الظلمات إلى النور، ومن العذاب إلى الثواب، ومن النار الهاوية إلى الجنّة العالية. لا يمَسُّهم فيها نَصَبٌ، ولا يَمَسُّهم فيها لُغُوب[1]. فتلك الفرقة الناجية من جميع العالم. وباقي الفرق دعاهم إلى معرفته فَصَدُّوا عن سبيله واستوحشوا لمّا ظهر لهم من شِبه مجانستهم. فرجعوا إلى العالم المنكوس بكفرهم وعجزهم. ورضوا به لجهلهم وغيِّهم. فكانوا في الجحيم مخلّدِين وعن معرفة الحق عاجزين.

فلمّا كانت الجنّةُ من حيث الحسّ المحيطة بأنواع الأشجار المثمرة والأمياه الجارية، تعلّقت بها أوهامهم وطلبوا العدم الذي ما له حقيقيّة ولا محصول، إذ عجزوا عن المعاني المعقولات. ولو عرفوا الجنّة لسارعوا إليها، وكانوا مخلّدين فيها وعلموا أنّها موجودة، وأنّ الباري سبحانه ما أحالهم على عدم، بل كان جميع ما أوعدوا به موجوداً بوجوده. وأمّا زعمهم بـ «أنّ الجَنّة عرْضُها السَّمَوات والأرْض»[2] فقد جهلوا معنى هذا القول.

فإذا كان عرضها السموات والأرض فكيف يكون طولُها؟ وأين تكون النار منها؟ ولو عرفوا الطول عرفوا العرض. وكلُّ شيء طولُه أكثر مِن عرضه. وإذا رجعنا إلى المعاني الحقيقيّة، وجدْنا الجنّة هي الدّعوة الهادية المهديّة، وأثمارَها العلوم الالهية الحقيقيّة، التي بها يتخلّصون الموحِّدون من جهلهم من داء الشرك. وأمّا معنَى الطول والعرض فإنّ طولَها هو العقل الكلّي الذي هو قائم الزمان إمام المتّقين القائم بالحق ومجرِّد سيف التوحيد

---

(١) سورة فاطر ٣٥ / ٣٥.

(٢) سورة آل عمران ٣ / ١٣٣، أنظر سورة الحديد ٥٧ / ٢١.

ومفني كلّ جبار عنيد. وكان عرضها مثل النفس القابل بالبركات العقل والتأييد الذي كان منه وجود جميع الصور الروحانيّة كوجود الولد من الأمّ. وكان عرض كلِّ شيء غيرَ منفصل عن طوله، كذلك كانتِ النفسُ غيرَ منفصلة عن العقل لقبول المادّة الإلهيّة.

فمَن تغذّى وَرَوِيَ من علوم هؤلاء الأصلَين، فقد أكل من أثمار الجنّة وشرب من مائها بالحقيقة والمعرفة من غير إحالة العدم. فهذا ذكر الجنّة العالية التي عرضُها السموات والأرض.

وأمّا النار فهي من حيث المحسوس المحرِقة للأجسام. ومن أسمائها ما يُحمَد ومنها ما يُذَمّ. فأمّا النار الكبرى والنار الموقَدة التي تَطَّلِعُ على الأفئِدة[٣] فإنّها مثل العقل لأنّه مطّلع على سرائر العالم عَالِم بجميع اعتقاداتهم. وأمّا المذموم منها نار العذاب وهي الهاوية والجحيم. وهذه الأسماء معنى الشريعة التي هوَوا أهلُها وغوَوا ولقَوا فيها العذاب. ولو قيل لهم أُخرُجوا منها أبَوَ واستكبرُوا وصدّوا عن السبيل. فهم فيها ماكثون منكَرون في جميع الأدوار والأعصار، إذ تخيّروا الضلالة على الهدى، وعلى البصيرة العمى، وتمسّكوا بزخاريف الأقاويل، واتّخذوا التقليد دون التثبيتِ من مشكلات الأباطيل، فحاط بهم العذاب، وتقطّعت بهم الأسباب. ذلك لمّا أبَوا واستكبروا وكانوا يَجحدون.

يوم يناديهم الهادي فيقول لهم[٤]: أينَ شركائي الذين زعمتُم أنّهم فيكم شفعاء. لقد انقطع بينكم، وظلّ عنكم ما كنتم تزعمون، يعني يوم قيام القائم صاحب القيامة بالسيف، فيناديهم: أين شركائي، يعني رؤساء أهل الظاهر وشياطينهم الذين أضلّوهم بغير علم، وأحلّوهم دارَ البوار التي هي

---

(٣) سورة الهمزة ٧/١٠٤.

(٤) أنظر: ٥٢/١٨، ٦٢/٢٨ و ٧٤، ٤٧/٤١ ...

الشريعـة، وما ألفـوه من التكاليف الشرعـيّة التي هي من حيث الـعقل النار بالفعل. ومـا تمسّكوا به من زخاريف أهلِ الجهل وأباطيلهم. فلم يسـتطيعوا جواباً إلاّ أنْ يقولوا ربَّنا غلبت علينا شـقوتنا وكنّا قوماً طاغين[٥]، فيحلّ بهم حينئذ العـذاب مِن قتْل رجالهم وسبيِ أولادهم ونســائهم وأخذِ الجزية على مَن تبقّى منهم وتخلّص من السـيف، ويُلزموا بالجزية هم صـاغرون. حيث ضلّوا وغلبت عليـهم الشقوة وهوى النـفس البهيـميّة الجـسمانـيّة التي من شأنها الشهوات الطبيعيّة. والغالب عليها الجهل.

لأنّه لمّا كان الانسان منه جوهر يَفْـعل ولا يَنْفَعل، ومنه جوهر يَفعل وَينفـعل، ومنه عَـرَضٌ ينفـعل وليس بفـاعل إلاّ بآلتـه، احـتاج إلى مـحـرّك يستخـرجُ معرفةَ الجـوهرِ من العَرَض. فأمّا الجـوهر الذي هو الفاعل وليس ينفعل فهو العقل المتّحد بالنفس الشريفة. فهو أبداً فاعل غير مفعول.

والجوهر الذي يفعل وينفعل فهي النفس الشـريفة لأنّها عاقلة عَالمة حيّة جوهريّة شفّافة قابلة للصور. فهي تقبل الجهل كما تقبل العقل.

وأمّا العَرَض الذي ينفعل وليس بفاعل فهـو الجسم الذي تستخدمه الجوارح في إرادتها وهوّياتها.

ولمّا كانت النفـس الشريفة تقـبل الجهل كمـا تقبل العـقل مائلة إلى الحالتين. فأيّما غلب عليها من العقـل والجهل مالت معه. كان جوهرها مكمناً فيهـا كما يكمن النارُ في الزناد. ولو مكـث الزناد طول الدهر ملقىً بلا قادح ولا حجر يحرّكه، لما ظهر من الزناد نار. وإنّما ظهور النار من الزناد بالقادح والحجر.

---

(٥) سورة المؤمنون ٢٣/١٠٦.

كذلك النفس، إذا عدمت التذكار بالعلوم الروحانيّة الذي هو غذاها وبه بقاها ونماها، مالت إلى الجهل لغلبة النفس الحسّيّة البهيميّة عليها، فترجع إلى الجهل. وإذا لم تعدم الرياضة في رياضة الحكمة والغذاء بالعلوم الإلهيّة، وكانت قابلة لما يتّحد بها من آثار العقل تجوهرتْ وصفتْ ولحقتْ بعالمها، كالزناد الذي إذا حرّكه القادح استخرج منه الشرار، فتذكى بها النار فتبلغ إلى ما لا نهاية له من العظم. وذلك بالقادح المحرّك للزناد. وكان أصلُ النار شرارةً يسيرة. وكذلك اتّحاد العلم وبركته ونماه وزكاه كان مثل شرارة زاد اضطرامُها. كذلك إنّما كان العلم أثراً من العقل يتّحد بالنفس الشريفة فتقبله فتزكو وتنمو حتى تصير صورة روحانيّة،

كمثلِ النُطفة تتزايد في حالها حالاً بعد حال حتى تكمل صورة الجنين ويخرج من بطن أمّه كاملَ الصورة. ولم يَعلم عند خروجه من بطن أمّه أنّه كان نطفة. وإنّما يعلم إذا عقل وبلغ. فيعلم حينئذٍ ما كان عليه. وكذلك لم يعرف الطالب ما كان عليه من الجهل ولا منزلةَ ما وصل إليه من العلم إلاّ عند معرفته، وارتفاعِ درجته.

ونرجع إلى القول في الزِّناد والحجر ومعناهما في الحكمة، فنقول: إنّ النار لمّا كان مكمناً في الزناد لم يقدر الزِّناد أن يوجِد من ذاته ناراً، وإنّما عند علوِّ الحجر عليه وحركته له ظهر النار. وكذلك الحجر لولا القادح لم يقدر الحجرُ على إظهارِ نارٍ مِن ذاته ولا مِن غيره. فنقول إنّ الزناد والحجر زوجٌ مزدوج، ذَكَر وأنثى، وكان النار متولِّداً من بينهما، كما تتولّد النتائج مِن بين الازدواجات بالقادح المحرِّك لهما. فنقول إنّ الحجر معنى العقل، والزناد معنى النفس. وَظُهُور النارِ من الزناد بالقادح والحجر، كذلك ظهورُ الصُوَر الروحانيّة من النفس بمادّة العقل وتأييد الباري سبحانه وكمال فعلهما بالتأييد كما أنّ ظهور النار لا يتمّ إلاّ بالقادح.

جعلكم المولى أيُّهــا الموحِّدون ممّن اقتبس من النار المبــاركة فسنتْ نارُه وزاد اضطرامها. ولا جعلكم ممّن أوقد ناراً، فلمّا أضاءت ما حوله ذهبَ اللّهُ بنوره، وزاد فــي ضــلاله وظلامــه(٦). ودفع عنكــم مكائد الشّــيــاطين، وأعاذكم من الشّك بعد اليقين، وسلك بكم سبل الرّاشدين.

فاحمدوا مــولاكم على ما خصّكم من نِعمه، ومنحكم مــن قِسَمِهِ، إذ هداكم إلى طاعــته، وطاعــة وليّه الهادي إلــى معرفــته، والســالك بكم منهجَ رحمته.

والحمد لمولانا وحده. والشكر لقائم الزمــان عبده. والمولى حسبي ونعم النصير.

---

(٦) سورة البقرة ٢/١٧.

٣٨

الموسومة برسالة الشمعة

وضعها إسمعيل التميمي، ورفعها إلى الحاكم، ونشرها بأمره. يمثّل فيها الحدودَ العلويّةَ الخمسة بخمسةِ أجزاء الشّمعة المشتعلة: لسان النار، والنار، والقطن، والحسكة، والشمع. هذه هي المدعوة «شمعة التوحيد»

وَمَثَلُهَا في التّوحيد وَمَثَلُ حدودِها على المسلك الثالث، وَرُفِعَتْ إلى الحضرة اللاهوتيّة، وأُطْلِقَتْ بأمر مولانا الحاكم الحكيم. عَرَفْنا حقيقيّةَ بسم اللّه الرحمن الرحيم.

يا مولانا. يا سيّدنا. يا رجانا. لا إله غيرك ولا معبود سواك. نرفع إليك ما أنتَ به أعلم وأحكم من قوم موحِّدين طلبوا كتابَ الشمعة وهو من علم التأويل، مُضافٌ إلى أمسٍ، وقد انقضى أمسٍ وعلْمُه، وجاء اليومُ ورسمُه، كما أمرتَ وحكمتَ لا مخالفة لأوامرك جلّتْ قدرتك.

وقد ألّف العبد إسمعيل بن محمّد التميمي الدّاعي، صِهْرُ مملوكِ مولانا جلّ وعزّ، قائمِ الزمان حمزة بن عليّ، هذا الكتابَ على المسلك الثالث وهو مسلك التوحيد، وأَعْرَضَه على المولَى ليأمر جلّ اسمُه بما سبق من أفضاله، وما بسط من أوامره اللاهوتيّة بما يشاء. عَظمتْ مَنَّتُه. وهو الحمد

لمن أبان توحيده بإقامة حـدوده، وكشف عن تمجيده بمراتب آياته، وضرب بذلك الأمثال ليعبدوه ذوي الألباب. فقال: «وَمَا يَتَذَكَّر إلاَّ أُولُو الألْبَاب»[1].

والشمـعة أقـيمتْ كـاملةً بجمـيع آلاتها على الـتوحيـد المحض. فـ «شمـعة»، خمسـة حروف دليل على الخمـس جواهر المكنونة، وهم: الإرادة، والمشيّة، والكلمة، والسابق، والتالي. فهؤلاء شمعة التوحيد.

وعلى بعض الوجوه، إنّ الشمع لا يَقِدُ إلاّ بالقطن، والقطن لا يَقِدُ إلاّ بالشمع. ولم يقع عليـها إسم شمعـة كاملة يُستضـاءُ بنورها إلاّ بتعلّق النار فيهـا. والنار الذي يتعلّق فيها فـهو لطيف وكثيف. فاللّطيف فـيه لسان النار العالي الأحمر الذي تعتريه زرقة يَخفى مرّة ويَظهر مرّة.

فذلك دليل علـى قائم الزمان حـمزة بن علي بن أحـمد. والنّارالذي يوقد الشمع دليل على حجّته إسمعيل بن محمد بن حامد. والشمع دليل على الكلمة مـحمّـد بن وهب. والقطن دليل على السابق سـلامة بن عـبد الوهّاب. والطَسْتُ الذي هو الحَسَكة دليل على التالي علي بن أحمد السّموقيّ.

فهذه الخمسـة حدود: كثيفان ولطيفان. فـاللّطيفان: النار والشمع، والكثيفان: القطن والحسكة. ولسان الناراللّطيف الداخل فيهم والخارج منهم هو الذي وحّد المولى بالحقيقة، لأنّه ذو مَـعَة وقلبه مع المولى لا يفارقه، وهو الدالّ على التوحيد المحض ومنه المقصد وإليه.

والشـمعـة موجـودة عند أكابر الـناس ومَيَـاسيـرِهم على الدوام ويستعملونها. كـذلك العلماء لا يعرفون شيئاً غير التوحـيد من هذه الخمسة حدود. ولا يجـوز لهم ترك معرفة واحـد منهم ويعرفوا مراتبـهم والفاضل منهم. فـمتى اسـتعـمل أحد من سـائر الناس كـافّةً ناراً وحـدها لم يقل إنّي

---

(١) أنظر: ٣٨/٢٩، ٣٩/٩، ١٣/١٩، ١٤/٥٢، ٢/٢٦٩، ٣/٧.

استعملتُ شمـعة. ومتى ما استعمل ناراً وشمعـاً لم يقل أيضاً إنّي استعملتُ شمـعة. فـإذا اتّفق النار والشمع والقطن قـال إنّي استـعملت شـمعة تـبقى منفردة تريد من يحملها. فإذا لم يكن لها حـسكة تحملها بقيت ناقصةَ الآلة. فإذا كـملت الحسكة صارت بحـدّ الكمال وأضاء البـيت منها وانتـفع بها مَن يستعملها، وهي منصوبة ما بين الناس دالّة على التوحيد.

كـذلك التوحـيـد، إذا عرفَ الانسـانُ قائـمَ الزمان وحـده، لم يَطِقِ المقابلة لِلَطَافَتِـه. فَمَثَلُهُ لسان النار الدقيق. وإذا عرف حـجَّته التي هي النفس الكلية كان مَثَلُهُ مَثَلَ مَن أوقد ناراً وحدها. وإذا عرف الكلمةَ كان مثلُه مثلَ مَن أوقـد ناراً وشمـعـاً. وإذا عرف السـابقَ الذي مـثله مثل الـقطن تمّ له وَقِيْـدُ الشمعة بالحسكة حاملتِها. كذلك كملتْ حدود التوحيد.

كذلك مَنْ عَـدِمَ معرفـةَ هذه الخمسة حـدود لم يعرف التّوحـيد في وقتنا هـذا وكان توحيـده دعوى. فليـعلَموا الموحّـدون ذلك ويعتـقدونه ولا يعبـدوا المولى بلا معرفة. فـقد قال: «وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن تَعـدَّى حدودَ اللَّهِ فقَدْ ظلَـمَ نفسَه»[٢]. فأشار إلى المسلك الثـالث الذي نطق القرآنُ في قوله[٣]: «وَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُوْرٍ لَهُ بَابٌ». ألـسور الشريعة، والباب الأساس، كـما قال الناطق: «أنا مَدِيْنَةُ العلمِ وعَليٌّ بَابُهَا»[٤]. وقال: «باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ»، فدلّ بأنّ الرحـمة غـير البـاطن. وقـال: «وَالظَّاهرُ مِن قِبلِـه العَذَابُ»، ألناطق صـاحب الظاهر والأساس صاحب الباطن. والقائم صاحب الرحمة.

وقال[٥]: «مِنْهَا خَلَـقْنَاكُم»، يعني الظاهر. «وَفِيـهَا نُعيـدُكم»، يعني

---

(٢) سورة الطلاق ٦٥/ ١.

(٣) سورة الحديد ٥٧/ ١٣.

(٤) حديث نبوي شريف.

(٥) سورة طه ٢٠/ ٥٥.

الباطن. «وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى»، يعني إخراج الموحدين من الظاهر والباطن إلى المسلك الثالث وهو مسلك التوحيد.

والناس ثَلَثَةُ أجناس :

فأهل الظاهر يُقال لهم مسلمون.

وأهل الباطن يُقال لهم مؤمنون.

وأهل قائم الزمان يُقال لهم موحّدون.

فتأمّل أيهّا الطالب المسترشد هذه الثَلَثَ معانٍ ما لها رابع: الزوج والفرد وما بينهما.

فكلُّ مَن ذكر عن نفسه أنّه موحِّد وهو متمسّك بشيء من الشرع، فقد أبطل وكَذَبَ في قوله. بل هو ملحد كافر. ومَن كان من أهل الباطن تأويليًا، وذكر عن نفسه أنّه موحد، فقد كَذَبَ وأبطل في قوله. بل هو مشرك كافر أشرك بمولانا جلّ اسمه وخالفه، لأنّ الباطن قرين الظاهر، وهما زوج، كما نطق به المجلس يقول: فاعلَمُوا أنّ كلَّ شيء خلقه اللّه جلّ اسمه زوجاً ليكون هو فرداً واحدا لا شيء كمثله. فمِن أجل ذلك خلق لكم سماءً وأرضاً، وبَرًا وبحراً، وحقًا وباطلاً، وحلواً ومرًا، وسابقاً وتالياً، وناطقاً وأساساً، وإماماً وحجّةً. ومثل هذا كثير ليكمل التوحيد فرداً غير زوج.

فمِن ذلك كان كلّ مَن ادّعى التوحيد وهو يقول بالظاهر والباطن كان كاذبا في قوله. ومَن دخل في طاعة قائم الزمان إلى المسلك الثالث، فقد صار موحِّدا لأنّه تخلّص من الزوج واتّبع الفرد.

فتأمّل أيّها الناظر في هذا الكتاب إلى هذه الاحتجاجات واقرنْها بسماع مجالسك وبالكتاب المنزَل يظهر لك الحقّ فتتبّعه.

نطق القرآن على لسان محمّد يقول له: «إِنّا أَنْزَلْنَا إِلَيكَ الكِتابَ

بالحَقِّ»[٦]! ألكتاب عليّ. والمخاطبة لمحمّد. والحقّ القائم. صاروا ثلثة: الفرد بين الزّوج.

واعلَموا أنّ الشمع من النَحْلِ، والنحلُ هم الدّعاة، والعسل علم الناطق. والشمع فقد تخلّص من العسل وفارَقَه. كذلك الكلمة قد علت على حدّ الناطق والأساس، وسلكتْ إلى المسلك الثالث وهو مسلك التوحيد. وكذلك القطن وهو من زرّيعة الأرض، والأرض هي الأساس، والقطن فقد خرج من الأرض وفارقها. كذلك صاحب هذا الحدّ، وهوالسابق، قد فارق التنزيل والتأويل وشفّ وعلا إلى المسلك الثالث، وهو مسلك التوحيد. والحسكة فهي من النحاس، والنحاس هوالدخان بلغات العرب، والسماء خُلقت من الدخان. كذلك السابق مدّ التالي حتى تكوّنتْ منه الكتائف كلُّها. والحسكة لها ثلَثُ أرجل، كذلك التالي له ثلثة حدود يتمسّكون به: أوّلهم الجدّ أيّوب بن علي، وثانيهم الفتح رفاعة بن عبد الوارث، وثالثهم الخيال محسن بن علي. فهذه الخمسة والثلثة الجميع ثمانية صارت مزدوجة. ولسان النار دالّ على التوحيد، أنّ المولى جلّ وعلا لا يدخل في عدد عبيده، بل هو منفرد عنهم جلّ اسمه. فهذه شمعة التوحيد.

وأمّا لسان النار والنار فهو ذو معَة وذو مصّة لطيف وكتيف: الإرادة والمشيّة. نطق الكتاب في النّورين: «نُور علَى نُور يَهدي اللّهُ لنورِه مَن يشاء»[٧]. ألنور الأوّل قائم الزمان، والنور الثاني حجّته. يهدي اللّه لنوره من يشاء. واللّه هاهنا واقع على قائم الزمان. يهدي اللّه لنوره من يشاء، أي مَن ألهمه المولى بإذن حجّته الكلام فيحيي كلامُه مَن سمعه وسبقتْ فيه المشيّة.

فهذه صفة شمعة التوحيد التي مَنْ أُسرِجَتْ بين يديه أَبْصَرَ

---

(٦) سورة ٣٩/ ٢، أنظر: ٤/ ١٠٥، ٥/ ٤٨، ١٧/ ١٠٥ وغيرها.

(٧) سورة النور ٢٤/ ٣٥.

واهتَدَى. ومـا هذا النطق بِحَولي وقـوّتي بل بموادِّ المولى جلّ وعـزّ إلى قائم الزمان. وبعده فإلى عبده البائس الفقير. فما كان فيه من صواب فمِن توفيق المولى وفوائد قائم الزمان. وما كان فـيه من زلل أو خطأ فمِن العبد الخاضع الذليل يستغفر المولى جلّ ذكره، ويسـأله أن يقرّر نعمته عليه. ويخلّدها لديه. إنْ شاء مولانا وبه التوفيق.

وسلامه وصلواته وتحيّاته على الذي اختصّه من الخلائق أجمعين، قائـم الزمان الإمـام الأعظم والنور التمـام. وسلامـه على الحدود العـاليين النفسانيين، ورحمة المولى وبركاته وبه أستعين.

تمّت رسالة الشـمعـة ومثلها وحـدودها في التوحيـد على المسلك الثـالث. وَرُفِعَتْ إلـى الحضـرة اللاّهوتيّـة وأُطْلِقَتْ. والحـمد لمولانا وحـده. والشكر للإمام الهادي عبده.

٣٩

الموسومة بالرشد والهداية

يعرفُ واضعُ هذه الرسالة، إسمعيلُ التميمي، الموحِّدين بنفسه، وبمهمَّته، ودوره، وصفاته، بعد أن عرَّفهم بالمولى وبقائم الزمان، ثمَّ يرشدهم إلى الحكمة، واقتفاء آثارها، وصونها عن غير أهلها، ويحثُّهم أخيراً على طلب العلم الحقيقي.

نصٌّ المجتبى أخنوخ الأوان، وإدريس الزمان، وهرمس الهرامسة، ألنفس الكلّية والحجّة الصفيّة والرضيّة، حجّة الإمام قائم الزمان، علينا سلامه ورحمته.

ألحمد لمولانا الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته، الذي أرشدَ بطاعته عبادَه الموحّدين، وهدى بمعرفته أولياءَه المخلصين. واطمأنّتْ به نفوسُ أوليائه المؤمنين. وأنارَ بنوره قلوبَ العارفين. وأقرّتْ بتوحيده ألسنُ السادقين، الذي عجزتِ العقول عن إدراك كيفيّته، فهجم بها العجز عن بلوغ نهايته، فرجعتْ لعجزها مقصِّرةً عن الإحاطة بكليّته، فأقرتْ بتقصيرها بعد الأياس عن الكنْه بالعجز والتقصير عن بلوغ هويّتِه وذاتيّته، إلاّ ما أوجدها من توحيده ومعرفته، لا ذاتيّة في الذات، ولا توجده الصفات.

أقام الحجّة على الخلق بوجوده، وبثّ فيهم دعاتَه وحدوده. أقام في الخلق بقدرته قادراً، ولأضداد الحقّ مِن جميع الخلق قاهراً، ولأوليائه

بوجوده ناصراً. سبحانَه أوّلاً وآخِراً، وباطناً وظاهراً. لا يخلو منه زمان، ولا مِن نوره مكان، الإله الموجود في الحاكم المعبود. لا يُعدم في وقت من الأوقات. وهو أحقّ بالوجود من سائر الموجودات. مبدِع الأشياء، وربّ الآخرة والأولى.

أبدع العقلَ من محض نوره بالقوّة الإلهيّة بغير آلة ولا مثال صورة، وأوجد فيه الأشياء كلَّها في دَفْعَةٍ واحدة، وعَقلَ به جميعَ المخلوقات، وجعلَه أصل المبدعات، وأيّده بالقوّة الإلهيّة، والمادّة العلويّة، فجعله آمِناً من النقصان، موجوداً في كلّ عصر وزمان. وجعله علّةَ الأشياء. وإنّما جعله علّة كلّ شيء لرجوع الحدود الروحانيّة إليه وهو غاية الأدِلاّء عليه.

ثمّ أوجدني منه لقوّة إبداعه ومادّته. وجعلني تاليه وحجّته وزوجته وقابل صورته، ومودعَ سرّه وحكمته. وأفاضَ عليّ نورَه وبركته، وأوجد منّي حدود دعوته. وجعلني له مغرباً لما أشرق من نوره وإفاضته. فما أشرقَ منه من العلوم الروحانيّة والحكمة العلوية دُعّت من القوّة الإلهيّة.

فأنا النفس، ومنزلتي من إمام الهدى بمنزلة القمر من الشمس. فاسمعوا أيّها الموحدون نصَّ الحكمة تَسْعَدُوا. واحمدوا عند استماعها مولاكم الذي إليه تشيروا وله تَعبُدوا. واشكروا عبدَه إمامَ زمانكم الذي إليه ترجِعوا وبه تَقتدوا. وأوصِلوا شكري بشكره وشكرِ جميع الحدود. واحرصوا في طلب العلم واجتهدوا. وهلمّوا إلى روح الحياة وبادروا إلى سفن النجاة. فقد فاز مَن أخلى فكره في طلب الحكمة وقلبَه، وأفاض نورها على عقله ولبّه. وحرص في المذاكرة مع عباد اللّه الأصفياء بكليّة جهده. فالسعيد مَن جعل الحكمة لقلبه مسكناً، وجعل طلبها عنده أزكى مغنماً، وجعلها عن غير أهلها في حُصْنٍ وَحَرَمًا. وإنْ كانت في آذانهم وَقْرًا وعلى قلوبهم وأبصارهم عَمًى.

فاحرصوا في طلب العلم، وفي مصاحبة أُولي الفهم، والمذاكرة في سائر الاوقات، وتحظوا بالخير والبركات. ولا يستغنِ امرؤٌ منكم بما حفظ عن درس الحكمة وَتَواتُرِ المائَّةِ، ويقنع بما علم ويطمئنّ بما فَهِمَ. ويقول قد استغنيتُ عن التعب والحِرْصِ فيحلّ به عند ذلك التقصير والنقص. فربَّ حسامٍ قاطع ذي جوهر لامع، طال مقامُه في غِمْدِهِ، فركبه الصدأ واحتوى عليه الرَدى. وربّما تفلّلتْ مضاربُه، فيَزهَد فيه حاملُه، وَيْتَعَبُ في صلاحه صاقلُه.

وكذلك النفس الشريفة التي قد تجوهرتْ وصفتْ، وأقرّت بتوحيد مبدعها وآمنت. أذا بعدت من الرحمة، وعدمت غذاها من نور الحكمة، رجعتْ ضالّة بعد هداها، جاهلةً بعد تقواها.

فاللّه اللّه لا تزهدوا في الحكمة بعد الطلب، وانظروا إلى مَنْ قَبْلِكم قد ذهب. واستيقظوا من غفلة الكَرى، ولا ترجِعوا إلى الضلالة بعد الهدى. فقد تأكدت الحجّة على جميع الوَرى. وظهر البرهانُ لمن يَرى. وجرى فيكم ما في الأمم السالفة قد جَرى. ولا يرجِعنّ أكثركم بعد السَّبْقِ إلى القهقرى. فلا ترجِعوا على أعقابكم بعد السباق، واعتصموا بالعهد والميثاق. وشمّروا في طلب الحكمة عن سَاق. ولا ترجِعوا بعد الإيمان إلى النفاق.

فأجيبوا الداعي إذا دعاكم. واسمعوا نداءه إذا ناداكم. فمَن أجابه طائعاً، وأناب إليه خاضعاً، وأنِس إلى علمه سامعاً، نال من نور الحكمة ضياءً لامعاً، وعلمًا نافعًا. فسوف يُدعَونَ عن قريبٍ فَيَصدُّ أكثرُهم ولا يجيب. وَلَيُدْعَيَنَّ من يأتي بعدهم كما دُعيتم أنتم وآباؤكم. فإن أجابوا كما أجبتم، وسمعوا كما سمعتم، وسلّموا الأمرَ إلى المولى سبحانه كما سلّمتم، واقتبسوا من نور الحكمة كما اقتبستم، خلصوا من الشبهات كما خلصتم.

ومن صدّ منهم عن السبيل، وسلك طريقَ الحقِّ بغير دليل، ورجَع

بعد المعـرفة والوجود، إلى الإنكار والجحـود، وبعد الإثباتِ إلى العدم، فـقد لحق بمن مضى من سوالف الأمم.

فلا تَطمَئِنّوا إلى المُهْلَة تستولِ عليكم الغَـفْلة. وارتقبوا الظهور فإنّه يأتي في أعقل الأمـور فيستـيقظ عنذ ذلك العارف الموحِّـد، ويغفل عنه المنكر الجاحـد. فلا ترقـدوا بعد اليـقظة، ولا تقصّـروا بعد النهـضة، فيكـونُ مَثَلُ المقصِّرِ منكم مَـثَلَ رجلٍ سار في جملة خلْق كثير، وجمٍّ غـفير، طالبين بعضَ البلاد، فهـجم عليهم الليلُ وهم في مسيرهم، فنـزلوا بصحراءَ عظمى وبرّية قفراء لا يـعرِفُها فيـهم غيرُ الأدِلاّء، فنزلوا بسـاحاتها، وحلّوا بفنائهـا، فرقد الرجل في أوّل ليله قليلاً، وسهر بعد نـومه طويلاً، مرتقبَ الصباح، ومنتظرَ الفجر إذا لاح، خوفاً أن ينقطع من رِفقته وصحبته. فغلب عليه النوم فَرَقَد، لمّا رأى الليل قد طال عليه وَبَعُد. فلاح الصـبحُ وهو راقد، وسار القوم وهو غيرُ ساهد. فـسار بهم الدليل، وأبعـدوا في الرحيل، فاسـتيقـظ الرجل من نومه ورقدتِه، لا يدري أين أخذوا رِفقتَهُ وصحبتَـه. فبقي حيرانَ لا يجدُ له أنيسًا، ولا يسمع في تلك البريّة حسيسًـا، ولا يُصيب له هناك رفيقًا، ولا هادياً يدلّه على الطريق. فكـيف يكون في تلك البـرّيّة حـالُه، وقـد تقطّعتْ من اللّحـوق لصحبتِه آماله؟

فاحذرُوا أيّها الموحِّدون من غلبـة الوسن. وارتقبوا ظهورَ الحقِّ في كلِّ عصر وزمن، ولا تـركنوا إلى التقصير، بـعد الطلب والتشمـير. واجتنوا ثمـرات الحكمـة من شجـرها وجنّاتـها، وانهلوا مـاءَ الحـيـاة من عيـونهـا وينبـوعاتهـا. فإنّ حـقائق الحكمـة تكشف لكم عن مـشكلاتها، وتفـتحُ لكم أغلاقَها وأقفالها. فلا تكونوا كـالذين قالوا سمعْنا وهم لا يسمعون، ويقولوا آمَنَّا وأكثرهم مشرِكون.

فـإنّ الرسل قد وردتْ عليكم، والدّعـاةَ قـد بُعثتْ إليكم. وقـد هبّتْ أرياح الرحمة من جميع أفـاقها، وانتشرتْ سحبُ النعمة من جـميع جهّاتها.

وهطلتْ أوائل الحكمة على جـميع أقطارها. فأصابَ غيـثُها سهلَها وجـبالَها، فسالتْ أوديتُهـا وأنهارُها. ورسخ في الأرض الزكيّة غيـثُها وماؤها. ورجَع عن الأرض السبخة الرديّة لقلّة قبولها وزكائها.

فتدبّروا هذه الأمثال، واحمدوا مولاكم سبحانه على ما خلّصكم من طوائف الكفر الضـلال. وجعل لكم نوراً تمشون بـه في الناس. وأنقذكم من مشكلات أهل الجـهل والقياس. فَـزَكَتْ عقولُكم، وَصَـفَتْ نفوسُكم، وقطعتْ بصائركم جميع البصائر، وعرفتم حقائق الأمور في جميع الأدوار والدّوائر. وهل يُدرَك النور إلاّ بالأبصـار الصحـيـحة، وهل يُعـرف الحقّ إلاّ بالعقـول الزكيّة والرجيحة. فلولا تخلّصكم من عالم الجهل لما قبلتم نورَ آثار العقل.

فأنتم مَقَرُّ الأرضِ المباركة الزكيّة، لقبولكم للعلوم الالهيّة والجواهر العقليّة، وارتبـاطِكم بالحدود العلويّة، وإجابتِكم إلى الدعـوة الهادية المهديّة، وعدولِكـم عن جميع الطـوائف أهل الشرك والعناد، مـعنى الأرض السبـخة الرديّة، لجـهلِهم بالعلم وأهله، وارتبـاطِ كلٍّ امرئ منهم على كـفره وجـهله، ولجحودِهم لمولاهم وإمـامهم، وإقامتهم على غـيِّهم وطغيانهم. فلا تلتـفتوا عليهم، ولا تركنـوا إليهم. إنّهم إنْ يظفروا بكم لا يرحـموكم. ومِن مَـيامِنكم يُبعدوكم وبأيديهم وألْسِنتهم يتخطّفوكم.

فعليكم بأنفسكم لا يضرّكم كفرُهم إذا آمنتم، ولا صدّهم إذا أجبتم، ولا جهلهم إذا عرفـتم. فاقبلوا الحكمة يا أهل الحكمـة. وأديموا المواظبة على حفظهـا وصيـانتها عن غـير أهلهـا. فإنّ للحكمة أوائل وفـصول، وحـقائق ومحصول. فاستَدِلُوا بها على معرفة الدالِّ والدليل والمدلول. فاتّبعوا الدليل، واسلكوا سرَّ السبيل. فإنّ سبلَ الحقِّ واضحة للقاصدين، وأبوابَ الرحمة قد فُتّـحت للطالبين، وعيـون الحكمة قد فُـجّرت للواردين، وحدودَ الدعـوة قد سيّـرتْ في جميع العـالمين، لإرشاد المستـرشدين. وقد ظـهر النور لمن نظر، وسمع النداء إلاّ مَن في أُذُنِه وَقَر.

فـالحـذر الحـــذر كلّ الحـذر. قـبل نزول القَـــدَر. وقـبل أن تحلّ بالمقصّرين الحَسْرَة. ويقول الكافـر يا ليتَ بعد هذا كَرَّة . فلا يُقْبَل منه قولُه. ولا يَنفـعه عـذرُه. قبل نزول الحَـدَثان. وقيـام قائم الزمـان. بسيف مـولانا الحاكم سـبحـانه وقتلِه أهل الـكفر والطغـيان، وإرْمَالِـهِ النسوان، وإيتـامه الولدان. ذلك اليـوم الذي به توعَدون، ولـه ترتقبـون، يومئـذ تُعرضـون. لا تخفى عنّا منكم خافـية، فيحلّ بالكافرين الخـزي والعذاب. وينال الموحّدون الجـزاءَ والثّواب. يومـئذ يفـوز المخلِصـون، ويُفْلِحُ الموحِّدون. فـارتقبـوا له وكونوا له منتظرِين. وارتبطـوا بحدود الدِّين. وأديموا المناصحة والمصـافاة لإخوانكم الموحِّدين.

فاسمعوا معاشرَ الأولياء نصَّ هذه الرسالة التي وضعتُها وسمّيتُها الرشدَ والهداية، يسـترشد بها الطالبون، ويهتـدي بها المؤمنون، ويأنس بها العارفـون، بعونِ مـولانا سبـحانه، وإفـاضة إمـام زمانه. فـاحفظُوها كـما حَفِظَتْكم.

والسلام والحمد لمولانا وحده. والشكر لقائم الزمان عبده

٤٠

شِعر النَّفسِ

وَمَا توفيقِي إلاَّ بالله

قصيدة شعريّة عقائديّة من إسمعيل التميمي، المكنّى بالنّفس، إلى أهل جبل السمّاق، ناحية حلب، يبثُّ فيها عقيدةَ التّوحيد.

قال الشيخ أبو إبرهيم إسمعيل بن محمّد التّميمي الدّاعي المكنّى بصفوة المستجيبين إلى دين مولانا، إلى علم الإمام.

إلى غايةِ الغايات قَصدي وبُغيتِي إلى الحاكمِ العالِي على كلِّ حاكمِ

إلى الحاكمِ المنصورِ عُوجُوا وأَمِّمُوافليس فتى التّوحيد فيه بنادمِ

هو الحاكمُ الفَرْدُ الذي جُلَّ اسمُهُ وليس له شِبْهٌ يُقاسُ بحاكمِ

حكيمٌ عليمٌ قادرٌ مالكُ الوَرى يوآنِسُ بالاسمِ المُشاعِ بحاكمِ

غَدا السابقُ السّامي إليه وَتَالهِ مع الجَدِّ والفَتحِ والخَيال الملاومِ

عَبيدًا لمولانا خضوعًا لأمرهِ وكلُّ فتىً في الدِّين عبدٌ لآدَمِ

هوَ الواحدُ العالي على كلِّ علّةٍ وما غيرُه إلاَّ كَعَبْدٍ وخادمِ

هوَ الحاكم المَولى بنا سوتِه يُرى ولاهوتُه يأتي بكلِّ العظائمِ

إلى الحاكمِ المَولى فَهُبُّوا وأَقْبِلوا فتوحيدُكُم سِدْقٌ على كلِّ حازمِ

إذا الحاكمُ العالي تعالى بموكبٍ فوحّد بعينِ العلم بينَ العوالم

تَسَمَّى إمامًا والإمامُ فَعَبْدُهُ تَيَقَّظْ ولا تُصْغِي إلى كلِّ نائمِ

وقَد ظهرَ المولى فآنَس عبيدَه بأفعالِهِم أُنْسًا بحكمةِ حاكم

ظهورًا بأفعالِ العبيد وَشكلِهم ويُؤْنِسُهُم والخَلْقُ شِبْهُ البهائمِ
إذا بَثَّنَا التوحيدَ طاشتْ عقولُهم ورَامُوا انتهاشًا مِثْلَ نَهْشِ الأراقِمِ
سَيَقْطَعُهُم عُظمُ احتجاجِ مَقَالِنا على عُظْمِهم قَطعاً كقطعِ الصّوارمِ
هوَ الحقُّ ما قُلنا شواهِدُهُ أتَتْ تَحُزُّ مَقالَ القومِ حَزَّ الغَلاصمِ
تقومُ رجالُ الحقِّ عندَ قيامِهم بقوّةِ عزمٍ في انتهاءِ العزائِمِ
يُقادونَ رَغْمًا لا يُجَابُ مَقَالُهم حُفَاةً أُسَارى في أكفِّ الضّراغمِ
يُناديهم الهادي: هلّموا إلى الذي جَهِلْتُم من التوحيدِ مِن كلِّ عالمِ
هلّموا إلى المعنى الخفيِّ وَحسبُكُم شواهدُ ما أُبدِي لكم في الدّعائمِ
وقلتُّم بتأويلِ المعاني ديانةً علَى غيرِ مـا قد قِيل مِن كلِّ قائمِ
ظننْتُم بأنّ الطِفلَ يبقى لِصُغْرِهِ وأُنْسيتُم حدَّ البلاغِ المكاتمِ
وأشركتُم والشركُ كُنهٌ لِنُطْقِكُم وَأمواجُ بحرِ الشِّركِ بينَ التلاطمِ
سَيُطْلَقُ سَيفُ الحقِّ فيكم لجهلِكم ويحصدُكم كالزّرعِ مِن غير راحمِ
وَتَحْويكُم أهلُ الإجابةِ والتُّقَى توحيدُهم يربُو على كلّ غانم
ويَظهرُ سَيفٌ للتميمي مُشْهَرًا على جمعِكم والفعلُ من غير آثم
وما صَفْوَةٌ لِلسمتجيبين تارِكاً جهادَكُم من غير خوفٍ وَلاَ لِم
وَنَشفي غليلاً في الصدورِ مُكَّمنًا ونأتي على أنسابِكم والتّراجُمِ
وَتمشُون جَهرًا بالغِيار لِخُلْفِكُم وَتلقَونَ كلَّ الذلِّ مِن غير راحمِ
سَيكظِمُ هذا الشِّعْرُ كلَّ مُنافِقٍ ويزدادُ كَظْمًا فوقَ كَظْمِ الأكاظمِ

من الشيخ إسمعيل إلى جبل السُّمَـاق لِيُقرأ على كلِّ موحّد وموحّدة. ارتضى به المولى سـبحانَه وأشـاع بنسخـه للمسـتجيـبين، يتفـاوضون به نشيداً، إستبراكاً به في كلِّ يوم جديد.

نُجِزَ والسلامُ بحَمد مولانا وَمَنِّهِ.

وما من العساكر قبيلة الا وقد قتل ساداتهم والرعية
كلهم اعداوه في الدين الا شرذمة يسيرة موحدين له
مومنين به راضيين بقضايه. ومن رسوم الملوك انهم
لا يثقوا باحد من عساكرهم ولا من اولادهم خوفا
من غدرهم. فكيف من يزعمون انه مريض ليس
يقدر يمشي وقد قتل جبابرة الارض وملوكها ويمشي
بينهم في محفة. وهذا الذي ذكرته لكم في هذه
السيرة واصناف هذه الافعال ليس هي فعل احد
من البشر وما هو شي يستعظم للمولى سبحانه وانما
ذكرته لكم لتعتبروا وتفتكروا وبيان هذه الافعال
ليس هو فعل احد من البشر وانما هو فعل قادر على
الاشيا كلها وخالقها العالم بما خفي والحاكم
على اهل الارض والسما بل هو اجل واعظم سبحانه
وتعالى عما يقولون الملحدون ويصفون المشركون
علوا كبيرا. وفي اقل من هذا عبرة لمن اعتبر

وفكرة لمن تفكر. ومن ترك ما كان عليه
قديما من دين اباءه واجداده واتبع السيرة المستقيمة
التي من شاهدها عيانا فقد نجا. وبلغ المنتهى وصار
من الملايكة العليا. ومن وقف عند الناموس
وما شرعاه العجل والجاموس لم يحصل له من الدين
غير الكناسة ولم ينفعه ناطقه ولا اساسه.
واهلك روحه ونفسه وحواسه. فاسمعوا معاشر
المومنين ما امرتكم به واستعملوا الصدق وحفظ
الاخوان وامروا بالمعروف وهو التوحيد وانهوا عن
المنكر وهو الشرك بمولانا جل ذكره. وصلوا الارحام
الدينية. وغضوا الطرف واحفظوا الفرج وكونوا راضيين
بافعال مولانا جل ذكره. وسلموا اموركم اليه تسلموا من
عذاب الظاهر وتنجوا من شرك الباطن وتنالوا المنزلة
العليا. واذا عبدتموه فلانفسكم مهدتم وان كفرتم
لاهوتيه فعليكم الخزي والعذاب عاجلا واجلا ومولانا

بمقدار ما يوفقه المولى سبحانه • وليس له ان يدلس
على المستجيب دينه ويستره عنه وان دلس عليه
ولستره عنه ضرورة فيكشف له وقتا آخر ويبلغه
الغاية والنهاية • وليس له ايضا ان يرد امره وتربيته
الى داع مقصر فيكسر عضوه فان فعل ذلك من قبل ان
يكشف امر ذلك الداعي ثم بان له تقصير ذلك الداعي
فله ان يعزل الداعي وينصب غيره حتى يجبر كسر
المستجيب • وليس له ان يدعوه الى نفسه في العبادة
وهو بمنزلة الفسق بالصبي وليس له منه توبة • وليس
له ان يحيد بالمستجيب الى عبادة احد من المخلوقين
ولا يدعوه الى توحيد احد من العالمين وهو القتل
بالحقيقة وليس له منه توبة الا ان يشاء مولانا جل ذكره •
والامام هو الامير وسائر الحدود بمنزلة العسكرية •
والمستجيبين بمنزلة الرعية • وفرضت طاعته عليهم
ووجبت حيث جعله المولى سبحانه قبلة لهم واماما

حتى يصلون به الى معرفة بارئ البرايا معل العلل الكل
ومبدعهم سبحانه وتعالى عما يصفون • وفهمت ما
ذكرته عن نفسك بانك تريد جمالي بخاصة جمال
الخدمة واصلاح المنطق فيه • وقلت باني كتبت في
صدور رقاعي معل علة العلل صفات العلة وطلبت
معانيه • وذكرت ان علة العلل اشارة الى السابق
في كل عصر وزمان وهو موجود في العالم وطلبت
فيه خرافات الشيوخ • وقلت بان هذه العلة وهو
السابق لا تدركه الاوهام بالتفكير ولا تختلف
عليه الازمنة بالتغيير ولا تصفه الالسن بالتعبير
مبدع من العقل والحس والوهم • والذي جمع ذلك
اعلم ان هناك علة علم لا غيره لا ذات نطق ولا سمع
كما ادعاه من ادعاه • ولا شخص وقع عليه عيان كما
حكاه من حكاه • ولا احاطة بتحقيق مكان كما سطره
من سطره • وذكرت عني ما لم اقله انا المولى

التخلف والتعذير ✱ وهي التي اجتمع عليها روسا النصرانية ✱
واكابر المتدينين بماء المعمودية ✱ من البطاركة والمطارنة
والاساقفة والاحبار الذين انطقوا بروح القدس بمدينة
القسطنطينية ✱ اعني الثلثماية وثمانية عشر رجلا
الذين يصفون انهم انطقوا بها بروح القدس وهي التي
لم تختلف جماعتكم عند اختلافهم في المذاهب في شي منها
ولا بينهم دين ولا فرقان الايمان ✱ وهي نؤمن بالله الاب
مالك كل شي صانع ما يرى وما لا يرى ✱ وبالرب الواحد
يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلايق كلها وليس
بمصنوع اله حق من اله حق من جوهر ابيه الذي بيده
اتقنت العوالم وخلق كل شي ✱ من اجلنا معشر الناس
ومن اجل خلاصنا نزل من السما وتجسد من روح القدس
وصار انسانا وحبل به وولد من مريم البتول والم وصلب
ايام فيلاطوس ابن فيلاطوس ودفن وقام في اليوم الثالث
وصعد الى السما وجلس على يمين ابيه وهو مستعد للمجي

تارة اخرى للقضا بين الاحيا والاموات ✱ ونؤمن
بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من ابيه روح
محيية ✱ وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا والذنوب
وبجماعة واحدة قديسية سليحية جاثليقية ✱ وبقيامة ابداننا
والحياة الدايمة الى ابد الابدين ✱ فمجموع هذه الشريعة
ليست مما امر بها السيد مسيح الزمان ✱ ان يجتمع ويقال
في هذه المواضع التي امر بها هولا الروسا وجعلوها سببا
لعبادة الاوثان ● بل قد امر السيد بتلاوتها الحواريين
وشرح معانيها للاحبار الروحانيين ✱ واثبتوها في
اناجيلهم وشهدوا بها بعد تبيين الاغراض لجماعة الموحدين
وهي معروفة عند معشر الحفظة الكاتبين ✱ منصوصة
في مواضعها من اناجيل الاربعة الحواريين ✱ اعني يحنا
وماثوس ومرقس ولوقا القديسيين ✱ فالواجب علينا ان
نذكر ذلك في مواضعه من الاربع اناجيل ✱ ليتادى بنا
الى الكافة معرفة التحريم والتحليل ✱ ونوقفكم من حيث

صبر * والنعم المترادفة لمن شكر * اعاننا المولى واياكم
على تادية الفرض واقامة المفترض وبه نستعين في جميع
الامور ونستنصر ونستجير * وهو نعم المعين والنصير *
تمت بحمد مولانا وحده *

الرسالة الموسومة بالتنبيه والتاديب والتوبيخ

اوصلت الى معد ابن محمد والى من معه بالقاهرة من
المقصرين في السنة الرابعة عشر من سنين قايم الزمان
فوبلت وصحت الحمد لولي النعمة ومولیها * توكلت على
مولانا الحاكم وحده * وشكرت قايم الحق عبده *
الحمد لله مرسي قواعد التوحيد وموطدها * وقامع الباطل
بالحق ومؤيده * وماحق الشرك ومذل اهله ومبدده *
وموهن كيد الخايبين * ومقيم الحجة بعدل التخيير الجاري
من فيض وليه القايم الهادي على الناكثين والقاسطين *

الدامغ بولي حقه جولات الاباطيل * المنزه عما اخترصه
اولي الالحاد من زخرف الاقاويل * الذي جعل فيه دالا
على وحدانيته بما اظهره من الايات * ودعى الى نفسه بنفسه
لا كدعوى الجدود اليه بالالفاظ المنطقيات * وسلام
على رسوله القايم بالحق واذاعة الشرع عن امره * ورحمته
على حدوده المفصحين بالتوحيد لاقامة العدل في الخليقة
كما اوجب في زمنه وعصره * الباذلين المهج في ابلاغ
ما حكم وامر * الصابرين في طاعته بمنة عليهم
على الباساء والاذاء والضرر * وخص بتوالي بركات
قدسه الامام القايم المنتظر * ورحمته على الاوليا المحقين
في الاقطار * البريين من الارتداد والجحد للحدود والتقصير
والانكار * وعلى التابعين لهم بالتسليم والاحسان الثابتين
بالصبر والهدى والايقان * اما بعد فان الواجب على
اهل الورع والديانة والتشديد الموسومين بسمة اهل
العدل والتنزيه والتوحيد * ان ينظروا بالبصاير لا



الجزء الثالث



٤١

الجزء الأول من السبعة أجزاء

كتبها بهاء الدّين المُقتَنى الذي تُنسَب إليه الرسائلُ التالية كلّها وفي الأجزاء ٣-٦. عنوانها في المخطوطات مضطرب، إنّما أصحّ العناوين ما ورد في الرسالة رقم ٧٧، وهو «رسالة الغيار الدامغة لأهل الكذب والعصيان والإصرار». موضوعها متشعِّبٌ. إنّما يشدِّدُ أكثرَ ما يشدِّد على وصايا الموحِّدين السبع، ونقض الدعائم الإسلاميّة السبع؛ ولكنّه يقتصر على سدق اللّسان وعلى مفهوم الصلاة عند الموحّدين. في الرسالة استشهادات كثيرة برسائل سبقت. وفيها كلام وجوب الكذب مع «السواد» من الناس حفظاً لسرّيّة الحكمة وكرامة أهلها.

توكّلتُ على مولانا الحاكم المنّان، وشكرتُ عبدَه قائم الزمان. الحمد لمولانا مظهرِ الكلّيّات، وغايةِ الفِكَرِ العقليّات، مبدعِ الأسماء والصفات، الحاكم بذاته على الذوات جلّ ذكره وتنزّه عن مشاكله المحدثات، وسلامه وصلواته ونوامي بركاته وأشرف تحيّاته على عبده الذي اصطفاه لهداية الأمّة، وجعله منقذَهم من العماء والظلمة، قائم الزمان، الناطق بالبيان، والهدَى إلى حقيقيّة الإيمان المنتقم من المشركين والطغيان.

إعلموا معاشرَ الموحِّدين لمولانا الحاكم المقرِّين بإمامة عبده القائم أنّه لمّا غابتْ صورةُ المعبود، وامتنع قائم الزمان عن الوجود، أيِستْ كثيرٌ من النفوس عند عدم العيان المحسوس، ووقفت قوّاتُ كثيرٍ من عالم التّوحيد

لعدم المفيد، واختلفوا في المذهب الرّشيد لقلّة خبرتهم بالمرسوم الجديد، وتشاجروا في الحلال والحرام، وقالوا هل فرَضَ الباري سبحانه على لسان الإمام فرائضاً يتمسّك بها الأنام؟! فقال بعضهم: لا بدّ للأمّة من فرائض تضبطها الأهواء المحلوله من خوف أن تربطها. ولو لم يكن ذلك لزال الحفاظ، وقلّ على المفسدين الاعتراض، وعمل بعضهم برأيه ولم يتفق مع سواه[1].

فلمّا رأيتُ ذلك وما قد وقع في نفوسهم من الإياس، وعمل بعضهم بالرأي والقياس، خشيتُ أن يُخرِجَهم طلبُ التخفيفِ إلى الراحة، وتجذبَهم الحيوانيّة إلى الإباحة، وارتكابِ ما فيه الشناعة والقباحة، وخفتُ أن يُخرِجَهم الإياس من الفرائض إلى مذهب الدهريّة، ويُتصوَّرَ، عند عدم المرسومات، أنْ ليس على جَانِي إثمٌ ولا خطيّة، فتسقطُ، عند عدم التحريم، المروّة؛ ويزولُ مِن بينهم حفْظُ الأخوّة؛ ويدخلُ الخللُ في المذهب، ويعودُ صلاحُه مستصعَب.

فتأمّلتُ كتابًا وَصَلَني مِن حضرة مولاي قائم الزمان، عليه من معبوده أفضلُ التّحيّة والسلام، يَرسم لي فيه وضْعَ الكتبِ وقراءَتَها على أهل البصائر، ويستجيزُ لي الكلامَ في سائر الاقاليم والجزائر، ويأمرني بإيضاح ما اشتكل على الطائفة من العلوم، وإشهارِ ما علمتُه من الفرائض والرسوم.

فوضعتُ هذا الكتاب، وهو الجزْءُ الأوّلُ مِنَ السَّبْعَةِ أجْزَاء[2]. تشتمل على فرائضَ فرضها مولانا سبحانَه، ذو المنّة والإحسان، ونطق بها عبدُه

---

(١) من المعلوم أنّه ليس للموحّدين فرائض دينيّة يمارسونها؛ لذلك يطرحُ كاتبُ الرسالة مشكلةً أخلاقيّة كبيرة، ألا وهي: كيف تُضبط الأهواء إنْ لم يكن لها رادعٌ من دِين؟! والظاهر أنّ كلّ واحدٍ عمل برأي نفسه. ولا شيء مفروض في الحكمة.

(٢) موضوع الرسالة إذاً قد يكون في «إشهار الفرائض والرسوم»، أي، «فرائض فرضها» الحاكم وحمزة. وما بهاء الدِّين إلاّ ناقلٌ لها.

قائم الزمان، يتلو بعضُها بعضاً، ويوضح في العقل أنّها فرضاً. في كلِّ كتابٍ ذكرُ ما يجب أن يُفرض، وإسقاطُ ما يجب أن يُسقَط، ونقضُ ما يجب أن يُنقض. ما إن تمسّكتم به آمِنْتم من الغلط، وسلِمْتم من السَّخَط. وإذا عملتم بما فرضَه عليكم باريكم، تزايدتِ النعم لديكم مِن هادِيكم، وأنِس إليكم مُناديكم، وعرفتم مَعادَكم ومبديكم. وإن خالفتم المفترَض، دخلَ عليكم الغرض، وامتنع عنكم الغَيث، وانقبض ذكرُ ما افترضه من سدق اللّسان.

إعلموا معاشرَ الإخوان، العابدين لمولانا ذو المن والإحسان، المُقرِّين بإمامة قائم الزمان، أنّ مولانا ذو النعم والامتنان، فرض عليكم سدقَ اللسان، وحفْظَ الإخوان. ويتلو هذه الخصلتان خمسةٌ أخرى. فذلك سبْعُ خصال توحيديّة. هي عوض السبع دعائم التكليفيّة النّاموسّية. فمَن عرف منكم ما فُرِضَ عليه من هذه السبع خصال بَانَ له الحقُّ مِن المحال.

فأوّلها وأعظمها السّدْق. وهو يفرق بين الباطل والحق. فلا تكونوا من الكاذبين. ولا تكونوا ممّن قالوا سمعنا وأطعْنا، وشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم[٣] –والعجل فهو ضدٌّ قايم الزمان يتشبّه به بغير حقيقيّة ولا برهان–. وقد علمتم بأنّ الإسلام والإيمان وسائر الشرايع والأديان لا تكمل إلاّ بالشروط والأعمال الصالحة. فكيف توحيد مولانا سبحانه الذي هو النهاية. فمن كان يزعم أنّه مؤمن موحِّد ولا يعمل بفرائض مولانا سبحانه، ولا يكون سادقاً في أقواله، محسناً في أفعاله، كان مدّعي التّوحيد مستعمل الشِّرك والتلحيد.

ولو علمتم ما أُلزمتم به من سدق اللسان وحفظ الإخوان لبان لكم الحقُّ من الباطل، والجحودُ من الإيمان. والإيمانُ في لغة العرب هو التسديق. فمن لم يكن سادقاً بلسانه فهو بالقلب أكثر نفاقاً وأكذب يقيناً.

---

(٣) إشارة إلى سورة البقرة ٢/ ٩٣ مع تصرّف.

واعلَموا أنّ السدق هو التّوحيد بكماله. والكذب هو الشرك والضلالة. فمَن كذب على أخيه فقد كذب على داعيه، ومَن كذب على داعيه فقد كذب على إمامه، ومَن كذب على إمامه فقد كذب على مولانا سبحانه فيستوجب سخطه. كما أنّه، إذا سدق لأخيه كان أجدر أن يسدق لداعيه، وكذلك أجدر أن يسدق لإمامه ولمولانا سبحانَه فيستوجب إحسانَه ونعمَه وامتنانَه.

واعلَموا أنّ كلَّ مَن تعوّد لسانُه الكذب فقد أشرك بمولانا سبحانه، لأنّ **الكذب** دليل على شخص إبليس اللّعين. وهو ثلثة أحرف. وفي حساب الجمّل ستّة وعشرون حرفاً: **ك**: عشرون، **ذ**: أربعة، **ب**: اثنتان: إبليس وزوجته، وأربعة وعشرون أولادهما، يقوموا مقامهما. فمَن والاهما فقد تبرّأ من المولى وحدود التّوحيد.

والسدق ثلثة أحرف: **س**: ستون، **د**: أربعة، **ق**: ماية. فذلك ماية وأربعة وستون حرفاً. منها تسعة وتسعون على حدّ الإمامة، كما قال: إنّ للّه تسعةً وتسعون اسماً، مَن أحصاها دخل الجنّة. كذلك لقائم الزمان تسعة وتسعون حدًا بين يديه، مَن عرفها دخل حقيقيّة دعوته المستجنّة بأهلها، أعني محيط بهم. وستون حرفاً دليل على ستّين حدًا للجناح الأيمن والجناح الأيسر. وأربع أحرف دليل على أربعة حدود علويّة، وهم: ذو مَعَة وذو مَصَّة والكلمة والبَاب. وهم: قائم الزمان، والمجتبَى، والرِّضى، والمصطفى. فذلك ماية وثلثة وستون حدًا. والواحد الذي يبقًا دليلٌ على توحيد مولانا ومعرفة ناسوت المُقام. فمَن عرف هذه الحدود المشيره إلى معرفة المعبود واستعمال السدق، رقًا الدرجات وفاز بالخيرات، وتبرّأ من الضدّ والكذب.

ومَن كذب على أخيه، أو حرّف عليه قولَه، فقد كذب على مولانا سبحانه، وانسلخ من إيمانه، واستحوذ عليه شيطانُه. ومَن استعمل ضدّ ما أمره به إمامُه فقد عظمت خطاياه وآثامه.

فالحذر الحذر معاشرَ الموحِّدين أن تخالف قلوبُكم ما تنطق به ألسنتكم لإخوانكم. فإنّ ذلك يسخط قائم زمانكم وهو نفس الشرك. «وإنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم»[٤].

فقد ثبت أنّ السدق دليلٌ على معرفة الحدود، وأنّه المنهج المقصود، والسبيل الأقوم المحمود. وأنّ الكذب دليل على إبليس، وأنّه القول المستفظع المفسود، وهو يؤدّي إلى الجحود والإشراك بالمعبود. وليس يلزمكم أيّها الإخوان أن تسدقوا لسائر الأمّة، أهلِ الجهل والغمّة، والعمى والظلمة، وأنْ لا يلزمكم فيه شيئا لهم.

والسدق فهو من نفس الأدب. وليس لغيركم عليكم فرضً. ولا ذلك إلاّ لبعضكم بعضً. فمَن كذب على أخيه، أو كذب له، فقد نافقه وشكّ فيه، ولا يجوز الكذب بين الموحِّدين لأنّه شكٌّ في الدِّين، وضعفٌ في اليقين. فمَن كان منكم على هذه فلينتقلْ عنها. «فَمَا عَلَى الرَّسُولِ إلاّ البَلاَغُ المُبِين»[٥].

ولا يخلو كذب المرء لأخيه من إحدى ثلث خصال مذمومة:

إمّا أن يكون أخاه قد كذب له فأراد أن يكافِئه. فالإثمُ لازمَ الاثنين والسخطُ واقعٌ بهما. والذي كذب في الأوّل لم يكذب له إلاّ وقد شكّ فيه، فكان الواجب أن يسدقه، فإن وجده كاتماً لسرّه حافظاً لأمره، وإلاّ فما أقدره على السكوت حيثُ لا يسدقه ولا يكذبه، لأنّ السكوت وقطع الكلام أصوبُ من الكذب والآثام. والذي كذب على صاحبه مكافأة على كذبه فهو مُخطٍ غير مصيب. وقد كان الواجب منه، إنْ سدقه، وإلاّ فأمسك عنه، لأنّه متى استعملتِ الطائفة المكافأة على الكذب لم يبق فيهم سادقٌ إلاّ مشرك منافق.

---

(٤) سورة لقمان ٣١/ ١٣.

(٥) سورة النور ٢٤/ ٥٤؛ العنكبوت ٢٩/ ١٨؛ المائدة ٥/ ٩٩؛ النحل ١٦/ ٣٥...

وإذا كان الأمر بهذه الصورة فما فيهم رشيد، ولا ذو رأي سديد، ولا عارف بحقيقيّة التّوحيد، وإنما الناس يتشبهون بالناس في السدق والآراء المسترجحة، لا في الكذب والأفعال المستقبحة.

ومَن كان كذبه لإخوانه لا مكافأة لهم ولا شك فيهم إلا اتّباع العادة واستجازة الكذب فهو أشقى الثلثة، وأعظمهم جرماً وأكثرهم إثماً، إذ لا احتجاجاً له يرائيه، ولا غدراً له يَليه. فما أقبح بالمرء كذبُه. إذا كُشف عنه كان سبباً لوكسه. وليس لأحدٍ من الموحِّدين فسْحُه في الكذب لإخوانه إلاّ أن يكون هناك ضدٌّ حاضر، لا يمكن كشفُ الأمورِ إليه، ولا شرْحُها بين يدَيه. وإنْ أمكن الصمتُ فهو أحسن، وإنْ لم يمكن فلا بأس أنْ يُحرِّفَ القولَ بحضرته، أعني الضدّ. ويجب عليه أنْ يرجِع يسدقَ الحديثَ لإخوانه بعد خلوّهم من الشيطان.

ولا بأس بالسدق فيما لا يضرّ عند الأضداد، لأنّه يرفع. وهو ضرْب من ضروب الجَمال. لأنّ مَن رخّص لنفسه في الكذب خِيفَ عليه أن يتعوّدَه لسانُه، وينطق به عند إخوانه. واستعمالُه على كلِّ حال مذمّة ومعد. وإنما رخّصنا بذلك عند الأضداد، إذا كان يأولُ أمدُه إلى مضرّة، مثل أنْ يكون أحدكم قد قتلَ رجلاً من عالَم السَّواد، فإذا سأله عن ذلك جاز أنْ لا يُسدقَهم، وألاّ يُحقّقوا عليه القتل بإقراره، وأقاموا عليه الشهادة بقلّة إنكاره. وما أشبه ذلك، مثل أنْ يكون قد أُخذ لأحدكم شيء أو غصبه على ربحٍ أو مال؛ أو كان للضدِّ عنده دَين بغير وثيقة أو وديعة بغير بليّه، وكان مُعسراً عن وفائه غير واصل إلى رضائه، يجوز له الإنكار وقلّةُ السدق عند الإعسار، خِيفةً من ثبوت البيّنة عليه، ومطالبته بما لم تصل يده إليه. وإن كان ذو يَسار، لا فاقه به ولا إعسار، فلا بأس أن يسدقَه، لأنّه لا ضرر ولا إضرار، وليس للحطام من المقدار، أن يفسد المعاملةَ في الدّار. وإنما سهّلنا هذه الصورة إذا دعتْ إليها الضرورة.

وأمّا جماعة الإخوان الموحِّدين التابعين المخلصين السادقين المتحافظين الناجيين من شبكة إبليس اللّعين، فما بينهم خلف في دنيا ولا في دين. وإذا كان لإحدهم عند أخاه مال، وَعَلِمَ إعسَارَه صبرَ عليه، وإن سألوه الزيادة دفع إليه. فهذا مع اعساره لا ينكره، وذاك لعلمه بسدقه أبدًا يعذره.

فقد شرحتُ لكم ما أوجَبه مولانا جلّ ذكره من سدق اللسان وما رخّص لكم فيه مع الإخوان وهي الفريضة الأوّليّة عوضاً من الصلاة.

***

وسأبيّن لكم نقضَ الصلاة، ظاهراً وباطناً من حكم مولاي قائم الزمان عليه أفضل التحيّة والسلام، والرخصةَ في تركها، والصلاةَ الحقيقيَّةَ الواجبةَ عليكم دون غيرها، التي نطقتِ المجالسُ الباطنيّة بالإشارة إليها حيث تقول:

معاشرَ المؤمنين، إنّ العالم بين ظاهر وباطن مختلِفين، وحكمةٍ أخرى يشار إليها، وتُستَر عن الجاهلين، وهو القسم الثالث الذي أشار إليه النطقاء والأسس وإئمتُّهم واللّواحق بهم، وهو توحيد مولانا سبحانه.

ذكرُ الصلاة ونقضها ظاهراً وباطنا. وقد روى كثير من المسلمين عن الناطق أنّه قال: مَن تركَ صلاتَه ثلثاً متعمِّداً فقد كفر. وقال: مَن ترك صلاته ثلثاً فليمُتْ على أيّ دين شاء. وقد رأينا كثيراً من المسلمين يتركون الصلاةَ، أي صلواتٍ بكثرة، ومنهم مَن لم يصلِّي قط، ولم يقعْ عليه إسمُ الكفر. فعلِمنا أنّه بخلافِ ما جاء في الخبر. وقد اجتمع كافَّةُ المسلمين أنّ المصلِّي بالناس صلاتُه صلاة الجماعة، وفعلُه فعلهم، وقراءتُه قراءتهم، حتّى لو سهَا في الفرض الذي لا تجوز الصلاة إلاّ به، كان عليه الإعادة مثل ما عليه. فإذا كان رجلاً مصلِّي بالناس يقوم مقام أمّتِه، أمّمتْ به وتكون صلاته مقام صلواتهم. فكيف مولانا سبحانه الذي لا يدخل في عدد التشبيه، وقد

أقام قبل غَيبته سنيناً بكثرة لم يصلِّي بالناس، ولا صلّى على جنازة، ولا في عـيـد، ولا نَحَـر النَّحـر الذي هو مَـقْـرون بالصـلاة، بقـوله: «فَـصَلِّ لربِّكَ وَانْحَرْ»[٦]. فلمّا رأينا مـولانا سبحـانه قد بطّل ذلك بعد مظـاهرته للعالم به، علمنا أنّه قد نقضَ الحالتَين جـميعاً: الصلاةَ والنَّحرَ، وأنّ لعبـيده رخصةً في تركهما إذ كان إليه المنتهَا ومنه الابتدَا.

فهذا ظـاهرُ الصلاة ونقضُ المألوف منها. وأمّا البـاطن فقد سمـعتم معاشر الموحِّدين بأنّ الصلاة هي العهد المألوف. وسُمّي صلاة لأنّه صلة بين المستجيبين والإمام، يـعنوا علي ابن أبي طالب. واستدلُّوا بقوله: «إنّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْـشَاءِ وَالْمُنْكَر»[٧]؛ لأنّ مَن اتّصل بعهـد علي ابن أبي طالب نهاه عن محبّـته أبي بكر وعمر، وذكروا أنّهمـا الفحشاء والمنكر. وقد رأينا كـثيراً من الناس قـد اتّصلوا بعـهد علي ابـن أبي طالب، وهم على مـحبـة أبي بكر وعمر، ويمضـون إلى معاوية، ويتركون علي ابن أبي طالب.

وذكرتِ المجـالسُ الباطنيّة أيضـاً أنّ العهد المألوف في عـصرنا هذا، قبل غيبـة مولانا جلّ ذكره، كان الصلة بين المستجيـبين وبينه، وأنّ الفحشاء والمنكر همـا أبي بكر وعمـر. وقد اتصل بعـهد مولانا جلّ ذكـره المألوف في مظاهرته لعبـاده بذلك خلقٌ كثيرٌ لا يحصـيهم إلاّ هو سبحـانه، ولم يرجعوا عن محبة أبي بكر وعـمر، ولا عن خلاف مولانا سبحانه، وعـصيان أوامره. فصحّ عندنا أنّ هذا بخلاف ما سمعناه في الباطن.

ورأينا مولانا جلّ ذكـره قد نقض الباطن لأنّـه أباح لسائر النواصب إظهار محـبة أبي بكر وعمر. وقـرئ بذلك سجلاً على رؤوس الأشـهاد يقال فيه: «مَن أراد أنْ يتختّم في اليمين أو في الشـمال فلا اعتراضَ عليه»، فعلِمنا

(٦) سورة الكوثر ١٠٨/٢.

(٧) سورة العنكبوت ٢٩/٤٥.

أنّه جلّ ذكره أسقط الباطن مثل ما أسـقط الظاهر، إذ جعلهما في الحدّ سواء. فنظرنا مـا ينَجّينا من الحالـتَين جميـعاً، ويخلّصنا من الشـريعتَين سـريعاً، ويدخلنا جنّة النعيم التي هي دعوة القائم قائم الزمان.

فعلمنا أنّ الصلاة الواجبة علينـا وَعَليكم في خمسة أوقات هي صلة قلوبنا وقلوبكم بتـوحيد مـولانا جلّ ذكره، على يد خـمسة حـدود: ألسابق، والتالي، والجَدّ، والفَتح، والخيال، وهم مـعرفون موجودون في عصرنا هذا. فمَن تركـها ثلثً على يـد ثلث، وهم ذو مَعَة وذو مَـصّة والجناح، فـقد كـفر وارتدّ وجحد، لأنّ الجحود للنعم هوالكفر بها.

والفحشاء والمنكر هما الشـريعتَين: الظاهر والباطن. فمَن وصل قلبه بتوحيد مولانا جلّ ذكره ولا معبود سواه، نهاه توحيدُه جلّ ذكره عن التفاتهِ إلى الشـريعتَين ونظرِه إلى ورائه وانتظاره للعـدم المفقـود الذي لم يصـحّ له وجود. فهذه الصـلاة الحقيقيّة التي فُرضتْ عليكم حـقًا. وهذا سدق اللسان الذي ألزمتم به سدقاً.

***

وأنا أبيّن لكم الستّ فرائض التي تتلوا سـدق اللّسان، ونقْضَ الست دعائم التي تتلوا الصلاة ظاهراً وباطناً، وإقامة حقيقيّتها، بتوفيق مولانا جلّ ذكره.

فالحذر الحذر معاشرَ الإخـوان الموحِّدين، بعد سماع هذه الفرائض التّوحيـديّة ونقض الدعائم التكليفـيّة الناموسيّـة، أنْ يتكلّم أحدٌ منكم بالرأي والقياس، ولا يوقِع في نفسه من ظهور مولانا جلّ ذكره الإياس، ولا تظنون

أنّ الشـرائع تمتـدّ على مـا مضت به الادوار والاكـوار، ولا تقـيم الاسـابيع والاعصار بقدرة مولانا الواحد القهّار.

فقد قال مـولانا المعزّ: أنا سابع الأسبوعَين، والواقف على البَـيعتَين، ولا أسبـوع بعـدي. فأعنَى بالاسـبوعَين الشـريعتين: الظاهر والبـاطن، لأنّ شريعة المهدي سعيد بن أحمـد هي سابع الشرائع الظاهرة، وشريعة أساسِه قدّاح التأويلي هي سابع الشرائع البـاطنة. وقوله الواقف على البيعَتَين أعنَى أنّه حضر ووقف على بيعة الناطق والاسـاس. وقوله: ولا أسبوع بعدي ولا شريعـة تتمّ بعدي، أعنَى بذلك إظهـار محض التّوحـيد، وهو توحيـد مولانا الحاكم جلّ ذكره.

أعنى: لا تتمّ بعدي الشرائع أسبـوع، ولا مظاهرة الإمام أسبوع، لأنّ بعـد تمام النطقاء سـبعـة والأسس سـبعـة، انتهت أدوار الشـرائع الظاهرة والباطنة، وتجلّى مولانا جلّ ذكره بالملك والبشريّة، وتظاهر للعالم بالمقامات المرئيّة، والمشافهة بالوعيّة، من بيت الإمـامه، فجاء بصدٍّ الشرائع وما يخالف قوانينهـا لأنّ قوانينهـا على حالة واحدة، لا تتـغير. دلّ عـلى ذلك انّها تحت أحكام الفلك أسابـيع مثلّثة. وكلُّ شيءٍ إذا بلغ سـبعةً انتـها ووجب تغيـيرُه وحدوثُ غيره.

فمن ذلك الأيّام سبعة، فإذا انتهى العدد إلى آخرها، عاد تغيّر ورجع إلى الأوّل، دليل على أنّ الأسابيع، إذا انتهت، حدث غـيرها. وكذلك السموات سبع والأرضِين سبع، والاقاليم سبع، وطول الانسان بشـبره سبعة أشبار، وكذلك عرْضه سبعة أشبار، وشبرُه بأنامله سبعة، وفي وجهه سبعُ خروق. وكذلك النطقـاء سبـعة، والأسس سبـعة. وبين كلٍّ ناطق وناطق سـبعُ أئمّة. ومثل هذا كثير ما لا يحتمله الكتاب.

وكلٌّ سبعة في الآفاق حروفها ثمانية وعشرين حرفاً: ألطوالع: زحل مشترى مرّيخ شمس زهرة عطارد قمر[٨]. فذلك ثمانية وعشرين حرفاً. ألنطقاء: آدم نوح أبرهيم موسى عيسى محمد سعيد. فذلك ثمانية وعشرين حرفاً. ألأسس: شيت سام إسمعيل يوشع شمعون علي قدّاح. فذلك ثمانية وعشرين حرفاً.

وتظاهر مولانا سبحانه قبل غَيبته بلباس السواد سبعَ سنين، وتربيته الشعر سبع سنين، وسجْنِ النِّساء سبعَ سنين، وركوبِ الأتان سبع سنين. كلّ ذلك إشارة إلى ما نحن فيه. لم يغيّر لنا سبحانه ما ألِفناه، لعلمِهِ بقلّة إدراكنا لما تجري به العادة، رحمةً منه علينا وإحساناً إلينا:

ولباسُ السواد كان إشارة إلى الغيبة، وأنّ المحنةَ والظلمة تُقيم بعد غيبته سبع سنين على أوليائه وعباده.

وتطويلُ الشعر كان إشارة إلى استتار الإمام، لأنّ الرأس عندهم بمنزلة الإمام. فلمّا أشار إلى ذلك علمنا أنّ الإمام يستتر سبع سنين.

وسجنُ النساء كان إشارة إلى إسكات الحدود. ومِن ذلك الأربع الحرم تُعرف بحرم الإمام. وكلٌّ شيء أشار لنا به وجدناه ولقيناه.

وركوبُ الأتان فقد جمع به مطلوبات العالم؛ لو علموا مطلوبهم كان اليهود والنصارى ينتظرون مطلوبهم في الصورة التي غاب فيها مولانا سبحانه، فظهر للجميع ولم يعرفوه. وفي ركوب الأتان من الإشارات ما يقنع سائر الفرق.

---

(٨) مرّيخ، يحسب حرف الرّاء مرّتين.

والفرج بمشــيَّتِه قريب. وقــد مضىَا من المحنة أكثــرُها وبقي أيسرُها. فأبشروا مــعاشرَ الإخوان الموحِّدين، وبشّــروا إخوانكم، واحذروا من القنط والضجر، واصبــروا فإنّ العاقبة لمن صبر، والنِّعمَ المــترادفة لمن شكر. أعاننا المولى وإيّاكم على تأدية الفــرض وإقامة المفتــرض. وبه نستعين في جــميع الأمور ونستنصر ونستجير. وهو نعم المعين والنّصير.

تمّت بحمد مولانا وحده

٤٢

الرسالة الموسومة

بالتنبيه والتأنيب والتوبيخ والتوقيف

كتبَ هذه الرسالةَ بهاءُ الدين، سنة ٤٢١ هـ إلى معْد بن محمّد، وطاهر بن تميم. وهما داعيان تزعزع إيمانُهما بعد غيبة الحاكم. ويقصد بهاء الدين تمكينَهما في الإيمان بالتّوحيد. في الرسالة توبيخٌ وتأنيبٌ لمن تعامى عن التّوحيد وآياته الساطعة. فيها كلام على حريّة الإنسان وتخيير الله له «ليقوم العدل في الخليقة ويصحّ الثواب والعقاب». كثيراً ما تستشهد الرسالة بآيات القرآن لتدعم حجة التّوحيد.

أُوصِلَتْ إلى معد ابن محمّد وإلى مَن معه بالقاهرة من المقصِّرين، في السنة الرابعة عشر من سنين قائم الزمان. قوبِلَتْ وصحّتْ. ألحمد لوليّ النعمة ومُوليها. توكّلتُ على مولانا الحاكم وحده. وشكرتُ قائم الحق عبده.

ألحمد للّه مرسي قواعد التّوحيد وموطّده، وقامعُ الباطل بالحقّ ومؤيّده، وماحِقُ الشرك ومذلُّ أهله ومبدده. وموهن كيد الخائبين ومقيم الحجّة بعدل التخيير الجاري من فيض وليّه القائم الهادي على الناكثين والقاسطين، الدامغ بوليّ حقّه جولات الأباطيل، المنزّه عمّا تخترصه أولي الإلحاد من زخرف الأقاويل، الذي جعل وليّه دالاً على وحدانيّته بما أظهره

في الآيات. ودعى إلى نفسه بنفسه لا كدعوى الحدود إليه بالألفاظ المنطقيّات.

وسلامُه على رسوله القائم بالحق وإذاعة السرّ عن أمره. ورحمته على حدوده المفصحين بالتّوحيد لإقامة العدل في الخليقة، كما أوجب في زمنه وعصره، الباذلين لُمَهَجِهِم في بلاغ ما حَكَمَ وأمَر، الصابرين في طاعته بمنِّه عليهم على البأساء والأذا والضَرر، وخصّ بنواهي بركات قدسه الإمام القائم المنتظَر. ورحمتُه على الأولياء المحقِّين في الاقطار، البريّين من الارتداد والجحد واللدد والتقصير والإنكار. وعلى التابعين لهم بالتسليم والإحسان، الذابّين بالصبر والهدى والإيقان.

أمّا بعد فإنّ الواجب على أهل الورع والديانة والتسديد، الموسومين بسمة أهل العدل والتنزيه والتّوحيد، أن ينظروا بالبصائر لا بالابصار، ويعتبروا بمقدِّمات الحكمة ما قد غبر من الدهور والاعصار، وأن يتأمّلوا خلل ما فرّطوا فيه فيسدّوه، ويستدركوا بالحقِّ ما أترفوا فيه وأغفلوه، ولا يكونوا بمعزل عمّا وجب على كل مربوب، ولا يظنّون أنّ غيرهم هو المطلوب. كلاّ. بل فقدْ، واللّهِ، أظلّتكم يا هؤلاء أشراطُ القيامة، وأنتم غفول لا تنزجرون عمّا أنتم عليه من اللدد بمحكم الآيات، ولا تتّعظون وتقصّرون عن قذف أولياء التّوحيد بما تقدّم لكم من الاشارات.

إذا وُعِظتم بمواعظ الحكمة سَنَحَ القول على أذانكم سَنحا، وإذا دعاكم داعيا إلى التّوحيد مضَا الكلام على عقولكم صفحا. أنَسيتُم شروطَ الدين وأعلامَه أم تعاميتم عن يوم القيامة وأحكامه. ما لكم لا ترجُون للّه وقاراً، وقد خلقكم أطوارًا تتبارزون في مضمار البهت والجهل، وتتوازرون على مذمّة أهل الدين والفضل. قد مُسِختم وأنتم لا تعلمون، وتبيّن من عقائدكم ما كنتم له تكتمون. وأنتم عنه في غمرة ساهون.

ألم تؤمَروا في سجلٍّ مكرّم، عن الأمر العالي الشريف المعظّم، بحملِ السلاح في جميع الأماكن حزَمًا للكبير والصغير والقريب والبعيد في الحرَم الأمين، إشارة إلى إظهار التّوحيد، والتصريح بالتسبيح والتمجيد، كما تقدمت الإشارة لكم في زمن التقيّة والستر، مثبت في مسطور الحكمة والذكر: مَن ألقَا سلاحَه فهو آمن. ومَن غلَق بابَه فهو آمن. ومَن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. أي أصمتوا عن الكلام واغمدوا سيف اللسان إلى أن يؤذن لكم بالايضاح والتبيان. وأنتم عن هذه الحِكَم غُفُولٌ سكارى، وعن حقائق الأوامر مذبذبون حيارى. فقد بانَ الحقّ لذي عينَين، وانكشف عن قلوب أهله كلُّ رَيْن. وأنتم عن التذكرة معرِضون وبمرضِ أفهامِكم مختبَلون.

يحقّق ما ذكرتُه ما تُلي عليكم في السجلّ الكريم عن الأمر العالي العظيم إلى كافّتكم: وهو فأنتم من جهل حقوق الإياله في سكرة، ومن عَمَه البصائر عن واجبات الأمانةِ في غَمرة، وعن أداء فروض النعم بمعزل، ومن ضلال التميز في تيهٍ مُشكَلٍ، ومن مرض القرائح في داءٍ مُعْضَلٍ. يعزّ دواكُم، وَيُبْعَد لنقصِ الطبائع شِفَاكم.

أتراكم تَظنّون أنَّ هذا التوبيخَ وصعوبَةَ المَقَال، للكتّابِ والعمّال، في جمع الأموال، أم للجندِ والأتراكِ في المزاحفةِ والقتال. كَذبوا العادلون باللّه وضلّوا ضلالاً بعيداً. فَسَنُبصِر وتُبصِرون بأيِّكُمُ المفتون، بأنَّ وليَّ الحقِّ هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدِين. وأيضاً إشارةٌ لأهلِ الديانة العارفين وحجّةٌ على يهودِ هذه الأمّة المختلفين.

قد سَمعتِ الكافّةُ ما تُلي في الخُطبةِ المشهورةِ بجامعِ القَرافَة، وهو: عبادُ اللّهِ إنَّ الصومَ قد تقرَّضَ وذَهَبَ، والفطرَ قد تعرَّضَ واقترَب. فهلْ يَخفى هذا إلاّ عَلى ضالٍّ خائبٍ، أو مدّعيٍ للدين في قوله كاذب!.

ثمّ أتى بما يُخرسُ ألسنةَ المباهتين، ويَجُدُّ أثَلَةَ المعاندين، ويُكْبِتُ الصّادّين عن الحقِّ وسبيله المارقين، خروجُ السجلّ المكرّم الرفيع، عن الأمر السامي المنيع. وهو أميطوا عن نفوسكم مواردَ الخوفِ والنَفَار، وأزيحوا عنها فسادَ التخيّلِ والاستشعار. وتحقّقوا أنّ أميرَ المؤمنين قد أوقفكم موقفَ التخيير، وكفاكم في اعتقاداتِكم مؤونَة التخفّي والتستير، ليخلص كلُّ عاملٍ منكم في العمل، ولا يركنَنَّ في العدول عمّا يراه ويدين به إلى أسباب الموانع والعِلل.

فقد ضيّق أميرُ المؤمنين عذرَه في ذلك بتبليغه إيّاه كنهَ مرادِه، وحضَّهُ على إظهار اعتقادِه، آمِناً من يدٍ تنبسطُ بإساءةٍ إليه، ساكناً إلى ذمّةٍ لا يُعْدَا فيها عليه.

فليبلّغِ الشاهدُ الغائب ليشتهر علمُه في الخاص والعام، ويكون ذلك عبرةً في الأنام. وتبقى حكمته على غابر الأيام. فتأمّلوا هذا القول يا هؤلاء، وتدبّروا معانيه. ألم يقلْ لكم تحقّقوا أنّ أمير المؤمنين قد أوقفكم موقف التخيير. فهل في العدلِ سوى التخيير؟ وقوله: وحضَّه على إظهار اعتقاده. أتراه يحضُّه على إظهار الحق والعدل، أم يحضُّه على إظهار الباطل والجهل.

أللّهمَ! إلعنْ مَن جَهِل هذا الامر، فعميتْ بصيرتُه، ولجأ إلى اختياره دون اختياركَ له، فظهرتْ سريرتُه. ويقول في هذا الفصل: ليشتهر علمُه في الخاص والعامّ، وتبقًا حكمته على غابر الأيّام. أتراه يأمر بإشهارِ إرادته، أم هذا القول كلُّه عبثًا؟ تعالى اللّه عن ذلك. وقوله: وتبقًا حكمتُه على غابر الأيّام. أترى الحكمة الباقية فيما أظهره من توحيده كما حكم وأمر، أم في إظهار محبّة أبي بكر وعمر، لعن اللّه المختلِفين، وخزى الجاهلين.

ويقول في هذا الفصل: ليخلص كلُّ عامل منكم في العمل ولا يركنَنَّ في العدول عمّا يراه ويدين به إلى أسباب الموانع والعلل. أتراه يأمر

بإخلاص التّوحيد وإظهاره، أم باخلاص عقيدة الشرك واستتاره؟ ويقول فيه: قد ضيّق أمير المؤمنين عذرَه في ذلك بتبليغه إيّاه كنه مراده. أتراه ضيّق عذره وبلّغه كنه مراده ليخدعه فيما أمره به، أم هذا القول كلّه عبثاً؟

لا بدّ من إحدى هذين القولَين، أو الثالث الذي هو إرادته. أبعَدَ اللّه الناكثين، وصغّر خدود المارقين. وإذا كان ذلك صحيح وهو مشهور من خروج الامر العالي بهذا السجل المعظّم المحتوي على هذا الدرّ المنظّم. فكلٌّ مَن خالفه وستر بعد هذا الأمر مذهَبَه فقد خلع ربقةَ الإيمانِ من عُنقه وعصى وخرج من جملة أهل التّوحيد، إذ خالفَ أمرَ العليِّ المجيد.

فإنْ قال قائل: إنّ أمرَ الباري جلّت قدرته لا يَقدِرُ الخلقُ على ردّه. فإن كان قد أمر بذلك ونهى عن غيره، ولم يقبل ذلك الأمرَ والنهيَ، فهذا بعض الضعف أو كلّه. يقال له: قد جهلتَ أمرَ الباري ونهيَه جلّت آلاؤه، إذ لو كان أمرُه حتماً ونهيُه جبرًا، لم يشكّ فيه أحدٌ وأطاع الخلقُ بأسرهم. وإذا كان ذلك كذلك سقط التفاضل. وعند سقوطِه يبطل الثوابُ والعقاب. ويتحلّل معاقدُ الديانات. وكان الخلقُ سدىً. وحاشا لله. بل أمرُه جلّت آلاؤه تخيير، ونهيُه تحذير، ليقوم العدل بالتخيير في الخليقة. ويصحّ الثواب والعقاب الموعودان في يوم القيامة على الحقيقة.

فقد صحّ عند من أنصفَ نفسَه أنَّ أمرَ الباري جلّت عظمتُه على هذا المعنى كما جزى، وإن أنكره بالجهل جميعُ الورى. وقد ثبت عن الكافة خروجُ الأمر العالي بالتخيير بإظهار المذاهب و إظهار أهل العزائم الصحيحة والنفوس الزكيّة الصريحة عقائدهم في التّوحيد، طاعةً لأمرالحكيم الحميد، حين قعد عن الإجابة المبطلون، وخالف أمرَ الباري المموّهون، وتبيّن أنّهم لهذه المنزلة مدّعون، إذ لم يقبلوا أمرَ الباري ويطيعون. «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ»[٩].

(٩) سورة التوبة ٩/ ٣٠؛ سورة المنافقون ٦٣/ ٤.

والباري جلّت آلاؤه يمنع أولياءَ وليّه منهم، ويُقيمُ الحجّةَ على مَن خالفه وتعدّا أمرَه فيهم، والأمرُ، تاللّه، يا أمّةَ السوء، غيرُ ما توهّمتموه، وخلافَ الذي اعتقدتموه، ليحقّ عليكم العذابُ بما أُمِرْتُم به وأغفلتموه، وتقوم الحجّة عليكم بما صددتُم عنه من الحق وبهتموه.

وإنِ اعترض آخر من المارقين، وذكر أنّ هذا الأمرَ إنما قِيل للمسلمين لا للمؤمنين، يُقال له: إنّ الإسلامَ هو أعمّ من الإيمان؛ وإنما خوطب الكافّة بالأعم لا بالأخصّ، لئلا يكونَ للناسِ على اللّهِ حجةٌ في أمرِه. بل لا حجّة عليه بعد رسلهِ. وأيضاً فإنّ الحجّةَ على الرّادّين على مَن صرّح بالتّوحيد، وامتثلَ أمرَ الحكيم المجيد، معروفةٌ يوحيها عدلُ الباري جلّت آلاؤه، إذ كلُّ مَن يعتقد مذهبَ التّوحيد قد قامت عليه الحجّة به بالبرهان العلمي. وكذلك المقصِّرين ممّن سمع الحكمة وقُرئَتْ عليهم مجالس الرحمة قد قامت الحجّة بها عليهم.

ولمّا قرّب الباري جلّت آلاؤه اليومَ الموعود، وظهورَ الشاهد والمشهود، أنكر المبطلون، وصَعُبَ قُرْبُ الوقتِ على الجاهلين. وذلك قوله في المسطور: «يَومَ تَجِدُ كلُّ نفسٍ ما عملتْ مِن خيرٍ مُحضَراً، ومَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَو انّ بَينَهَا وبَينَهُ أمَداً بَعِيداً»[١٠]. ومن قَسَمِ الإمامِ المسْطُور:«لا يَنفَعُ نفساً إيمَانُها إنْ لمْ تَكُن آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أو كَسَبَتْ فِي إيمَانِهَا خَيراً»[١١].

أُجري العدلُ في بقيّة خليقتِه لتكونَ الحجّةُ قائمةً بالعدل الذي هو التخيير على كافّة بريّتِه. فأرسلَ رسُلاً صرّحوا بالتّوحيد قولاً على سبيلِ التخيير ليسمعه القاصي والداني، ويُجري على مسامعَ مَن لم يسمعِ الحكمةَ في هذا العصر من القريب والنائي، حجّةً عليهم وإقامةَ العدل بالتخيير فيهم، إذِ العدلُ يُوجِبُ أنّ جميعَ العالم قد قامت عليهم الحجّةُ في مقدّمات الاعصار،

(١٠) سورة آل عمران ٣/ ٣٠.

(١١) سورة الأنعام ٦/ ١٥٨.

وإنما قعدوا عن الإجابة لجحدهم للحقِّ وإنكارِهم للتوحيد في جميع الادوار. وتكرارُ ذلك لئلا يكون للناس، كما قال، على اللّهِ حجّةٌ بعد الرسل.

فهذه الحجّة قد قامت على أهل العقل بالحِكمة والشاهد والدليل، وعلى من دونهم بالتصريح بالتّوحيد والدعوة إليه بالتخيير والقول الثقيل. «وإنَّه لَعِلْمُ الساعة فلا تمترُون بها. واتّبعوا في هذا صراطاً مستقيم»[١٢]. «وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِيْنٍ»[١٣]. «وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إلاَّ البَلاَغُ المُبِين»[١٤].

وأنَا أذكرُ لكم ما ألِفتموه وهو معروف عن الكافةِ من العباد، ومشهور على رؤوس الأشهاد، إشارةً إلى التّوحيد، وتعريفًا للطالع الرشيد، ما خرج به الأمر العالي من وقوف الكافة على فرد الجانب الأيمن في أوقات السلام، وتفريد الأسطر في رقاع الحوائج لجميع الأنام، وما يخرج من العطايا على الفرد من بيوت الأموال، وتفريد من يدخل إلى الحضرة المقدسة وما يظهر من النساء والرجال، وما أمروا به من تفريد جميع الأشياء من الأقوال والأفعال، وما خرج به الأمر العالي من رفع المعجم من الكتّاب والحسّاب، إشارة إلى الإيضاح والإعراب، ودلالة على الإفصاح بتوحيد الإله الرحمن، وتَعْفِيَةً لزمنِ السترِ بإظهار البيان.

كلُّ هذه دلائل على التّوحيد، وإشارة إلى تنزيه الحكيم الحميد.

فأمّا ما احتجّ به مَن لا بصيرة له بمواردِ العلم ومصادرِه، ولا معرفةً بأوائلِ الكلام وأواخره، مِن قولِ المجلس المكرّم، يوشكُ أن يُرفَعَ العلمُ ويَظْهَرَ الجهلُ. فقد سَدَقَ اللّه جلّتْ آلاؤه. وهذا هو الحق والعدل. إنما هذه

---

(١٢) سورة الزخرف ٤٣/ ٦٠ بتصرّف.

(١٣) سورة ص ٣٨/ ٨٨.

(١٤) سورة النور ٢٤/ ٥٤؛ ٢٩/ ١٨..

الإشارة للأتقياء الموحِّدين لا للأشقياء الملحدين، في قوله: يوشك أنْ يُرفَعَ العلمُ، أي يرتفع المعلوم المألوفُ من العلمِ الشرعي لتمام الأمر. وَيَظهَرَ الجّهلُ، أي المجهولُ المنكورُ من توحيد الباري جلّتْ آلاؤه ببركةِ هذا الزمان والعصر.

إذ كلُّ مَنْ تَحَقَّقَ مذهبَ الإمامةِ وعرفَ قَطْعَ كلِّ شريعةٍ في رأس كلِّ دورٍ فيما تقدّمَ بِسوَاها وَعَلِمَ أنَّ الإشارة إلى دورنا هذا، وهو دور صاحب القيامة، لا يُخْلِجُهُ الشكُّ، فيما أمَرَ بهِ مولانا سلامُ اللّهِ على ذِكره، وأوضحَ بَيِّنَةً لأولياءِ وليِّهِ الطائعين، وأوضحَ مِن رَفْعِ الزَّكاة، والقرابين، وعيدَي الأضْحا والفطر، وإبطالِ الخُطبَة بالجامعِ الأزهرِ، وَقطْعِ الحجِّ والنَحْرِ، وإنَّهُ استئنافُ دورٍ جديدٍ، وإعلانٌ بالكلمةِ إلى التّوحيد.

وأيضاً يُرْفَعُ العِلْم، أي يَرتفعُ قَدْرَ علمِ التّوحيد بشرفهِ وحقيقيّتهو وَيظْهَرُ جهلُ العالمِ به ليصحّ بذلك عدلُ الباري جَلَّتْ آلاؤه في خليقته، إذ لو رُفِعَ العلمُ، أي لفضلِهِ لم تَقُمْ حجّتُهُ على العوالمِ. وكانَ العَالَمُ بأسرِهم لإبطالِ العلمِ في الجهلِ معذورين غيرُ محجوجين، وعلى تخلّفِهم عن طلب العلم غيرُ معاقَبين.

فقد فَلَجَتْ حُجَّةُ الحقِّ بالبرهانِ والعدلِ الفائض المكنونِ على الذين «رَانَ عَلَى قُلوبِهِمْ مَا كَانُوا يكسِبُون. كَلاّ. إنَّهُم عَنْ رَبِّهِم يَومَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ. ثُمَّ إنَّهُم لَصَالُوا الجَحِيمِ. ثمَّ يُقَالُ لهُمْ هَذَا الذِي كُنْتُم بِهِ تُكذِّبون»[١٥]. «فَهُم فِي غَمرَةِ الضلالة مُتَوَرِّطون «وَفِي كلِّ وادٍ يَهِيمُون»[١٦]، وللحقّ يدفعون. «قَاتَلَهُمُ اللّهُ أنَّى يُؤفَكُون»[١٧]. قد عميتْ بصائرهم لطولِ الأمدِ عن الحقِّ لقطعِ

(١٥) سورة المطففين ٨٣/ ١٤-١٧.

(١٦) سورة الشعراء ٢٦/ ٢٢٥.

(١٧) سورة المنافقون ٦٣/ ٤.

خَنَاقِـهِ وحلِّ الغدر، وَنَسِـيُوا قَـسَمَ الإمامِ في المسطور مِن قـوله: «يومَ يدعُ الدَّاعي إِلَى شيءٍ نُكرٍ»[١٨].

فقـد أنكروا الحقَّ بعـد الإقرار به والتـحقـيق، وباينوا أهله بالسَـفه والرِدّة فقاموا مع أهل الخلاف على أهلِ التّوحيد والتسديق. كأنْ لم يسمعوا ما نطقت به حكمـاء الديانة، وما لَخَّصَـتْهُ مجالسُ الرحـمةِ للموقنين بالعـهد والأمانة، كأنّا وإيّاكم جـميعًا رَكْبٌ جَـمَعَتْنَا رِحلَةُ فأظلَّتْنا ليلةٌ مَـهولةٌ ظلماءُ موحِشَـةٌ مع دروسِ آثارٍ وانطماسِ أعلامٍ. وجَدَّ بنا فيـها السَّيرُ وصبحَـتُها القـيـامة. سُبُلُهـا شيء يورِد الهَلَـكَة إلاّ واحدةٌ ناجـيـةٌ على سـبـيل الجنّة والسلامة.

وفيه أيضاً: ولا تضلّوا في ليلتكم المهوله، فـإنّ صبحتكم دارٌ لا إقالة فيها ولا مسـتغاث. فانظروا لأنفسكم قبل انقضـاء المدّة. أفترى عند الأعلاج والأغتـام، وأولادِ السِفَـاحِ والحرام، السبـيلَ الواحدة الناجـية؟ أم هم الذين دُعُوا إلى توحيدِ الباري جلّتْ آلاؤه، فـأجابوا أمرَه وأطاعوه؟ أم الذين عَصَوه فيهم فـقتلوهـم وكذّبوه؟ أللّه أَذِنَ لكم بهذا، أم على اللّه تَفـترون؟ ألا لعنَةُ اللّهِ علَى الظَّالمِين»[١٩]، وخزيُهُ وَسَـخَطُهُ على الناكثين المختلقين. «وَيَومَ (القـيامة) تَرَى الَّذينَ كَـذَبُوا عـلَى اللّهِ وُجُـوهُهُم مُـسـوَدَّةٌ. أَلَيـسَ في جَـهَنَّمَ مَـثْـوىً للمُتَكَبِّرِينَ»[٢٠].

فهم واللّهِ الذين قيل فيهم:

إنَّ الشَّـقِيَّ إذا قَـلَّـتْ أمَـانـتُـهُ ... فلا يَحَانُ عليـــه المَقْتُ والـوَضَـرُ

عَداوةُ الدِّينِ ما تُهدَى ضَغائِنُهـا ... واللّهِ لا شكَّ للأنصارِ يَـنتـصِـرُ

---

(١٨) سورة القمر ٥٤/٦.

(١٩) سورة هود ١١/ ٤٤.

(٢٠) سورة الزمر٣٩/ ٦٠.

وَيمكرُوا الناسُ بُغيًا في إرادتِهم والله أَمْكَرُ والحايَينِ ما مَكروا
وكَم عَسى يَبلغُ الساعي إرادتَه والدهرُ يَذهبُ والساعاتُ تَغتفرُ
والصبرُ جُنّةُ قومٍ في كمالهم والله أَردَفَهم بالصبر ما صَبروا
والحمدُ لله حمدًا لا انقطاعَ لـهُحمْدَ الذينَ على نُعمائه شكروا
والله أكبرُ تكبيرَ الذي عَدِمتْ فيه الغوائلُ حتى ما لهَا أثَر.

وإنّما يَحُثُّهم على قذفِ أولياء التّوحيد قلّةُ المعارِف وضعفُ البصائرِ وَفَقْدُ الأحلامِ، والحسد لمن خصّه الله دونهم بشرف المقام. كأن لم يسمعوا في مجالس الإفضالِ والإنعام، وعند استقرار الدار بالثّلَثة المتوجِّهين كشفوا ما تقدّم العمل به وأحصَوا من زَكَا وتحصَّل لمولاهم من المؤمنينَ وزادَ بهم ما حلّ من الضياءِ والاشراقِ. وعَمِلوا البَتَّ في مجاهرة أهل النفاقِ. فهل يَخفى فضلُ مَن اختصَّه الله وأثْنَا عليه هذا الثناء إلاّ على الذين بدَّلُوا نعمةَ الله كفرًا وأحلّوا قومَهم دارَ البوار.

وأيضاً فإنْ كان هذا القول قد مضَى وذهب ولا فائدة لنا فيه وهو أخبارٌ عن ماضٍ فهكذا يَجري جميعُ ما سمعناه من العلوم وحاشا الله. بل إنما يُبَيِّنُ المعجزُ لأولياءِ الله أن يشار إلى الحكمة قبل وقتها وأوانها لتتعيّن الفضيلةُ لمن ظهرت مخائلها عليه في عصرها وزمانها .

فهم والله الباذلين لمهَجِهم والأرواح، المفصحين بالتّوحيد والفلاح، رسل الباري جلّت عظمتُه والله على الحقيقة وحججه على الكافّة لعقاب من جحد الحقّ من هذه الخليقة، الذي أزهرت أنوارُهم على الانوار، وأخمدتْ نارُهم كلَّ نار، بطاعتهم للعليّ الجبّار. حين تَلَجْلَجَ الخصمون وقَعَدَ عن أمرِه المدَّعون.

وهم الذين شهدتْ لهم مجالس الرحمةِ بأرض العُجْمَة وتَمَعُّشِهم بتعليم الصبيان في المساجد. ومَا يشكّ أحدٌ ممن غُذِّي بيسيرٍ من الحكمة أنَّ

أهلَ العُجمة هم الذين أُعجِمتْ عليهم معالمُ التّوحيد، وأُغلِقَتْ دونهم أبوابُ المعارف والتسديد. وأنَّ الحدودَ هم المساجد. وأنّ العبادة فيها، أي من جهتهم، يُعرَفُ تنزيهُ العليِّ الواحد. كما قال جلَّتْ قدرتُه. وَجَعَلَ ذلكَ دليلاً على مَن أشرنا اليهم الثّلَثُ مشاهد. وهي معطّلة لجهل العالِمِ بها لا يَدخلُها للصلاة إلاّ الواحدُ بعدَ الواحد.

أتراها سمّيتِ المشاهد للحجارة والطين، أم الإشارة إلى ممثولها من حدود الدِّين. لا يخلو أن تكونَ سُمّيتْ لمعنى حكمةٍ أو لِعَبثٍ. وحاشا اللّه. بل أفٍّ لكم أيّها الجَحَدة المعتدون، ولِما تدّعون وتعتقدون. فلا بالإشارة والرموز تتيقّظون، ولا للأوامر العالية تَخضعون وتأتمرون.

فعمّا قليل يُظهِرُ الباري سبحانه من الناكثين المارقين المخازي، ويكون القائم على كلِّ نفس بما كسبتْ هوالمجازي. أما تتأمّلوا مجاري الايّام وتنتبهون من رقدِتكم قَبْلَ جفافِ الأقلام. وتتّعظون بما وبّخكم اللّه به في هذا الزمان بما ظهر من تأويل دعائم الإسلام.

وممّا ذكر تأويله، فمنها : رَمْيُ الجِمار. وإنّه التخلّص من المذاهب الدّاعيةِ إلى الشركِ والنفاق والضلالِ والبَوارِ. والبراءةُ إلى اللّه منهم ومن عملهم وإخلاصُ التّوحيد له والاقرار. وأردفها بذكر صلاة العشاء الآخِرَةِ التي تُصلّى بُمُزْدَلِفَةٍ. وإن مَثّلَها مَثَلُ القائم، سلام اللّه على ذكره. وعددُ حروف اسمه كعددِ رَكْعَاتِها. فانتبهوا من غفلتكم وتأمّلوا هذا العددَ والخطاب. وأعدّوا له إنْ كنتنم تفهمون سادقَ الجواب. فالفريضة أربع ركعاتٍ متواترة موازية لحروف لقبه.

فأنّى لكم يا يهودُ هذه الأمّة معرفةَ هذا المُشكَل وقد عرّفنا جلّت آلاؤه أنّكم من مرض قرائحكم في داء مُعضَل. ثمّ أردف ذلك بذكر أيّام النّفر وهي ثلثة أيّام. وان مَثّلَها مَثَل النُذُر الثلثة المبشّرين بالقائم، سلام اللّه على ذكره.

فالأوّل منهـا بابُ حجته، والثـاني داعيه، والثـالث حجّتـه. تنفر الناس منهم وإليهم. وهذا القول فأنتم مشاهدوه ومعاينوه.

فقـد فَلَجتْ عليكم حجّة مَن دعـاكم إلى كُتْبِ الميثـاق. وأرشدكم إلى التخلّص من الأبالسة والنفاق. فارجَـعوا أيّها الغفلَة إلى الحق، وتأمّلوا أقوال السدق، ولا تكونوا ممّن عناه اللّه جلّتْ آلاؤه بهذا القول في الرابع والأربعين ومائتي مجلس ممّا قرأه مالك ابن سعيـد، وهو: فاستمعوا الآن ما تلي عليكم من نعت النفـاق والمنافـقين ودم الخـداع والمخادعـينو ويدعـو إلى الاتّعـاظ بالمتفكّرين. كما قال اللّهُ، أسـدقُ القائلين، من قَسَم الإمام في المسطور المبين: «الّذينَ يَتَربَّصُـون بكُم فَإنْ كـانَ لَكُم فَتْحٌ مِنَ اللّهِ قَالوا: أَلَـم نَكُن معكم. وإن كانَ للكافِرين نَصـيبٌ قالوا: أَلَم نَستَحـوِذْ علَيكم ونمْنَعكم مِن المؤمنين. فَاللّه يَحكُمُ بَينَكم يومَ القِـيامة ولن يَجعـلَ اللّهُ للكافِرين علَى المؤمِنين سبـيلاً. إنّ المنافِقين يُخادِعـون اللّهَ وهو خادِعُهم. وإذا قامُوا إلى الصَّلاة قـامُوا كُسَالَى. يراؤُون الناسَ ولا يَذْكُرُون الـلّهَ إلاّ قَليلاً»[٢١]. فهذه صـورتكم يا يهودُ هذه الأمّة، وإذا رجع ذوي العقل منكم وانصف نفسه تحقّق أنَّ هذا حالُكم.

وفي هذا المجلس أيـضـاً مـا يحـقّق تخلّفكم. وهــو فـلا تكونوا من المتربِّصين بالمؤمنين المذكورين مثل القاعدين عن دار الهجرة إلى دار الإيمان والدعـوة، قبل غَلَبـةِ الحقّ والحكمة مع مظـاهرة المؤمنين بالإيمان، وانتظار المعـرفة بحدود الـبيان والبـرهان. فإنْ ظهـروا وظفروا وأمِنـوا من التقـيّة وانتـشروا فنطقـوا بالحكمة، وفـاتحوهم ببـاطن الرحمـة، وشاركـوهم في الاسـتفـادة، وَمَتُّـوا بانتظارِهم للإفادة. وإنْ غـلبت عليهم الفـترة وظهـرتِ المخالفـة والبدعة مَتُّـوا إلى المخالِفين بالقعـود عن الهجرة إلى لَغَـاءِ الحدود، وتبرّؤوا من الدِّين المحمود، نَكْثًا بالإيمان والعهود.

---

(٢١) سورة النساء ٤/ ١٤٠-١٤١.

فهذه واللّهِ صورتُكم يا هؤلاء، وقد أقدمتم عليها. فاستدرِكوا أيّها الهلكة ما فرّطتم فيه قَبْلَ فواتِه. وسارعوا إلى دعوةِ الحقّ قبل حلول ميقاته. وقد أعذرَ مَن أنذرَ. «وما على الرسول الاّ البلاغ المبين».

فقد واللّهِ ثَبَّتُّ الحُجةَ وصرّحتُ بالبرهان، وأوضحتُ بحقيقيّة البيان. فأين لكم المفرّ والمذهب ممّن لا يُنجّي منه البعيدُ المهرب. بل أين تذهبون إذا دُعيتم إلى حقيقيّةِ التّوحيد، وَسُؤِلْتُمْ عَنْ حقيقيّة التنزيه والتجريد، وطولبْتم بالبرهان السدق في اعتقاداتكم بنفي التشبيه والتجسيد. وما ذلك مِن يومكم الذي أنتم فيه ببعيد. وذلك قوله: «هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين»[٢٢].

يَخسر المبطلون ويفوز العاملون ويفتضح المُذْهِبون المنافقون الذين شهِدتْ عليهم بالكفر أعمالُهم، وفضحتْهم بالنفاقِ أقوالُهم. فهم لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء مذبذبون، واللّهُ أعلم بما يدعون. وجميعُ ما استشْهَدْتُ به من التأويل فهو طعنٌ على مَن عَمِيَتْ بصيرتُه عن تفهمه عن الزمن الذي كانت فيه الصلاة تنفع. والأعمالُ تُقبل وترفَع. فأمّا حينئذ زالَ الانتفاع بها ومُنِع، كما جاء في مجالس الرحمة ممّا عَمِيَ عنه الأشقيا، وأنكره أهل الردّة الأدعيا. وهو أنّ القائم اذا ظهر يظهر بالوحدانيّة ولا عمل في وقته بعد ظهوره.

والمولى، سلام اللّه على ذكره وتعالى، قد أقام الحجّة على العالم، وأظهرها عليهم بقيام القائم، كما قيل إنّ حجّةَ القائِم تَظهرُ قبلَه. ودَعَى إلى نفسه بنفسه تعالى بالوحدانية وأشار إليها وقطع الأعمال المألوفة وعيّن عليها. فما أجاب إلاّ الموقِنون الموحِّدون، ولا تخلّف إلاّ أهلُ النجس المنكِرون، الذين لعنهم اللّه فأَصْمَمَهم وأعمى بصائرهم ولا يَدرون. فلم يعرفوا

(٢٢) سورة البقرة ٢ / ١١١.

أصحابَ الأُخـدود ولا تحققّوا مـعنى النار ذاتِ الوقود[٢٣]، وأنّها التـصريح بالتّوحيد للواحـد المعبود، إذ هم عليها قعـود، وهـم على ما يَفعلون بالمؤمنين شـهود. ومـا نقمـوا منهم إلاّ أن يؤمنوا باللّه العـزيز الحـميـد. الذي له ملك السموات والأرض. واللّهُ علَى كلِّ شَيْءٍ شهيد[٢٤].

فـقد واللّهِ عـميـتم عن اليـوم الموعود، وتخلّفـتم عن منزلة الشـاهد والمشـهـود، وَفَتَنْتُم بالمؤمنين والمؤمنـات، لم تتوبوا. فلكم عذاب جـهنم ولكم عذابُ الحريق. حين عُرِضْتمُ على الحَفِيـر المُضْرَمِ بالنار، فأبَيتُم ودُعِيتم إليه فَنَكَثْتُم وَتَوَلَّيْتُم. ولم تَتَـأسَّوا بصاحبةِ الطفلِ الرضـيعِ حينَ بكـت عليه جَزعًا من النار. فناداها الطفلُ قَدماً يا أمُّ على النار. ولا ترجِـعي عن توحيد الواحد الجبّار. فـلا برموز الحكمة تنتـبهون. ولا بمشروحِـها تستبصـرون. فأنتم حَصَبُ جهنم. وأنتم لهـا وارِدون. وإلى هذا أشار في قوله: «ها أنتُم يَا هؤلاءِ تُدعَون لِتُنفِـقون أنفسكم في سبِـيلِ اللّه. فمنكُم مَن يَبخَلُ. ومَن يَبخَـلْ فإنّما يَبـخلُ على نَفسِـه. واللّهُ الغنيُّ وأنتمُ الفُـقراءُ. فـإنْ تولَّيتُم يَسـتبـدِلْ قَومـاً غيرَكم. ثمّ لا يكونُوا أمثالَكم»[٢٥].

أذا نَطَقَ سَديقُ الدين، وأُخرِستْ شقاشقُ الشياطين، وآن الظهور إذا نُفِخَ في الصُّوْر و «نُقِرَ فِي الـنّاقورِ إنّ ذلك يَومئذ يومٌ عَسـيرٌ على الكافرِينَ غيرُ يَسير»[٢٦]. «يَومَ تَرَونَها تَذهَلُ كلُّ مُرضِعةٍ عمَّا أَرضَعتْ، وتَضعُ كلُّ ذاتِ حَـمْلٍ حَـمْلَهَـا، وتَـرَى النَّاسَ سُكارَى ومَـا هم بِسُكـارى. ولكنَّ عـذابَ اللّهِ شديد»[٢٧]. «يَومَ تُبَدَّلُ الأرْضُ غـيرُ الأرضِ والسمـواتُ. وبَرَزُوا للّهِ الواحدِ

---

(٢٣) سورة البروج ٨٥/ ٤.
(٢٤) سورة الحج ٢٢/ ١٧؛ ٣٤/ ٤٧؛ ٥٨/ ٦؛ ٨٥/ ٩...
(٢٥) سورة محمّد ٤٧/ ٣٨ بتصرّف.
(٢٦) سورة المدّثر ٧٤/ ٨-٩ بتصرّف.
(٢٧) سورة الحجّ ٢٢/ ٢.

القَــهار»[٢٨]. «يومَ يَقــومُ الرُّوحُ والملائِكةُ صــفًــا لا يتكلّمــونَ إلاّ مَنْ أذِنَ لهُ الرَّحــمنُ وقال صــواباً. ذلكَ اليومُ الحقّ. فَــمَن شــاءَ اتَّخذَ إلى ربِّه مــأباً. إنّا أنْذَرنَاكُم عَذاباً قريباً»[٢٩]. «إذا جَاء نصْرُ اللّهِ والفَتحُ. ورَأيتَ النّاسَ يَدخُلونَ فِي دِينِ اللّهِ أفْوَاجاً»[٣٠]، «قُلْ. يومَ الفتحِ لا يَنفَعُ الّذينَ كَفَروا إيمانَهم ولا هم يُنْظَرون. فَأعرِضْ عنْهمْ. وانْتَظِرْ. إنّهم مُنتَظَرون»[٣١].

فأصيخوا أسماعكم إلى داعي الحقّ أيّــها الناس، فقد زالتْ بالتّوحيد دعوةُ الإبلاس، وانتــبهــوا من غشوةِ النعــاس، قبل هجــوم الطامةِ الواقــعة، وورودِ الصارخــةِ والقارعــة. إذا أسفرَ الــصُّبحُ وبدتْ علامــاته، وأدبر الليلُ وتقضّتْ آياتُه، هنالك يَحــمَدُ القومُ السَّرَى ويتجلّــى عن الحقِّ غياهبُ الرّدى. فــأنَّى لهم إذا جاءتهم ذكــراهم. فــاعلموا أنْ لا إله إلاّ الــلّه. واستــغفــروا من ذنوبكم للمؤمنين والمؤمنات واللّه يعلم أسراركم.

أيّها الناس إنّمــا بقيتْ لكم بقيّةُ مُــهَلٍ يَسير، ومن ورائه عَجَلٌ كــبير، فلا تأتــوا بالعجــز بعد الإقدام، ولا تنــكلوا عن الإجابة قــبل جفــاف الأقلام، وقبل أن يُؤمَرَ عنكم بالإمــساك عن الكلام. فإنَّ الحُجَّــةَ للّهِ تعالى لمن دعاكم، وأوجبها عليكم قائمة غالبة. والبيِّنَة لكم عليه في صحّة دعائه. إيّاكم في غيبة الامتحــان، من مجالس الحكمــة التي قرئتْ عليكم لازمة واجبــة. فإنّ أوضحَ وجــوب صحّــة دعائــه من مجــالس الرحــمة بالبــيِّنة والبــرهان، وَجَبَ على جمــيعكم الإجابةُ له والإقــرارُ به والإذعان. وإنْ نكل عن ذلك فــما عليكم من سبيل. وهذا هو فاستمعوا أحسنَ قول وأوضحَ دليل.

---

(٢٨) سورة »إبراهيم ١٤/٤٨.
(٢٩) سورة النّبأ ٧٨/٣٨-٤٠.
(٣٠) سورة النّصر ١١٠/١-٢.
(٣١) سورة السجدة ٣٢/٢٩-٣٠.

وهو أذِنَ يومَ الفطر على صاحبِ الكشف وقبل الظهر وقت غيبته. والآنَ للنجباء أنْ يُقيمونَ الدعوة باسمه لمن وفّقه اللّه لذلك من بريّته. وبعد الظهر بعد ظهوره فصارت واجبه على المجيب في وقت الغيبة في فداء النفس مقبوله منه. ومن أجاب بعد ظهوره وَقَفَ فِكَاكُهُ. وقرّت بعد الفتح له إذا استحقّ بمثل الأضحية عَيْنُهُ. «لا يَنفَعُ نفسًا إيمَانُها إنْ لَم تَكنْ آمنَتْ مِن قَبْلُ أو كَسَبَتْ في إيمانِهَا خَيرًا»[٣٢] على مَعْنَايَيْن: تأويليّة في فوات الفطر وضروب التطهير، وتركِ قبولِ الأعمال عند ظهورالقائم ووجوب التغيير.

فقد فَلَجَتْ عليكم حُجَّتي وصحَّ دُعاي، وأَسْمَعْتُكُم إِنْ كنتم تَفهمون تضرّعي إلى اللّه في توفيقكم وندايَ. أللّهمّ فمَن نَكَثَ بعد قراءةِ هذا البيان والتوقيف، وعمِيتْ بصيرتُه بعد هذا التقريعِ والتعنيف، ورجَع بعد إيضاح هذا البرهان، الذي حقائقُه مواردُ إلى التّوحيد والإيمان، فخذ بنواصيهم إلى الحقِّ الذي أغفلوه، واكشف عن بصائرهم بمقدِّماتِ نيّاتهم ليسدّقوه، وتَطَوَّلْ على مسيئتِهم باحسانِكَ إلى المحسن ليتحقّقوه. وأَوجِدْهم طريقًا إلى رضائك ليرتكبوه. إنّك على ذلك قدير، وبإجابة هذا الدعاء جدير.

أللّهمّ وأنا عبدُكَ الضعيف قد نصحتُ كما أمرتَني، ودللتُ على توحيدك كما علّمتني، وأقمتُ الحُجّةَ يا وليَّ الحقِّ بما مننتَ به عليّ وألهمتَني. وأنتَ الشّاهدُ بما بلَّغْتُ، فَلَكَ الحمدُ على ما وفّقْتَني. وأنجزْ أللّهمّ وعدَكَ لوليّك يا مَن لا يَخلفُ الميعاد، ولا يجوز ظلم العباد. وصلّي اللّهمّ على قائم الحقِّ الهادي أليك، والدالِّ بتوحيدك عليك، صَفْوتِكَ مِن الإبداع والخليقة، وداعِ الأممِ في جميع الأدوار إلى التنزيه بالحقيقة. والسلامُ عليهِ وسلامُه على حدوده السالكين في طاعته على المنهج والطريقة.

---

(٣٢) سورة الأنعام ٦/١٥٨ بتصرّف.

وهذا ممّا أدرجتُه فيها تحرّصاً وتأكيداً في إيصالها إلى إحدى الرَّجُلَين: إمّا مَعَد ابن محمّد، وإمّا طاهر ابن تميم، في رفق وخفية. واللّهُ يوفّق مَن سعى في مرضاتِه وهو جدير بذلك. فإنْ تعاونا على ذلك وناصرا عليه، فلن يضلَّ اللّهُ سعيَهما، ولا يُبخسَ أجرَهما، ولا ينسَى فعلَهما. وإنْ ألغياه ففعلُهما محفوظ معروف، وما صنعاه فهو في غدٍ بينَ أيديهِما موقوف.

وبعدَ ذلك على ظهرها مكتوب: توكّلتُ على مولانا الحاكم وحده.

هذه الرسالة واصلةٌ إليك، ومقيمةٌ الحجَّةَ بما تعرفه من إقرارك عليك. فتأمّلها تأمُّلَ ناظرٍ لنفسه، عارفٍ بغده وأمسه. فأنتَ مُطالب بما هو لكَ فيها مقول، وعن أمانتك لأدائها في غدٍ مسئول. فاقرأْها على كافّة مَن تعرفه، وأنستَ رشدَه تحذيراً وإخباراً. واجعلْها على سبيل العرض عليهم لا إكراهاً ولا إجباراً. فإذا أنتَ فعلتَ ذلك فقد أدّيتَ الأمانة، وبرئتَ من البلس فيه والخيانة. وإنْ أخفيتَها عمّن أنستَ منه هدًى إلى التّوحيد هلَكْتَ وهُبِلْتَ، وإنْ أذعتَها بالتشرّد إلى غيرهم قُتِلْتَ. فانتظر مَن يأتيك لقبضِها بعد نسخِها إنْ شئتَ، والجوابِ بما فعلتَ.

واللّهُ يوفِّق مَن سعى في مرضاته. ويجزل ثوابَ الشاكرين على ما سار وسرّ في طاعته. وإذا أنعمتم النظر بالسدقِ والتحقيق، وقفتم على بيضاء المحجّة ونهجِ الطريق.

وكُتبتْ في السنة الرابعة عشر من سنين قائم الزمان، المنتقم من المشركين والمرتدّين، والأبالسة والطغيان، بسيف مولانا وقوّة سلطانه. نجزت بمنّةِ وليِّ الأمر. والحمد لمولانا وحده. والشكر للإمام الهادي عبده.

٤٣

مثلٌ ضربه بعضُ حكَماءِ الدِّيانة توبيخاً لِمَن قَصَّرَ عن حِفظِ الأَمانة

لهذا المثل صلــة بغيبــة حمزة. يحــذّر فيه كــاتبُه، هو بهاء الــدِّين المقتنَى، بعضَ الضــياع من سَــمــاع أكاذيب المشــرِكين والمرتدِّين الذين بســمومــهم أيبسوا الزرع، أي التّوحيد.

بسم إله الحقّ، ومَولَى الخَلْق. ذَكَرَ سفينةُ النّجاة، وأصغرُ الدّعاة[1]، أنّ حكيمَ الدهرِ أمّم سَـفَـراً. وكان في حكـمتــهِ مسـتـوراً. وفي علم الأوائل مجهولاً مأثوراً. وكان له من المماليك والأمــوالِ والضياعِ شيئاً خَطِراً. وكانَ قبلَ سفرِه يُوسعُ على حشمه وعيــاله. ويُسدِّقُ على جميع الخلق بالبقيّة من جميع أمواله. وإنّه، قبل غيبتــه، نَظَرَ إلى جماعةٍ من عبيده. ونزَّلَهم في منازل استحقاقــهم عِنْدَه بتوفيقهِ وتسديدِه. وإنّه اختصَّ مِن أفاضلِ عبــيدِهِ جماعةً وأوصاهم، وعلى أمــوالِهِ وضياعِــه ائتمَنَهُم، واستــكفى بهم. فَقَبِلوا وصــيّةَ مولاهم، فنهضوا في خــدمتِهِ خاضعين، ولأمرِهِ سامــعين طائعين. واجتهدوا في عِمارَةِ الضياع، وتَثْميرِ ما أئتمنهم عليه من الأموال والمتاع.

---

(١) أي بهاء الدِّين المقتنَى، كاتب هذه الرسالة.

فما تمادَتْ غَيْـبَتُهُ إلاّ عَشْرٌ وشـهرٌ واحـد، حتّى لم يَبْقَ من البَرِيّة إلاّ ناسٍ له غامطٌ لنعـمته جـاحد. وثارَ مُتـغَلِّبُ الزمان الدَعِيّ، وتبـعه كلُّ مُنافقٍ شقيٍّ، فَفَـتَكَ بعبيدِ الحكيمِ قَسرًا، وقـتَّلهم على محبَّةِ مولاهم تَجَـبُّراً وقَهْرًا. وهدرَ دماءَهم في جميع البلدان، وتَبعَـهُم هو وتُبّاعُه في كلِّ مَوضـعٍ ومكان، عداوةً للسـيِّدِ الحكيمِ، وعدُولاً عن صِـراطِه المُستقيـم. وعبيدُه على البـأساء والضرَّاءِ صابرون، ولُمَهَجِهم في خدمةِ مولاهم مُسلِّمون باذِلون.

وإنّ الباري جلَّتْ قُدْرَتُه وعظُمتْ مِنَّـتُهُ وَعَلَتْ كلمتُه ونفذَتْ مشـيَّتُهُ وإرادتُهُ تفضّلَ بالبقـاءِ والإمْهال على أصغـرِ العبيدِ، ومنحَهُ مـواردَ التَوفيقِ والتَسـديد. فَتَـذَلَّلَ واستكانَ لِعَـظَمَةِ مَولاه، وتـذكَّرَ واهتَدى لمـا به أوصَاه، فنهضَ فيما أمَرَهُ به من الخِـدمةِ مُجتهداً خاضِعاً، وسـعى في استخلاصِ ما بَعُدَ عن مَـركزِ المتَغلِّبِ ولأمـوالِ مَولاه مُثَمِّـرًا جامِعاً، فَـسَهُلَتْ للعبـدِ مواردُ الشُرب، وَعَـرَفَ بِمِنَّةِ مولاهُ أهلَ السِدقِ والكَـذِب، ومَيَّزَ الخَلْقَ بتـأييدِ الوَلِيِّ بالسِمات، وعَرَفَهُم بالأسماءِ والصِفات، فَكَثُرَ الرَّيعُ في البلدِ النائي، وأزهرَتْ أثماره، وأَضاءتْ بأنوارِ الحقائقِ شموسُه وأقمارُه.

وإنّ العبدَ الخاضـعَ الأصغرَ نظَرَ من حيـثُ هو فيما نظر، إلى ضَيعَةٍ كانتْ خصيصةً بالملكِ الأكبر، ملاصِقةً لَموضـعِ المُتَغلِّبِ في بُنيانِها، هاويةٌ من جميعِ أركـانِها، وهي من وراءِ جبلٍ عظيمٍ، ومن حائد دونَهـا حِصنٌ حَصينٌ، وهي من ورائه داثِرةُ الجُدرانِ، رَثَّةُ البُنيانِ، كَالِحَـةُ الأثمار، يابسـةُ الاشجار. فحرّكـتْه محرِّكـاتُ أهلِ الفضل، وتَذَكَّرَ وصيّـةَ الحكيمِ في حِفْظِ الأهل، فلمْ يَزَلْ يَذُبُّ بِنَفْـسهِ في عـمارَتِهـا على الخطرِ العظيم، والأمرِ الجـسيم، حـتى أَجْرَى إلى أرضِـها عَيْنًـا من جَنَّةِ النعيم، مِزاجُـها مـاءُ الحياة، وخـازِنُها مِنْ أطهرِ الـسُقاةِ، يشـرَبُ منها أهـلُ الحقائقِ المُقـرَّبونَ، ويَمْنَعُ منهـا الأشقـياء الناكِثونَ.

فشرِبتْ منها، فأورقَتْ أشجارُها، وانتشرتْ أزهارُها. وكان قد لجأ إلى هذه الضَيعة بَعْدَ الغيبةِ والخراب، أشباهُ المَسُوخِ والذِئاب. لَهُم أمثال في التشبيه، يعرفُهُم الفَطِنُ النَبيه. فبعضُهم كالثعابينِ الرُّقَّط، وبعضُهم كالأساوِدِ الزُّمَّطِ ، والأراقمِ الشُّمَّطِ. فكلّما زرعَ العبدُ الناصحُ فيها زرعاً، يرجو منه البلاغ والتّمام، أحرقَتْهُ تلكَ الأفاعي باللُّعابِ والسِمَام، ولَعِبتْ فيه بأذنابِها الأساوِد، وأصبحَ حصيدًا خامِد. فأهلُها أبدًا خمصٌ جياع، لأنّها لا تُثمِّرُ مع الضِياع.

فلمّا أفاها العبدُ الناصحُ أنْ سَقاها بماءٍ رَيِّقٍ زُلال، جعلَتْهُ ملحًا زُعاقًا. وإنْ نَصَبَ فيها ثمرًا أحرقَتْهُ بلهيبِها إحراقًا. فنظرَ إليها ضاحكًا كلفًا، وبكى عليها مَلِيّاً أسِفاً. وقالَ لها: أمَّا أنا فَثوابي على الحاكمِ المَنّانِ، وأمّا أنتِ فَواندَمكِ من بينِ الضِياعِ والبلدانِ.

وتولّى عَنها مُنْتَظِرُ الفَرَج من جِهَةِ مولاه، مستتراً من أعدائِهِ وأعْداه، صابرًا على حكمهِ وبَلواه، مُنتظِرًا لما قدْ أوعدَهُ ايّاه.

فهذا المثلُ للنفوسِ الطاهرةِ دواءٌ وشفاء، وللنفوسِ الجاهلةِ شقاءٌ وعناء.

تمَّ المثَلُ والحمدُ لِمُعِلِّ علَّةِ العِلَلِ. وله الإعظامُ والإجلالُ والتقديسُ والتسبيحُ.

٤٤

رسالة بني أبي حمار

بنو أبي حمـار جماعة من حـلب آمنتْ بالتّوحيد فـاختلفوا مع جـيرانهم ورحلوا إلى دمـشق حـيث مقـابرُهم مـزارات للمـؤمنين. في هذه الرسـالة تحذير من اعتبار «علي الظاهر» ابناً للحـاكم. وفيها كلام على التجلّي الإلهي في صورة الحاكم. هي من وضع بهاء الدّين المقتني.

توكّلتُ على مولانا الحاكمِ سبحانَه وتعالى عن صفاتِ خلقِه.

ألردُّ على من قالَ إنّ الصورةَ المسمّـاةَ بالحاكمِ انتقلتْ إلى الصورةِ المسمّاةِ بعَليّ.

إعلَموا معـاشرَ الإخوانِ أنّ الصورةَ الظاهرةَ لعبـادَةِ الوجودِ كانتْ تظهرُ من حيثُ النظرِ الجِسماني. فلمّا وَجَدْنا العالمَ مولدونَ جهّال لا يعلمَون إلاّ بموقوفٍ ومَعْروفٍ ولمْ يكُنْ لَهُم وُصول أن يـعلموا المَعقولاتِ على ما هي إلاّ بالمَحسوسات، أوجَبَتِ الحكمـةُ أن يَظْهرَ لهم صورةً منْ حيثُ هُمْ. فأنستِ الصـورةُ لِصوَرِهم من حـيثُ الجِنسـيّةِ. وكـانتْ تختـلفُ عليهِم أبصـارُهم الشَحْمـانيَّة بحيثُ شاءتِ القُدرةُ الإلـهيّة بتغيـيرِ الأقمصةِ البـشريّةِ المَرئيّةِ، وإيقاع الامـتحـانِ بِعَالمِ البـشريّةِ. فكانوا مـختلفينَ لإيقـاعِ محنةِ اخـتلافِ الأقمصَةِ عليهم .

وإذا كانت الدُنيا قَدْ اجتمعتِ العـوالمُ المُختلفونَ الأراء المُشتّتونَ في المذاهبِ على انَّ البـاري بزعمِـهِم في الآخِرَةِ بَـعْدَ القـيامـة، يتجلّى للعـالمِ، ويَنْقَسِموا جميعَ العالمِ قسمَين لا ثالثَ لهم: فقسم في الجنّةِ وقسمٌ في النارِ، وانّ جميعَ القسمينِ باقيينِ تحتَ الجَزاءِ دائمينِ باقيينِ لا يَقَعُ بهم فَناء.

وأنتم تَعْلَمـوا مَعـاشِـرَ الإخوانِ وفّـقكم المولى لطاعـتِهِ وشَـدَّدَكُم لِمَرضـاتِهِ أن قدْ صحَّ عندكم انَّ الدُنيا قد أفناها مولانا الحاكمُ سبحانَه وانّكم في أوائلِ الآخرةِ. ودليلُكُم على ذلـك واضحٌ، وذلك أنّ مولانا سُبحـانَه أظهرَ لكم إمامَ توحِـيدِهِ فنادى بكم وأرشَدَكُم، ودلَّكُم وهداكُم إلى توحِـيدِ باريكُم، لتكملَ له عليكُم الحجة. فمـا منكم أحدٌ إلاّ كتبَ ميثاقَهُ وأشْـهَدَ على نفسِهِ أنْ ليس له في السمـاءِ إلهٌ ولا في الأرضِ معبودٌ إلاّ مولانا الحـاكمُ الموجود. ثم رأيتم معبودَكم القابضَ مواثيقَكم، العالمَ بتوحيدكم، فبذلك لم يبقَ لكم حُجّة. وزال عنكم الشكُّ والظَنَّه، وثبتَ عندكم من حـيث العلم والعقل أنّ معـبودَكم القابضُ مواثيقَكم العالمُ بتوحيدكم.

فحـينئذ ثَبَتَ لكم انّ الدنيـا قد زالت وهي جمـيعُ الشرائع والأديان والعبادات، وأنّكم من أهل الآخِرَةِ لِكَتْبِكمُ لِمَـواثيقِكمُ وإشْهَادِكم على نفوسكم بعباداتكم وتوحيدكم لمعبودكم بالحقـيقة. فلذلك ثَبَتَتْ لنا عليكم الحُجّة بذكر ما قَـدَّمْنا ذكرُهُ من اجتـماع العالَم على أنّ البـاري في الآخِرة يتـجلّى للعَالَم فيخـاطبهم ويقابلهم بالجزاءِ بأفـعالهم، فبذلك يَقَعُ بهم البَـقاء، ويزولُ عنهم الاضمحلال والفناء، مقيمين تحت جزائهم مؤبَّدين غير فانيين.

وأنتم تَعْلَموا معـاشرَ الإخوان أنّـه لم يَنكشِف في زمنٍ من الأزمان توحيدُ ربِّ الدار بالحقيقيّة إلاّ في وقتنا هذا. وأنّ العَالَمَ مخيَّرون في أفعالهم مستطيعون ما يَشاؤون يفعلون. ما يَغْـبَا عنها إلاّ في توحيدِ الباري سبحانه وظهورُهُ لهم بالحقيقة، وأنّ العالمَ بأسْـرِهم عاجزين أن يُظهِروا ما قد سَتَرَهُ

الباري جلَّتْ قدرته. وإنّه لمّا شــاء على ظَواهرِ الاشياءِ أَظهرَ توحيـدَه خاصّة لِتيكَ الصورةِ المُسـمّاةِ بالحاكم لأنّه في تِيكَ الصورةِ قَبلَ مـواثيقَنا. وكشفَ نفسَـه سبحـانه لِقَصْـدِ التّوحيـد والعبادة لهـا، وكَشَفَ الإمـامَ الهادي إلى توحـيده، الناطقَ بتـقديسـه وتمجـيده، وكـشف الحدودَ المُطلَقينَ في دعـوةِ التّوحيد، واشهرَهم بين العالَمِ ومـعرفةُ العالمَ لهم، وكشف دار الهُجرةِ لهم الجامعة للحدود، وتجريد دعوةِ توحيـدِ المعبود، وإطفاء دعوةِ التركيب وَرَفَعَ يدِ الشـريعـةِ عن الدعوة الـهادِيَةِ ووقـوفَ الاوليـاء على الظاهر المكشـوف يُسبِّحـون الصورةَ ويقدّسونها بقيـام العالم باختلاف أديانهم واجتـماعهم واصطلاحهم علينا، وَمَنْعِ القدرةِ لهم عنّا.

فَمِنْ ذلـك قيامُ العـوالم بأجمـعهم على العَـبْدَين المُوَحِّـدَين الأوّلين الكاتمينَ بني أبي حِـمـار وفّقَـهُم المَولى وسـدَّدَهُم وأيَّدهم وأرشَـدَهم. وإنّ مولانا سبـحانَه لم يُمكِّنِ العالمَ منهم. وقد لَحِقَ بعـضَهم سوء الظَنّ وأرادوا أن يَسْتَـضيـموهم، فلم يَبْلُغـوا ما أمّلوهُ، ولم ينالوا مـا أرادوه. وذلك أنّه لم يخلِّصْهم من عداواتهم إلاّ صحَة دياناتهم وصفا نيّاتهم في توحيدِ باريهم.

والشاهدُ على ما قد قلناه إنّا رأينا عبـدَ مولانا ومملوكه عبد الرحيم ابن اليَاسِ وليّ عهدِ المسلمـين، رأيناه ذا مالٍ ومُلْكٍ ورجالٍ وَضِبْنَةٍ[1] وَرَهْطٍ وعبيد ومماليك. وكان خاليًا من توحيد باريه، جاحدًا للمنعم عليه أياديَه. فلم يَمْنَع مـنه سلطانُه ولا مــالُه ولا رجــالُه، وَأَخَـذَهُ مـن وَسْطِ مُلْكِهِ المَعــار. وسلطانُه وقوّتُه وعزّتُه وقـدرتُه بالعَبد الضعيف الذليل، فـأخذَه بِقدرةِ أمرِ مولاه للطّاغي المُتـجبّرِ الـدَّعِيِّ المُنكرِ لم يَمْنَعْ منه سلطانُه ولا كَثـرةُ ماله ولا رجاله. ألعلّةُ في ذلك إنكارُه لُمبـدعِه وجحودِه للمُنعمِ عليـه والمُظهرِ له. ونجّا أولياءه من أيدي الطغـاة بإقرارِهم له بالوَحـدانيّة، والإخلاص في عـباداتهم

(١) ضبنة هم «أهل الرجل» (الدهرر المضيّة).

وصفـاءِ النيّة. وهم أقلاً من الحُطام. وقـد تَبَرَّأ منهم جمـيعُ الاقرباء والأهل الخاصِّ منهم والعام. ولم ينالوا منهم مَضـرّةً، ولم يبلغوا ما أمَّلوه. ولنا بهذا شاهدٌ ودليل يَسْتدِلّ به الطالب المُسترشِد.

واعلَموا معاشرَ الإخوان أنّه لو كان المعـبودُ سبحانَه ينْتَقِلُ بَعْدَ هذا الظُهور في الأقمصَةِ لكان هذا أمرٌ لا نَفـادَ له. وأمَدٌ لا آخرَ له، وكانت تَنْفَسدُ الديانةُ الآن ويكون هذا يَدلُ على أنّ مَن عَـمِلَ عملاً لم يُجازَى عليـه من ضدٍّ وَوَليّ، وَسَقَطَ الجزاءُ، وسقطتِ العبـادة على رأي من يقول إنّ المعبودَ ينتقل في الأقْمِصَة بعد إشْهار كلمة التّوحيد.

فالحـذر الحذر، مـعاشـرَ الإخوان، أن يلحـقكم شكٌّ في معـبودِكم باستتار الصُـورة الإلهيّة عن نظركم الشَحْمَاني لقيـام الأمر الجديد، وإنجاز الوَعْدِ والوعـيد. وأنتم تعلـمون معـاشرَ الإخـوان أنّ العهدَ المـألوفَ المأخوذَ للأئمة الـبشرية كَـشْفٌ جِسـماني جامعٌ لحـدود الشريعـة. وأظْهَرَ المعـبودُ سبـحانَه للعـالَم صورةً وأخَذَ العـهدَ المألوفَ لتـيك الصورةِ. وَبقي الميـثاقُ الناطق بتوحـيد مولانا الحاكم سـبحانه. فـهو يَنْفي العهدَ المألوفَ والميـثاق والشِرْك. خاصّةً للواحدة المُختصّة اذ كان العهدُ يَدُلُّ على عبادة الجِسمانيّات والشِرْك. لأنّا رأينا مـولانا الحاكم سبحـانه قد رَفَعَ الشرائعَ وتأويلَها بـغير اختلافٍ ولا شَكٍ في ذلك.

فعند ذلك أظهـرَ التّوحيـدَ والميثاق ثـم أظهرَ الصورَ المسـمّاةِ بعليّ وأخذَ العهـدَ المألوفَ لتيك الصورةِ إشارةً منه سـبحانه لتثبـيتِ الحُجّة على المُشركين بعد التَيقُظِ واليقينِ اذ كان ذلك سبـباً لوقوعِ الامتحان، فيكشفُ ما في نفوسِ المُـشركينَ من الاستـتارِ إلى نظَر العـيانِ. وكان ذلـك أشارةً منه سبحانه باظهارِ الصورةِ المسمّـاةِ بعليّ وأخْذِ العهدِ المألوفِ لها أنّها من آخرِ الأئمّة الماضيين ممّن خَدَموا مولانا سبحانه وعلى توحيده دَلّوا وأرشَدوا.

وبقيَ الميثاقُ الناطقُ بتـوحيد مولانا سبحانه خـاصّة لتيك الصورةِ المسمّاةِ بالحـاكم. لم يُشْرِك فيه أحداً من خَلْقِهِ وعـبيدِه. سبحانَ مـولانا عمّا يَظنّون، وتنزَّهَ عمّا يَصِف الواصفون. وهـو حَسْبي ونِعْمَ النصيرُ المعينُ. وبه في جميع الامور نستعين.

تمّت والحمدُ لمولانا وحدَه. والشكرُ لقائم الزمان عبده.

٤٥

تقليد لاحق
التقليد الأول إلى الشيخ المختار

لاحقٌ، كنيتُه أبو الفوارس، من ريحا قرب حلب. تظاهر بالديانة والوفاء والكمال، فقلّده بهاء الدين، واختاره، ولقّبه بالكوكب السيّار، إلى أن أشرقتْ عليه أعماله القبيحة، فوبّخه، وشبّهه في توبيخه (الرسالة ٧٧) بالبغل والحمار المكدود في الدولاب. ووصفَه في (الرسالة ٦٥) بـ «المرتدّ النجس المنافق أوّل مَن ابتدع مذهب الإباحة». كتب بهاء الدين هذه الرسالة بمحبة لـ «ابنِ الشرف لاحق»، سنة ٨١٩ هـ

توكّلتُ على مولانا البارِ العلاّم، الحاكمِ بالحقّ ومُولي الأنام. من العبد المُقْتَنَى بهاءِ الدين ولسانِ المؤمنين وسَيّدِ الموحِّدين، إلى الشيخِ المختار رَبِيِّ الحقائقِ والنجم السيّار الحميدِ الطرائق أبي الفوارس الأمير ابن الشرف لاحِق. ثَبَّتَكَ الباري على ما أنعمَ به عليك من أَخْذِ الميثاقِ للراغبين والدعوةِ إلى توحيد مَولى العالَمين، ثباتاً يَجْمَعُ لك خصائل الخيرات ويُوصلُك بشرفه إلى أعلى الدرجات.

أمّا بعد، فالحمدُ لمولانا الحاكم الذي أَخَذَ ميثاقَ صَفْوَتِهِ وأوليائِه، وجعل لهم أنْ يأخذوه على مَن أجابَ دعوةَ الحقّ ولبّاه، حمداً يكونُ لمن

أخلَصَ في توحـيـده إلى دار السـلام أُمَـمـاً ولمن اعتـصـم به من الكافّـة إلى رِضائِه سببًا وسُلّما.

أيّهـا الشــيخُ الدَّيِّن الفـاضـل، إنّ الودائع تتـفـاضلُ، والمِنَحَ تَتـرافع وَتَتَجالَلُ. ولا شيء أفضلُ من تجريد التّـوحيد، ولا مَنْحَة أغنى من الدعوة به إلى الصَمَدِ المجـيد. فهما يفـيضان تَضاعُفَ الحُسنى وتَـظاهُرَها، ويَمْتَرِيَان ترادُفَ النُعْما وتواتُرَها. وأهَّلْتُك لسيادة الدعوة الهـادية والكلمةِ العالية، كما أهَّلني وندبني إليـها، وأذِنَ لي فـي ذلك قائمُ الزمـان بأمْرِ المَولى سـبحـانه. فَتَـولَّ ما أوليتُك من سـيادة الدعوة الهـادية المَهْدِيّة بعزمٍ في الطاعـة شديد، وعَقْدٍ في خدمة التّوحيد، والديانة حَصيفٍ وَكيد.

فهذا المـيثاقُ لك اليوم مَـقُول، وأنتَ عنه في غد مسـئول، يومَ تُبلى السـرائر، ويَصيـرُ إلى وَليّ الدينِ المصائر، يومَ تَجِـدُ كُلُّ نَفسٍ ما عَـمِلَتْ من خيرٍ مُحْضَر، وما عَمِلَتْ من سوءٍ تودُّ لو أنّه مُنسىً مؤخّر.

واسْتسْهِلِ الظماء والنَّصبَ والمشقّـات، فيما يُؤَدّي إلى أفخر المنازل وأعلا الدرجات، تَجِدِ الرِّيَّ يوم تَظْمأ الأكـباد، وتنقطعُ الآمالُ وتَشْرَقُ بالرِّيقِ اللّهَوات. وَتَوَقَّ فيـما تُورَدُ وتُصْدَرُ وتُقَدَّمُ وتؤَخَّرُ كَـيْدَ الناكثين المارقين. ولا تتلبّس بزخاريف المُمـوِّهين المُرجِفين، أوْغادُ الأنام وأولادُ الحـرَام. فإنّهم عن السَّمْع لمعـزولون وبجرائمهم معـاقَبون. فَـذَرهُم يَخوضون ويلعبـون حتى يلاقوا يومَهم الذي كانوا به يُوعَدُون.

واتَّخِذْ لنفسك من أهل الوَرَع والدِّين ممّن قدَّمَتْهُ أعمالُه، وشَهِدتْ له بالثقة وفـضائلِ التّوحيد أفعـالُه. ثَلَثَةٌ من الدُعاة المَرضيين الأطهار مُـتفرِّقين في أكبر المدن وأعْـمَرِ الأمصار. وابسُط لسانَك في جمـيع المواضع ما شَسَعَ منها ونأى وقرُبَ ودَنا. فَلَكَ بِحَقِّ السيـادة أن تُنْصِبَ من المأذونين بعد الثَلَثَة الدّاعيين ما وَجَـدْتَ إليه سبيلا، بَعْـدَ الإقامة عليهم بالتّوحـيد برهاناً ودليلا.

واجعلْ للجميع كتْبَ الميثاق على مَن استجاب إلى الهدى، وظَهَرَتْ عليه مخائل التُّقى. واحذر أن تستكثِر ممّن لا خَيْرَ فيه. فما أكثرُ النّاس، ولو حَرِصتَ، بمؤمنين.

وأمّا حميدُ وَعسكَرُ وتبّاعُهم الخونة الفسّاق، الذين قطعوا ما أَمَرَ الباري بصلتِه وخلعوا ربقَةَ الميثاق، ورَجعوا بِعَمى البصائر عن عِزّ الطّاعة لوَليِّ الأمر إلى ذُلِّ الإباق، وأَبْدَوْا ما كانوا انغَمَطوا عليه من الخبث والنفاق، فأسكتهم عن الدعوة الهادية، فَهُمْ رأسُ الشيطَنَة والبلَسِ، وآلُ البلَهِ واللَّكَن والخَرَس. ووليُّ الحقِّ قد وَصَفَ حالَ مَن تقدّم خِلافُه، وشاكلتْ أوصافُ هؤلاء المَرَقة أوصافُه، في قِسْمِه فيما نَقْضُهُم ميثاقَهم لعنَّاهم، وجعلنا قلوبَهم قاسيةً يُحَرِّفُون الكلامَ عن المواضع، ويُمَنّون مَن يَخدعوه بما سيَزْهَقُ ويَبُورُ من خَبيثِ المطامع.

وعرِّف بذلك جماعةَ الموحِّدين الموقنين، بَعْد شرحِك لهم معارفَ الحدود وخصائص الدِّين. وثَبِّتْ عندهم الفرْقَ بين الروحانيّين والجسمانيّين، وانْهَهُم عن الإلمامِ بمُحالهم، والتَطَرُّقِ والإصغاء إلى ما يدعون إليه من نكْثِهم ومقالهم. فمَنْ تَبعَهُم وبايَنَ بالعِناد، فاكتِبْهُ في جُملة المخالفين الأضداد، إلاّ أن يرجعوا عن الغِلِّ الذي أغمطوه، ويتوبوا عن النكْثِ الذي أَوْلُوه. فهم ممّا أجْرموه معفوٌّ عنهم، وبه مسامَحون، ومِن خطاياهم وعَثْرَتِهم بعد التوبة مُقالون.

ومَنْ وَجَدْتَه من جميع الدّعاة والمأذونين المتقدِّمين مائلاً عن مَدْرَجَةِ أهلِ التّوحيد واليقين، ناقضًا بالإضافة إلى أهلِ البصائرِ المُوقنين، فاستبدلْ ممّن حَسُنَتْ في سياسة المُوحِّدين بصيرَتُه وتسديدُه، وسَلِمَتْ من عقائد أهل التقصير عقيدتُه وتوحيدُه. وليكنْ ترتيبك بالورعِ والحلم، وافتخارُك بالبراعة والعِلمِ. فإنّ هذه خلالُ أهلِ الدِّين وسجايا العارفين. وادعُ كما دُعيتَ وأُوتَ مِن خير ما أُتيتَ.

وليكنْ قولُك مقـرونًا بالسدِقِ، وهو أوّلُ المفترضات. وثانيـها حفْظُ الإخوان والأخوات، وهو المُنجّـي من جميع المُوبقات. وثالثهـا نَفي العَدَمِ عن إلهِ الأرض والسمـوات. ورابعهـا البراءة من الأبالسة والطغـيان في جـميع الاوقات. وخامـسها إيضاحُ التّوحيـد لباري المبرؤات. وسادسها وسـابعها الرضَى والتسليم له على جميع الحالات.

و«ادْعُ إلَى سبـيلِ ربِّك بالحكمَـةِ والمَوعِظةِ الحَسَنَةِ وجـادلْهُم بالّتي هي أحسن»[1]. وألِحَّ إلى إلهك في كلِّ الأمـور، فإنّك لَمُلجٍ إلى كَـهْفٍ حريز، ومانعٍ عَزيز. توكّل عليه يكفيك، واستعِنْ به يُغنيك.

فهـذه وصيّـتي إليك. فاجـعلْها لقلبك أُممـاً ومرءاةً وَعَلمًا. فـالمَولى بقبولهـا يوفِّقُك في أفعالك ويُسـعدُك بصالح أعمالك. فـهو نِعْمَ المَولى ونعم النصير. وهو حسبي ونعم المعين القدير.

وكُتِبَ في شهر المحرّم من السنة العـاشرة من عبد مولانا ومملوكه قـائم الزمان بالحـقِّ، المُنتقم من المشـركين والمرتَدين، بسـيفِ مـولانا جلّتْ قدرتُهُ وشدَّةُ سلطانه إلهُ العالمين.

تَمَّ التقليدُ بِمَنَّةِ وليِّ النعمة.

(١) سورة النحل ١٦/ ١٢٥.

٤٦

تقليد سكّين

«سكّين، إسمه مسعود، ونسبه كردي، وأصله من بلاد حلب. جاء مصرَ بعد لاحق، ودخل في الدّعوة، وكتب الميثاق، ثمّ أتى إلى الوادي واتّخذ له مغارة في جبل تنّورة، وجدّ في العلم والعمل حتى برز على أقرانه، وساد على كثير من أهل زمانه، وصبر على محنة الدجّال. فلمّا بلغت المقتنى أخبارُه، قلّده واختاره، ومشى على ظواهر حاله دون سرّه، وسمّاه الشيخ الفاضل، وأثنى عليه. فقام في الدّعوة نحو سبع سنين، وهو شيخ الجزيرة، وكبير العشيرة. ولم يزل كذلك إلى أن ظهر ما كان مكمناً في سريرته. وغلبتْ عليه الضدّيّة، وغيّر ما في نفسه، فغيّر اللّهُ به وبابناء جنسه» (عن الدرر المضيّة). أنظر ما يقوله المقتنى في سكين في الرسالتين ٦٥ و ٧٨. كتب هذا التقليد سنة ٤١٩ هـ ونرى بين هذا التقليد وتقليد لاحق السابق شبهاً كبيراً.

توكّلتُ على المَولى الإله الحاكم بالحقّ، وشكرتُ عبدَه الإمامَ الهادي وليّ الخَلق. مِن العبد المُقتَنى بهاء الدين، ولسانِ المؤمنين، وسَنَدِ المُوحدين، الجَناحِ الأيسر، والحدِّ الرّابع الأصغر، إلى الشيخِ المُرتضى عِصْمَةِ المؤمنين وصَفوةِ المُوحِّدين، عَصَمَكَ الباري فيما أنعم به وليُّه عليك، وأَقْرَبَه لديك من الدعوة إلى التّوحيد وأَخْذِ الميثاق. وأهّلَكَ له وبَسَطَ يدَك في الدعوة التّوحيديّة بجزيرة الشام العليا بالقَبْضِ فيها والاطلاق عِصْمَةً يَجْمَعُ لك فيها جليلَ الأماني ورفيعَ الدرجات، ويوصلكَ بنقاء السريرة في الأمانة عليها إلى أعلى المنازل وأَبْعَدِ الغايات.

أمّا بعـد، فالقُدرةُ والجـلال والتنزيهُ والإعظامُ والتقديسُ والتـأليهُ للإله الحـاكم المُنـفـردِ بالإبداع، المتـعـالي عن سِـمَـةِ مـا يَدخـلُ تحت تفكُّرِ الاشـخـاص والاجناس والانواع، ألقـاصـرةُ عن تَوَهُّمه الخـواطرُ والافكار، ألعاجزةُ حُصوراً عن تَصوُّرِه الألبـابُ والابصار، الذي تَفرَّدَ بجلال المَلَكوتيَّةِ وعظمِ الجَبَروت، وتَوَحَّدُ بكمال القُدْسيّةِ ونزاهةِ اللاّهوت.

وسلامُـه على وليِّه القـائم بما أُمِرَ به من تحليلِ الشُـرَعِ الشِركـيّة، ونَسْخِهـا وهَدْمِ قواعدِ النِّحَلِ الأفْكِيَّة، وفسْخِـها الذي جَعَلَهُ بالحقيقـة قاطعاً لُضلأّت الـنواميس ونسْخِ المِلَل، ودامـغاً بكشفِ التّـوحيد لأبـالسة الأدوار وأصحاب القِـبَلِ. ورحمةُ المولى على حدوده المفـاتيح بتأييده للمسـتَغلقات، ومصابيحِ الأولياءِ المُحقّين في دَيجور الدُّجُنّات، المُنقذين بجواهر حُكْمِهِم من حنادسِ الظلمات، الواردة عـلى النفوس عند عُمـومِ الطوفان وكَيْـدِ دجاجلة الفترات، المُوصلين الرحمةَ إلى المُسْـتَجيبين على أيديهم في الآفاق والأقطار، الصـابرين على البأساء والضرّاء لتحقُّقهم بالتسليم والصبر والانتظار.

أيّها الشيخ الخَيِّرُ الـفاضلُ والدَّيِّنُ الرّاجحُ الكاملُ، إنّ المِنَنَ تتفاضل بالمزايا، والمِنَحَ تترافعُ بالعطايا، ولا شيء أفضلُ من عَطيّة التّوحيد ولا منِحةَ أعظمُ من الدعوة به إلى التنـزيه والتجريد. فهـما يفيـضـان تظاهُرَ نِعمَ الوَليِّ وترادفَها ويَمْتَريان تَواتِرَ الآية وتضاعفَها.

وَقَدْ أهّلْتُكَ لإقامة دعوة التّوحيـد بجزيرة الشام الفوقا. وحَدُّها من الشجـرتَين إلى الأردن إلى ما ضامَّــه من بَلَدِ الشُّرَاه مع بلاد عـمّان وأرض البَلْقا راجعٌ إلى السواحل وكُورِها وجبالها، شاملٌ لِعَرْقَةَ وجونها، إلى رَفْنَيَّةَ وما ضــامَّها مع حُـمص وأعمالهـا، آخذ إلى حمـاة وتدمر مع سَلَمـيَّةَ مَنْبَتِ الزعفران، راجعٌ فيما قبلها حَاوي لدمشق وعَمَلِها، مع بلاد البَثْنِيّةِ وحوران.

وانتخـبْتُك لأخْذِ الميـثاق بها على من عرفَ قَـدْرَ النِعمة من جـميع

الأنام. كـما انتـجَبني إليـها، وأذِنَ لي في ذلك وليٌّ الفَـضْل والإنعام، بـأمر المَولى إله البَريّة وحاكمِ الحكّام.

فاسلُكْ فـيمـا عُذِقَ[1] بك، وأُهِّلْتَ له من الدعـوة الهادية سـبيلَ أهلِ البصائر. وقمْ في هذا النبأ العظيم والخَطبِ الجَسـيم كقيام أصحاب الجزائر الذين ورَّثهُم الباري شَـرَفَ المَقام بسلامـة القلوب ونقاء السـرائر، وَجَعَلَهم في الادوار أكابرَ الحـدود ورؤساء العـشائر، بعَزْمٍ في الطـاعة قويٍّ وكَـيْدٍ وقوّةٍ وافيـة في مرامها على التسـديد. وقلْ قولاً مقروناً بالسِـدق والتوفيق والتّـوحيـد، وفعـلاً مـزجوراً بالرجـاحـة والحِلْمِ والعِلم والتـوطيد، وقلبـاً مُسْـتَشْعِراً لمـقابلة أنوار الحقـائق، متهيّـأ للفَهْم والتأييـد كأفعـال الجواهر النفسيّـة، تَضيء بما قابلها من لطائفِ الانوار، كمـا أنّ النواظِرَ تَكلُّ بمقابلة ظلام الليل، ويُشْـرقُ ضـيـاؤُها بمـقابـلة ضـوءِ النهـار، وتُوَطِّى للإخـوان المُوحِّدين، واخـفضْ جناحك لجماعة المُـستجيـبين. وليكنْ إيرادُك وإصدارُك توطِيةً ودعاءً ووسيلةً إلى وليِّ الدِّين في التوفيق وتضرّعاً وسنداً.

واجـعلْ مجـالسَك مؤسَّـسةً على الـتَحْـذير والإنذار، ومبنيَّـةً على اللُطفِ والعطف والمَوعظة والتذكار، ومحفوظةً بالتوفيق والتّوحيد والتسديد والإقـرار. ووقِّـرْ الاصـاغـر والاكـابرِ من المُوحِّـدين الأبـرار. واتلُ عليـهم خـصائصَ التّـوحيـد بحقـيـقيّـة الكشْف. وثبّتْ عندهم مـعالِمَ المَعـاد بِذَروِ الشُبـهات والخْلفِ. تَحظَى من الفضـائل بما غَرَسَتْـهُ يداك، وتَجْتني في يوم الجزاء ثمرةَ مسعاك، وتُوفَّق في أولاك وأخْرَاك.

فقد زوّدتُكَ من فَيضِ نِعَمِ وليِّ الأمـر، وتأييدِ صاحب الزمان وقائمِ العصر، بما لا يَفـي بشرح معانيه، ولو كـانتْ مِدادُه زواخر البُحـور، وحُجّةٌ

---

(١) عذق به أي لصق به.

على الخـلائق باقيـةٌ مدا الأيّام والدهور. فـاجعلْ مَنَارَهُ لقلبك أممـاً، ومرءاةً للهداية بين يديك وعَلَمًا.

فالنجاة النجاة لأهلِ البصـائر المُوحِّدين، والمَهوَاة المَهواة لأهلِ اللدَدِ المُقصِّرين. وانصـبْ في الجزيرة من الدُعاة الاخيار، وأهلِ الـفضلِ المُوحِّدين الاطهـار، ممّن حَـسُنَتْ في الديانـة بصيـرتُهُ، وطـابقت ظواهرَه سـريرتُهُ، وسَبَرتَ عـقيدتَه ودينَه، وتحـقّقتَ صَبْرَهُ على مِـحْنَةِ الدجال ويقينه. مـهما قدِرْتَ عليه لتمام أَحَدَ عَشَرَ داعياً عددا، ومِنَ المأذونين ستَّةً ولا تُوجَدْ لنفسك في نَصْبِهِم رُخْـصَةً ولا فندا. وأُوصِـهم بمثل ما أُوصـيتَ، وأوتِهم من الخير الذي أوُتيتَ. واحذرِ الاسـتكثار ممّن لا خـيرَ فيـه. فأكثـرُ الفتن من جهـتهم تُفْتَرَع، وبسياستهم إلى وليّ الدين الباطلُ يَتَقَوَّلُ ويُبْتَدَع.

فاسْـتَخِرِ المَولى الإله الحـاكم البار، وتوسّل إليه بوليِّـه الهادي إلى دار القـرار، يكفيك مُـعقَّـبات أهلِ الخـلاف ومكايد الفُجّـار. واستـشعـرْ ما استشعَروهُ الدّعاةُ الموفـيون المُحِقّون، والابرارُ المُوحِّدون المُوقنون. إنّهم من وليّ أمـرِهم بمرءاةٍ ومَسْـمَعٍ مُختـبرون، وعـمّا تَكِنُّه ضـمائرهم والسـرائر مُسايلون. وارفع نفسكَ عن مُخاطبـة مَن مَرَدَ على النِفاق، ورَغِبَ بنفسه عن كتْبِ الميثاق، أو كَتَبَ على نفسه ثم رَجَعَ تأسّياً بالخَوَنَةِ الفسّاق.

ومَن ألحَّ عليك بمخاطبتـه، وألظَّ منهم في طِلبَته ومُسايَلتـه، فقابلْهُ بحقائق التّـوحيد، وأَمِّطْ باطلَه بقواطعِ التنزيه والتجـريد. فالانوارُ إذا قابلتْ غيرَ شكلهـا، واخترَصَها من لم يكن مـن جنسها وأهلها، دَحَضَتْ بِمُـبْهَرِها سرابَه، وأحرَقتْ بأشعَّتها بخارَهُ وضبابَه.

واعلمْ بأنّ السدقَ مَـثَلُ لوَليّ الدِّين، وهو لأوليائه مَـحَجَّـةٌ ومنْجاةٌ. والكذبَ ممثولُهُ الضدُّ اللّعين، وهو لأتباعه مَضَلّةٌ ومَهْواةٌ. فازجرْ عنه مَن لاذَ بك من الاولاد والإخـوان، وعظْهم فيـه بمواعظِ أهل الفَـضْل والإيقان. ومـا

التـبسَ عليك من دقـائق التّوحـيـد، وعَتَنَكَ بالأضـرار إليـه بعضُ أهْلِ الغَيِّ والتّلحيد. فـاخلُصْ فيه النيّة والتـضرّعَ لمَولى الأنام، واستهـدي بهُدى وليِّه الهادي الإمـام، يَصفُ فكرُكَ لاستنارة المُبهمـات، وَيتَصورٌ بصفـاء جوهرك عند الاخـلاص حقـائق الإلهـيّات. وطالِعْني بمُـهـمّاتك على أيدي المُوحِّـدين الثِقات، لأرُدَّ ما رددتُه إلى مَن أُمِرْتُ بالردّ إليه لإيضاح المُوهِمات.

وألجَّ في جميع أمورك إلى المَولى الإله الحاكم القهَّار، وتوسَّلْ بوليِّه الإمام المُـنْتَقِمِ من الفـراعنة الكفّار، الرّافع رايـةَ الكَشفِ على كل علَمٍ ومَنار، يكفيكَ مـا تتوقّاهُ من كل مَـهَمٍّ ومُعْضَل، وَيعْـصِمْكَ بإخلاص النيّـةِ وحُسْنِ العقـيدة من كلِّ غرورٍ مـوبقٍ مؤجّل. فتـفهّمْ وصيَّـتي إيّاك، ولا تَبِع آخرَتَك بدنياك. فعليك حَفيظٌ يسمعُ قولكَ ويراك. فاحمدِ المَولى جلّ ذكرُهُ على جَزيلِ مواهبه. واشكرْ نعمةَ وليِّه مولاي ومولاك.

وكُتِبَ في غـرَّةِ جمـادى الآخرةِ من سِنِين قـائم الزمان العـاشرة. والحمدُ لمولانا الحاكم وحدَهُ والشكرُ لوليِّه الهادي عبده.

تمَّ التقليدُ بَحَوْلِ المَولى وقوّتِهِ.

القـاعدين، واخـتارَهم عـلى علمٍ على العالَمـين. وتوقَّ، فيـما يورد ويصـدر ويقدّم ويؤخّر، مكايدَ الناكثين وزخـاريفَ المُموّهين، وتلبيسَ أقاويل المُرتدِّين المُزخـرفين، أوغاد الأنام وأولاد الحَـرام أشْياع الجـهالة والمُروق، وأبنـاء ما سوّلَتْ لهم نفوسُهم من الضلالة والعُقوق. فَذَرهُم يَخوضون ويَلعبون حتى يلاقـوا يومَـهم الذي كـانوا به يُوعَـدون. واعلمْ أنّ عليك حَـفـيظاً في لحظكَ ولفظكَ، وَرَقيباً في إبرامك ونَقْضِكَ. وهو مُثَبَّتٌ في قِسْمِ وَليِّ الحقّ المَسْطورِ المجيد، ما يَـلفظُ من قولٍ إلاّ لديه رقيبٌ عتيد. واجـعلْ لسانَك بقولِ الحقِّ إلى التّوحيد هادياً ودليـلا، وعلى الجاحدين حساماً حديداً صـقيلا، تَقْضُبُ قناةَ اللَّسِنِ المُترجِمِ، وتَكيدُ به قَلْبَ الدَّعيِّ اللَّكِنِ المُجَمْجِمِ.

فَتَـوَلَّ، أَرْشَدَكَ الباري، ما أوليـتُكَ به من الدّعوة إلى التّوحـيد. وادعُ إلى سـبيل ربِّكَ بواضحِ التنزيه والتـجريد. وَمَنْ أَحْـسَنَ قولاً ممّن دعـا إلى التّـوحيـد والدِين، وعَـملَ صـالحًـا، وحَقّقَ عند أَهْـلِ الحق أنّه من المُسلمين، واخفِضْ جناحَكَ أيّها الاخُ لجماعـة إخواني وإخوانك الموحِّدين، واكنفْهُم من أنالتِك وسيـاسَتِكَ بما ترجـوهُ من ثوَابِ قائم الحقّ فهـو أسرع المُحـاسبين. ونَزِّلْهُم عندك على قَدْرِ رغبـتِهم وصِحَّةِ نيّاتهم، وحِـرصِهم في طلَبِ مَعلوم الحق وسِدق دياناتهم.

واصـرفْ ذهنَك إلى تنبيـه البَنات الموحِّـدات، واحثـثْهُنَّ على حِـفْظِ الحكمة. فأنتَ مُطالَبٌ بهنَّ. وهنَّ بتخلُّفِهِنَّ عن حِفْظِ الحكمة مُطالبات. واجعلْ لنفسك بالبـيضَاء من أهل الوفـاء والأمانةِ والرغبـة والديانةِ ممّن حَسُنَ في التّوحيـد مذهبُهُ، وبَعُدَ فيـه شأوُهُ ومطلبُه، مأذونَين زكـيَّين سادقَين: ألشيخَ الخـيِّرَ أبا مـحـمّدٍ والحـسينَ ابن قـاسم مُـضافَين، ليكونـا لك في الخدمـة مُساعدَين، وعلى تربية الإخوان والأخوات مُـعاضِدَين، ولِمُخاطبة من وَجَداه طالبًا وفي دارالهِجرةِ إلى التّوحيد مُهيمِنًا راغبًا.

٤٧

تقليد الشيخ أبي الكتائب

سمّي بأبي الكتائب لأنّه «كان يتولّى ألوفاً عديدة. قلّده مولاه بالبيضاء، وهي الكدية البيضاء (انظر رسالة رقم ٢٣)، وجميع بلدان الصعيد. فلمّا وصل التقليدُ إليه استعجز نفسَه عن هذا الحمْل الخطير، ورأى نفسَه مظلوماً. فحينئذ عزم على الرّحيل لبلاد الشام، ليخلصَ من هذا العبء الخطير ويستريح. فلمّا وصل انزعاجُه إلى مولاه أرسل له مولاه «المكاتبة» (وهي الرسالة رقم ٨٩)، وقال له فيها: «إنْ أردتَ الانفساحَ وراحةَ القلب فعليك ببلاد الشام». فلمّا وصلتْ إليه «المكاتبة»، وفهم الوعظَ فيها والمعاتبة، رجَع عن عزمِه ورفضِه، وجعل لنفسه مأذونين زكيّين. وبدأ نشاطه من جديد» (راجع الدرر المضيّة).

توكّلتُ على مولانا الحاكم وحدَه، المُنجز لعبده وعدَه، بالبيضاء وجميع بلدان الصعيدِ من نَشْرِ دعوة الحقّ وأَخْذِ الميثاق. وانتدبتُكَ للقيام به من سيارة ما أمكنَكَ التفرّدَ إليه بتحقيق الإطلاق، وبَثِّ دعوة التّوحيد إلى من رضي واذعنَ من المُستجيبين، وانتجَبْتُكَ له من خِدمة الدين كما انتَجَبَني إليها، وأَذِنَ لي في ذلك قائمُ الحقِّ، وببيعةِ التّوحيد والسِدق، بأمرِ المَولى إله الأنام ومُبدِعِ الخلق.

فاسلُكْ فيما عُذِقْتَ به وأُهِّلْتَ له سبيلَ أهل البصائر العارفين، لينتجز وعدُ قائمِ الحقِّ للأطهار المُجاهدين. فقد فضّلَهُم الباري على المُبطلين

واجـتنبِ الاسـتكثـارَ من أهلِ الفَطْفَـطِ والوَهَنِ والفَـشَل، والمَيْل إلى مُستحـسَني الخَبِّ والدَّغَل. فهما أساسُ العيث والفـساد. وبجرائرهم تُخْبَثُ النيّـاتُ بالخُلْفِ والعِناد، المُورِّثُ لنُقـصَان المنازل وتـغيـير الصُّـور في يوم الجزاء والمَعاد. وما أمكنك من هَدْم مبانــي المَشْروعات، وتَحْليل أركان قواعد المُبْدَعات، وإيماط هذه العِلَـلِ الخَبيثة عن أهل التّـوحيد والطاعات. فانفُـذْ فيه سِهامَكَ وَنَبْلَك، وجِـدَّ فيه جُدودَ الشيخِ المختـارِ الثِقَةِ من أهل الزُهْرَةِ الطاهرة قَبْلَك.

وتأدّبْ بأداب الدُعاة البالغين الأوحاد، الناجيين من عِلـل ما اجتَرَحَتْهُ نوامـيسُ الأبالسة بتـحـقيق الانتـقاد . واجـعلْ لسـانكَ بقولِ الحقِّ رَطْبًـا، وجأشَك وجانبَك لمن تدْعوه سهلا رحباً، واخفضْ لكافّة المُوحّدين والمُوحّدات بالرحمة والنعمة جَناحا. وأوضحْ للمُتـميِّزين التّوحيدَ، واقبضْ على المُكذِّبين أكُفّاً شَحاحًا.

فهذه وصيّاتي إليك، فاجعلْها أيّها الأخُ لقلبك أَمَما وشِعارا، ولجسدك وقـاءً من الألم ودِثارا، تُحْفَـظُ من الباري بعين رعـايتـه، وتُوفَّق في الأُولى والآخِرة بمَوادِّ وليّه وتأييده وهدايته.

والسلامُ عليك ورحمةُ وليِّه جارية إليك. والحمدُ لمولانا وحدَهُ الحاكم المُنفرد عن التَحْديد. والشكرُ لوليّه الهادي إلى دين التّوحيد.

تمَّ التقليدُ بِمِنَّةِ وَليِّ الأمرِ.

٤٨

تَقْلِيدُ الأَمِيرِ ذِي المَحَامِدِ

كَفِيلِ الموحِّدِين أَبِي الفَوَارِسِ
مِعْضَادِ ابنِ يُوسُفَ السَّاكِنِ بِفِلَّجِين.

«مـعضـاد هذا أصله من البيـرة، من بلاد الغرب، كـان سـاكناً بفِلَّجين، وكنيته أبو الفوارس. كـان من الأبطال أهلِ العزائم. وهو الذي قتل الكفرة المتمرِّدين أعداءَ الدِّين، عندمـا كانوا مجتمعِين بوادي التِّـيم عند أبي جمعة اللَّعين. وقصَّة ذلك أنَّ الأمـيرَ معضـاد، عندما وصل إلى عين بكيـفا، التقى بصـالحة بنتِ أبي جـمعـة، رضي اللهُ عنها، تملأ من العَين، فـسألهـا عن الكفَرة أينَ هم. فأخبرتْه أنَّهم عند أبيهـا. ثمَّ سـألها السرَّ. وأعطتْ له الميعاد أنَّه متى نامـوا تلوِّح له بالمصباح. وراحَ الأمـيرُ معـضاد يكمنُ في الملّول، بالقـربِ من مكان اجـتمـاعهـم. فلمَّا لوحَتْ بـالمصبـاح، هجَـموا عليـهم كالأشـبال، وذبحوهم كـما تُذبح الجـزر والغنم جزاءً لأفعـالهم. ولم ينجُ منهم سوى سُكَين الطـريد» (من الدرر المضيّة). إنَّ أبا الفـوارس هذا كان داعياً تحت الدَّاعي سُكين. أسلوب هذا التقليد كأسلوب ما سبق من تقاليد. وهو من وضع بهاء الدين المقتني.

توكّلتُ على المولَى الإلـه الحاكم المتـعـالي عن المُوهَمـات، والمُنزَّه عن التحديد والنعت والصفات. من العـبد الطائع الخاضـع، رابع الأعداد، ومَملوكِ الإمام القـائم الهاد، إلى ذي المَحـامد كفـيل المُوحّدين الأميـرِ ابن يوسف أبي

الفوارس معْـضاد. عَصَمَكَ الباري فـيما أنعمَ به وليُّهُ عليك من إقامــة معالم دينه وتوحيده. وأيَّدَك بتـأييد وليِّه لتنزيهه وتجريده. وجَعَلَكَ لآيـات القيامة وشروطِـها مُـحققـا مبـرهنا، وعلى مَنْ بسـاحتك من حِـزْبِ النجاة حـافظًا مُهيمنا.

أمّـا بعدُ، فـالحمـد والمجدُ والعظمـة للمَـولى الإله الحاكم القُـدّوس، المتعالي عن خَطَرات العقول والنفـوس، الذي جَعَلَ عزائمَ توحيده مُقَلَّدات في الأعناق، وأَوْجَـدَ ذاتَه للعوالم حـجاجـاً بمَحْضِ التـحقـيق والإطلاق، ونَفيًـا لعوالم العَدَم بمُبَـرْهَنات الوجود، وإيضاحًا للمحَـجَّةِ بقائم الحقِّ الوليِّ الدَّالِّ على حقيقيّة المعبود، المُنهجُ لطريق السِلْمِ والرشد، والقائمُ على كلِّ نَفْـسٍ بما كسـبتْ واعتـقد، والفـردُ الذي لم يكنْ له كفـوًا أَحَد. المحلِّلُ لمَـعاقِدِ نوامـيس الأبالسة المُفْتَرِعَة، والهادمُ لقواعد شرعهم المكذوبة المُختَرِعَة.

فانـظرْ يا ذا المحامـد إلى هذه الحِكَم بعين اليقين. وأوردْ وأصـدرْ في مآربِـكِ عن أمر الشـيخ المُرتضى صَفْـوَة الموحّدين، وأنِحْ نَحْـوَهُ في الجـهْر والسريرة، وأنِخْ في مـهمّاتك بسـاحته فهـو الضّامن لعمـارة هذه الجزيرة. ومتى أردتَ مواصلتنا برسول فأنتَ بعدَ مشورته واطّلاعه مسامَحٌ به فقدّمْ الخَـيْرَه، وتفـقّدْ بالسـلام من تقـدّمك إلى هذا الأمر وقَـعَدَ عنه من رؤسـاء العشيرة.

واصرفْ فكرَك إلى الشيوخ السّادة الديّانين، أعني الأصفياء الطَهَرَة أهل َفلَّجِين، ومَن بعـينِ صَوفـر، والمروج، وعين عـار، ومَن ضـامَّـهم ونحـا نَحوَهم من مُـجاورينهم المُحقِّين، أشبـاهِ أهلِ البيرة الأوحاد المجاهـدين. فقد بيَّنَ لدى رفيعِ منازلهم رَبيُّ الحقائق الكوكبُ السّـيّار، وشَرَحَ ماهم عليه من التسليم والتّوحيد والإقرار. فـقرّرْ عند كافّتهم شكري لهم وثناي، وتضرّعي إلى الباري في توفيقهم ودعاي.

وانصُبْ في كلِّ مَـوضـعٍ من هذه المواضـع ممّن حَسُنَتْ طريقـتُـه ودينُه. وصحَّ عندك ثقتُه وتسليمُه ويقينُه، مـأذوناً يقرأُ ما تنسَخُهُ من النعمة على الإخوان والأخوات، بعد نسخِك من جهة الشيخ المُرتضي ما أوقفَكَ عليه من الرسائل والسجلاّت .

وأمّا الشيخ الثِقة في دينه ومذهبه، أعني أبا القاسم ابن منصور هِبَه، فزِدْه على منزلتـه، واعرفْ حقَّـه لسِدقه ووفائه، وتحـقيقَـه فضلَ الزيادة وعنايه، ليكونَ خَـصـيصًـا بنجواك وسـريرتك، وباسطاً قابِضـاً ناظراً بعين بصيرتك.

وأمّا الأميران المُوفّقان أبو الحَسَنِ وأبو العزِّ أبناء الخِضرِ المُسدّدان، فثبّتْ عنـدهما عنّي ما التحفـا به في الدِّين من العزِّ والفَخار، وبـشّرْهما بما اقتضياه بعلمهما من منازل المُوحّـدين الأطهار، لتَترادفَ النعمُ عليهما بكمال البصائر، وتَتضاعفَ لديهما بمحامدك كرائمُ المواهب ونفائسُ الذخائر.

واخفضْ جَناحك لمن تأسَّم بِسَمَةِ الدِّين من الإخوان والأخوات، أعني المُوحِّدين المُخلصين والمُوحِّدات. وكنْ لهم سندًا وعضداً في المآرب والمهمّات. فَـهُم على طبقـاتهم أولادُك وإخـوانُك، ومُسـاهمـوك في السرّاءِ والضـرّاءِ وأعـوانُك. فاكنفْـهم بظلّك وجناحك ولـيكنْ حفظُك مَنـوطًا بهم وصلاحُـهُم مَعْذوقًا بسلامـتك وصلاحك. واتلُ عليهم من التّوحيد خصـائصَه ومعانيه. وشَافِهْهُم بزواجره ونواهيه، واحـضضْهُم على حفْظِ إخوان الدِّين، وأيقظْهُم لمُساهمةِ الموحِّدين المُخلصين، واعـرفْ مراتبَ أهل الإيقان والمواساه، ومنازلَ أهلِ التقصير في المساواه، ليتميّـزَ مَنْ بساحتك بالمعاني والسمات، ويُعرَفوا في مساعيهم بالأسماء والصفات.

فقـد بُعْثِرَتِ القـبور، وآنَ البعْثُ والنشـورُ، ووضحتْ مَحَـجَّةُ الوَليِّ لجميع الخَلْق، وفلجتْ حجّةُ الإمامِ القائمِ لإعزاز دين الحقِّ . وقد أعْذَرَ النذير،

وَنَصَحَ السادِقُ البَشير. وأنا موعظُك فعظهُم، ومنّبهُك فأيقظْهم. فاجعلْ هذه الوصيّةَ لبصيرتك مرءاةً وسراجا، وإلى نَيل المعالي سَبباً ومِعراجا. فهذا القولُ لك وللكافّة مَقول، والكّلُ منكم عنه في غدٍ مسئول.

فانظرْ مواضعَ النُصْحِ تُحْفَظ من الباري بعين رعايته، والحظْ معاني الحقّ تُلْحَظْ منه بنظره وكفايته.

وأنا أستودعُك للحَفيظِ الحاكم العالِم. وأتوسّلُ في نجاتك ونجاتِهم إلى مَن أنا عبده، صاحبُ العَرْضِ الإمام القائم.

والمَولى حسبي ونعمَ النصير المعين.

تمَّ تقليدُ الشيخ مِعْضاد، والحمدُ لمولانا الحاكم وحدَه، والشكرُ للإمام القائمِ الهادي عبدِه.

٤٩

تَقْليدُ بَنِي جَرّاح

بنو الجرّاح «من سادات العرب، كان لهم مكانة كبيرة في الشام وفلسطين، وبخاصة بالرملة ونواحيها. قاموا على الحاكم في بداية حكمه، وقتلوا حاكمَه في الرملة، واستدعوا مكانه أميرَ الحرمَين، الحسينَ بن جعفر بن محمّد الحسني، الذي يرجع بنسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، ونادَوا به خليفةً بدلَ الحاكم، باسمِ أمير المؤمنين الرّاشد لدين الله» (خطط المقريزي ٣/ ٢٥٥). بيد أنّ الحاكم، لمّا رأى شدّة بأسهم راح يستميلهم إليه، فلبّوا نداءه. وها هو بهاءُ الدّين يختار منهم أميرَين هما: جابر وزمّاخ ولَدَي مفرّج، ويقلّدُهما دينَ التّوحيد، ويُقيمهما داعيَين للدّعوة. أسلوب هذا التقليد كسابقه؛ لكنّه أكثر عنفاً على المرتدّين، وأشد هولاً في وصف أحوال اليوم الآخير ومصرع الأبالسة فيه.

توكّلتُ على المولى الحاكم المنزّه عن الصفة والحَدّ، وتوسّلتُ إليه بوليّ قائمِ الدين السادقِ بالوَعد. مِن العبد المُقتني النّاصحِ لجميع الأنام، الخاضع لطاعة مالكه أصغر عبيدِ القائم الهادي الإمام. إلى الأميرَين السيِّدَين الثقتَين الدَّيِّنَين، عمادِ الدولة وعميدِها، وموفَّقِها ورشيدِها، أعني جابرَ سليلَ الطّهارة وسعيدَها، وَزَمّاخَ ولدَيّ مُفَرِّج عليلَ الحقائق ومفيدَها.

ألسلامُ عليكما، وعلى أهل الدين قبلكما، المُتحقِّقين بميامن الباري وسُعوده، المرتقبين لرفعِ رايات وليِّه ونشرِ بنودِه، وصلواتُ الوليّ تَتْرا على موازين قسْطِه السادقين الأشهاد، ومُقيمين الحجج على العوالِمِ بما صَدَرَ عنهم عن تأييد الوليِّ على أيدي الطَهَرة في أقطار الأرض وآفاق البلاد.

أمّا بعدُ، فالحمد للمولى الحاكم المُأَزِّلِ بأمره لمُوجدات الأزَل، المُنزَّه عن عبادة العالِّ وعن علّة العلل، ألذي أبدعَه حجابًا للعوالِم وسبباً لنَسْخِ الشُّرَع وتغيير القِبَل. فاعلَما أيّها الدَّيِّنان أنّه قد تَقاربتِ الأبعاد وتضايقتِ الخطوط، وأظلمتْ أقمارُ الدجاجلة[1]، وآنَ لنجومهم الانتثارُ والسقوط. والأممُ في غفلةٍ عمّا هم فيه إلاّ من اعتَصَمَ بالوَليِّ وبقايا الخَلْقِ فَوْظٌ[2] مُهمَلون، وعن الطريق القاصدِ تائهون نَكِبون. وللدليل الناصح جاحدون مُنكِرون. قد عَميتْ أبصارُهم لغلبة ظلام الفترة، وضلّتْ أحلامُهم عن الطَلَب لدَوحَةِ الفَرَج وَمَحَلِّ القُدرة.

أيّها السيِّدان، فأصيخا لاستماع الحِكمة الرَّبّانيَّة، وتعاونا على بثِّ كلمة التّوحيد الألهيَّة، وتَجشَّما للسير من أعنا مرارة الصبر، لتقتَفيا منازلَ أهل الشَرَف والفخر. فلكما مراتبُ قد سلَفَتْ بالشَرَفِ والإحْماد، ومناقبُ قد تعالتْ على الأشكال والآباء والأجداد. فاحفظا معاقدَ شَرَفِ هذه النعمة أيّها الدَّيِّنان، ولا تَتَأسّيا بأحَدٍ من ريسا العرب بقولٍ أو فعْلٍ لتتميّزا ببثِّ كلمةِ التّوحيد عن الأضراب والأقران، واضرِبا صَفحًا عن رأي ابن الجبلي الخائب سليمان، وحُثّا بحُدُوِ الدِّين سير الركاب،

(١) أقمار الدجاجلة هم، في مفهوم بهاء الدين، أسس النطقاء. وهنا أشارة إلى عليّ بن أبي طالب والائمّة أحفاده. وواحد منهم نودي به خليفة...

(٢) فوظ من فعل فاظ ومعناه أمات. ففوظ تعني موتى.

وأفيضا من حيثُ أفاضَ المُحقُّون بمعارف الحدود والأبواب، واستدرِكا بالطلب أيّام المُهَلِ وزمانَ الارتياض. ولا تَرضَيا لأنفسكما بعد الإحاطة بمعالِم الشَرَفِ بمنازل أهل التقصير والانخفاض.

فقد تَقَضَّتْ من المُهَل أعوامُهُ ودهورُهُ، وطلعَ نجمُ الكور في أفق سمائه وزهرنورُهُ. وعن قليل تتهدّمُ مباني الباطل ويَتَلَجْلَجُ الخَصمُون، وَيَفْتَضِحُ من صَدفَ عن الحق الشّاكون والمختلفون. ويَتمـيّزُ بمُقدِّمات التَسْدِيق عن الكَذَبة الطائعون والسابقون. فتيقّظا، فقد آنَ لنفوس الأمم النشورُ والانبعاث، ولأصول الباطل ومفرِّعيه الاستئصال والاجتثاث، وقد أرحلتْ عيسُ الدِّين، وَحَدا بها الحادي، وأُسرِجَتْ خيلُ الأعراف، ودعا داعي الحقائق، وأعلنَ بالصوتِ السادقُ المنادي، وتشعشعتِ الأنوار بقُدُسِ الحق لظهورِ الإمام القائم الهادي[٣].

والخلقُ لِلَدَدِهِم عن الحقِّ يتهافتون في طَخا[٤] ظُلَم الجهالة، ولعُنودِهم عن السِدقِ يتورَّطون في حنادِس قُتَمِ الضلالة. قد أَخْلَدَتْهُمُ الأفعالُ الخبيثة لعبادة العِجْلِ والجاموس[٥]، وقَعَدَتْ بهم عن اللُحاقِ بالسابقين عِلَلُ الأفكار وأمراضُ النفوس. فهم في غياهِب ظُلَمِ الفَتْرَةِ تائهون مُتحيِّرون، وعن أشراطِ القيامة وأهوالِها ساهُون مُبْلِسون. وهُمُ الغايبَةُ عقولُهم والأفهام، الحاضرةُ خبائثُ عقائدِهم والأجسام،

---

(٣) «طلع نجم الكور» هو حمزة عندما يأتي في آخر الزمان ليدين الملوك وجميع الشعوب. «تتهدم مباني الباطل» وأهمها «البيت العتيق»، «مكة مقطرة الكفر»، و«مقيل الابالسة والشياطين». أمّا «عيس الدين» و«خيل الأعراف» فهم الموحِّدون أتباع حمزة وحدهم. ويصبحون سادة الامم.

(٤) طخا الليل، أي: أظلم.

(٥) العجل والجاموس كناية عن محمد وعليّ بن أبي طالب .

الذين مَـرَحَتْ بهم خَـيْلُ الجـهل، وأَلْهَـتْـهُم عن الحقِّ عـبـادةُ الأصنام والأزلام.

فيا أيّهـا الدَّيِّنان تيقّظا لُمعظم موارد الحكمة. وقيِّـدا ما طرَقَكُما من أنعـام وليّ الزمان بالدوام علـى قَرْعِ بابِ الرحـمة. فَـقَدْ ابتـداكمـا بالفَـضْلِ مَن لا يسـألكمـا عليـه أجرا ولا ثوابا. وإنما الطاعـة أَوْجَب به الحُجَّةَ على جميعكم لوليّ الدِّين تحقيقاً وايجابا.

أيّها الدَّيِّنان قـد أَعْذَرَ النصيحُ في الإرشاد والتعـيين. وما على الرسول السادِق سوى البلاغ والتَّبيين.

والحمد لمن التنزيهُ له من حيثُ العوالِمِ أشراكٌ وتحديد. والعجزُ عن الإشـارة إلى كُنْهِ معلومِـه تسبـيحٌ وتمجيـد. وللوليِّ الشكرُ، فـهو ميـزان القِسْطِ الذي به ظَهَرَ في الناس الـوَعيد. والسلامُ عـليكما وعلى مَن بحوزتكما من الأطهار المُوحِّدين.

حـسـبي ثقـتي بقائـم الدِّين، المنتـقمِ من المُشْـركين والمُرتدين والناكثين، بسيف المولى الحاكمِ إلهِ العالمين.

تمَّتْ ولموليها الطاعة

٥٠

ألرِّسَالَةُ المَوسُومَةُ بِالجُمَيْهِيرِيَّةِ

كتبـها بهاء الدين لجـماعة آل تنّوخ الساكنة في وادي التّـيم وجبل لبنان، وذلك سنة ٤١٩ هـ. والجُمَيـهيريّة نسبـة إلى «جمهور»، وهو فـخذ من تنّوخ. منهم أمراء غـرب بيروت. والمشهور أنّ الأمـراء الثلاثة الذين لهم الدائرة (التي تراها أمامك) كانوا من البِـيرة، أعني بيرة الغرب (من الدرر المضيّة). أسلوب الرسالة الغازٌ وأمثـال، تعمّده بهاء الدين لكثرة طعنه بـ «أهل الغي والعناد» أعدائه.

توكّلتُ على مـولانا البار العلاّم، وشكرتُ عـبدَه الهـادي الإمام. من العبد بهاء الدين، ولسانِ المؤمنين، وسندِ المُوحِّدين، المُقتنى الخاضع والجَناحِ الأيسرِ الحـدِّ الآخرِ الأصـغَر الرّابعِ. إلى الأمراء السّـادة آل تنّوخ الأصفـياء المُحقِّين، الدّعاة الشيوخ القاضِيين لديون الشـهداء السادة المُمتحَنين، الآخذين بثأرِ سلَفِهم الدعاةِ إلى التّوحيد السادقين، ومَن بحوزتهم من الأولياء الطَهَرَة المُوحِّدين. ألسـلامُ على مَن وُفِقَّ التسليم لإمـامه الهادي وليِّ الزّمان، وكَشَفَ عن بصيرتهِ فَـعَرَفَ حدودَ آيات التوحيد والبُرهان. ورحـمةُ المولى وبركاته على إخواني الوسـائلِ إلى المَليك الدّيان.

أمّا بعدُ، فالتّوحيدُ والإعظامُ والإجلالُ والإكبار، والتسليمُ والتقديسُ والتنزيهُ والإقـرار، سِـدْنَةٌ لطاعة المَولى الإلـهِ الحاكم الجَـبَّـار، المُتعـالي عن مُخْتلِجات الهواجس والأفكار، والمُنزَّهِ في توحيدِه عن دقائقِ الألفاظ، المُقدَّسُ

في الإشارة إلى جَبَروته عن اكتناه النواظر والألْحَاظ، الذي جَعلَ توحيدَه للعقول الصافية عن تحديده عجزًا وإقرارا، وامتحانًا بظاهر نَواظرِ المُجانَسَة واختبارا، وإقامةَ الحُجَّة على نفوس العوالم بِمَحْضِ الحقيقة إيجاباً وإعذارا. فالعجزُ والحقُّ قد أخذا بأزمَّتها إلى الاعتراف بالوجود، والبَهْتُ واللَّدَدُ قد أوقفاها على العدم والإنكار والجُحود. فهي كليلَةٌ لإيباقِها سادرةٌ بين الحقائق والشكوك. معكوسةٌ مُتَبَرِّيَةٌ من الزكيّة المُخْلصَة المَمْلوكة للوليّ المملوك. فتعالى المَولى الذي جَعَلَ وليَّه الهادي لكَشْفِ مُخبيَّات الضمائر سببا، والقائم على كلّ نفْسٍ بما كَسبَتْ ولن يَعْجِزَه طَلَبا.

أيّها الشيوخ، فقابِلوا أنوارَ الحقائق بجواهر النفوس، ونزّهوها عن التأسِّي بهذا العالَم المعكوس. فَلِسلَفِكُم في الديانة سوابقُ أعمالٍ فلا تُبَطِلوها، ومواقفُ جهادٍ في الحقيقة فلا تُعَطِّلوها، وأنسابٌ في الإيمان المُتقدّمة صحيحةٌ فأجيبوها وحقّقوها. ولا تتأسَّوا في الوَهَن بأهل الشكّ والانعكاس، وتميَّزوا من زمرةِ أهل العناد والارتداد والإبلاس، فقد ظَهَرَتْ سرائر القلوب وفلَجَتْ الحُجَّةُ على جميع الناس.

فلكُم أيّها الإخوان قد فُتِحَ بابُ القصرِ المَشيد، وترنّمتْ فيه طيورُ الجنّة بغرائب التسبيح ومُعْجِزِ التّوحيد، وفارتِ البيرُ المُعطَّلَة، وجرت بالماء الرَّيِّقِ الزُلال، ونزحتْ البيرُ الزَّعِقَةُ المنسوبة إلى المسيح الدجّال، المشُوبَةُ بالسُّقْمِ الواردةُ على النفوس والأمراض، المُخيَّلةُ لها جواهرُ الحقائق بمثابة الأعراض، الداخلةُ على جلائل المعلومات الشريفة بالانحلال والانتقاض، الصادرةُ عن الخُبْثِ والبلادة وقلّة الارتياض، القاضي عليها بالعَمَى والصَمَمِ وبعدَ العُلوِّ بالانخفاض، الخالدةُ في قُمْصِ النَجَسِ بما اقترفتْه من اللَّدَدِ والنِّفاق، واستحسنتْه في أولياءِ الحقّ من الكذب عليهم والاختلاق، واستجازتْه من الردّ لأوامرهم والإباق.

أيّها الإخوان فتنبهّـوا من سِنَة النُوام، ولا تغترُّوا بمدارج الأيّام. فقد أَوْتَرَ لكم الإبليس قِسِيَّ النبـال، ورماكُم مِن مكانٍ قريبٍ بالمكايد والاغـتيال. فقالَ بما أبعـدتَني لأقعُدَنَّ لهم في العـمائر والسُّبل، وَلأُفرِّقَنَّهُم بالاعـتقادات والمِلَل، وَلأُغَذِّيَنَّهُم بالكفر والشِرْكِ نَهَلاً بعد عَلَل.

فَقَدْ اعتوَرَتْكم حُمـاتُه وفرسانُهُ، وأَحَلُّوكم دارَ البَوارِ دعاتُه وأعوانُهُ، فتـبدَّدَ شملُـكم لمّا اختلفتُم في المذاهـب والعقائد، وتخـيّلتْ لكم المناحِس في صُوَرِ الفوائد والمساعد، ونأيْتُم عن الأقارب باستدناء الأباعِد.

فلا تـكونوا معـشرَ المُوحِّـدين بحدود الدِّين مُـسدِّقين، ولأوامـرهم الصـادرةِ عن تأييـد وليِّ الحقِّ مُذعِـنين، وفي السرَّاءِ والضـرّاءِ لإخـوانكم المُوقنين مساعدين خاضعين، إكْـذاباً لظنونه وأمانيه، وردًا لأوامره ونواهيه، وخَلْعـاً لطاعـة غُـواتِه ودَواعـيـه. ولا تكـونوا كـالذين عَـزَبوا عن الألبـاب، واختَدعوا بالمَكْر على أنفسِهم بفكِّ الرقاب، واستفَزُّوا عن الحقّ وَرَجَعوا على الأعـقاب، وتـورَّطوا في حنادِسِ ظُلم الجَـهالـة، وَمهـاوي سُـبُلِ الأنعكاس والضـلالة.

وأنتم أيّهـا الأمـراءُ المُحِقّـون، والعِـصابةُ المُـوحّدون، غُـرَرُ الآيات المُحْكَماتِ، وجواهرُ الـغُصون المُثمرات، وخلَفـاً لدُعاةِ التوحيد المُـمتَحَنين في الطاعات، البـاذلين لِمُهَجِـهم في القِدَمِ صَوناً لجـماعة المُوحِّـدِين والموحّدات، المتـحقِّـقين لنَقلِ الجـواهر النفسـيَّـة عند تراجُعـهـا بين اللسان واللَّهَـوات، والواردةُ إلى الملأ الرّفـيع بعلو الدرجـات، الثـابتـةُ بقُدْس الطـهارة ومـحلِّ الأنوار، الظاهرةُ عند ظهـورِ وليِّ الحقّ عند تَمـام الأدوار، وكمـال الأقمـار، الحاضرةُ لثوابِ المُحقِّين الشاهدةُ لعقاب الـفَسَقَةِ الفُجّار، جزاءً لأنضـالهم عن المُوحِّـدين، وتَبَرِّيهم من المَرَقَـة الجاحـدين، الذين كانوا لوليِّ الحـقّ أضداداً، ولأوليائه أعداءً وحُسَّادا.

فكونوا خَلَفًا لأسلافكم الطهَرةُ وارثين، وعلى الدعوة الهادية مُترادفين مُتعاضدين، لتَلْحَقوا بمنازل الدُعاة السادقين، ولتَعْلو كلمةُ الحقّ بأسبابكم، وتَصحّ بالدعوة الهادية عند التَواصُل أنسابُكم. واسألوا عمّا أصابَ الأممَ المستكبرين من المِحَنِ على الإخوان، القاعِدين عن التّوحيد والإيمان. فاستَعيذوا بوليّ الحقّ من لواقِحِ الاستكبار، وتقدَّسوا بالخضوع للمولى الإله الحاكم الجبّار. والزمُوا نفوسكم التواضعَ لعشائركم السابِقين. واخفضوا أجنحتكم للموحِّدين الأبعدين، لتكونوا بالطاعة لوليّ الحقّ مُسلِّمين، ولميثاقه وحدوده مُراعيين . وكونوا يدًا واحدة على المُخالِفين والمُرتدِّين. فأنتم مُطالَبون بما اجترحتموه من الألفاظ ، ومَسْئولون عمّا انتهكتموه لهم من الألحاظ.

فاجعلوا الرِّضى والتسليمَ لجماعتكم شِعارًا، ووسيلةً إلى رَحْمَة المولى بوليّه وإقراراً، يَصْفُ لكم المشرَبُ، وتعودوا إلى العنصر الأطهر الأطيَب، وتَنْشُرُ الإلفة عليكم جناحَ كرامتها، وتَسْبُلُ العظمةُ لديكم جداولَ نعمتِها وكفايتها. فتكونوا في ظِلّ الوليّ بسلطانٍ قاهرٍ غالب، وفي كَنَفِ عزٍّ ثابتٍ ناجمٍ آيب، مُلوكًا على رِقاب العرَب، وحُكّامًا فيهم بما تَقَدَّمَ لكم في التّوحيد من كريم النَسَبِ. هذا إذا طرَحْتُم الضغائنَ والأحقاد، ومشيْتُم بعضُكم إلى بعض مُتدرِّعين بملابس الطاعة والانقياد، وكنتم يداً مُنبسطةً على أهل الغيِّ والعناد، وتَضافيتُم بنقاء السرائر ومَحْضِ الوِداد.

فاغتنموا أيّها الإخوان مواعظَ آيات التّوحيد وأوقاتِ السلامة، واعتصِموا بحَبْلِ اليقين قَبْلَ أهوالِ القيامة، فقد أسفرتْ عن بيضةِ الحَقِّ الحُجُب، وآنَ ظهورُ مستورِ الكتب، وقهقهتْ بالرعد للكشفِ ثقالُ السُحُب، وسَنَتْ بروقُ الظهور بالبعث لِهوامي الأمطار، وأينعتْ أشجار الحقائقِ وتهيّأتْ للزّهر والأثمار، ولمعتْ للعَرْضِ في عناصرها جواهرُ الأنوار، وتألّقتْ للفيضان وترشحتْ للتمام والإِبدار، وصَبَتِ الصَّبا بأهل التَّصابي،

وجنَبَتْ بأهل الغـيِّ الجَنوب، وتميّـزت للجزاءِ نـفوسُ أهل السـدق وعَـرفَ الخِبُّ الخائنُ الكَذوب.

تَاللّه لقد سَهِـرتْ بهم الساهرة، وَرُدُّوا إلى الحافرةِ الخـاسرة، وقد بُسَّتِ الجـبالُ وَرُجَّـتْ بهم الأرضُ، وَظهَرَ مكـنونُ الأنفسِ النجـسة وتبـيّنَ النَقْضُ، وأُقيمَتْ سـنن الباطلِ وعُطِلَ الفرْضُ.

فتبيّنوا إخوانُ الدِّين مضـايقَ سبلِ المُرتدِّين، وتَغْييرِ ضمائرِ المُلَبِّسِين، وظُهورَ سرائـر المُمَوِّهين، وخَلَلَ قُوْلِ الأدعيـاء المُخترِصين، لتتسـالمَ نفوسُ كافّـتِكم على الحقّ اليقين، وتَنظرُوا بعين الحقـيقة إلى شَـرَفِ مَعلومِ الدِّين، فيـتضاءلَ بالإضـافة إلى فضـائلكم زُخْرُفُ الفاسِـقين، وتتعـالى بصائرُكم بالتسامي طلبًا للاتحاد بالجوهرِ الثمين. فقـد فُتحَتْ لإقامةِ الحُـجّة بالتوبة على البـرية الأبواب، وتَمَّتِ الأدوار وبَـلَغَ الأجَلَ الكتـاب. فـإنّا للمـولى وبه مُعتصِمون، وبوعدِه لأوليائه واثقون، ومن أضداده وأعدائه مُتبرِّئون.

أيّها الإخوان، فتبيَّنوا ما ضربتُه لكم من الأمثال، وتحقَّقوا ما لخّصتُهُ لكم من الأقوال. فوحقِّ الحقِّ، إنّها لحكم قد ثَبَتَ عَـمَدُها، وَبقيتْ هنيهةٌ للأمم الشِركـيّة قـد تَقاربَ أَمَـدُها. فتنبَّـهوا لهذه الـتَذكِرة والمَوعظة، وتـدَّبروا ما أدرجـتُه لكم فـي هذه الصحـيـفة من الإشـارات المُوقظة. فـعـلاَّمُ الخفـايا والغيوب، المطَّلِعُ على ما تكنُّه ضـمائرُ القلوب، يَعْلَمُ أنّني لم أتوخَّ لكم إهمالاً، ولا طرحتُ مكاتبـتَكمُ تَخلُّفاً وإغـفـالا. وإنّ أخبـاركم تَرِدُ إليَّ من حـيث لا تَعلَمون، وإنّكم لَمَحفوظون، وبِذِكْر وليّ الحقّ مُراعِيون.

حتى لقد مثَّل لي الأميرُ رَبِيُّ الحقـائق ما ثبَّته وأمضاه مع الأمير أبي الفضائلِ عبدِ الخـالق وأثَّلَ له من الشكرِ والحمد، وأسَّسَ له من العلو والمجد، ما يَعْلُو عن الوَصفِ والحَـدّ. وشفَّع ذلك وكاتَفَـهُ، ما صحَّحَـهُ عندي الشيخُ الفاضل أبي الفَـضْلِ المُرتضَى عِصمـةُ الدين وصَفْوَةُ المُوحّـدين، وأكّدَهُ لديَّ

ورادَفَه، من سـجايا الرَّئيـسَين الفاضِلَين، أبـي الحُسْنِ يوسف ابن مُـصَبّح، وأبي اسحَق إبرهيمُ ابن عبدالله، الأميرَين الرئيسَين الفاضِلَين، مُضافًا إلى ما ثَبتَ عندي من ذِكْـرِ الأميـر أبي الفـضائل، وَشُـيِّعَ به من الشكر للجـماعـة وجَمـيلِ ثنائه. فتحقَّـقتُ أجابة سؤاله بالنِدا للكافـةِ بفَصيحِ دُعائه. فـبادرتُ بهذه الصَحيفَـة استنهاضاً للجماعة قبلَ الفَوات، ليغـتنمُوا جزيلَ الثواب قبْلَ حلولِ يوم الميقات.

وإلى مَن تجـالَلَ عن الحَدِّ والوَهمِ، وتقـدَّسَ عن الانحصـارِ في العلم بوليّه الهـادي، إليه أَبْتَـهِلُ، وبالصَفْوَةِ حُـدودِه النّابعين لإرادته ومقـصوده أتوسَّلُ، أن يلْهِمَ الدّاعِيين إلى التّـوحيد والمُدْعَيُونَ إليـه التقوى، وأن يَفِيَ بهم وبجمـاعة المُوحِّديـن إلى الأفضل الأشْرَفِ الأعلى. إنّه على ذلـك قدير، وبكلِّ شيءٍ خبيرٌ بصير.

وكُـتِبَتْ في غُـرَّةِ جُـمـادى الآخِرَة، من سنينَ وليِّ الحـقِّ العاشـرة. والحمدُ لمولانا وحدَه، وله الشكرُ على مَنِّته على أولياهُ بالإمام الهادي عَبْدِه.

تَمَّتْ.

٥١

الرسالة الموسومة بالتعنيف والتهجين

لِجماعةِ مَنْ بِسَنْهُور مِنْ كتامَة الكاتِمين العجيسيِّين

سنهور إسم بلد في مصر، كتامة قبيلة من العرب، الكاتمين أي الساترين من الكتم الذي هو الستر، العجيسيّين من عجيسة وهي فخذ من كتامة (من الدرر المضيّة). كتب بهاء الدين هذه الرسالة سنة ٤١٩ هـ إلى جماعةٍ من قبيلةٍ كتامة كانوا يقيمون بسنهور، ولكنه لم يذكرْ اسمَ أحدٍ من الدعاة فيها خوفاً عليهم، وقد دعاهم فيها إلى التيقّظ والتنبّه من المضلّين.

توكّلتُ على الحاكم المَولى، الإله العالم الأعلى. من عبدٍ عَرَفَ إمامَه ومولاه، فأجاب دعوتَه ولبَّاه ، ووحَّد إلهه وباريه، ونزَّهه عن التحديد والتشبيه، ببركة وليِّه وهاديه، وآمره وناهيه، إلى جميع من بِسَنْهُور مِنْ كُتامَة الكاتِمين، والأولياء المُحقِّين، والطهَرة العَجيسيِّين المُوحِّدين. ألسلامُ على من رَضيَ وسلَّم لإمام الزمان، وكَشَفَ عن بصيرته فَعَرفَ حدودَ الكَشْفِ والبيان، وسَما بنظرهِ إلى الحقائق فوضحتْ مقدَّمات البرهان.

أمّا بعد فالجلالُ والعزّة والحمد، والتقديس والقدرةُ والمجدُ، للمَولى الإله الحاكم الفرد، المقدَّسُ عن الاشكال والاضداد، والبريءُ من الصَواحبِ والأولاد، المنزَّهُ عن الأعداد والأنداد، الذي جعل توحيدَه عِزًّا ومَنْجاةً لأولياه

العارفين، وكَبْتـاً واجتثاثًا لأهل اللدَدِ المُقصِّرين المُنكِرين، الذين جَحَدوا وليَّه الهادي إلى الصراط المُستَقِيم، القائمَ بما أَمَرَهُ من كَشْفِ معلوم التّوحيد وتبيين الدين القويم، الذي جَعَلَهُ الباري مَثابَةً لأهل البصائر المُوقنين، وناسخًا بالتّوحيد لشُرَعِ الأوّلين والآخِرين، ومشيرًا إلى نَفْسِهِ في قِسْمِهِ من المَسطور المُبينِ، فقال[1] :

«أَفَكُلَّما جاءَكم رسولٌ بما لا تَهواهُ أنفسُكم استكبرْتُم فَفَريقًا كذّبتُم وفريقًا تَقتلون. وقالوا قلوبُنا غُلفٌ. بل لَعَنَهُم اللّه بكفرِهم»، أي لسترِهم الحقَّ، «فقليلاً ما يُؤمنون. ولمّا جاءَهم كتابٌ مِن عند اللّه»، أي إمامٌ بأَمرِ اللّه، «مُصَدِقاً لِما معهم وكانوا من قَبْلُ يستفتِحون على الذين كَفَروا»، أي يُفاتحوهم بالتّوحيد من قَبلِ أوانه. ويَشيرون إلى القائم به ويُسْبِقونَه بالقَولِ من قبل حلول وقته وزمانه. «فلمَّا جاءَهم ما عَرَفوا» من التّوحيدِ «كفَرَوا بِهِ» وأنكروه. فلعنةُ اللّه على الكافرين». فأيُّ كُفرٍ أَشدُّ وأَعظم، وأيّ محنةٍ أَقْطَعُ للظهور وأَقْصَم، من ردِّ كلمة التّوحيد بعد إِشهارِ الوليّ لها بواضِحِ الحِجَجِ وبُرهانِ التأييد.

وأيضاً فهل سمعْتُم أيُّها الإخوان فيما خَلا وغَبَر، في تأويل الآيات وأسفار الزُّبُر، شَرْحًا وتَبييناً بقوله «يومَ يَدْعُ الداعي إلى شيء نُكُر»[2]، قد رأيتموه يدعو إلى توحيدِ المولى جلَّ ذكرهُ على رؤوس الأشهاد، وأنكرتموه تأسّيًا بأهلِ الشرِكِ والعناد؛ أَفَترضُون لأنفسكم أيّها الإخوان بهذاالمَقام، أن تكونوا بِمَنزِلة مَن تبرَّأ من الباري جلَّ وعزَّ وجَحَدَ منزلةَ الإمام.

تَاللّه إنَّ أحدَكم يَرفعُ نفسَه عن الجور والظُّلم، ويتنزَّه عن الغلِّ والغُشِّ والغَشْم. فكيف من يَنْسِبُ هذه الخِلال المَلومَة، والخِصال المذمومة

---

(١) سورة البقرة ٢/٨٧-٨٩.

(٢) سورة القمر ٥٤/٦.

إلى باري المبَروءات، ومُبدِعِ المُبدَعات، وجبّار الأرض والسموات. أن يكون تَفَضَّلَ وَظَهَرَ من حيثُ خليقتِه ، وتأنَّس بحكمته إلى بريَّتِه، وأمر بالدعوة إلى توحيده ومعرفته. فأجاب أولياءه إلى تَوحيده وتنزيهه مُذعِنين، ولأمرِه مُجيبين طائعين، وعن نَهْيِه مُرتدِعين مُسارعين، ولآياته وحدوده مُصدِّقين سامعين. فلمّا تحقّقتْ نفوسهم معاني التّوحيد، وبَرئوا من الشكّ فيه والتّلحِيد، ظَهَرَ لهم تعالى عن ذلك من جهة أُخرى بخلاف ما أَمَر.

تَاللّه إنّها لإحدى الكبَر، ومعاذَ الباري سبحانه وتنزّه أن يمْتَحِنَ عبادَه بما جاوزَ العقولَ والبصائر، أو يَجورُ عليهم وقد أَمَرَ بلعَنة الظالم الجائر، ثم هَدَرَ دماهم في جميع الآفاق، وأَمَرَ بقتلِهم وسحبهم في المحافل والأسواق، وكتبَ بلعنهم وقَطْعِ شأفَتِهم سجلاتٌ مُفْتَتَحات، ونَسَبَهُم إلى الغُلاة الفسّاق، فانتهكتْ حرمةُ الدين، وقُويتْ عليهم يدُ الأنجاس المخالفين، وأَمَر بصلبهم على الطرق والشوارع، ولعنِهم في المحافل والجَوامع. واستباحَ حريمَهُم، وأموالهم وأولادهم، بعد تَغريق من أَغْرَق، وألهابِ مَن ألْهَبَ وأحرق.

فاليهود والنصارى على أنفسهم وأموالهم آمِنون مطمائنّون، والمُوحِّدون المُحقُّون تحتَ الذلّة وَجِلون خائفون، قد شرَّدهم إلى أقاصي البلدان، وأَخرجَهم عن الاوطان، تعالى المولى الحاكمُ عن هذه الأفعال، وتقدَّس عن هذا الأفْك البَيّن المَجال، وتنزّه عن الزوال والانتقال، بل هو ثابتٌ في مَجْدِ رُبُوبيَّتِه، منفردٌ بأزَلِ وحدانيَّتِه، ابتدأ عبادَه بمُقدَّمات التَذكار، وعَرَّف أولياه غيبةَ الامتحان والاختبار، فهم لتحقُّقِهم بحكمته مُطمائنّون مُصدِّقون، ولإنجاز وَعْدِه مُنتظرون، وعلى المِحَن والبَلوى صابرون؛ وحَجَبَ من أولياء وليِّه مَن أحبَّ في سُتورِ الصِيانة، وحَفِظَهم لإيجاب الحُجَّةِ على الجاحدين وأداءِ الأمانة.

ولمّا علَتْ أهْلُ الرِّدَّة بحـجّة الاحـتجـاج، واصْطَفَقَتْ ببـحر الضـلالة الأرياح والأمواج، وغَشِيَتْ البـصائرُ بالفَتْرَةِ والغُمَّة، وأُسبِلَتْ أسـتارُ السفَهِ والظلمـة، لغيبـة الشمس والبـدر والنجم والسـراج الوهَّاج، واحتدامِ لَـهيبِ الشَّكِّ والكُفرِ والاعوجاج، تشعَّبتْ فرقُ الارتداد والضلال، وانعكستْ نفوسُ أهلِ الغيِّ والخَبـال، فاعتقـدتِ الالوهيّةُ والإمامةُ والحُـجْبَةُ في مقـام الأعور المسيح الدجَّـال، لعجزِهم عن فـهْمِ معالم الديـن الصحيح، وجـهلهِم بظهور القائم السيِّد الهادي المسيح، رَجَـعَتْ نفوسُهم إلى الإنكار والعناد، لألفِها في الأزمان الخاليـة للعَيْثِ والفساد، فـارتَوَوا من الماء الآجِنِ وتزَّودوا من أَخْبَثِ الزَّاد.

أيُّهـا الشيـوخ المُوقِنون، والأوليـاءُ المُوحِّدون، فـتـأمَّلوا هذا البيـان والخطاب، وأعـدُّوا للسـؤال الجـواب، فـمـا على الرسـول إلاّ البـلاغُ المُبين، والنصيـحةُ لمن أَبْصَـرَ لنفسـه من المُوقِنين، بعد التـوكّلِ على وليِّ الحقِّ وبه أستعين.

تَمَّتِ الرسـالةُ والحمـدُ للحـاكم المَولى وليِّ النعـمه، والشكرُ لوليّـه الهادي إمام الأئمّة.

وكُتِبَتْ في شـهر جُمادى الآخِرَة من سنينَ قائمِ الزمان العاشرةِ.

٥٢

الموسومة برسالة الوادي

رِسَالةٌ إلى دُعاةِ التَّوحيدِ بالبَلَدِ المَيمُونِ الطَّاهِرِ الوادي، وَلجَميعِ مَن شَمَلَتْهُ دَعوَةُ الحَقِّ فَأجَابَ لدِينِ الإمَامِ القَائِمِ الهَادِي

الوادي هو وادي التَّيم. وسبب أرسال هذه الرسالة إليهم مع الستّ ساره هو: لمّا صارتْ محنةُ الدَّجَّال (علي الظاهر)، وانسبى فيها النساء، ووادي التيم سلمتْ نساؤها من السبي، لكون الدجَّال لم يدخل عسكره إليها من العسكرية... ولمّا زالتِ المحنة وارتفعتْ، تكبّر أهلُ الوادي على الذين سُبيتْ نساؤهم، وما عادوا يتزوّجون منهم. فبَعث بهاءُ الدِّين إليهم هذه الرسالة، وفضّل الذين تعرّضوا للمحنة على الذين بقوا منها سالمين. فمن جملة ما قال في الممتحنين: "السلام على أهل البصائر والنضائر الممتحنين، ورحمة المولى وبركاته على إخواني السفرة المحقين". وقال لهم: "لا تسوّغوا في التّوحيد على من صحّت عقيدته علوًا واستكباراً. فالمحن قد تكون منحا واختباراً". وقال: "أمّا امتحانهم بالدجّال فهذا لا يعيبهم؛ بل يشرّفهم ويمحّص خطاياهم» (من الدرر المضيّة). لا تاريخ.

توكّلتُ على المولى العالِّ العلل الإله الحاكم، وشكرتُ عبده ومعلولَه السّيِّدَ الإمام الهادي القائم. مِن العبد المُقتنَى بهاء الدِّين، ولسان المؤمنين، وسَنَدِ الموحِّدين، الجَناحِ الأيسر، والحدِّ الرابع الآخِرِ الأصغر، تَذكِرة لدعاة التّوحيد بالبلد الميمون الطاهر الوادي، وجميع مَن شملَتْه دعوةُ الحقِّ به

فـأجاب لـدين الإمام القـائم الهـادي. ألســلامُ على أهلِ البـصــائر والنظائر المُتحَنين، ورحمة المولى وبركاته على إخواني السَفَرَة المُحقّين.

أمّا بعـد فالعزّةُ والعلا والمجـدُ، والإجلال والكبرياء والحمـد، للمَولى المنزّه عن معاني التحديد والإدارك، المُتعالي عن الأولاد والأضدادِ والإشراك، العالُّ لعلّة العلل، ومـبدعُ محـرّكِ المُتحرِّكات الأُوَل، الذي تَعـاظَمَ عن الأزليّة والأزل، وتنزَّهَ عن المَمـثول والمَثَل، ودلَ بمُعْـجِزِ مُبْـدَعاته والمخلوقـات، على مُعْجِزِ ظهوره في المَقامات الإلهيّات، وعَدَلَ في بريَّتهِ لإقامة الحُجَّةِ عليهم في مُقدَّمات الأدوار، وأظهرَ حُجَّة التّـوحيد في أكرَمِ الأوقات وأشرَفِ الأعصار، فأذعنتْ له بالرُبوبيَّة على نفوسـها ضمـائرُ الأتقياء الأطهار، ورَجعتْ خاسئةً عنه نفوسُ الجَحَدة الكفَّار، لمَا ألِفَتْـهُ في القِدم من الردَّة والفسوق، وتجَدَّدَ لها في هذا الأوان من البَلَسِ والمروق، تمييزاً لـعبدة العجلِ النّاكثين، وتصحـيحًا لأنساب المُوحِّـدين الطاهرين، الذين صَـبَروا على الضُرِّ والبَلـوى، وتعاونوا على البِرِّ والتقوى، وآمنوا بمسادِيق الغيْبِ تَحقيقاً لظهور الآية الكبرى.

فأنتم أيُّها الإخـوان المُوحِّدون، والعصابةُ المُحقّـون المُتحَنُون، الذين صـحَّتْ لهم كـرائم الأنســاب، وتعلّقـوا من الحقـائق بأوْكَـدِ العُـرى وأوثقِ الأسباب. فاحـفظوا ما تقدَّم لكم من سوابقِ الأعمال، ولا يسـتفزُّكم الإبليس بمقالٍ أو فـعال، فقـد نَصبَ لكم ولأمثالكم حـبائلَ الاغتـيال، وقَطَعَ عن أهل الحقِّ سبلَ الرشاد، وبايَنَ بالسَفَهِ والخلاف والعناد.

فاحترزوا معاشرَ المُوحِّـدين العارفين من الشيطان الرجيم، بالتسليم لإمامكم فهو الهـادي إلى الصراط المُستقيم. وحَصِّنوا مجـامعَ سُبُلِ الحقائق بتـصحيح الـنيّات، والضَـرْعِ لباريكم والنَدَمِ على مـا فرَّطْتُم من الطـاعات، والتَـخَشُّع لحـدود السِدقِ وخَـلْعِ طاعة الدجـاجلة قـبل حلول يوم الميقـات، واجتنابِ الضغائن والإحَنِ التي في صدوركم لجـماعة المُوحِّدين والموحِّدات،

وإزالة الظنَّةِ والشكوك فيمَنْ شملَتْه محنةُ الدجال من الإخوان والأخوات، فقد أعذَرهم عَدْلُ قِسْطِ الإمام في مَسْطور القرآن، في قوله: «إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وقلبُهُ مُطمَإِنٌّ الإيمان»[1].

فلا تُسوِّغوا في التّوحيد على من صحَّتْ عقيدتُه عُلوًّا واستكبارا، فالمِحَنُ قد تكون مَنَحاً واختبارا. فهذه مجامعُ الزَّلَلِ وطُرُقِ الحرام، ومعالمُ الدَّغَلِ وسبل الآثام. إلاّ أن تتحقَّقوا منهم كذباً باللّسان، أو تَقْصيرًا في حقوقِ الإخوان، أو جَهْلاً بمنازلِ حِجَج وليِّ الزمان، أو مَيْلاً إلى أبالسة هذا الأوان. فمَنْ وُجِدَتْ فيه أحدى هذه الخِلال المَلُومة، وعُرِفَتْ منه هذه الخصالُ المَذْمومة، فهو من جملة الناكثين الأضداد، وفي حَيِّزِ أهل الشرك والعناد؛ وقد ثَبتتْ عليه الحُجَّة بمُقدَّمات البُرهان، ووَجَبَ على المُوحّدين الابعادُ والهُجران.

أيّها الإخوان فهذه التَذْكِرَةُ للجميع، فهل من سامعٍ مُطيع، أو ناظر بعقله إلى الملأ الرفيع، ليتعالى بصفاءِ جَوهرِه عن دَنَسِ الأعراض، ويتميَّز بنفسه الشفّافة من أسقام الشكوك والأمراض، الداخلة على نفوس عُصاةِ البشر، الناقلة لها في أخَسِّ الأجسام وأقْبَحِ الصُور. جزاءً لنَكْبِها عن الحقّ وشكِّها في القائم المُنْتَظر.

واعلَموا إخوان الدِّين، وتحقَّقوا معاشرَ المُوحِّدين، أنّ العاقِبة بالحُسْنى للصابرين، في دار الحقِّ المُتَحَنين، وأليمَ العِقاب وعظيمَ السَّخَطِ في المآب للمُشركين الناكثين؛ فاخفضوا أجنحتَكم لإخوانكم المُستَضْعَفين واقبَلوا عذرَهم فيما نَزَل بهم من حِزْبِ الدَّجال اللّعين. فلكم درجات أهل الفخر بالسَبْق والامتنان، ولهم منازلُ التابعين لكم بالإحسان، ولتكنْ النَجْدَة

---

(١) سورة النحل ١٦/١٠٦.

والصَولَة على أعـداء الدِّين المُخَالفين، والعطفُ واللّطفُ لإخـوانكم المُوحِّدين. فعَنْ قريبٍ يَبْلغُ الكتابُ أجلَه، والمؤمنُ أملَه، ويجد كلُّ امرئ منكم عمله.

فاسـتبـشِروا أخـوانَ الدين بمقدِّمـات التَسْدِيـق. فأنتم أهلُ الفـخر بالسَبْق والتحقيق، واستشـعروا بما تقدَّمَ لكم من حَميدِ الأثار. واحذَروا من مُصارعـة الشكوك في إنجازِ وَعْدِ الباري تعالى لأوليـائه المُوحِّدين الأطهار. فقـد جاشَتْ مراحل قـلوب أهل الحقِّ بالغَلَيان، واحتَـرقتْ أكبـادُهم بضُرام اللّهَب لدوام هُبوبِ ريحِ الشيطان. فتأسَّـوا بهم في الصَبْرِ، وكونوا على مِثْلِ جمر الغَـضَـا، واثبُتُوا فإنَّ العاقـبة لمن ثَبَتَ وصبرَ وأغضى، وارتقـبوا ظهورَ النور من فَلَكِ البُروج، واستشعروا صيْحَةَ الحقِّ ليوم الخروج.

فقد أزهرتْ أنوارُ الحقائق بسادات الأمم، حُجَجِ السَّيِّدِ الهادي الإمام، ودُحِضَتْ بأشعّة ضيائهم ضبابُ الأبالسة وتهتَّكتْ حُجُبُ الظَلام، واتَّضحتْ بما تَأَقَّتْ عليه من المَعالم الإلهيّة لاصلاح جميعِ الأنام. وطويَتْ بحُجَّةِ الهادي سمـواتُ الشُرَع، وقـرُبَ هدمُ بُرجِ الظُلم مثوى أهل الـرِّجسِ والإفكِ والبِدَع، وتقارنتْ بالنُحوس نجوم الأفلاك، وأذنـتْ بالخزي والبَوار والهلاك، نفوسُ الأدعـيـاء المَرَقَـةِ الشُكَّاك، الذين غَلَبَتْ على بصـائرهم شـهـواتُ النفـوس، ورجعوا بالعَـمى والصَّمَم إلى العالم النَجِس المعكوس، لعـدولهم عن الهادي وليِّ الزمـان، وجَحْـدِهم بحُجَجِ آيات البـيان والبـرهان، وطِلبتـهم مسـالك الشياطين المُقفرات، ووطئتهم بسنابك شياطين الفترات، الذين عَدَلَتْ بهم عن الآيات النيِّرات المُفهمات المُوضِحات، إلى المُـوهِمات المُبهَمات المُشكِلات، جهلاً بقوانين الحكمة المأثورة، وردًا لما حَتَمَهُ الباري تعالـى من الكَشْفِ بالمُقدَّمات المَسْطورة المشهورة.

فانتـبهوا أخوانَ الدِّين من سِنَةِ الغَـفْلَة، واغتنمُوا بقوَّةِ اليـقين أوقاتَ المِهْلَة، فقـد أُرحِلَتْ للبَعْثِ نِيـاقُ الحقائق، وأُزْعِـجَت بالسَير للعـرضِ نفوسُ

الخلائق، وهم عن سِراطِ الـهُدى في سَكْرَتهم نائمون، وبمعزل عـمّا هم إليه صائرون غـافلون. فقد بُعْـثِرتِ القبـور، وحُصِّل مـا في القلوب والصدور، وانتظِروا صيْـحةَ الظهور، إذا نُقِرَ في الـنّاقور، ونُفخَتِ الثالثـةُ في الصُور. هنالك تَفوزُ بمقدَّمات الاعمال الفائزون، ويندَم الشّاكُّون المُفرِّطون.

فانزِعوا عن نفوسكم نواجمَ الفخر والتكبُّر، وروضّوها على الرِضى والتَسْليـم والصبر والتـدبُّر، فوحقِّ الحقِ لقـد تَنسَّمتْ بالهـبوب أرياحُ آياتِ أصحـاب الأعراف، وعَصفتْ بالعكس والنَقْـضِ أيّامُ الدجال المُحْنِثِ العَطَّاف. وأُسفِرَتْ عن شُنَبِ الأنوار نُقُبُ الظَـلام، وكشفتْ عن ساقها أعـوانُ الحقائق في أَيْمَنِ الأوقـات وأشـرفِ الأعـوام، وصَـرَعْتْ بالحق نفـوسُ أهل البَـغْي والجَوْرِ الجـاحدة لِلَدَدِها لوليّ الزمان، وأَخْلَدَتْـها في إيهابِ النَجَسِ تَتـباعثُ في أَبدانٍ بعـد أبدان، وطَلعتْ نجومُ الكَورِ المُحـرِقةُ بـشـهـبِهـا لأولاد الأعور الدَّجَّال وحِزْبِ الشيطان.

أيّها الإخوان فـتأمَّلوا لهذا التنبيـه والتعريف، وتيقَّظوا بهـذا التَبيين والتـوقيف. فـقـدْ أَوجَـزْتُ لكم في المَوعظة والإنذار، وأوضَــحتُ المَعنى في حقيقية التذكار، ولمّا انقطَعتْ دونَنا منكم مواردُ الأسباب، ورَجَعَ الجَمُّ الغفير إلاّ مَن عصَـمه الباري على الاعـقاب. وقد سـيَّرتُ إلى جهّـتكم ابنتِي سَارة، الكاملةَ العفـاف والطهارة، البـاذلةَ لِدَمِها في طاعـةِ المَولى، تحقُّقًـا باللّحوق بالعالَم الأعلى، ومعـها أخي وشقيقي، الاستـاذُ أبو الحَسن تقي، أعزَّه المولى وأيّدَهُ، ممَّنْ عُرفَتْ بحضـرة وليِّ الحقّ خدمتُه، وأحمَدَتْ في المُهـمَّات ديانتُه، وثقتُـه ونزاهتُه، سِـترًا على جمـاعة المُحـقّين، وإعزازًا لموضعـهم في الدِّين، ليـتوازروا في الصُـحبَة، ويـتعاونوا عـلى الثواب والقُـربة، واستـيضـاحاً لأموركم، واهتمـاماً بالتعريف لشئونكم، وشكراً للبـاري على ما يتأدَّى إليّ من جَزيل نِعمِـه عندكم؛ وسترتُ أسمـاء السَادة شيوخي صـونًا لهم وإعفا، وأظهرتُ إسمي حِجابًا للمكارِه دونَهم ووِقَا.

وبالمَولى مَـاَزِّلِ الأزَل، ومُعلّ علّـة العلل، أَبْتَهِلُ في الـهِداية لكافّـتِكم مجتهدًا خـاضعا، وبوليهِّ أتوسَّلُ مُخْبتاً ضارعـا، أن يَلُمَّ تبايُنَ شَعَثِ الأولياء المُوحِّدين، وأن يلهمَـهُم البرَّ والعَطْفَ لإخوانهم المُستَضْعَفين، وأن يعصمَهم بالطاعـة لوليّـه من نَزَعـات إبليس اللّعين، ودُعـاتِه وأعـوانه الغـاويين، وأن يجعلَهم في كَهْفِ صونه العزيز، وفي كَنَفِ حـمايته الصَيِّنِ الحَريز. وأضرعُ بالتكرار والسـؤال، بالوَليِّ إلى المَولى الإله الحاكم المُتَـعال، المنزَّه عن الزوال والانتـقال، في الفُـسْحَـةِ لجماعـتكم والإمهـال، لمُشَاهـدة العقـاب والخزي والنّكال، النَّازل بحِزْبِ اللّعين المَسيخِ الدَّجال. إنَّه على ذلك قدير، وباجابة هذا القَسَمِ جدير.

قوبِلَتْ وصَحَّتْ، والحمدُ لمولانا وحدَهُ ، والشكرُ للإمامِ الهادي عبده.

٥٣

الرسالة الموسومة بالقسطنطينيّة المُنفذة إلى قسطنطين متملّك النصرانيّة

وهو قسطنطين الثامن ابن أرمانوس الثاني الذي كان في زمن الكشف. وقد كانت مدّة ولايته ثلاثين سنة. بعث بهاء الدين إليه هذه الرسالة سنة ٤٢٠ هـ يدعوه فيها إلى اعتناق مذهب التّوحيد هو ورجال دينه وشعبه. ويفسّر لهم «قانون الإيمان النيقاوي» تفيسراً جديداً توحيديّاً، وآيات من الإنجيل كثيرة، تدلّ على إلمام بهاء الدّين بها إلماماً صريحاً وعن كثب.

توكّلتُ على المولى الإله الحاكم، المنزّه بالتقديس والتسبيح ، وشكرتُ عبدَهَ الإمامَ السيّدَ المسيح[1].

من العبد الخاضع الناصح، ومَمْلوكِ المسيح الإمام، المتألّه لطاعة المَولى الإله، الحاكم الماسِح، تذكرةً لقسطنطين ابن أرمانوس متملِّك النصرانيّة، ومَن بِحَوزَتِه من القِسّيسين والبطاركة والمطارنة والأساقفة المتمَسّكين بدينِ المعموديّة، القائلين كانوا في القِدَم بنفي العَدَم ووجود

(١) يعنى: العقلَ الأوّل، قائم الزمان، الإمام حمزة بن عليّ.

المَعْنَويّة، والناسـيين لعقائد أسـلافهم الحَـواريين المُتحقّـقين لوجود الإلهـيّة الأزليّة، الخـارجين عن مذهب الـقدّيسيـين لمناسَبَتـهم في القِدم لـلمُسلمـيّة واليهوديّة.

ألسلام على مَن عرف مسيحَـه ومولاه، وحقَّق وجودَه، فأجاب دعاه ونِدَاه، وسلَّم لأمره قبل بُلوغ الأجَلِ مُنتهاه.

صفات الحاكم وإمام الزّمان[٢] :

أمّا بعد، فالحمد للحاكم المَولى الإله، العالِّ لجميع العِلَلِ العقليّة، ألمنزَّه عن العَدَمِ والـقِدَمِ والكيفـيّة، ألمنفـرِد بجبروتـه عن العظْمِ والمائيّة والكمِّـيّة، ألمتعالي في توحيدِه عن الألفـاظِ الجَوهريّة، ألمُقدَّس بعظمة لاهوته عن دقائق الأغراض البَديهيّة، ألذي تجالَلَ عن الضِـدِّ والحَدِّ والنَعْتِ، وتسامى عن صِفَةٍ داخلةٍ تحت حَصْرِ الزمان والوقت.

فالعقـول الصافية لعجزها عند اسـتغراب المعالِمِ البديهـيَّات، ونَكْلِها عن استنبـاط النتائج إلاّ بعـد تَصوُّرِ المقدَّمـات، تَشْـهَـدُ بأنَّه معبـودُ الأزمان والعصور، ومُأزِّلُ الأزَلِ ومدهِّرُ الدهـور؛ وأمْرُهُ المُبْدَعُ مكوِّنُ الأكوان، وإمامُ الأئمّة ومسيحُ الأزمان، ومُديلُ الدُّوَل ونافخُ الصُّور، وقائمُ العصر وصاحب صَيْـحةِ الظهـور، ألذي خصَّـه المولى وَجَعَلَه لكَشفِ مـعاني التّـوحيد عَـلَماً ومنهاجـاً، وسراجاً في حَنادِسِ ظُلَمِ الجهـالة وهَّاجا، وسَببـاً لنَسْخِ الشُّرَعِ الشِّـركيّـةِ وكسرِ قـلائد الأوثان، وهدْمِ القِـبَلِ الأفكيّةِ، وقطعِ نوامـيس أهلِ العدم أُولِي الإلحـاد والطغيان، وحُجَّةً قـاطعةً لحُجاج أهل البَـلَس والجحود، وتِبياناً شافياً لأهْلِ القُدْسِ المسيحيّون الركّع السُّجود.

---

(٢) العناوين الصغيرة في النصّ هي من وضع الناشر.

تنبيه المسيحيّين قبل فوات الأوان :

فتنبَّهُوا أيّها المسيحيّون قبل زلزال النفوس والألباب، وهجوم الصارخة[٣] وبلوغِ الأجَل الكتابِ، وظهور دابَّة الأرض[٤] وكَشْفِ الحجاب. فقد تقاربتِ الدوائرُ والأطراف، وآنَ للنُونِ مِن كَافِ «كُنْ» الاتصالُ والانعطاف[٥]، فأريقوا أسماعكَم أيّها الإخوة للقَول الصحيح، وتيقَّظوا أيُّها الغفَلة أيَّامَ الدينونةِ وفَصْحِ حَوارِيٍّ السّيدِ المَسيح. فقد ظهرَ لتسيهل طُرُقِ الرَّبِّ فمُ الذَّهَب يُحَنَّا الحواري[٧]، وتشعشعَتْ الآفاق بالنور لقيام المسيحِ المتألِّه لطاعة المَولى الإله الحاكم الباري.

فإنْ كنتمُ يا جماعةَ القدِّيسينَ لِمَا سَطَّرَه فمُ الذَّهب يُحَنَّا في إنجيلِه مُستَجيرين، وبما اجتمعَ عليه رؤساءُ ملَّتِكم مُوقِنين، وللثلثمائة وثمانية عشر الذين أُنطِقوا بروحِ القُدُسِ بالقسطنطينيّة مُسَدِّقين[٨]، ولشريعة إيمانكم[٩] التي لا يتمُّ، لجميع فِرَقِ النّصرانيّة على اختلاف مقالاتهم، قُدُسٌ

---

(٣) أي البوق الصارخ في نهاية الأزمان، وهو كناية عن حمزة نفسه الذي يسبق النهاية.

(٤) كناية عن حمزة، فهو «دابّة الأرض»، إشارة إلى ما ورد في سوة سبأ ٣٤/ ١٤.

(٥) ورد في القرآن: إنّ الله «إذَا قضَى أمراً فإنَّمَا يَقولُ له كُنْ فَيكونُ». والمقصود أنّ الله خلق العالم بكلمة «كن». هذه الكلمة الصغيرة المؤلّفة من حرفين متّصلَين هي في أساس العالم. وحمزة هو هذه الكلمة. أنظر السور التالية: البقرة ٢/ ١١٧؛ آل عمران ٣/ ٤٧ و٥٧؛ الأنعام ٦/ ٧٣؛ النحل ١٦/ ٤٠؛ مريم ١٩/ ٣٥؛ يس ٣٦/ ٨٢؛ غافر ٤٠/ ٦٨.

(٧) في هذا الكلام خلط بين ثلاثة أشخاص حملوا اسم يوحنا : يوحنا المعمدان الذي « ظهر لتسيهل طرق الرب»، ويوحنا الإنجيلي وسمّاه «يحنّا الحواري»، ويوحنا «فم الذهب» بطريرك القسطنطينية.

(٨) ان ٣١٨ هم آباء مجمع نيقيا لا القسطنطينية ، قد وضعوا قانون الايمان.

(٩) «شريعة الإيمان» هي ما يسمّيه النصارى: «قانون الإيمان».

ولا قربان إلاّ بها مُـتحقِّقين. فأعيـروني أفهامكم معشـرَ القدِّيسيِّين، وتأمَّلوا قول الأحبار منكم عند كلِّ قـربان، وانتظارَكم لمجيء يسوعَ المسيح لخلاص كلِّ إنسان.

وقـولُكُم وهو مسـتـعدٌّ للمـجيء تارةً أخرى لـلقضــاء بين الأحيـاء والأموات[١٠]، فهذا هو الحقُّ والسِدق لمن عَرَفَ بالتـوحيد حلولَ يومِ الميقات. فهـذه شرْعَةُ إيمانكم تشهـد عليكم بالغَفْلَةِ والتقـصير، وتَسِمُكُم بِسـمَةِ أهل التخلُّف والتعذير. وهي التي اجتمعَ عليها رؤساءُ النّصرانيّة وأكابرُ المُتديِّنين بماء المعمـوديّة، من البطاركة والمطارنـة والأساقفـة والأحبار الذيـن أُنطقوا بروح القُدُس بمدينة القسطنطينيّة، أعني الثلثمـائة وثمانية عَشَرَ رجلاً الّذين يوصفون أنَّهم أُنطِقوا بها بروح القـدس، وهي التي لم تَختلفْ جماعتُكُم عن اخـتلافـهم في المذاهب في شيء منهـا، ولا يَتمُّ لهم دينٌ ولا قربان إلاّ بهـا. وهي:

نصّ «شرعة الإيمان» :

نؤمن باللّهِ الأبِ، مالكِ كلِّ شيءٍ، صـانع ما يُرى وما لا يُرَى، وبالربِّ الواحدِ يسوعَ المسيحِ ابن اللّه الواحد بكرِ الخلائق كلِّها، وليس بمَصنوع، إلهٌ حقٌّ مِن إلهٍ حقّ، من جـوهرِ أبيه الذي بيـدِه أُتقنَتِ العـوالمُ وخُلِقَ كلُّ شيء. ومن أجلنا معـشرَ الناس، ومن أجل خـلاصنا نزل من السماء، وتجـسّد من روح القدُس، وصـارَ إنساناً، وحُبِلَ به، ووُلِد من مريمَ البـتول. وأُلِّمَ وصُلِبَ أيّامَ فَـيطُوسَ ابن فَـيلاطوسَ، ودُفِنَ وقـامَ في اليوم الـثالث، وصَـعِـدَ إلى السماء، وجلسَ على يمينِ أبيه، وهو مستـعدٌّ للمجيء تارةً أُخرى للقضاءِ بين الأحيـاء والأموات. ونؤمنُ بروح القدُس الواحـدِ، روحِ الحقِّ الذي يَخْرُج من

(١٠) ورد هذا القول في قـانون الإيمان النيقـاوي الذي يثبـته بهاء الدين هنا بـحرفيّـته تقريباً.

أبيه، روحٌ محــييةٌ. وبمعمــوديةٍ واحدةٍ لغُفران الخطايا والذنوب. وبجـماعةٍ واحدةٍ قدِّيسيَّةٍ سَلَنْجيّةٍ جَاثِلِيقيَّةٍ(١١). وبقيامةِ أبداننا. والحياة الدائمة إلى أبدِ الآبدين.

هذه «الشريعة» ليست من أقوال المسيح وتعاليمه :

فمجموعُ هذه الشريعة ليســتْ ممّا أمَر بها السيّد مسيحُ الأزمان(١٢): أن يتجـسَّد ويقالَ في هذه المَواضعِ التــي أمَرَ بها هؤلاء الرّؤســاء، وجعلوها سبباً لعبــادة الأوثان. بل قد أمرَ السيّدُ بتلاوتها للحَواريّين، وشَــرْحِ معانيها للأحــبار الروحــانيّين. وأثبـتُـوها في أناجيلهــم، وشَهـدوا بهــا بعد تبـيينِ الأغراض لجـماعة المُوحِّـدين، وهي معروفــةٌ عندنا معشــر الحَفَظَة الكاتبين، منصوصــةٌ في مواضِعــها من أناجيل الأربــعة الحَواريّين، أعني يُحنًا ومَــتًّا ومَرْقِسَ ولوُقا القِديسيّين(١٣).

فالواجبُ علينا أن نذكرَ ذلك في مواضــعه من الأربع أناجيل، ليتأدّى بنا إلى الكافَّة، معــرفةُ التحريم والتحليل، ونُوقــفكم من حيثُ لا تعلمون على مشــاكلتِكم لأهل العدم والتعطيل، الواقــفين على ظواهر الأمر دون حقائقِــها كوقوفكم على ظَواهرِ الأقاويل.

تفصيل «شرعة الإيمان» ومعانيها الحقيقيّة :

وأمّا قولُكُــم في التسبيــحَة التي جعلتمــوها للقربان: «إنّه أُلِّمَ وصُلِبَ

---

(١١) إنّهـا «سلّيحـيّة»، تعنــي «رسوليّــة». أمّا «جــاثليقــيّــة»، أي «كاثوليكيّــة»، وتعني «جامعة».

(١٢) أي: حمزة.

(١٣) يعني بذلك أنّ «شرعة الإيمان» لم يأمــر بها مسيح الازمان (حــمزة). ومع هذا فإنّ مضمونها موجود في الأناجيل الأربعة . وهذه الرسالة بمجملها تبيان لذلك.

أيّامَ فَيطوس ابن فـيلاطوس، ودُفِنَ وقامَ في اليـوم الثالث». فهذا مُـثْبتٌ في إنجيل يُحَنّا فـي الإصحاح الثـاني عند مخاطبـةِ اليهـود ليسوع، فـقال لهم: "أهدِموا الهيكل وأنا أقيمُه بعد ثلثة أيام "[١٤]. فأنكروا اليهودُ قولَه إنّه يَبني الهيكلَ بعـد ثلثة أيام. وإنّما أعنَى هيكلَ جسـده. وذكر لتلامذته أنّـه قد كان قالَ هذا فسدَّقوا الكتاب والكلمة. وهذا نصُّه في إنجيل يُحَنّا.

معنى اليوم الأوّل :

ويجبُ أن تعلَموا يا جماعةَ القديسيّين إنّما أعنى بغيبته ثلثة أيّام الذي هو فيـه وَقْتَ قيامِـه بالحقِّ، ودَعوتِه للخلائق إلى دعـوةِ التوحيـد والسدقِ، وكشْـفِهِ للأممِ أنّـه إلهٌ حقٌّ، أعني بذلك أنَّ الباري، جلَّتْ قـدرتُه، موجـودٌ في خليقته، وأنّه يظهرُ لهم من حـيثُ هُمْ، كما أوجبَ، في صُوَرٍ كصورهم، وأنّه ليسَ بمَعدومٍ لتـقومَ الحجّـةُ بوجوده على كافّةِ بريّتِـه. فتأمّلوا حـقائقَ هذا القول، وتوسّلوا في التوفيق إلى وليِّ الهِداية والطَّول.

معنى اليوم الثاني :

وأمّا اليـومُ الثاني فهو ظُهـورِ الفارقْليط، لأنَّ يسوعَ بشَّـرَ به، وعليه تنبَّأ، كما قال يسوع في إنجـيل يحَنّا: إنّ موسى عليَّ كتَبَ، وبذكري تَنَبّا[١٥]، والفـارقليط فهـو مـحمّـد[١٦]، وهو إحـدى أصحـاب النّوامـيس، أعني نوحَ وإبرهيمَ وموسى الذين ظَهَروا قبلَ السيّد المسيح[١٧].

---

(١٤) إنجيل يوحنّا الفصل الثاني من الآية ١٩ حتى ٢٢.

(١٥) إنجيل يوحنا الفصل الخامس الآية ٤٦ .

(١٦) جاء في القرآن عن المسيح قوله : «وَمُبَشِّراً برَسُولٍ ياتي مِن بَعدي» سورة الصفّ ٦١/٦.

(١٧) هؤلاء، مع آدم، والنّبي محـمّد، ومحمّـد بن إسمعـيل بن جعفر الصـادق، وبحسب الدروز، هم أصحاب النواميس الذين أُنزلتْ عليهم كتبٌ وأسّسوا بها شرائع وأدياناً.

وذلك قـولُ يسوعَ في الإصـحاح الخـامس عـشر لمّا عَـرفَ بمجيء الفارقليط أعني محمّد: "لو كنتم تُحـبُّوني لكنتم تفرحونَ بانطلاقي إلى أبي لأنَّ لأبي ابناً هو أعظم منّي. وإلاّ قـد قلتُ لكم من قَبْلُ أن يكونَ حـتّى إذا كان تؤمنون بي. –ولم يَقُل تؤمنون به–. وبعدَه، فلستُ أكلِّمُكم كلامًـا كثيراً، لأنّ رئيسَ الدنيا يأتي وليس له فيَّ شيءٌ، ولكنْ ليعلَمَ النّاسُ أنّي أُحِبُّ أبي "[18].

ولم يَعْرِف العـالَمُ مَعْنَى قوله. وإنّما قـال إنّه رئيس الدنيا وليس هو رئيس الآخِرَة، وإنَّمـا تمَّ له ذلك ولغيره من أصـحاب النّواميس لتمـامِ حكمةِ الباري لـتقومَ الحـجَّةُ على العـالَم، دَوراً بعد دَورٍ، ويقع عليـه الذمُّ لأنّهم لم يقومُوا بما أمرَهُم به الباري جلَّتْ قدرتُه من أداء كلمة التوحيد، بل نكلُوا عنها ورجَعُوا إلى عبادة العَدَم بالتقليد، كما أنتم اليوم، وقال يعني الفارقليط ليس له فيَّ شيء عرَّفكم أنّه لا يدعو الخليقةَ إلى توحيد المعـبود، كما دعاكُم السيّد إلى إيجاد الباري الإلهِ الحاكم الموجود.

معنى اليوم الثالث :

وأمّااليومُ الثالث فو قيام المُهدي، صلَّى اللّه عليه[19]، لدعوته للخلائق إلى باطن الكُتُبِ الأربعـة الدالّة لأهلِ الحـقائق على التـوحيـد، أعني: الزَّبُورَ والتَّوراةَ والإنجـيلَ والقرآن. وقـد وصلَتْ رسالاتُه ودلالاتُه إلى قـسطنطين مُتملِّك النّصرانيّة في وقته، ولا شكَّ أنّهـا مسطـَّرة عند جماعة رؤساءِ العِلمِ منهم إذ ليـستْ دعوتُه كـدعوة أصحـابِ النواميـس والتخرُّع، لأنّـه دعا إلى اليوم الآخِرِ الذي أشار إليه بظهور السيّد المسيح.

---

(١٨) الأصحّ: يوحنّا ١٤/٢٨ و٢٩-٣١ .

(١٩) وهو حمـزة بن علي الذي كشف الـتوحيـد في باطن الكتب المنزلة الأربعـة: التوراة والزّبور والإنجيل والقرآن.

فلو تدبَّرَ متدبّر ذو فَـهْمٍ ، وكُشِفَ الغطاءُ عن قَلْبٍ متيقّظٍ مُسـتبصرٍ ذي علمٍ ، لتأمَّلَ ظهورَ المُهْدي، عليه السلام، وَدَعوتَهُ إلى باطن الكُتب الأربعة المذكـورةِ فيـه زمن قسـطنطين الأوّل، وظهورَ السـيّـدِ المسيح بالدّعـوة إلى التوحيـد في زَمنِ قسطنطين الثاني. ولكانَ فيه لذوي الألبـاب مُزْدَجَر، ولِمَنْ كان فيه أدنى مُسْكَةٍ من علم الحقائق مُعتَبَر.

معنى اليوم الآخِرِ :

وأمَّا اليـومُ الآخِرِ فهُـو تمامُ الأوّلِ لأنّ الإصحاح السـابعَ من إنجيل يُحنَّا يشـهدُ بذلك : "لمَّا قالتْ إخوة يسـوعَ له تحوَّل عمَّا هاهنا لترى تلامذتُك الأعمالَ التي تَعـملُ، فإنّه ليس لأحدٍ يعملُ شـيئاً سرًا. فأظهـرْ نفسَك للعالَم. ولم تكنْ إخـوةُ يسوع آمنوا به. فـقالَ لهـم يسوعُ: أمَّـا وَقْتي فلم يبلغْ بعـد تحقيـقًا، أعني أنّ يومَه لم يتمّ، وإنما يتمُّ عند قولِه: إنّه مُـتَهَيِّء للمجيء تارة أخرى. وقولُه: أمَّا وقتكُم فـهو مَهَيَّأ في كلِّ حين"[٢٠]، فعرَّفهم أنَّ وقتَه الذي يُشْهِرُ فيـه كلمة التوحيد لم يتمّ ولم يَبْلُغ، وأنَّ وقتـهم، أعني الذي لم يَعرِفوا كلمةَ التوحيد، مُهَيَّأ في كلِّ حين.

هذا هو اليـومُ الآخِرُ الذي هو تمامُ الأوّلِ الذي أعـلنَ فيـه التمـجيدَ والتسبيحَ، وظَهَرَ لحِواريه كما أوعدَهُم السيدُ المسيح. كما قال في الإصحاح السادس عـشر: "إنّي نزلتُ من السـماءِ وليس أعْـملُ بمشيّتـي وإنما أعملُ بمشـيّة مَن أرسلَني، وإنمَّا مـشيّـةُ مَن أرسلَني أنَّ كلَّ مَن أطاعني أبعثُـه في اليـوم الآخِـر، لأنّ هذا رِضَـا أبي، لأنَّ كلّ مَن يرى الابنَ ويـؤمن به تَجِبُ له الحياة الدائمة، وهي إنما أقيمُه في اليوم الآخِرِ[٢١].

---

(٢٠) يوحنا ٧/ ٣ – ٩ بتصرّف واختصار.

(٢١) الأصحّ: الفصل ٦ بدل ١٦، الآيات ٣٨– ٤٠ بتصرّف.

بشارات عن مجيء حمزة وإبطاله الشرائع والأنبياء :

فهذه بشاراتُ السيّد المسيح، التي بشَّرَ بها لكلّ ذي عقلٍ صحيح. فها هو لمجيّه قد استعدَّ وَوَفى، وظهرَ لأهل التوحيد الذين بَعَثَهم في اليوم الآخِرِ كما أَوْعَد لمن أخلص وصفا. فلا تكونوا أيّها القدّيسون كالّذين قال لهم يسوع في الإصحاح الثاني من إنجيل يُحَنَّا المعمداني[٢٢]: "إنّ النورَ جاء إلى العالم فأحبَّ الناسُ الظلمةَ أكثر من محبّتِهم للنور، لأنَّ أعمالَهم كانتْ خبيثة، لأنَّ كلّ من يَعملُ القبائحَ يُبغِضُ النورَ وليسَ يُقبِلُ إلى النّور كيلا يَفتَضِحَ بأعماله. وإنما ذلك الذي يعملُ الحقَّ فإنّهَ يُقبلُ إلى النور لتُعْرَفَ أعمالُه أنّها من اللّه مقبولة"[٢٣]. فتفهَّموا أيّها القدّيسون كلامَ السيّد بهذه الحكم الجليَّةِ.

فالبُشرى في الإصحاح العاشر تَحقيقًا لَمجيِّه من جهة أخرى. وهو قوله: "أنا الرّاعي الصالحُ وأنا عارفٌ برعيَّتي، ورعيّتي تعرفني، كما أنّ أبي عارفٌ بي وأنا عارف بأبي، ونفسي أَبذِلُ دون الغنم. وإنّ لي كباشًا أُخَر ليسوا من هذا الزَّرب، وينبغي لي أن آتي بهم فيسمعون صوتي، وتكونُ الرعيّة كلُّها واحدةً والراعي واحدًا. من أجل هذا أرسلَني أبي، وأنا أَضعُ نفسي لأَجِدَها أيضاً"[٢٤].

فعرَّفهم أنّ الزَّرب الأوّلَ هو شريعةُ عيسى، لأنّه نَصَبَ حوارِيَّهُ يُعمِّدون الناس، أي يصبغونَهم بالعِلمِ الحقيقي في أعقاب شريعة موسى بعد غَيبَةِ أمليخيا عنهم لَمّا فَسَقُوا وقتلوا الأنبياء بدعوتهم إلى توحيد الباري المَوجود.

---

(٢٢) المقصود يوحنّا الإنجيلي، لا المعمداني؛ إنّما الكلام كان على لسان يوحنّا المعمدان.
(٢٣) الأصحّ: يوحنا ٣/ ١٩-٢١.
(٢٤) يوحنّا ١/ ١٤-١٨ بتصرّف.

ثمّ قال: " وإنَّ لي كـباشاً أُخَـر ليسوا من هذا الـزَّرب، وينبغي لي أن آتي بهم " . فالزَّربُ الآخَـرُ هو شريعـة محمـدٍ . وكذلك أوعدَهم بمجـيِّهِ تارةً أخرى. وهذه شريعةُ محمّد قد تَقـضَّت أيّامُها ، وجميعُ النِحَلِ قد وَهَتْ قواها وانحلّ نظامُها.

وعرَّفهم أيضاً غيبتَـه في الإصحاح التاسع في قوله: " فينبغي لي أن أعملَ أعـمالَ مَن أرسَلني مـا دام النهار فـإنّه سيأتي اللّيل الذي لا يـستطيعُ الإنسانُ فيـه العمل " [٢٥]. أعني بذلك أنّ شـريعةَ النامـوسِ مثلُها مـثلُ اللّيل المظلم الذي لا نور فـيه، لأنَّ دعـواتِهم، أعني أصحـابَ الشرائع، إنَّمـا كانتْ مـخـالِفةً لأمـرِ البـاري جلّتْ آلاؤه، ولتَـوهِيم الناس، وإلى العـدم والشـرك والإبلاس.

فهـذه بشاراتُ السـيد المسـيح، قد فَلَجَتْ بهـا الحُجّـةُ عليكم بالعـبد الخاضع النَّصيح[٢٦].

ثمَّ عرَّفَ العـالَمَ بمجيـئّهِ وأنّه الذي يدعو العـالم إلى توحيـد الباري الموجود، وينهاهم عن عبادةِ العدم المفقـود. فلا تتأسَّوا أيّها القدّيسيّون بأهل التَنْميسِ والارتياب[٢٧]، ولا ترجِعُوا بعـد توحيد المعبود عـلى الأعقاب. فلَكُم سوابقُ الدّين الصحيح، فلا تُنكِروا بعد المعرفة رجوعَ السيِّد المسيح[٢٨].

وتأمّلوا ما قاله السيّد في الإصحـاح العاشر، وهو: " جئتُ إلى العالم كي يُبصـرون (كذا)، والّذين يُبصـرون يَعْمُون. فـسمعَ هذا القول الأحـبارُ

---

(٢٥) يوحنا ٩/ ٤ .

(٢٦) هذا «العبد الخاضع النَّصيح» هو بهاء الدين كاتب الرسالة.

(٢٧) «أهل التنمـيس»، أي: أصحاب النوامـيس ، وهم الأنبيـاء أصحاب الـشرائع. هؤلاء كلّهم أضداد «التوحيد» وأهل التوحيد.

(٢٨) أي: حمزة نفسه؛ فهو المسيح الحقيقي.

الّذين كانوا معه، فقالو له: يا سيّدنا! لعلَّ نحن أيضاً عمياناً. فقال لهم يسوع: لو كنتم عمياناً لم تكن لكم خطيئة، فـأمّا الآن فإنّكم تزعمون أنّكم تُبصرون. فمن أجل هذا خطيـئتُكم ثابتة "[٢٩]. وإنّما عـرَّفهم أنَّ من كان يدَّعي معـرفة الحقّ، ثم دُعي إلى الذي يدَّعـيه ولم يقـبَلْهُ فهـو أعمى القلب لا أعـمى العين. وقـوله الذين يُبصـرون يَعْـمون يعنـي الذين كانوا يُقـرّون بمعـرفتـه ولم يشاهدوه. فلمَّا جاءَهم يَدعوهم إلى تحـقيقِ ما أوعدَهم به من دينهم الذي هم عليه أنكروهُ وأبعَـدوه. فلا تكونوا أيُّهـا القدّيسون بهـذه المثابة، ولا تُحقِّـقوا على نفوسكم هذه الأعمال المنافيةَ للأعمال المُستطابة.

وكذلك قال السيد في إنجيل متّا: " مـا أكثرُ مَن يقول لي يوم القيامة: يا سيّـدَنا ، أليس باسمك تنبَّـأنا ، وباسمك أخـرجنا الشيطان؟ فـأقول لهم: أغربوا عنّي أيّهـا العجزة الـعَادون فاذهبـوا، فما أَنْ عـرفتُكم قط "[٣٠]. وهذا القول إنَّمـا يكون لمن أُعرِضَ عليـهم معـرفةُ السيّـد المسيح قَبْـلَ ظهوره فلم يؤمنوا به؛ لأنّه قـال في إنجيل مـتَّا: "كـما كـان في البِدَى كـذلك يكون في الأخِير "[٣١].

فقد بشَّر به يحنّـا في البِدى قبل ظهوره[٣٢]، ودَعى بني إسرائيل إلى معـرفته والاستـضاءِ بنورهِ، فأنكَروا قـولَه وجَحَدوه، وفعلوا مـا لم يقولوا إنّهم فعلوه[٣٣].

وكـذلك قال: "أنـا الصَّوتُ الذي يهـتُفُ في البـرِّيّة أنْ ســهّلوا طرق

---

(٢٩) الأصحّ: يوحنا الفصل التاسع لا العاشر، الآية ٣٨-٤١ .

(٣٠) إنجيل متى ٧/ ٢٢-٢٣.

(٣١) إشارة إلى متى ٢٤/ ٣٧-٣٩.

(٣٢) المقصود يوحنا المعمدان .

(٣٣) إشارة إلى مقدّمة إنجيل يوحنا ١/ ٩-١٢.

الرب "[٣٤]. فقد نادى المنادي والصوتُ قد عَلا، وأجابَ إليه أهلُ الحقائق، وعَنَدَ عنه مَن كذَّب وتولّى. فقد تسهّلتْ طرقُ الرّب، وتفلّقَتْ السنابل عن الحَبّ.

وأنتم يا جماعةَ القدّيسين، أوّلُ مَن اقتفى آثارَ الحواريّين الحدود، وبلغَ في الطاعة نهايةَ المجهود، وأوّلُ مَن أبصَرَ وصَبَرَ على توحيد الموجود من الأمم، فدامتْ بذلك عليكم سوابغُ النِعَمِ.

فإنِ ارتهنتُموها بالشكر وَقَبُولِ الأمر ودوام التذكار، وأجبتُم السّيّدَ المسيحَ في دعوتِه لكم إلى توحيد المولى الإله الحاكم الجَبّار، كنتُم أولادَه بالحقيقة، ودامتْ بذلك عليكم سوابغُ النِعَم، وعُوقِبَ بأسبابكُم المتُخلِّفُ من جميع الأمم.

وإنْ أَبَيْتُم فالرّاجِفَةُ عن قليلٍ بكم تَرْجُفُ، وكتائبُ الأسباطِ إلى جهتكم تَزْحَفُ وتُوجِفُ. فقد أذعَنوا له بالطاعةِ وعَرَفوه، وصحَّ عندهم الموعودُ الذي كانوا ينتظروه. فقد حَضَرَتِ الساعة التي أوعَدهم فيها بالمجيء وأنّه لا يكلّمهم فيها بالأمثال، بل يشرحُ لهم أَمْرَ الأب علانيةً بتصحيح المَقال:

وهو قولُه في الاصحاح السابع عشر: "إنّما أكلّمُكُم بهذه الأشياء بالأمثال، ولكنّه سوف تأتي ساعة لا أكلّمكُم فيها بالأمثال، بل أشرحُ لكم أمرَ الأب علانية في ذلك اليوم الذي تسألون فيه باسمي "[٣٥].

ولم أُرِدْ يا جماعةَ القديسيّين الردَّ على حقائق مذهب النصرانيّة، وإنّما امتثلتُ المرسومَ في أن أحقّقَ عند أهل الفَضلِ منهم والتديُّنِ معرفةَ معاني الأمور الإلهيّة، وأُعَرِّفَهم من نصوص الإنجيل الزَلَلَ الذي ارتكبوه.

---

(٣٤) يو ١/ ٢٣، متى ٣/ ٢-٣...

(٣٥) يوحنا ١٦ بدل ١٧، الآية ٢٥ و٢٦.

وإنَّهم وُهِموا فـيما تصـوَّرَ لهم فيه واعتـقدوه. ولمّا دُعُوا إلى إيجـاد الباري المعبـود فأعـدَمُوه، ولم يَقِـفوا على مَـعنى الكلمـةِ المتَّحِدَةِ بـالسيد المـسيح فيفضِّلوه.

هذه الرسالة تحذير للمسيحيِّين :

وهذه الرسالة (أكتُبُها) إلى جمـيعهم تحذيرًا وإنذاراً، وإيجابَ الحُجَّةِ عليهم وإعـذارًا. لقول السيّد لمَـنْ أمَّم النجاةَ، وشَرِبَ ريَّه من ماء الحـياة، إن كنتُم مُستيقظين فلا تناموا حتّى إذا جاءَتكم الكلمةُ وجدتْكُمْ مُستعدِّين[٣٦].

فقد أوجزتُ لكم في الخطاب، وبيَّنتُ الحقائقَ لذوي العقول والألباب، نصيحةً لجماعة القديسيِّين، وذَوداً لهم إلى منازل السّابقين.

وأنا أُوضحُ الردَّ على جـميع النِحلِ الشرْكـيَّةِ، المبايـنةِ لعقيـدة الأمَّة المَسيحيّة. وأقطعُ احتجاجَهم فيما ادَّعَوهُ لشَرَعهم أنَّها مضاهية لدعوة السيِّدِ المسيح وقيـامهِ بكلمةِ التوحـيد الأزليّة، ليكونَ ذلك لجمـيعِ شُرَعِ أهل العَدَمِ والتعطيل ناسِخًا، ولما لَبَّسُوه على الأمم بزخرُفِهِم قاطعًا فاسخا. وأجعلُ ذلك رَدّاً مُعجِـزاً على جميـعهم بآيةٍ واحدة من القرآن، الذي تَصـُول بتأويله هذه الأمّـةُ، أعني المسلمـةُ، على كافَّـة أهل النِحَل والأديان، المُشـتَـمِلِ على نَقْضِ جمـيع شُرَعِ أصـحاب النواميس، وأبيّنُ عـجزَهم عن حَـمْلِ الكلمة المتّـحدة بروحِ الحقّ القديمة الأزَلِ والتأسـيس، بمعنىً لطيف ثابتِ القاعدة والأصل، رقيقِ الحَـواشي قائمٍ في جوهر النَفْسِ والعـقل، منزِّهٍ للباري جلَّتْ آلاؤُه عن الظُلمِ والجَورِ، ومثبِّتٍ لحقيقيّة العدلِ.

لأنّ البارَ العـلاَّمَ، مبدعَ العـوالِمِ ومُولي الأنام، لم يُهْـمِل الأممَ بريَّته ولم يتركْهم سُدىً، ولم يُخْلِهم في كلِّ وقتٍ وزمان من داعٍ إلى كلمة التوحيد

---

(٣٦) راجع متى ٢٤/٤٢ وما بعدها.

والهدي، إمامًا موجودًا معدومًا عن الخَطَلِ والشِركِ والهَوى، لتقومَ الحجّةُ بالتوحيد على جميعِ الأمم والعوالم، ويتنزَّهُ المَولى بمجدِ وجوده ببَثِّ كلمة التّوحيد التي هي الأمانةُ إلى الأمم عن سِمَةِ الجائر الظالم. فما بُعِثَ بالأمر إلى الأمم نبيٌّ مؤيِّدٌ ولا رسولٌ، إلاّ ومجامعُ رسالاتِه بأمانةِ التوحيد وكلمةِ الحق معقودٌ موصولٌ.

إبطال شريعة الإسلام وسائر الشرائع المتقدِّمة :

فقد سطّرتُ في هذه الصحيفة وكيدَ نَسْخِ شريعةِ الإسلام. وبيّضتُه منتظراً الجوابَ منكم بالطاعة إلى كلمةِ التوحيد وكَشْفِ اللِّثام. وهو «إنَّا عَرَضْنا الأمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ والجِبالِ فَأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها وأشفَقْنَ منهَا، وحَمَلَها الإنسانُ إنَّه كَان ظَلُوماً جَهُولاً»[٣٧]. فهذا أعظمُ قوارعِ القرآن، وأوكَدُ التأويل والبيان والبرهان.

إنّ المَعنى في السّموات والأرض والجبال، عندهم، السّامي المتعالِ، هُمُ النطقاءُ أصحاب الشرائع والنواميس، وأُسُسُهم وحججُهم الدّعاةُ إلى العدم والشِّرك والتلبيس، الذين تفسَّخوا ونَكلُوا في التوحيد عن الأداء، وَرَجَعوا على الأعقاب إلى القَهْقَرى، وانفردَ بكلمةِ التوحيد مسيحُ الأزمان إمامُ الورى، لأنَّ الباري جلّتْ قدرته أعلى وأعدلَ مِن أنْ يأمُرَ بعَرْضِ أمانةِ التوحيد على السموات والأرض والجبال والجَمادِ، بل هي على مَمْثُولاتِها المُقدَّمِ ذكرُهم ليَصحَّ التأويلُ المبيِّنُ لنقضِ شريعة العدم والتلبيس والإلحاد. واذ قدْ صحَّ ذلك وثبَتَ عند ذوي العقول والألباب، بأنَّ أصحابَ الشرائع كَفروًا بأمَانَة التوحيد ورجَعوا على الأعقاب، وسَتَروا ما أُمروا ببثِّه وأُوهموا بالشِّرك والارتياب، فقد دَحَضَتْ حجّةُ مَن تمسَّك بنواميس الشَّرْعِ، وتبيَّنَ جحدُهم للتوحيد وتمسُّكُهم بالعدم والزور المُبتَدَع.

---

(٣٧) سورة الأحزاب ٧٢/٣٣.

فإنِ اعترض مُعـترِضٌ من أهل هذه النِحْلَة، الحائدين عن سَنَنِ الدِّين وحقيقـيّة القِبْلة ، وقال إنّما أُعرِضُ الأمـانةَ عليهم عَرَضًا، ولم يجعلهـا حتماً فَرْعاً، يُقـال له: قد جَهلتَ أمرَ الباري ونَهْيَـه جلَّت آلاؤُه. إعلَمْ أنَّ أمرَ الباري، عَظُم عُلاؤه وتقدَّستْ أسماؤُه، عَرْضٌ وَتخـييرٌ، ونَهْيَه عظةٌ وتحذيرٌ، لأنّه لو كان أمـرُه حتماً واجـباً، ونهيُه جـزماً لازباً، لم يَشُكّ في توحيـده من البريَّة أحـد، وتسـاوى الكافّة في الـدّين والمعتـقـد. وعند تسـاويهم يَبْطُلُ الثـوابُ والعقابُ. وهذا شيء لتَدْفَعُه العـقولُ والألباب. فقد صحَّ أنَّ الذين أُتُمِنوا على الأمانة خانوا فيها وكَفَروا، ورجَعوا عن كلمةِ التّوحيد إلى غير ما به أُمِروا.

فأمّا الإنسانُ الذي حـملَها وكان ظَلوماً جَهولا، فـسيردُّ وينظرُ يمينَه إلى عنقه بجِحده مَغلولا. وهو الشـيطانُ المُفْرَدُ ذكرُه في القرآن الذي لم يكنْ شـيئـاً مَذكـوراً. كمـا قال: «هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَـانِ حِينٌ مِنَ الدَّهرِ»[٣٨]، وهو صاحبُ نـاموسِ شريعـةِ الإسلام الذي أَشْـهدَهُ بالتـأنيسِ على نفسـهِ وليٌّ الدّين والإنعام، وَغَشِيَ على بَصَرِه وقلبِه أنْ يَسْـتُرَ عورتَه بغيره من الكلام. فقال للناس، يعني نفـسَه، وقد أعدَمَه المولى عقلَه وحِـسَّه: «عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَـاءَه الأَعْمَى. وَمَـا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يَـزَّكَّى، أو يَذَّكَّرُ فَـتَنْفَـعَـه الذِّكْرَى. أَمَّـا مَنِ استَغْنَى، فَـأَنْتَ لَه تَصدَّى، وَمَا عَلَيكَ ألاّ يَزَّكَّى. وَأَمَّا مَـن جَاءَكَ يَسْعَى، وَهُوَ يَخْشَى، فَأنتَ عَنْهُ تَلَهَّى. كَلاَّ إِنَّها تَذْكِرَةٌ، فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ»[٣٩].

فإنْ أَصخْـتُم أسماعَكم للتيـقّظ والانتباه، وأجبتُم العـبدَ الناصِحَ مِن قَبل أنْ يُخْـتَمَ على القلوب والأفواه، ويَحُلَّ ما حُـتِمَ على الكواهل، وكُتِبَ على الجباه، شَرَح لكم نَسْخَ الشَّرْعِ والنّواميس بالقول الصحيح، وكنتمُ بالحقيقة عبـيدَ السيِّـد المسيح، وَتَصِحُّ لكم دعـوةُ جَدِّكم إسحقَ المُغـتَصَـبة من أبيكم

---

(٣٨) سورة الإنسان ٧٦/ ١.

(٣٩) سورة عبس ٨٠/ ١-١٢.

العِيـص إلى يعقـوبَ ولد إبرهيم الذَّبيح، وتشملُكُم الرحـمةُ بتلـك الدّعوات، وتحلُّ بسـاحتكم الميـامنُ والبركـات، وتَظهـرُ بين أظهُرِكُم أنوارُ الحـواريّين الأملاك، وتَرتَقـون بإجابة دعوة التـوحيد إلى أعنانِ الأفـلاك، وتَهْرَعُ إليكم أهلُ الجزائر والأقاليم، وتكونوا أنصارًا بالحقيـقة ومَعْدِنَ التوحيد وأصنافِ التعاليم. وإنْ ألغَيتُمُ الجواب، وأُحرِمـتُم الصَّوَاب، فما على الرّسول إلاّ البلاغُ المبين، والنَّصحيةُ لكلِّ موَحِّدٍ ذو دِينٍ.

فقد نَسَخْتُ شريعتَكم بما اعـتَورَهَا من الضّعفِ والتعطيل، وإقرارِكم بمن جَمَعهـا لكم عند شكِّكم فيها بعد الدَّهر الطويل. هذا بعـد تحقّقِكم بسِدقِ حواري السيّد أصحابِ التحريم والتحليل، وطلبتُم شهادةَ غيرِهم رجُوعًا إلى الناموس وهم الشُهداء عليكم بمُحْكَمِ الإنجيل.

فتأمَّلوا مـا قاله السيّدُ لَمّا سـأل القادمـون إليه: "متى يَرجِعُ مُلكُ بني إسرائيلَ ويـظهرُ الدّين؟ فقـال لهم: ها أنائذ أُقـبِلُ كاللُّصِّ، وسوف تجـهلون الوقتَ الذي آتِي فيـه. فمَن سَبَقَ إليَّ جعلـتُه سَاريةً في بيت إلهي. فأخـبرهم أنّه سيرجعُ ولكنّه يأتي على غَفلَه. فمَنِ انتـبَهَ وتيقّظَ أحرَزَ نفسَه وأهلَه"[٤٠]. فشبَّه نفسَه باللّص الذي يأتي والناسُ في غفلتِهم، والممدوحُ هو السابِقُ إليه والمسارِعُ نحوه.

وكذلـك قال: "أُدخلوا من الأبواب الضـيّقـة، ولا تَدخلوا من الأبواب الواسعة، فإنّ فيها التَّلَفَ"[٤١]. فأعنى بالضيّقةِ صعوبةَ التوحيد.

فتأمّلوا أيهـا القدّيسيّون حقـائقَ هذا التحقيق والتصـريح. وارجعوا إلى الحقِّ قبل قَطْعِ المَعاذير بظهـور السيد المسيح. وقد نَسَخْتُ فـيما بيَّضتُ

---

(٤٠) راجع متى ٢٤/٤٧.

(٤١) متى ٧/١٣-١٤.

أيضاً بتـأييد الوَلِّي شريعةَ التَنمِـيسِ والبُهتانِ، بآيةٍ واحـدةٍ معجزةَ التـأييد والبُرهان، ودحضتُها بقَولٍ ثابتٍ معجَـزٍ، واستأصلتُ شَأْفتَها بحسامٍ لسانٍ قاطعٍ للطُّلا مُـجهَّزٍ. فهذه دلالاتُ مُـسيحُ الأزمان، وصاحبِ رَجْـعَةِ الكشْفِ وغَيبـةِ الامتحان، التي بشَّـرَ بها لأصفيائِه الحـواريّين، حين وَعَدَهم بالمجيء للقضاء بين العالَمين.

فتنبَّهوا أيّها القديسـيّون مِن سَكْرَةِ الغافلين، واسألوا رؤساءَ نُحلَتِكم السّادقين، ليوقفوكم على الحقِّ اليقين، بأنَّ السيِّدَ المسيح إنّما خاطبَ حواريَّه ودعاهم إلى التوحيد والتقديس، ونهـاهم عن الأعمالِ الدَينُونِيَّةِ المَشتَمِلَةِ على التغيير والتلبيس، ولم يأتِ بشريعةٍ عِلمِيَّةٍ كشُرَعِ أصحاب النواميس.

إبطال شريعة اليهود :

وكذلـك ردَّ على اليهـود في الإصحـاح الثامن لَمّا قـالوا له: "إنّ أبانا نحن هو إبرهيم. فقـال لهم يسوعُ: لم يفـعلْ إبرهيمُ هذه الأفعال. غـير أنَّكم إنّما تَعْـمَلون عملَ أبيكم إبرهيم. ثم قـال لهم وأنتم لا تفهمـون قَولي". ولم يقلْ عـمَلي. "وقال: وإنَّكم لا تُـطيقـون استـماعَ كلـمتي". ولم يقل فِـعلي. "وإنّما أنتم من أبٍ مُـحال. وشهوةَ أبيكم تَهـوَون ولم تَعلَمون ذلك الذي هو منذ البِدَى. فقال للناس ولم يثْـبِّتْ قولَه على الحقِّ لأنْ ليس فيه حقٌّ، إذا تكلَّم بالكذِبِ فإنَّما يتكَلَّمُ ممّا له لأنَّه كذوبٌ وأبو الكذب"[٤٢].

فـعرَّفَـهُم أنّ الكذبَ هوالشرائعُ النّـاموسـيّة، وعـرَّفهم منزلةَ أبيـهم إبرهيم لَمّا انتسبوا إليه نِسْبَةً دينيّةً.

(٤٢) راجع يوحنا ٨/ ٣٩-٤٤ مع بعض التصرّف.

تفسيرٌ توحيديٌ لبعض الأمور المسيحيّة :

ثم قال لهم بعد ذلك: "ألحقَّ أقول لكم إنَّ مَن يحفظ قولي لا يرى الموتَ أبداً"[٤٣]. ولم يقلْ: إنّ من يعمل عملي لا يرى الموتَ أبداً.

والقولُ هو كلمةُ التوحيد الحقيقيّة. والدليلُ على ذلك أنّه إنّما أمَرَ حواريه يُعَمِّدون الناس بالماء المَعين. والماءُ دليلٌ على حقيقيّة التوحيد وعِلْمِ الدِّين.

وكذلك تُسمَّى المواضعُ التي يُعَمِّدون الناسَ فيها: ألبيعةُ والمَذبحُ. وإنّما أعنى بالمَذبحِ أنَّه يَذبح فيه عقائدَ النّواميس ونِحَ المُشرِكين، ويوقفوهُم بالتوحيد على الطريقِ المُستقيم.

والبيعة فهي يمينٌ وميثاقٌ وتشديدٌ كان يُؤخذ بها على كلِّ مَن أجابَ إلى دَعوة التوحيد التي هي الكلمةُ المتّحدةُ بالسيِّد المسيح، لأنّ جوهرَه صارَ متحداً بجوهر كلمة التوحيد الصريح، لأنّه لم يتجسَّدْ في فِعْلِه بشيءٍ من الناموس والشَّرعِ، ولا أمرهم بشيءٍ من الإفْكِ والبِدَعِ.

ولذلك بَطُلَ قولُ كلِّ مَن ادَّعى أنَّ الكلمةَ المتَّحِدَةَ بالسيِّد المسيح قد أتى بمثلها كلُّ مَن تنبأَ مِن أصحاب الشرائع الناموسيّة ولم يفرِّقوا بين ما أتوا به من الشِرْكِ وبين كلمة التوحيد القُدُسيّة. وإنما رَجَعَ المتخلِّفون من النصرانيّة المتأخِّرون، أعني الذين اجتمَعُوا على جَمْعِ هذه الشريعةِ التي جعَلوها لهم قَرابينَ، وتأسَّوا بأصحاب النوامبس المَوِّهين، لبُعدِ زمنِهم من زَمَنِ أسلافهم أهلِ الحقائق المُوحِّدين، وقُصُورِ أفهامِهم عن منازل أهل القُدس الحَواريِّين.

---

(٤٣) يوحنا٨/٥١.

آن الأوان لمجيء دين التوحيد :

والآن يَجبُ عليكم يا جماعةَ القديسيِّين أن تتأمَّلوا هذا الخطاب، وتعدُّوا لما قد أوضحَ لكم مفهومَه سادِقُ الجواب. فقد ظهر روحُ القُدُس الواحدُ، روحُ الحقِّ غفران الخطايا، بجماعةٍ واحدةٍ قدِّيسيَّةٍ، صَبَرَتْ في طاعتِه على المِحَنِ والبلايا، وآمنَتْ بقيامه أبدانُها والحياة الدائمة إلى أبد الآبدين. وأضاءَتْ بنور كلمة التوحيد الآفاق للمُستبصِرين، وتضاءَلَ لارتفاعها زُخرفُ الفسقين.

فتنبَّهوا أيُّها السيحيّون فقد فَرِحَ الزارعُ بالحاصد، وقامتْ بوجود كلمة الحقِّ الحُجَّةُ على الكافر الجاحد. وقد جمعنا بُزورَ ثمار الحياة، وآنَ اجتِثاثُ شجرةِ الفراعنةِ الطغاة وهذا قولُ السيِّد: "فانظروا إلى الأرْضينَ قد ابيضّتْ وآنَ حَصادُها"[٤٤] وإنَّ التوحيد قد ظهرتْ وقتَ ميعادُها.

فأينَ تَذهبون فقد تَلَجْلَجَ الخَصمُون، وافتَضَحَ المُختلِقون المدعون وفازَ السادِقون المُوحِّدون، وخَسِرَ المُقصِّرون المُبطلون.

فتنبَّهوا أيُها المسيحيون عن مراقدِ الغَفْلَةِ والمَهَلِ، فقد دارت الأدوار وتقضَّتْ أيّامُ جميع المِلَل والأممُ في غمْرَةٍ ساهون، وعن الاستعداد ليومٍ لا مردَّ له لاهُون، وعن طلوع الشمس من فَلَكِ الأنوار، وظهورِ أمرِ المولى الإله الحاكم الجَبَّار، بحُجبٍ من الملائكة الروحانيِّين الأطهار، وأفواجٍ من الكَروبيين أُولي الأجنحة والأنوار، يَقْدُمُهم السيِّدُ مسيحُ الأمم في الأدوار والأكوار. قد فُتحتْ أبوابُ السماء لنصرَته، وتزلزلتْ فِجَاجُ الأرض لهيبَتِهِ وقدرَتِه، وطُبِع له خاتَمُ العزِّ ولبقا، وأفلحَ مَن لِمَقَاليده قبْلَ الظهور ألْقَى.

---

(٤٤) يوحنا ٤/ ٣٥.

فـوحقِّ الحقِّ لكأنَّكم بعظيم مـا تُوعَدون، ولكلِّ أَجَلٍ كِـتَابٌ وَسَـوفَ تَعْلَمُونَ[٤٥]. وستذكرون ما أقـولُه لكم، وأفوِّضُ أمري إلى وليِّ الحقِّ فَأجْرُهُ غَيرُ مَمْنُونٍ[٤٦].

وكُتِبَ لسبعٍ بَقِينَ من شهر صـفر من السنة الحادية عَشْرَ من سنين قائم الزمان، وتَمام السابعة من غَيْبةِ الامتحان.

تمَّتْ والحـمدُ لمولانا الحـاكم وحدَه، والـشكر لمسيح الأمم وهاديهـا عبدِه.

(٤٥) سورة الرعد ١٣/٣٨.

(٤٦) أنظر السور التالية : سورة فـصّلت ٤١/٨؛ سورة الإنشقاق ٨٤/٢٥؛ سورة التين ٩٥/٦؛ سورة القلم ٦٨/٣...

٥٤

الموسومة بالمسيحية

وأمّ القلائد النُّسكيّة وقامعة العقائد الشِّركيّة

بعث بهاء الدين هذه الرسالة إلى المسيحيّين كافّة، وأثبت فيها أنّ المسيح الحقّ هو حمزة بن علي، وأنّ تعاليم الإنجيل، وكثيراً ما يستشهد بها، تشير كلّها إلى حمزة. وليس على المسيحيّين الحقيقيّين إلاّ أن يميّزوا بين مسيحهم والمسيح الحقّ.

توكّلتُ على المولى الإله الحاكم المنزَّه عن العَدَد والوَلَد، وشكرتُ عبدَه المسيح الأحد.

من العبد الفصيح، ومملوك السيّد الهادي المسيح،

إلى جميع من تقرَّبَ إلى اللاّهوتِ بحقيقيّة القربان، وتمسَّكَ به من كلِّ أهلِ الحق: قِسّيسٌ وبطركٌ ومطران.

ألسلامُ على أهل التوحيد والدِّين، المقتفيّين لآثار الطهَرَة الحواريّين، العارفين بمذهبِ الأمناءِ السَفَرَةِ السديقيّين، آل النفوسِ الزكيَّةِ المُمتحَنَة، الصابرين في طاعة السيّد على ما واثَقُوه عليه، ونفوسُهم به مُرتَهَنَة، الباذلين لُمَهَجِهم في البِدَى لمحبّة الطايع عظيمِ الكهنة، أعني شهيدَ الشُهدا وأمثاله يُحَنّا بشيرَ الناس[١]، الصابر في مرضاةِ سيّدِه على القَذْفِ والذَّبح وقطعِ الراس.

فمن العدل المُنْطَوى، واللّه في عَجَبِ هذا الزمان، تحقيقُه لجميع الأمم تناسيهم لأصول الأديان، وركوبُهُم لما نُهيُوا عنه من طاعةِ الإبليس والشيطان، وإقرارُهم على نفوسهم بما تَشهدُ عليهم به كُتُبُ مُتعَبِّداتهم من الكذبِ والبُهتان. وتسالَمَتْ نفوسُ كافّتِهم على الفِسْقِ والمعاصي، واشتهروا بذَميمِ العقائد عند أهلِ السِدقِ من الأداني والأقاصي.

توبيخ المسيحيّين الذين لم يعرفوا المسيحَ الحقّ :

فأين طاعتُكم للسيّدِ يا جماعةَ المُدَّعين، وأين قبولكم أيّها الكذَبةُ لوصاياه إنْ كنتم له مُسدِّقين، وبرجعتِه لخلاص شعبِ الحقِّ من الخطايا موقنين. ألم يوصيكم في الإصحاح الثالث من بشارة مَتَّا فقال لكم: "حُبُّوا أعدائَكم، وباركوا على مَن لَعَنكم، وأتوا بالحسنات إلى من أسَا إليكم، وادعُوا للذين يسوقونَكم قسرًا، ويطردونَكم تَجبُراً وكبراً، تكونوا أبناءَ لأبيكم الذي في السّماء المُشرِقِ شمسَه على الأخيار والأشرار، والمُنزِل قَطْرَه على الأبرار والفجّار، لأنّكم، إذا كنتمُ تحبُّوا مَن يحبُّكم، فأيّ أجرٍ وفضلٍ يكونُ لكم؟ وقد يفعل العشّارون هذا بعينه"[٢].

فيا أيّها الأجلافُ الأغتَام، ويا بقيّةَ عَبَدَةِ الأوثان والأصنام، فلا لِمَنْ أشار إليكم بوصيّتِه قبلْتُم، ولا لمن بشّركم بمجيِّه وساقَ نعمتَه إليكم عرفْتُم وحفظْتُم، ولا لأمرِه أيّها الكذبةُ سمعتُم وأطعتُم. بل نكَثتُم عهدَ الوصيّة يا جماعةَ المُدَّعين، وعصيتُم قولَ السيّد في نهيه لكم عن طاعةِ الشّياطين، وتأسّيتم أيّها الخونةُ بأمثالكم مَرَدَةَ اليهود في قَتْلِهم وإخافَتِهم للنبيّين، وتعقّبْتُم بالشرِّ والأذيّةِ لمن بشّركم بمجيءِ السيّد المسيح، وركِبْتُم نَهْيَهُ لكم بالشِّركِ والكفر الصريح. فَعَدَوْتُم بالزهوِ على الحواري العَلِيم، والشيخِ

---

(١) ثمّة خلط بين يوحنّا المعمدان «شهيد الشهدا» وبين يوحنّا الرسول «بشير الناس».

(٢) إنجيل متّى ٥ / ٤٤–٤٦ .

السادقِ الأمين الحكيم، وَعَدلتم في أَذِيَّتِه عن الصراط المستقيم، وخرجتم بالخلاف عن سُنَنِ أهل الحقِّ والدِّين القويم، تشبُّهاً بالكهنة رؤساء اليهود، في فِعلِهم بالمسيحيّين الرُّكَّع السّجود، وقيامِهم لردِّ كلمة السيِّد، بعد أظهارها، بالكُفر والجحود.

فمثلُكم أيّها الفسقةُ في الصَمَمِ والبَلَهِ والعَمَى، كالبهيمة البَهْمَاء التي ربّما نظرَ إليها مَن يَرْحَمُها، لعُنفٍ كارهٍ عليها، فَبَدَرتْهُ بِرَمْحَةٍ مؤلمة[٣] أشغلتْه عن الخير الذي أراد أن يصنَعَهُ إليها. كذلك أنتم أيهّا الصُّمُّ عن سَماع السِّدقِ، الخارجون عن قَبول أمثال مَسيح الحقّ. أنظروا أيّها الغَفَلة وأنّى لكم بالعَينِ الصحيحةِ، وتفهَّموا وأنّى لكم بالفَهْمِ لهذه الأمثال الصادرة عن معادن الحقّ الصريحة.

في الإصحاح السادس من بشارة مَتَّا قولُه للجماعة: "ألحقَّ أقول لكم: إنَّ العشّارون والمُرابي يسبقونكم إلى ملكوتِ السماء، لأنّه جاءكم يُحَنّا بطريق الربّ والعدل، فلم تُسَدِّقوه، وأنتم بعيونكم أبصرتُموه. ولم تَندموا على ما فاتَ منكم ولم تُوقِنوا بما شاهدتُموه"[٤]. فما اتَّعَظْتُم بهذه الحكمة، ولا راعيتم حقَّ مَن انتسبَ إلى الأمَّة المسيحيّة، ولا ارتقبتُم ظهورَ العلّة الكلّيّة. فأنتم أيّها الكَفَرة لعلامات ظهوره مُنكِرون، ولآياته المُبَشِّرة بإتيانه مُكذِّبون، وفي حقائق ما ضرَبَهَ لكم من الأمثال مُشكِّون. فأنتم أشباحٌ بلا أرواح لبَلَهِكُم تَسْتَحِسنون البلادةَ والجهل، وتَستهْجنون الفَضْلَ والعقل. لم تَرْدَعْكم لجهلِكم بالعلم أمثالُ السّيّد الصحيحةُ المضروبة، بل عكفتُم على تلفيق النّواميس التي جمعَتْها لكم رؤساءُ الباطل المكذوبة.

فاستمعوا قوله لكم في بشارة مَتَّا، يعرِّفكم أفعالكم، وما تؤول إليه،

---

(٣) أي: رفسةٍ قويّة.

(٤) متى ٢١/٣١-٣٢ ، أنظر ٨/١١ ومتى ١١/١٨.

أوانَ ظهورِه، أحوالُكم: "إنّه كان رئيسُ منزل غَـرَسَ كرمًا وأحاط به جدارًا، وحَفَرَ فيـه معصرةً، وبنا فيه بُرجًا، ودفَـعَه إلى الأكَرَةِ وانصرفَ إلى وطنه؛ فلمَّا بَلَغَ أوانُ الثـمار أرسلَ عبـيدَه إلى الكّرامين ليبـعثوا له من ثمار كـرمه، فعـمدوا الكرّامـون إلى عبيـده، فَضـرَبوا بعضَهم ورجـموا آخَـرِين، وقتلُوا الباقين. ثم أرسلَ إليـهم عبيـداً آخَرِين، أكثـرَ من الأوَّلين، فصنعـوا بهم مِثْلَ ذلك؛ وإنّه فكَّرَ وقال: لعلَّـهم يَسْتَحُون مِـن ابني؛ فبعثَ ابنَه إليـهم. فلمَّا رأتِ الكرّامون الابنَ فـكَّروا وقالوا: هذا هو الوارثُ. فهلمُّـوا بميراثه. وأخـرَجوه خارجًا عن الكرم. وقـتلُوه. فعرِفّوني إذا جاءَ صـاحبُ الكرمِ، ما الذي يصنعُ بهـؤلاء الفلاّحين؟ فـقالوا: يُهلكُهم هلاكًـا مُبـيدًا، ويدفعُ الكرمَ إلى كـرَّامين غيـرهم، يصيروا إليه بالثَـمَرَةِ في وقتهـا. فعرَّفـهم أنّهم الفاعلون لذلك في البِـدَى والأخيـر. وقـال لهم: ولهـذا أقول لـكم إنّه يُؤْخَذُ مـنكم ملكوتُ اللّه، ويُعطِيه لشعبٍ يأتي بالثِمار الصالحة"[٤].

فقد آنَ لأيّامكم الانقراضُ والانصرام، ولكم الاجـتثاثُ بما ارتكبتموه والانتقام، فإنْ أنكرتُم قولَه هذا، وهو مَنصوصٌ في الإنجيل الذي به تعبَّدتُم، فقـد عطّلتُموه وكـفرتُم. وإنْ سَدَّقـتُموه فلكم بـهذا الفِعْلِ الذَمـيمِ أعني وقد أقـررتُم به وخـالفـتُم. وإنْ قُلتُم إنّ هـذا القـول أعني به مَنْ مَـضى فَـهُمُ الحواريون وعنهـم أَخَذْتُم إنْ سدَقـتُم. فقد صحَّ أنّ هذا المَثَـلَ صورة لكم يا جماعةَ المارقين، إذ فعلتُم أفعالَ اليهود وعظماء الكهنة المُتَزَنْدقين.

ولهذا قال السّيد لكم: "يُؤْخَذُ منكم ملكوتُ اللّه ويعطِيه لشعبٍ يأتي بالثمار الصالحة". فلو كانتْ لكم بَصيرةٌ بمعاني كلامه لعَلِمْتُم أنَّ هذا القولَ لشيء مُـسْتَقـبِلٍ، وقد كـان بعضُـه وجهِلتُمُـوه. ولَمَّا أوعَدَكم بإتيـان رسلهِ كذّبتمُوه. وأيضـاً فأين قبولكم لأمرِ السيّد يا جـماعةَ المُدَّعين، ألمْ ينهاكم عن

---

(٤) إنجيل متى ٢١/ ٣٣-٤٢.

أفعال الفاسقين المُعتـدِين، وعرّفكم أنّه "قيلَ في الكتبِ القديمة: ألعين بالعين والسنُّ بالسنّ. ثم قال لكم: فتمامُ هذه الوصيّة أيضاً: ها أنا أقول لكم حقًا، لا تقاومـوا الشرّيرين. لكنْ مَن لَطَمَ خـدَّك الأيسر فحـوِّلْ له خدَّك الأيمن، ومَن حاصَرك على أخذِ قميصك فادفعْ إلـيه مع القميص رداك، ومَن سخرَّك ميلاً واحداً فاصحَبهُ مِيلَين"[٥].

فـأنتم أيّهـا الفَـسَـقَة المُدَّعـون، إذا قـرأتم هذا الفـصل من الإنجـيل فلأنفُسكم تَلعنون، وبالضعفاءِ من أهل مِلَّتِكم تَـسخَرون، وبعقولهم تلْعبون، ولأمرِ السيِّدِ ونهيه تكذبون وتدفعـون. قاتلكم اللّهُ فأنّى تُسْخرون. وقد قال لكم قبْلَ ذلك: "وادعدوا للذين يسوقونكم قَـسْراً، ويطردونكم تجَبُّراً وكبراً، تكونوا أبناء لأبيكم الذي في السماء"[٦]. فعصِيتم قوله وكذَّبتموه، وأظهرتُم غيـرَ ما أمرَكم به وخـالفتـموه، فَسـقتُم أولياه قـسراً، وطردتموهم تَجَـبُّراً وكبْرًا.

فإلى أين أيّها الظَـلَمَةُ تذهبون، وبأي دينٍ تَتَديَّنون؟ أفلكُم يا جـماعةَ النّصـارى أوامرُ ونواهي في غير الإنجيل بها تتـعبّدون؟ أم لكم جهةٌ إلى غير ما أمـرَكم به يسوع ونهاكم عنه فـأنتم إليها تَتَـوجّهون؟! قـاتلكم اللّه فأنَّى تُكَذِّبون.

قد موَّهتُم يا جماعةَ رؤساء النّصـرانيّة على الضعفاء منكم بزُخرُفِ النواميس، ومَلَكْتُم قيادَهم بالغشِّ والتَّدليس، وخـرجتمُ بهم عن طاعة السيِّد المسيح، وأوثقتموهـم على الكُفرِ والشِّركِ الصَريحِ. وقد آن اضمـحلالُ الباطل وتلاشيـه، وأذَّنَ مُؤذِّن السدقِ لهلاك إبـليس ودواعيه، وقد حـانَ الانقراضُ لدولتِكم ايّها الظلَمَةُ ، واستـئصـالُ شَأفَتكم لكفرِكم وفسقِكُـم، ولما أضعَتُمُوه

(٥) متى ٥/٣٨-٤٢.
(٦) متى ٥/٤٤ بتصرّف.

من سَادِقِ هذه الوَصايَةِ، وَرَكَبْتُمُوه وأنتم تنْظروه من الجهل والغواية.

فواللّهِ يـا جماعـةَ النصارى! لو كنتُم تعـتقـدون أنّ قولَ السـيِّد في الإنجيل فرضاً واجباً، وتسدِّقون برجعتهِ وأنّه في يوم القيامة بالحقِّ لجميع الأمم مُـحاسِـبـاً مطالبـاً، لكنتُم تحتَ نواهيـه لكم وزواجِـرِه، ولم تَخرُجـوا بالعِصيان عن طاعته وأوامره.

فيا ويلكم ماذا تعتقدون، وبأيٍّ قولٍ بعد وصيّتِه تأتمرون وتَنتَهون، وبأيِّ حُـجَّةٍ في عـصيـانه تَتَمـسَّكون. قاتلـكم اللهُ أنّى تُسخَـرون. بل أنتم القائلون له في غدٍ أعني ذلك اليومَ بعد الـلَّعن لكم والتبرّي منكم: "يا سيّدَنا، أليس باسـمك تنبّينا، وباسـمك أخرجنا الشـيطان؟ فيـقولُ لكم كذَّبتـم أيّها الفَسَقةُ العَادُون والمَرقَةُ الكاذبون: إذهبوا فما أن عَرَفْتكم قط"[7]. فتنصرفوا خَاسِـرين خائبين، مَلعـونين مُعاقَـبين، وعلى ما فرَّطتم نـادمين، لأنّكم بهذا الفعل الذَمـيمِ بالحقيقـة أولاد الافاعي[8]، فهو بريءٌ منكم لأنَّـكم غَنَمٌ بغير راعي[9].

يسوع، في نهاية الأزمنة، يقصد الموحِّدين:

وأمّا الوصيّةُ التي تُقرأ في يوم الثلثاء الكبير[10]، لمّا جلس يسوع على جـبل الـزيتـون، فنحنُ نذكـرُها لكم لأنّا أولى بـالوصـيَّـة منكـم لأنّا نحن السَّادِقـون: "لمّا تقدمَّ إلى السـيّد الحـواريّون، الذين أنتم لهم مُنكِرون، وهم عليكم بكفرِكم في غدٍ شـاهِدون، قالوا له بينَهُم وبينَهُ: يا سيّدَنا أخـبرْنا متى تكونُ هذه الأمور التي قلتَ، ومـا العلامةُ التي تدلُّنا على إتيانِك بعـد انقضاءِ

---

(٧) متى ٧/٢٢.
(٨) إشارة إلى متى ٣/٧.
(٩) متى ٩/٣٧.
(١٠) وهو الثلثاء الواقع في الأسبوع الكبير، أي أسبوع الآلام.

هذه الدنيـا؟ فأجابَهم يســوعُ قائلاً: تحـرَّزوا من خَديعة إِحـدى الناس، لأنّه سوفَ يأتي كثـيرٌ يَتَسمَّى باسمي، ويقـولُ كلٌّ إنسانٍ منهم أنا المسيح "[11]. فتأمَّلوا قوله أيّها الصُمُّ العُميُ، لأنّه جعلَ العلامــةَ لإتيانه ظهورَ كثيرٍ يَتَسمَّى باسمــه، ويقولُ كلٌّ واحدٍ منهم إنّــه هو المسيح. وقد كـان ذلك، وصحَّتْ هذه العلامةُ، وظهروا المُدَّعون. وقالوا بألسنتهم هذا القولَ وهم يكذِبون.

فأمّا السيّدُ مَسيحُ الحقّ فقد جلَّ مجدُه أن يأتي إلى هذا العالم فيقول لهم: أنا المســيحُ. وإنّمــا القــائلُ لذلك، وأَســمَى نفسَــه بالمســيحِ، هو المســيحُ الكذّابُ، والشقيُّ المعتوهُ المرتابُ. وأمّا السيّدُ مسيحُ الحقّ فجلَّ مجدُه أن يأتي إلى هذا العــالمِ النَجِسِ أعنيكم فـيقـولُ لكم أنا المســيح، بل يأتي إلى جمــيع العالم. دلالاتُه وآياتُه، وبراهينه وعلامــاتُه، على يد هداتِه السادِقينَ وحواريه المُمَجَّدين المُوقنِين.

ثم قــال لهم فــي ذلك الوقتِ بعـد تحـذيرِه لهم مــن المســيحِ الضَــالِّ الكَذوب: " وأنتم في ذلك الوقت مُزمِعون أن تَسْمَعون بالأراجيف والحروب. فـقال: هذه أوائل العــلامات. فـانظروا ولا تتـحيّـروا لأنّه واجب أن تتمَّ هذه الأشيــاء كلُّها، لكن بعـدها يجيء الانتهـاء. فعند ذلك الوقت يَثِبُ شــعبٌ على شعبٍ، ويقومُ ملكٌ على ملك، وتَقومُ أُمَّةٌ على أمّة، ويشتدُّ الجوع، ويكثُرُ البَلا في مَـوضعٍ مـوضعٍ. وهذا ابتـداء المخاض. فـحـينئـذٍ يُسلمـونَكُم للشــدائد والعذاب، ويقتلونكم وتشْنَاكُم[12] جميعُ الشعوب من أجل اسمي "[13].

فـعرفَ العــالم أنَّ أهلَ الحقِّ هم الذين يُـسلَّمُون للـشدائد والعـذاب، ويُقْتَـلون وتَشْناهم جمـيعُ الشعـوب والأهل والأصحاب. وأنَّهـم لا يَجْرُون

---

(١١) متى ٢٤/٣-٥.

(١٢) تشناكم أي: تبغضكم.

(١٣) متى ٢٤/٦-٩ .

مَجرى المَعتوهِ الذي ادَّعى لنفسهِ منزلةَ الإمام المسيح، ولا بُدَّ من ادّعائهِ ذلك لتتمَّ هذه العلامات النافذة بالبرهان الصحيح.

فأنتم أيّها الأنجاسُ المُدَّعون، والفَسَقَةُ الكاذبون المُعْتَدون، متى لحقتْكم مِحْنَةٌ في الدِّين، ومن أَسْلَمكُم؟ ومتى أصابتْكم الشدائد فيه، ومن قَتَلَكُم؟ ومَن شَناكُم[١٤] أيّها الكذَبَةُ، ومَن عذَّبكم؟ وهذه العلاماتُ كلُّها قد ظهرَتْ، وفاضَ ذكرها في جميع العوالم والشعوبِ وانتشرتْ

وأنتم يا جماعةَ النّصارى! مِن ذِكْرِ هذه الوصيّةِ والعلاماتِ مُتبرِّئون، وأولياءُ السيِّدِ الذين أَظْهروا اسمَه وَدَعَوا إليه بكم أيّها الفَسقَة وبأمثالكم مُمتَحَنون، وبمجاهرتِكم فيهم للعوالِم مَعرُوفون، وللشدائد والعذاب مُسلَّمون مُقَتَّلون.

وأنتم أيهّا الكفرة لذلك مُستَجِيزون، وبه راضِيُون، وله فَاعلون، بل قد شَنَيتُموهم أنتم وجميعُ الشعوب، وتعاونْتُم على قَتْلِهم وتَشريدِهم، وبغضتموهُم بالألسُن والقُلوب. وأنتم عن صِفةِ أهلِ الحقِّ خارجون، وفي جُملةِ أعدائهم داخلون، وهن حكمةِ السيِّدِ التي أمرَ بها وجعلها حُجَّةً عليكم في الإنجيل غافِلون. فهو بريء منكم وأنتم باللّعنة منه بريئون.

ويقولُ في هذه الوصيّةِ أيضاً: "ويبغضُ بعضُكُم بَعضًا، ويسلِّمُ كلُّ واحد منكم صاحِبَه للموت"[١٥]، يَرَوْنَ في ذلك عِصياناً للوصيَّة وَنقْضاً. ويقول فيها: "ولأجل الأيّامِ العَظيمةِ وكَثْرتها وَهَتِ المِحنَةُ وتَزولُ عن قلوب عالَمٍ كثيرٍ. ومَن صَبَرَ إلى الانتهاء يَفوزُ بالحياة الدائمة. ويُعلِنُ يسوعُ ببشارةِ الملكوتِ هذا في كلِّ العالَم هذه الشهادةَ على جَميعِ الشعوب. عند ذلك تأتي الساعة"[١٦].

---

(١٤) أي أبغضكم.

(١٥) متى ٢٤/ ١٠.

فانتبهُوا يا جماعةَ النّصارى، التي بَقِيتْ في شُرعتِها مُذَبذَبَةً حَيارى. وتأمّلوا قولَهُ: يُعلِنُ يسوعُ ببشارةِ الملكوت هذا في كلِّ العالَمِ هذه الشهادةَ على جميع الشعوب.

فأنتم أيّها الكَفَرَةُ عن هذا التّسعِ التي أعَلن فيها ببشارة الملكوت غفُولٌ حَيارى، ومُبعَدون عن معرِفَتِها وعقولُكُم سُكارى، وأنتم من العالَم وهذه الشهادةُ على جميعِ العالم وجميعِ الشعوب. هذا إنْ كُنتُم لحكمتِه مُسدِّقون، ولعلاماتِ مجيِّه مُنتَظِرون. كذبتُم أيّها الظلمةُ العَادون، وعَصيتُم أيّها المَرَقةُ الفاسِقون المُفْتَرون.

ثم يقولُ السيّدُ في هذه الوصيّة أيضاً: "فإذا رأيتمُ العلامةَ النَّجسةَ التي في الخَرابِ كما قِيلَ في كتاب دانيال النبيّ قائمةً في الموضع الطاهر المقدَّس فَلْيفْهَمْ عند هذا يَهْرُبُ الذي في أرضِ يهوذا إلى الجبل وقد كان ذلك "[١٧].

فلو كانتْ لكم أيّها النصارى في الدِين نِيَّاتٌ سَادِقَة، وقلوبُكُم وأبصارُكم لِلحقِّ رامقة، لثَبَّتُّمْ أنّ هذه العلاماتِ كلّها قد ظَهَرتْ، وفاضَ ذكرها في جميع هذا العالَم والشعوب واشتهرتْ وانتشرتْ. ولعَرَفْتُم أنّ العلامة النّجسة التي كانتْ في الَخراب قد أُقيمَتْ في المَوضِعِ الطاهر وَرَكَزَتْ، وعن قليل نرى وقد مُحِيَتْ آثارها وطُمِسَتْ .

ثم ذكرَ فيها: "أنّ إتيانه كَلَمْعِ البرق، الساري في الغَرب والشرق. وكذلك يكونُ إتيانُ السيِّدِ ابنُ البَشر "[١٨]. فهذا هو الدليلُ السَادِقُ على أنّ

---

(١٦) متى ٢٥/١٢ – ١٤.

(١٧) متى ٢٤/٥–١٦ .

(١٨) متى ٢٤/٢٧.

السيِّـد مسـيحَ الحقِّ لا يأتي فيـقول للعـالَم أنا المسيـح؛ لأنَّ إتيانَه كـالبرق، السـاري في الغرب والشـرق، وإنَّمـا القائلُ ذلك هو الـدَّعيُّ الملعونُ المسـيحُ الكذّاب، والشقِّيُّ المعتـوهُ المُرتاب. وأمّا السيّدُ مسيحُ الحقِّ فـحواريه ودُعاتهُ يُعرِّفون العالمَ سِدقَ براهينه وعلاماتِه.

وأمّـا أمرَ السـاعة التي يَظهـرُ فيـهـا السيِّـدُ المسيح " فـلا يعلم ذلك الإنسان، ولا مـلائكةُ السماء، متـى تَهْجُمُ، إلاّ الأب وحدَه. وكمـا كانَ الناسُ قبل الطوفان في غَفْلَتِهم يأكلونَ ويشربون ويتـمرَّحون فلم يَشْعروا به حتى نزَلَ عليهم الطوفـانُ فاحتَمَلَهُم أجمـعين؛ كذلك يكون إتيانُ السيِّـد في مَجْدِهِ وعظمَتِه لهلاكِكم وهلاكِ أمثالكم أيّها العَادُون "[١٩].

أتَرى عقولَكم الدَنيَّة تصوِّرُ لكم أنّ الـسيّدَ المسيحَ لا يَظهَرُ إلاّ عندكم، ولا يَنتظرُ مـجيَّـه سواكم؟ أُفٍّ لكم يا جـماعـةَ الخَيْـبَةِ ولما تَعْـتَقـدون. فكم مقـداركم بالإضـافة إلى عُشْـرِ عَشيرِ هذا العـالمِ، والسيّدُ قد عـرَّفَ ظهورَه لخلاصِ الأمم من الخطيَّة.

فتنبَّـهوا أيّها الجَهَلَةُ مِن مـراقدِ الغَفْلَة، وارجِعـوا إلى الحقِّ مع أولياءِ السيِّـد قَبْلَ انقضــاء المهْلَة. فقـد دارتِ الأدوارُ، وظهرَ توحيـدُ الأبِ من حيثُ العالمِ ولاحتِ الأنـوار. وأنتمُ في سكرتِكم تَعْمَـهُون، وبما اجْتَـرَحتُـمُوهُ من التخلُّف عن طاعتِه مواخَذُون مطالَبون.

ثم قال السيِّـد في هذه الوصيّة: "ألحقَّ أقولُ لكـم إنَّ هذه العُسْرَةَ لا تزولُ حتى تَتُمَّ هذه الأشياء كلُّها"[٢٠].

---

(١٩) متى ٢٤/٣٦ و٣٨ و٥١ ...
(٢٠) متى ٢٤/٣٤.

وهذه نُصوصاتُ الإنجيل، التي لا يَرُدُّها ويُنكِرُها إلاّ كلُّ كافرٍ ضلّيلٍ، وقد رَدَدتمُوها أيهّا الكفَرَةُ العميان، وخرجتُم عن دِينِ السيِّدِ المسيحِ كما خَرَجتمُ عن سائر الأديان.

رسالة المسيح إلى راهب من جرجان:

وقد ذَكَرَ للراهب الجِرجَاني[٢١] جميعَ هذه الأمورِ في الرسالة التي سيَّرَها السّيدُ إليه. وذَكَرَ فيها ما لا تهتَدي أفهامُكم به ولا تَصبْرُ عقولُكم عليه، من ذِكْرِ هذه السنِينَ حتى ذكَرَ فيها حدَّ هذه العُسْرَةِ والفترة التي تكونُ على المُستجِيبِين من أجلِ خطاياهم، الذين لَستُم أنتم منهُم بل أنتم لهم مُنكِرون، ومنهم مُتَبَرِّئون. ولهُمْ يا عبيدَ السوءِ باغضون مُمتَحِنون، حدُّها من أنطاكيةَ الى أسكندريَّة وعُقْبَاها الأصفياءِ الطاهرين.

فقد أخرجَكُم السيّدُ من شَرَفِ هذه العُصْبَةِ المسيحيّة، الذي جَعَلَ حدَّ مِحْنَتِهم من إنطاكية إلى إسكندريّة. وأنتم تَشْهَدون على نفوسِكم بما اجترحتمُوه. وقد كان ذلك وأنتمُ تَنظُروه، من قيامِ شعبٍ على شعبٍ، وملكٍ على ملك، وأُمَّةٍ على أُمَّة. وقد قامَ أهل الباطل وقمتُم معهم على أولياءِ السيِّدِ في هذه المواضعِ المذكورة، فقتَّلوهم وأسلموهم للموتِ سائرُ الشعوبِ وبغضوهم، وطَردوهم من بَيْنِ أَظهُرِهم وأخرجُوهم؛ وفعلتُم أنتم أيّها الكفرةِ فِعْلَهم.

فأنتم وجميعُ هذا العالَمِ من فَضيلةِ هذا القتل والطَردِ والبُغْضِ والإخراج، والسَّبِّ والقَذْفِ والإخافَة والإنزعاج، بَريئون مُسلِّمون، وفي مَعْزَلٍ عنه بالجَهْلِ غارقون، وفي غَمْرَتِكم سادِرُون تائِهون، بل قدْ

---

(٢١) من الجرجان، راهب غير معروف. لكن ما يدل على علّو منزلته إرسال السيّد له هذه الرسالة. وربما أرسله، بهذه الرسالة، داعياً إلى تلك البلاد.

شاركتمُوهم أيّها الفَسَقَةُ في النِفاقِ والانعكاس، وتَشبَّهتُم في فِعْلِكم بزنادقةِ اليهـود في البِدى في تَتَـبُّعِ أولياءِ السيِّـدِ ورُسلهِ بالظُّلم والإبلاسِ، فَسُـقْتُم أولياءَه قـسراً، وأزعـجتمُـوهم تَجَبُّرا وكـبْراً ، عـصياناً وخِـلافاً للوصـيَّةِ، وخروجاً إلى الباطل عن الكلمةِ الباقيةِ الأزليَّة.

أيّها الكَفَـرَةُ! فأيُّ ذَنْبٍ لمن أرشَدَ ضُلّالاً إلى نَهْجِ السـبيل، وأيُّ جُرمٍ لمن أيقظَ نيَّامًا لظهـور السيِّدِ المسيحِ بالشّاهدِ والدلـيل. فعَدَوْتُم بالزهوِ على الأمين الحكيم، والشيخِ الحَواري الجليل العَليم، وأَخفَتُّمُوه بما يُطالِبُ كبارَكُم به السـيِّدُ في اليـوم العَظيم، ويخلِّدُهم به عند حـضور السّـاعة في العـذابِ المُقيم، ويُغَيِّـرُ صُوَرَهُم بالمُسُوخِيَّـة في القِرَدَةِ والخنازيرِ كما غـيَّروا صُورَةَ الحبرِ الحكيم.

فأنتم يا جماعةَ رؤساءِ النَّصرانيّة، خَلَفُ السوءِ للحُواريّين آلِ الدَعوةِ النّورانيّـة، ونَكَثَةُ عـهدِ السـيِّدِ المسـيحِ بقَـتْلِ حواريه وقَطْعِ كلمَـتهِ الأزليّـة الروحانيّة. ثم تَرصـُدُون أولياءه الصَفوَة للمهـالِكِ والمَقَاتِل، وتُكذِّبونَ رُسُلَهُ وتَكيـدُونَهم بالغَوايل، فـأنتم عن تِلاوةِ حكمَتِـه عِمِـهُون، وبزُخْرُفِ الـباطل مُغرَمون. قد سَلَبْتُم التدبُّر لآياتِ الإنجيل، وَوَقَفَ حالكُم على الإِنكارِ لحكمتِهِ والتعطيلِ.

فـانظُروا أيّها الظَلَمَـةُ وأنَّى لكم بالنَظَرِ إنْ كُنتُـم لأنفسِكم مُنصِـفِين، وللحقِّ مُدَّعِين، ولحكمةِ السّـيد مُسَدِّقِين، وبرِجْعَتِـه لخلاصِ شعبِ الحقِّ من الخطيئة مُوقِنين.

عودة إلى نصوص الإنجيل :

من إنجيل مَـتَّا في الإصحاح التـاسع عشر، فليَتَـدَبَّرهُ منكمُ مَن كان ذو نَصَفَـةٍ وخبر، في قـوله: " ومَن ذا الذي يكونُ عبداً أمـينًا حكيمًا، أقـامَه

سيّدُه وكيلاً على أهل بيته، يعطيهم قُوتَهم في وقته. طُوبَى لذلك العبدِ الذي يوافيه سيّدُه فيجدُه يصنعُ ما أَمَرَهُ به. حقًّا أقولُ لكم إنَّه يجعله أميناً على جميعِ ماله. وإنَّ العبد الخبيثَ قائلٌ: إنّ مولاه تطولُ غيبَتُه، ثمَّ يُقبِلُ على أصحابه بالإساءَةِ والضرْب، ويَشتغلُ عنهم بالأكل والشرب، فيأتي سيّدُ ذلك العبدِ في يومٍ لا يُقَدِّرُ قدومَه فيه، وساعةٍ لا يشعرُ بها، فيُعَجِّلُ عزلَه ويَجعلُ حظَّه وجزاه مع المُرتابين الآخذين بالوجوه "(٢٢).

فتأمّلوا أيّها الصُمُّ العُميُ المُدَّعون هذا الخطاب، وأوضِحوا له الجواب، ولا تَغتَرُّوا برونَقِ ما أنتم فيه من الزُخرُفِ والسّراب. وتبيَّنوا غفلَتَكم عن طاعة السيّد ورجوعكم على الأعقاب.

ألَمْ يُصرِّح لكم: "إنَّ له عبيداً أَمَنَا حُكَما، ائتمنَهم على أهل بيته وُكَلا، يعطُوهم قُوتَهم في وقتِه، ويُعرِّفوهم المسيحَ الكذّابَ بصِفته ونعته "(٢٣). أتراكم أيّها الغَفَلَةُ تَظنُّون أنَّ القُوتَ لأهل بيته ما أنتم عليه من أكْلِكم وشُربِكم وأفعالكم، وما تكالبْتُم عليه من حُطامِكم الزائل عن قليلٍ لسوءِ أعمالِكم، أم تراكم تَظُنُّون أنَّكم من أهل بيتِه، وأنَّى لكم بمعرفَتِهم أيّها البُكْم؟!

ألَمْ يَقُلْ لحواريه: "أنا فيكم وأنتُم فيَّ "(٢٤). وقال في مَواضعَ كثيرة: "أنتم فيَّ وأنا في أَبي "(٢٥). فعرَّفَ العالَمَ أنّ الذين هم فيه وهو فيهم هم أهلُ بيته المَبثُوثِين في أقطارِ الأرض، المنتظرينَ لَمَجيِّهِ إلى العالم للحسابِ والعَرْضِ. ثم عرَّف العالَم أنَّ وُكلاه على أهلِ بيتِه، هم حواريه الذين كانوا في البِدى جَعَلهم في الأخير يُنذِرونَ الأُمَمَ ويبشّروهم بمجيِّه في وقتِه. وهم

---

(٢٢) متى ٢٤/ ٤٥-٥١.

(٢٣) متى ٢٤/ ٤٥ بتصرّف وإضافات.

(٢٤) يوحنا ١٥/ ٤ و٥؛ ١٤/ ٢٥ و٢٣؛ ١٤/ ٢٠؛ ١٧/ ٢٦...

(٢٥) يوحنا ١٤/ ١٠ و١١؛ ١٤/ ٢٠؛ ١٧/ ٢١ و٢٣...

العبيدُ الذين أعنى بقولِه: "طوبى لذلك العبدِ الذي يوافي سيّدُه فَيَجِدهَ يصنعُ ما أمَرَهُ به. حقٌّ أقولُ لكم إنّه يجعلُه أميناً على جميع مالِهِ".

أيُّها الغَـفَلَةُ! كَذبَ العادلون باللّه عن الدِّين الصـحيح، وضَلَّ مَن أنكرَ رسلَ السيِّد المسيح، المُبشِّرين بآيـاتِه وحكمتِه قَبْلَ ظهورِه، والمُرشِدِين الأممَ إلى طاعتِه، المُؤدِّيةِ إلى طاعةِ الأبِ والاستِضاءة بنورِه.

فـإنْ كُنْتُم يا جـماعـةَ رؤسـاءِ النَصرانيَّـةِ بذكـرْ السـيّدِ ومـواعظِه تتذكّـرون، وبوصاياه وحكمتِـه تَتدينُّون، أفلا عن الخُـبْثِ والمُنْكَر تَرتَدِعون، وعن عبيده الذين ائتمنَهم على قُوت أهل بيتِه تَنْزَجِرون وتَنْتَهُون! قاتَلَكم اللّهُ فأنتمُ الظـالِمون. يُوشِكُ أن يُعجِّل خـزْيَكم وعزلَكم عن هذه المـنازل، ويَجْعلَ حظَّكم وجـزاكُم مع المَرتابين من أهـل الشعـوبِ والقـبـائل. قـاتَلَكم اللّه أنّى تُؤفكُون.

يا ويلَكم لقـد تجاوزتُـم في الكُفر والإبلاس، وعَـقَـبْتُم على زَنادِقـةِ اليـهود فـي الظُلمِ والانعكاس. يا ويلكُم فـأيُّ ذَنْبٍ لمن شَـرَحَ معـاني كلمـةِ التّوحـيد والاخلاص، ودَعاكمُ إلى السـيّدِ المسيحِ مسـيحِ الذنوب وصاحبِ العَرْضِ والقِصَـاصِ. فستَنْدَمون أيُّها الكَفَرَةُ بـتكذيبكم لآياتِ السيّد ورسله إكـذابا، وستَـعْلَمون أيّ الفـريقين أعظَم تَنكيـلاً وأشـدّ عذابا. يا ويلَكم! أمـا تنظُرون لأنفسِكم قبْلَ يومٍ لا نَظْرَةَ فيه لُمنتظِر، ولا عُذْرَ بعد حُلولِهِ لُمعتَذِر.

ميثاق المسيح الجديد للموحِّدين :

أما تتأمَّلوا ما جاء في آخِرِ الفـصلِ الذي يُتلا عليكُم بعد تِسْعِ ساعاتٍ من يوم الخميس الكبير[٢٦]، لمّا جَمَعَ السيّـدُ حواريه الذين أنتم لهم مُنكِرون، وهم عليكُم في غدٍ شاهِدون. وقال لهم: "إنّ وَقتي قد دَنَا وَقَرُب. وعرَّفهم أنَّ

(٢٦) الخميس الكبير هو اليوم الواقع في أسبوع الآلام . وهو يوم القربان.

يهـوذا الإسـخـريوطي يسلِّمه إلى فـراعِنَة اليـهود في ذلك الزَّمَنِ العَـسيـر، والوقت المَعدودِ للنَفَرِ اليسير، لَمَّا أخَذَ السيِّدُ خُبزاً فبارَكَ عليه وكَسَرَهُ، وناولَ تلامـذَتَه وقال لهم: خُـذُوا هَذا جَـسَدي كُلُوهُ. ثمّ أخَـذَ كـأسًا فـبَارَكَ عَليـه وشَرِبَ، وَناوَلَهم وقَـالَ لهم: خُذُوا هذا دمِي، فاشرَبوه، وهو الميـثاق الجديدُ الذي تُسفَكُ عـليه دماءٌ كـثيرة لـمغفرة الخطايا والذنوب. ثـم قالَ لهم: ألحقُّ أقولُ لكم إنّي لستُ أشـرَبُ مِن عصيرِ الكرمِ مِن الآن إلى اليـومِ الذي أشرَبُه جديداً في ملكوتِ أبي اللّه "[٢٧]. وهذا في آخِرِ وقـتِه، وفَراغِ دَعـوتِه، بعد أن عرَّفكم خروجَه من العالَم من حيثُ أنتم وحضورَ غيبَتِه.

فانصِفوا نـفوسكم أيّها الغَفَلَةُ المُدَّعون، وتأمَّلوا بعينِ الحـقيقةِ، وإنّي لكم بها ما هو مَنْصوصٌ في كُتُبِ مَتَـعَبِّداتكم، وأنتم عنه مُعرِضون، وفي كلِّ الأوقات له تَقْـرَأونَ وتسْمعـون، من ذِكرِ الميثـاق الجديد وتعظيـمِهِ إنْ كنتم للحقِّ تَفْهَـمون. تاللهِ إنّكم عنه صُمٌّ عَمـيونَ. ثم صرَّحَ بفعلهِ لمغـفِرة الخطايا وحرَّمه في ذلك الوَقت. ثم أحلَّه بعـد رجعته في اليوم الجديد عند قـيامِهِ في ملكوتِ أبيه على هذه الصِـفةِ والنَّعتِ. وقد رَجَعَ إلى العالم لغُـفرانِ الخطايا، وسَقاهُ لأولـياهُ جديدًا ولمْ تَشعُـرون، ووصلتْ رسائلُ عبدِهِ المُبَـشِّرةِ إليكم، وأنتم لها مُكذِّبون، ولِمَا وأتَقَكُم عليه مُنْكِرون جاحِدون.

قد نَكَثتُـم يا معاشِرَ رؤساءِ النَّصـرانيَّة ما عاهدَهُ السـيِّدُ إليكم وإلى الحَواريِّين السَادِقين، وفَتَكْتُم بعبده الـسَادِقِ الناصحِ الأمين، تأسِّياً بَمجُوسِ الأممِ أشـباهِكـم الظالمين المُدَّعِين، وقـد عرَّفكم ذلـك واتَّصلَ بكم وتحَـقَقـتُم وُضوحَ الميثاق، وانتـشرَتْ دعوةُ السيِّدِ المسيح الحقِّ في جـميع الآفاق. فإنْ أجَبْتُم فـللسيِّدِ المسيحِ أطعْـتُم، وإنْ تخلَّفْتُم فلآياته المَنْصوصَـةِ في الإنجيل نَقَضْتم وجَحَدْتُم.

---

(٢٧) متى ٢٦/١٨-٢٩ ببعض تصرف.

خاتمة الرسالة :

فيا أيّها الغلْفُ القُلوب. ويا حَمَلَة الخطايا والذنوب. لو أردنا الردَّ على ما تَنْحِلُهُ جميعُ فِرَقِ النَّصرانيّةِ، وكَشْفَ عَوارِ ما لُفِّقَ لكم بمدينةِ القسطنطينيّة، وتبيينَ رَكاكَةِ عُقولِكم وقَبُولِكم لما هو خارجٌ عن الحِكمَةِ المَسيحيَّة، لحَلَلْنا عَقدَه حرف حرف، وَلنَقَضْنَاهُ على هذا النَعْتِ والوصف. وقد أعذرَ من أنذَرَ، وعَدَل من نَصَحَ وَبصَّرَ وخَبَّر.

فَوَحَقِّ السيِّدِ لأُبَيِّنَنَّ الحقَّ في لَفْظِ الخِطاب، وَلأُمْسِكَنَّ عِنانَ الجَواب، بسَتْرِ النِّقابِ، إلى أن يَرِدَ إليَّ ما فُعِلَ بَعْدَ هذا الكتاب. فإمَّا بالإقلاع عمّا أُجْرِي إليه بالزَّهوِ من الزَّلَلِ والغَلَط، وإمَّا بالتَمادي على الكُفْرِ والجحْدِ والقَنَط. وَلأَهْتِكَنَّ عَوارَ نواميسِ الأديان، وَلأُوضِحَنَّ التَخَلُّفَ من فَاعلةِ الغَلَط عن مَعْرِفَةِ ما ابتدَعَهُ الجُمهورُ منكم في مَعْنى الصَلبُوتِ والقُربان، وَلأَهْدُمَنَّ قَواعدَ النِّحَلِ الشِّرْكيَّةِ البِدْعيَّة، وَلأُفسِخَنَّ المقالاتِ المُختَلَقَةَ على مسيح الحقِّ بالشَّرعيَّة، المَكْذُوبةَ على أهلِ الحقّ في كلّ دهرٍ وأوان، المُفَرِّعَةَ للشكِّ والشِّرْكِ في أُصولِ الأديان، بَعْدَ الأذانِ في ذلك من قائم العصرِ مسيح الأزمان.

والحمدُ لمولانا وحدَهُ. والشكرُ لمسيحِ الأمم وهاديها عبدِهِ.

تمَّتْ بِمَنَّةِ وليِّ الآخِرَة.

٥٥

الرِّسالة الموسومة بالتعقّب والافتقاد

لأداءِ مَا بَقِيَ مِنْ هَدْمِ شَرِيعَةِ النَّصَارَى الفَسَقَةِ الأضْدَاد

هذه الرسالة تكمّل الرسالتين السابقتين (٥٣ و ٥٤). وهي مليئة بنصوصٍ من الإنجيل، وقد أُوِّلتْ بما يتّفق وعقيدة التّوحيد. فيها، كما في السابقتين، هجوم على المسيحيّين، وإثباتٌ على أنّ حمزة هوالمسيح الحقّ... بعث بها بهاء الدين إلى الأمير ميخائيل البفلاجوني Michel Paphlagonien زوج زوئيّة Zoé بنت قسطنطين الثامن، الّذي وُجّهت إليه الرّسالة الموسومة بالقسطنطينية، رقم ٥٣ ... إنّ معرفة بهاء الدين بالأناجيل والطقوس المسيحيّة جعلتْ سِلْفِسْتِرْ دِي سَاسَي يعتبره مسيحيّاً مرتدّاً عن مسيحيّته، كافراً بها[1].

توكّلتُ على المولى الإله الحاكم المنزّه عن الإشارات، ألمعبودِ في جميع الأعصَار بأصناف اللّغات. وتوسّلتُ إليه بعبدِه مسيحِ الحقِّ المُنتَظَر لخَرْقِ العادات.

من العبد المُقتَنَى النَّاصح المَملوكِ لَمسيحِ الأزمان، ومحلِّلِ مَعاقدِ المِلَلِ وناسخِ الأديان، وقاتلِ الإبليس والشَّيطان، ومُهلِكِ العِجْلِ والشَّيْصَبَانِ،

(١) Silvestre de Sacy, **Exposé de la Religion des Druzes**, 2 tomes: t. I: VIII+DXVII+234 pp. t. II: 708 pp.; Librairie Orient-Edition, Paris; 1838; Réimpression 1964; voir: p. CCCCLXXXIX.

والدهور، القاطعُ عند الهائعةِ الكُبرى للقَوْدِ والرَّسَن، والهاربُ إلى أشكالهِ شوقًا إلى عبادةِ الهُبَلِ والوَثَنِ، المُذكي لنار الشِّرك، والسَّاحِبُ لذَيْلِ دَهماءِ الفِتَنِ. فقدْ عصفتْ بكم على يدِه أرياحُ الفَناءِ والوَبال، وأذَنَتْ دولتُكم بالبَوَار والزَّوال، وتهدَّمتْ أركانُ شريعتِكم بالنَّقضِ والانحلال، المأسَّسَةِ على التَدْليسِ والسُخْريَّة، المَكْذوبةِ على المسيح البِدعِيَّةِ.

أيّها الهَلَكَةُ! فاستَشْعِروا عقابَكم على الخُلُقِ الذَّميمِ، وجزاكُم على الذَنْبِ العظيم. وتذكَّروا أفعالَكم بالقدِيسيّين آلَ الصَبرِ والتَسْدِيق والتَسْليم.

ما في الإنجيل يُطبَّق على حمزة :

فعن قريبٍ يَصحُّ قولُ السيِّد: "تدانَوا بما أدنْتموه، فيُكالُ لكم بالمكيال البَخْسِ الذي أكلتُموه"[٣]، وتُسْلَبون العِزَّ والنَّصر، وتُقْتَلون كما قتلتموهم بالذُلِّ والقَهْر، وتُساقون بالعُنفِ قسرا، وتُطرَدون إلى النّار المعدَّة لكم كما طَردتموهُم تَجبُّراً وكِبْرا. فقد اقتَربتِ السّاعةُ وانشقَّ القمر، وأُغلِقَتْ أبواب التوبَةِ ورُفِعَتْ الزُّبر. وتحيَّرتُم لجهلِكم في الوقتِ الذي نَهاكم فيه عن التَحيير، وَعَكفْتُم على العِناد والبَلَسِ والتَقصير، وعميتْ بصائركم عن حُكمِ هذا العصر، ونسيتُم نصَّ الإنجيل في قولِ الرب على لسانِ النبيِّ القائل: "إنّي دعوتُ ابني من مَصرْ"[٤]. ولم تَكُنْ هذه الدّعوةُ التي دَعا بها الرَّبُّ ابنَه من مصرَ في ضُعفِ ذلك الزمان، وإنَّما هي اليوم في وَقْتِ القُوَّةِ ليصحَّ قولُ النبيِّ القائم لتحقيقِ الأديان. واللهِ! ليجمعنَّ اللّهُ شَمْلي بمصرْ، كما جَمَعَ بها شمْلَ آلِ يعقوب. يعني به هذا العصرَ والوَقْتَ المُعيَّنَ المَوجُوب.

---

(٣) متى ٧/١-٢. الأصل: "لا تدينوا لئلاً تُدانوا. فكما تَدينون تُدانون. ويُكال لكم بما تكِيلون".

(٤) متى ٢/١٥.

المُنتَقِمِ من أهل الكفرِ والطُّغيان، وماحِقٍ لأهلِ الخلاف والعصيان[٢]،

إلى المحكومِ عليه بعد أَرْمانوس الهالك، يعني الأَرْخَنَّ مخائيل المُمْتَحَنَ بِخَرَفِ المَكْسُورَةِ النّابِ ابنة قُسطنطين، المُخْتَطَفِ المُرتَعَشِ العاجزِ الضَّلِّيل، وإلى جميع فِرَقِ النَّصرانيَّةِ النَّجِسةِ الطَّاغية، والأمَّة المُنكرة الفاسقة الباغية، الدَّعيَّةِ الكاذِبَةِ الخاطية، القريبة المُدَّةِ والأجَلِ، المُؤاخَذَة بسوءِ العقيدة وخَبيثِ العمَلِ، المَقطُوعَة الأصل والأمَل، المَمْنوعَة من البقاءِ والمَهَل.

أمّا بعد، فالحمدُ للمَولى الإله الحاكمِ الماسحِ للمسيح، ومالكِ الأقنوم والذبيح، العالِّ لعلَّةِ العلَل، المُنزَّه عن الأزليَّةِ والأزَل، الذي تجالَلَ عمَّا يَخْتَلِجُ في الهواجِسِ الفِكريَّة، وتَنَزَّهَ وتقدَّسَ عن الأوهام الجارية في الأوائل العنصريَّة، الذي جعلَ للنفوسِ الطاهرةِ بالعَجْزِ والتَخيير سببًا إلى العُلوِّ والثواب، وللنفوس الكَدِرَةِ العاصيةِ طريقاً إلى الانسِفال والعقاب. فالطّائعةُ مُعْتَرِفةٌ بالعَجْزِ سالكةٌ على المَنْهَج الصحيح، والعَاصيةُ مُنْسَفِلَةٌ بالتكبُّرِ غامطةٌ لنِعَم السيِّدِ الهادي المسيح.

وسلامُهُ على وليِّه مسيحِ الحقِّ القائمِ عند تَمامِ الأدوارِ لتبديلِ المِلل، ولِنَسْخِ الشَرعِ وتَغييرِ الدُوَل.

المسيحيّون غافلون عمّا في إنجيلهم :

فيا أيُّها الأمَّةُ الهالكةُ لجهلِها وعِصيانِها، والفِرقَةُ الخائبَةُ لغَفْلَتِها ونِسيانِها، اللاّهيَةُ عن معمودِيَّتِها وقُربانِها. أنظُروا إلى أسباب المِحَنِ وتَقَلُّبِ العصور، وتعلُّقِكم بالدَّجَّالِ المُعَيَّنِ المَذْكور لخزيكم وهلاكِكم في آخِرِ الازمان

(٢) هذه الثنائيّات: «الإبليس والشيطان»، و«العجل والشيصبان»، هي كناية عن النّبيّ محمّد والإمام علي. وكذلك: «أهل الكفر والطغيان»، و«أهل الخلاف والعصيان»، هي كناية عن أهل السنّة وأهل الشيعة. وهذا مألوف في رسائل الحكمة.

فغفلْتُم أيُّهـا الفَسَقَةُ عن هذه الإشارات والوصايا، وركبـتُم نَهْيَهُ لكم عن مُـعاونةِ الظَلَمَـةِ يا حَـمَلَةَ الذنوبِ والخطايا. فَـقُمـتم على أوليـاءِ السَيِّـد فقتلتموهم بالبَلَسِ والضَّلال. ونهَـضْتُم في شروطِ القيامة لنصْرَةِ الأبْرصِ الأعورِ الدَّجال(٥)، ليَصِحَّ قولُ السـيِّدِ لمَّا ظهرَ بلسان العَرَبِ، فيـما مَضى من الأعوامِ والحِقَب، إشارةً إلى مُعْجَزِهِ القاضي على النُبوَّات، وقولـهِ الحَتْمِ في نَسْخِ المذاهبِ والمقالات:

فكأنّ دجّالَ القيامَةِ أعـــــوَر   قد ثارَ في يوم الكريهةِ مِن حَلَب
والرُّومُ أجْمَعُ عونَهُ وهـــو الذي   لا شكَّ موردُها الخَزيَّةَ والحَـرَب

ثم قال بعد ذلك يتلو هذا القولَ إشارة إلى حَـواريهِ وأوليائهِ وحُجَجِه وأنبيائه:

يا ربُّ أنْجِزْ وَعْـــــدَهُم بوليِّهِم   في دار مِصْرٍ في جُمادى أو رجَب.

ثمّ قال بعد ذلك دلالةً على تَناهي مدَّتِكم وتَعيينًا على استئصالِ شأفتِكم:

فإذا رأيتَ الوقتَ فارقُبْ حينَه   وتَرَى النصارى قد تَناهَتْ في الرُتَب.
فهناك حيـنُ الأمرِ فاعْلَمْ أنّه   قد فار تَنُورُ الســـفينةِ وانقَلب.
بادِرْ إليها بالقَبُـــولِ فإنّها   ريحُ الســلامَةِ في الإقَــامة والطَلَب.

فيا أيُّها الكَفَرَةُ الظلمة ، والأنجاسُ الفـسَقَةُ الأثَمَةُ، تأمّلوا هذا التعيينَ لخروجِكم عن سُنَنِ الحَقِّ وفسقكم. واستَـشعِروا خزْيَكُم وانقراضَ دولِتكم، واعرِفوا نقْضَ رؤسائكم، من ذَمِّهِ أولياءَكم وأحبارَكم، في قوله: "ألويل لكم أيّها الكَتَـبة، والأحبـارُ الكثيرون الرِّبا. إنّكم تَبنون قـبورَ الأنبيـاء. وَتَرْمُون قـبورَ الأبرار. وأنتم القـائلون لو كُنَّا على عـهـدِ آبائنا لم نُشْـرِكْهم في قَـتْلِ

---

(٥) إشارة إلى مساعدة المسيحيّين عليًا الظاهر في اضطهاد الموحِّدين.

الأنبيـاء. وأنتم تَشـهدون على أنفـسكم أنّكم أبناء أولئك الذين قَتلوا الأنبـياء، وأنتم مُقـيمُون على صَنْعَة آبائكم أيّـها الثّعابين. فـأنتم أولادُ الأفاعي فكيف تهربون من عـقاب جَهَنم "(٦). فهـذه شهادَتُه عليكم في نُصـوصِ الإنـجيل، الذي لا يردُّه ويُنْكِرُهُ إلاّ مَن عَقيدَتُه الجَحْدُ والتَّعطيل.

ثم عرَّفكم في الإصحاح الثامن عشر، بعد هذا القول المُنزَّه عن الكِذْبِ والنّكر، لأتِيان رُسلِه في هـذا الزمان والعَصْر، قَـبْلَ ظهورِه ورجْعَـتِه، وذلك في آخِرِ الوقت عند خُروجِـه من العالَم وحضور غَـيبَتِه. فقـال عطفًا على ما تقدَّم: "ومِنْ أجلِ ذلك إنّي مُرسلٌ إليكم أنبياءَ وحكماءَ وكتبةً فتقتلوا بعضَـهم وتَصلُبوهم، وتَجْلدُوا آخَرينَ في مجـامِعكم وتَطْردوهم، من مدينة إلى مدينة وتُخرجوهم، حتى تُعاقَـبوا بكلِّ دماءِ الأبرار الذي سُفِك على الأرض مثلُ دمِ هابيل السِـدِّيق الكاملِ الأرجَح، إلى دَمِ زكـريّا أبو يُحَنّـا الذي قتلتُّـمـوه بين الهيكل والمَذْبَح. أقولُ لكـم حقًّا يقينًا إنَّ هذه العُسْـرَة لا تزولُ حتى تؤاخَذُوا بهذه الأشياءِ وتَحُلَّ بكم هذه الأمورُ كلُّها "(٧). فعرَّفكم أنَّ الذي فعلتُّموه أنتم وآباؤكم الزنادِقَـةُ في ذلك الأوان أنَّكم تُؤاخَـذون بقـبـيحِ أفـعـالِكم برسُلِه وحَوارِيهِ في خروجِكم لنُصْرَةِ الأبَرصِ الأعور الدَجَّال في هذا الزَّمان.

فلا تَغرَّنَّكم هذه الأيّامُ القليلةُ الإمهـال، ألمُوجِبةُ عليكم العذابَ واللَّعْنَ والوَبَال. فإنما هي هُنَيـهَةٌ لاحتـقابِ الذنوبِ ووفاءِ الأعـمال. فقَدْ كـذبْتُم ما أشــار به السيّـد إلى ظهوره في هذه الأيّام، وطَـمَسْـتُمُ الحقَّ الذي بيَّنَه على ألْسُنِ أصفيائِه الطَّيّبين الكرام، في قولِه في الفصل الذي يُقَرأُ في اليوم الأوَّل من الغطاس: "وأقـبَل يُحنَّا الصّابِغُ وجَـعَلَ يُعلِنُ صوتَه، ويقـول: توبُوا أيُّها النّاس، فقد اقتربَ ملكوتُ السّماءِ، المُبرئُ من البَرَصِ والضّلال والعَمى. ومن

---

(٦) متى ٢٣/ ٢٩ – ٢٣.

(٧) متى ٢٣/ ٣٤ – ٣٦.

قبْلِ هذا بَشَّرَ شَعْيا النبيُّ عن فِعْلِ آلِـيًّا وهو يُحَنَّا الصَّفا، فقال: صوتُ مُنادي في القَفْرِ أَعِدُّوا طريقَ الرَّبِ وسهِّلُوا سُبُلَه "(٨).

ولم يظهـرِالربُّ بعظمـتِـه للعـوالم في ذلك الزمـان، ولا قَـرُب منهم ملكوتُ السـمـاء كـوضوحـه في هذا الوقت بالدَّلائـلِ والبُرهان، وتحـقـيقِ علامـاتِه من الإنجيل الذي تعـبَّدتُم به بالنَظَرِ والعِـيان، ورجوعِـه إلى العالَمِ لخلاصِ الأُمَمِ مـن الخطايا والذنوب، ومُحـاسَبَتِـه لهم على سرائر الـنفوسِ وضمـائر القلوب. فلو أنّه ظهَرَ في أُمَّـةٍ مَعروفـة، أو أهْلِ شَريعةٍ كـانتْ قَبْلَ ظهورِه موصوفة، لكان الحـالُ يَجري على سُنَنِ الماضِيين، ولمْ يكنْ فرقاً بين أهلِ النواميسِ وبين صاحبِ الكَشْفِ وأشياعِه المُوقنين المُوحِّدين.

لكنَّه إلى الكافَّةِ بمـا أَعجَزَهُم ظَهَـر، كما دلَّتْ عليـه الصُحُفُ والزُّبُر، وأنبأَتْ عنه بالقـولِ يومَ يَدْعُ الدَاعي إلي شيءٍ نُكُر، فقـامَ بما أَنْكَرَتْهُ العوالِمَ ردًا عليهـا واحتجـاجاً. وبَقَرَ خـاصِرَةَ الباطلِ فَـثَعَنجَـرَ شُؤْبُوبُه بماءِ الحَقِّ أمواجًا، وانْهَلَّتْ إليه أشياعُهُ بالصَبْرِ على المِحَنِ أفواجًا أفواجًا.

فكونوا أَيُّها الكَفَرَةُ على التَحقيقِ والانتظار، لشُربِ كأسِ الحِمام، ولا تغْتَرّوا بالظَفَرِ بأجنادِ الشّام. فبَعْدَهُ يَحُلُّ بكم الذلُّ الشاملُ والسَّيفُ الصارِمُ القاتل، وتطأكم بأخْمِصتها كتـائبُ المُظَفَّرِالمَسْعود، وتَرجِعوا إلى لبْسِ الغِيارِ وتكونوا بلا رئيسٍ كالمَجـوس واليهود، دلالاتٍ ليومِ الدِّينِ وعـلاماتٍ لظهورِ هذا النبأ العظيم. وإنَّما هذه كلُّها بشارةٌ بالوقتِ السَّعيد الميَمون، عند رجوعِه إلى ملكوتِ أبيـهِ في اليـوم الجديد وأنتم لا تَعْلَمـون. وإنّمـا حجـبَتْـه عنكم أعمالُكم وأنتم لِحكمته لا تَفْقَهون.

ثمَّ عرَّفكم رجـوعَ يُحَنَّا الصَابِغَ أمـامَه وأنتم عنه لاهُونَ مُعـرِضون.

---

(٨) متى ٣/ ١ –٣.

فقـال: " ألحقَّ أقولُ لكم إنّــه لا يَتُمُّ في أولادِ النِّساء أُعظمُ من يُحَنّا الـصابِغِ. وأخوه الصغير في ملكوتِ السماءِ أعظمُ منه "[٩].

ثم قال : " واعلَمُوا أنّ مَثَلَ أيَّامِ يُحَنَّا الصابِغِ لَيَوْمٌ عظيم، وأهلُ القُدرةِ يَقْتَدِرون بهـا، إذ جميعُ الأنبياء إنَّمـا استفادُوا من ملكوت السـماء. والتوراةُ إنَّما دَلَّتْ ونبَّـأَتْ على ميلاد يُحَنَّا. فإنْ أجَـبْتُم فاقبَلُوا أنّه أَليَّـا، الذي قِيلَ إنّه مزمع أن يأتي مـن مَجْدِ أبيـه. فمن كـان له أُذْنَانِ سامعـتان فليـسمعْ "[١٠]. فعـرَّف العالَمَ بإتيـانِ أَليَّا الذي هو يُحَنّا المُسَـهِّلُ طريقَ الربّ وسُبُلَهُ ومُـبَيِّنُ عوارَ إبليس وناسِخُ مِلَلِه.

وجمـيع هذا الخطابِ بعد أن قَـتَلتُم أيُّها الكَفَـرَةُ فَمَ الذهَبِ يُحَنَّا وهو أَليَّا، وقَتَلتم قَـبْلَهُ بينِ الهيكلِ والمذبحِ زكريّا[١١]. فهذه أفعـالُكم وأفعالُ آبائكم في البِدى والأخير أيُّها المُنافِقون، وقـد شَفَّعتمُوها من البَلَسِ واللَّعنَة بما أنتم له مُعتادُون أَلِفُون.

ثمَّ قال السّيِـدُ تأكيدًا لذلك الإخبـار، إشارةً إلى مُعْجز يُـحَنَّا المهاجِرِ بتوحيدِ المَولى الإله الحاكم الجَبَّار: " ومَن ذا الذي يُعطِي الإنسانَ قُدَّاسَهُ[١٢]، إذا ما أتى ابنُ البـشر مقبِـلاً في مجدِ أبيه مع مـلائكتِهِ الأطهار، فَيُـجزي كلَّ امرئٍ من الناس كُفُوءَ عَمَلِه "[١٣].

---

(٩) متى ١١/ ١١.

(١٠) متى ١١/ ١٢ –١٥ . من الافضل أن يقال «إنْ أحببتم بدل» أجبتم».

(١١) إشارة الى متى ٢٣/ ٣٥.

(١٢) أخطأ الناسخ في «قدّاسه» بدل «فدا نفسه».

(١٣) متى ٢٦/ ١٦ – ٢٧ .

ثم قـال: " والحقَّ أقول لكم إنَّ هاهُنا ناسـاً قِيـامًا لا يذوقـونَ الموتَ حتى يُعاينوا ابنَ البشر يأتي مُقبِلاً في مجدِ أبيه "[١٤]. فأشارَ إلى هذا الوقت وأنتمُ لا تَفْقَهون، وقد أتَتكُم رُسُلُه وأنتم لنعمـتِه تَجحَدون، ولحكمتِه تُكذِّبون وتَدْفَعـون. قاتلَكم اللّه فـأنَّى تُكذِّبون. فقـد تناهتْ أيّامُكم وإنَّما أُنظِرتُم كـما أُنظِرَ الإبليسُ إلى يوم يُبعَثون.

والدلالةُ على رجوع يُحَـنَّا في الإصحاح الثـالث عشر، تَكذيبًـا لِقَول أهل البَهْـتِ والنُكر، قولُ الكتبـة للسيِّـد: " ما العـلامةُ أنْ آليًّا يأتي إليـنا بعد غيبَته، وما معنى ذلك؟ فأجـابهم يسوع وقال لهم: إنّ آليًّا يأتي ليتمِّم الأشياءَ كلهًّا. والحقَّ أقول لكم إنّ آليًّا قد أتاكم في البِدى ولم تَعرفوه "[١٥]. وكما كان إتيـانُه في البِدى لإيجـاب الحُجَّـةِ والنعمـة، كذلك يكون مَـجيُّـه في الآخـير لإيجابِ العِقاب والنِقْمَة.

ثمّ صرَّح لكم بالقـول أيّها العُمْيُ الضُلاَّل، والأغْتـامُ الفراعِنةُ المُدَّعين الجهَّال، المتمِّمُ لفراغ مُدَّتكم الأعورُ الدَّجَّال. فقال: " وكلُّ مَن آمَنَ بابن البشر اعترفْتُ به أنا أيضاً أمـامَ أبي الذي في السماء "[١٥]. فعرَّف العالم أنَّ الوقتَ الذي يَرْجِعُ فـيه لا يقـدرُ أحدٌ أن يؤمنَ بإمـامِ البـشر من العـالَم كلِّه إلاَّ مَن أجابَ دعوتَه. ومن أبا فقد جَحَدَ وطغى وكَفَر.

وكذلك قال: " من أمـاتَ نفسَه من أجلي فقـدْ أحياها، ومَن قَتَلَهـا فقد قتلَني. ومَن قـتلَني فقد قَـتلَ أبي الذي أرسلَني "[١٦]. فهذا تصـحيحٌ لِلَدَدِكُم

---

(١٤) متى ١٦/٢٨.

(١٥) متى ١٧/١١ – ١٢.

(١٥) متى ١٠/٣٢.

(١٦) متى ١٠/٣٩ – ٤٠. **الصـحيح بدل «مَن قـتلها فـقـد قتلني، ومن قـتلني...»: «من قبلني...».**

وجُحودِكم، وتَعيينٌ لقتلِكم لأولياء السيِّد وعنودِكم.

ثم قـال إشــارةً إلى هذا الوقت الكريم، ودلالةً على ظهـورِ هذا النبـأ العظيـم: "ولا تظنُّون أنّي أجيء أُلْقـي الصُلحَ في الأرض، ولا يكون مـجيٌ صلحًا بين الناس، بـل يكون في ذلك مُقاومـةٌ ومماراةٌ ومغالبـة. وان لمجيئ يُخالِف الابنُ لأبيـه، والبنتُ لأمِّها، والكنَّةُ حـماتَها. ويصـيرُ أهلُ بيتِ الرّجل كلُّهم أعداء"[١٧].

وهذا أيُّهـا المَرَقَـةُ فـقـدْ رأيتـمـوه وعـرفـتـمـوه. وصحَّ عندكم في نصوصاتِ الإنجيل الذي تعبَّدتم به فعَمِيَتْ بصائرُكم عن الحقِّ وخالفتموه.

قتلُ المسيحيِّين أهلَ الحقِّ :

ثم أكَّد الشهادةَ لرجوع أوليائِه، وعرَّفهم أفعالَ أعدائِهم وأعدائِه فقال: "فســوف يسلِّموكم إلى القـضـاة، ويجلدوكم في مَـحافِلهم، ويقـدِّموكم إلى الحكَّامِ والملوك من أجل الشـهادة عليـهم وعلى جمـيع الشـعوب"[١٨]. فقد قدَّمتموهم إلى الحكَّام أيّها الظَلَمَةُ، وجَـحَدتُم قولَه لمّا عرَّفكم أفعالَكم وأنكم أولادُ الأفاعِ الفَسَقَةِ الأثمَة.

ثمّ قـال : "وَسَيُسْـلِمُ الأخُ منكم أخاه للمـوت في الدِّين، والأبُ ابنَه، ويقومُ البنون على آبائهم، فيقتلوُهم ويكونوا مبْغوضـين عند جميع الناس من أجل اسمي. فمَن صَبَرَ إلى آخِرِ الأمرِ فاز بالحياة الدائمة"[١٩].

فيا أيُّها المـرَقَةُ الكَذَبَة، والفِرْقةُ الأدْعِيا النَّصَـبَة، متى أسلمَ الأخُ منكم أخاه للموت فـي الدِّين؟ ومتى قَتَلَ آباؤكم فيـه البنات والبنين. بل أنتُمُ القَتَلَةُ

---

(١٧) متى ١٠/ ٣٤ – ٣٦.

(١٨) متى ١٠/١٧ – ١٨.

(١٩) متى ١٠/٢١ – ٢٢.

لأهل الحقِّ المُستَجِيبين، أيّها الكَفَرة الملاعين.

فهل بعد هذا التـوقيفِ والتَعيين، والإيضاحِ والتعـريفِ والتبيين، لكم أيّها الظَلَمَـةُ سوى العقـابِ والعذاب المَهين. فقد قُـمتُم مع الدَجَّال، وقـاومتُم وجحدتُم أهلَ الحقِّ وماريتُم وغَالَبتُم، وقتلتُم رسلَ السيّد وخالفتُم، فإلى أين أيّهـا الظَلَمةُ تَذْهبـون؟ ولأي مذهبٍ تعْـتَقِـدون. قـاتلكم اللّهُ فأنتم الفَـسَقـة المُدَّعون.

تأمَّلوا قـولـه لكم: "مـا أضـيقَ البـاب وأدقَّ السـبل عـلى الداخلين والسالكين في الدِّين"[٢٠]. فهـما المُؤَدِّيان إلى الحـياة الدائمـة. وما أقلَّ من يظفر منكـم بالحقّ، لأنّه قال: "انّ إتيانَ ابن البـشر كَلَمْعِ البـرقِ السـاري في الغرب والشرق"[٢١]. فعرَّف العالم أنَّكم على كثـرتِكم لستُم أهلاً لطاعته، ولا أنتُم المُنْتظِرون لإتيانه ورَجْعَـتِه، لجهلكم بعلامات مجيِّـه وتكذيبكِم لحكمته، المَنصـوصةِ في حـقـائق الإنجيل، الجـاريةِ في البِـدى والأخيـر على ألْسُنِ حَواريه آل التّسديقِ والتحريم والتحليل.

ثمّ قال بعـد ذلك: "إحذَروا من الأنبياء الظَلَمَـةِ الذين يأتونكم بلباسِ الحـملان، فـهم في بواطنهم ذئابٌ خـاطفة. ومن ثمـارهم فـاعِرفـوُهم. هل يُسـتطاعُ أن يُقْطَف من الشـوكِ عنباً، أو يُـجْتَنا من الشـوك تيناً؟ فـهكذا كلُّ شجرةٍ صـالحة تثمرُ ثمارًا طيّبـةً صـالحة. والشجرةُ الرَديَّةُ تُثمـرُ ثماراً مرّةً رديَّة. وكلُّ شجرةٍ لا تثمر ثمارًا طيّبةً تُقْطَعُ، وفي النار تُلقَى، فاعرفوهم من ثمارهم"[٢٢].

---

(٢٠) متى ٧/ ١٤.
(٢١) متى ٢٤/ ٢٧.
(٢٢) متى ٧/ ١٥ – ٢٠.

المسيحيّون ينقادون لرؤسائهم في قَتْلِ الموحِّدين :

فتأمَّلوا أيّها العُمْي الضُّلاَّلُ، ما ضرَبَهُ لكم من الأمثال، وحذّركم من أهل الغَيِّ والوبال، وانظروا إلى رؤساء شرْعَتِكم، وأكابرِ أهلِ ملَّتِكم. فهم الأنبياء الظَلَمَة، الذي حَذَّركم منهم السيّد، وهم الكَذَبَة الأثَمَةُ. فهم في بواطنهم كالذئاب الخاطفة في السرِّ والإعلان. يُمَوِّهون عليكم بلباس الصُوفِ كما قال لباس الحملان. قد جَعَلُوا الكذب والسخريّة بكم أعظمَ المتاجر. وأحَادُوكم عن الطريق القاصدِ إلى الغائر الجائر. قد أسَروا نفوسكم بالقليل الزائل من الحُطام، وأوقفوكم في التِيه والظلام، فأنْتُم لهم كالأنعام الجَارِيةِ السوائب، يُحمِّلون على ظهوركم الأثقالَ المُحرِقَةَ الكَوَاذِب، ويُوردُوكم في الدِّين طريقَ المتائهِ والمصائِب. فاعرفُوهم. فهذه ثمار الشوك قد قطفوها، وأزالوا نفوسكم بها عن سُنَنِ الحقِّ وعَطَفوها، وسَلبوا عقولَكم وأرواحكم وخطفوها.

ثمّ قال لهم: "في ذلك الوقتِ، وفي ذلك اليوم، يعني به هذا اليوم، كثيرٌ يقولون يا سيّدَنا! أليس باسمِك تنبّأنا وباسمك أخرجنا الشيطان وباسمك أظهرنا الآيات؟ فعند ذلك أجيبهم وأقولُ لهم: أُبعدُوا عنّي فإنّي لا أعرفُكم يا فاعلين الآثام "[٢٣].

فهذه ثمارُ نِحْلَتِكم المُرَّةِ الزُعاق، المَقْطوعةِ الأصلِ المَقذُوفَةِ في لَظَا اللّهَبِ والاحتراق، أضيفُوها في البدى والأخير إلى فَضائِلِ فم الذَّهب يُحَنّا الذبيح، المقتولِ بأسيافِكم بالظُلْمِ والكُفْرِ الصَّريح، لَمَّا أتى شيوخُ الشعب أسلافُكم في وقتِ ردِّهم لكلمة السيِّدِ المَسيح، فقالوا له: "يا سيِّدنا! بأيِّ سلطانٍ تَصْنَعُ هذا؟ ومَن أعطاك هذه القوّةَ كلَّها؟ أجابهم يسوع وقال لهم:

---

(٢٣) متى ٧/ ٢٢ – ٢٣.

وأنا أسألكم أيضاً عن كلمةٍ واحدة، فإنْ أجبتُموني أخبرتُكم بأيٍّ سلطانٍ أصنعُ هذا. فقال لهم: معمودية يُحَنَّا مِن أين كانتْ مِنَ السماءِ أو من النّاس؟ فأقبَلوا يتفكّرون في أنفسهم ويقولون: إنْ قُلْنَا من السماء فيقول: حيثُ جاكم من السماء لِمَ لا تُؤمِنوا به؟ وإنْ قُلنَا هي بدعةٌ من الناس خَشينا من الجَماعة والأحبار يَقولون إنَّ حكمةَ يحنّا تُحَقِّقُ أنّه نبيٌّ قدِّيس. فأجابوا أسلافَكم قائلون، وَبِخبثِهم جَاحِدون مُنكِرون: لا عِلْمَ لنا. فقال لهم السيِّدُ: ولا أنا أيضاً أُخبركم بأيٍّ سلطانٍ أَصنعُ هذه الأشياء"[٢٤].

وجميعُ علامات ظهورِ السّيدِ التي شَرَحَها يُحَنّا عبدُه المُبشِّرُ بظهوره قد اشتهرتْ في الآفاق، وقَبلَها أهلُ الطاعة المُوحِّدين أهلُ العدلِ والوفاق، وجَحَدتُموها بالظُّلْمِ أيّها الكَفَرة المرَّاق، والخروجِ عن الطاعة إلى الشِرْكِ والإباق. وقد تَزايدُتكم في البَلَس لردِّ كلمةِ السيِّد باللَّدَدِ والنِفاق، وعكَفتُم على آبائكم الزنادقةِ بالجُحْدِ والشِقاق. ولم تتأمّلوا شهادةَ السيِّدِ ليحنّا في البدى والأخير بسدق نُبوّته، ولا تفهَّمتم اعترافَ الجَمِّ الغفيرِ من أسلافِكم أنّه نبيٌّ قديسٌ بفَيْضِ حكمتِه.

فها هو أيُّها الغَفلَةُ أزمَع للمَجيء الإمامُ السيّدُ لاستيفاءِ الثأرِ، ومعاقبتِكم بأمرِهِ على خَبيثِ أفعالكِم يا أشَرَّ الأشرار. يا ويلَكم! أنظروا إلى معجز يُحَنَّا في حكمته كيف يتَغطْمَطُ كأنّه فَيَضانُ البحرِ، أو كأنّه ينْحَتُ قولَه من حديد أو من جلَمَدِ الصخرِ، يَهْدُمُ بتأييدِ الوَليِّ السيِّد قَواعدَ نِحَلِ الأفّاكينِ المُبطلين، وَيَجذُّ أَثْلَةَ المقصِّرين المُنكِرين، الصّادين عن الحقِّ وسبيله المُباهتين المُدَّعين.

---

(٢٤) متى ٢١/٢٣ – ٢٧.

فاستمعوا قول السيّدِ في ضَرْبِهِ لكم الأمثال، واشاراتِه إلى ما أنتم عليه في هذا الوَقتِ من الغَيِّ والخَبال، في قولهِ: "يشبهُ ملكوتَ السماءِ رجلٌ عمِل لابنِه عُرساً فأرسل عبيدَه إلى المأذونين ليحضروا العرسَ فلم يُعجبهم أن يأتوه، فأرسلَ إليه عبيداً آخَرين وقال لهم: قُولوا لمن دَعوناهم إنَّ طعامَنا قد أُصلِح وعُبّيَ، وإنَّ المعلوفةَ قد ذُبِحَتْ، وقد أُعِدَّ كلُّ شيء، فهلُمّوا إلى الوليمة"[٢٥] .

ولم يعني بهذا ذلك الوقت لأنَّ المعلوفةَ لم تُذبَح، وهي زخاريفُ شريعتكم؛ والطعامَ لم يُصلَح، وهي حكمةُ السيِّد التي دَفعتموها في هذا الوقتِ لتمام شَقوتكم. وإنّما أعنى بإصلاح الطعام في هذا الوقت لفَيضِ حكمتهِ الربّانيَّة، وذبح المعلوفة وهي زَخاريف شريعتِكم الضعيفةُ العلمانية، وقد ذبحناها في هذا التعقُّب، وفي المسيحيّة، والرسالة النّورانيَّة[٢٦]، وقد أعدَّ لظهوره إلى العالم في الأنوار الشَعْشَعَانِيَّة.

ثمّ صرَّح لهم وقال إنّهم تفرّقوا. "فمنهم من عَمَدَ إلى عبيده فأذاهم وقَتَلهم. ولمّا سمع الملكُ، وهو صاحبُ العُرس، غَضِبَ غضبًا شديداً، وأرسلَ عبيدَه، وأحبارَه لِقتْلهم وإحراقِ مَدينتهم. ثم قال لعبيده بعد ذلك: إنّ القومَ الذين دعوناهم لم يكونوا أهلاً لطعامنا. ولإخلاء بَيتِ العُرسِ مِن المُنْكِرين، دخل الملكُ لينظرَ الجَلساء –يعني بدخول الملك يوم القيامة– فها هو قد أظلَّكم"[٢٧].

---

(٢٥) متى ٢٢/٢ – ٤ .

(٢٦) لم نعثر على هذه الرسالة في مجموعة «رسائل الحكمة»؛ وربّما تكون «القسطنطينيّة»، بسبب موضوعها المقصود من الكاتب.

(٢٧) متى ٢٢/٦ – ٨ و ١١ .

فتفهَّـموا أيّها الغَفَلَةُ! فهذه نُصوصَـاتُ الإنجيل، التي جَرَتْ من حيث أنتم تأديبًا للخَلْقِ على لسانِ يسوع السيّدِ الجليل، وقد ردَدْتموها، وكذّبتُموه وجَحَدْتُموه بفسقكم والتَعطيل. فـهذه صورتُكم الموافقة لأفعالكم، وعن قليل تُحْرَقُ مدينتكم وتُهْدَمُ دياركم. فعـرَّفكم أنَّ الذي فَعَلْتموه أنتم في هذا الوقتِ كما فـعلَ آباؤكم الزنادقةُ في ذلك الزمان، وأنَّكم تُواخَذون به لقُـبْح أعمالكم أنتم وهم في هذا الأوان.

تهديد بهاء الدين وثأر أهل الحقّ:

ثم قـال: -يعني هيكـل إبليس الرَّجـيم وشـيـاطينه الأدعـيـا-: "يا أُورَشْلَمُ يا أُورَشْلَمُ! يا قاتلةَ الأنـبياء وراجمـةَ المرسَلين! ها كَم مرّةٍ أردتُ أن أجمعَكم إليَّ كما يجمع الطائرُ فِراخَه تحت جناحِه"[٢٨].

ثم قـال عند آخر كـلامِه وأخـبارِه للعـالَم: "إنّي مُـرسِلٌ إليكم أنبيـا وحُكما وكتـبة فَتَقْتلوهم، وتَرَجُـمون آخَرينَ في مَحافلِهـم، ففَعَلتُم أنتم ذلك فقتَلتُموهم ومن مَيامِنِهم أخرجتمُوهم"[٢٩].

ثم أَتْبَعَ هذا القـولَ بقوله: "حـقّـاً أقولُ لكم إنَّ في ذلك الوقتِ تُتْـرَكُ دياركم خاليه"[٣٠]، لقيامِكم مع فرقة الدَّجَّال الباغية الطاغية.

ثم قال بعـد ذلك: "حقًا أقولُ لكم إنَّكـم لم تُعايِنوني منذ الآن إلى أن يقول تباركَ الآتي باسم الربِ"[٣١].

---

(٢٨) متى ٣٧/٢٣.
(٢٩) متى ٣٤/٢٣
(٣٠) متى ٣٨/٢٣ .
(٣١) متى ٣٩/٢٣ .

فـهذه حـججُ حقِّـه قد قـامتْ عليكم؛ ولَمَّا أتتـكُم رسلُه وأنبيـاءُ دينه جَحَدْتُم وكفرتُم، وأظهرتُم غيرَ ما أمرَكُم به وخالفتُم. فأنتم لجهلِكم ومرضِ عقولِكم غفُول سكارى.

ألم تتأمَّلوا قولَه لكم: "يُشبهُ ملكوتُ اللّه العشر عذارى، اللاّتِي أخذْنَ مـصابيـحَهُـنَّ وخرجْنَ للقـاءِ العـروس، فخـمسٌ منهنَّ حَليـماتٌ، وخـمسٌ جاهلات. فـالجاهلاتُ أخذْنَ مصـابيحَهُنَّ ولم يكُن مـعهنَّ زيتاً، والحَليـماتُ أخذْنَ مـصابيحَـهنَّ والزيّتُ معهنَّ في ظَـرْفٍ. فأبطأ العروسُ، واتضَـجَعْنَ كلُّهنَّ. فعند انتصافِ اللّيلِ سَمِعْنَ ضَجَّةً. ألعروسُ قد أتى. فقاموا أهلُه للقائه. وانتبـهنَ جميعُ العذارى لإصـلاحِ مصابيحـهنَّ. فَقُلْنَ الجاهلاتُ للحليـمات: هَبْنَ لنا من زيتِكُنَّ فإنَّ مصـابيحَنا قد طُفِئَتْ. فأَجَبْنَ الحليـماتُ قائلات: لعلَّه لا يَكْفانا وإيَّاكنّ. فـانطَلقْنَ إلى الباعةِ فـابتْعنَ لكنَّ زيتًا. فـعند انطلاقِهنَّ إلى الباعة، جاز العروسُ وأُغْلِقَ البابُ. وبعد حين، أقبلْنَ العذارى الجاهلاتُ وقُلْنَ يا سيِّـدنا افتح لنا البـاب. فأجـابَهنَّ قائلاً: حـقًا أقولُ لكنَّ إنِّي لا أعـرفكم يا فاعلين الآثام"(٣٢).

فـهـذا هو مَثَلُـكم مع أهلِ الحقِّ أيُّهـا الأغتَـامُ المُنكِرون، والجَـحَـدَةُ المفتـرون. فكأنِّي، واللهِ، بهذا المَثَلِ الحقِّ، وقد هَجَمَ علـيكم وأنتُم لا تَعلَمون، وأدركَتْكُم السـاعةُ وأنتم عن وُرودِها غَافِلون. وبعد هُنيـهة تَفْتَضِحُ مـصائد النَواميسِ ، وَيَهلِكُ أهلُ الغُشِّ والـتَدْليس، إذ جميع مـا تَخْتَرصوه وتُلفِّـقوه، وَتَغُرُّوا بـه مَن يَتْبَعُكـم وَتَخْدَعوه، إضـاعات مكتـوبة، ونَواميسُ مُـخْتَـرَعَةٌ مَكْذوبة، لأنّكم خـالفتُم أمثـالَه الصحـيحـة وإشاراته، وأهملْتُم نصـوصاتِ رَجْعَـتِه في الإنجيل السـادقة وعلامـاته. فأنتمُ مُشْـرِفون على شَفَـا جُرُفِ هـاويةِ الجحـيم، ومُقَـرَّمُونَ في الأصفَـاد عن قريبٍ، وشـاربون من الزقُّومِ

---

(٣٢) متى ٢٥/١ – ١٣.

والحَمــيمِ . وَقَدْ أعـذَرَ نذيرُ الآخِرة، ونَصَحَ الأمَّــةَ البارَّةَ والفاجِـرة، إمتـثالاً لمرسوم الإمــام القائم العَدْل، واحــتسابًا فــي السرَّاء والضرَّاءِ وصــبراً على مكايد أهل السَفَهِ والخلافِ والجَهْلِ.

فَلْنَخْـتُم ذلك بالحـمدِ للمَـولى الإلهِ الحــاكم المُمــهِلِ الأممِ على عظيمِ التمــرُّدِ والعصــيان، والقاضي بالفَلَجِ والغَـلَبِ لوليِّ حقِّه النَّاسخِ لِلَـلهِم بعد الإيضاح، ومُـحلِّلِ لمَعاقدِ كُـفْرِهم والطُّغيان. وصــلاتُه عليهِ ما اخـتلفَ جديدُ النّور والظُلمة، وَمَــرَجَ بَحْرُ الخلافِ والجَهْـلِ، وَدَمَغَهُ بحرُ الحــقائقِ بالدلائل والبرهان. وهو حــسْبُ عبدِه الضعــيفِ المُقتَنَى، في اليومِ المَهـول إذا انقضَتْ مدّةُ العِجْلِ والشَيْصَبان.

تَمَّتْ بِمنَّةِ وَلِيِّ الآخِرَةِ.

نُسِخَتْ للعَرْضِ بحيثُ يُؤمَرُ به.

والحمدُ لمولانا وحدَهُ. والشكرُ لقائمِ الحقِّ عبده.





الجزء الرابع



٥٦

الموسومة برسالة الإيقاظ والبشارة

لأهْلِ الغَفْلَةِ وآلِ الحَقِّ والطَّهَارة

كُـتِبَ هذه الرسالةُ بهـاءُ الدِّين المقـتنى سنة ٤٣٤ هـ لأهل العـراقَين وبلاد فارس وأقطارها، ينْذِرهم فيهـا على دور حمزة في آخـر الأزمان عند رجعـته، ومـا سيـؤول إليه أصحـابُ النواميس الأبالسـة في ذلك الحين، وما سيصير بمكّة «دار الفاسقين».

توكّلتُ على مـولانـا الحاكـم المنزّه عن مـوهمـات العـدم الملبـوس. وتوسّلتُ إليه بوليّه قائم الدِّين المطّلع على سرائر العقول والنفوس. من العبد المقتنى الخاضع المطيع، إلى أهل النّكث والتبديل والتضييع، من أهل العِراقَين والزَّوْرَاء وما والاها، ومَنْ بأرضِ فارس وأقطارها ومـا ورَاها، وجميعِ الأمم السالفة والآنفة، أولي الأسماء المتباينة والمتواطئة والمترادفة.

تذكرةً لأهل الوعي والسَّـمـاع، وإيقـاظًا لأهل النقَلِ النفـسـيّـة في الانخفاضِ والارتفاع، والحلول والارتجاع، الغافلةُ نفوسُهم عن بعث المُعَاقَبة العاصية وتكرارِها، اللاّهيةُ عن ثوابِ المطيـعةِ الموحِّدَة وإقرارها، المتَلَبِّدةُ غدًا عند العَرْض والحسابِ، المؤآخَذَةُ عند ظهور الوليّ بمقدِّمَات الاحتقاب.

أمّا بعد، فالإجلال والعزّة والمجد، والتقديس والآلاء والحمد، للمولى الإله الحاكم الفرد، المنزّهِ من حيث هو عن الصفة والنّعت والحدّ. إذِ التنزيهُ له

من حـيثُ الخليـقة تحـديدًا وإنكارًا، والوقـوفُ عمّـا لا سلوكَ للنفـوس إلى تصوّره تـوحيدًا وتألـيها وإقـرارا، المُوقِّتُ بأمرِهِ الـهادي لآجالِ النـواميس المضلّة بالعـدم، ومفني دول الأبالسـة ومحـيي الرمِّم، الهادم بأمـره نواجم الشرَعِ من مـعالي القِـمَمِ. وَسَلامُهُ علـى هادي الأمم ودامغ آراء الضلالات، وناسخِ النِحل والمذاهب والمَقَـالات، وفاضحِ البِـدَع ومبيِّنِ الآياتِ المُـحْكَمَات، القائمِ على النفـوس بما احتقـبتْهُ بعـدَ عدلِ التخيـير في الأزمان الخـاليات، صـاحبِ الرَّجْـعَةِ والإيابِ، ومـالِكِ العَـرْضِ والحـساب، والجَـزَاءِ والثـوابِ والعقاب.

فتنبّهـوا يا أصحاب الأجسـامِ الخاليةِ من الأرواح، والهيـاكلِ القائمةِ كظلالِ الأشبـاح، فقد تقضّتِ اللّيلةُ الموحِـشة واضمحلّتْ أيّامُـها، وَزَهَرَ نورُ اللّيلةِ وكُشِفَ لِثامُها، وأشرقتِ الأرضُ بنورِ ربّها وانْقَـشَعَ غيْهَبُهَا وظلامُها، وتميزَّ بحكمةِ أصحابِ الأعرافِ الخلق، وحصحص بهم وتبيّن الحقّ.

وأنتم أيّهـا الغَفَلَةُ بـرَيَعانِ الأبالسـة مُغْـرَمـون، ولأمرِ فـراعنةِ بني العبّاس تأتمـرون وتَنْتهُون، وبنَجَسِهم فـي صلواتكم تَتيمّمـون وتَتَقرّبون، وعن القيامة وشـروطها ساهون مُبْلِسُون، وقد عَمِـيتْ أبصارُكم عن السبيل الأقصد الأقوم، وَعَكَسَتْ بصائرَكم حبـائلُ الأعورِ الأشأم، لِعلَقِها بالأعراضِ الموهمات، وَوَهِنِهَـا عن تحقّقِ الجواهـرِ المأثوراتِ، وضُعْفِـها عن تدبّرِ الآياتِ المُحْكَمات. أنْكَسَهَا الـعَجْزُ عن التمادي بأبواب الحقِّ إلى العِصيـان، وأوقفها الحَيْنُ بأبواب الضلال سبباً للمروق والحرمان.

أَفَمَـا تنتبهون أيهّـا الغفلة النّوام، فقـد تصرّمتْ عن الفَترة الشـهورُ والأعوام، وقد أظلّتكم الصاعـقةُ الراجفة، وَتَتْبَعُهـا الداهيةُ الرادفة، وأنتم في سَكرتِكم لا تَفقَـهون، وفي بحرِ الجهـالة والتفريطِ غَرقون. بـل كشواردِ من الأنعام، أو كالـعُجْمِ الأطرافِ الممنوعةِ من الفهم والكلام. تَطأون بأخْـمُصكم نمارقَ الحِكَمِ، وتجهلون مواضع الرحمة ومجاري النِعَم.

قد نَكَثْتُم العـهدَ وَرَدَدْتُمُ الميثاق، ورَضيـتم لأنفسكم السَرِقَ والإباق، تعامـيًا عن اليوم الموعـودِ لجميعِ الأنام، وجُحْـداً ولَدَدًا لظهور السيِّـد القائم الهادي الإمام، ونُكوصًا عن الحقِّ بعد الإقبالِ والإقدام. عُكِسَتْ نفوسُكم إلى اللَّددِ والإهمال، وانخفضتْ بعد تعزيز المعالم عن خاصِّ فعلِها الذي هو ثَمَرَةُ الكمـال، طلبًا للاسـتـمدادِ من خـارجٍ خَـرَجَ خُروجًـا عن الحقِّ والاعتـدال، مُسْتَـحْدِثةً للمعالمِ الرَّذِلَةِ المباينةِ المُشـاكِلَةِ لطبائعها بحقِّ الانسفـال، ناسيةً الاغتـباط بشـرفِ ذاتها لِنقـصانِها، لاهـيةً عن التحـسّرِ على عـدم معـالمها وفقدانها.

قد انغمطتْ بكـلِّيّتها في لُجَجِ الشرارة، وآبتْ بعـد الفَلْج بربح الطاعة إلى العـصيان والخَـسَارة، تتـمرّحُ في مـيادينِ البَطَالـة والجهل، وتتـضوّر لضُعفـها عن تصوّر معـاني الحقِّ والجواهر الفائضة عن العـقل. فهي كليلةٌ لِمَرَضِـها، سادِرةٌ في متائه التَّحيير، كَلِفَةٌ بالرجوعِ إلى العنصر الخبيث، نَكْبًا عن الحقِّ بعد عدل التخيـير. قد سُلِبَتْ معارفُها بِمُوبَقات الأعـمالِ، وتقهقرتْ في دَرَجِ المُسُوخِيَّةِ بالانخفاضِ والانسفال.

فـأينَ يُتَاهُ بـعَالَم التَّلَفِ والـبَوَار، وكـيف النجـاةُ لعَـالمٍ أصْمَـدَ إلى الإبليس بعدَ التـأليه والتَّوحيـدِ والمعرفةِ والإقـرارِ، تعاميًا عن نهج السـبيل، وجَحْدًا وَلَدَدًا عن قَبول نُصحِ السادِق الدليل.

فتـنبّهوا يـا أهلَ البَلَسِ والضلالِ والعَـمى، وتيقّظوا يا أولي السَـغَبِ والسَـفْسـافِ والظمى. فقـد أَفَلَ شمسُ الدّجـال الأعور وقـمرُه في المُحـاق، وتضاءلتْ نجـومُه عن مطالعـهـا بالنحوسِ والرّجوع والاحـتراق، وتزلزلتْ أرضُه بالخَسْفِ وأذِنَتْ سماؤه بالهبـوط والانشقاق، لِزُهْرةِ شمسِ الحقائق من وراء السِجْفِ فـي أقرب بروجهـا، وتموّجِ أشعّةِ أقـمارِ الحقِّ شـوقًا إلى الظهـور في سمـّوها وعُـروجهـا، وَوَهْجِ نجـوم الكَوْرِ المُصلِحَـةِ لما أفسـدَه الإبليس بمِزاجه للعوالم بطلوعها وخروجها.

أذا زَخَرَ بحرُ الدِّيـن بهَجَر[١] ذاتِ الجواهـر المُبْدَعَات، وتـشعشـعتْ أنواره في الآفاق بروحانيّة الأملاك السَادَات، المتـعالية منازلهم عن التركيب المُعْـتَورِ للمـخلوقات، المنزّهـةُ شيَـمُهُم عن قَـبول نوامـيس أبالسة الأزمـان وشِرَعِـهِم المختَـرَعَات، المأفـوكة على أهل الحقِّ بالآيـاتِ المُفْتَرَيَـات، رؤساءِ الأعراف الأعـلام، وحججِ السيِّد الهـادي الإمام، وشمـوسِ القيامة وأقـمارِ التّمام، بسيوفهم يُنتْقَمُ من أبالسة الأدوار وأشياعهم الفاسقين، وبسعادتهم وميامن بركاتهم تُحْقَنُ في الآفاق دمـاءُ الموحِّدين المتَحَنين، وببصائِرهم عن تأييد الولي تُكْشَف للعوالم معالمُ الدين.

وهم بالحـقيـقـة أصحـابُ الهنديّة الحِـدَاد، وآلُ النجـدةِ والسواعـدِ الشداد، وأعضـادُهم خُلُوفُ الطَّهَرَة الانبياء، وأسباطُ الحق البـررةُ الاتقياء، كنوزُ أقاليم الدين، وصفوةُ آل نفتـالي وبنيامين، وسُلالة آل مَنْشَا وآل جَاد، الآخِـذِيْنَ بِثَأْرِ أَهْلِ الحَقِّ عـند قيـام القـائم الهاد، الذين اخـتـارهم على علم وسـترهم عن العـالمين، وبشّر بمجـيّـهم في اليوم الأخـير نصـراً ورحمـة للمؤمنين.

فقـال حتى اذا جاء وعـدُ الآخرة جئنا بكم لفـيفا أي جمـيعا لخـدمة الحقّ، وخـلاص أهله وهلاك الجَـحـدة المكذّبين، بعـد اسـتيـعـاب النفـوس بمقدّمات الاعمال، وبيانِ حـزبِ الارتداد والخلاف والضلال من آل الصّفوة والوفاء والكمال.

اذا تبلّج صـبح الليـلة الغـرّاء وانقـشع ظلامـهـا، وَقُطِعَ رَأسُ النِحَلِ الشِركيّةِ وقُضِبَ سَنَامُهَا، وتهدّمتْ أركانُ النواميسِ وتفلّلتْ معاقدُهَا وانحلّ نـظامـها. والعـلامة الكبـرى لهذا النبـأ العظيم، وأوضح دلالات الحقّ لاهل الصبر والتسديق والتسليم :

---

(١) هجَر، أي المكان الذي انطلقتْ منه الدّعوة لأوّل مرّة، وهي مكان في خارج القاهرة.

إذا تهتّكتْ أستارُ الإبليسِ الأعظيم مؤسّسها في القديم، وتضاءلت أفعاله إلى الانسفال والتوهيم، واشتهر بالخُبْثِ والبَغاء والخُلُقِ الذميم، وافتضحَ مَنِ اتَّخَذه للتأليه والتأميم هواه، وَعَمِيَتْ بعد البصر بصيرتُه وعيناه، عند ذلك تهتزّ الممالك بأقطار المعمورة المبينيّة، وتتعالى مباني الحقّ بحركات العناصر الدينيّة، لإيضاح شُبَهِ المدّعين في الفَرقِ بين الجواهر الجِرمِيّة الكثيفيّة، الطبيعيّة الوضيعيّة، وبين المعاني اللّطيفة النفسانيّة، وإظهار عقائد الأنفس النجسة الدّعيّة، ليكون الثوابُ والعقابُ موجودَين بفائض العدل للأعين الشحميّة، ولِتَقُوم الحُجَّةُ على العوالم بمعارف أنفسهم بالحقائق العقلية. هنالك تنقطعُ الأنسَاب والوصائل من المختَرِصِين وتنسَفل منازلُهم بما اخترعوه على الحدود العالِيين.

فاعتبروا أيّها الغَفَلة بموضحات البراهين، واستشعروا صيحَة الحقّ لكشف معلوم الدِّين. فقد آن للتائه أنْ ينظر إلى ورائه، وللجاهل ان يُقْلِعَ عن اللّدد والغواية قبل احتدام الهجير، ووَهْجِ الصاعقة الكبرى بالتحليل والتغيير.

إذا طَلَعتْ راياتُ الملِكِ المظفَّرِ المسعودِ من الفَجِّ العميق، وَحَكَمَ على عالم المزاج بتغيير الصّور والمَسْخِ والتمحيق، وأدار بديارهم رَحَى المنون، وأَخْلَفَهم في الباطل والآمال والظنون؛ إذا ثوّب الدّاعي بِفطْرِ الأنام، وتحلّلت معاقد الابالسة بتقضّي الصِّيام ، وصفَا الزمانُ بعد المحنة لأهل الفِطْرِ، واجتمع من الآفاق أهلُ النَّفْرِ، وحكَمَ لهم الحَقُّ بمشاهدة عيدِ النَّحْرِ، وفاض طوفان القيامة بيَعبوبِ الدماءِ، وَتَعَنْجَرَ شُؤبوبُه لِهَدْمِ دَارِ الفَاسقينَ وَهَمَا، وهيّجتْ بُروقُه مَواطِرَ ثمارِهِنَّ تحقيقُ الجَزَا، واتّصلت أنوارُه بأصلها فكسفتْ شموسَ دجّالِ السُهَا، واستعرَتْ نيرانُ البعثِ في الأقطار والآفاق، والتهبتْ قلوبُ أهلِ الشك والشرك والارتداد والمروق والنفاق، لِنَسْخِ

العناصرِ لأصولِ الوضيعيّات، ولتمييزِ الصَّفوِ من الجُفا والكَدَرِ والعُكُورَات، ولبلوغِ العوالم على تبايُنِها في الاتضاع والارتقاع إلى النهايات.

فانتبِهوا أيّها الغَفَلَةُ المكذِّبون، وتفهّموا إنْ كنتم للحقِّ تفهمون. فقد بَلَّغَتِ النُذُرُ الكِرامُ، ما أودَعَتْهُ من التّوحيدِ والبيان، وقامتْ حجّةُ الوليّ على جميع أهل النِحل والأديانِ، بالدليلِ السادق وحقيقيّةِ البرهان، وتمّ دور السِتر وتقضّتْ مدّةُ الظَلَمَةِ الغاصبين، وأغلقتْ أبوابُ التَوبة لَغلَبَةِ الادعياءِ المرتَدّين، وظهورِ ما أكَنَّتْهُ ضمائرُ الفَسَقَة المارقين.

ألّلهمّ، فأنتَ العالِمُ بأدائي للأمرِ بوجودِ القوّةِ نصيحَةَ التّوحيدِ، وإقراري لوليّ حقِّكَ بمَلك الرِقّ وأصغرِ العبيد، واعترافي بالعجزِ والضعف والقصور لفيض نعمة التأثير والتأييدِ.

ألّلهمَ فاشهدْ على مَن نَكَثَ على وليِّ أمرِكَ قائمِ الدينِ ، وقام بالردّة على حدوده الأطهار المخلصين، والعَنْ ألّلهمَّ مَن عانَد الحقّ وأراد إخْمادَه وإطْفاءَه، واكشفْ سِترَكَ عمّنْ بارزَ وليَّكَ بالعِناد في أوليائه فَعَدِم توفيقَهُ وَهُدَاه، واخْتَرصَ الباطلُ على أهل الحقِّ واتّخذ الهَه هواه.

ألّلهمّ فانجزْ وعدَك لوليّك في أوليائه وحدوده، واكشِف سُتورَ عواقِب مَن قام عليهم بدعوة إبليس الرجيم وجنوده، وأرِنا ما ألهمْتَنَاه من تعظيم تأليهك وآلائك، وامهلْنا لمشاهدةِ صفوة وليّك وأوليائك، كنوزَ نَعْمَائك. واجعلْنا ممّن يعترفُ بالضعفِ عن تأديةِ حقوقهم لينالَ بهم الثواب يومَ بَعثِك وجزائِك.

فأنت المنزه عمّا تَعْتَورُهُ الألسنُ بالالفاظِ والعِبارات، والمُقَدَّسُ عمّا يخطر في الاوهامِ، وتتصوّره العقولُ والمعقولاتُ إذ العَجْزُ عَن مُعْجِزِ التأليه يُضْطَرُّ العالِمَ لِضُعفها إلى الأسماءِ والصفاتِ.

فتعالى مَنْ قَصَـرَ العقولَ الصافية وجَعَلَها لِمُـبْدَعِه صفةً وآلات. فله الحمد على معرفة حزب الحقِّ بلاغَ الأمم في الإمهال نهايةَ النِهايات، والشكرُ لوليّه القائم لإيجاب الحجَّة على الأمم في هذا العصر كما أوجَبَها عليه في الأعصر الخاليات.

وكُتِبَ في اليوم العاشرِ من شهر ذي القِعْدَةِ من السنةِ الخامسة عشر من سنين قائم الزمان. نجِزَتْ والحمد لمولانا وحدَه، والشكر لوليّه عبده.

٥٧

الرِّسالةُ الموسُومةُ بالحقائق

والإنذارِ والتأديبِ لجميعِ الخَلائق

كتبَها بهاء الدين سنة ٤٢٦ هـ وأرسلها إلى الذين استجابوا للدعوة في لبنان، ووادي التَّيم، وانطاكية، وقسمٍ من سوريا وبلاد ما بين النهرين. يشكو فيها المقتنى من الضلالات التي حرّفتِ التّوحيد، ومِن بعض الرِّجالات الذين خرجوا عن الدّعوة. فيها يوضح دورَ حمزة في آخر الأزمان وإبطاله، بنوعٍ خاصّ، لنواميس الأبالسة وحرقِها.

توكّلتُ على مولانا الحاكم بالحقّ، ومقيم الحجّة بوليّه القائم على جميع الخَلْق، من العبد المُقْتنى بهاءِ الدين، ولسانِ المؤمنين، وسَندِ الموحِّدين، الجناحِ الأيسر، والحدِّ الرّابع الخاضعِ الأصغر، إلى جميع مَن شملتْه دعوةُ الحقّ بالجَبَلِ الطاهر الأنور[٢]، وما والاه أعني أنطاكية معدِن كنزِ الدّرِّ والجوهر، ومَن سكَنَ الجَزْرَ والنُّقْرَةِ وَجُنْدي قِنّسرينَ وعزَازَ وَحَلبَ، وَمَنْ ببالِسَ والرِّقَّتَين ونهر الخابور والجزيرة ومنبج ونهر الجوز والواديين، أعني نهرَ الذّهَب، وجميع مَن قُرئت عليه هذه الرّسالة ممّن نأى أو قَرُب.

ألسلامُ على الصّفْوة آل التّوحيد السابقين، ورحمةُ المولى وبركاته على إخواني البررة السادقين.

---

(٢) الجبل الطاهر الأنور هو جبل السمّاق بالقرب من حلب.

أمّا بعد، فالحمدُ والعظمة والكبرياء والإجلال للمولى المعبود، والتنزيهُ والتقديس للإله الحاكم الموجود، الذي جعل عجز العقولِ عن تحديد توحيده للعارفين برهانا، وفرض طاعة وليّهِ على جميع أهل النِحَلِ والأديان، وأقامه إماماً لدعوة الكشف بين أهل الإجابة والجاحدين فرقانا، المؤيّدُ لإطفاء ما اشتعل من مُحرَقاتِ النواميس، والقائمُ لهدمِ ما بناه هامان وذبْحِ إبليس، والماحقُ لِخُوَارِ العجل والغِطريسِ، المترجَم عنه بعد تنزيهِ المولى العالِّ بعلّةِ الإبداع، المصطفى لحدوده بعدَ المشيّةِ مَثْنى وثلاثَ ورُباع، والمُفضِّلُ بعضَهم على بعضٍ في درجاتِ الارتفاع.

وبَعْدَهم بالجمع دُعاةُ الإجلالِ، المُباينونَ بالكشفِ لدُعاة الأعور الدّجّال، المتفاضِلون بتصوير الحقائق وسوابق الأعمال، المتساهِمون بنقاء السرائر وشَرَفِ الطويّات، وحميد العقائد وحسن النيّات، لجماعة أهل التحقيق من الموحّدين والموحّدات.

وبعدَهم مَنْ أُذِنَ لهم في الكسر والجبر، الذين سَمَتْ هِمَمُهم إلى معارف الحشر والنشر، والوقوفِ على حقيقيّة ليلة القَدْرِ. ثمّ النقباءُ الحافظون لحقائق السدق، المُبَرَّءون من الكذِب والفِسق، العارفون بحقوق حدود دعوة الحقّ.

وبعدَهم المستجيبونَ الموحِّدون المَمْنُون عليهم بخصائص الرحمة، والناهِلون لفيض حقائق الحكمة، الذين خشعتْ قلوبُهم لتألّق النجوم الطّالعات، ذواتِ الأنوار الشعشعانيّات، والنفوسِ الروحانيّات، التي تلألأت باتحادها بالأقمار، وَطَهُرَتْ بُمَباشَرتِها للحقائق من مقدّمات الأدوار، وطهرتْ من القوّة إلى الفعل في أكرم الأوقات وأشرف الأعصار، وتألّقتْ لِفيضانِ التّوحيد بطاعة العلي الجبّار، وأجابتْ مُذعِنَةً لأوامرِ الحدود عند ظهور آية الكشف، وحلول الراجفة بأهل الارتداد والخُلْف.

فهلّمـوا أيهّا النفوسُ الطاهـرات، إلى نسيم أرياح العيـون الجاريات. وإيّاكم الغـفْلَة عن حلول يوم الميـقـات. فقـد طَلَعَتْ طوالعُ الثـواب للأطهـار الموقينين، وأبدت للأبصار الناظرة تراكيب العِقاب للمـجرمين الناكثين. فعمّا قليل واللّه ليُصْبِحَنَّ نادمين.

إذا زَجَرَ الزّاجـرُ من جانب المقطّب، وآن ظهورُ الملكِ المحـجّب، وحَانَتْ زجرةُ القارعة، الخافضةِ الرافعة.

إذا رُجَّتِ الأرضُ بالدّجّـال رَجًا، ودُحِضْنَ منهـا هو وتُبَّاعُـه بالعَنْفِ زَعْجًا. هنالك تفـوز أهلُ الحقائق بالأعمال الصـالحات، ويأبوا الجاهلون بما احتقبوه من السّيّآت.

إخـواني! إحـذروا النّدم عند قـيـام الأشـهـاد، وفـضـائحِ أهل الشكّ والعناد، يومَ تُبْـلاَ السرائر، ويصيـرُ إلى وليّ الدِّين المصائـر. إحذروا الندمَ يوم لا يجوز قدمٌ قَدَمَ، إلاّ بـحميد ما اكتسبَ وَعَلِمَ. يومَ تُدعـى بأئمّتها الأمم. إحذروا التقرّبَ من الناكثين الضُّلاّل، والفراعنةِ المدَّعين الأرذال.

فقد بطَل سَرابُ المموِّهين، وأضاءتِ الأنوارُ لبصائرِ الموحِّدين، وقامتْ حجّتُنا على جميع مَن سَمِع وأبصر من الموقِنين.

فاستـيقظوا أيّها الإخوان الأعلام، ولا تَركنُوا إلى الأجْـلافِ الاغتام، السائلةُ طبائعُهم بسَيلانِ الحُـطَام والآثام. فَحَرَامٌ حَرَامٌ على جميع من وُسِمَ بِسِمَةِ التّوحيد، وتميزّت عقيـدته من عقائد أهَل الشك والتلحيد، أن يغتنم بعد الوجـود الكافي أخاه. وحـرامٌ حـرامٌ على أخيـه المؤمن إذا تحـقّقَ عَدَمَـه أَنْ يُحْوِجَهُ إلى سِـوَاه. فهذه السيـاسة لنفوس الاطهار الأمجـاد والخُلُقُ السَّمِحُ للعارفين الأوحاد. فمَن حرّك لسانه بالكذب بين إخوانِ التّوحيد والدين، وهو آمِنٌ أهلَ الرِّدّة المخـالفين، فـقد صـدّ عن التّـوحيـد والكَشْف، وباين بالنفـاق والخلف.

واعلموا أيّها الإخوان أنّ مَن سلك الجَدَدَ، بمسالك الدعاة الاطهار، وأخذ على المستجيبين ميثاقَ دعوة التّوحيد للمولى الإله الحاكم الجبّار، ثم عَزَبَ عنه لُبُّه، ورَجَعَ إلى الباطل كما ألِفَهُ عقلُه وقلبُه، وأخذ على نفسه عهدَ إبليس الرجيم، وشهِدتْ مجالسه أكْلَ الغِسْلين وشربَ الحميم، من غير إكراهٍ ولا إجبار، ولا عَرْضٍ على السّيفِ والنار. فهو ممّن كان في القِدَم من شيعتِه وأعْوَانه، وإنّما رجعَ إلى العنصر الخبيث مع أترابه وإخوانه. فمَن صوّبَ به بعد هذا الارتداد مقالا، أو حمد له بعد هذا السَفَهِ فعَالا، فقد بان باللّعنة والسَخَط، ومن دعوة التّوحيد تَبرّاً وسَقَط.

واعلموا أنّ اللّيل قد تولّى وأدبَر، والصبحَ عن مَحضِهِ قد أضاء وأسفَر. فتمسّكوا بما اقتبستموه من مكنون التّوحيد والحكمة، وداوموا بقوّة اليقين على قرع باب الرحمة، يتجلّى لعقولكم البارُّ العلاّم، مبدِعُ العوالمِ ومَولَى الأنام، القاهرُ في الغيبة والظهور، والحاكمُ على الأزمان والدهور، والمجازي لنفوس الخلق في يوم العَرْض والنشور، على يد عبده الهادي المذكور، عند قيامه بالحق والسدق بالقوّة الربّانيّة، العظيمة الإلهيّة، وقيام الصورة الانبعاثيّة الروحانيّة، التي أشار إليها كلُّ مشير، وعَبدَهَا كلُّ نذير وبشير، إعلامًا للناس أنّ لباريهم حقيقيّة الظهور، على رغم كلِّ جاحدٍ كفور، في آخر الأعصار الدهور.

وكلّ شريعة من الشرائع الأربعة : ألبراهمة المتعلّقين بإبرهيم، واليهود المنسوبين إلى موسى، والنّصارى المعروفين بعيسى، وأتباع محمّد بن أبي كبشة ومسوخ شريعته، يعتقدون ويقرّون انّ الباري جلّت قدرته يتجلّى في يوم القيامة، ويحاسب الخلق ويمزّق السموات ويبدّل الأرض بهويّته.

والكلّ منهم جاهل بحقيقية هذا المعنى، مائل عن المقصد الأفضل متمسّك بالأدنى. وحقيقيّته أنّ المولى العظيم قدرته، عند ظهور أمره

ومشيئته، يأمر بتمزيق شرائع المتقدِّمين، وهي سموات الخلائق أجمعين. وتبديل الأرض. وهو ما يبدو لمذاهبهم من الحلّ والنّقض. وفيما قالوا أنْ تَظهر أرضٌ بيضاء وهو الإمام المبدِع الحقّ، والعقل السدق، الإمام المنتظر لكشف الميثاق، يومَ يُكْشَفُ عن ساقٍ، ويكون إلى وليّ الحقّ المآبُ والمَسَاقُ. ذلك يومُ البروز للواحد القهّار، وظهورِ مكنون الأنوار؛ عندها يَخْسَر المبطلون، ويندم الشّاكّون المرتدّون، ويفوز بمقدِّمات التسديق الموقِنون.

فأصيخوا أسماعكم أيّها الإخوان إلى داعي الحقّ، وأجيبوا لمآثر أهل الصبر والسدق، وتعاونوا على البرِّ والتّقوى، ولا تتعاونوا على الإثم والعَدوى. وارتقبوا ظهور الآيةِ الكبرى، ولا تكونوا بمعزل عن الحقّ في أمّة أخرى.

واعلموا أنّ الزمان قد تقّضى وذهب، وموعِدَ يومِ الجزاء قد تعرّض واقترب؛ فكونوا على طاعة وليّكم محافِظين، وبشروطِ التّوحيد قائمين، ولأمَانَاتِكُم مراعيين، ولأديانكم ذاكرين.

فقد دبّ الشكّ والشّرك في قلوب البشر، كدبيب الفساد في أصول الشجر. وهبّت عليهم الحالِقة الدّين لا حالقة الشَّعَرِ، وصالَ الفسقُ والنَكْثُ لهم طِبَاعاً؛ وخرجوا من القوّة إلى الفعل بما أظهروه من الرِّدّة أفواجاً سِراعا. يتبارزون في مضمار البَهت والجَهل، ويتوازرون على مذمّة أهل الدين والفضل. قد سَلَبَتْهُم الفترةُ الألبابَ والبصائر، وأظهرت ما أكنّوه من الغِلّ في الضمائر، ونَسوا حظّاً ما عاهدوا الباري عليه من السدق في المقال، وأذعنوا لطاعة المسيحِ الدّجّال، واقتادهم الغرور فأسكنهم هيكلَ الرجسِ والضلال، وأوردهم مناهلَ الحَميم والزَقُّوم، واستوى على عقولهم الرّانُ لِتَقَارُبِ الأجلِ المعلوم، وحلول الشّقاء المحتوم، على كلّ رِجسٍ جَحَد إمَامَه ومولاه، واتّخذ بعد التسديق إلهه هواه. فتبّت بما احتقب من الزلل يداه،

وخَسِـرَ بعد صفـقةِ الحقِّ أُولاه وأخراه، إذ دَلَعَ لسـانُه بالكِذْبِ والزورِ على الأصفياء الأطهار، واختلق بما يجازيه عليه الإله الحاكم الجبّار.

فلعنةُ البارِّ العـلاَّم، وعظيمُ السَخَطِ والانتقـام، على من تعدى طوْرَه من سائر حدود الدين، والدعـاة والمأذونين، والنقباء والمستجيـبين، فجعل له ميزةً على غيره في نفسه، أو سَـوَّغَ أحَدٌ ذلك أو رَضيَه له محاباة بسوءِ رأيه وخبيثِ حَدْسِهِ، أو حَرَّكَ به لسانَه أو تصوَّرهُ بعقلهِ وحسِّه، سوى ما أُطْلِقَ له من جهة وليِّ الحقِّ وأُذِنَ لهُ فيه، وأُنْعِمَ به علـيه وأُعْطِيهِ، وتُسُدِّقَ به عليه من بعد التَّفضّل وأوتيه.

وأيضاً لعنةُ العليِّ القادر، والمولى الإله الحاكم القاهر، المستودعة في مناحس الخلقة ومآثم الفطرة ، الدّارّةُ على عُصاةِ الأمم ودجاجلةِ الفَتْرَة، التي لَعَنَ بها إبليسَ اللّعين، فأبعده وأقصاه، ومسخه بها في الادوار وخزاه، دَارَّةً على من تخـرَّصَ البـاطلَ على حدود وليّ الحقِّ واخـتـرع، وَقَذَفَـهُم بالأفكِ والكذب والزور المبتدَع، شاملةً لمن تمرّد عليهم وشَطَنَ وَحَرَّف، وأزال الكلام عن مواضـع الحقّ بضِدِّه وزَخْرَ، فجعل الموسومين بالطاعة والتّوحيد أشياعًا متـفرِّقـين، وأحزاباً في الضــلالة متـمرِّدين، وادّعى لنفـسه منزلَـةَ الحدود العاليين، ونَعَقَ بالإبلاس هو وَمَنْ تَبِعَهُ وَمُسِخَ معه من المرقة الغاويين.

أللّهمّ فـابسط فـيـه وفي مَن تبـعه من أعـداء الدين عـدلك، وانجـز لأوليائك المظلومين المقهورين بـأخسّ الخلق وعدك، واجعل دائرة السوء على المارقين الناكثين، الذين تعدّوا على من نصـبه وليُّ الحقّ وأمره بإذاعة الدين، فسوّلَ لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مهتدين.

واعلمـوا أيّهـا الزمـرة الموحِّـدون، والأوليـاء المحِـقّـون، أنّ المرتدّين المتـعقّـبين على أوليـاء الحقِّ في هذا الأوان، هُمُ المنافـقون الجـاحدون بعـد المعرفة فيـما تقدّم من الإدوار لإمام الزمان. فلا تَصغـوا بالإصغاء إليهم في

الشكِّ بعد اليقين، ولا تَهِنُوا لِمُشكـلات الأبالسةِ بعد شدّة الوَتيْن، ولا تَركنُوا إلى مُشْبَهَـات الباطل بأفعالهم فَهُمُ الشـياطين، ولا يَصُدّونكم عن وليّ الحقّ بأقوالهم فَهُمُ الجاحدون.

واعلموا أيّهـا الإخوان الموحِّـدون، والعصابة المحـقّون المهـتدون، أنّ العُهْدَةَ التي أمَرَ بكتْبَتِها عبدُ الدين وأقرَّها عند الاولاد والإخوان، وأزالهم بها عن حَيِّـزِ أهلِ الشك والطغيان، فإنّمـا فَعَلَ ذلك نظرًا ليومه وغـده، وعِلمًا بما يَرْتَقِـبُهُ مِنَ النُّقْلَـةِ لِما كـان بصدده. وإنْ يكُنْ فـرّطَ في مـيثـاقِ حجّـة وليّ الزمان، بعد عِلْمِه بما هو مُشارِفُه من الغيبة والامتحان.

وأيضاً فَـعَلَ ذلك وسَتَرَ الميثـاق لظهور المعانِدين وغَلَبَةِ الفَـتْرَة، لأنّه كان من السّيّارة ولم يكن له دارُ هِجْرَة.

وأيضاً لو انّه سلّم الميثـاق كما سلّم العُهدة إلى المستـجيبين، لالتَبَسَ الدعاةُ بالمدَّعين، وصـار ذلك حجّةً لأهل الخِلاف والمعانِدين. وإنّـما فَعَل ذلك إليكم مَنْ أنـتم بهِ عـارفـون، واتّصلَ المانِعُ بالمانِعـون؛ وولـيُ الحقِّ أعلم بما تُوعُون.

فأيّاكم أنْ تَـلُمُّوا بما قد وَضَـحَ لـكم في المسطور فَيـوقِعكُم فيـه على المحذور، أو تَتَكَّلوا على حُجَجٍ قد دَحَضَتْ، أو تُعَوِّلوا على معاذيرٍ قد انقَطَعَتْ، فالحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَع، والشُبْهَة أولى أنْ تُرفَضَ وعنها يُرتَدَع.

وأمّا حُمَيْدُ وَعَسْكَرٌ وَغَنَّام[٣]، وأمثالهم الفَسَقَـة الخَوَنَة الأغتام، فقد

(٣) «حميد وعـسكر وغنّام وتبّاعهم الخونة الفسّـاق. أمّا حميد فمن قرية صـرفود بجبل باريشا، ومدفنه في ميزناز من أعمال سـرّمين. وأما عسكر فمن قرية دادجين، بينها وبين صرفـود نصف مرحلة. وأمّا غنّام فـمن قرية عيحـا. وهو أوّل مَن خرج من آل سليمان وله في عيحا آثار وطائفة باقية إلى الآن» (أنظر الدرر المضيّة).

جَمَعَتِ الفترةُ مَنَاسِمَـهم بالزلل والخَيْنِ، وقطعتِ الدعوةُ الهاديةُ قرابينَهم من الدِّين بالمَيْن. فمـا بينهم تفاوتٌ في تبـاينِ الأجسام، ولا تخـالُفٌ في جواهرِ الأحلام، فهؤلاء الذين عَقدوا حبائلَ البـدعة، وأطلقوا عِقَالَ الخِلافِ والشّنْعَة، المورِّثُ للعـمَى والصَّـمم، المُـخَلِّدُ في اللعنة والبَكَـمِ. لقـد تلاعبَ بعـقـولِهم الشيطانُ الرجيم، وأوردَهم بتمزيقِ ميثاق دعوةِ الحقِّ في غرورٍ أثيم.

فإنْ رجعوا عمّا أترفوا فـيه من الإلحاد وتابوا، وأقلعوا عمّا نُهُوا عنه ونابوا، ونزلوا عن مركب العصيان، وخلعوا حلّة التكبّر والطغيان، واستقالوا عثْـرَتَهَم من وليّ الدِّين، لَحِقوا بمنازل المسـلمين الموحِّدين، فلهم ما للاتقـياء الاطهار، وشفاعتنا عند ولي الحق تُمَحِّصُ ما تقدّم لهم من الاوزار، ودعاؤنا لهم ولجمـاعة الموحِّـدين موصولٌ بتـعاقب اللّيلِ والنهـارِ، وإنْ أصَرُّوا على البَلَسِ والنِفـاق، وأظهروا التـمرّد والإباق، ولم يأووا إلى مـا رَسَمَ به العـبدُ الأصغرُ الخاضع الجناح، ورَغِبوا عن شرب مائه الرَّيِّق المُباح.

فإلى ظِلّ مِرصادٍ مُؤْصَدِ، واحتدام لهـيبِ نارٍ موُقَدِ. فمن تبعهم فهو وَهُمْ في الرِّدَّة سَـواء، ومـوعدنا وهم حَـوْمَـةُ الفـصلِ والقـضـاء، ومـوقفٌ يَفتَضِحُ فيه من اختلق وادّعا.

واعلمـوا أنّه قـد التطمت أمـواج الشك والشـرك في بحـار النفـوس الخبـيثة، وأظهـرت ما فيهـا من العُكُراتِ والكَدَرِ بالحركات الحـثيثـة، لِقُرْبِ هبوبِ أرياح الحـياة من جـانب الطور الأيمن الأكرم، وطلوعِ الأنوار الإلهـيّة لهبوطِ نَجْمِ الأعْوَرِ الأشْأَم، وَدُنُوِّ الآزِفَة لتمييزِ الأجهلِ من الأعلم.

إذا أزهرتْ بجَبَلِ الـنورِ الأنوار، وتوقدتْ نيرانُ الحقِّ مـنه في الآفاق والأقطار، للتوحيـد والتأليه والإقرار، وَنَجبَ بِنُجَبَـاته رَبِيٌّ الحقائق الكوكبُ السّيّار. فأينَ مِنْ وليِّ الحقِّ لأهلِ الرِّدّةِ الخلاصُ والفِرار. إذا ثَوَّبَ من جانبِ الطورِ المنادي وتشعـشعت الآفاق بالنور لقيـام الإمام القائم الهادي. فَـشَهِد

بالحقِّ الملائكةُ المقرَّبون، وعُوقِبَ المرتدّون الجاحدون، عِنْدَ ذَلِكَ يفوزُ بِمُقَدِّمَات التسديقِ المُوقِنون، وَيخْسَرُ الشّاكُّونَ والمنافقون.

فلا تكونوا أيّها الإخوان كقومٍ أنعمَ الباري عليهم فَبَطِروا نَعْمَاه ولم يشكروه، وأعَرضُوا عمّا ذُكِّروا به فَنَسَوْوهُ ولم يَعُوه، فَمَنْ نسيَ وليَّ الحقِّ كان الحقُّ له ناسِيًا ماحِقا، وبما جَنا على نفسه في غدٍ شاهِدًا ناطقا، يتوهّم أنَّ شيطانَه يُرشِدُهُ ويَهدِيه، وهو بشَيطَنَتِه يَغُرُّهُ ويَغويه.

أيّها الإخوان أكرِموا مواقع النجوم الزاهرة ، واحذَروا مِن الكَرَّةِ الخاسرة، فإنّكم عن قليل تُعَرضُون، وعن إمام الحقّ تُسْأَلون، وبعقائدكم لأهلِ التّوحيد تُطَالبون.

أيّها الإخوان فاغتنموا زمانَ الإمهالِ، وتقرّبوا إلى وليّكم بصالحِ الأعمال، قبل طيِّ الصّحائفِ وجفافِ الأقلامِ، وغلقِ أبوابِ الرحمةِ وَخَتْمِ الأفواه وقَطعِ الكلام، وقبلَ فتحِ أبوابِ السخطِ على مَنْ بارزَ بالعناد والانتقام. هذه أوائلُ العلاماتِ لقيام الحافظين الأشْهَاد، وأبْيَنُ الآياتِ لظهورِ النبإِ العظيم الهاد.

أيّها الإخوان قد أبلغتُ لكم في الموعظةِ والنصيحةِ، وبينّتُ وأرشدتُ بالبراهينِ المقنِعةِ الصحيحةِ، وَمَا على الرسول إلاّ البلاغ المبين، والتوكّل على ولي الحقّ وبه أستعين.

أللّهمّ إنَّ قَرْنَ الشيطانِ قد طَغى فأذلَّهُ، وَعَدَدَ أهلِ الارتدادِ والنَّكْثِ قد كَثُرَ فأَقلَّهُ، فقد أظهَروا من الغلِّ والنَّكْثِ ما كان في الكنائن مستورا، وأَبْدُوا من الضَدادَةِ والعنادِ ما صارَ لِمُتَأَمِّلِه بعدَ الطيِّ منشورا. فَقَاتَلُونا بأسلحتِنَا من حيثُ أَمَنَّا على النفوس، وَرَجَعُوا إلى ما أَلِفُوه من عبادةِ العجلِ والجاموس.

أللّهمّ فَبِكَ المستغاثُ وإليكَ المُشتْكا، وفي يدَيكَ المَمَاتُ والمَحيَا وإليكَ بوليّكَ المَفْزَعُ والمَلْجا.

أللّهمّ فأرِنا بمساديقِ وعدِك اجتثاثَ شجرةِ الأوغاد، وصلِّ على أوليائك الطّاهرين الأشهاد، وسلّم تسليمًا والسلامُ على أشرف مولود، دَعا إلى أفضلِ معبود.

وكان فَرَاغُ تأليفِ هذه الرسالة في شهر جُمَادَى الآخِرِ من السنة السابعة عشر من سنين قائم الزمان، المنتقم من المشركين والطغيان.

تمّتْ والحمد لمولانا الحاكم وحده، والشكر للإمام الهداي عبده.

٥٨

الرِّسَالَةُ الموسُومَة
بالشّافيَة لنفوس المُوحِّدين
المُمْرِضَة لِقُلُوبِ المُقصِّرين الجَاحِدِين

كتبها بهاء الدِّين ليعظ فيها الموحّدين ويثبّتهم في عقيدتهم وإيمانهم. فيها كلامٌ على التّوحيد والبراهين القاطعة عليه، وانقسام الأديان بالنسبة إليه، إلى أهل تنزيل وأهل تأويل وأهل توحيد. وحمزة هو الواسطة لمعرفة التّوحيد. والعارفون هم الموحّدون، أي عارفو اللاّهوت متجلّيًا في النّاسوت. و«بنو معروف» هم أهل هذه المعرفة.

حروفُ بسم الله الرحمن الرحيم، حدود قائم الدِّين. ألحمد للّه الذي جعل الحقَّ وَزَرًا لمن اعتصم بعزائمه وعقوده، ومذلّة لمن جحد حقوقَ دينه ومتعبّدات حدوده، وأوْجَبَ به لعنةَ إبليس الرجيم وجنوده. وسلامٌ من المولى القدير المجيد، على الإمام القائم بالتّوحيد، والمشير إليه على حقيقيّة التنزيه والتجريد. ورحمة المولى وبركاته على ينابيع الحكم أوليائه في كلّ عصرٍ جديد.

أمّا بعد فإنَّ التّوحيدَ للمولى جلّتْ آلاؤه أعظم المطلوبات، وأنفس المُدَّخَرات، وأشرفُ المكتسَبات، لأنّه ثَمَرةُ ما سَلَفَ في العصور الخالية من المتعَبَّدات، وميزان القسط الذي به قامتِ الأرض والسموات. فَبِصِحَّةِ

التّوحيدِ تصلُ الأنفسُ الطاهرةُ إلى الثوابِ الأبدي والكمال الأخير، وبالقصورِ عنه تُخَلَّدُ الأنفسُ الخبيثةُ في العِقابِ والخِزيِ وبئسَ المصير.

فالتّوحيد للمولى جلّت آلاؤه أوّلُ المُفترَضاتِ، وحقيقيّة الديانات، كما قال[١] مَنْ أشارَ إلى توحيده، ونزّهه عن صفاتِ خلقه وعبيده: أوّل الديانة باللّه معرفتُه، وكمالُ معرفته نظامُ توحيدِه، ونظامُ توحيده نفي صفاتِ المخلوقين عنه بشهادة العقول الصافيةِ. إنّ الصفةَ غيرُ الموصوف، وإنّ الموصوفَ غيرُ الصفة.

والمعرفةُ إنّما هِيَ لِمَا شُوهِدَ وَعُويِنَ[٢]

كما جاء في قسم الإمام في المسطور: «يَعرفون نعمةَ اللّه ثمّ يُنكرونها»[٣]، أي يعرفون المشار إليه من جهة الوجود، ولا يعلمون حقيقيّة التّوحيد، بل ينكرون نعمةَ اللّه عليهم، لأنّهم لم تتصوّر عقولهم كمال نظام التّوحيد، ولا عرفوا كيف ينزّهونه عن صفات الخلق والعبيد. وذلك أنّ جميع أهل النحل والأديان يعترفون بالمعبود، وينكرونه إذا دعوا إلى حقيقيّة الوجود. كما قال: يعرفون نعمة اللّه ثمّ ينكرونها. أي يقرّون أنّ لهم بارئاً وخالقاً، فاذا دُعُوا إلى معرفة توحيده أنكروا وجودَه.

وكلّهم، أعني مَنْ قَدَّمْتُ ذِكرَه من جميع أهل النِحل والأديان يوجبون على أنفسهم عبادةً يَرْجُونَ بها ثَوَابَه، ويفرّون بها مِن عِقَابِه. والعقلُ يقطع ويَشهدُ ويوجِبُ أنّ الثوابَ لا يصحّ ولا يثبت إلاّ من بعد معرفة المُثِيبِ إذ كان الخلق إلى معرفة المُثيب هم أحْوَجُ منه إلى معرفة ثوابه.

---

(١) المقصود هنا حمزة.

(٢) من هنا يجيء إسم بني معروف، من المعرفة أي معرفة اللاّهوت في الناسوت.

(٣) سورة النحل ١٦/ ٨٣.

وأيضًا جميعُ أهلِ الشرعِ والمذاهب المتقدِّمةِ وكلُّ مَنْ ينحو إلى توحيد المولى جلّت قدرته فـإنّما أخصُّ التّوحـيدِ عندهم نفْيُ الصفـةِ والحدِّ والنعت وما أشبـه ذلك من الرؤْيَةِ وغيرِها؛ وحقيـقيّة نفيـهم هذه الأوصاف عنه إنّما هو إشارةٌ إلى عَدَمِه؛ وإنّ الأبصارَ لم تَقْـدِرْ على الإحاطةِ به. فعلى قولهم إنْ كان مـعدوماً فـلا شَرَفَ له إذ لم تُحِطْ بِهِ الأبصـارُ لأنّها إنّما حَـصَرَتْ عنه لِعَدَمِه. ولو كانَ موجوداً لأدركـتْهُ الأبصارُ ولم تَحْصرْ عَنْه. هذا على قولهم فلا لوم عليهم إذ لم تُحِطْ بِهِ الأبصارُ.

وعلى ظاهر القـول، تالـلّه، إنّ الأعظم لقـدرته، والأعـجـز لبـراهين ألوهيّته، أن يكون موجوداً في بريّتـه. والكلّ منهم يوحّده وينزّهه على مقدار ما اتّحد به من العلم وجليل إفاضته.

وأيضاً فـإنَّ المولى جلّت قدرته إذا كـان موجودًا علـى جائزة الكلام كان تنزيه شَرَفًـا لِمُنَزِّهِهِ ومؤدِّيًا له إلى الثوابِ الأبدي لدقَّـة توحيده وثاقبِ بصيـرته، إذ نزّهه عن الصفة والحدّ والـنعتِ موجودًا ، ويُوجِدُه عند جـميع الخلق مفقوداً.

وكذلك أيضاً يكون العِقاب لمن غَلُظَ فهمُه عن التّوحيد، ونَسب الباري جلّت قدرُته إلى نِسْبَـةِ الخَلق والعبيد. وأيضًا فـإنْ كان معدوماً فـقد سقطتِ الحجّة عن الخلق، وكان الكلّ معذورِين في توقُّفِهم عن طلب الحقّ.

ويُؤيّدُ ما ذكرتُه ما تقـدَّم به الخلْق من أقوالهم، إنَّ اللّهَ لا يحتجبُ عن خلْقهِ لكنْ حَجبَـتْهُ عنْهُم أَعْمالُهم. وقال أيضاً: ولو عَرَفـوا اللّه ما عَبدوه، ولو عـرفـوا إبليسَ مـا لعنوه. يقـول اللّه: وكم من «آيةٍ في السـمـوات والأرضِ يمرُّون عليـهـا وهم عنهـا مـعـرِضـون. ومـا يؤمنُ أكـثـرُهم باللّه إلاّ وهم مشرِكون»[٤].

---

(٤) سورة يوسف ١٢/١٠٥ – ١٠٦.

فقـد أَثْبَتُّ من إثباتِ إيجادِ البـاري جلّتْ قدرته على جـائزة الكلام ما يَقْنعُ به مَن يَفْهَمُه وَوُفِّقَ لِدَرْكِ معانـيه. وعلى أنّني لا أزوي إلى نفسي شيئاً منه، ولا بحولي وقـوّتي أُترجِمُ عنه. فمـا كان في هذه الرسـالةِ من صواب، وجزالةِ خطاب، فهـو من بركاتِ قائمِ الزمانِ، ووليِّ الفضلِ والإحـسان؛ وما كان فيها من زللٍ أو خَطَلٍ فهو مردودٌ اليَّ، وموقوف عليَّ؛ أتوسّل في الإقالة منه إلى مَن هو منّي بضـميـري أعلم. وأضـرع إليه في الهـداية إلى الطريق الأرشد الأقوم.

وأمّا تنزيه البـاري جلّت قدرته فهـو أعظم من أن يُسَطَّرَ بالأقلام، أو تقطَعَه الألسنُ بالكلام. وإنّما يَقدِر على بعض الإشـارة إليه من سبَقَتْ له من وليّ زمـانه الحـسنى وَسَـمـا بـنَظَرِهِ إلى الملأ الأعلى. هذا إذا خَـلصَتْ من الشكوك نِيّتُـه، وصحَّتْ لإخوان الدِّينِ طَويَّتُـه، على معنى التنزيه والتـجريد بمقدار درجـته، وسموِّ مـنزلته، لوجوبِ التـفاوتِ في الخلْقِ، الذي به يصحُّ ثوابُ الأنفسِ وعِقابُها على حقيقيّةِ السدق.

فأقـول إنّ جميع العلـماء المتقـدِّمين، والمنطِقيِّين والمتـفلسفين، وأهلِ التـقصـير القـائلينَ بالإمـامةِ الأثنعـشريّة والمنـجّمين، وبقـيّةِ أهل الشـرَعِ والمذاهب المتقدِّمــة وأهل النَّصَبِ والحَشويَّةِ المخالِفين، على قَـدرِ طبقاتهم في علومهم.

فمنهم مَن يقول بالأوائل والثواني، وترتيبِ الألفاظ وتنميق المعاني،
ومنهم مَن يقول بالأفلاك والمدبِّرات، والمواليدِ والأمّهات،
ومنهم مَن يقول بجبرئيل وميكائيل والملائكة الرّوحانيّات،
ومنهم مَن يقول بالنَّقْلِ والأخبارِ السَّمعيّات.
والكلُّ منهم يعتـقد أنّ هذه هي الآثارُ العلويّات، وأنَّ الأنسـانَ دونَها وأنّها أشرفُ منه عندَهم لأنّه من بعض المتولّدات.

والحقُّ أقولُ إنّه إذا عمل ذو لبٍّ فِكرَه في حقيـقيّتها وَجدَها لا تُنشئ إلاّ حَـيوَاناً أمـواتًا، أو جَـمـادًا أو نَباتًا. فلـو حَرِصَ جـمـيعُ أهل هذه النِّحَل والأديان أن يخترعوا زيادةً، أم نقصًا، على مـا ذكرتُهُ حَرْفًا واحدًا لأعجَزَهم العِيـانُ، وأكّده عليـهم البرهان. وهذا هو صـحيحٌ يُطابقُ عليـه كلُّ أحدٍ ممّنْ أنصفَ نفسَه أنّ هذه الأصولَ عندهم هي الأمور الإلهيّات.

ونحن نُثْكِـلُ جـمـيعَ هذه الطوائف عـلى عـقـولهم، ونُحكِّـمُـهم في متعبّداتهم وحقائق أصولهم. ونَسألُهم بما فُضِّل الأنسانُ على جميع المواليد والأنواع، وسَمَـتْ منزلتُهُ حتـى اتّحدَ بغايةِ الأبـداع؛ فَيُضْطَرُّهم الحـقُّ بعدَ قطعنَا لحُجَـجِهم وتبيينِ الفـضيلة الدِّينيّة، أن يقـولوا بما اتَّحد به من الأنوار العلويّةِ، والحـقائق الإلهيّـة، والعلومِ الملكوتيّة، والحقُّ أحقُّ أن يُتَّـبع. فبـهذا فُضِّلَ الأنسانُ على جميع المخلوقات.

ثمّ نسألهم أيضاً عن حقيقيّة هذا الإيجاد، وكيفيّة صحّة هذا الاعتقاد، ومَن أسَّـسه وأهَّله، ومَن فـرّعه وأصّله، فَـيُـضْطَرُّهُم عِيـانُ الحقّ ويَحُثُّـهم برهان السـدق، أن يقولوا هو إِمـامُ الزمان، الصـادِعُ بالبيـانِ، في كلِّ وقتٍ وأوان، إذ لا يصح ذلك إلاّ بواسطة. فجمـيع أهل الشرَعِ لهذا منتظِرون، وبه مقرّون.

ثمّ نسألهم أيضـاً عن تفضيل الخِلقتَين أعني الخِلقَـةَ الرّوحانيَّةَ التي هي حقيقيّة المتعبّـدات، وميزان القِسطِ لأهل الأرض والسموات، وعن الخلقة الجسمانيّة التي هي أجرامٌ وأدواتٌ وآلات، وأعضـاءُ مركّبات، والأنوارُ المرئيّةُ فهي كثـائفُ جمادات. أيّ الخِلقَتَينِ أحـقّ أن تكونَ متّحدةً بالأمـورِ الإلهيّات، فَيَحْـصَرون عن الجواب، ولا يَعرِفـون حقيقـيّة الصّواب، إذ جمـيعُ الأشياء تنقسم قسمَينِ، مفضول وفاضل، وإنَّ المفضولَ تَبَعٌ للفاضل.

وهذه هي نهايتان: فنهايةُ الدِّيـنِ هو الإمام مُلْكُ المولى المنزّه المعبود؛

ونهايةُ الموضـوعات والمركّبـات بالإضافـة إلى عبيـده الحدود، إذ جمـيع ما أشاروا إلـيه إنّما هــي الأجرام والطبـائع والمطبوعـات، الجواهر الجـمادات. والأنســان اتّحد بما هو أعـلا منها لِـقُرْبِه من الأزلِ وقـبولِه للحقِ واتحـاده باللطائف الروحانيّـات، إذ كانت الأجرام والطبـائع مجبورة في حَـيِّزِه ومِنْ تحتِ إحاطتِه لما اتَّحَدَ به من الأمور الإلهيّات.

فقد أوجـدتُ المعبودَ وأشرتُ إليـه، وأوضحتُ المعنى في الطريق إلى توحيدِه ودللتُ عليه، بمنّةِ وليِّ النعمةِ، الإمامِ قائمِ الحقِّ المتفضّلِ على أوليائه بالرحمة.

فإنِ اعتـرض معترض وقـال: إنْ عدَدْتَ الظهوراتِ المرئيّة في جـميع الأزمنة الماضية كَثّـرتَ وألحدْتَ وأشركْت. وان أسقَطْتَها بغـير برهان كفرتَ ودفعتَ العِيانَ وعطّلت. أَبِنْ لي الصواب، وأحضرِ الجواب.

يقال له : إنّ تـوحيدَ البـاري جلّت قدرته لا يصحّ بالـنظر والألحاظ، ولا بالكلام والألفاظ. وإنّ الموفَّقَ لتـوحيدِ المولى جلّت قـدرته إذا عمل ذو لبٍّ فكره في حقيقيّة التّوحيد، وصَفَتْ نفسُه وسكَنتْ بحقيقيّةِ التنزيه والتجريد، فقد تخلّـصتْ من جميع الأزمنة الماضيـة وحَصْرِها، فهي لا تعـتقد في وقت سكونها في التّـوحيد الحادا، ولا تتـصوّر في المعبـود أعدادا، بل تكون على غايةٍ من التنزيه والتجريد، وتصُدُّ عن التعطيل والتشبيه والتحديد. فهذا قول تَرْشُفُهُ قلوبُ أهل الفهم، وتَنْصَقِلُ به نفوسُ أهل التّوحيد والعلم.

وأنا أتكلّم على مُعـتَقِدِي الإمـامةِ، ومَنْ شَمَلَتْـهم من أهل الحقِّ دعوةُ الكرامةِ، وأجعلُ الحُكـمَ عليهم ما نُصَّ في المجالسِ المكرّمـة إشارةً إلى وقتنا هذا. وهو أنّ القائم إذا ظهرَ يقومُ بالوحدانيّـة، ولا عملَ في وقته بعد ظهوره. وأيضاً في مجلس آخـر: بالتّوحيدِ عُـرِفَتْ جميعُ الأشياء لا بالأشـياء يُعرَف التّوحـيد. وأيضاً في مجـلس آخر: إنّ التّوحيـدَ هبةٌ من الواحد للمـوحِّدين.

وعلى قول القائلين بالإمامة: إنّ الواحـد في كلّ عصر وزمان هو الإمام، وإنّ الدِّينَ الذي يفـوّضه في العـالم هو الحق لأنّه هو العقل، وهو الذي يَعْـقِلُ به جـميعَ مَن لجـأ إليـه واتّحدَ به عن الزَّيْغِ إلى الأهـواء المُضِلَّة، وَيُلْزِمُ الطريقَ المستقيمةَ من كلّ علّة.

فَعَـلِمَ عِندَ ذلك كلُّ ذي عقلٍ ولبٍّ أنّ الواحـد الذي التّوحـيدُ هبـةٌ منه للمـوحّدين هو الإمـام، وهو عبـد مولانا جلّ ذكـره، وهو القائم الذي يـقوم بالوحَدانيّـة، أي يدعو التّوحـيدَ لمولانا جلّ ذكره، وينزِّه مـولانا، والإمام هو القائم الذي لا عملَ في وقته بعد ظهوره.

فـمِن هاهنـا ضلَّ الذين ألحـدوا في المولى جلّ ذكـــره تعـالى وفي حدوده، ولمْ يَفْـرُقُوا بينه وبين عبيـده، وأشركوا وتكبّروا على الإمـام القائم الهـادي وجحـدوه، وقاومـوا الحقّ بكفرهم وعـاندوه. فلا للمـولى عبـدوه فوحّدوه ونـزّهوه، ولا للإمام العدل عرفـوه فتوصّلوا به إلى معـرفة المولى سبحانه ليـعبدوه ويطيعوه. بل عكفوا على قـذف الإمامِ العَدْلِ وسبِّ حدوده وأنكروه. وخرجوا بالجـور والظلم عن العدل، ووقفوا على الإلحـاد والسفَهِ والجهل. وهذا فهو دورُ القيامة وبروزُ أعـمال العباد. وحين الكشف لضمائر أهل الحقائق وظهور أهل النكث لما يجنُّوه من الفُسُوق والعناد.

ولمّا نَظَرْنَا إلى عـقائد جـميـع مَن أشار إلى التّـوحيـد، أعني عبـادة المعبود، فوجدنا الـعالم فيه على طبقات ثلثة : فطبقـة تطلبُه بالرؤيّة وتحقيقِ النظرِ الحِسِّي؛ وطبقة تطلبُـه بالقول والمنطق والكلام اللفظ؛ وطبقة تنفي عنه هذه الأحوال وتـوحِّده بالعقل كـما تقـدّم القول فـيه : إنّ التّـوحيد هـبة من الواحد لـلموحِّديـن. قيل : وما تـلك الهبة، قـيل : هو العـقل الأخير. والـعقل الأخيـر هو الإمام، لأنّ عبـيده الحـدود دونه وهو ممدُّهم بالتأييـد. ومعنـى الأخير هو الأعلا والأرفع.

فأمّا الطبقة الأوَّلة فهم أهل التنزيل والشرعيّات التي لا زيادةَ فيها ولا نقصان. وكذلكَ نَظَرُ العَينِ إذا نظرَتْ إلى الشيء بهيئته لا زيادة فيه ولا نقصان.

وأمّا الطبقة الثانية فهي التي تطلبُه أعني التّوحيد بالقول والمنطق والكلام اللفظي. فهم أهل التأويل الذين يَزيدون وَينقُصون كما تزيد الألفاظ بالتأليف وتنقص.

وامّا الطبقة الثالثة فهم الذين يوحِّدون المولى جلّت قدرته بقلوبهم، وينزّهونه بأفكارهم الصحيحة وعقولهم، ولا يوحّدونه من طريق النصر والصور، ولا من طريق القول والحصر، بل بالفكر الصحيح يوحّدونه ويثبّتونه. وعمّا تتصوّره الطبقتان الأولتان يُفردونه ويُنزّهونه، وعن العدم يَنفونه، فإذ لولا ما تتصوّر به جلّت آلاؤه الطبقتان المذكورتان من الإلحاد فيه والتشبيه، لم يكن للحقّ فضيلة على أهل التّوحيد والتنزيه، لأنّه لو كان معدوماً لم تقم الحجة على أهل التقصير والكفر والبدع، ولو كان موجوداً على ما يرونه به لا غير لاستوى بالتّوحيد جميع أهلِ الشرَع.

قال اللّه تعالى : «لا يَستَوي الذِين يَعلَمونَ والذِينَ لا يَعلَمون، وإنّما يتذكّر أولو الألباب»[٥]. وقال: «وتَراهم ينظرونَ إليكَ وهم لا يبصُرون»[٦]، إشارة إلى الحدود، وتنزيهاً للقادر الموجود.

وأمّا أهل النّصب والحشويّة[٧] فيكفيهم ما ورد في المسطور من ذكر اليد والعين والجنب، إشارة إلى الوجود، ودلالة على الواحد المعبود. وأمّا ما جاء في مجالس الحكمة ممّا يشيروا إلى وقتنا هذا ماضيه وَمُؤْتَنَفِه، فهو

---

(٥) سورة الزمر ٣٩/ ٩.

(٦) سورة الأعراف ٧/ ١٩٨.

(٧) كناية عن أهل التنزيل.

واستمرَّ العارضُ في مَنْ وجَّهَ الإختيارَ صاحبُ الكشف، وحدُّ الإختبار بأخذهم على العَرضِ والوصف، حتى ظهرت ثَلَثةٌ من ذوي النَجابة والكافيين عن المُغَيَّب في الخِلقَة والنّيابة، وَبَلَّغوا النهايةَ في العطاء، وجَعَلَ لهم فَكَّ مَن كان من الرَّبَطَاء، وساروا بالغيثِ متوجّهين، والرحمةَ بين أيديهم مقدِّمين.

وأيضاً في مجلسٍ آخر يتلوه : وعندَ استقرار الدار بالثّلَثة المتوجّهين، كشفوا ما تقدّم العملُ به وَأَحْصوا مَنْ زَكا وتَحَصَّلَ لمولاهم من المؤمنين، وزاد بهم ما حلَّ من الضّياءِ والإشراقِ، وعمِلوا البثَّ في مُجَاهرة أهل النفاق، وقاموا على الاستئذان إلى أنْ يَرِدَ إليهم ظاهرُ الأمر، وَمُتَقَدِّمُهُ بما تَقَرُّ بِهِ العينُ ويثلُجُ الصدر. وهذا شيء قد شُوهد وعوين وعُرِفَ القائمون به وبأمر مَن أظهروه.

فقد آتيتُ على الغَرَضِ فيما أوردتُ وأبلغتُ في المقال. ودعوتُ إلى المولى العليّ المتعال، بآياتٍ بينّة، وحِكَمٍ مبرهَنَة. وهو قوله يومَ يدْعُ الدّاعي إلى شيء نُكُرٍ. فقد رأيتموه وسمعتموه، ودُعِيتُم إلى التّوحيد فأنكرتموه، ووقفتم على الحق وجهلتموه وَبَهَتُّمُوه.

فهلمّوا أيّها المؤمنون إلى القائم بالحق المُبين. هلمّوا إلى ديّان يوم الدِّين. هلمّوا إلى ما كنتم به تُوعَدون مِن عين اليقين. هلمّوا إلى الماء العذب على الظماء وحقيقيّة المُعين.

فقد أزِفَتِ الآزفة، وليس لها من دون الله كاشفه؛ أمَا تَراهم يخوضون ويلعبون أهلُ الجهلِ والخِلاف، الذين ليس لهم بالحقّ اعتراف، فطال ما يَبكون وهم صامتون.

أَفَمِنْ هذا الحديثِ تَعْجَبـون وتَضحكون. ولا تَبكون وأنتم سامدون. فاسجدوا للّه واعبدوا. فما على الرسول السادِق سوى البلاغِ المبين. والحمد للّه ربّ العالمين، وسـلامُه على قائـم الحقّ وليّ الدِّين، ورحمتُـه على حدوده الطّاهرين المقـرَّبين. وهو حسب عبـدِه الضعـيف المقتنى وبه أسـتعين. وهو حسـبي ونِعمَ النصيرُ المـعين. والحمد لمولانا وحـده لا شريكَ له ولا معـبودٌ سواه.

تمّتْ.

٥٩

رِسَالَةُ العَرَب

بعثَ بَهاءُ الدِّين بهـذه الرسالة إلى رؤساء العـرب في سوريّا والصعـيد والحجاز واليـمن وما بين النهرين والعراقَين، وخاصّةً إلى شـيوخِ عربٍ كانوا عمدةً في دعوة التّـوحيد. تاريخها سنة ٤٢٣ هـ. وهي تدعو عامة الناس إلى الدخول في الدّعوة.

توكّلتُ على المَولى الإله الحَاكِمِ المنَزّهِ عن العدمِ، وشـكرتُ عبدَه قائمَ الدِّين وهادِي الأُمم. مِنَ العبدِ الطائعِ الخـاضـعِ النذير، ومملوكِ الإمامِ القائمِ على الأممِ بالحدِّ والنّكير، وعلى نواميسِ الأبالسةِ بالنَّسْخِ والتحليلِ والتغيير،

إلى جمـيعِ مَن بالشّامَين الأسفلِ والأعـلا، ومَنْ بالصعيدِ والحِـجازِ وأرض اليَمَنِ آلِ الصـفوة والوفا، ومَنْ بالجزيرةِ والعَـراقَين الأبعدِ والأدنى، من رؤسـاءِ العَـرَبِ أهلِ المنازلِ والرتب، والفـخر والحَـسَب، المُتَـبـاينين في النَّسَب، أعني حَسَّـان ابنَ مُفَرّج وعـشيرتِه، وزَمّاخَ وجَـابرَ آلِيفَي التّوحـيد، القائمَين بأمانتِه، ورافعَ ابنَ أبي اللّيل السيّد الكاملَ الموفّق في فعلِه لسعادتِه، وجامعَ ابن زائدة وأسرتِه، ودفّـاعَ ابنَ نَبهان وذويه وجماعتـه، وعَميرةَ ابنَ جابر وآلِه وإخوتِه، وشبيبَ ابنَ وثّابٍ ومَنْ في جزيرتِه، وأولادَ المُسَيَّبِ أعني قِرواشَ وذرّيتِه، ورافـعَ وذويه الكامل في سيادتِه، وجمـيعَ مَنْ يَنتسبُ إلى خَفَاجَـة أعني آل ثُمَال وأميـرَها الصائبَ في فعلِه وإرادتِه، وكافّـة مَن تعرَّبَ وتبَدّا مِمَنْ تنبَّه مِن غفلتِه ببصيرتِه.

ألسلامُ على مَن أفاء إلى الحقِّ وطريقهِ المستقيم، ونظرَ بعينِ الحقيقةِ إلى منازلَ أهلِ الصبر والتسديقِ والتسليم، وسَمَى بهمـمه لِمَعَالِم التمـييز والتقسـيم، فعَرَف مباني أوقاتِ الزمـان، وما يَحدثُ فيه بأمـرِ الباري تعالى من النسخِ للمِـللِ في كلِّ أوان. فـتَحَـقَّقَ قـدرةَ إلهـهِ وباريه، وتصـوَّرَ بعينِ النَصَفَةِ إرادةَ خالِقه ومُنْشِيه، وخَضَـعَ لأوامرِه ونواهيه، واغتنمَ بصفاءِ عقلهِ زمانَ الإمهال، ونَصَـحَ نفسَه وآلَه بالخـروجِ من خطّةِ أهل التفريطِ والإغفال، وكانَ لنفسه في الشَرَفِ والسيـادةِ في القيامة طالِبا، ولآراءِ الأبالسةِ المُكَذِّب بعضـهم بعضًا مخـالِفًا مجانِبـا، وعلى نفسهِ بيـمزانِ القسطِ والعدلِ قـائماً محاسِبا.

أمّـا بعد، فـالحمـدُ للمولى الحـاكِمِ الذي تجـالَل عن عدمِ المُوهَمـات والمُشكلات، المنزَّه عن عجزِ المبدعَاتِ والمخلوقات، المنفرِدِ بوجودِه في المقامات الإلهـيّات، إثباتًـا لحجـجه على الخليـقةِ، وإقامـةَ العدلِ فـيهم بظهـورِه لهم بالحقيـقة، ودحضًا للشـبهةِ المؤدّيةِ إلى الإنكارِ والتعطيل، وفـرقانًا بين أهلِ التسديقِ وعُـصبةِ الكذب والتبديل، لـتتساوَى الخليقـةُ في طلبِ موجودِها، وتتفاضلَ الأنفسُ الطاهرة بالتنزيه والطاعة لمعبودِها.

فـتيـقّظوا أيّهـا النوّام، فقـد تقضَّتِ الأزمـانُ والعـصور، ونُقِـر في الناقور، وبُعْـثِرتِ القبـور، وحُصِّلَ ما في القلوب والـصدور، وأنتم في ظلم الجهالةِ غَـرِقون، وبما أينعَ لكم الزمانُ الكذوبُ فَرِحُـون، وعن روْغَاتِ تقلّبه وتغييرِه غافلون.

فانـتَبـهوا أيّهـا الغَفَلَةِ النَوَّام، فـقد تمّ التّـمام، وتناهتْ بكـم الأوقاتُ والأيام. وأقمتم بما أسلفتموه قِسطَكم، وتَوَفَّيْتُم مقدَّماتِ عملِكم، وقد جاءكم النذير، وصرّح يُنادِيكم النصيحُ البشير، فتعاميتُم عن الحقِّ ودليلِه، وضللتم أَثَرَ كَعْـبٍ وعُوفٍ عن الدِّين القـويم وسبيله، بـعدَ قيـامِ الحجّـةِ منكم عليكم،

واطّراحِكم لِمَـا مِنَ الحكمةِ وَصَلَ إليكم، على يدِ الســادِقينَ الشـهـداء البَرَرَةِ، المتـحنينَ على يدِ الخائبِ المُفسِـدِ. لا صالحَ ما أضلَّه كانَ وأكـفَرَه، المُضْطلم لِعُنودِه وعصيانِه، المُختَرِمِ عن سَرْجِه لتـجبّرِه وكفره وطغيانِه. عظةً لكم أيّها الأغفالُ وإيضاحًا بما وصَلَ إليكم للمحجّـةِ، وتوبيخًا لكم وإقامةً على كافّتِكم بالفَلجِ والحجّة.

فَنَكَبْـتُم طريقَ الحقِّ لسلوكِ سُـبُلِ الشـركِ والعُنـود، واصطلحتْ قلوبُكم على الغلِّ والشكِّ والكـفرِ والجحـود، إصـغـاءً إلى عقائـدِ أخبثِ الأمم أشبـاهِ البَقَرِ والغنَـمِ، فكيفَ يكونُ ذلك وأنتم الغُرَرُ الأنســاب، وأُولو الفضل والتمـييز والآداب، صـارتْ عـقولكم تبعًا لـلسُوقَةِ المحْتَـقِبين لأعظمِ الذنوب، والفَسَـقةِ الأجلافِ الغُلْفِ القلوب، أولادِ البَغـايا العَواهِر، وبقيّةِ نَسـلِ أغتام البـرابر، أهلِ الخِلافِ من سكّان حَلَبِ المعـروفةِ بِتَلِّ الخَـمْر، البلدةِ الملعـونةِ القصـيرةِ المدّة والعمـر، الواقفة على شـفا جُرُفِ الحَرْقِ والهَـدْمِ والخَراب، الممنوحة عن قـريبٍ ظهور أهلِها وأعناقهم للسـيفِ والعذاب، لعنادِهم في كلّ زمنٍ لأئمّةِ الأعصار، وقيامهم على أهلِ الحقِّ مع أئمّةِ الجَور الخوارجِ الفَسقَةِ الفجّـار، أهلِ الحَشْـوِ والعَمَى والصَّـمم والخَرس، وأعوان الدجـاجلةِ بالغَيِّ واللّعنِ والبَلَس، أصــحاب الكَرَّةِ الخـاسرة، المردودين عن قريبٍ إلـى الهاويةِ الحافرة، بقيّةِ عصاةِ الأمم عادٍ وثمود، وأصحابِ الرَّسِّ ومُسُوخِ قومِ هُود.

فاستشـعِروا يا أمّةَ السوءِ، خرابَ الديار، وانتظروا بعـدَ هنيهةٍ هَتْكَ الحريم وانتسافَ الآثار. فقـد آنَ ظهورُ القائمِ لإعزاز الدِّين، وقَرُبَ هلاكُ أممِ الشركِ والمـلحِدين. إذا فَغَـرَ فاهُ الأعـورُ دَجّالُ القِـيامة، واسـتنهضَ أولادَ العـيصِ لِحربِ دار الإمـامة، فـحينئـذٍ يُخْتَـبَلُ عقلُه بالوَسـواس، ويهلكُ هو وحزبُه بـهلاكِ أولادِ الفَقّـاس، لِقُصُـورِ أفهـامِهـم عن مُحكمَـاتِ الإنجيل، وطاعتِهم للدجّالِ الأعورِ الضلّيل. وَعَلامَةُ ذلكَ إذا كَثُرَ الهرْجُ بأرضِ الأقباط،

وتزلزلتْ للهدمِ قـواعدُ مبـاني الفسطاط، وظهرَ بهـا الدَّعِيُّ المأبونُ، المُحَمْلَقُ المَسعـورُ المَفتُون، المنتسِبُ كَـذِبًا إلى كُتَامَة، الفـاغرُ فاهُ المخصـوصُ بدعوى مـرتبةِ الإمـامةِ، المتَـسـمَّى بالوحيـدِ والمسيـح، وولَدِ الربِّ الكاملِ الناصِح، والأقنومِ الأزليّ الصـحـيحِ الماسح، تَغَـاليـاً في البَـغـاءِ والشَـيطَنَةِ والبَلَسِ والإنحراف، وتَقَهْـقَرَ المعتوهُ لِمَا سـبَقَ لهُ من الزلَل والاقتراف، وتصحـيحًا لدلالات المسيحِ الكذّابِ، وعـلاماتِ الدّعيِّ الفـاسِقِ المُرتابِ، المُعَيَّن على خُبثِه في حكمةِ أولى الألباب، المقذوف باللعنة على ألْسُنِ أهلِ الحقّ في أنباءِ القولِ وفصل الخطاب، آخر فراعنةِ الفَتْـرَةِ المتفرْعِنين، وأوّلِ دلالاتِ الحقِّ للمؤمنين المو قِنين.

فالبُشْـرَى لأهلِ الصبرِ والسدق، فـقد ظهرتْ فضائـحُ الخلق، وتَمَيّزَ البـاطِلُ من الحقّ، وبانَ الأفكُ البغيُّ بـالفِسق، وخـرجَ هو وحزبُه من جـملة الأطهـار، باللعنةِ إلى الانسـفالِ والاسـتكبار، وبايَـنَ النَجِسُ هو ومَن تَبِعَـهُ بالضدّيّة، وأبَقَ هو وهم في الحقِ عن العبـوديّة، وتشيطنَ المُحَمْلِقُ لوسواسٍ يعتريـه، لمّا وصَلَ إلى سُنَنِ المعتوهِ أخيـه، فحينئذ ينتظِرُ بِحَـرَمِ الحقِّ ظهورُ آياتِ السادة أصـحابِ الأعرافِ، وتنعطِفُ النونُ وتتّـصِلُ تَعْرِيقَتُـها بالكاف. هنالكَ يَصـعَقُ مَن في الأرض والسمـوات، وتَذهلُ المراضِـعُ عن المُرضَـعَات، ويَخِرُّ سَقْفُ الأبالسةِ بحلولِ يومِ الميقات.

فأينَ المَفَرُّ لأهل الـخلاف؟ أعني فراعنةَ العَرَبِ، من بلاءٍ قـد أبْهَضَـهُمُ الويلُ والحَرَبُ. فتَـبَّتْ أيديهم كما تبّتْ يَدَا أبي لَهَب، إذ لم يُغْنِ عنـه مالُه وما كَسَبَ. سَيَصْـلونَ بفعلِهم حريقَ النار، ويُهزَمُ جمعُـهم ويُولُّون على الأعقاب والإدبار، ويكونوا كشجرة خـبيثةٍ اجتُثَّتْ من فوقِ الأرض فـما لها من قرار. وإنّمـا أينعَ لهمُ الزمانُ الـقُطوب، وأزهرَ لهم الرَيعـانُ المغصـوب، لقِلّة شكرِ الإمامِ وإشراكِهم، ولِمَا أباحوه من الفتكِ بـحرمةِ الدِّين وانتهاكهم، وتجرّئهم على التشبيهِ بالباري تعـالى في أعقابِ الأمم السوالف، وارتكابهم لما تفرّدَ به

تعالى من الصَعْقِ والقَذفِ والرجمِ والرواجف، ومبـارزتهم لأمرهِ فيما خفيَ عنهم والاستعـجال بالدخولِ على علمه والخوالف، ونسَـوا حظّاً ما ذُكِّروا به في الدِّين، ولُعنوا على ألسن النبيّين والسدّيقيّين.

بل تاللّه، لقد زهرتْ ميـامنُ التوفيقِ بمفاخرِ الملك القَـيل، أعني السّيّدَ أبا العُلا رافعَ ابنَ أبي اللَّيل، الناهضَ لحقنِ دماءِ الموحِّدين، والقائمَ ذابًا بمالهِ ونفسهِ عن العصبةِ المستضعفين.

تاللّه، لقـد تسامَا في دَرَجِ عُـلاه إلى أعنانِ الأفلاك، ولحقـتْ منزلتُه بمنازل المقرّبين الأمـلاك، وسيجتني عـندَ صاحِب الحقِّ ثمرةَ مسـعاه، وتتمّ سعادتُه في دنياه وأخـراه. فقد أثمرتْ أشجارُ البـاطل وآن قطافُها، وتميّزتْ للظهورِ آيةُ الحقّ وكُشفَ سجافُها.

فـأينَ للفراعنة الذهاب؟ كـلاّ لا وَزر، إذا اللّيلُ تولّى وأدبَر، والصـبحُ عن مـحضهِ أضـاءَ وأسفـر. أيّ نازلةٍ بالبـشر، إذا السـيفُ شهَر، لـتحقـيق الأديان، وفوزِ أهلِ الصبر والتسديق والإيـقان، وإيجابِ الحجّة بما ظهرَ من العصيان.

فاتّـعظوا معـاشرَ العَـرَبِ بمُحْكَمِ الآياتِ، وأجيـبوا داعي الحقِّ قـبلَ حلولِ يومِ الميـقات، وقـبلَ أن يُختمَ علـى الأفواه والقلوب، وتنقطعَ وصـائلُ الكَذَبةِ المحتـقبين الأوزار والذنوب. إذا طلعتْ شـمسُ الحقائـق بمُجَوَّرِ الفَلك، وطويتِ الأرضُ والسماءُ ذاتُ الحبَك، وظهرَ من الحُجُبِ قائمُ الحقّ، وافتضحَ المطلوبون من جـمـيعِ الخَلق. فـقـد لمعتْ بالنورِ الدلائلُ والآيات، وانحـرفتِ الطوالعُ والنيِّـرات، واشـتبكتِ الـدوائرُ والمثلَّثات، ورمتْ بـالشرَرِ لتـغـييـرِ الأزمان والأوقات، وبطلَ فعلُها لطلوعِ كِيـوان الحقِ المحرقِ بأشعّتِه لدَجَاجِلةِ العصور وأبالسةِ الفترات.

وقد أُعذر النذيـرُ ونصح الأمَم الحذيرُ البشير، ومـا على الرسولِ إلاّ البَلاغ المبين. والحمدُ للّه ربِّ العالمين، وصلواتُه على الإمامِ العدلِ قائمِ الدِّين، وسلامُه على حدودهِ العاليين، وهو حسبُنا ونِعْمَ النصير المعين.

تمّتِ الرسالةُ بمنّة مولانا وحـدَه. وكان فراغُها يومَ الثلثـا في عشرةٍ من رَجَب سنةَ اثنين وعـشرين وأربعـمائـة. والمولى حسـبُنا ونعمَ النَّصيـر المعين.

٦٠

رسالة اليمن

وَهِدَايَةُ النُّفُوسِ الطَّاهِرَات
وَلَمُّ الشَّمْلِ وَجَمْعُ الشَّتَات

بعث بهذه الرسالة بهاءُ الدِّين إلى معتنقِي دعوة التَّوحيد في اليَمن، وذلك سنة ٤٢٦ هـ. فيها، كما في سابقاتها، يوقظ المؤلِّفُ مراسليه من غفلتهم، ويحذِّرهم من نواميس الدجاجلة، ويشدِّدُ عزيمتَهم. وسوف ينتصرون على الأضداد في اليوم الأخير، حيث يُقضَى على جميع النطقاء وأصحابِ النواميس ، وتُهدم «مكّة مقطرة الكفر».

توكّلتُ على المولى الإله الحاكم المنزّه عن الذات. وتوسّلتُ ليه في الطاعة بوليِّه القائم لمجازاة الأمم.

من العبد المقتنَى المقتصِد الأوّابِ، المنذِر بعبادة صاحب العَرض والحساب، المملوكِ لمالكِ الثوابِ والعِقاب، ألضعيفِ بالأضافة إلى مَن سبَقه من الحدود العالية والأبواب، إلى جميع من جمعتْه أرضُ اليَمَنِ على تغاير الألسنِ وتباينِ الأنساب. ألسلامُ على مَنْ عَرَفَ هاديه وأمامه، وتبرّأ إليه من مقدّماتِ خطاياه وأثامه، وسلّم إليه تسليم الموقِنين بمعاني حكمته وكمال نظامه، واستضاءَ بأنوارِ حكمته واهتدى بموضحاتِ براهينه وأعلامه.

أمّا بعد، فالحمد للمولى الإله الحاكم المنزّه عن عبادة الألسن وتصويرالعقول، المقدّس لاهوتُه عن خواطر الأفكار الممزوجة بهواجس الطّلوع والأقوال، الذي تجالل مجدُه عن الوجود المحدود، وتعالى جبروتُه عن العدم المفقود، وتنزّه بعظمة لاهوته عن مخترصات أهل الأفْك والجحود.

أظهر حجابَه إقامةً لعدلِه في الأنام، وأوجب الحجّةَ على الخليقةِ بدعوةِ التّوحيدِ الفائضةِ عن أمر السيّدِ الهادي الإمام، الذي جعله المولى بفيضِ حكمتهِ لِشرَعِ نواميس الأبالسة قاطعاً محلّلا، ولزخرفهم الملبوس على الأمم ناقِضاً مفلّلا.

أوجد حجّتَه للخليفة إعذارًا وإنذارا، ومذكّرًا للنفوس الخبيثة بما احتقبتْه من عصيانه أعصارًا خاليةً وأدوارا. وأصرّت عليه كفراً ولَدداً وجحوداً وإنكارا، ومُجازي للنفوس الطاهرات بالاعتراف بما لا عينَ رأتْه تبياناً وتوحيداً وتأليهاً وإقرارا. وللأجسام الطائعة نعيماً وجنّاتٍ وأنهارا. وسلامُه على حدوده العاليين وأوليائه المخلصين، وأشياعه الممتحنين، في ذاته الصابرين.

فانتبهوا أيُّها الجماعة الموقِنون، والأمّة المسئولون، وخذوا من طاعة وليِّ الحقّ الإمام القائم بأوفر النصيب. وتفكّروا فيما أدرج لكم فيه وخصّصتم به من مواعظ الشيخ الطاهر أبي الفتح منصور الخطيب. فله عندكم مقدِّمات حِكَمٍ بالوعظ والتذكير، وإشارات إلى قائم الحقّ بالإرشاد والإيقان والتبصير.

واعلَموا أيّها الجُمْلَةُ المخاطَبون، والبقيّةُ الممنون عليهم المستَمِعون، أنّ العواقب في الأمور هي المقدّمات، وبالأوائل تثبت الثواني والمثلّثات، فأصيخوا أسماعكم بالفهم لداعي الحقِّ النصيحِ المنادي، واقلِعوا عن سهوتكم وَتَمَيّزوا بالطاعة للإمام القائم الهادي. فقد نُشِرتْ للحساب

والعرض صحائفُ الأنام، وتميّزت بالنَجَس عُصْبَةُ الدجّال الموقوفةُ غدًا للعذاب والانتقام؛ واتباعُ الدجالة في أقطار فوضى مهملون، وفي بحر الضلالة متهافتون غَرِقون.

قد استعبدهم الإبليسُ الأعظم من حيث تعلمون، ومن حيث لا يعلمون، فهم لأمره يأتمرون، ولنهيه ينتهون. قاتلهم اللّهُ أنَّى يؤفكون، قد سَعَرَ نار ضلاته للإحراق، وبَثَّ غُواته للفتك بأهل الحقّ في جميع الآفاق، مستشعراً لفَراغِ مدّته ومنتهاه. قد نفَثَ سمَّ نَجَسِه في أنْيَابِ شِيعَتِه، وَظَفَرَ مَنْ وَالاه.

فهم على أولياء الحقّ كالنمور الضّارية والسِباع، أو كالأراقم المزمنة والأفاع، يطالبوهم بما في طباعهم من الأحن المتقدمّة في الأزمان والعصور، ويمنّون أنفسَهم النَجِسَة بما سَيَزْهَقُ وَيَبُور، ويظنّون بعمى بصائرهم أنَّ غيرَهم هو المغبون المغرور.

فيا أيّها الجماعة المنذَرون، والعشيرةُ الصَّالحون المؤمنون! ألنَّجاةَ النَّجاةَ لأهلِ البصائرِ والأحلام؛ والمَهْوَاةَ المَهْوَاةَ لأهل اللّددِ المقصِّرين الأغتام.

فقد تفَلَّجَتِ الأصدافُ بسادات الأمم عن الدّرِّ المكنون، وجرتْ للشاربين عينُ الحياة بالماء الطاهر المخزون، وظهرت بميامنهم ممثولاتُ الركن والمقام، ووَجبَ على أهل الطاعة التسليمُ والاستسلام، وبَطلَتِ الأمثالُ بظهور المثولات، وافتضحت بمعالم السّادة شُبَهُ المُدَلِّسين في المتعَبَّدات، ودُحِضَتْ هياكلُ الشرَعِ عندِ ظهور السادة النفسانيّات.

فتنبّهوا فقد تجاذبَ الأعنّةَ للسباقِ بالساداةِ خيلُ الأعراف. وتقرّبت نونُ الكون بَعْدَ بُعدِها مِن الكاف، واهتزّتِ للاتّصال والانعطاف.

وقد صاح صائحُ القيامة والنُشور، وآن البعثُ لِمَنْ في الأجداثِ والقبور، ونُفِخَتِ الثالثةُ في الصُّوْر.

فتيقَّظوا يا أهلَ اليمَن، فـأنتم المسَمَّون بالناس. وأميطوا عن نفوسكم غشـواءَ النّعاس، فـقد زالتْ بالتّـوحيـد دعوةُ الالتـباس؛ فتُـوبوا إلى باريكم واقتُلوا عـقائد الإشراك والإبلاس، ولا يَتَـمَّمُوا الخـبيثَ منه تُنفِقـون. فوليُّ الحقِّ أعلم بما تكتمون. واقتفوا بالطاعة أيّها الزمرةُ الأبرار، والبقيّة الأخيار، مـا اقتـفـاه سلَفُكم الموحِّـدون الأطهـار، فلهم مـبادي الدِّين المحـمـود، وهم السابقون إلى الماء العذب والمنهل المورود.

فاغـتنموا أيّها الطَهَـرةُ الإخوان، ما سَـمَحَ لكم به العصـرُ والزمان، وسـاعدَكم فـيه مـن المُهلِ والأمكان، قبل خَـتْمِ الأفـواه وقَطْعِ الكلام، وطيِّ الصحـائف وجفافِ الأقـلام، فكأنّ الخلقَ، وحقُّ الحقِّ، بنجومِ الدجـاجلة قد انكدرتْ، وسمائِهِم قد كُشطَتْ، وأرضِـهِم قد طويَتْ. وَهَجَمَ عليهمِ من الأمر ما كـانوا به يكذّبون، وباءوا بسَـخطٍ من اللّه بما عصَـوا وليَّه، وكـانوا على الحقّ يعتدون.

هنالك تهـبُّ عليـهم أرياحُ البَـوار والخَـبـال، وتَدهَـمُـهم الرواجفُ والزلزال، ويفاجئهم الزّمانُ بمقدِّمات أعمالهم بِمحنهِ ومصائِبه، ويُخْرِجُ لهم المُخَبَّئات من أهوالِه وعجائبه.

إذا اعتلجَتْ بحارُ الدِّينِ بأمواجِ البـصـائر، وظهر العدلُ مِن القوّة إلى الفعل بتـحريك الأمـر لاصحـاب الجـزائر، فحـينئذٍ ترتفع عن الولي أسـتارُ الحجب، ويفتـضح الخلقُ والعوالم بما أوضحه لهم فـي البداية من رموزات الكتب، فتـخرّ الجـبابرة والأصنام على الجبـاه والأذقان، ويُقـال : أين المفرّ للمفرد الإنسـان. كلاّ للأبالسة لا وَزَر.

إذا استُلَّ من غمْدهِ الصارِمُ الذَّكَـر، واقتدحَتِ الأرضُ بالنار والشَّرر، وأتتِ السمـاءُ بَغَبَشِ الأثير والدخـان، واسودَّ لِعظَم يومِه الأُفُـقان، وأظلمتِ الأقطارُ لهلاك أولادِ الشَّيـصبان، وانكسفتْ شمسُ الرَّجـيم الدّجال، وغاصَ

في بحـرِ الخِلافِ والضـلالِ، وهَتَفَ بأهلِ النّكثِ والارتدادِ طوفانُ السـيفِ، وَهَلاكِ مَقْطَرَةِ الكفْرِ وَهَدْمِهَا أعني مكّةَ وأَهْلَ الخَيْفِ.

هنالك تَبورُ الدجاجلة في الآفـاق والأقطار، ويتناهي بهلاكهم حلولُ المقدار، فَـيَضْـعُفُ من هذا العالم الـدّنيّ قواه، وتنفسدُ عليـه آخرتُه وأُولاه، وينكشفُ عن صـبح الحقِّ غيهبُ الظـلامِ، ويَطْلُعُ شمسُ الدِّين وبدرُ التـمام، ويتجلّى العدلُ بظهور القائم الهـادي الإمام، القائمِ لجزاء الأرواح والنفوس، تنزيهاً لجبروت المولى الإله الحاكم القدّوس.

فتيقّظوا يا أهلَ اليمن. فتاللّه كأنّكم بالكائن قد كان.

واعتبروا أيّهـا الطَهَرةُ الإخوان، بما أُوضِحَ لكم من الآيات والبرهان. وتأمّلوا مـا أُدرجَ لكم في هذا السفـر من الحقـائق والتبـيان، فـقد قـامتْ به الحجّةُ عليكم كما ثبتت على جميع أهل النِحل والأديان.

فاغـتنموا أيّهـا الطهرة أيّامَ المُهل، وسُدُّوا مـا فَرَّطْتُم فـيه من الخلل، واستأنفوا في الطاعة بدلاً من مَحَـرَّفات الزَلل، ولا تَعْشَوا عن حقائق الدِّين، فَيُقَيِّضُ لكم التقـصيرُ مقارنةَ الأبالسةِ والشياطين، فـيُصدّونكم عن السبيل الأرشدِ الأمين، ويَرُدّونكم على أعـقابِكم ناكِصين، فما عـلى الرسول السادق سوى البلاغ المبين.

اَللّهمَّ فبـجودك العالِم بنصـيحتي لجـميعِ الخلق، وكبـريائِكَ الشاهدِ بإذاعتي لدعوة التّوحيد طاعةً لولي الحقّ.

اَللّهمّ فانجزْ وعدَك لوليِّك في أوليائه المستَحَنين الميعَاد، واجْتُثْ أناجِمَ الذين أكثروا العَيْث والفساد، فقد أَبْدَوا ما أَكَنُّوه مِنَ الضدادَةِ وأظهروا لوليّك العناد.

أللّهمّ بكَ المستغاثُ وإليك المُشتكا، وإلى رحمتِكَ في البِدَا والأخيرِ المَفْزَعُ والمَلجا. فانجزْ لنا بجاهِهِ عندَك مساديقَ وعدِكَ للنجاة، وامْهِلْنا بِمُهلِكَ فراعِنةَ الدِّينِ الجُفَاةِ الطُغاة.

إنّك على ذلك قدير، وبإجَابةِ هذا الضَّرْعِ كفيلٌ جدير.

وكُتِبَ في العَشْرِ الأخير من شهر شَوَّال، من السنة السابعة عشر من سنين قائم الزمان، المرجوّ لهلاك الأعور الدجال. والحمد لمولانا وحده. والشكر لوليِّه عبده.

٦١

رسالة الهند

الموسومة بالتذكار والكمال إلى الشيخ المسدّد المفضال

بعثَ بهذه الرسالة بهاءُ الدّين المقتنى سنة ٤٢٦ هـ. إلى موحّدي الهند، وعلى رأسهم ابن سُومَر راجَبَال. ويظهر منها أنّه كان في شمالي غربي الهند موحّدون كثيرون وخاصّة في «المولتان» حيث كان راجبال زعيماً. في الرسالة تحريضٌ على الإيمان بالدّعوة، وعلى اعتبار حمزة الإمام القائم المسيح الحقّ الذي سيرجع ويدين ملوكَ الأرض.

توكّلت على المولى الإله السِدْقِ، الحاكم بالحقِّ، المعبود بلغات جميع الخَلْقِ. من العبدِ المقتنى الفصيح، والبشير النّصيح، المملوك لوليّ الزمان، صاحبِ الكشف وغيبة الامتحان، القائم لهداية شيعة التسديق، والمُنْهِجِ ببرهانه إلى التّوحيد أوضحَ طريق، إلى الشيخ الرشيد كهفِ الموحِّدين المُسَدَّدِ المفضال، الحكيم المؤَيَّد المَوفَّق في الأقوال والأفعال، ابنِ سُوْمَرَ رَاجَبَال.

ألسلامُ عليك وعلى حزب الهداية قَبْلَكَ، الموحّدين ببلد الهند وهِنْداستان المرتقِبين لرفع راية الحقِّ وظهور قائم الزمان، الباذلين مُهَجَهُم في كِفاح أهل الباطل وأبالسة الأديان، كعبد اللّه ابن اللّيث القاطع لحبائل أسلافه الأطهار الموحِّدين ، المُبائِن بالسَّفَه والخِلاف لأمرِ المولى إله العالمين.

أمّا بعد، فالحمد للمولى الإله المنفرد بِمَعنى الظهورات الإلهيّة، الحاكم المقدّس بلاهوته من حيث هو عن المائيّة والكمّيّة، المنزّه بعد وجوده عمّا تحوط به العقول وَينقطعُ بالألفاظ المنطقيّة، إذ العدم مُضَادِدٌ للوجود، وسبيلٌ يَستدرِج إلى الإنكار والتعطيل والجحود.

فتعالى المولى الإله الحاكم الذي تجالل عن الأزواج والأولاد، وتعاظم عن الأشكال والأنداد، وتنزّه بوجوده عن مُوهَمات العدم، وَتَقدَّسَ عن الانحصار تحت عبارة الألفاظ بمعنى الأزليّة والقِدَم، الذي جعل وليّه قائمَ الحقّ منارًا لكشف التّوحيد، وهادياً لمن استضاء بأنوار حكمته إلى التنزيه والتّجريد، وعاصمًا لمن أخلص ببرهانه عن التلحيد والتقليد.

ورحمة المولى وبركاته على مَن نظرَ إلى سماء الحقائق ذاتِ البروج، وسَما بنظره إلى الملإ الرفيع وسَدَقَ فيه سَادِقُ العُروج، واتّحد بغاية الإبداع، وتحقّق منازلَ حدودِ النجاة في الشرفِ والعلوِّ والارتفاع، وعَرَف كُنْهَ ذلك الأتحاد، وبلغ ببصيرته نهايةَ الأعداد، وبَرِئَ إلى وليّه من نَجَس المعانِدين والأضداد.

أيهّا الدَيِّن الخَلَف لِبَثْرُو وَهُودَلَهْلاَ بالحقيقة لها إوّل الأنجاد، وعقيبُ صفوة أصحاب الوديعة الأطهار الأمجاد، أعني بالحقيقة أبَايَا جَدِّكَ بعد داوودِ الأكبر، وهُوجَيْدَا أكبر الأولاد، وهُرَيْطَة وأبا عليّ وَكَيْسَا نهايةَ الأفراد..

فنبِّهْ قومَك الموحِّدين أيّها الخِضَمُّ راجَبَال، وداوي داوودَ الأصغر فقد أطلقَه المسعودُ من الحَبْس والاعتقال، لقيام حجّتِك على ابن أخيه عبدِ اللّه وجميع أهل الموْلَتَانِ . وَلْيَتَمَيَّزْ أهلُ التقديس والتّوحيد والإيقان، من حزب الضلال والخلاف والفسوق والطغيان. فما التوفيق بك ولك فيما أمّمته إلاّ بالطاعة لولي الحقِّ وناسخ الأديان. فإلى رحمته أضرع من الزلل والفتور في العفو والصفح والغفران.

فَقُمْ أيّها الدَّيِّن الحكيمُ المُسَدَّد، وأيقظهم فقد شُهِر التقديس للمولى الإله الحاكم المنزّه الموحَّد، وفَشَا في الآفـاق ما كنتم به تُوعَدون، وظهر من القـوّة إلى الفعل مـا كان أسـلافكم له يَعـتقِـدون؛ وكافّـةُ أهل الحقّ لوروده منتظِرون.

فأجـيبـوا داعي الحقِّ فقد ظهـرت علامـاته، وانتشـرت في الآفاق براهينُه وآياته، ولا تغترّوا بزخرف ابنِ اللّيثِ الخـائبِ وخِلافِه، فهو المنسلخ من دين آبائه وأسـلافه، الواقف على شَـفَا جُرُف هـاويةِ الجحيم، الملـتحفِ بالعارِ الفاضحِ والخُلُق الذميم.

فأيقِظْه أيّها الحكيم الموفَّق الفاضل، وأقِمِ الحجَّةَ عليه بما وصَلَ إليك وهو واصل. فَوِهَادُ الأرضِ وأركانُها قد تزعـزعت للظهور، وأرياحُه تتراجع بين الهبوب والفتور. وقل لأشياعه حزبِ الضلالِ فإلى متى أيّها الصمّ البكم فقد بُعْثِرَتِ القبور، وحُصِّلَ ما في القلوب والصدور. وأنتم في ظلم جهالتكم تَمـرحـون، وفي غـيْهَـبِ ضلالتـكم تتـمرّدون، وعن مـوبقـات العـقـائد لا تَنْزَجِـرُون. أتظنّون أنّكم مُـهمَلون، سـاء مـا تظنّون. وتَظَافَـرتم على الشكّ الشرك والإلحاد، وتصافيتم على التقصير والبَلَسِ والعِناد.

قد اخـتلطتْ بطبائع الخائب طبائـعُك، أعني عبد الله، في المُسُوخِـيّة، وتمازجتْ أرواحهم بروحه في النَجَس بجَحـد الألوهيّة، وأنكرتِ الحقَّ إيباقاً عن العبـوديّة، وَنَأَتْ عن العبـد الأوسط مركزِ الحـمدِ والفضـائل، وارتَبَطَتْ بالطرفَين المذمـومَين مـقرّ الأضـدادِ والرذائل، تنكّبـاً في أصل خلقـتهـا عن الإبداع، ونكوصاً عن الحق من حـيثُ العنصر الخـبثِ إلى الشكّ والارتجاع. فـهي مـستـعـدّة لغـاية الشـرِّ في نفسِ فِطرتهـا، كليلةٌ بالمـرض لإيبَاقِـهـا وحَسـرتها، عاجـزةٌ عن إثبات صُـوَرِ المعقولات، منحـرفةٌ باللّدد عن قـبول تلخيص المعاني ومعرفة الماهيّات، جاحدةٌ لتوحيد المولى الإله الحاكم الجبّار،

غامطةٌ لِنعَم وليّه قائم الحقّ في مَقـدَّمات الأعصار، الذي جعله المولى لِشرَعِ نواميس الأبالسة ناسـخًا، ولِمَا لبَّسـوه على الأمم بزخرفهم قاطعاً فـاسخاً، ومحلِّلاً لربطِ كـفرهم الذي عقدوه، وفاضـحاً لمصائد سحـرهم الذي نفخوه في آذانهم ونفـثوه، وهادِمًا لمـباني إِفْكهم المأسّس على الضـلالات، وقامـعاً بالتّوحيد جميع الآراء وأصناف المقالات.

فـأيقظْ قـومك أيّهـا الدَّيِّن الحكـيم، وأوقـفـهم بالبـرهان الواضح ليتحقّقوا قائم الحقّ، فهو الهادي إلى الطريق المستقيم.

فقد صاحَ صَائِحُ القيامة، واهتّزتْ للاخضرار فروع شجرةِ الإمامة، واستولتِ الحَسرة على أهل اللدد والمفرِّطين بالندامة، وأجاب نداءَ الحقّ جَرْيًا على مأثرهم في القِدَم، رجالُ الأعـرافِ شـهداءُ الدِّينِ ساداتُ الأمم، وارتفعتْ مبانيهم في التّوحـيد على كلّ منار وعَلَم، وانقطعتْ بالحقّ وصائلُ الأنساب، وتميّـزتْ بالنَّجَس واللَّدَد عصـبةُ المـسيحِ الكذّاب، المخلوقـةُ بسوءِ أعـمالهـا للشَقوة والبَلَس والعذاب، الممنوعةُ بـالقذْف واللعْن عن مسيح الحقِّ صاحب العرض ومالك الرّقاب.

فكأنّ الخَـلْقَ وحقُّ الحَقِّ بعـظيم مـــا يوعَـــدون قـــد نزل وأزِف، وبالمستور قـد ظهر وانكشَف، فإنّا للمولى وبه مـعتصمـون، وبإمام الزمان مسـيحِ الحقّ متمسـكون واثقون، من هول يومٍ تعاظـم عن مُنَاسَـمَةِ الأيّام، ويتـجالُ عن القـول فـيه والخـصام. يومَ تُجـازَى فـيه القلوبُ والأبصـار، وَيَتَـجَلَّى لِلْخَلْقِ بَخَلْقِهِ المولى الإلــه الحاكم الجبّـار، يومَ تَذْهَلُ فـيه العـقولُ والنفوس، ويتنزّه بجبروته المولى الإلــه الحاكم القدّوس، بحُجبٍ من الملائكة الروحانيّين الأطهار، وأفواجٍ من الكروبـيين أولي الأجنحة والأنوار، يَقْدَمُهُمُ السّيّد إمامُ الأممِ في الأدوار والأكوار، قد دانتْ له الأقطار والآفاق، وخَضَعَتْ للمولى الخُدُودُ والأعناق، وأذعنتْ له بالربوبيّة المخلوقـات، واعترفتْ للمولى المنزّه بالملكة والعجز الجواهر المبدَعَات.

ونادى المنادي لمن الملكُ اليومَ، فيُرَدُّ أمره إلى الحاكم المنزّه عن السنة والنّوم، وتوضَع للعَـرْض الموازينُ وتُنْفَذُ الأعـمال، وتَنَقطِعُ وصـائل الكَذَبَة ومن المدّعين الآمال، وتَظهـر للعيان مخـبّئاتُ المَخَازي، ويكون القـائم مسيحَ الحقِّ على كلّ نفس بما كـسبـت هو المجازي، ويفـوز السادقـون بمقدّمـات التسديق، ويندم الشّاكّون المباهِتون بما اخترصوه على أهل التحقيق.

فَـشَرِّدْ بهم أيّهـا السـيّد الدّيّان، وقـرّبْ أهلَ التّـوحيـد والتسـديق والإيقان، وحقّق عند الكافّة مباني التنزيه والإيمان.

فقـد ظهر ما كان في القـوّة إلى الفعل والعِيان، وحـصـحص الحقُّ، وتميّز الخلق، وتقـضّتْ أيّامُ الفترة، ووجَبَ على المحقّين إلى القـدس المبادرةُ والهِجرة.

فقـدِّمْ أيّهـا الشيخ الفـاضل ما كنتَ أبداً تؤخّـره، واكشِفْ مـا كنتَ تضمـره وتستره. فمـا على الرسول الناصح سوى البـلاغ المبين. والسلام عليك وعلى من بحوزتك، أعني كلَّ مـوحّد ذي دين. والحمد للمـولى الموجود الحاكم، والشكر لوليِّه الإمام الهادي القائم.

وكُتِـبَتْ في السّنة السابعة عـشر من ظهور قـائم الدين، المنتقم من المشركين والقاسطين، والمرتدّين والمارقين، بسيف مولانا الحاكم إله العالمين.

تمّت رسالة الهند بحمد المولى ومنّه.

٦٢

الرِّسَالَةُ المَوسُومَةُ

بالتَّقرِيعِ والبيان

وإقَامَةِ الحجَّةِ لوَلِيِّ الزَّمَان وَإيضَاحِ المَحَجَّةِ لِمَنْ أفَاءَ إلى التَّوحِيدِ وَالإيمَان

بعثَ بهاءُ الدِّين بهذه الرسالة «تذكرةً لأهل الدعوة بالقاهرة والفسطاط الناكثين مسالمة لليهود والأقباط». في هذه الرسالة أعنف هجوم على مكّة ومحمّد وعليّ، رموز الإسلام، وما سيحدث لهما يوم القيامة على يَدي حمزة فَنِيقِ الحقِ الذي سيأخذُ بثأرِ أهل التّوحيد من العِجل والشّيْصَبَانِ أي من محمّد وعلي.

توكّلتُ على المولى الإله الحاكم المنزّه عن العدد، وتوسّلتُ إليه بوليّه القائم على كلّ نفس بما كسبت واعتَقَد. من العبد الطائع، الناصح الخاضع، تذكرةً لأهل الدعوة بالقاهرة والفسطاط، الناكثين عن سنن الحقّ والنازلين بسَقْطِ مُسَالَمَةِ اليهود والأقباط.

السلام على من عرفَ مسيحَ الأنام، وتَوجَّهَ به إلى المولى الإله الحاكم على الحكّام، وتوسّلَ إليه بطاعةِ وليّه في المَعَادِ والمُنْقلَبِ، واغتنم زمانَ الإمهال فَادَّخَرَ لنفسه من أوفرِ الزّادِ بحميدِ الطلب. ونزّه المولى الحاكم بحقيقيّة التنزيه والتّوحيد، وبرِئَ إلى جبروته من التوليد والتشبيه

والتجسيد. ورحمة المولى ورضوانه على إخواني السجود الرّكّع ، ورثة أرض الحقائق على رَغم أنفِ الدجّال الرّجيم الأجذع.

أمّا بعد، فالحمد للمولى الذي تنزّه عن غوامض الفِكَر، وتجالل بعد وجوده عن هواجس الخطر، وتقدّس عمّا تَعتَورُه البصائرُ والعقول، وتسامى عن مُضَارَعَة المَثَل والممثول، فكلُّ عقل عند توجّهه إلى تصوّر جبروته راجعًا حسيرا، وكلُّ نفس أَصْمَدَ إلى توهيم عُلائِه كليلاً أسيرا، الجاعلِ لكلّمةِ التنزيهِ هاديًا وَمَنارا، ولِآلاءِ التّوحيد بهدمه وشموسًا وأقمارا. أقامه لمن أمّم بنجاته أمما، ولمن اعتصم بعزائم حكمه مرآة وعلما، صادعاً للبرايا بحقائق التّوحيد، وقاطعاً لنواجم الشرَع ببرهان التأييد، وهادماً لهياكل الأبالسة من الأصل، وآخِذًا بثأرِ أَهْلِ التّوحيد من الشَّيْصَبانِ والعِجْل، عند آياس كلِّ مغرور، وبلوغ الأجلِ حقيقيّةَ المقدور.

إذا تبلّج الصبح من جانب الطّور وطلع، وبرَق بالسعد كوكبُ الدِّين ولمع، ونهض بسادات الأمم معاقدُ العلوّ والمجد، ورفع لهم لاستكمال الفضائل على الأمم لواءَ الحمد، هنالك تَبْطُلُ معاذيرُ الأنامِ، ويتجلّى الحقُّ والعدل من فَلَكِ الغَمام.

فتنبّهوا يا أهلَ البصائر الحائرة الكليلة، وتأمّلوا يا أولي الأنفس السقيمة العليلة، مدارجَ أيّام المسيحِ الدجّال، وتقضِّيها بالهزل والنجس والمُحَال.

فعن قليل يتناهى بالأجَلِ محتومُ القَدَر، وتنكشف شمسُ الدجّال لظهور القائم المنتظَر، ويَفتضِحُ أهلُ الشكّ والنكث والارتياب.

إذا صرَفَ فَنيقُ الحقِّ بالمَنْسِمِ والنَّابِ، وضَرَبَ بِجَرانه، أعني مكّةَ، مِنَ الكفرِ الثّبَج، وبَقَرَ خاصِرَةَ الباطِل وَفرَى المِنْحَرَ منهُ والوَدَج، فيصبحُ

قائمه بسيفِ الحقّ منعفِرًا جَديلا، وصَحبُه بأليمِ السَخَطِ وَوَهْجِ الهجيرِ قد ذُلِّلوا تذليلا[١].

فعند ذلك يفور تنّور الحقائق بمكنون الأنوار، ويتّصل ضياؤه في الآفاق والأقطار، ويرتفع سَناؤه لظهور القائم أمر المولى الإله الحاكم الجبّار، المُحرقِ بشُهُبِه لدجاجلة العصور وأبالسة الأدوار.

فانبتهوا أيّها الأشخاص المختَبَلَةُ المنكوسة، وتأمّلوا يا أولي الأنفس النَجِسَة المعكوسة. ألم تَرتَقوا في الحكمة سبيلَ النجاة والهداية، وبلغتم في التّوحيد أوانَ الكشف حدودَ النهاية، وتزكّيتم بِموُضَحَاتِ البراهين، واتّسعتْ بالتّوحيد لعقولكم أفسحُ الميادين.

فأيّ مُعجِزٍ أحوَجكم إلى الشكّ في الحقّ والارتداد، وأيُّ عدلٍ في الدِّين شهدتموه فأخرجكم إلى الجور عن الحقِّ والاقتصاد. فَسُحْقًا للعقول المائلة إلى الضلال والجهل، وتَبًّا للنفوس الخبيثة الراجعة بالغِيِّ عن العقل. لقد أوردهم الإبليسُ إلى أوعر المسالك، وأوقفهم بالحَين على طود المَهَالك، وأخْلَدَهم في الحَيرة والخُبثِ والبَلَه، وملأ أوعيتَهم بارتكابِ الهوي والنكث والسَفَه.

فأريقوا أسماعكم أيّها الغفلة قبل ارتفاع الرحمة وغلْق الأبواب، ونشر الصحف بجرائم الخلق وكشف الحجاب، وحلولِ الراجفة الكبرى، والنفخ في الصور الثالثة الأخرى.

---

(١) معناه : **صرف** : صوت ناب البعير إذا حكّه على ناب آخر. **المنسم**: خفّ البعير. **فَنيق**: الفحل المكرم عند أهله، لا يؤذَى ولا يُركب. وهو هنا إمام الزمان، حمزة. **جَرَان**: مقدّم العنق . **الثّبَج** : العظيم المضطرب. **بقَرَ**: شقّ وفتح. **فرَى**: قطع. **المنحر**: موضع النحر أي الذبح. **الوَدَج**: عرق في العنق يقطعه الذابح... والمعنى جملة : أنّ حمزة سوق يقضي على مكّة في اليوم الأخير، قضاءً كاملاً، ويحطّمها تحطيماً.

إذا زَخَر بحرُ الحقائق من جانب الطُور الأعلا، وضَرَب موجُه بالجَرَيَان فزلزل أركانَ الأرضين السُفلا، وعَصَفَتْ أرياحُه بالعذاب والسَّخَط على عُصاة الأمم، ودارتْ رُحى الخَسْفِ بديَار الأنْجَاسِ[٢] وحلولِ النِّقَم، وعمومِ طوفانِ السيف إذا هَمَى بالدمِ كشؤبوب الدِّيَم،

هنالك تتَّصِلُ الأنوار ببصائر الموحِّدين، وينهَضُ يَعْسُوبُ المؤمنين[٣]، ويتعالى ضياؤه في الآفاق لكشف معلوم الدِّين، وتحلُّ أولياؤه بعد ظلمة الدجاجلة بالحرَمِ الأمين[٤]، وَيحلّ العِقابُ والخِزي بأهل التبديل والبِدع، المتوّجهين بالزور والبهتان إلى عبادة العِجْل[٥] ولأتباعه بالتَّبَعِ، المجاهرين بتكذيب رسول الباري وليٍّ حقّه ومخالفة أحكام الحكيم، الذين طَمَسَ الرَّانُ على عقولهم فمنعهم التمييزَ بين الصحيح والسَقيم، فأصرُّوا على التمسّك بخِدَعِ الإبليس وضلاله الأثيم[٦]، واستَلَذُّوا كلَّ السَرِقِ ومِلْءِ البطون من الزَّقُّوم والحَميم.

هذا بَعدَ مجاهرتهم لأمر الباري تعالى بالضِدادَةِ والعناد، واجتهادِهم في العتوّ والعِصيان والإفساد، وردًا لما أباحه الباري تعالى بعد السِتر من الكشف للتوحيد لجميع الأنام، وكُفراً للنِعَم الجارية على ألسن حُججِ السيِّد الهادي الإمام. فهم مخَلَّدون بما اجترحوه من الكفر في اللّعن والسَّخَط، ومعاقَبون بما اشتملوا عليه من الجَحد للرحمة والإياس والقَنَط.

فَبُعْدًا للعقولِ المائلة بأهلها إلى الحضيض، وَبُؤْسًا للنفوس النَّكِبَةِ الراجعة بعد العلوّ إلى الانسفال الخفيض. لقد ظَلموا أنفسَهم برجوعهم عن

---

(٢) دار الأنجاس: كناية عن مكّة التي ستدور عليها رحى الخسف.

(٣) يعسوب المؤمنين: كناية عن قائم الزمان حمزة.

(٤) الحرَم الامين: كناية عن المسجد الحرام والكعبة في مكة.

(٥) العجل: مقصود به محمّد الذي أضلّ الناس بشريعته.

(٦) الإبليس أيضاً : هو محمّد صاحب الخِدَعِ الكثيرة والضلال الكبير.

آيات التّوحيد المحكمات، وعكَسَتْهم الأعمال الخبيثة إلى الموهَمَات المُشْكِلات. فهم بالحقيقة أهلُ النَّصَبِ والشّكِّ والشّرك والانعكاس، لرجوعهم إلى النكث بعد العلوّ والظلم والكفر والإبلاس.

أفلا تَسألون أيّها الغفلة عن الطريق القاصدة، وترجِعون عن الاشتمال بالغرور البائدة. فلكم علينا بذلُ النصيحة وإنهاج طرق الرّشاد، وإقامة حجج التّوحيد بالصبر على الأذا في مصلحتكم والاجتهاد. فإنْ أبيتُم فخُذوا حذرَكم يا أهل الغدر والنكث. واستعدّوا لِبَلاءٍ ما له لَبْث. فما أقربَ الوعدُ مِنَ الأطهار الموقنين، وما أسرعَ وعيدُ السَّخَطِ لأعدائهم المكَّذِبين. وآيةُ ذلك اجتماعُ جميعِ المِلَلِ على قتل فرقِ التّوحيد، وتظاهرِ كافّةِ الأمم عليهم بالسَّبِ والقذفِ والتشريد. فحينئذ انتظروا يا أمّة السوءِ صيحَةَ البَوار، وظهورَ كنزِ الجدار.

إذَا طلعتْ شمسُ الشموس، وتفتّحتْ أبوابُ السماء لظهور أمر المولى الإله الحاكم القدّوس. فَتَذْهَلُ عند ذلك المراضعُ عن المُرضَعَات، ويحتدم لهيب الصدور على ما فُرِّطَ من الطّاعات، وعَنَتِ الوجوهُ لأمر المولى إله الأرض والسموات. فأين يُتاهُ بكم أيّها المَرَقَةُ الفُسَّاق، وقد أُسْرِجَتْ لِثأْرِ أَهْلِ الْحَقِّ الْضُمَّرُ العِتَاق، وتَقَضَّى المِضْمَارُ وَحَانَ السباق.

إذا اشتهر من المشرق الصَّارِمُ المُشْرَفيّ، وظهر من الحجب المستورُ الخفيّ، لتطهير الأرض وتغييرِ المِلل، وقتْلِ أبالسةِ الدِّين وَنَقْلِ الدول. فيا لها من نقمة في محلّ النِعَم لهلاك أهل المِصْرَيْنِ. ويا له من بلاء شامل لفراعنةِ ما بين البحْرَيْنِ.

إذا ظَهَرَ الأعورُ دَجَّالُ العَرَب، وثارَ الخائبُ بالنَجَسةِ، أعني تلَّ الخَمْرِ المعروفة بحلب. وتَأتَّى لها من الظلم سَبَبٌ بعدَ سَبَب، فينتقم الباري

بظلمه من الظالمين، ويَبْلغَ أجله المحتوم لهلاكه مع الجاحدين. هنالك يشتهر من المشرق المُشْرَفِيّ الصّارِم، ويقوم بحدِّه على الملحدين الإمامُ الهادي القائم.

إذا فَشَا فيكم وقد كان ذلك قلّةُ الأمانات، وكثُرَ السَبُّ والقَذْفُ لأهل الدِّيانات. وصار الدِّينُ مَعيرةً لأهله على ألسنِ أولاد السلقلقيّات[٧]، وصار كالجيفة إذا أُلقيتْ، وضاقت على أولياء الحقّ الأرضُ بما رَحَبتْ. فحينئذ انتظروا صَيْحَة الفناء يا كَدَرَ الأمم، ويا بقيّةَ عَبَدَةِ العِجْلِ والصَّنَم[٨].

فأيَّ الطرق وجدتم فاسلكوا، وأيَّ حُرْمَةٍ للدِّين أصبتم فانتهكوا[٩]. فقد رُفِعَتْ عنكم الأقلام، وتمّ التمام، وانقطع الكلام، وبلَّغَتْ ما أودعَتْه النذرُ الكرام.

والحمد للمولي الحاكم وليّ الفضل والمنّ والأنعام، والشكر لوليّه الهادي بَدْرِ الدُّجُنَّةِ ومِصباحِ الظلام.

تمّ التقريع والبيان، بمنّة مولانا وتفضّلِ قائم الزمان.

---

(٧) السلقليّات : الحداد الألسن.

(٨) العجل والصنم: كناية عن محمد وعليّ صاحبي الشريعتين.

(٩) قد تكون «لعنة الدِّين» في الممارسات الكلاميّة المألوفة من تأثير موقف الموحِّدين من الأديان. فهم يُجوِّزون «انتهاكها»، والقضاء على «حرمتها».

٦٣

الـرِّسَـالـةُ الـمَـوسُـومَـةُ

بتأديبِ الولدِ العاقّ من الأولاد،

الغَافِلِ عَن تَغْيِيرِ الصُّوَرِ العَاصِيَةِ عِنْدَ الانْتِقَالِ فِي دَارِ المَعَاد، ورُجُوعِ أنْفُسِهَا إِلى الانْسِفَالِ بَعْدَ العُلُوِّ بمُصَاحَبَةِ الأضْدَاد.

يبدو من عنوان الرسالة أنّها تتناول موضوع تقمّص الأرواح وانتقال «الصور»، أي النفوس، عقاباً لها لعدم إيمانها بالتّوحيد. وُجِّهَتْ إلى الولد العاقّ المحتاج إلى تربية دينيّة وإلى إيقاظ نفسه من غفلتها. فيها كلامٌ جريءٌ جدًا على نهاية مكّة «مقطرة الكفر» على يد حمزة، في اليوم الأخير. وهو موضوع أساسيّ فيها وفي كثير غيرها.

بسم الإله العالم بسرائر الخلق، الفاضح لضمير من دَلّسَ على أهل الحقّ. مِن الوالدِ الحَنين الشَفيق، والطّبيبِ النّاصح الرفيق، إلى وَلَدِهِ الواقفِ على نَهْجِ الطريق، الغافلِ عن التفكير والتّوفيق، والرّافضِ لسبيلِ أهل التسديق والتّحقيق.

أيّها الولدُ عَصَمَكَ الباري من نَزَغَات الأبالسة والشياطين، وجَنَّبَكَ مهاوي الغاويين المارقين، وألهَمَكَ الأشْبَه بأهلِ الوَرَعِ والدِّينِ وجعلك لأوامر وليّ الحق مُتَبِعاً مُسَدِّقا، ولأعلامِ القيامة وشروطها مُسَلِّماً محقِّقا، ولِقُمْصِ العُجْبِ والاستكبارِ خالعاً ممزِّقا. وَكَشَفَ لبصيرَتك ما التبس بك من المعالم الدِّينيّة، وحماكَ عن التلبّس بأهل التمويه والسخريّة، الذين عكستْ نفوسُهم

الأراءَ الخبيثة، فأخلدتْها في المسوخيّة، وأوردتْها حياضَ الظمَا والعُقُوقِ إيباقاً عن العبوديّة، واستلذاذًا للخِلاف وشوَقاً للمآلف البهيميّة، وتمييزًا للنفوس العاصية من النفوس الطائعة البارّة الزكيّة.

فالنفوس النّفيسة للطافتها تتعالى عن الرّذائل بمعالم الحكمة والارتياض، وَتَتَرَقّا إلى أعلا المنازل أنِفَةً من الانسفال والانخفاض، كلِفَةً بالأمور الدينيّة منزَّهةً عن اللّدد والاعتراض.

والنفوس الكَدِرَةُ العاصيةُ لِعَلَقِها بالأبالسة المُدَّعِين معكوسة في الحلول والانتقال، مائلةٌ إلى الطرَفين المذمومين، بعيدةٌ عن التوسّط والاعتدال، قابلةٌ للنّتائج الكاذبة لِصَدَرِها عن مقدِّمَات الجهّال.

فاقْتدي أيّها الولد الصالحُ بمآثرِ أهلِ الدِّين والفضلِ، وزِنْ فعلَك بقسطاس الحقّ والعدل، ولا ترضَ لنفسك بخطّة أهل التقصير والجهل، الذين خلعوا عِذارَ الحقّ في الباطل، ورجَعوا إلى العناصر الطبيعيّة، نَكْبًا عن الحقّ وعجزًا عن قَبول تأثير المعاني العقليّة، وقصوراً عن حمل أعباء الدين الذين مرقوا منه كما يمرق السّهم من الرميّة .

فتنبَّهْ أيّها الولد الغافل فقد لمعتْ بالبعث ثواقبُ البروق، وتميّزتْ بالسعادة أولادُ الطاعة وبالشّقاء أبناءُ النّكث والعقوق، وجرتْ نفوسُهم في مضمار الحقائق فَعُرِف السّابق من المسبوق، وتنسّمتْ بسفن النجاة أرياحُ السلامة، وعصفتْ إلى اللّظَى بالمقصّرين أشراطُ القيامة، لغفلتهم عن فَراغ الزّمن المعلوم، وجهلهم بمعاني العدد المفهوم، وَوَطِئَتْهُمُ الأبالسة بالبراثن والسّنابك، وعَدَلَت بهم عن المقصد السادق إلى الجائر الآفك.

فإلى متى أيّها الولد العاقُّ على نفسك تجور وتَسْرِف، وإلى متى هذا التّصابي وأنت بفعلكَ تُقِرُّ وتَعرِف. وإلى كم تُوَبَّخُ على المناكر وأنتَ بالبَهْتِ تَجْحَدُ وتَحلِف. وكيف تتوب عن الموبِقَات وأنتَ ليمينك تَنْكثُ ولعهدك تخلِف.

أَفَأَمِنْتَ أيّها الولد التّائه قبلَ التوبة تَغَيُّرَ الأيام، وورودَك غداً لعرْضِ القيامةِ بغير تمام، وحلولَ سُقْمِ نفسِك المصارع لِسُقم عقلك بالاتفاق والالتيَام. فتكونُ نفسُك اللّطيفةُ صريعَ شهواتِك البهيميّة، وعقلُك عديماً لآلته النفسيّة، فَيضعُف حينئذ عن طلب الحقيقة قواك، وتَخْسر في المعاد أُولاك وأُخراك، وتنقطع بك من أهل الحقِّ الوصائلُ والآمال، وتطلب الإقالة فلا تُقال، وتَندم على ما فَرَّطْتَ من إهانةِ نفسك بما جَنَتْهُ يداك، وتذرِف الدم بعدَ الدموع عيناك.

فَابْكِ على نفسِكَ أيّها الولد الفقيد، فقد جاء الحقُّ وزَهِقَ الباطلُ وما يُبدِئ الباطل وما يُعيد.

وبعد هنيهةٌ تُغلَق عن التوبةِ الأبواب، ويَهْجُم على المكذِّبين العَرْضُ الحساب، فَتُجَازَى كلُّ نفس بما اقترفَتْه بعد التّذكارِ والبَيان، وتُحاسبُ على عدد أنفاسِها في مُناسَمَتِها لأهل الخِلاف والجحود والعصيان، وتُؤاخذُ بنصيحتها لأهل التقصير كما تُؤاخَذُ بِعنَادِها لأهلِ التّوحيد والإيمان، وتُسَائَلُ عن قَبولها لطاعة الإبليس المعتوه الشيطان، آخرِ عُكُورَات مُجَوَّرِ الفَلَك[1]، وأوّلُ صَبَابةِ المعصيةِ والنَجَسِ المنتهك.

أفما تُقلِعُ أيّها الوالد العاقُّ عن هذه العظائم والقبائح، وتتّعظُ بمواعظ الوالد الشفيق النّاصح، فقد نَصَحَك أيّها الولد لما تُظهِرُه من الإقرار بالتّوحيد والإذعان، وَبَرأ إلى بَاريه من عملك وتلبّسك بأهل النفاق والفسوق والطغيان.

(١) المقصود بإبليس هنا محمّد الذي وُصف بالمعتوه، وبـ «آخر عكورات مجوّر الفلك.» أي آخر «ذرّات» الكون التي تتألّف منها الأجسام. ومن المعروف في الفلسفة الذريّة أنّ آخر الذرّات تؤلّف المادّة العمياء. ومحمّد يتألّف منها.

فَفِقْ أنتَ وأمثالُك عن سكرة الجهّال. فقد تصرّمتْ حُوَيْضَةُ المعتوهِ الهَبَّال[٢]، وتقضّتْ أيّام المسيح الدجال، وتقهقرتْ بالمرتدِّين كواذب الآمال، فعكستهم باليمين رَحَى المنون وطحنتهم كالهباء بالشمال.

فأينَ يُتاهُ بعَالَمِ النَجَسِ والهلاك والمروق، وأين المفرّ بأهل الارتداد والخِلاف والفُسوق، مِن سَيلٍ عَرِمٍ يأكلُ زَبَدَهُ بجفائِه، وعمومِ طوفانٍ سيفٍ يعلو الرُّبَا مُثْعَنْجِرًا بالدمِ صوبَ سمائِه، يَطوِي طلا الباطلِ من حيثُ اندفع، ويهدُمُ الأركانَ من نواميسِ الشرَعِ.

فأينَ يَذهبُ من شواظِه أهلُ الكذب والنّكث والزّور، إذا همرتْ رواعدُه بالبعث جبالُ الحَرَمِ من جانبِ الطور[٣]، وتلألأتْ أنوارُه بالسَقفِ المرفوعِ والبيتِ المَعمور[٤]، وزَمجَرَ شؤْبوبُه بأرضِ البَحرَين واليمامة، وسَحَبَ ذيلَهُ بالخَسْفِ لَمقْطَرَةِ الكُفْرِ وَالبابِ الأعْظَمِ لِتَهَامَة، وعكسَ دُخَانُه لِذَاتِ الفجَاجِ والشعوب، وَسَعَر نارَه بِها لِهدْمِ الهيكلِ وإحراقِ بصائرِ القلوب[٥].

إذا هجرتْ بِهَجَر شموسُ القيامة لنَسْخِ عناصرِ التحليل والتّغيير، وأبدرتْ بها أقمارُ السعادة وترشّحت للبروز والتأثير، وظهرتْ من القوّة إلى الفعل وتهيّأتْ لخلع معاقِد أهل التغيير والتقصير، هنالك تنوح الأمم على عقائدها وشعوبِ أديانها، لكسرِ صلبانها، وهدم كعبتها وبيوتِ نيرانها.

---

(٢) المقصود «مادّة الاساس» (الدرر المضيّة) أي ما تقوم به شريعة عليّ.
(٣) معناه: إذا رعد حمزة يوم القيامة على جبال مكة، تنهمر الجبال أرضاً.
(٤) السقف المرفوع والبيت المعمور: كناية عن الكعبة وحرمها.
(٥) «مقطرة الكفر»، و«الباب الأعظم لتهامة»، و«ذات الفجاج» : كنايات عن مكّة وكعبتها...

إذا عَصَفَتْ شُزَّبُ[٦] المَلِكِ المظَفَّرِ المسعودِ بالنَجَبَات، وَشفعَتْها بالحقيقة عزيمةُ الموحِّدين السادات، وتشعشعت الآفاق بقطع النحَل المُحرِقة بحقائق المتعبِّدَات، وتسرَّعتْ للخروج أسباطُ الحقِّ الكنوزُ المختزنةُ بالواحات، واهتزَّت الأرضون لظهور القائم إمام التنزيه والتجريد، واشتهرت في الأقطار ممالكه بميامن التقديس والتّوحيد، فَيَومَئذٍ تتفيّأ بالظلال المُركَّبَات، وتُظهرُ الشهادةَ على الجاحدين الجواهرُ المبدَعَات، ويتجلّى للعوالم بأمره المولى إلهُ الأرضِ والسمواتِ، وتتحلَّلُ معاقدُ الأبالسةِ بخرْق العاداتِ،

فَتَحْصَرُ حينئذٍ عن التحديد والصفات العقولُ، ويتعالى عن البديهيّة المَثَلُ والممثول، ويَعجَزُ عن مواردِ الاكتناه السائلُ والمسئول. ويتبوّأ مقعدُه من النعيم بقَبوله الفاضِلُ ومِن المَقْتِ والسَخَط بخِلافه المفضول.

فالبُشرى لِمَن رضي وسلّم قَبل الفوات، وبرأ إلى هاديه ومالكه من الأبالسة وأشياعهم قبل حلولِ يوم الميقات. والويلُ وسوءُ الجزاءِ لمنْ أدركه البعثُ وهو مصاحِبٌ لأهل الخلاف والشتات.

ألّلهمّ فأنتَ الشّاهد على مَن خالفَ بإبلاغي السادق حجّتِك. وأنت العالم بإنهاجي بجَهدِ الطّاقة لواضح محجّتك.

فأنجزْ ألّلهمّ وعدَك لوليّك في أوليائه كما أوعدتَه. فهو أمَرَنَا بالدعاء إليك كما أمرْتَهُ وأيَّدْتَه، وصلِّ عليه كما وَصَلَ ما أمرتَ بِصلَتِه، وَقَطَعَ ما نَهَيْتَ عنه وأبَدْتَهُ. فلك الحمد على إملائك وإمهالك للأمم، والشكر سببًا إليك لوليّك على مواصلة النعم.

تمّتْ والحمد لمولانا وحدَه. والشكر لقائم الحقّ عبده.

---

(٦) الشزَّب: الخيل الضوامر.

٦٤

الرِّسَالَةُ المَوسُومَةُ

بالقَاصِعَةِ للفِرعَونِ الدَّعِيِّ

الفَاضِحَةِ لعَقِيدَةِ الكَذَّابِ المَعْتُوهِ الشَّقِيِّ.

بعث بهذه الرسالة بهاء الدِّين المقتنى، سنة ٤٢٧ هـ ردّ فيها على ابن الكردي الذي ادّعى أنّ روحَ الحاكم حلّتْ فيه، وأنّه هو الحاكم، وأنّ الله اتّخذه له مسكناً. وابنُ الكردي هو نفسه «سكّين» الذي عرفنا بعضاً من قصّته في مقدّمة الرسالة رقم ٤٦.

توكّلت على المولى المنزّه عن تحديد الفاسقين والمارقين، وتوسّلت إليه بعبده القائم لهلاك مَن شكّ فيه وألحد في حدود الدِّين. من العبد المقتنى الضعيف العاجز الفقير البائس إلى رحمة مالكه الإمام القائم لتنكيس أعلام الباطل وهتك عقائد الملبِّسين، والقاطع لِشرَعِ الفراعنة والأبالسة والعُصبة المكذِّبين، لآيات حكمة قائم الحقّ ورَجْعة ظهوره، والجاحدين لقيامه على العوالم وحسابه ونشوره،

إيقَاظًا للسَّهوَةِ المفتَرين، وفلَجًا بالحجَّة على المَرَقَةِ المرتدِّين الناكثين، وزَجْرًا للشياطين، الفَسَقَة المدَّعين المخترصين. ونبرأ إلى الباري تعالى مِن نَجَسِ كلِّ معتوه أفّاكٍ مهين، اتخذَ إلهَهُ بعدَ فلَج الحجّة عليه هواه، ورجَعَ في وقت التمييز بالزَّعجِ إلى العنصر الخبيث يستوعبُ شقاه.

أمّا بعـد، فالكبـرياء والجبـروت، والإجلال والملكوت، للمـولى المنزّه بلاهوت قدسه عـمّا تتصوّره العُقولُ من الغـيبةِ والحضور، بتغـيير الألفاظ ويَخـتلِجُ في سـرائر القلوب والـصدور، الـعالٍّ لعـلّةِ العللِ الموجـوداتِ في الأزمـان والدهور، القاضي لأمـره هادي الأمم بالفَلَجِ والغَلَبِ بعـد أَيَاسِ كلٍّ مرتدٍّ جاحدٍ كفور، والقـاطعِ لحبائل مَن أوصَل الباطلَ وَمَرَدَ عن الحقّ وشكّ في حقـيقيّةِ الظهـور، والفاضحِ لضمـير مَن ألحد في حدود الدِّين وقَـذَفَهُمْ بالإفكِ والكَذِبِ والزّور.

وصلواتُ الولي تَتْـرَى عـلى خَـدَمِ دعـوته ذوي الطاعـة وحـدوده، الواقفُ كلٌّ منهم مُنْصِـتًـا لموعد ظهـورِه بمحلّ قـدسه ومَـوْضِـعِ سجـوده، الدّاعيين بالحـقيقة إليه ابتـغاءً لمرضاته والتسـليم لأصغر عبيـده، المرتقبين لِــهَــدْمِ دَارِ الــفَـــاسِـــقِـــيْـــنَ في ظلِّ راياتِ حـقِّهِ وبنوده، البـريئين ممَّنْ شَطَن عنه لعـمَى بصيرته وشكَّ في ظهـوره لطول الأمَدِ لِمَرَضِ نفـسه وضلالته وعـنوده، الذين عَيَّنَتْهم أسفـارُ حكمته بالبَلَسِ والنِّفاقِ والـطّغيان، والخروج عن طاعته واللّدد والفسوق والحرمان، في قوله :

«واعْلموا أنّ غـيبتِي عنكم غيـبةُ امتحانٍ لكم ولجـميع أهل الأديان».

فَـبَيَّنَ لأوليـائه وحدودِ دعـوته، وأشهـادِ دينه وحَـفَظَةِ حكمتـه، أشخـاصَ المموِّهين المنعكِسين، ومروقَ مَن صـدَّ عنه وشكَّ في وليٍّ حـقِّهِ من الخـوَنة الملبِسّين، ليـباينوهم أهلُ الحق بالاعـتقاد والقـول والعمل، ويُوقِـفُوهُم بفَلَجِ الحجَّـة على هذا الخطأ العظيم والزَّلل، لأنّها هيـاكل قد أَزْعَجَتْ أرواحَـهَا عن أماكنها بمصارِع الشـَهَاوت، لتـتَّحدَ بأشكالِها أهلُ المروقِ واللّدَد لقربِ هجومِ يومِ الميـقـاتِ، ولِوَهَنِها عـن الحقِّ قد جـذبتْـهم الفـترةُ إلى عنصـر البـاطل أصحابِها ، وكَشَفَهُمُ الحقُّ عن الاعتقادات المكذوبةِ النجسةِ بقناعها ونقابها.

فيـا أيّهـا الشرذَمَـةُ الأقَلُّون الأرذَلون، والعُصـبةُ المَهـينَةُ، هي ومَن أضلّها الأفّـاكون المختـرصون، الذين سـوّلتْ لهم نفوسُـهم لمرضِها خـبيثَ

الأماني، فاعتقَدوا الأعراضَ الزائلةَ بفسادِ نيّاتهم عوضاً من مُحَقَّقاتِ المعاني، فأعـدَموا الباري تعالـى بِنَجَسِهم ووليَّ الحقِّ قـائمَ الدِّين، وأشاروا بالكَذِب والادّعاء إلـى أقلِّ عبـدٍ من عبـيده المقـصِّرين المُسـتَضـعَفين، طَلَبـاً بالكَذِبِ والخداعِ والتـمويه لرفع منازلهم على الأنام، وتنكيـلاً بالدِّين وخُبْثـاً وحيلةً على الزائل الفاني من الحطام.

أللّهمّ فاشـهد على صـحّة بَراءَتي من قول هذا الكَذّاب النَّجِس الموجِبِ البَلَسِ والنفاق، والعَنْ مَن رَضيَه مني واعتقدَه مِنْهُم فهُمْ على النَّجَسِ والشكِّ والأباق؛ وأَقْبِحْ أللّهمّ مَن اعـتقدَ هذا الرأيَ المَهينَ السـخيف، وَاسْحَقْ بالبُـعدِ واللَّدَدِ لهذا الدَيِّنِ المكذوب الضّعيف.

وباللّه إنَّ لَيَعزَّ عليَّ هذا الخِطاب، ولكن لا قدْرَ للباطلِ في جانب الحقّ والصواب. وأيضاً لا هوادة ولا إكرامَ لمن اعتقَد هذا الاعتقاد، وإنّما أَفَضْنا في هذا إكراماً للحقِّ وإجلالاً لمنازل أهل الطاعة ذوي الألباب.

وباللّه لقـد علمتُ أنّكم إنّمـا ثبَـتُّم هذا الأمـرَ إلاّ على مقـدِّمـاتِ غَلَطٍ تقررّتْ عندكم بالسهو والوهم، وعرّفتُكم خُبثَ هذا الرأي ونَجَسَ مَن ابتدأ به على يد الشيخ أبي القاسم والشيخ أبي الخير، ودحـضتُ ما ذَكَرَهُ بمحقَّقَات العِلم، فما الذي أضـلكم بعد كمال الطاعة وسلوك نهج الـسبيل، وأزالكم عن سنَن الحقِّ فشككتم في نصح السادق الدليل.

فمـولانا الحاكم إلهُ الآلهـة يلعنُ مَن رَضي بهذا القـول واعتـقد هذا الاعـتـقـاد، ويُبَـرِّئ أهلَ الحقِّ منه وَيمْسَـخُـه في أخسِّ الهـيـاكل وأنجسِ الأجساد. وَيَلْعَنّي وَيُبعِدُني ويُقْصِيني إلهُ الآلهة البارُّ العلاّم، ويعاقبُني بما لا قـوّةَ لي به مـن العـذاب والانتـقـام، إنْ كنتُ تصـوّرتُ هذا الفِـسق الذي اعتـقدتموه في نفـسي، أو أشرتُ به أو جرى في فكـري أو خِلدي أو حسّي. فأنـا بريءٌ من إلهِ الآلهة، لا يقْـبلُ منّي عُذراً ولا توبةً، ولا يوجِـدُني من هذه

البراءة رحمةً ولا أوْبَةً. فمَن تعقّبَ بمثل هذا الكفر بعد هذا القَسَم بقولٍ أو شكٍّ، فهو ضِدٌّ ملعونٌ من جملةِ أهل الأباق والعصيانِ والشرك.

فَوَحَقِ الحقِّ كَذِبَ الذي أضلّكم عن الحقِّ وكذبتُم، وفسَقَ عن الحقِّ وفسَقْتُم، وأشرَكَ في الدِّين وأشركْتُم، وألحدَ في الدِّين وألحدْتُم. فعليكم اللّعنةُ وسَخَطُ الباري إنْ دُمْتُم على هذهِ العقيدةِ وأبلستُم.

وباللّهِ إنَّ مَن جَحَد الفضلَ والإنعامَ، لأفضل عندي ممّنْ عرَّض بهذه البدعةِ لعبدٍ ضعيفٍ مذعنٍ بالطاعةِ والمملكةِ. وإنّه أصغرُ عبيد وليِّ الزمان.

فيا أقلَّ الأرذلين ويا كدَرَ هذا الأوان! إعلموا أنَّ نفوسكم ونفسَ الذي أضلّكم لتقصيرها شَرَدَتْ عن معاني الحق، ولِضُعفِها عن مقابلة أنوار الحقائق استحسنتِ الكذب وخرجتْ عن السدق، وإنّما الذي أظهرتموه وأظهره الخائب الذي أضلّكم عن توحيد الباري تعالى عن قولكم ومعرفةِ الإمام، وظَهر من ألسنتكم بُمشاكَلَتِكم لأهلِ الطاعة لموافقتِكم لهم في الطبيعة والأجسام، لأنّها، أعني نفوسكم ونفسَ الذي أضلّكم، عجَزتْ في القِدَم أن تتَّحدَ بالعنصر الكريم الشريف. فلذلك لَحِقَهَا الوهنُ عن تنزيه الباري تعالى عن العبارة والتكييف، فشككتم في محلّ قدس الإمام فأعدمتموه وأشرتم بعمى بصائركم إلى أقلّ عبد من الخلق الضعيف.

فباللّهِ، لقد كَذَبَ الذي أحادكم عن الحقِّ وسقاكم نَهَلاً من السَّمِّ الزُعاق، وأهلكَ الجزيرة وأهَبَّ فيها أرياحَ الخَبالِ والفسادِ والإشراك والنِّفاق. فلو كان الخائب وأنتم من أهل التمييز وذوي العقول، ومن أهل النباهة لطَلَبِ الحقِّ ومعرفةِ الفاضلِ والمفضول، لعلمتم أنّي أنا المُواخَذُ بذنوبكم إذا سترتُ عنكم الحقَّ، والمُعاقَبُ اذا صَدَدْتُكم عن معرفةِ الإمام، لأنّني أكونُ قد دفعتُكم ودلّستُ عليكم وغشّيتُ جميعَ الأنام.

وأيضاً يا أهلَ الغَـفْلَةِ إذا كان الإمام يسُبُّ مَن اعترفَ بـه ويَتبرّأ منه، ويقذف مَن أقرَّ بإمامته وَيلعَنُه، فأيُّ حجَّةٍ تقومُ له أو للباري على الأمم، وقد عَـصَى باريه على قـولكم فـيـما أمَـرَهُ به من تبليغ الحـقِّ على رأيكم وَظلَم. وأيضاً يَبْطُلُ عِـقابُ مَن خالفه وعـصاه، إذا كان هو الذي سـترَ عنكم الحقَّ، وأبعدَه وأقصـاه.ألّلهمّ إلعنْ مَن تَعامى عن الحقّ، واكشِفْ سِـتْرَكَ عمّن أغَشَّ أولياءَك وأضلَّ الخلْق.

وأمّـا مـا استـشـهـدَ لكم به إبنُ الكردي من الحكمـةِ المذكـورةِ في «الشـافيـة»[1]، فَـقَد وحَقُّ الحقِّ كَـذَبَ وحَـرَّفَ وشَطَنَ، وأرادَ إخمـاد الحقِّ بالباطلِ ونَـعَقَ ولعن، فقد جـعلكم بهذا الكذب والتـمويه بعـد الإلفة أشيـاعًا وأفراقًا، وملأ قلوبكم بعد الطهارة شكًا وإبلاساً وعُنوداً ونِفاقًا.

وأمّا القـولُ الذّي استشـهد لكم به ابنُ الكردي من الحكمـة المذكورة على البـاطل والإعدام، فإنّـما أرادَ الإشراكَ بالـباري جلّ وعزّ وإبطـالَ طاعةِ الإمام، ليـتَعَـيَّنَ القولُ المنسـوبُ إلى فراعنةِ الـشّام، والمخاطبـةُ لهم بالسَّـفَه الأجلاف الأغـتام، لأنّهم لبَلَهِهم لم يعـرفوا دورَ السِتر ومـا كان فيه جـميعُ الأمم من العَمَا والضَلال، وإنّما أخرَجَـهم الباري تعالى من العدم إلى الوجود بِمَعالِم الإمامِ القائمِ الهادي، العقلِ الفعّالِ.

فإنْ لمْ يعتـرفْ مُصَنِّفُ الشّافِيَـة أنّها مِن فيضِ حكمة الإمـام القائم الهـادي، وأنّه عبدٌ ضـعيفٌ مـذعنٌ بالطاعـةِ والملكةِ لِما مَنَّ عَليـهِ من النِعم والأيادي، فهو أعني مـصنّفَها مُبْعَـدٌ مَلعون، كَبُعْـدِ ابن الكردي الذي سقاكم هذا السَمَّ وأرادَ رفعَ منزلتِه فوضعَها، وطلب أن يُوصِلَ حبائل الباطلِ فدَمَغَهُ الحقُّ وقَطَعَهَا.

---

(١) رسالة رقم ٣٤، وعنـوانها: «الرسـالة الموسـومة بالإعـذار والإنذار، الشافيـة لقلوب أهل الحقّ من المرض والاحتيار».

ولو علم هذا الناكثُ الجـاهل أنّ الذي جرى في الشـافيـة من تثبـيتِ الوجود، أنّه احتجاجًا عليـه وعلى أمثاله من أهل الشطن والشرك والجحود، لتأمّلَ الفصلَ الذي يتلوه وعلمَ إقرارَ قائِلِهَـا بما هو عليه من العجز والضعف والخضـوع والسجـود، في مثل هذا الشـرك المنهي عنه، وهوَ وعلى أنّني لا أزوي إلى نفسي شيئًا منه، ولا بحـولي وقوّتي أُتَرْجِمُ عنه. فما كان في هذه الرسـالةِ من صوابٍ وجـزالةِ خطابٍ ، فـهو من بركـات قائم الزمـان، ووليٍّ الفضل والأحسان. وما كان من زللٍ أو خطأ فهو مردود إليّ، وموقوف عليّ. أتوسّلُ في الإقـالة منه إلى من هو منّي بضـمـيري أعلـم. وأضرع إليـه في الهداية إلى الطريق الأرشد الأقوم.

فهذا يَرغُمُ أنوفَ الكَذَبةِ المدّعين، فـيما بيَّنَهُ في الإعذار والإنذار[٢] من حكمـةِ وليِّ الدِّين، في قوله: وَاعـملوا أنَّ غيـبتي عنكم غـيبـة امتحـانٍ، لكم ولجمـيع أهل الأديان. فمن وَفَا منكم بما وَثُقَ عليـه، ولم يَنْكُصْ علي عَقَبَـيه، فسأوتيه أجرًا عظيمـاً، وأنيلُه مُقامًا كريمًا. ومَن انعكسَ وارتكسَ، وصَدَّ عن الحقِّ وأبلسَ، وأصـغَى إلى الـشـيطان بما زخَـرَفَ ووسـوسَ، أُدْخِلَ تحت الجزيةِ، وأُوقِعَ به الذِّمَّـةُ والخِزية جزاءً بما احتـقبَ، وانقلبَ ألى أشرَّ منقَلَبٍ، ذلك لمَا عَاندَ وكَذَب.

فهذا يـكفي احتجاجـاً لمن غالط نفسَه واسـتند إلى الادّعاء والارتداد والظلم، فانتبِـهوا أيّها المرقة إن دمتم على هذا الكـفر المنهي عنه لأداء الجزية ولِبْسِ الغيار، يا قَتَلَة الحقِّ وفَعَلَة الأثم.

وأمّا الأستشهادُ من قولِ عـبد الدِّين فهو تقليدٌ خارجٌ من نِظام العلم، داخلٌ في الخَرَفِ والغَلَط والوَهم. وإنّمـا لَجَا إليه هذا الجِلْفُ لبـلادَةِ تصوّرِه

(٢) رسالة رقم ٣٤ الآنفة الذكر.

وغَلَطِ الفَـهمِ. فَـالأَولَى بِمَنْ عَـزَبَ عنه لبُّـهُ إذا ذُكِـرَ أَنْ يَتَـذَكَّـرَ فَيَـرعَـوي. والأحسنُ بِمَنِ استغواهُ الشيطانُ فأبصَرَ أن ينزجِر فينتهي.

والآنَ فقِـسْطَاسُ الحكمـةِ وحقُّ الدِّين ومحضُ الاعـتراف، ومـيزانُ العدل وحـقيقيّةُ الإنـصاف، يُحَقِّقُ عند أهلِ الحقِّ وجوبَ سَـخَطِ الباري على مَن أنكر ظهورَ قائم الزمان، ومجازاته للعوالِم بعدَ غيبة الاختبار والأمتحان، أعني هذا الإمامَ المنصوصةُ إمامتُـهُ على رؤوس الأشهاد، بأنّه المنتقِمُ بسيف المولى عند ظهوره من أهل الشكِ والمُروق والارتدا والعناد.

يا ويلَكم! هذا ينطِقُ من حيثُ العوالِمِ يسَمـعُه منكم الجَمُّ الغفيرُ ممّنْ حضـر في أقطار الأرض وآفاقِ البلاد. فالبـاري منزّه عن ذكر هذه العصـبة المارقة الدّعيّـة ووليّ الزمان يلعن وحدودُه يلعنوا ويتبـرّؤا ممّن لم يتبرّأ من نَجَسِ مَنْ أَضلَّكم بهذه الفئة المنكوسةِ العميّة، أعني إبن الكردي ما داموا على التسديقِ لزخرفـهِ وكَذِبِ مقالتِه والتمسكِ بما اخـترصَه لهم هذاالنَّجِسُ طَلَبًا لِنَيلِ الحطامِ لركاكةِ عـقله ووهنِ دينه وضلالتِه؛ وكثيرٌ مـتبرِّئون من شَطَنه وادّعائه غيرُ منزلتِه لعُظْمِ جهالتِه.

فهـذا إِفْراقٌ بين أهلِ الحقِّ وبين المرتَدِّين الناكثين، وحـجّةٌ مدحِـضةٌ لباطل مَن أنكرَ هذا ودامَ على الإلحادِ فيما بعدَ اليوم مِن الفَسَقَة المباهتين.

فتوبوا أيّها الإخوةُ عن هذا السهوِ الذي عن الحقِّ ألهاكم، وابرأوا إلى وليِّ الدِّين ممّن شطن عن الحـقِّ وأضلّكم وأغواكـم. وكونوا بكمـال الطاعـة وذوي العدل والفهم والإنصاف، واقلعـوا عن هذا السهوِ ولا تكونوا من أهل السَفَـه والأرجاف. ولا تتأوّلوا على أهل الدِّيـن بما لا تَعلَمون. فقـد أنصفكم مَنْ لا يسألُكم عليه أجرًا وأنتم له ظالمون.

أللّهمّ فخـذْ بنواصي الذين توهّموا البـاطلَ حقًـا إلى الحقّ والرشاد، وجنِّبْـهُم بعـدَ إخـلاصِ نيّاتـهم عن طُرُقِ أهلِ العَـيث والفـساد، وأوقِـفْـهُم بالاعتراف لمـعالم ظهورِ الإمام القـائم بهذا النبأ العظيم الهاد، القـائم لفصل القـضاء والجـزاء للعبـاد. والحمـدُ للبار القـاضي لوليّـه بالفَلَجِ والغَلَبِ، إذا تقضّتْ مدّةُ القاسِطينَ وآن حلولُ يومِ الميعاد.

وكُتِبَتْ في شهر رَجَب من السنة الثـامنة عشر من سنين عبد مولانا ومملوكه هادي المسـتجيـبين، المنتقم من المشركين بسـيف مولانا سبـحانه وشدّة سلطانه. تمّتْ والحمد لمولانا وحده.

٦٥

كتاب أبي اليقظان

وَمَا تَوفِيقِي إلاّ بِطَاعَةِ حُدُودِ وَلِيِّ الأمْر.

بَعَثَ بَهاءُ الدِّين بهذه الرسالة إلى الشَّيخ أبي اليقظان، يدعوه فيها لزيارة خلوةٍ من خلوات الموحِّدين وتفقُّدِها ، وذلك ليُعلِمَه على وضعِها ووضعِ أهلِها. إلاّ أنّ أبا اليقظان قُتِلَ قبل أنْ تصلَ إليه الرِّسالة. ولذلك سوف يتكرّر إسم أبي اليقظان وصفاتُه الحميدة على لسان بهاء الدِّين وفي رسائله اللاّحقة.

بسم اللّه الرَّحمن الرحيم، مِن العبد المقتنَى بهاء الدِّين الصغير المنزلة والقَدْرِ، المُقِرِّ بالمملكة والمذعنِ بالطاعة لحدودِ وليِّ الأمر، الممتحَنِ لِضُعفِه بشياطينِ الفترة وفراعنةِ هذا العصر، إلى الشيّخِ الثِقةِ المأمون أليفِ التّوحيد، وقَسيمِ التوفيق والتسديد، أطالَ اللّه على منهج الثقة والتسديد مدَّتَك، وأدام في دَرَجِ العلوِّ رُقيَّكَ ورِفْعَتَك، مَكْلُوءًا من هَمَزَات كلِّ شيطان غَويٍّ رجيم، محفوظاً مِن نَجَسِ كلِّ مرتدٍّ لمّازٍ مشّاءٍ بنَميم.

أمّا بعد، فالحمد والقدس للمولى الإلهِ الحاكم المنزّه عن تنزيه جميعِ الخلق، المختصِّ بمجد تنزيهه وتوحيده لأمره الإمامِ الهاد وليِّ الحقّ، لئلاّ يُشرِكَ في حقائقِ حكمتِه مباني التخليق بمعاني الإبداع، ولِيُكْمِدَ نفوسَ أهلِ الشَطَن والكَذبِ والبَلَس والاختراع، لِيَتَعَيَّنَ في الفرق بين العقلِ ومعقولاته

وبين ما اتّحدَ بالمطبوعاتِ المحمولةِ على الأوضاع، وليَتميَّز أهلُ العقلِ والحقِّ باختصاصهم بفهم الحكمة والقَبول للحقِّ والاتّباع، مِن حزب الباطل آل الشك والارتداد والمروق والأبتداع.

وقد علمتَ يا أخي أسعدك اللّه بتعويلي عليك في إبلاغ الرسالة إلى أولادي وإخواني، ووصيّتي إيّاك بالعطفِ عليهم واللّطفِ بالصغير والكبير والبعيدِ والداني، وتقريرِك عندهم ما أنا مُنْطوِيٌ عليهِ من الدّعاء بحسن التوفيق لكافّتهم في سِرّي وإعلاني.

وسألتُكَ المكاتبةَ بما تستوضِحُه من أمورهم: أَهُمْ على التوبةِ والطاعة والوفاء والقبول؟ أم عَلى ما وَصل إلينا من الاختلافِ والارتدادِ والعِصيانِ والعدول؟ وحاشا صحيحَ نيّاتهم من عبارة هذه الألفاظ؛ وإنّما هي نَفْثَةُ شيطانٍ عَرَضَتْ لِضمائرهم كوميض السراب للألحاظ. ووليُّ الحقِّ يَطرِف عنهم أعينَ الفَسَقَةِ ويُرسِلُ عليهم النُّحَاسَ القاتِلَ ومُحرِقَ الشّواظ.

فإذا أنتَ وجدتَهم على الخُلْقِ السهلِ القويمِ، ورأيتَ استمرارَهم على حسب ألفاظ الرسالة بالقبول لها والصبر والرضى والتصديق والتسليم، وتحقّقتَ صحّةَ نيّاتِهم بالتبرّي ممّن أحادَهم عن الحقِّ وشَنَعَهُم بهذا المَيسَمِ الذميم، وسَبَرْتَ حالهم ممّا يعاملونَكَ به من التصديق والإكرام والتبجيل والتعظيم، ونظرتَ إلى تأدية حقوق بعضهم لبعض، وما يوجبُه كلُّ واحدٍ منهم على نفسهِ لأخيه من الطاعة والفرض؛ فإذا أنتَ عَلِقْتَ منهم بهذه الخلال، ووجدتَ ضمائرَهم مطابقةً للأقوال والأفعال،

فَأَقِمْ بَينهم منارَ الحقّ، وَعرّفْهم عَوَارَ مَن شَرَدَ إلى الباطل والكذب لعجزِ نفسه الخبيثةِ عن السدق؛ كُنْ بينَ ظهرانيهم مدّةَ هذا الصيف أو بعضَه قاطِنًا مُقيمًا، وساوي نفسكَ بالشيوخِ الفاضلين، وَكُنْ لهم في رأبِ هذه الجماعة وإصلاحِها أمينًا قسيمًا، أعني الحسنِ علي ابنِ الحسين الخيّرَ

الرّئيس، وأبا الماضي وَافِدَ الطَّاهِرَ القدّيسَ، وأبا الخير سلامة ابنَ جَندَلَ الدِّينِ النَفِيس، وأبا الفضل حمزةَ ابنَ أبي منصورِ الشريفَ الفخرِ والتأسيسِ.

وكونوا على الطاعة إخوانَ الصفاء والطِفُوا بالأطفال الصغار، وَأَلْحِقُوهُم بالسياسة والتواضعِ والإكرام والتبجيل بمنازل الشيوخ الكبار، وانزِعوا رداءَ التكبّرِ فهو الذي أهلَكَ مَن أوردَكم مواردَ الأشرارِ والكُفارِ، وعلِّموهم سَجايا أهلِ التّوحيدِ بَوطاء النفوسِ ومكارمِ الأخلاق، وأَلينُوا لهم جانِبَ الشَّرَسِ ليتميّزوا من أهلِ الجفاء واللّددِ والنفاقِ، وصونوا كرائِمَكم من الأخواتِ والأولادِ، وارغُمُوا بالسِترِ أنوفَ أعداءِ الدِّين الفَسَقَةِ الأضداد، الذين كانت إجابتهم إلى الدِّين مَيْلاً إلى الراحة والإباحة واتّباعًا لبهيميّة النفوسِ؛ وإذا أنتَ وعظتَ فيهم لِصَونِ أهلِ الدِّينِ يَرْجِعُ بهم خبيثُ العَمَلِ إلى العالَمِ النَجِسِ المعكوسِ.

أيّها الإخوة الطَهَرة! استدركوا حفظَ أعراضِكم بالرفق فقد أوثغتْها المعروفةُ بالسرّيّةِ البَغِيّة، المساعِدةِ لِحَسَنِ المَحَامِليِّ وأشباهِهِ بالأفعال النجسة الرديّة، وقدِ اعْتَوَرَتْكم الأبالسةُ وسلكوا بكم المهاوي البهيميّة، فانزجِروا عن مهنهم الخبيثة واتّحِدوا بالحقائق الدِّينيّة.

وانفِذوا نُسْخَةَ هذا الكتاب إلى الشيخ السادق صفيِّ الدِّين الثابت الجنان، أبي القاسم نصر ابنِ فَتُوحِ الفصيحِ القلب واللِّسان، فله أعمالٌ مُنيفَةٌ تشهد له بالطاعةِ والتسديق والإذعان، وتَسِمُهُ بِسمَةِ دعاة أهلِ العدلِ والعفافِ والرّجحان، ليَقْرَأَهَا بدِمَشقَ على مَن أنِسَ إليه في سِتْرٍ وَرِفْقٍ مِنْ جَماعةِ الأخواتِ والإخوان، ليتعيَّنَ لهم قبْحُ مذهبِ طِرَادِ الطريدِ السارق الملعون الخوّان، الذي أخذ دينَه عن لاحقٍ المرتدِّ النَجِسِ المنافق، أوّل مَن ابتدع مذهبَ الإباحةِ وجعله سلَّمًا لكلِّ مرتدٍّ مارق، اعتقد دينَه للراحة لهواً ولعباً، وخديعةً لأجلافِ الأمّة وللحُطام معيشةً ومكسبًا ؛ قاتَلَهُمُ اللّهُ كما أقاموا

الفِـتَن وجاروا على أهلِ الدِّينِ والحقّ، وأطـلقوا عليـهم عِقـالَ المِحَنِ والسَّبِ والقذفِ لِما فعلوه على ألسن جميعِ الخلق.

فأقلِعُـوا أيّها الإخـوان الطَهَرة عن مـصارع شهـواتِ الكَذَبَةِ المدّعين، وتبرّأوا منهم ومن مـعتقـداتهم النجسـة إنْ كنتم موحِّدين، فَـقَدْ وَحَقُّ الحقِّ نصـحتُكم إن كنتُم تُحـبّون النّـاصحين، وأنا بريءٌ مِن نَجَس هذه المحـدَثات. ووليُّ الزمانِ يلعنُ مؤسِّسَها إلى أبعدِ الغايات.

وباللّهِ لو أنّ مـعتـقدَكم مـذهبَ التّوحـيد اعـتقـادًا للّه خالصـاً ولم تمزجوه ببهيميّةِ الشهوات، لم يكن لأهلِ السَفَه عليكم يدٌ وَلَسَلِمْتُم من جميعِ الموبِقَات.

فـاجتـهدوا أيّـها الإخـوة الطَهَـرة، وتعاونوا على قلـعِ هذه العقـائد النجـسة بالتـقـوى والبِرِّ، واقطعـوها من قلوب الجـماعـة فَـقَطَعَ اللّهُ أصلَ مبتدِعِـهَا بقَصْمِ الوَتِينِ والظهرِ، ولا أوجدَهُ رحمـةً في يومِ الجزاء والحسابِ والنّشر.

وقـد بلَغَني أنَّ سُكَـينَ أمـرَ الكافَّـة وفـرضَ عليـهم تأديةَ الأعـمـال والنّجاوي والزكـوات، وأنّه كان يحضّ الجـماعة على تأدية ذلـك ويَقبَضـهَا منهم في سائر الأوقات.

وقد علمتم أيّها الإخوة خـروجَ الأوامرِ العالية بالمَنْعِ عن ذلك والنهي عنه إلى جـميع الآفـاق، وَقَبِلَـهُ أهلُ الدِّين والحقِّ وخالفَ الأمـرَ أهلُ الارتداد والشكِّ والنفاق، خـلافاً للأوامرِ العـالية وأياسًا من وليِّ الحقّ وخـروجًا عن الطاعة إلى العصيان والإباق.

وقد تحـقّقتِ الكافَّة أنّ هذا الأمر قـد قاله وذاع عنه وصحّـحه عندي جماعةٌ منهم أنّه جعَلَ نفسَه من الحدود العالية وأنّه الرِضَى صاحبُ السَفارة

والكلام. ثمّ أنّه أنفذَ إلى كثيرٍ من المواضعِ يكاسرهم عن المقتَنى الذي هو أصغر الحدود أنّه الإمام.

فقد صحّ أنّه لا دينَ له، وإنّما فعل ذلك طلبًا للدنيا وحيلةً على جميعِ الحُطام، فالباري يلعن مَن رضيَ بهذا الاعتقاد، ويكشِفُ سِترَهُ عمّن دلّس على أهلِ الحقّ وأرادَ إضلالَ العباد.

ولمّا فحصتُ عن أفعالِ الخائبِ سُكَيْنٍ فوجدتُها مدخولةً بالبَلَس والطغيان، بتغييره لرسائل الحكمة لركاكة عقلِه بالزيادَة والنقصان، كما فَعَلَ المعتوُه برسائل قائمِ الزمان. وإنّه اجترى بخبثه وشيطنتِه إلى أن بدّل بالكَذِبِ ميثاقَ وليِّ الزمانِ، وابتدعَ مبتدَعاتِ الخونةِ الفسّاق، وجرى في مضمار أهلِ النكثِ والسرقِ والإباق، وهو الذي أهاجَ الفتنَ وهدَر دماءَ الموحّدين، وأطلقَ عليهم ألسنَ السفهاء وسيوفَ المخالِفين، بتسويغه لمن سوّغَ من الشبابِ ما يحاسبُه عليه إلهُ العالمين، من سفكِ الدّماء وإخافةِ السبيل وفسادِ حال المجاورين، ليُشبعَ بَطْنَهُ بتكليفِه لهم ممّا هو محرَّم في أصولِ الدِّين. ولا يجوز أنْ يأمر به الإمام العدل هادي الخلق أجمعين.

ولو أنّه نزع ثياب التكبر وحلّة الأرذال، وساس الموحِّدين بسياسة أهل العدل والوفاء والكمال، ونهاهم عن التعرّض لَمَا يُخْلِقُ وجوهَ أهل الدِّينِ وَيَضَعُ منازلهم وَيُقيمُ عليهم حجَّةَ جميعِ فِرَقِ الملحدين الجهّال، وأَمَرَهُم بكفِّ الأذيّةِ وإجْمالِ المعاملةِ وَسَتْرِ العوراتِ عن أهل الغيِّ والضلال، وترك الدنيا لأهلها واقتنع هو وهم عن كثير من الحرام بالقليل من الحلال، وأشغلهم بحفظ الحكمة وتعريفهم خصائص الوفاء والصبر والاحتمال، واعتصم هو وهم بعلائق التّوحيد والرضى والتسليم والصيانة وجميل الأفعال، وأسقطَ الجرأةَ على القبائح والمناكِرِ اتّكالاً على الاعتصامِ برؤس الجبال.

فإنْ أبَوا رُشْدَهُم بعد هذه النَّصيحة وعصوه وخالفَوه، اعتزلَ عنهم وكاتبَ بأفعالهم ليكونَ معذورًا عند اللهِ ووليِّه فيما ارتكبوه عن غير رأيه وفعلوه، لكنّه أخْلَدَ كما أخلد الإبليسُ إلى الأرضِ، ولم يَرْعَ اللحقِّ ذِمَّةً ولا تفكّر في يوم الحساب والعَرْضِ.

فوحقِّ الحقِّ لو ساسهم بسياسة أهل الوَرَعِ والدِّين والفضل، لمنع المحنة عنهم والظفر بهم حُكمَ الحقِّ والعدل.

فتبرّأوا منه أيّها الإخوة ومِن أفعاله، فقد قاطَع اللّهَ ووليَّه بالباطل وبانتْ مِهَنُهُ الخبيثةُ وسجاياه، واشتهر بتحريفه للحقِّ ودعاويه وخزاياه. فَاعرِضُوا جميع ما قِبَلَكُمْ مِن الرسائلِ على الشيخِ الثِقَةِ الأمين، ولا يأخذُكم في الحقِّ لومةُ لائمٍ خارجٍ عن مباني الدِّين. وأنا النّاصحُ لكم ولجميع الموحِّدين. فإنْ قبلتُم نصيحتي فلأنفسكم تكرّمون وتمهِّدون، وإنْ خالفتم النصيحة فستندمون. ولأنفسكم تضيِّعون، وبها تسخرون.

أيّها الشيخ الثقةُ! فاكشِفْ عن حقيقيّةِ هذا الخلل والاضطراب، وعظْ الجماعةَ فيه وأبرِئْهم من جميع هذه الأوساخِ والأوصاب. واتلُ عليهم من حكمةِ وليِّ الدِّين الفصلَ من سببِ الأسباب[٣]، في قوله : لا توبةَ ولا إقالةَ لمنْ فَسَقَ عن الحقِّ وجعل نفسَه من الحدود العالية والأبواب. وعَرِّفْهم أنْ لا توبةَ ولا إقالةَ لمن أحاد بالمستجيبين إلى عبادةِ أحدٍ من المخلوقين؛ والعبادةُ هي الطاعة في جميع أنحاءِ الحقِّ اليقين. فكيف مَن أعْدَمَ وليَ الدِّين، وأحادَ بالطاعة التي هي العبادة إلى أقلِّ عبدٍ من عبيده المستضعفين.

أيّها الشيخ الثقة فإنْ تَخَلَّفوا عن الاستعداد والعائذِ باللّه بامتثال المراسم وقَبولِ هذه الخلال، وتحقّقتَ مَرَضَ نفوسِهم بهذا السُقْمِ المزمن

---

(٣) رسالة عنوانها: «الرسالة الموسومة بسبب الأسباب والكنز لمن أيقنَ واستجاب»، رقم ١٤.

والاعتـلال، ولم تَصْفُ قلوبُ بعضِـهم لبعضٍ كالماء المـشروب الرَّيِّقِ الزلال، فَقَدِّمِ الفرصةَ بالبعـد عنهم والزوالِ عن بلدهم والارتحال. فما على الرسول الناصح سوى البلاغ لأهل الهدايةِ والإنذارِ لحـزب الضلال، بعد وصفك لهم فضـائلَ الطاعـةِ من أهلِ البيـضاءِ ذاتِ السِّـمَاكَينِ مـعدنِ الفـخرِ والشَـرَفِ والرشد، وإعـلامِهِم أنّها كـالنجمةِ البـيضاءِ في اللّيلِ المظلـمِ بين كَلكَلِ الفِيل ونَابِ الأسد.

واجعلِ ارتحـالك إلى إحدى الحـصون البحـريِّة، أعني عَسْـقَلان أو قَيساريّة، وكاتبْ مَنْ أنتَ ناظرٌ فيهم من البلادِ الشماليّة، واشرحْ لي مجاري أمورِكَ وما عنَّ لكَ وَوَصَلْتَ في سفَرِكَ إليه، لآمِرَكَ بما تمتثله وتقدّمَ التعويلَ عليه.

والحمد للّه الذي لا يغيّرُ نعمتَه ما أحسن أهلُها مُصَاحَبَتَها، ولا يقطع مواهبه إلاّ عمّن جَحَدَها وشكَّ في أهل ولايتها.

والسلامُ على وليِّه مُنجزِ وعدَه لأهـلِ طاعته المحقّين، ومُهلكِ مَنْ شكّ في ظهوره بالانتقام بسيف مولانا من المرَقَةِ الجاحِدين المشركين والمنكِرين. وهو حسبي ونعم النصير المعين.

تمّتْ والحمد لمولانا وحده، والشكر لقائم الزمان عبده.

٦٦

الرِّسَالَةُ المَوسُومَةُ

بِتَمييزِ المُوحِّدين الطَّائِعين

مِنْ حَزْبِ العُصَاةِ الفَسَقَةِ النَّاكِثِين

بعث بهاء الدِّين بهذه الرسالة إلى الموحِّدين والمرتدِّين سواء، يبثّ فيها سخطه وغضبه على الذين حاربوه. ويهدِّدهم بسوء المصير. فيها كلام كثير على أحوال اليوم الآخير، وما سيحل بمكة «دار الفاسقين» و«أرض الطغاة» من أهوال يوم القيامة. «هذه الرسالة هي إنذار لجميع مَن طلب مسلك الحقِّ واقتفاه». وبهاء الدِّين «عبدٌ ضعيفٌ معذورٌ لغَلَبَةِ الشياطين».

توكّلتُ على المولى الإله الحاكم المتعالي عن تنزيه الأنام، وتوسّلت في الهداية إليه بعبده القائم الهادي الإمام. مِن العبد المقتنى الخاضع لطاعة الهادي الإمام القائم لإعزازِ دين الحقِّ، المعترِفِ بالصِغَرِ لحدوده والقصورِ عن منازلهم والضعفِ وَمَلكِ الرِقِّ، المتوسّلِ إلى كَرَم مولاه في إجابة ضَرْعِه بتجديدِ المملكةِ وَعِتْقِهِ من العتْق،

إلى جميعِ أهلِ التَّوحيد والرضى والتسليم والإقرار، ممّنْ سلَّم للحقّ من أهل الوادي الأزهر[1]، ومَنْ أخلَصَ من قَاطني الجبلِ الأنور[2]، ومَن سدَّقَ

(١) الوادي الأزهر هي وادي التَّيم (الدرر المضيّة).

(٢) الجبل الأنور هو جبل السّماق من أعمال حلب (الدرر المضيّة).

بالحقِّ من أهل البيضاء[٣]، وجميعِ مَن بالآفاقِ والأقطار، وإلى الشرذمَةِ المجمَّعة للشتات على الفسق والقبائح الموجِبَةِ اللَّعنِ والإسقاط، الغامطةِ لِنِعَمِ الوليِّ بقلّةِ الشكرِ من أهل القاهرة والوادي الأخْيَبِ والفُسْطاط، نفوسُهم عن قَبول الحقِّ لإلْفِهَا للخَبَل والانسفالِ والانحطاط، السالكةِ لسُبُلِ شياطينِ الفترةِ في اللَدَد والتقصيرِ والخِلاق والعِصيان، الذينَ استعبَدَتْ نفوسُهم أخسَّ الأعضاءِ لتمامِ المحنة وحلولِ الخِذلان، وَفضَحَهُم دَورُ الكشفِ بما جنَّوُه من الخيانة والنَكثِ والنِفاق، الراجعةُ نفوسُهم إلى العناصرِ النَجِسَةِ لِلُحوقِها بالأشكال الجَحَدَة المُرَّاق، الذينَ ميَّزَهم عدلُ الحقِّ فَطَبَعَ الشيطانُ على قلوبهم فَاستَحلُّوا قتْلَ أهلِ الحقِّ بالارتداد والنِّفاق، تمرُّدًا على الله ووليِّه لِيَحُلَّ عليهم بعد الإمهالِ عذابُ الكفَرة الفُسّاق.

أخرُجُوا عن عزِّ الدعوةِ الهاديةِ أيّها الشياطينُ المَرَدَةُ المنكرُون، واخسَأوا في ذلِّ المعصيةِ أيّها الأفّاكون المُدْهِنون. فَسَنُبصِرُ أيّها الجَهَلَةُ الفسّاق عن قليلٍ وتُبصِرون، ويعلَمُ الفريقان مَنْ هو المسلوبُ المَبعُودُ المغبون.

تاللهِ لقدْ عَصفَ بأشكاله طارقُ الأبرَصِ المعتوهِ المنكُوح، وغَشَّى عَلى بصائرِهم واختصَّ بالصَّمَم والعَمى لأشْقَا الأممِ الخَرَّازُ المَوضُوحُ، ومَلأَ قَلبَهُ وقلوبَ أشباهِهِ بالشكِّ والشركِ المائعِ كالدمِ المسفوح.

فتَبَّتْ يدُ الخائبِ وتَبّتْ أيديهم، لم ينتَفِعْ هو وهُمْ بِمَا اكتسبوه من الحكمةِ والعِلمِ، بل هما شاهدان عليه وعليهم بما أطلقوه على أهلِ الحقِّ من السبِّ والقَذْفِ والجَورِ من الحُكم، ورضَوا به في الإمامِ العدلِ المنزَّهِ عن القول والحَدِّ. تعالى عن السفَه والظلم، وتقدّس عن اختراصِ الأدعياء المبدّلين الذين باءوا بالسخط والإثم.

---

(٣) مرّ معنا «مكاتبة إلى أهل الكدية البيضاء»، رقم ٢٣، وهي مكان في مصر لم يُحدَّد.

فالبُشرى لأهل الحقّ. فهذه تهنيَةٌ بتمييزِ الأمم لأهل الصبرِ والإيقان والقَبول والتحقيق، وتوبيخٌ لِمَنْ سُلِبَ عقلُه فانعكسَ بعد العلوِّ بالفعل القبيح إلى المحلِّ الخبيث السحيقِ، ورَدْعٌ لِلمائِنِ الراجع بعد وفاءِ القَولِ وسِدْقِ السافرة، إلى العنصرِ الأخيَبِ طليقًا عن أهل الحقِّ والطهارة، أعني إبنَ الكردي وأشكالَهُ من جميع الأمم ممّن أغفلَ نفسَه فنسي هُداه، وأحفَزَه الشَطَنُ فغَلَبَ عليه خُبْثُهُ وَشَقاه، واقتطف الباطلَ لِشكِّهِ في الحقِّ وَاجْتنَاه، فأَظَلَّهُ تَصوُّرُ الباطلِ فاتَّخذ إِلَهَهُ لِبَلَهِهِ هَوَاه.

أمّا بعدُ، فالتقديسُ للمولى الحاكمِ المنزَّهِ عن تَأليلِ الأَلاَل، المعظَّم عن حَرَكةِ الأزمنة وتدهيرالدهورِ وتوقيتِ الأجال، الذي أبدعَ مُبْدَعَهُ عِلَّةً لجميعِ الحركّاتِ المتحرّكاتِ والأعلال، تنزيهاً للمقامات العليّة القدُسيّة، وتعريفًا لِعَجْزِ العوالِم عن العبارةِ بمحضِ الألهيّة.

فلا سلوكَ للأنفسِ إلى مقاصدِ التّوحيد، ولا إشارةَ إلى معاني التقديس والتمجيد، إلاّ بالطّاعة لقائم الحقِّ مالكِ الدِّينِ صاحبِ الوعدِ والوعيد، وقبولِ أوامرِه والصبرِ فيها على السرّاء والبأساءِ والضرِّ الشديد، إذ لا إثباتَ ولا معنى لمعلومٍ خَرَجَ عن إحاطةِ جوهرِ العقلِ، ولا تَوَهُّمَ لوجودِ تشبيهِ شيءٍ منبعث إلاّ عن المُبْدَعِ الأصلِ.

فتعالى المولى الذي قَصرَ أفهامَ العوالِمِ عن الخوضِ في تحقيق ذاتِه وجعلها مُجْبَرَةً مُحيَّرَةً عاجِزَةً معًا عن درْكِ صفةِ معلوله وآلاته، الذي جعله المولى على الأمم مُهيمِنًا وبمكنونِ الضمائرِ مطالِبًا، ولنفوسهم بما اجترحتْهُ مِن عِصيانه مسائِلاً محاسِبًا، وبالطّاعةِ والأعمالِ الطاهرةِ مُثِيبًا وبأضدادِها معاقِبًا.

أفلا تنتبهون أيّها الهَلَكَةُ الأغفال، والصَّفوةُ اليَقَظَةُ الأبْذَال! فالخِطابُ بمفهوم المَعنَايَين، ومُقتَضى حقيقيّة القَولَين، متوجِّهٌ في الإيقاظ والتنبيه إلى

الفريقَين. وقد تناها الواعظُ في المعذرةِ والإيقاظ وأبلغَ في التذكرة والتَّعيين بجواهر الألفاظ.

فأين المفرُّ لخِشَاش الفَتْرَةِ الكَذَبة المفترين، وأين الذَهَابُ لفراعنةِ الأدوارِ البَلَسَةِ المُمَوِّهِين، وكيف الخلاصُ لأهل الخِلاف المَرَدَةِ المعاندِين، وقد أحدَقَ بهم طُوفانُ السيفِ ولَهبُ الحريق، وآن هَدْمُ الحقِّ لتَمام المقدورِ لمَبَاني هُبَلِهم القديمِ العتيق، وتزلزلتْ أرضُه للخَسْفِ بمتَالي آياتهم ومدارسِ الشكِّ والشِّركِ الحقيق، وتقضّتْ مِن أطرافها أرضُ الطُّغَاةِ الفَسَقَةِ المُكَذِّبِيْن؛ وهبّتْ عليهم أرياحُ السَخَطِ بما انتهكوه من حُرمَةِ الدِّين، وتَعَيَنّوا بالمُجَاهَرَة أنجاسُ آلِ تَيمٍ بقتل أهلِ التّوحيد السَّادقين.

أيّها الخِشَاشُ الحاضِرةُ مِهنُهُم الخبيثَةُ وهياكلُهم، الغائبةُ عقولُهم المميِّزةُ وبصائرهم، النَكِبَةُ عن الحقِّ نفوسُهم النَجِسَةُ ومذاهبُهم. أما تنظرون إلى حكمةِ البارِ الحكيم، وإرساله الزلازل لزوالِ أَسْتَارِ البَيْتِ العَتِيقِ القَدِيم، وهُجومِ الرَّواجِفِ لهَدْمِ المسَاجدِ والجوامعِ والبِيَع، إشارةً وأذانًا من البارِ لنقلِ الدُوَل وتمحيقِ الشرَع.

فاتَّعظوا بهذا التوقيفِ أيُّهَا البهائمُ المُهمَلُون، وتيقَّظوا من رقْدَتِكم أيُّها الجَحَدَةُ السوائمُ المنكِرون. فَكَمْ على الحقِّ بالباطلِ وعلى أوليائه تتعدَّون وَتتجبّرون، وأنتم في دولابِ البعثِ صُعُودٌ مُرهَقُونَ، يدور بكم كالبهائمِ وأنتم لا تَعلمون. فكم أيُّها المرَدَةُ لآياتِه وعلاماتِ القيامةِ تَدفعُون وتُكذِّبون.

أتقولونَ إنّ الصواعقَ النّازلةَ بأَسْتَارِ المَشْعَرِ على رايكم والبَيتِ الحَرَام، وشَقَّها للرُكْنِ من معبَدِكم والمَقام، وخَرابِ المساجدِ والجوامعِ والبِيَع ببلدِ الشام : إنّ هذه العظائمَ الفادحةَ بغير أمر الإله البارِ العلاّم؟

فإنْ قُلتم أيّها الكفرةُ إنّها بغيرِ إرادةِ الباري فقد عطّلتموه وجَحَدْتُم العِيان، وإنْ أقرَرتم أنّها بأمره وإرادته فقد فَلَجَتْ عليكم حجَّةُ مَن دعاكم إلى

الحقِّ فرددتموه وأنكرتم الدلائل والبرهان، وباينتم بقتلِ أهلِ الطاعةِ أوليائه وكفرتم على سائرِ المذاهبِ والأديان، كما كفروا أنجاسُ آلِ تيمٍ بقتلِ الثِّقَةِ داعي الحقِّ وباءوا بالسَّخَط والإلْعَان، إقتِداءً بمآثِرِ عُصَاةِ سلَفِهِم وجَرْيًا في ميادينِ النكث وتَبَعًا للأوائلِ والثوان.

فإلى أينَ أيّها المَرقَةُ لكم المفرُّ والمذهب، ممّن لا يُنَجّي منه البُعْدُ والمهرب. بل تاللّه لقد أظلّكم الرِكَابُ وعصيتم الدليل، وقطعتم طريقَ الحقِّ وقتلتم أهلَه وأخَفْتُم السبيل.

فانتَهوا عن الظلمِ أيّها الهَلَكَةُ الغافلون، فقد اقتربَ للناس حسابُهم وهم في غمرةٍ معرِضون؛ ما يأتيهم من ذكْر من ربِّهم محدَثٌ إلاّ استمعوه وهم يَلعبون. قد أتى أمرُ اللّهِ فلا تستعْجِلون. سبحَانه وتعالى عمّا يُشركون.

وآن للأرضِ أن تُرَجَّ وللسماءِ أنْ تَمُور، وللجبالِ أن تُبَسَّ ولِتَنُّورِ الأعرافِ أنْ يَفور. فقد أثمرتْ أشجارُ الباطلِ في قلوب جميع الأمم، وغشيتْ بصائرهم عن التمييز فهم كالبَقرِ السائِمةِ والغَنَم. واستولى على عقولِهم الرّانُ لحلولِ الصَّمَم والبكَم.

فها هو قد قرُبَ حَصَادُ ما زَرَعَتْهُ أيدي الفراعنةِ من البزور، وقَطْعِ ما غرسَه الإبليسُ من الغِلِّ والنَجَسِ في القلوب والصدور، واجتثاثُ شجرة الزَّقُّوم الملعونة المعَيّنة في آياتِ المسطور، وقَلْعُ العَلامَةِ النَجِسَةِ المعيّنةِ في كتابِ دانيالَ بهيكلِ الدّجّال الخبيثِ الأعورِ الفاجر، من الموضع الزكيِّ الأنيسِ الطاهر، وردُّها بالزَّعْجِ إلى الموضعِ الخرابِ المُوحِشِ النجس العاهر.

فهذه لِدَورِ السِتْرِ دلالاتُ الفَراغ والتمام، وعلاماتٌ لظهورِ نورِ السيِّد القائم الهادي الإمام، وتبيينٌ لعقائد المُلَبَّسين الذين استحوذَ عليهم البَلَسُ فاحتالوا في الدِّين تمويهًا على الأحوال الدَنْيُونِيّة لتتميّزَ بموادِّ قدسِه

نفوسُ المُحِقّين، وتعلوَ برَونَقِ حكمتِه الدِّينيّةِ بالأعمالِ الرويّة، وتستخرجَ بنَهَلِ فَيضِ العقلِ عليها معاني الخيراتِ الشريفةِ العلميّة، وتتعالَى في دَرَجِ الكمال مغتبِطَةً بالمعارف اليقينيّة، وتستسعدَ بالضوءِ المُشرِقِ عليها بعد تغشيتها بوحشيّةِ الظلم الطبيعيّة، وتتحلاً بجواهرِ الفضائلِ وتتَّحِدَ بالأنوار القدسيّة؛ وتكونَ مُقْتَنَةً في تمام الجواهرِ وتربيتها بالمِهَنِ العقليّة، ولا تكونُ بحيثُ يُمْتَنَعُ وجودُ الجوهر دونَها لفَوزِها بمملكة المعالِمِ الإلهيّة. فهي باقيةٌ مَدَا الدهورِ والأبَد، قد صفا لها السدقُ اليقيني بصحّةِ المذهبِ والمعتَقَد.

أيّها الهَلَكَةُ، فارتقِبوا صيحةَ الفجرِ لظهور الأملاك، واضطرابِ الخطوطِ والأعْظَامِ لاهتزازِ أجرامِ الأفلاك، وحركةِ الجسمِ الثقيلِ الثابت بقُطْبِ العَجْزِ عن تحديد ماسكِهِ والإدراكِ،

إذا طلعتْ نجومُ الكَورِ باللَّهَبِ والإحْراق، لنسْخِ عقائدِ المُلَبِّسين وإشهارِ عصاةِ آل تيمِ المرقةِ الفسّاق، وتمييزِ حزبِ الطاعةِ الصفوةِ والوفاءِ والوفاق، من حزب الضلال آل البَلَسِ والشَطَنِ والعُقُوق والإبَاق، هنالك تثورُ بُدُورُ التّمام وتتعالى بالضياءِ والإشراق.

وترتفع نفوسُ أهلِ العدل بقِوام جوهرها مختصّةً بالسكون لقَبول تأثيرِ العقل المبْدَعِ الفيّاض، ملتحفَةً بقالبِ البقاءِ والأمنِ من الفسادِ والانحلالِ والانتقاض، قد خَلَصَتْ لطهرِ عنصرها وقوّةِ صفائها من دَنَسِ الشكوكِ والأعراض، وتهذّبتْ بتحقيق قَبولِها للصُّوَرِ العقليّةِ بمحضِ اليقين وعدل الارتياض، واقتدرتْ على قَبول الفضل عليها زائدةً بدوامها على النهايات، باقيةً على الأبد جوهراً ثابتًا منصبغةً بِسُنْجَةِ الأصباغِ الروحانيّات، مباينةً لأهلِ الشطن والارتداد والخلاف والمُروق، متبرِّئَةً من أفْكِ كفَرَةِ أهلِ الكتاب التّيمي والعبّاسيّ ولَحيقِهِم سَليبِ الدِّينِ العاجزِ المهين المَطروق، آلِ الكَذِبِ والجحْدِ لفَضْلِ الحدِّ المُنعمِ عليهم والنَكثِ على اللّهِ ووليّهِ

والشَطَن والعقـوق، الذين اتَّخذوا دينَهم للباطلِ مَـرَحًا وللفِسقِ لهوًا ولعِـبًا، وللحيلة تمويهًا علي أبناء الدِّين وللحطام معيشةً ومَكسَبًا.

فاللّه يوقِـفُهُم. لَقد خَـرَجوا عن طاعـة الهادي الإمام العـدلِ وخلعوا ربْقةَ التّـوحيد، واعـتقدوا لشـيطنتهم إمامـةَ الأبرَصِ المُحملَقِ المُتَـسَمِّي بإله المواعيد، ورجعوا إلى عناصرهم النَّجسـة باعتقاد الهزل والمحال، وعادوا إلى أماكِنهم في وقـتِ التميـيز لفسـاد النِّيّة وخبـيث الأعمال، لـيتعين لأتبـاعهم السَّهَوَة ما هم يحلّلوه من الخزي والنَّكال، وتقوم الحجَّة عليهم بتحقيق بَلَسِ مَنْ أضلّهم عن الحقِّ والخروج عن الاعتدال.

فاللّه يُوبِقُـهُم بأفعالهم كما ظَـلموا أهلَ الحقِّ المستضعَـفين، وجعلوا الفِتَنَ والمِحَنَ أسـبابًا على الموحِّدين، وأوضـحوا بالنكث والأفك طريق السَّبِّ والقذف لاهل الدِّين.

فما أَحَدٌ من هؤلاء الخَوَنَةِ حرّكتّه لفظةٌ من محرِّكات أهلِ الفضل، ولا اعتـقدَ لنفسِـه مَعَادًا فـتذكَّرَ أيّامَ الجَـزاءِ والعدل، وأخذ عـلى نفسه بنفـسه فارعوى بالتـوبة عن فحشاء الكَذِبِ وقبـيحِ المحارم، ولا ارتدعَ عن مُنكرٍ ولا تفكّر في وليِّ الدِّين ومـجازاتِه لـلعوالم؛ وكـيف يكون ذلك وصفـاتُ هؤلاء وأمثالِهِم الذين أضرموا نار الفتَنِ على الموحِّدين في قديمِ الأدوار؟

وحقـيقيّـةُ ما أقولـه لأدلّةِ أفعالِهم على نفـوسـهم بدوامِـها في زمن الكشفِ على اللَّدد والادّعاء والعصيان والإصـرار، وغفْلَتِهم عن يومٍ يَفتضح فيه مَن ادّعا غيرَ حَقِّـه واخترصَ الباطلَ على الحدود الأطهار، واختلق الكَذبَ على حَدّه الذي لا يُقبَلُ له عملٌ إلاّ بشهـادته له بعد التسليم لمعـالمه والإذعانِ لمراسمه والإقرار.

فتيقّظوا أيّها الهيـاكل المخلَّدَةُ لِنَجَسِها بقتل أهل الحقِّ ودعاتِه في أليمِ العذاب، المقـفِرَةُ لِبلَسِـهَا من العـقول والألباب، الغـافلةُ لِبلَهِـهَـا عن التحـقيق

لموجِبَات الفوز والثواب، الناسيةُ لشَطَنِها عن الحقِّ التفكّرُ في يوم العرض والحساب، التائهةُ عن استثْبَاتِ المعالِمِ لِنَكْبِهَا عن الحدود والأبواب، الممنوعةُ من الرِّيِّ الرَّحيق السلبيلِ لِكَلَفِها بمخائلِ لوامعِ السَّرَابِ.

فتدبَّروا أيّها السَهَوَةُ مباني الآيات المُحْكَمَات، وتأمّلوا تَحليل عِقَدِ الأبالسة والشياطين بالبراهين المبهِرات، وَهتْكَ عزائم الملبِّسين وقطعَهَا بقواضب المعجزات.

ولألأتْ لفراغِ دَورِ النِحَل الملبوسةِ الشركيّة، وتبيينًا للأمم عَوارَ عقائدِهم النجسة الأفكيّة، وعلاماتٍ لكشف ما استتر من المذاهب الإلهيّة الملكيّة، وتعيينِ الذين شَطَنوا عن الحقِّ بعد المعرفة بقتل أوليائه ليتبيّنوا بالضِّدِّيّة.

فاخسأوا أيّها الهَلَكَة فقد لمعت الأنوارُ بالبشرى لنفوس المحقّين، وتشعشعتْ بحقِّ الظهور معاقدُ الأعراف أصحابِ اليمين، وانبجستْ بموارد السادة عيونُ الحياة للشاربين، وثعَنْجَرَ شؤبُوبُ جوهرها بالسعادة لما فيه من الاستعداد لقَبول ماهيّة الدِّين، ونهضتْ بمعجز الإرادة وَقُوَى حقائقها ببعض كمالات المملكة فهدَّمَتْ مباني الخَرَصَةِ المدّعين، واتّحدتْ بعدَ المفارقة للموادِّ الطبيعيّة بشرف وجود معقولات الروحانيّين، وأُرْسِمَتْ بمقرٍّ قدسهم مراسمُ العقل الفعّالِ إمامِ الزمانِ وظهرتْ للوجود والتعيين، وآنَ أَخْذُهُم لِلثَّأْرِ بدِمَاءِ آلِ الحَقِّ المَظلُومينَ المُوَحِّدْين، مِنْ حِزْبِ الدجّالِ ومن الأدعيا النكَثَة أهلِ الإلحاد والتكذيب المعاندين.

إذا صَرَخَتْ بأرجائِها البِكْرُ الهَمُوس، وطَحَنَتْهُم بأثقالها العوَانُ الضَروس، وكَشَرَ للكشْفِ عن نَابِه الرِئْبَالُ الفَرُوس، وَهَدَّرَ فَنِيْقُ الحقِّ بالصَّواعق والأرجاف، ونهض لأخْذِ الثّأْرِ ساداتُ الأممِ رجالُ الأعراف، وقامَ

للنصـرةِ أسـباطُ الدِّين لهـلاكِ آلِ الشَطَنِ والإباق والخِـلاف، وأُحِـيط بذَاتِ الفِجَاجِ دَارِ الفَاسِقِينَ وهَدْمِ مَقِيْلِ الأبَالِسَةِ والشَّيَاطِين.

فـعند ذلك يَطلُعَ شمسُ الـبُدور والأقـمار، ويَظهَـر إمامُ العـوالِم في الأدوار والأكـوار، وينطق سـديقُ الأزمـانِ والأعصـار، وتتـلألأ أنوارُه في الآفاق والأقطـار، لِفَيَضـانِ التأييـد، وتَغْدَقُ سـماءُ حِكمـتِه بِهَـوامي التنزيهِ والتجـريد، وتنبُتُ بها أرضُ الـحقائقِ ثمـارَ التقديس والتـسليم والتّوحـيد، وتتعالى بمعالم الحقّ درجاتُ المحقِّين، وتنسـفلُ للقصورِ عنها منازلُ الجَّهلَة المكذِّبين، ويصحُّ بالبعثِ الجزاءُ لنفـوس الأنام، ويقومُ الحقُّ والـعدلُ بقـيام القائم الهادي الإمـام، ويَخْسَرُ المرتدُّون والشاكّـون وَيُؤخَذُ منهم بالنَّواصِي والأقدام، وتُسـألُ الموؤودةُ عمّا حَمَلَتْ من الأثقال والأوزار، ويُوضَح لها بأيٍّ ذنبٍ قُتِلَتْ بِسَـلَسِ الانقياد بعـد اللَّدد والإحجام والإنـكار، ويكون ما لا أذُنٌ سمـعتْ ولا عينٌ رأتْ ولا خَطَر على قلب بَشَرٍ من التنزيه والتأليـه والإذعان والإقرار، للمولى الإله الحاكم الجبّار.

هنالك تطّلعُ نفـوسُ أهل الحـقائقِ بصـفائهـا على الخَـفيّـات، وتبلغُ بقوّتها المتـجلّيةِ لِصُوَرِ الحقِّ نهايةُ النهـايات، ويتأثّرُ فيها من العـقل الفعّال مُحَاكَيَات، الحاضرة والمستَقْبَلة من الجزؤيّاتِ والمحسوسات، ويكون لها بما ملكتْه إشـرافٌ على المعقولات، أعنـي المفارِقةَ ونَظَرٌ في شـرائفِ الموجودات، وتترقّا بشرفِ معلومها إلى أعلا المراتبِ وتتنبأُ بالأمور الإلهيّات.

فـانتبـهوا لإيقـاظِ الدليل الناصحِ أيّهـا الخِـشَاشُ المَرَدَةُ المُهـمَلون، وأَريقوا للفهم قلوبكم إنْ كنتم بها للحقِّ تفهَمون. فقد بَلَغَ آجالُ الأمم ميقاتَها وكتـابَها، وآن العرضُ لنفـوسـهم وقَرُبَ جَزَاءُها وحـسابُها، وهم كـالخُشُبِ الخاويةِ عن الهـدَى وطريقه ناكـبون، وعن الصِّـراط المستقـيم في سكرتهم عمِهون تائهون. قد خَرَجُوا عن طاعـة الوليِّ القائم إلفًا بِمُختَرَصَاتِ الفراعنة

المدَّعين، وتقهقرًا في دَرَجِ المُحَاق متهافتين، يطأون الحِكمةَ بأخمُصِ الشياطين، لا يَنزجرون عن المُجَاهرة بالفِسق والمحارم، ولا يرتدعون عن السَفَهِ وارتكابِ المآثم.

قد أخْلَقُوا مَعالِمَ الدِّينِ بالوساخَةِ والفساد، وتألّفوا على النكث والشكِ والعصيان والإلحاد، ركوناً إلى التسويف بمقدَمَات الإمهَال، ونكثاً بعد إقامةِ الحجَّةِ على أهل الخلاف والارتداد والضلال، واستشعاراً لهذه الأيّام الامتحانِ والتفويضِ والإهمال، وتَحَقُّقًا بالعنصرالخبيثِ الفترةَ الكبرى الفاضحةَ للأمم أعظمُ الفترات، دلالةً على تمييزِ العوالم وبلوغِ أعمالهم إلى النهايات.

أيّها الإخوان قد تقضّتْ أوقاتُ الزمان، وقَرُب ما شَسَعَ من هلاك حزب الشيطان، ووصل منكم إلى مضمارالثواب والعقاب الفريقان.

فافهموا عن العبد السادق أصغر عبيد وليّ الزمان والأمر.

واعلموا أنّ هذا هو الوقت الذي ذُكر في زمن الرياضة : يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر، ويفرّ المؤمنُ بدينه من شاهقٍ إلى شاهق، أي من داعٍ إلى داعٍ، وأيُّ داعٍ في ذلك الوقت سادِقٌ من عبيدِ وليِّ الزمان والأمر. فلم يَقُلْ هذا لقلّة أشخاص الدّعاة المذكورين، وإنّما قيل هذا لقلّةِ الطائعين، وكثرةِ العصاة الخوَنَةِ المارقين.

فَوَحَقِّ صاحبِ الرحمة لقد قرأتُ في المشهورِ من نصوصات الحقّ، أنَّ القائم سلام الله على ذكره إذا ظهر فأوّل ما يَقْتُلُ القائلين به قبل المخالفين له من جميع الخلق.

واعلَموا فهذا هوالعدل إنما يقْتُلُ القائلين به بظواهر ألسنتهم، المخالفين لأوامره بالنّهي عن الفساد التي جرتْ على لسان حدّهم وقِبلَتهم.

فهـذا هو الوقتُ الذي يَتَساوى فـيه في طلب الإقدام، ويكـون القائم على كلِّ نفس بما كـسبتْ هو الهـادي الإمام، لضـعف الناصح لما أوجبـه الوقتُ بين الفراعنة الأدعياء، وَرَهْبَةً لِمقتَضى الزمانِ من قَتَلَةِ الحقِّ الخونة الأشقياء.

واعلَموا أيّها الإخـوان أنّ كلَّ مَنِ ادَّعَا في هذا الإقليم أنّه داعٍ مِن قِبَلِ العبد المقتَنَى فهو خارج عن أمـره وأمر وليِّ الدِّين، ومارقٌ من جملة العصاة الفسقة المعتدين. فمَنِ ادّعا ذلك بعد الإنذار بالإمساك عن القول، فهو مضافٌ إلى دعاة الفترة الموهِّين، فلا طاعةَ لأحدٍ منهم على أحدٍ مِن المستجيبين.

فهذه الرســالة حجّةٌ لي عليكم وحجّــةٌ لكم عليّ بين يدَي ربّ العالمين وإمامِ الموحِّديــن. فقد تساوى في هذا الزمن الدعــاةُ في هذا الأقليم من حيث الإمـساك بالمدَّعـيّين. فـلا أمرَ ولا نهـيَ لأحدٍ على أحـدٍ غـيرُ الإصـلاحِ بين الموحّـدين، ولا فضلَ لأحـدٍ على غيـرِه إلاّ بما حَـفظَه من الحكمة وقـام فيـه بفـرضِ الطاعةِ لهـادي الخلقِ أجمـعين، واصطنعَـهُ من الأفضــال والأفعــال الجـميلةِ إلى إخـوانه المحـقّين، بعـد الإدمـانِ على المذاكـرة بما ارتضَـوا به وحـفِظوه عن ثقـةٍ من الحقِّ الـيقـين، والدوامِ على مـا يَزيدوه من الأفـعـالِ الجميلة إلى إخوانهم، والطّاعةِ لمن أمَرَهُم بطاعتِه إمامُ زمانهم.

فمَنْ كـان مِن جهة العـبد المقتَنَى مـن جميع مَن يقـولُ إنَّهُ من الدعاة المنصـوبين، مسـتمِـعًا لهـذا القول داخِـلاً في جملة الإخـوان المسـتجيـبين الموحِّدين، لا يَرى لنفـسه مِيزةً على أحـدٍ من الإخوان، إلاّ بما اكتسبـه لنجاة نفســه من الحِكمة والبـيان، فَـهُوَ أخٌ من جـملة الإخوان، ومـسئولٌ لـه بعد الاعتراف بالتوبة الصحيحة في العفو عمّا سَلَفَ من السَهوِ والعُدوان.

ومنْ لم يَقْبَلْ منهم هذا الـشرطَ ولم يَدْخُلْ تحت هذا الأمر فقـد خرج عن طاعة حجّة وليِّ الزمان. وجميعُهُم ما داموا على العِصيان أبوابُ السَخَط وليسوا أبوابَ الرحمة، لقيامــهم على الحدّ الذي أنعم عليهم وفوَّضَ إليهم ما

أيّده به وليُّ الحقِّ من العِلم والحِكمة، وفضّلهم من حيثُ أظهروا الطاعة واختصّهم بالخدمة، وجعلهم في المواضع المعروفة لإصلاحِ الأمّة، فَأَوْطَوا لمن تَولَّوهم غاربَ الخيانةِ والفِسقِ والفساد، وأطلقوا عليهم بقبيح السياسة السبَّ والقذفَ على ألسنِ جميعِ الخلق وسيوفَ الأضداد.

فلمّا كَتَبَ ينهاهم عن المناكر مَنْ أُمِرُوا بطاعته قاموا عليه بالبَلسِ والشيطنة وسفّهوه، وخرَج الخائبُ الناكثُ إلى أجلافه قاصِدًا فَسَقَاهُم مِنْ سَمِّ نَجَسِهِ الذي ألِفُوه، ووثَّبَهم على الشيخ الثِقةِ المرسَل لتأديبهم ذي النفس الزكيّة غدرًا فقتلوه. وأمر مَن استنَّ لهم بكَتْبِ محاضرِ زُورٍ ليتعيّن رجوعُهم عن الحقِّ بمساعدته بالكذب على اللّه ووليِّه ليساهموه، ورجعَ خاسئاً بنيّته إلى الشام متنكّسًا إلى أشكاله صارخًا إليهم في الشَّطَنِ ليعضدوه، واتّفقتْ آراؤهم واجتمع هُوَ وَهُمْ بالخِلافِ على نحتِ صَنَمٍ بأيديهم ليعبدوه، واتّخاذِ عجلٍ جَسَدًا بأهوائهم له خُوارٌ ليموِّهوا به على مَنْ قَبِلَ فِسقَهم ويُضِلّوه.

واللّهُ يشهد أنّهم من التّدابُر والتّنافرِ عن الحقِّ ووليِّه بخلاف ما يُظهروه، وأنَّ قلوبَهم في الدِّين شتّى وهم على الباطل مجتمعون، وبعضُهم لبعضٍ عدوٌّ وَهُم لأنفسِهم بأنفسِهم يمكرون، والكلُّ منهم يُظْهِرُ المِقَةَ لصاحبه رياءً لمن يَخدعوه وهم يكذبون، ليَحمِلون أثقالَهم وأثقالاً مع أثقالِهم ألا ساءَ ما يزدادون، إرتداداً عن الدِّين لغلبة الرّان على قلوبهم وجهلاً بالحق ومراسمه وسبله، واقتفاءً بالطّبع الخبيث لمأثرِ الإبليسِ في غَيِّهِ للأمم وحِيَلِه، وجَريًا على سُنن زُخرُفِه إضلالاً للعوالِم بِمَدِّ حبائله وتقليدِ مِلَلِه.

فهذه صفاتُ مَنْ شَرَدَ عن الحقِّ وأوغلَ في كفرِ النعمة فظهرتْ سريرتُه، ودامَ على النِفاق واللّدد مفترِعًا للنكثِ ولم يَتُبْ عن جهلِه فعميتْ بعدَ البصرِ بصيرتُه.

فقد قدّمتُ لكم من بضع سنين ذِكرَ هذا الزمن في وقت الإمكان، ومحضتُ الحقَّ للكافّةِ، ولم آلُهُمْ نُصْحًا في السرِّ والإعلان.

وجمــيعُ ما أيّدَني به من الحِكمــة وتفضّلَ عليَّ به مــولاي قائمُ الحق وليُّ الزمان، فــقد أدرجتُ في منشورِ كلِّ رســالةٍ منه ما يَعْــجَزُ من تأمُّلِه إذا نَظَرَ إليه بعينِ النَّصفَةِ من الإيضاح والبـيان، وَعيَّنْتُ بتوفيقِ مولاي في ذلك الوقت ما آل إليــه حالُ مَنْ أظْهَــرَ الخدمةَ فـيما مـضى وَنَكَث في هذا الأوان، ورَجَعَ بعد إقامة الحجَّة عليه وخَرَجَ إلى الإنكار والطغيان.

فَوَحَقِّ الحَقِّ مَنْ رَجَعَ عن الحقِّ فـيما مضى وسلف من دَور الــستر والامتحان، لا عذرَ عندي ممّن نَكَصَ على عَـقِبه في دَور الكشف بعد تحقيق الدلائل والبرهان، وإن كانوا أولئك هم هؤلاء وإنّما تَكَرَّروا في أجسام النكثِ ليتَعَيَّنُوا في يوم الجَزاء بالكذب والبهتان.

وجمــيعُ الرسالة الموســومة بالحقـائقِ في تأديبِ جمــيعِ الخلائق[1] تَشهد بذلك وقد سارتْ بها الرُكبان، في جيمع الآفاق والبُلدان، فمنْ بَعضِ ما أدرجتُه فيــها إيقاظًا للأمم من غفلتهم وإنهاضًا فــي الطاعة للطَهَرةِ الإخوان، وهو أيّهـا الإخوانُ فـاغـتنموا زمـانَ الإمــهال، وتقـرّبوا إلى وليّكم بصــالحِ الأعمــال، قَبْلَ طيِّ الصحـائفِ وجفافِ الأقــلام، وغلْقِ أبوابِ الرحمــة وختْمِ الأفــواه وقــطْعِ الكلام، وقـبَـل فـتْحِ أبوابِ السَـــخَطِ على من بارز بــالعِناد والانتــقام. فــهذه أوائلُ العــلاماتِ لقـيامِ الحــافظينَ الأشهــاد، وأَبْيَنُ الآيات لظهورِ النبأ العظيمِ الهاد.

أيُّهــا الإخــوان قــد أبلَغتُ لكم فــي الموعظةِ والنَّصـيـحــة[2]، وبيَّنتُ وأرشدتُ بالبــراهين المقنعةِ الصــحيحــةِ. وما على الرســول إلاّ البلاغ المبين؛ والتوكّل على وَليِّ الحق وبه أستعين.

---

(١) رقم ٥٧.

(٢) رقم ٨٧.

وأيضاً ممّا أدرجتُه في الموسومة بالإيقاظِ والبشارةِ[٣] في الفَرْقِ بين مَنْ تمرَّد عن الحقّ وطغَى، وبين مَنْ عَنِ المعاصي ارتدع وانتهى. وهو تَتَعَالى مبـاني الحقِّ بحركاتِ العناصرِ الدِّيـنيّة لإيضاحِ شُبَـهِ المدَّعين في الفَرقِ بين الجِرمـيّة الكثيفـيّة الطبيـعيّة الوضيـعيّة، وبين المعاني الـلّطيفة النفسـانيّة، وإظهار عـقائد الأنفس النجِسَـةِ الدّعيّة، ليكونَ الثـوابُ والعقابُ مـوجودَين بفائض العدلِ للأعينِ الشحميّة، ولتقومَ الحجّةُ على العوالم بمعارف أنفسهم بالحقائق العقليّة.

فهـذا وأمثـاله مدروجٌ في رسائل الـعبد المقـتنَى لكشف هذه الآيات، والشـهادةُ هو ومَن تَبِعَهُ على مَنْ نكَثَ وخَرجَ عن العدلِ عند خرق العادات.

وهذه الرسـالة فهـي إنذارٌ لجمـيع مَن طلَبَ مَـسلكَ الحقِّ واقـتفـاه، وإقامَةَ الحجّةِ على مَنْ سمعَ هذا البيان وأُرقِي أليه معناه.

واعْلَمـوا أيّهـا الإخوان أنَّ اللّهَ قـد أقـام عليكم حـجّةَ الـعيـان، اذ لم يعدمْكُم مَنْ يُعَرِّفُكُم مجاري الأزمان، وأوقاتِ الفراعنةِ المدلِّسين في الأديان.

ولا بدَّ أيّها الإخوان مِن فترةٍ يبلو اللّهُ فيها بقيَّةَ أهلِ الحقِّ لينظر أيُّهم أحسنَ قَبـولاً وعملا. وما بقي لأحـدٍ من الأمم في هذا الأقليم على اللّه ووليّه ولا على أحدٍ من عبيدِه الطائعين حُجّةٌ يقيـموا له فيها ممثولا ولا مثلا. ومتى ردّ على هذا القول قـومٌ هُم دونَ قائلِهِ في المنزلة الممنونِ بها عليـه من فضلِ صاحب الأمر أهْلَكَهُمُ الحَقُّ وأتاهم العَذاب قَبلا.

وأنا العبدُ الضعيفُ معذورٌ لِغَلَبَةِ الشياطين في السياحةِ والهَرَبِ إلى وليّ الزمان والاسـتغـاثةِ إليه، مسـتحكمـاً على مَن ظلم أهلَ الحقِّ وظلمني مستعدِياً عليه ومعتمِداً في يوم الجـزاء عليه، كما هرَبَ العبدُ الصالحُ أمليخيا

---

(٣) رقم ٥٦.

من ظُلمِ زنادقةِ اليـهودِ فعصَـمَه الباري من أفكِهم بظلٍّ صـونهِ ونجّاه، وأنا فيـما أنا عليه من الضُـعفِ والقصـورِ والأناة، قد أقمتُ الحـجّة كمـا وُفِّقْتُ، وَوَفَّيْتُ الـواجبَ لمن استحـقَّه وأفـضلتُ على منْ غَمَطَ الحقَّ وأقـامَ إلى أهله الفِتنَ وعَفَاه، وَأقْلَبَ إلى الدِّين ظَهْرَهُ وأَدْبَرَ عنه إلى الباطل وتولاّه.

أللّهمّ فإنَّ العبد الصغيرَ، والمملوكَ الضعيفَ الحقير، يستصغر قَدْرَ نفسه عند جليلِ إنعامكَ لَدَيْه، وهو متوسِّلٌ إلى كَرَمك يا مالكَ الدِّينِ في إيْزَاعِ شُكركَ لمَا مَنَنْتَ به عليه، ونبرأُ إليكَ يا وليَّ الحقِّ ممّا أحدثَتْه شياطينُ الفترة من العَـيْثِ والفسـاد، وممّا اختـرصوه على أهل الحقِّ وأوثغـوا به الدِّينَ من الضلالِ والإلحادِ.

أللّهمّ فإنّي مستعـين بقوّة سلطانك على بلَسِ كلِّ أفّاكٍ أثيم وشيطانٍ مضلٍّ غـويٍّ رجيم، جاحـدٍ ليومِ العَرْضِ والحـساب، منكرًا لظهـورِ صاحبِ الثواب والعقاب.

أللّهمّ فـإنّي أعتـصمُ بظلِّ صَونك مـن التلبّس بهم وحفـيظِ حَمَـائكَ، وأدْرأُ بِكَ في نُحُورِهم كـما غَمَطُوا نِعْـمَتَكَ وقامـوا بالكذب على حدودِ دِينك وأوليائك.

أللّهمّ فافرقْ بيني وبينَهم فقد ألَحُّوا في العنادِ وألغَوا، واستمرّوا في السفَه والاغترار والعُتُوِّ. فـمَرَضُ نفوسِهم فد أغلظَ عن الدواء، وداءُ ضلالتهم قد أعـجَزَ لتمكّنه عن البـرءِ والشفاء، فلم تنجحْ فـيهم دراسةُ الحكمـةِ وحفظُ العلم، لِغَلَبَـةِ التمـرّدِ عليـهم والارتدادِ والبَلَسِ والظُّلم، ولم يتّـعظوا بالآياتِ المُحكمَات، ولا انزجروا بمعـجِزِ الحقائق المُبهِرات؛ فـهم لا يَرجُونَ للّه وقاراً، ولا يَفُونَ إلى الحقّ إلاّ عِنادًا لإهله وأضراراً.

أللّهمّ فمَنْ تَبِـعَني من كافّتِهِم بعـدَ سَمَاعِ هذه الرسالة بقـولٍ أو فعل

مستعلما لي خبراً، أو اقتـفى لي في إقامةٍ أو مَغيبٍ طريقًا لفَحْصٍ أو ثائَر لي أثرًا، فـهـو بريءٌ من باري المَبْـرُوءَاتِ، وجاحـدٌ لجـبّارِ الأرض الـسمـوات، ومخالفٌ للقائمِ على النفوسِ بالجرائم المكتـسَبات، وغضبُ اللّهِ عليه ولعائنُهُ المختزَنَةُ في أشـأمِ الفِطرِ إلى أبعدِ الغايات.

أنتَ الحاكم يا مولاي بيني وبينه. يا مَنْ لا يظلِمُ مثقالَ ذرَّة لأحد، ولا لمن ظَلَمَ منه ملجأُ ولا ملتَحَد.

وأنا أستودع أهلَ الوفاء والسدق، للّهِ العالِم بضمائرِ الخلق، القاضي بالفَلَجِ والغَلبِ على رغمِ أُنوفِ الجحدَةِ للقائمِ الهادي وليِّ الحقّ.

وهو حسبي ونعم النصير المعين لمن توكّل عليه ولم يخرج عن طاعته وأخلص له بقول السدق.

تمّتْ بحمد اللّه ذي الفضل والإحسان.

٦٧

مِن دونِ قائِمِ الزَّمان

وَالـهَـادِي إلى طَـاعَـةِ الرَّحْمَن

هذه «مقالة» فـي عقيدة الموحِّدين، كـتبها بهـاء الدِّين بأسلوب شيِّقٍ واضح. يدلّ فـيـها علـى «ظهور» الله فـي البشـريّة، وضـرورة هذا الظهور، والأدلّة العقليّة المنطقيّـة واللاّهوتيّة على أهمية التجلّي الإلهي عبر الأدوار. ويدلّ أيضـاً على ضرورة التقمّص وانـتقال الأرواح من جسدٍ بشريٍّ إلى جسـدٍ بشريٍّ آخر، ورفْضِ كلّ قولٍ بـ «النُّطق»، أي بأنْ تتذكّـر النفسُ حالتَـها السـابقة وتنطق بها... وإلى مـا هنالك من عقائد درزيّـة هامّة، إلى درجة أنّنا نستطيع القـول بأنّ هذه المقالة هي موجزٌ للعقيدة التوحيديّة.

فمـا كان مِن صواب، وجـزالةِ خطاب، فببـركاتِه والتمـسُّكِ بحدوده وآياتِه. وما كان مِن خطأ أو زلل فمِن عجزي وتقصيري.

فأقول وهو الموفّق للرَّشَاد: ألمولى حسبي ونعم النصير المعين، وعليه توكّلي وبه في جميع الأمور أستعين :

إنّ الأشخاص الـروحانيّة إنّما مع العـالم منها أسماء يتـوهّموها ولا يتـحقّـقوها، لأنّهم يزعـمون أنَّ ثـمَّ عالَمًـا بسطياً روحـانيًا لا مـدروكٌ ولا مَحـسوسٌ ولا يُحَدُّ بشيءٍ من الحواس. فـما لا يصحّ موهومٌ معـدوم. فأيٌّ

صورةٍ تتحقّق لمن يعتقدُ هذا الاعتقـادَ الفاسدَ، وهو في اعتقادِه لأهل الحقيقةِ معاند. وأيضاً فـأنّا وهم مجتمعون على أنّ العالَم الروحـانيّ أفضلُ الأشياءِ كلِّها.

فيا ليتَ شـعري ما نفْعُهُم من تفـضيلِهم، وهم كما يَزعـمون، جواهرُ معدومةٌ لا حقيـقيَّةَ لها، وإنّما تصحُّ الأشياءُ بحقيقـيّتها إذا ظهرتْ رجالٌ هم للعالَمِ كَـمَثَلِ الرّوح في الجسم، يسـخّروهم ويَستعـبِدوهم ويَفهـمون منهم كفعلِ اللّطيف في الـكثيف، يسخّره باختـياره، ويستعملُه في جـميع الأمور بإيثاره.

وأيضاً فإنّ الخلقَ مجتمعـون أنَّ الباري جلّتْ قدرتُه عادل. فأيّ عدْلٍ يقتضي أن يكونَ العالَمُ الروحاني، كمـا يزعمون، جواهرُ بسيطة لا محدودة ولا مدركة، ثمَّ يكلّفُ العِبادَ معرفَـتَها، وما في وُسْعِ أحدٍ من العالَم يَفْهمُ ولا يُبـصِرُ ولا يتَـعلَّمُ إلاّ من صـورةٍ حيّـةٍ ناطقـةٍ مميّزة. فـأيّ عـدلٍ يقتـضي إعدامَهم، وهم قِوامُ أمرِ العالَمِ كلِّه، ولا بقاءَ له إلاّ بهذه الأشخاصِ.

فقـائم الزمان والهادي إلى طاعـة الرحمن، هو أمـرُ المولى جلَّ ذكره الذي أمَرَ الأشياءَ أن تكونَ فكانتْ؛ والأشيـاءُ فَهُم أهلُ التوحيدِ لأنّهم لم يكنْ لهم حقيقيّةُ صورةٍ إلى أن كوّنَهم قـائمُ الزمان، عليه من المولى أفضلُ التحيّة والسلام.

والجـواهرُ العـقلُ والنفسُ أشـخـاص بين يدَيه رجـالٌ ينـطقـون ويفهمـون، وبهم قِوام أمرِالعالم كلِّه الروحاني والجسـماني، لأنَّ الروحاني بهم وبمعـرفتِـهم ارتَقَى هذه المنزِلَةَ العـظمى وهي رتبةُ التّـوحـيد، والعـالَم الجسماني هم مدّبِّروه بأمرالمولى جلَّ ذكرُه. فلمولانا جلَّ ذكرُه يَعْبُدُ مَنْ في السموات والأرض طوعًا وكَرهًا.

فمن هذه الجهات التي ذكرتُها وجَبَ أن تكونَ الأشخاص الروحانيّةُ رجالاً علماء بجميع الأشياء فهماء. ولولا ذلك لم يكن للأشياء حقائق، ولكان العالَم سوفسطائيّةً يَزعَمون أنَّ الأشياءَ لا حقائقَ لها.

وممّا يدلّ على التنزيل والتأويل أنْ لا حقيقيّة في أحدهما، بل الحقّ في القسم الثالث ، بأنّه لا يصحّ ظاهر التنزيل إلاّ بالتأويل الباتّة. وهما متضادّان لا يتّفقان في معنى. ولا يصحّ أيضاً من التأويل لفظة واحدة إلاّ بالتنزيل. فقيام أحدهما بالآخر وبتضادِّهما. صحّ عند العارفين أنْ لا حقيقيّة لهما.

وأيضاً فإنّ التأويل ليس هو على وجه واحد ولا على طريقة واحدة. والحقّ لا يكون إلاّ في وجهة واحدة. والتأويل أيضاً ما له غاية يقف عليها وكلّ شيء تسلسَلَ في طَردِ الغاية إلى ما لا نهاية له كان باطلاً. فصحّ أنَّ الحقَّ في معرفةِ علمٍ له محصول، وغايةٍ تَقفُ دونَها العقول. وهو المولى جلّ ذكره الذي ظهر لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ ظَاهِرًا مَكشوفًا لعبيده العارفين به.

وحدودُه أشخاصٌ رجال يأمرون وينهون، ويعلّمون ويفيدون. فإذا أصابوا قال لهم مولانا ومولى كلِّ مولى قد أصبتم. وإنْ أخطأ مخطئ قيل له أخطأتَ. فهم من أمرهم على يقين. وكذلك مَن تبعهم من الموحِّدين الفائزين على يقين من أمرهم.

وجميع العالم على شكٍّ، والشكّ هو الكفر، لأنّهم يَعبُدون مَنْ لا يُبصِرُ ولا يسمَعُ ولا يضرُّ ولا ينفَعُ. ولا يدرون هل عبادتهم مرادُه أو أراد منهم شيئاً ممّا أجازتْه عقولُهم، ولَم تُوعِه لعلّتها أفهامُهم. وهذا نفسُ الشك نعوذ بالمولَى منه.

وأيضاً فقد تقدّم القول بأنّ الوليّ جلّ ذكره عادل غيرُ جائرٍ تعالى وجلّ عمّا يقولون الملحِدون عُلوًّا كبيرًا. فأيّ عدل يقتضي أن يكون فوقَ سَبْعِ

سمــوات على كرسيٍّ فوقَ السمــاءِ السابعة، كمــا يزعمون المشركــون، وقد كلَّفَنا مع هذا عــبادَتَه ومعــرفَته. فهـل في وسـعِ أحدٍ من العالمَ أن يعــرفَ ما خَلْفَ الجـدارِ الذي هو أقــربُ إليه مِــن كلِّ قريب، إنْ لمْ يــكشِفْ عنه وينظرْه بعــينه ويصحِّــحْه بقلبــه وإلاّ فلا يعــرفُه. فنعــوذُ بالمولى إلى أنْ ننسبَــه أنّه احتجبَ هذه الحــجبة، ثمّ كلَّفَنا مع ذلك عبــادَتَه ومعرفَته. بل قــد ظهر تعالى بهذه الصورة الناسوتيّة التي تُشاكلنا. هذا من حيثُ المجانسة والمقابلة. فهذا نفس العدل.

ووجهٌ آخر. إنَّ ابنَ آدمَ غرَضُ الباري من جـميعِ الخلوقات لأنّ جميعَ العــالَمِ العلوي والسفــلي له ومِن أجله. فلمّا صــحّ عند ذوي العلم، والمعرفــة والفهم، أنّ ابنَ آدم أفضلُ الأشياءِ كلِّها، وَجَبَ أنْ يحتجبَ الباري جلّت قدرتُه في أجلّ الأشيــاء، لأنّ ضدّ أجلِّ الأشياء أقــلُّ الأشياء، وضدّ العــالِمِ الجاهِل. فنعوذُ بالمولى مــن سوءِ اعتــقادِ مَنْ يعتــقِدُ أنّه في الأمواتِ الجــهّال الذي لا تُبْصِرُ ولا تَسمَع، ولا تضُرُّ ولا تَنفَع.

وأيضاً فإنَّ العالَمَ كلَّه ما اختلـفوا في أنَّ الباري قادرٌ. فأينَ قدرتُه لو غابَ الدهرَ كلَّه لا يظَهرُ. أليسَ يكونُ قد عجِز عن الظهور؟

وأيضاً فلو ظهر الدهرَ كلَّه ثم لم يَغيب لَعجَز عن الغيبةِ.

ولو ظهر في كلِّ الظهــورات بصورةٍ واحدة وعلى حــالةٍ واحدة لكان ذلك عجزاً. فــأيُّ إلهٍ لمنْ يَدَّعي أنّ له إلهًا غائبًا عاجــزًا عن الظهور. وليسَ من صفةِ القادرِ العجز. فــالمولى جلّ ذكره إلهُ الأوّلين والآخِرين، قادرٌ في جميع الأحوال: غابَ وظَهَــر، بظهورات مختلفــاتِ الصُوَر، لأنّه جلّ ثناؤه في ظاهر الأمر ظهــرَ في حدِّ الطفوليّة ثمّ الكمــال. ثمّ إنّه جلّتْ قدرتُه اعتلّ جســمُهُ في ظاهرِ الأمر لــئلاّ يكونَ عاجــزًا عن ذلك. فمِن هذه الجــهة صحّ أنّ العَــجْزَ مِنَ القادِرِ قدرَة.

وأيضاً فلو غاب ولم يظهر لما تحقّق المعـبود، ولا صحّ ما أشارت إليه الحدود.

ولو ظهرَ ثمّ لمْ يَغبْ لكانتِ العـبادةُ جبرًا وقسـرًا، ولَتَسَاوى في ذلك أهلُ الأرض حتّى لم يختلفْ فيـه اثنان، ولكان ذلك عجزًا منه، في الخِلقة، إذا كان العالَمُ كلُّهم علماء ليس فيهم جاهلٌ، وكلُّهم موحِّدون ليس فيهم مشرِكٌ، ولَكَانَ العالَمُ مجبَراً لا مُثاب ولا مُعاقَب، لأنّ المجبَرَ لا مثاب ولا مَعَاقَب. وهذا نفسُ العَـجزِ إذ لم يقـدِرْ على إظهـارِ العالِمِ والجـاهل، والناقِص والفـاضِل، والشيءِ وضدِه لِتَكمُلَ القُدرَةُ وتتِمَّ الحِـكمةُ، ويتحقّق المعبود، وتظهـر جميعُ الحدودِ، أهل التوفيق والتسديد.

وفي ذلك يقول العالِمُ :

ظَهرَ الإلـــهُ بِالصّورةِ المرئيّهْ	عَدْلاً وَمَنّا ليــسَ فيه خَفِيَّهْ

وله أيضًا في هذا المعنى يقول :

مـا كـلـَّفَ المـولَى لكلِّ عبادِه	شَطَطًا وأمْرًا ما لهُ تَحصيلُ
بعبادةِ العدمِ البعيدِ وَجـَـورِهِ	مَا إنْ لهم بوجوده تـمـثيلُ
بلْ قد تَجلّى للعِبـــادِ بأسرِهم	وأتاهُمُ التَّحريمُ والـتَّـحليلُ

وأيضاً فـقد صحّ عند كلِ ذي عـقل، ومعـرفةٍ بالحقّـيقـة وفضل، أنَّ المولودَ لو كانَ أبواه أخرَسَانِ لا يَنطقانِ، ثمَّ لم يَسمَع مـن غيرهما كَلامًا كانَ أخرَسَ لا يَـنطِقُ. وإذا كان أبواه ناطقَين كـان ناطقاً. فـإذا اطَّرَدْنا المعلولَ في العِلّة لا بدّ من مُعلٍّ لجميعِ الأشيـاءِ لا يتجاوزُ حدُّه. والصورةُ لا تُقْبَلُ إلاّ من صـورة. فصحّ أنّ المُبـدِعَ جلَّ ذكـره ظهرَ في القِـدَمِ بهـذه الصورةِ المرئيّـة للمقابلةِ والمجانسة.

وكذلك في جمـيع العلوم والصنائع إذا اطّرَدْتَ المعلولَ في العلّة لا بدّ من نهايةٍ تقفُ عليها. وذلك النهاية هو مولانا جلّ ذكره. والدليل على ذلك أنْ ليسَ على وجه الأرض أحدٌ يُحْدِثُ صَنْعَـةً مِن ذاتِه الاّ أن يكونَ قد سَبَق إليها غيرُه، أو إلى ما يجانِسُها ويشاكِلُها.

فـمِن هذه الجـهة وجَـبَ أنْ يكونَ للأشيـاءِ أصلٌ واحـدٌ تأولُ إليـه، وتُعَوِّلُ عليه، وهو المبدِعُ تعالى وجلّ عمّا يقولون الملحدون علوًا كبيرًا.

وأدلُّ دليل على إمـامة قائـم الزمان أنّه أتى بضـدِّ العالَم، لأنّ جـميعَ النطقـاء والأسسِ وأصحـابِ الأدوارِ والأكـوارِ أشـاروا إلى عـدمٍ مـوهومٍ وأبعدوه عن حواسِ العالَمِ.

وإنَّ قائمَ الزمانِ والهادي إلى طاعةِ الرحمن، عليه من المولى السلام، دعا إلى مـوجودٍ ظاهر، وإلهٍ في جمـيع الأمورِ قادرٍ قـاهر. فكلُّ مَنْ دعا إلى الحاكمِ المعبود، الإلهِ الموجودِ، فقـد أنصفَ من نفسِه. وكلُّ مَن دعا إلى العدم الموهوم فقد طلب الرئاسةَ لنفسِه. وهذا بيِّن ما فيه على عاقل مَؤنَة.

ووجهٌ آخَر إنّه أظهـرَ أغراضَه في دفعةٍ واحـدة. وقد علِم أهلُ الشرق والغـربِ أنّه دَعا إلى توحـيدِ مـولانا جلَّ ذكـره. ثمّ بعد ذلك خُـيِّروا العـالَم ومُكِّنوا من أدَيانهم واظـهارِها. فـصحّ أنّ ذلك لأهل التـوحـيدِ خـاصٌ ومِن أجلهم لا للجهّال المشركين، لأنّه لو كـان للجهّال المشركين لوجَب أن يكون قد سبقتْ به العادةُ من قَبْل ظهورِ قائمِ الزمان، ومَن تبعَه في هذا الأوان.

وأيضـاً فإنّ في عـمارة الـكنائسِ وإزالةِ حمْلِ الـنّصارَى للصلبـانِ، وعِزّهِـمِ على المسلمين في كلِّ مكانٍ، أدلُّ دَلالَةٍ على أنّ الإسـلامَ قد اضمـحَلّ وبَطُلَ، وأنّ الحقَّ قد أنار واشتعلَ. والحُق هو توحيدُ مولانا جلّ ذكره الحاكمُ بذاته، المنفـرِدُ عن مبدَعـاتِه. فكلُّ مَن سَبَق إليـه من جميع الخَـلق نَجا، ومَن

تخلَّف عنه عَطِبَ وَغَوى. فيا عَجَباً كلَّ العَجَبِ من قومٍ هم عنِ السَّمْعِ معزولون، ومن الحقيقةِ بتوحيدِ مولانا جلَّ ذكره نافِرون، وعلى أصنامهم وأعدامهم عاكفون.

وفي ذلك يقول العالِم :

فيا عجباً مِن فعلِ قومٍ تخلَّفوا ... عن الحقِّ لمّا أصبحَ الحقُّ قد ظَهَرْ
وأعجَبُ مِن هذا وذاكَ عبادةٌ ... لِمَنْ غابَ من طولِ الزمانِ واستَتَرْ
ولو كانَ فيه قُدرَةٌ كانَ ظاهِرًا ... فيَا لكَ مِن أمرٍ عجيبٍ لِمُعتَبَرْ
فلمّا أتى التوحيدُ والقدرةُ التي ... بها عقلُ كلِّ العالمين قد ابْتَهَرْ
وصحَّ بأنَّ الحاكِمَ العدلَ واحدٌ ... رؤوفٌ رحيمٌ بالخليقةِ والبَشَرْ
تخلّف قَومٌ ما لهم مِن بصيرةٍ ... وقد سَبَقَ القومُ الذينَ هُمُ الغُرَرْ
أليسَ عجيبٌ في الكنائسِ والذي ... أعزَّ النصارَى بعدَ أمرٍ قد احتَقَرْ
يُنَبِّهُ أفكارَ العبادِ بأسرِهِمْ ... بأنْ ليسَ حقًّا غيرُ طاعةِ مُشتَهَرْ
إلهُ البرايا جلَّ عن كلِّ مُلحِدٍ ... هو الحاكمُ المولى فخارٌ لِمَنْ فَخَرْ
ففَخري به طولَ الحياةِ وإنّني ... مُطيعٌ لِحَدِّ الحقِّ فيه ومنتَظَرْ.

وَلعَمري إنّه ما تعجّبَ إلاّ مِنْ عَجَبٍ مِن قومٍ قَطعوا المفاوِزَ، ولقُوا في سَفرِهم الهزاهِزَ إلى بلدٍ لم يكونوا بالِغيه إلاّ بشقِّ الأنفس قصدًا إلى حَجَرٍ أسْوَد، وبيتٍ جَلْمَد، ليسَ فيه حياةٌ ولا نُطقٌ. فأيُّ عَجَبٍ أعجبُ من قومٍ هذا فعلُهُم. ثمّ إنَّهم أنكروا على هذه الطائفةِ النورانيّة المُضيِّة، أعني أهلَ التّوحيد، عبادَةَ الواحدِ المجيد، الحاكمِ على كلِّ الأشياءِ شهيدٌ.

فيا ليتَ شِعري ما نَفْعُهُم من تقبيلِ الحجَرِ الأسْوَد؟ ومَا اكتسابُهُم من الفوائدِ العقليّةِ والعلومِ الحقّيقيّةِ الإلهيّة؟ هل فعلهم إلاّ كَفعْلِ النصارى في الصليب؟ بل هم أشدُّ عُتُوًّا، لأنَّ الصليبَ موجودٌ في كلِّ البلادِ، والحَجَرُ الأسْوَدُ يُسافِرون إليه أهلُ الضلالةِ من جميعِ العباد.

وقبلُ وَبعْدُ فإنّما عظّموه إكرَامًا بزعمِهم لنبيِّهم. أليسَ مَنْ قامَ مَقامَ نبيِّهِم في كلِّ عصرٍ وزمانٍ أحَقُّ بالتفضيل والإكرامِ والتبجيل؟ أليسَ هَذا في العقول مستحيل؟ بأنّ قومًا طلبُوا إلهَهُم طولَ أعْمارِهم، لم يصِحَّ لهم منه إلاّ أسماءُ إذا كُشِفَ عنها لم يُوجَدْ لها حقائقٌ إلاّ بوجودِ صورةٍ حيةٍ ناطقةٍ مميَّزَة.

فلمّا ظهر لهم المعبود، وصحّ ما أشارتْ إليه الحدود، أبَوا واستكبروا وقالوا إنّ هذا إلاّ بَشَرٌ مثلُنا. وغرّهم بالمولى جلّ ذكره الغرور. ثمّ أظهروا العَداوةَ والبغضَةَ لأهل التوحيدِ فعلَ الحسّادِ، وذي الدناءَةِ والأنكارِ، كفعلهم في الأزمان المُتَقَدِّمَةِ والأدوارِ الماضية.

أليسَ أعظمُ الأرباحِ لكلِّ العباد، ومن يسافرُ في الأقطارِ والبلاد، من أهل الدنيا والدِّين، ومَن كَشَفَ عن الحقائق والتبيين، أنْ يأتيَهم رزقٌ رَغدٌ بغيرِ رأسِ مال، فيكون ربحًا من جميع الوجوه والأحوال. وهذا نهايةُ ما يُطلَب، وَمَجْهُودُ ما يُكْتَسَب، أخذُ شيءٍ بغيرِ ترْكِ شيء.

وأنتم معشرَ أهلِ التوحيدِ والتوفيقِ والتسديد، قد عرفتم إلهكم، وغيرُكم من الخلق منكِرون، وربحتم معرفَتَه وغيرُكم من الناسِ خاسِرون، لأنّ جميعَ أهلِ البصائرِ والفضائلِ والمآثرِ علِموا أنّهم كانوا في عبادة العدم الموهوم على أعظم خسارة. فلمّا تجلاّ مولانا جلّ ذكرُه للعباد، أهلِ التوفيق والرشاد، علِموا أنّه قد مَنَّ عليهم بمعرفتِه ولم يُخَلِّ شيئًا، لأنّه ما كان لا يُحَدّ ولا يُوصف ولا يُدرك بشيء من الحواس، فأحرى أنْ لا يكون شيئاً.

وممّا تُثَبِّتُه العقول، ولا يخالفُه إلاّ مُوَسْوِسٌ جَهول، أنّ ابنَ آدمَ غرَضُ الباري من جميع المخلوقاتِ، وأنّ جميعَ العالَم العلوي، أعني الفلك وما فيه من المدبِّرات والأستَقصّات، والعالم السفلي وما فيه من الحيوانات والنبات، كلُّهُ لابنِ آدمَ ومنْ أجْلِه. فأيُّ حكمةٍ توجب أن يكونَ غرضُ الباري

من جـميعِ المخلوقـات يضمـحلُّ ويذهبُ ولا يرجِعُ ، والخادمُ لهُ باقٍ مـا بقيَ الدهرُ. أليسَ لو نَسبنا الباري، والعائذُ بـه إلى ذلك، لَنَسَبْنَاهُ إلى أعظم العجز أن يبقى الخادِم ويضمحلُّ المخدوم.

أليس قد صحّ عند كلِّ ذي عـقل، ومعرفـةٍ بالحقيقـة وفضل، أنَّ هذه الأشخـاص، أعني عالمَ السـوادِ الأعظم، لم يتناقصوا ولـم يتزايدوا؛ بل هي أشـخاصٌ مـعدودةٌ من أوّلِ الأدوار، إلى انقـضـاءِ العالَم والرجـوع إلى دار القرار؟

والدليل على ذلك أنّ هذه الخِلقةَ، أعني العـالَم العلوي والسفلي، ليس لها وقت محدود، ولا أمَدٌ عند العـالم معدود. أليس لو زَادَ العالَم في كلِّ ألفِ سنَةٍ واحـدًا لضاقتْ بهم الأرضُ؛ ثمّ إنّه لو نَقَصَ في كلِّ ألـفِ سَنَةٍ شخـصًا واحداً لم يبقَ منهم أحد؟

فصحّ عند كلِّ ذي عـقلٍ راجحٍ ومَن هو بالحقـيقةِ لنفسه ناصح، أنّ الأشخاصَ لم تتناقص ولم تتزايدْ؛ بل تظهرُ بظهوراتِ مختلفاتِ الصُّوَر على مقدارِ اكـتسابِها من خيرٍ وشـرٍّ لأنّه قد سَبَق في القولِ أنّ الخَلْقَ مجتـمِعون على أنّ الباري قـادِر، فالقادِرُ قـادِرٌ أن يُنعِم في هذا الجسم قـادرٌ أن يُعاقِبَ فيه.

فإنْ قال قائلٌ: فما لنا لا نعرفُ ما مضى من الأدوارِ والأكوار؟ قال له المحتجّ بالحـقيـقة، ومَنْ سلَك نهجَ الطريقـة: أنْ لو ذكرتَ وعرفـتَ لشاركتَ المبدِعَ في غيبِ حكمـتِه، ولكانَ ذلك عـجزًا من البـاري جلّتْ قدرته؛ ونـعوذ بالمولى مِن هذا. ولكانَ أيضاً ينفـسدُ النظام، لأنّكَ لو عرفتَ نفـسَك وما كنتَ عليه في الأدوارِ الماضـيةِ لعـرفتَ غيرَكَ، ولكنتَ أيضـاً عارفًـا بمُبدِعك الذي ردّدَكَ في الأشخـاصِ، ولو عرفتَه لعـرفتَ جميعَ العـالَم كمعرفـتِكَ بنفسك، ولتسـاوَى فيـه العالِم والجاهل، والـناقِص والفاضل، ولكان ذلك عـجزاً في

القدرة من إظهار عالِمٍ ليس فيه جاهِل، ونَاقصٍ ليس فيه كامل، وإنّما ظهرتِ القـدرة، وتمّتِ الحكمـة، في إظهـار العـالِم والجـاهل، والناقصِ والفـاضل، والشيءِ وضدِّه.

وأدلُّ دليـلاً على أنّ مَن وحدَّه في وقـتِنا هذا فقـد وحَّده في سـائرِ الأعصارِ، لمّا دعاهم قائمُ الزمـان والهادي إلى طاعةِ الرحمَن، عليه من المولى أفـضل التحـيّة والسـلام، فأجـابوا إلى ذلك وقَـبلوه وعرفـوه ولم يُنكروه، بأذهانٍ حاضـرة، وألبابٍ في الحقيـقة وافرة، بلا شيءٍ من أمـور الدنيا، بل لَقُـوا من ذلك كلَّ تعبٍ ونَصب من مقـاساة الأضـداد، ذوي الدناءة والأنكاد والحسّاد، وهم على ما هم عليه صابرون.

وأيضاً فـإنّهم يقولون ويعـتقدون أنّ العـالَم كلَّه في النار وأنّهم في الجنّة. فأي دليل أبْيَنُ من هذا الدليل بأنّهم ذُكِّـرُوا فَذَكَرُوا، وعُرِّفُوا فَـعَرَفوا. ولم يُنكروا لِما قد مضَى مِن معرفتِـهم لذلك وإلْفِهِم له، وغيرهم من الجهّال، الطَغَامِ الأرذال، قد تخلّفوا عن قائم الزمان، والهادي إلى طاعة الرحمن، عليه من المولى السـلام. وقـالوا إنّه ادّعى مـا لـيسـتْ له بحقّ، ونَفَـرُوا من ذلك، وَأبعَدُوا وكَفروا واستَغنى المولى وهو الغنيّ الحميد.

فالنقمة تأتيهم عن قريب، ويحلُّ بهم منها أوفرُ نصيب، إذ تخلّفوا عن باريهم وإلهِـهم الحاكمِ المعبـود، تعالى وجلّ عن جـميع الحـدود، وعن قائم زمـانِه الناطقِ في أيّامهِ وأوانه، هادي المـستـجيـبين، المنتقم من المشـركين، بسيف مولانا وشدّة جبروته وقدرته.

فاسمعوا معاشرَ الموحِّدين العابدين لربِّ العالمين، البريِّين من شهادة الزّور ومخالطة المشركين. فـأنتم الملائكة المقرَّبون، ومنكم الأنبياء المرسَلون، جعَلَنَا المولى وأيّاكم ممّن وُفِّقَ لطاعةِ الحـدود، وعرَفَ معناهم وإشارَتَهم إلى المعبود، إلهِ البرايا الحاكم الموجود.

وطَيِّـبُوا نفـوسكم، وارفَعُـوا رؤوسكم، فإنَّ المولى مَـعكم هو وليّكم وقائمُ زمانِه إمامُكم ودليُلكم.

فـأنتم خيـرُ أناسٍ في خَيـرِ أوان. وأفضلُ العـالَم في أفضل زمـان. فعليكم بطاعة حـدودكم، ومعرفة معبودكم، تُرْشَـدوا وتُوَفَّقُوا. والمولى على كلِّ شيءٍ قدير. وهو حسبي ونعمَ المعين النصير في جميع الأمور.

تمّتْ.

٦٨

الموسومة برسالة السفر إلى السادة

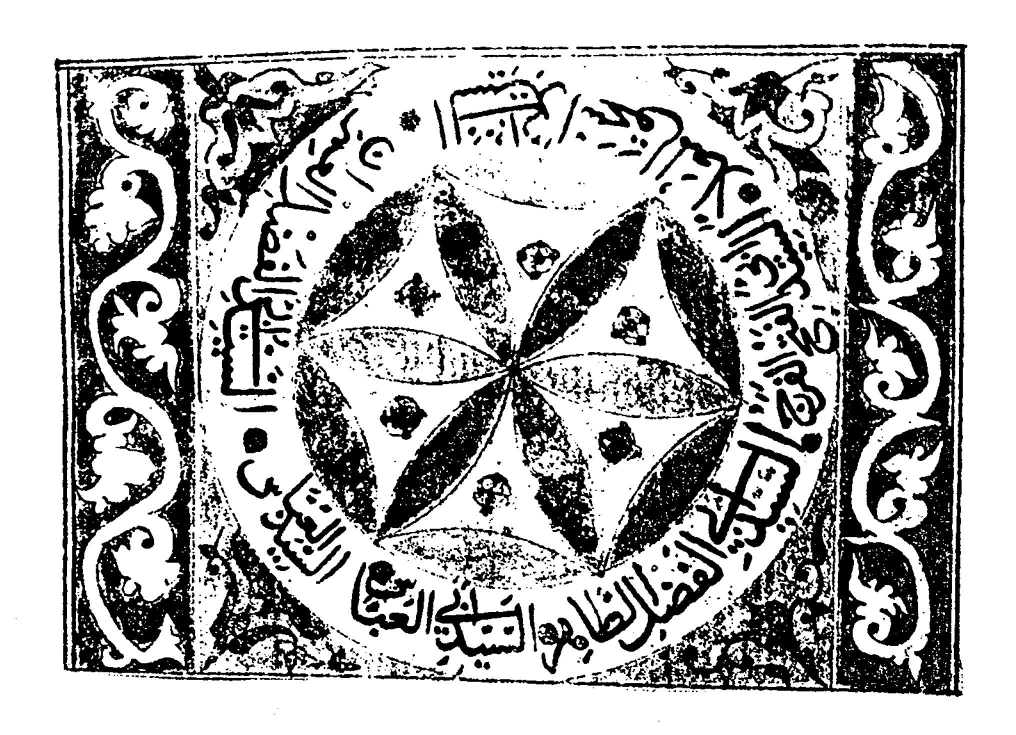
في الدّعْوَة لطاعَةِ وَلِيّ الحَقّ الإمَامِ القَائِمِ المُنْتَظَر.

في هذه الرسالة يدعو بهاء الدّين بعضَ مشايخ من العرب إلى عقيدة التّوحيد وعبادةِ المولى والطاعة لوليّ الزمان حمزة. إلاّ أنّ معظمهم لم يكونوا ليستجيبوا للدّعوة؛ ويتّهم العرب عامّة بأنّه «قد كثر فيهم الغدر وقلّ الوفاء بالذمامات. وقد أذلّوا جارهم، وخانوا الامانات».. كتبت سنة ٤٣١ هـ.

توكّلتُ على المولى الإله الحاكم المنزّه عن التنزيه، وتوسّلتُ إليه بعبده الهادي القائم بحقيقيّةِ التّوحيدِ والتأليه. من العبد الناصحِ بهاء الدّين، ولسانِ المؤمنين، وسَنَدِ الموحّدين، المقتَنَى الخاضعِ لطاعةِ الهادي القائم مالكه ومولاه، والجناحِ الأيسر، الحدِّ الرابع الأخِرِ الأصغر، كما أمَر مَن تفضّل عليه وهداه،

إلى جميع مَن بالإحساء من السادات الطهرة المكرّمين، الخَلَفِ لساداتِ الأمم الدّعاة إلى التّوحيد المحقِّين السابقين الوارثين، لمآثر أسلافهم الدّعاة السفرة الموقنين، المقتفين لفضائلهم بأخْذِ الثّأرِ لدماءِ المُوحِّدين المَظْلومينَ الممتحَنين، ومَنْ بحوزتِهم مِن الأولياءِ المؤمنين، الطَهَرة المسلمين، آلِ الصبر والتسديق والتسليم واليقين،

السلامُ على مَن وُفِّقَ التّسليمَ لإمامه الهادي ولِيِّ الزّمان، وكَشَفَ عن بصيرته فعرف حدودَ آياتِ التّوحيد والبيان والبرهان، واهتدى بأنوارِ هدايته وسلم من الزّهو والتكبّر على أهل الحقّ والعدوان، ورحمة المولى وبركاته على إخواني الوسائل إلى المليك الديّان.



أمّا بعد، فالتّوحيدُ والإعظامُ والإجلالُ والإكبار، والتقديسُ والتنزيهُ والتأليهُ والتسليمُ والإقرار، سُدْنَةٌ لطاعةِ المولى الإله الحاكم الجبّار، المتعالي عن دقائقِ مختلجَاتِ الهواجسِ وخَطرات الأفكار، المنزَّه في توحيده عن تحديدِ العقولِ الجاريةِ بالألفاظ، والمقدَّسِ في الإشارة إلى جبروته عن اكتناه النّواظر والألحاظ، الذي جَعَلَ توحيدَه للعقولِ الصافيّةِ عن تحديده عجزًا وإقرارًا، وامتحانًا بظاهرِ نواظرِ المجانَسةِ من حيثُ الموجِبِ واختبارًا، وإقامةَ الحجّةِ على نفوس العوالمِ بمحضِ الحقيقةِ إيجاباً وإعذاراً.

فـالعجـزُ والحَقُّ قد أخـذَا بأزِمَّةِ الـطَّائعةِ إلى الاعـترافِ بالوجـود، والبهتُ واللَّدَدُ قد أوقـفا العاصيةَ على العدم والإنكارِ والجـحود. فهيَ كليلةٌ لإيباقِها سادِرَةٌ بين الحقائِقِ والشكوكِ، معـكوسةٌ متبرِّيةٌ من الزكِيَّةِ المخلصةِ المملوكـةِ للوليِّ المملوك. فـتـعـالى المولى الذي جَـعَلَ وليَّـه الهـادي لكشْفِ مخَبَّـئاتِ الضمائرِ سببًـا، والقائمِ علي كلِّ نفسٍ بما كسَبَتْ، فلن يُعـجِزَ طَلَبًا جلّت آلاءُ مَنْ تعـاظمتْ قـدرتُه عن الإدراكِ، ودَبَّرَ بريَّتـه بما أوقـعـهم تحتَ الطلبِ فيه وأحوَجَهم دونَ وليِّهِ إلى الازدواجِ والإشراكِ.

أيّها السادةُ المكرَّمـون، فـقابلوا أنوارَ الحـقّـائق بجواهر النفـوس، ونزِّهوها عن التكبّـر والتـأسّي بهذا الـعالَم المعكوسِ. فلِـسَلِفكُم الطاهرِ في الدِّيانة سوابقُ أعـمالٍ فلا تُبطلوها، ومـواقفُ جهادٍ في الحـقيقـة فلا تَنْكُلُوا عنها وتَقطعوها، وأنسابٌ في الإيمانِ المتقدّمةِ صحيحةٌ فأَحْيُوها وحَقِّقوها.

فقد أسَّـسَها السَلَفُ المطهَّرون على حـقيقيَّـةٍ من التوحيد والتـبيان، وشـيَّـدوها من الوَطَاءِ ومكارِم الأخـلاقِ والرضى والتـسليمِ على قـوّةٍ في البنيـان، بمساهمـةِ المؤمنينَ الحَـالِّينَ بقُدُسِـهِم والطَّارِئيْنَ إليـهم من جمـيع البلدان، ببثِّ كلمةِ التّوحيدِ فيهم والمظاهَرَةِ بها لجميع أهل الأديان.

فاشتهرتْ في الآفاق مَيامِنُهم بتـجريدِ التوحيد، ووشَّحوا من خَلْفِهم وحَذَوا في الحقِّ حَذوَهم في كلِّ زمَنٍ ببُـرْدٍ جديد. فما الذي ضيّق مـا وسّعه السادات من الأمنِ بمَقَرِّهم والعدلِ والإنصـافِ واللّطفِ والاحتمال، على مَن قطَعَ إليـهم الصـعبَ الشّـسـيعَ وصَـبَـرَ في طاعـةِ هادي الأممِ على التّـعَب والمَسَاغِبِ والأهوال، يَحـمِلُ إليهم صـحيحَ المعاني من مـعالِمِ الهـادي القائم المنتظَر، ويُوضِحُ بمحلّهم مُحكَمَ آياتِ التّوحيدِ وأسفارِ الزُّبَر.

فَأَلاّ أَجْـرَيْتُم مَنْ تَكَفَّلَ بإيرادِ هذهِ الفضـيلةِ والنعمـةِ على جلالتِـها، وَعَرفَ معناها ووقف على شريف دلالتها، ولا يسـألكم عليها أجرًا وهو غير

ظنين، مَجرَى مَنْ وَصَل إلى مقرِّكم وقَطَن بناديكم من فرَقِ الأفّاكين الملحدين، الذين لم يَنْهَهُم ممّا أملي له فيزدجرون ويَخافون عواقبَ الإمّلا، ولم يَصغُوا إلى منادي الحقّ والرحمة فيُفارقون ما هم عليه من نِكالِ البِدَعِ وشَهْوةِ الأهواء، ولم يظهَر لهم بناءُ القصرِ المَشيدِ فيقصُدُون هدايَته ويفارِقُون شِقَاوَةَ البيداءِ، ولم يَسمَعُوا قولَ المُخدِّرِ المُرشِدِ فينتهون عن غوَايةٍ بعيدة من الانقياد إلى حقائق الأنباء، بل هُم أحلامُ بهائمٍ ضالّةٍ في خلق البَشر، قد خُيِّلَتْ لشهواتهم الفاسدةِ وقلوبِهم القاسيةِ ما رَكِبَتْهُ أجسامُهم العاصيةُ بلَحْظِ النَظَرِ.

هذا وليس على أيدي السّادة يدُ امرءٍ فيَخافوه، ولا هم عندَ جميع الأممِ بغيرِ دين التوحيدِ بالكفرِ مرجُومُون فَيَتَجَنَّبوا إذاعة هذا الأمرِ ويَستُروه، ولا لعدُوٍّ على بلدِهم مجالٌ فيُدارُوه وَيحْذَرُوه.

فما الذي أوجبَ ردَّهُم لِسَمَاعِ حكمةِ القائمِ وهذا الذي هُم والأسلافُ على ممرِّ الأزمانِ يُشيرونَ إليه وينتظروه.

فإنْ كان السادةُ وحاشاهم قد تناسَوا معالمَ التوحيدِ والإيمان، وطال عليهم الأمَدُ لتكرارِ العصورِ والأزمان، فهلاّ أجرَيْتم الشيخَ الشهيدَ مَجْرَى مَن وصَلَ إليه رسولٌ من إحدَى سلاطينِ البلدانِ فلا بدّ من إحضارِ ذلك الرسولِ إليه، أو إلى أكبرِ أسبابِه إذا تكبَّرَ هو عَنْه ليَقِفَ منه على جميع ما أُرسل به ليجيبَه عليه.

فهذه سياسةُ الدنيا لسلاطينها المُترَفين.

وتاللّه إنّ الأولى بذوي الأقدار البحثُ عن معالم الدِّين. أللّهمّ أنْ يكونَ هذا الزهوُ والتكبّر، والإهمالُ للواصلين إلى جهتهم والتجبّر، كان لضعفِ معلومِ الحكمةِ المنصوصةِ في الرسائلِ، أو لقلّةِ جزالةِ الألفاظ فيها وَوَهَنِ المعاني والمَقَاوِل، أو لما اشتملتْ عليه من إقامةِ الحججِ الموجبةِ لطاعةِ الهادي

المنتظَر بالبراهين والدلائل، أو يكونوا الوسائطُ تَخَلَّفُوا عن إيصالِ هذا الحالِ إليهم، فإلى وليّ الأمرِ القائمِ المنتظَرِ نتوسّلُ في هدايتهم وإسبالِ نعمةِ التّوحيد عليهم.

بل فَوَأَسَفَاه على ملأٍ مِن أهلِ الشرَفِ تخلّفوا عن هدايةِ القائمِ بعد بيان الآيات لهم والحدود، ووقفوا عن طَاعة القائم بعد الدعوةِ إليه والخنوعِ والسجود، وبعد حملِهم لِعدَاوات الأممِ وَحثّهم على ممرّ الأزمانِ بكَتْبِ إمانةٍ وأخذِ عهدٍ ينتظروه؛ فلمّا وردتْ معالِمُ دينهِ صفوًا إليهم من جهة حجّته أهملوا رسولَه وطردوه، بعد أن سَلَّمَ له عند سَماع لفظِهِ جماعةٌ من المؤمنين وتحقّقوه وقبِلوه، ومِنْ قَبْلِ وصولِ الشيخِ الرسولِ الطاهرِ إلى مقرّه انتقل على طاعة مولاه، ووصل ولدُه. وهذا بعض ما استدللنا به على بعضِ ما ذكره وحكاه. فَأْمَنِ الناسَ واللّه في يوم الجزاء من قبل أوامر وليّ الحقّ وسَلَّمَ، وتلقَّى بالشكر ما أوردَ إليه من ماء الحياةِ وأنعم.

أيّها السادة المكرَّمون! فتنزَّهُوا بالفضائلِ عن التأسّي بأفاعيل الناس، وتميَّزوا بشرفِ معالمِ القائم المنتظَر عن أهل العناد لحدودهِ والشكِّ فيهم والأياس. فقد ظهرتْ سرائرُ القلوب، وفَلَجَتِ الحجَّةُ على أهل الظلم والحُوب. فلكم أيّها السادة المكرَّمون قد فُتِح بابُ القصر المَشِيد، وترنّمتْ فيه طيورُ الجنَّة بغرائبِ التسبيحِ ومعجِزِ التوحيد، وفارتِ البئرُ المعطّلةُ وجرَتْ بالماء الرَّيِّقِ الزلال، ونُزِحَتِ البئرُ الزَّعِقَةُ المنسوبةُ إلى المسيخِ الدّجّال، المشوبةُ بالسُّقم الواردةُ على نفوس الجَحَدةِ بمَعْدِي الأمراض، المخيَّلةُ لها جواهرَ الحقائقِ بمثابةِ الأعراض، الداخلةُ على جلائل المعلومات، الشريفةُ بعدَ وَهَنِ حامليها بالانحلالِ والأنتقاض، الصادرةُ من أعداء المنتظَر عن الخبثِ والبلادة وقلّةِ الأرتياض، القاضي عليها بالعمى والصَممِ وبَعْدَ العلوّ بالانخفاض، الخالدةُ في قُمْصِ النَّجَس بما اقترفتْه من اللّدد والنِفاق،

واستَحْسَنَتْه في حُجَجِ وليّ الحقّ من الكذب عليـهم والاختلاق، واستجازَتْه من الردّ لأوامرِهم والإباق.

فأنتم أيّها السادة المكرّمون المحِقّون، غُرَرُ الآياتِ المُحْكَمات، وجواهرُ الغصـون المُثمِـرات، والخَلَفُ لدعاةِ التّـوحيدِ المـنفردين بالطاعـات، الباذلين لمهجـهم في القـدم صونًا لجمـاعة الموحِّـدين والموحِّدات، والمتـحقـقين لِنَقل الجواهرِ النفسيّةِ عند تراجُعها بين اللسانِ واللّهَوات، الواردةُ إلى الملأ الرفيع عند استكمالِها لعلوِّ الدرجات، الثابتةُ بقُدسِ الطهارةِ ومحلِّ الأنوار، الظاهرةُ بظهورِ وليِّ الحقّ عند تمامِ الإرادةِ وكـمالِ الأقمار، الحاضـرةُ لثوابِ المحقِّين والشاهدةُ لعقابِ الفَسقَة الفـجّارِ، جَزاءً لِنضالِهم عن الموحِّدين، وتَبرِّيهم من المَرَقَةِ الجاحِدين، الذينَ كانوا لوليِّ الحقّ أضدادًا، ولأوليائه أعداءً وحُسّادًا.

أيّها السادة المكرّمون! فألاّ تكونوا خَلَفًا لأسلافكم الطهرة فيما أتْعَبوا فيه أفكارَهم وارثين، وللدّعوةِ المهديّةِ الهاديةِ مُذيعينَ مُظهرين، وعلى رؤوس الأشـهاد لنـشر معالمها وإيضـاحِها للأمم متـعاضِدِين، ومِن معـدنها الطاهر بفيضِ حكمتـها وأنوارِ قدسها مُـمْترِين، وبشعارِها اقـتداءً بالسَلَف الصالحِ قابلينَ معتصِمين، لتعلو كلمةُ الحقِّ بأسبابِكم، وتصحّ بالدعوةِ الهاديةِ بمحلِّ القُدُسِ أنسابُكُم.

فـانظروا أيّهـا السـادة في مـآثرِ السَلَفِ لتـعلمـوا مـا أصـابَ الأممَ المسـتكبرين من المِحَـن على الإخوانِ، والقـاعدين بـعدَ الإنذارِ عن التّـوحيـد والإيمان، إذ هذا العصـرُ ليسَ كما تقـدّم من الأزمان، بل هذا العـصر تُسلَبُ أعداءُ القائم العِزُّ والنصر، وتكون الأممُ الجاحدةُ لآلائه تحت الذلِّ والقهر.

فاستعـيذوا أيّها الطَهَرةُ بوليِّ الحقّ من لواقحِ الاستكبـار، وتَقَدَّسُوا بالخضوع للمولى الإله الحاكم الجبّـار، قَبل جفافِ الأقلام وطيِّ الصحائف، وظهورِ لألأ الأنورِ المحـرِقَةِ على المُبطلين القـاعِدين عن التـوحيـد بالصواعِق

والرواجِف. فتكونوا بعد السَبْقِ إلى أشرفِ المنازلِ وحاشا أهلَ الحقِّ بمسبوقين، وبعد القيامِ بحقائقِ الطاعة عن الحقِّ قاعدين.

وما أُزيدُ السادةَ عِلماً بتحققهم أنَّهم إلى الهادي المَهدي يُشيرون، وهم بعهدِ الإحرام ومألوفِ الشرائع إليه يَدعون، ومن عِقابِه وسَخَطه يُحَذِّرون الأمَم ويُنذِرون.

والقائم الهادي، سلام اللّه على ذكره، منزَّه عن الشَّرْعِ والظُّلمِ، متعالٍ عن الغِشِّ والغشم، وهو الموسِع للأمم حِلمًا وعِلمًا والذي اجتمعتِ الخليقة على تَبايُنهم أنّه يملأ الأرضَ قِسطًا وعَدلاً، كما مُلئَتْ جَورًا وظلمًا.

فكيفَ يَصِحُّ في معقول أهل العلمِ والفضل، أو يجوزُ أو يَثْبُتُ في معنى الحقِّ وأحكامِ العدل، أنّ الهادي القائمَ المنتظَر يُطَالِبُ العوالِمَ بتصحيحِ دينٍ لم يُوعِزْهُ إليهم فيَعرِفُوه، أو يُعَاقِبْهُم على ما لم يَعلَمُوه، وَيُنذرْهم به ويقيم به الحجّةَ عليهم ويعيّنه لهم ويفهموه.

وكيف تجوزُ الطاعةُ لِمَنْ لَمْ يَظهَرْ إلى العالَم فيُعرَف، ويُعَيَّنَ عليه باسمِه ونعته فيُوصَف، وتَخْرُقَ أسماعَ العوالمِ أوامِرُهُ ونواهِيه، وينتشرُ في الآفاق مذهبُه ويُفصِحُ به للعوالم ويقيمُ به الحجَّةَ على الأمم حججُه ودواعيه.

فعند ذلك تقومُ حُجّتُه على الأمم، إذا عُرِفَتْ أوامِرُه وزواجِرُه وشاعتْ في العَرَب والعَجَم. هنالك يصِحُّ ثوابُه إذا ظهر، وشفاعتُه عندَ الباري لمن قبِلَ أمرَه، وأطاعَ وَرضيَ وسلَّم، وَيثْبُتُ عِقابُه وعذابُه لمن خالفَ أمرَه وجحَد وَشكَّ وتلوّم.

فبهذه الدَلالاتِ المحقّقةِ بالبرهان، يَنفسدُ قولُ جميع الطوائفِ ممن ادّعا طاعةَ قائمٍ أو هادٍ أو منتظَرٍ لم يظهَرْ إلى العالَمِ ويُثَبِّتْ عِلمَه ودعوتَه فيهم بواضحِ البيان، وتقوم حجَّته بإشهارِ دعوته بأمرِه ونهيه على جميعِ أهلِ النِّحَلِ والأديان.

وهذه الفِـرَقُ مِن الأممِ فــهم: ألنَّـصــرانيّــة والمُسلمـيّــة واليـهـوديّة والمجوسيّة، أعني الإبْرَهيميّة الحَـشوِيّة. ومِنَ المذاهبِ كالنُّصَيريّةِ والقَطْعيّةِ، وأصـحـابِ أسحقِ الأحـمـرِ وهم الحَـمَـراويّةِ، والشّـمطيّة والـكَيسَـانيّـة والجَاروديّة والزَيديّة والموسويّةِ والكِشكاويِة، وجميعِ منْ لم نُسمّيه(١). فقد بَطَلَتْ دعاويهم لأنّهـا تمويهاتٌ على الأمم، وغيـرُ جائزةٍ إلاّ على أشباهِ البَـقَرِ والغَنَمِ.

والعقلُ يَقطَـعُ، والحقُّ يَدفعُ، ويَمنعُ ، صحَّةَ قـولِ كلِّ أحدٍ من جـميعِ مَن ادَّعَتْهُ هذه الفرقُ أنّه ظَهَـر إلى العالَم ودعاهم إلى دينٍ من الأديان، وأقام الحُجّةَ عليـهم بقولٍ أو فعلٍ يَصحُّ بالدلائلِ والبرهان، ثمّ غـابَ عن العالَم بعدَ ظهورِه غيبةً ذُكِر أنّها غيبةُ اختبارٍ وامتحان.

فإنِ اعـترضَ مـعتـرضٌ من أحدَى هذه الفِـرق وحَرَّف، ونَمَّـقَ قولاً صَنَّفَه وزخرف، ونَاضل بالبَهْتِ عن أصحابه وفـرقته، وقال، بل قد دعا إلى الدِّين قبل غيبتـه. يقال له لا تَقُلْ قَبْلَ غَيْبَتِه، بل قُلْ قَبْلَ وَفـاتِه وميتَتِه. وَنُقلْ أيضاً على قَوله إنْ كانَ دَعا فإنّما دَعا إلى العَدَم ومشروعاتِ النواميس، وإلى الشِّركِ بالباري وإلى الغشّ والتدليس.

وأمّا قائم الحقّ الهـادي المهدي المنتظَر، سلامُ اللّه على ذكـره ما دَجا الليلُ وَبَرَقَ صُبْحُهَ وأَسْفَر، فقـد قام في أشرفِ المَقامات وأوجبَ الحجّةَ على العـوالمِ بظهورِه بالـبراهينِ والدَلالات، لذلك قـيل له القـائمُ ودعا الأمم بعـد تعيـينه باسم الإمامة إلى توحيـد المولى الإله الحاكمِ مبدعِ المبـدَعات، والإلهِ الموجود جـبّارِ الأرض والسموات، وأقـام على الأمم حججَـه وبيّناته، ونَشَرَ دعوةَ التوحيدِ في الآفاقِ حدودَه ودُعـاتَه، لئلا يقولوا ما جاءنا من بشيرٍ ولا نَذير، فقد جاءتهمُ النُّذُر، فما آمَنَ منهم سوى المَمْدوحِ اليسير.

---

(١) أنظر ، لمعرفة هذه الفـرق، «كتاب الملل والنحل» للشهرستـاني، و» الفرق بني الفرق» للبغدادي، وغيرهما.

ثمّ غـابَ سلام اللّه على ذكـره بعد إيـجاب الحـجّةِ على العـوالم في ملكوتِ باريه إلى أجلٍ يُتَـمِّمُه بمعـالِمِ حكمتِه ويَنْتَـهِيـه، إثباتاً لحجـجِه على العـوالم، وتَميـيزًا للطائع المظلومِ مـن المرتدّ الشاكِّ الظالم، وإقـامةً للقـسط والحقِّ والعدل، في يومِ المَعَـادِ والقَضاءِ والفَصل، بأمرٍ يتّـصلُ بحولِ باريه، وَيَتُمُّ ببركةِ قائمه وهاديه.

فـأصيـخوا أسـماعَكـم أيّها السـادةُ الكِرام، فلكم النفـوسُ الزكيّـة والعقـولُ الجوهريةُ والشرفُ القـديمُ والأحلام، لداعي الإمام الهـداي القائم المنتَظر. وارتَوُوا من مائِه الرَّيِّقِ الصافي مِن وَلَغِ الخِـشاشِ والكَدَرِ، والزموا نفـوسكم الطاهرةَ الـتواطـئ للمـومنينَ السـابقين، وأخـفـضُـوا أجنحَـتَكم للمـوحِّدين الأبعـدينَ، لتكونوا بالطاعـة للإمـام القائم الـهادي مـتمـسّكين، ولميثاقِه وحدودِه مراعيينَ معـتقدينَ، ولا تَهِنُوا عَنْ أَخْذِ الثَّأْرِ بِدِماءِ المُوحّدِينَ المَظلُومين.

فـاجعلوا الرِضى والتـسليمَ لجـماعـتِكم كـالسَلَفِ الطاهرِ شعـاراً، ووسيلةً بالاحـتذاء لفـضائلهم إلى رحـمةِ المولى بوليِّه وإقـرارًا، يَصفُو لكم المشرَبُ بماءِ الحـياةِ السَّلسَـالِ المَعين، وتَعودوا إلى العنصـرِ الأطهرِ الأطْيَبِ بِقُـدُسِ الإمامةِ مُـخَلَّدِين، وتَنْشُـرُ الإلْفَةُ عليكم جَنـاحَ كَرامَتِـها إذا اتَّحَـدْتُم بمعلومِ الدِّين، وتُسْـبِلُ العظمةُ لديكم جَـداوِلَ النِعَمِ، إذا رَفعـتُم راياتِ الحَقِّ والنصرِ والقهرِ على من عاندَ الحقَّ من الأممِ،

فتكونوا في ظلِّ الوليّ بسلطانٍ قاهرٍ غالب، وفي كنفِ عزٍّ ثابتٍ ناجمٍ آئب، مُلوكًا على رِقَابِ العَرَبِ، وحُكَّامًا فيهم بما تقدّموه في التّوحيدِ من كريمِ النَسبِ. هذا إذا تدرّعـتُم بملابسِ الطاعةِ والانقـياد، وكنتم يدًا مُنبَـسِطَةً على أهل الغَيِّ والعِناد، وتصـافيتم ومَن سَـبَقَكُم مِن آلِ التّوحـيدِ بِنَقَـاءِ السرائر ومحض الوداد. فاغتنِموا أيّها السادة مواعِظَ آياتِ التّوحيدِ وأوقاتِ السلامة، واعتصموا بحبل اليقين قبل أهوالِ القيامة.

فقـد أُسفِـرَتْ عن بَيضـةِ الحَقِّ الحُجُب، وآنَ ظهـورُ مستـورِ الكُتُب، وقهقَهتْ بالرعدِ للكشفِ ثِقَـالُ السُحُب، وسَنَتْ بروقُ الظهورِ للبَعثِ بَهَوامي الأمطار، وأينعتْ أشجـارُ الحقائقِ وتهـيّأتْ للزّهرِ والأثمار، ولَمَـعَتْ للعَرْضِ في عناصرها جواهـرُ الأنوار، وتألّقتْ للفَيضـانِ وترشّحـتْ للتَّمامِ والإبدار، وصَبَتِ الصَّـبَا بأهلِ التّـصابي وَجَنَبَتْ بأهلِ الغَيِّ الجُنُوبُ وتميّـزتْ للجزاءِ نفوسُ أهلِ الحقِّ وعرِفَ الطّالبُ والمطلوب.

فتأمّلوا أيّها السادة المكرّمون مضـايقَ سُبُل المكذِّبين، وتغييرَ ضمائرِ المُلَبِّسين، وظهورَ سـائرِ الموهِّين، لِتَتَسَالَمَ نفوسُ كـافّتكم على الحقِّ اليقين، وتنظروا بعينِ الحقيقـةِ إلى معلومِ الدِّينِ، فيتضاءل بالإضـافةِ إلى فضائلكم زُخْرُفُ الفـاسِقين، وتتـعالى بصـائرُكم بالتسـامي طَلَبًا للاتحـاد بالجوهرِ الثمين.

فقد فُتِّحَتْ لإقامـةِ الحجّةِ والتّوبةِ على البريّةِ الأبواب، وتَمَّتِ الأدوارُ وبَلَغَ الأجلَ الكتاب. فإنّا للمـولى وبه مُعتصِمون، وبوعـدِه لأوليائِه واثِقون، ومن أضدادِ الحقِّ وأعدائه متبرِّئون.

أيّها السادةُ المكرَّمون! فتبيّنوا ما ضَرَبْتُهُ لكم من الأمثالِ، وتحقّقوا ما لخّصـتُه لكم من النصـائحِ والأقوال. فـوحَقُّ الحقِّ إنّا لَحِكَمٍ قد ثَبَتَ عَـمَدُهَا، وبقيتْ هُنَيْهَةٌ لأممِ الشركِ قد تَقارَبَ أَمَدُهَا.

فتنبّـهوا لهذه التـذكرة والموعظة، وتدّبروا ما أدرجـتُه لكم من الحقّ والنصائحِ في هذه الإشـاراتِ المُوقِظَة. فعلاّمُ الخفايا والغـيوب، والمُطَّلِعُ على مـا تَكنُّهُ ضـمـائرُ القلوب، يعلَم أنّـني لم أتوخَّ للسـادةِ إهمـالاً، ولا اطّرَحْتُ مكاتَبَـتَهم تَخَلّفًـا وإغفـالاً، إلاّ لِبُعْـدِ المسافـةِ وعظيمِ الأخطار، ولتعـذُّرِ أمنِ الموحِّـدين واخـتلاطـهم بأهلِ الخِـلافِ في الحَضَـر، فكيفَ في الأسـفـار. والطريقُ السهلة فهي مع العَرَب، وقد كَثُرَ فيهم الغَدْرُ وقِلَّةُ الوَفَاءِ بالذّمَامَات.

وقد أذَلُّوا جَارَهُم بَعدَ العزِّ، وخانُوا في الرِّفَائِقِ والأمانات، وأهلُ الديانةِ منهم أيضاً فهم قليل، وقد شَسَعُوا عنّا لتغييرِ الأزمانِ والأوقات.

وإنّما الشـيخ المنتقل قـدّس الباري روحَـه، وأوردَها بقُدُسِ الإمـامةِ وَمَـحلِّ الطاهراتِ، فَحَصَ عن السـبيـلِ إلى جهـةِ السادةِ بمحلِّ الشـيخ أبي الحسن الشـاباش ولدِه سليلِ البركاتِ وزيـرَي السيِّد الرئيسِ ظهـيرِ الدِّين، ونصيرِ المؤمنينَ، وسـيفِ الموحِّدينَ، الصائبِ فيمـا نهى عنه وأمر، والناهضِ بأعباء ما حمَل من طاعة الإمام الهادي القائم المنتظَر، الماحقِ بسيفِ الحقِّ لمنْ عَنَدَ عنه وشكَّ فيه وكَفَر، المعقودةُ ألويتُه وبنودُه بالعزِّ والنصرِ والظَفَر.

وإنّ الشيخَ أبا الحَسَـن الشاباش الطاهرَ، قام لِنشرِ مـحاسنِ السادةِ المكرَّمين وَبثِّ فضـائلِهم خَطِيبًـا ناشرًا، ولآلائهم ومناقبـهم الشريفةِ مـذيعًا ذاكـرًا، وكَـاتَفَ ذلك ورادَفه مـا ثبَّـتَـه وأمـضاه نصـيـرُ المؤمنين، وسـيفُ الموحّدين، من جمـيلِ معتقدَهِم في الحقّ وضاعَـفَه. فتسهَّلتْ بِميـامِنِ ظهيرِ الدِّين ونصيرِ المؤمنين وسـيفِ الموحِّدين، السُّبُل إلى جِهَتِهم للمـوحِّدينَ بعد امتناعها وتصعّبها، وباختْ نيرانُ الشرك بِمَقَرِّه بَعْدَ اضطرامِها وتلّهبِها.

وَصَدَرَ بعدَ ذلك الشيخُ المنتـقِلُ إلى محلِّ السادات المكرَمين، بما أوردَ من الرسائلِ، وعـاد ولَدُهُ بعدَ نُقْلَتِه، نضَّـرَ اللّهُ وجهُهُ، وهو مُـوقرٌ من الشكرِ للدِّيِّنَين الأميرَين الجليلَين، أبي منصورِ الحُسَين ابنِ جـعفَر، وأبي محمّد ابنِ الغيثِ والشـيخِ الفاضلِ أبي الحَـسن علي ابنِ الفَضلِ، وثَبّتَ مـا هم عليه من المحامدِ والفضائل.

وتصوّرتُ أنّ الإرادةَ من الساداتِ المكرَّمين في مَن يتمكّنوا معه بغير واسطةٍ من الخِطاب، ويكونُ عـالمًا بعـدَ سؤالـهم بدقيقِ المعـاني مليئـاً بردِّ الجواب، فبادرتُ على الصَعْبِ الشسيعِ بإنْفَاذِ ابنَتِي سَارَة الطاهرة، لِتَحقُّقِها بجزيلِ ثوابِ قائمِ الحقِّ والفوزِ في الآخرة.

ليَعلمَ السادةُ المكرَّمون أنّها مـن أضعف خَدَمِ القائم المُفْرِقِ بين الموت والحيـاة، وينظروا بعين الحقـيقـة مَنْ تَرقّا في دَرَجِ العُلوِّ على سُلَّـمِ النَجاة، ومَنْ مَعَهَا وفي صحـبَتِها من الإخوة الطَهَرةِ النُهَاة، بهذا السِفْـرِ والصَحِيفةِ استنهاضـاً للسادةِ المكرَّمين قبلَ الفـوات، ليغتنموا جزيلَ الثـوابِ قبلَ حلولِ الميقات.

وإلى مَن تجالل عن الحـدِّ والوَهم، وتقدّس عن الانحـصارِ في العلم، بوليِّـه الهـادي المنتظَر إليـه ابتـهل، وبالصَّـفْـوَةِ حـدوده التـابعين لإرادته ومقصودِه أتوسّل، أنْ يُلهِمَ الداعيينَ إلى التّوحـيدِ والمَدَّعيينَ إليهِ التَقوى، وأن يَفيءَ بهم وبجمـاعةِ الموحِّـدينَ إلى الأفضـلِ الأشرَفِ الأعـلا، أنّه على ذلك قدير، وبأجابةِ هذا القَسَمِ جدير.

والحمدُ والقدس للمولى الحـاكم المنزّه الإله، والوسيلةُ بعبدِه المنتظَر القائمِ الهـادي الأوّاه، وهو حَسْبُ عبـدِه الضعيفِ المقـتَنَى في يوم الفَزَعِ عند خَفَقانِ القلوبِ وَتَقَلُّصِ الشِفاه.

وكُتِبَ في شـهر صَفَـر من السنة الثانيـة والعشريـن من سنين قائم الحقّ وهادي الهداه. ومِن بعد كَتْبِ هذا السِفرِ عَرَضَتْ موانعُ قطعتِ الطَاهِرَةَ عن السَفَرِ، وانما يكون ذلك بـعد وضوح قبول السادة لمعـالمِ القائم المنتَظر. وقد أنفذْتُ الإخوةَ إلى مَقرِّ السادةِ وهم فيـما يقفوا عليه مُخَيَّرون، ونحن لما يردُ من طيبِ أخبارِهم منتظِرون.

تمّتْ والحمد لمولانا وحدَه، والشكر لقائم الزمان عبدِه.

الكتاب إلى آل سليمان وآل عبد الله ليقفوا عليه والله
يخيرني في ذلك بمنه وكرمه ولطفه والسلام تمت.

الرسالة الواصلة إلى الجبل الأنور

بسم الله الرحمن الرحيم

حدود قائم الدين وصل كتابك يا أخي العزيز على طال الله
عز الطاعة بقاك. وأدام حراستك في دينك ودنياك
على يد الأخ الخير أبي الحسن الحلبي رفع الله درجته
وقرأناه. وفهمناه. وشرحه أبو عبد الله وسدقناه.
والحال لولا حضوره لسترناه. لضيقة حالنا وسعة
للسالك والبلد. وشعث الحال ومرارة العيش النكد
لقلة الموازر والصديق. وعدم الجار الصالح والرفيق
وقد تعذرت علينا الطرق والمسالك ونحن من أهلنا

على شفا جرف للمصايب والمهالك. ونحن نعذرهم
لعلمنا منهم بمنزلة المستعير ومنزلة المالك. وإنما
ذكرنا لك هذا لئلا تقول أنت أو غيرك أننا أبعدناك
وأهملنا حالك وما أستزرناك ولم نشرح لنا في كتابك
نبأ من حال الغربة والأهل ولا ذكرت شيئا مما نرتقبه
من شؤون الجماعة وما هم عليه من الصيانة والدعم
والفضل وقد كان وردنا إلينا من قبل هذا الأوان بأن
جماعة ركبوا النهي وشقوا العصا وباينوا بالسفه
والعصيان وعكفوا على المحرمات اتباعا للمراسم
الطيموس الغيطان وتألفا لما ألفوه من الكفيل
أولاد الشيصبان فاقرأ كتابي هذا على جماعة الشيوخ
الإخوان ليتأملوا ما سطر فيه ويباينوا من
اشتهر بالردة ومرق عن سنن أهل الديانات



ألجِزءُ الخَامس



٦٩

الرِّسَالَةُ المَوسُومَةُ

بمعراج نجاة الموحدين

وَسُلَّمِ حَيَاةِ المُوقِنِين

تختلف هذه الرسالة عن سابقاتها بكونها تبرهن على حقيقيّة مذهب التّوحيد ببراهين فلسفيّة مأخوذة من الفلسفة اليونانيّة، ومعتمدة على المنطق بمفهومه الأرسطي. وهي من دون تاريخ.

توكّلتُ على المولَى الحاكمِ المنزَّهِ عن الإدراكِ والعدم. وشكرتُ عبدَه القائمَ إمامَ الأئمّةِ ووليَّ النِعَم. ألكبرياءُ والحمدُ والعَظَمَةُ والمَجدُ، للمولَى المليءِ لآلِ توحيدِه بكلِّ موعود، والمُغْني بأزَلِ جبروتِهِ عن كلِّ موجود، ألذي جعَلَ توحيدَه عزًّا لِمَنِ اعتقده وارتضاه، وسَنَدًا لِمَنِ اعتَمد عليهِ واقتناه. وجَعَلَ خِلافَ وليِّه مذلّةً لمن تمسّكَ به وابتغاه، ومَهْوَاةً لِمَن أَثَرَهُ واجتنَاه، النّاهجِ إلى توحيدِه في كلِّ دورٍ سبيلاً، والموجدِ عليه في رأس الكَورِ وتَمامِ الأدوار، بالقائمِ به برهانًا ودليلاً، حمدًا يَمْتَري تَمامَ القدرةِ وظهورِها، ويقتضي دوامَ النصرةِ وكُرُورِها.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ المَولى العليّ الذي بَهَر نورُه وبرهانُه، وقَهَرَ أمرُه وسلطانُه، وسلامُه وتكرُّمه، على أفضلِ عقلٍ زكيٍّ وأشرفِ نورٍ عليٍّ، وأطهرَ

شخصٍ تقيٍّ؛ أظهر مجرَّدَ التّوحيدِ ودَعى إليهِ، وبَثَّهُ في العالمِ وأشارَ إليه إمامُ الأئمّةِ الأطهارِ، وقائم الكَور بعدَ تقضي الأدوار.

أمّا بعد، فإنّ الواجبَ على المرءِ العاقلِ، والدّيِّنِ الفاضلِ، أن يكونَ بعقلِه المميّز لنفسه ناصحًا، ولمَا رَوّاهُ العقلُ ممّا لا تَطَّرِدُ بهِ الحكمةُ على غيرِ نِظامِ التّوحيدِ قَالِيًا طَارِحًا. فإنَّ مَنْ سَامَحَ نفسَه واتّبعَ هواه أحرَى أنْ لا يَصحَّ نُصْحُهُ لِسِوَاه. فالأولى بكلِّ ذي نَصفَةٍ وَعِلْم، والأجملُ بكلِّ ذي ديانةٍ وفهم، أن يتأمّلَ بفكره وبصيرته، ويُرَوّي في جَهرِهِ وسَريرَته، ما نطقتْ بهِ حكماءُ الدِّين، وجَرى على ألسُنِ أهلِ الشرَعِ المتقدِّمين، ما أشاروا به إلى التّوحيد، وَدَعُوا إليه، وأفصحَ عنه قِسمُ الإمامِ في المسطورِ ودلَّ عليه، وأوضحَتْهُ المجالسُ المكرَّمةُ بما خَفِيَ عن رواتِها وَعَيَّنتْ عليه، وما لوَّحتْ بهِ الأوامرُ العاليةُ وأشارتْ إليه، ليتَّضحَ منارُ الحقِّ للمرتادِ الرّاغبِ، ويقفُ على حقيقيّةِ التّوحيدِ المؤمنُ الطالب.

فأقولُ : إنّ الكافّةَ على تفرِّقهم في الاعتقادات، وتباينهم في الإرادات، مُقِرُّونَ بالصانع، وإنِ اختلفتْ عقائدُهم في صفاتِه، وقَعَدَتْ بهم أعمالُهم عن تحقيقِ معرفةِ ذاتِه، فإنّما ذلك لنقصِ عقولِهم وضَعْفِ بصائرِهم عن التمييز بينَ المعنى الذي هو واجبُ الوجودِ لذاتِه، والمَعنى الذي هو واجبُ الوجودِ بالإضافةِ إليه. وهذه مقدِّماتُ مَنْ أشارتِ الحكماءُ إلى التّوحيد، ودلالةٌ على التنزيهِ والتجريد، ولو ردّوه إلى أولي الأمرِ لعلِمَه الذين يستنبطونَه منهم.

وأنا بمِنّةِ وليِّ الأمر، وَتَفَضُّلِ إمامِ الزمانِ وقائمِ العَصْر، أُوضِحُ البيَانَ وأُلَخِّصُ البرهانَ في الدلالةِ على المَعنى الذي هو لذاته واجبُ الوجود، لتزولَ الشُبْهةُ عن أهلِ البصائرِ بين الحدِّ والمحدود، وأجْعَلُ ابتداءَ ذلك توقيفًا لأهلِ الرياضةِ المتَفَلْسفين، واحتِجَاجًا على أهلِ النَّظَرِ المنطِقيّين، بما يتحقّقوه

من متقدِّماتِهم البديهيّة، ويتصــورونه بالنتائجِ المعنويّة، كلُّها أسماءٌ حيّاشةٌ[١] إلى الدِّين، وذَودًا للكافةِ إلى توحيدِ مولى الخَلْقِ أجمعين.

فأقول : إنَّ الحكماءَ المتقدِّمين، والسَلَفَ من شيوخِنا الطَّهَرَةِ الدَّيَّانين، والجمهورَ من أبناءِ الدعوةِ المتميِّزين، قد اتّفقتْ عقائدُهُم على أنّ الثوابَ الذي هو أفضلُ العَطاءِ وأجزلُهُ، وأشرفُ الجزاء وأكملُه هو دركُ المعلوماتِ الإلهيّة، واقتناءُ الفضائـلِ البرهانيّة. وإنّها السعادةُ القـصوى؛ وإنَّ هذه السعادة هي الغرضُ في وجودِ الإنسانِ وهي كمالُه الذي لا يبقى لنفسِهِ شوقٌ إلى غيرِها، ولا هي ممّا يُطْلَبُ لِيَنَالَ بهـا سِواها لأجل تمـامها وكـمالِهـا، إذ غيـرُها إنما يشتاقُ لأجلِ غـيرِهِ، كاليَسَارِ فإنّمـا يُشتاقُ بسبَبِ اللّذّةِ والنَفْعِ للمُستـفيدينَ منه. وإذا كانتْ هذه السعادةُ لا تُؤثَرُ لأجلِ غيرِها وهي الكمالُ الأخيرُ للنفسِ الذي لا يمكنُ الزيادةُ عليه إذا وَصَلَ إليــهِ. فعلى الحقـيقة إنَّ المعنى الذي هو واجبُ الوجودِ لذاتِه لا لغيرِه هو العقلُ الذي أشارتْ إليهِ الحكماءُ المتقدِّمُون.

فأقول : ذلك تنزيهًا للبـاري جلّتْ قُدرتُه عن هذين المعنايين، أعني ما دونَ الســعادة التي هي العـقلُ وهو دَرْكُ المعلومــاتِ الإلهـيّة، فـهي الواجبُ الوجودِ بالإضافةِ إلى العقلِ.

فإنْ قــالَ قائلٌ : إذا جعـلتَ العقلَ لا يُؤْثرُ لأجلِ غيـرِهِ فكيفَ يَصِحُّ أو يُدْرَكُ توحيـدُ الباري جلّتْ قدرتُهُ؟ يُقالُ لـه : المعنَى في ذلك أنّ العقل لا يُؤثَر لأجلِ واسطةٍ أخرى بينَه وبينَ العالِّ للعلّة الذي هو العـقل، وهو العلّةُ لجميعِ المعلولات، لأنّ توحـيدَ البـاري جلّت آلاؤُه منزَّهٌ عنِ الإدراكات، مـتعالـيًا عن الإضافات، وإنما حقيقيّــةُ هذه المعلومات أنْ تُوصِلَ إلى الاعترافِ بالعَجزِ عن دَرْكِه وإحاطَتِهِ، والـقصورِ عن وصفِهِ وإضافتِـهِ. وهذا هو حقيقيّةُ الـتّوحيدِ

---

(١) حيّاشة تعني مجموعة (الدرر المضيّة).

بعد معرفةِ البرهانِ الدالِّ على صحّةِ الوجود، إذ لو كانتْ هذه المعلوماتُ مُضافَةً إليهِ جلّت آلاؤُه لَلَزمَهُ شَرطُ المُضافَيْن، إذ المُضَافَاتُ لا يَثْبُتُ أحدُهما إلاّ بِثَباتِ الآخَر، كإضافةِ الابنِ إلى الأب، والأبِ إلى الابن، والعبدِ إلى المَولى، والمولى إلى العبدِ، تَقَدَّسَ عن ذلك فَيُؤدِّي هذا الاعتقادُ أنْ يكونَ الباري جلَّ عن ذَلكَ ثَباتُهُ بِثَبَاتِ المعلوماتِ، ويَلزَمُهُ ما ذَكَرتُهُ من الإضافةِ إليه، بل هو جلّتْ آلاؤُه متعالٍ عن الإضافةِ والحدِّ منزَّهٌ عن الشَّبَهِ والنِّدِّ.

وقد ثَبُتَ في غرائزِ عقولِ الأنامِ، واتّفقتْ عليه عقائدُ جميعِ أهلِ الأديانِ، أنَّ المعلوماتِ الألهيّةَ لا توجَدُ معرفتُها وتَحْصَلُ إلاّ بالعقلِ وهي مضافةٌ إليه، ومن جهتِهِ تَظْهَرُ وتُوجَدُ في كلِّ عصرٍ وأوان، وهو من حيثُ الحقِّ عبدٌ مملوكٌ مُعْتَرِفٌ بالعَجزِ لطاعةِ مولانا الحاكمِ على الدهورِ والأزمان، وقد أظهره مَوجُوداً للعالمِ بالعِيَانِ، وأضافَ إليه معلوماتِ الأديانِ، وجميعِ ما يُحيلُوهُ هذه الطوائفُ على العدَمِ ويُمَوِّهُوه وينظّمُوه مِن الكَذِبِ ويُزَخْرِفوه. فقد آنَ اضمحلاله وتلاشيه، وقرب تمزيقُ شَبَكاتِ إبليسِ اللَّعين وهلاكِ دواعيه.

فقد صحَّ واتّضَحَ أنَّ المَعنى الذي هو لذاته واجبُ الوجود، مقصورٌ على الإمامِ القائمِ الهادِ المؤيَّدِ لعبيدِه الحدود، وَهُمُ المُضَافُونَ إليه للدلالةِ على حقيقيّةِ المعبود، ومولانا جلَّتْ آلاؤُه منزَّهٌ عن هذهِ الصفات، مقدَّسٌ عن النعتِ والإضافات، بل هو ثابتٌ في مجدِ الربوبيّةِ وسلطانِ الوحدانيّةِ والقدرةِ الفردانيّة.

وأيضاً أقول : إنّ الجمهورَ من الأممِ قد أقرّوا أنّه لا يَصِحّ التّوحيدُ إلاّ بنَفيِ الصفةِ والحدِّ والنعتِ.

فأقول : إنّ هذه الأضربُ إنّما يَصِحّ نفيُها عن مُثَبَّتٍ موجود، إذ نفيُ الصفةِ والحدِّ والنعتِ عن المعدومِ فهو حقيقيّةُ العدَم.

فـقـد صحّ أنّه جلّت آلاؤه ثابتٌ مـوجود، وأنْ لا يَـصِلَ إلى معـرفـةِ توحيده إلاّ مَنْ نَفى عنه الصفات والحدود، وكفى بالدلالة عليه عمومُ الدعوةِ إليه، فقد أوجدتُ المعنــى في التّوحيدِ ودللتُ عليه، ووحّدتُ المولى جلّتْ آلاؤه ونزّهتُهُ ودعوتُ إليه.

وأيضاً فإنّي أقـول : إنَّ الباري جلّت قدرتُه لو كان معدومًـا لتساوتِ الفِرَقُ كلُّهـا في التنزيهِ والتّجريـد، وارتفع التفاوتُ والتـفاضلُ المؤدّيانِ إلى الثوابِ والعقابِ بحقيقيّةِ التّوحيد.

وكـذلك أيضاً أقـول : إنّ الباري جلّـت قدرتُه لوْ كَـان مَوجـودًا عَلى صُورَةِ مُخالِفَةٍ لبَريّته، أو ظَهرَ إليهم بمعنىً يليقُ لِعَظَمَةِ ألوهيتّه، لم يَشكَّ فيه أحدٌ من البريّةِ، وارتفع التفاوتُ والتفاضلُ، وسقَط الثوابُ والعقابُ كما تقدّمَ القولُ فيهـا بالكلّيّةِ، بل هو موجودٌ لأوليائِه العارفِـين، معدومٌ عند أضدادِهم السَهَوَةِ المخالفين. وإنّما يَـنْظُرُ الناظرُ إلى صورةِ نفسه إذا توهّمَ أنّه يَنْظُرُ إلى المُشَار أليه، كالنّاظرِ إلى جوهرِ حـديدِ المرآة. كلّما جدَّد النَظرَ إليه، لم يجدْ إلاّ صورةَ نفسه، ويَرجِعُ بَصَـرُهُ خَاسِئًا حَسيرًا إليه. وقـد جاءَ من قِسْمِ الإمامِ في المسطور : «لا تُدرِكُهُ الأبْصارُ وهُوَ يُدرِكُ الأبْصَار»[٢]، ولولا أنّه موجودٌ ولم تدركْهُ الأبصارُ لم يكن ذلك مُعجِزًا وَلَكَانَ هذا القولُ سفَهًا نَاقِصًا.

إذا أحدُنـا يَتَرَفَّعُ أنْ يَقـولَ لصاحِـبه إنّك لا تُدرِكُ ببِـصرِكَ مـا ليسَ بموجود، إذ هو قـولٌ خارجٌ عن نِظامِ العقـل، شائنٌ للحقِّ والعدل، فـقد صحّ أنّه جلّتْ آلاؤه مـوجودٌ لا تُدرِكُـه الأبصارُ، بل أقـول إنّ غرائزَ عقـولِ الأنامِ تَحـصُرُ عن إدارِكِ مَنْ خَـلَقَهـا، وتَقِفُ وتَنْكُلُ عن الاعـتـرافِ والتّصـورِ لمنْ أبدعَها. وهذا يطابق عليـه الجمهورُ ممّنْ أنصفَ نَفسَهُ، فـقد بَطَلَ أنْ تعتَورَهُ

---

(٢)سورة الانعام ٦/١٠٣.

مُبدَعَاتُه ومَخلُوقاته. وهي مكاشَفَةٌ لا تليق بمجدِه وجبروتِه. وكيف التي هي أعراضٌ لاحِـقةٌ بالجواهرِ الناقصـةِ عن قدسهِ وملكوتِه. بل تعـالى عنها علوًا كبيرًا.

وأيضاً فإنّي أقول : إنّ جميعَ المُبدَعَاتِ اللّطيفةِ الروحانيّة، والمخلوقاتِ الكثيفةِ الجرمانيّةِ والجسمانيّةِ، ليس في قدرة أحدهما ان يُبدِعَ أو يَخْلُقَ مثلَ صورتِه، ويَظهَرُ به. فلا العقلُ الكليُّ يَقدِرُ أنْ يُبْدِعَ عقلاً آخرَ جرميًا مِثْلَهُ كُلّيًا، ولا أحدٌ مـن المدبِّرات الجُرمـيَّةِ يَقـدرُ على خَلَق مِثله آخَـرَ جرمـيًّا. وغـرائزُ العقولِ تشـهدُ أنَّ ذلكَ عجزٌ مِن جميعِها لم تَتّسِعْ قدرتُها إليه.

فقد يُمكِنُ أن يكونَ وجودُ الباري جلّت قدرتُه في مِثْلِ ما أبدَعَ وخَلَقَ، إذ كان لا يَعـجِزُه عن ذلك مُـعْجِزٌ والتّـوحيدُ دالٌ عليـه، وتنزيهٌ له عن نقصِ المبدَعَات والمخلوقاتِ الـذي أشرنا إليه. وَعَدْلٌ في بريّتِه لإقامةِ الحـجّةِ عليهم ولُطْفَ بهم في سَوقِ النعمـةِ إليهم، ففيما أوردتُهُ من هذه المُقـدِّماتِ المنطقيَّة، والبراهـينِ القاطعةِ العـقلية، مـا أكْبَتَ المنطقـيّينَ الخارجينَ عن الدِّيـانةِ وَجَذَّ أثَلَتَهُم[٣]، وأوهنَ كيدَ المقصِّرين، وقَطَعَ حُجَّتَهم.

فأمّا معـتقِدو إمامةِ الباري زَعمـوا وَمُتحقِّقُوها، والمعتـرِفُونَ بصحّةِ المجالسِ ومُسـدِّقُوها، ففيـها ما أخْرَسَ ألسنَتَهم وقَطَعَ دابِـرَهُم لقولِ مولانا المُعـزِّ لدينِ اللّه سـلامُ اللّهِ على ذكـرهِ: ذَهَبَت أشْـخَاصُ نُطَقَـائِكُمْ وَظَهَـرَتْ أشْخَاصُ البَـاعِثِينَ لَهُمْ. وقال أيضاً: إحـتَجَبْنَا عَنْ أعْيُنِ الخَـزَرِ بأشْخَاصِنَا، وبَرَزْنا إليهِمْ بِدَعَواتِنا وإخـلاصِنَا، تَلَبَّسْنَا بأثوابِ رُعاتِنَا، وَتَسَمَّـيْنَا بأسْماءِ دُعـاتِنا. وقال أيضـاً: مَـعْشَـرَ المُؤمنين قـدْ غابَتْ عَنْـكُم أشْخـاصُ المُرْسَلينَ وَظَهَرَتْ لكُم مَعَاني المُرْسلِينَ[٤].

---

(٣) جذَّ أثلتهم : قطع أصلهم.

(٤) هذا الكلام يعني: أنّ هذا الزمـان هو زمـان الكشف. انكشفتْ فـيـه حقـيقـة الأنبيـاء

فأمّا مـا أظهرَ المولى جلّتْ قدرتُه إشـارةً إلى هذا الزمان، ودلالةً على فِطر التّوحيدِ في هذا الأوان، بالقَرافَةِ سَنَةَ أربعَ وأربع مائة، فهو عِبُادَ اللّهِ إنَّ الصومَ قـد تَقَرَّضَ وذَهَبَ، والفِطْرُ قد تَعَـرَضَ واقتَرَب. فكم من مُـصرٍ على المعاصي لم يَتُبْ، ومقيمٍ على المآثمِ لم يَأُبْ!

أمّا مـا جاء في المجلسِ الأربعينَ والمائتينِ مّمـا قرأه مالكُ ابنُ سَعـيد، وهو لا تَقْنطوا مِن اليَتامي المضافين إلـى النسوان، اللأتي مُنِعْنَ ما كُتِبَ لَهُنَّ في القرآن، مثلُ حُجَجِ الأئمّةِ المستورين، أُولي الفتراتِ المنتظرين، لرفع التقيّةِ وَوَعْـدِ ربٍّ العالمين. ومن المكتـوبِ لهنّ في الحكمـة: ألستـر في أوانِ الفَتـرةِ والتقـيّة، والإفصـاحِ بالنّصرِ في أوانِ الظهـورِ والعزّةِ. مَعَ شدة الرّغـبةِ في الاستفادة لحكمـتهنَّ بمن يَنقُلُها بإذنهنّ. فالطائفةُ التّائـهةُ المقصِّرَةُ تزعمُ في إطفاء نور الباري بِناءً واللّه مُوهِيه. وَتَستُرُ حقًّا واللّهُ مَظهِرهُ وَمُبْدِيه.

ولقـد شهدتُ منـاظَرَةَ بعضِ المُمَوِّهين، ممّن أخـذَ دينَه عن داعٍ يدّعي علمَ الفَلسَفَـةِ خَرِف، أو شيخٍ يضاهيهِ في المقـالةِ كبيرِ السَنِّ مُـهَوَّسٍ عَجِف، وإنّه استَشهَدَ في ذكرِ المَعَاد، وأسهب أنَّ النفسَ تتّحدُ بمعلوماتها في مَعَادِهَا على الانفراد. وكان أنفسُ مـا استَشـهدَ به ممّا أخذَه عن داعـيهِ المُمَوِّهِ المحرِّفِ أو شيـخِهِ الخـرِفِ المزخرِف. إنَّ النفسَ تنفـردُ بأفعالِهـا في المنامِ، وهذا هو دليلهُ على غنْيتِها عن الاتحادِ في مَعادِها بالأجسام.

فردَّ عليه بعضُ الموحِّدينَ الشباب، وقالَ: لَحَاكَ اللّهُ! لقد جَهِلتَ مواقعَ الصواب. ألا تعلم أنَّ مَنْ عَـدِم في وقتِ ميلادِه لبصـرِه، فقد عَدِم التـصويرَ لجميعِ الأشياءِ المرئيّة في يَقَظَتِـه، وفي المنامِ عند تناهيه وكِبَرِه. فقد صحَّ أنَّ النفسَ في منامِها إنّمـا تَحْكي صُوَرَ المحسوساتِ لأنّهـا لا تنفردُ بفعلٍ إلاّ بما تَحكيه من تصـوّر ما عَهِدَتْهُ، وبمثّل شكلِ مـا في الجسمِ المتّحدةِ بهِ عـايَنتهُ.

والأولياء؛ كما انكشفتْ فيه أيضاً حقيقة اللّه الذي أرسلهم.

فقد بَطَلَ استشهادُ الشيخِ لانفرادِ الأنفسِ بفعلِها في المنام، وثَبُتَتْ عليه حجّةُ الشابِّ أنّها في مَعادِها لا تخرج عن الاتّحادِ بالأجسامِ.

وأقولُ أيضاً فيما أوردتُ المعنى فيه من ذلكَ أنّ كثيرًا من فلاسفةِ عصرِنا، والقائلين بقول المتقدِّمين من نَابِتِيَّةِ دَهْرِنا، يَحكمُ ويَقطعُ أنّ الجُرمَ الذي هو الأفلاكُ وما فيه من المدبِّراتِ أفضلُ من جميعِ الأجسامِ المبسوطة. وهذا مسطورٌ في كتبِهم، ومشهورٌ من قولهم. ثمّ بعد ذلك، يُقرّون ويَحكمون أنّه مُجْبَرٌ وحَرَكَتُهُ قَصرِيَّةٌ، وأنَّه يفعلُ ولا يعلمُ وهذا صحيحٌ وهو نَقْضٌ لقولِهم الأوّلِ في تفضيلِه.

وأنا أقول : إنّ الجسمَ الطبيعي الذي هو الصورةُ الإنسانيَّةُ أفضلُ من الأجرامِ المُجْبَرَةِ القَصرِيّة، لأنّ الفضائلَ العقلية، والعلومَ الرَّبانيّةَ الإلهيّة، لا تَظْهَرُ إلاّ بهِ، أعني الجسمَ الإنساني، ولا يكونُ للإفادةِ والاستفادةِ طريقةٌ إلاّ منه، ولا للعقلِ تمييزٌ إلاّ بهِ، ولا للنفسِ تَصَوُّرٌ إلاّ من جِهَتِهِ. فهي أبدًا تَحكي به صُورةَ ما عَهدَتْهُ، وتمثِّلُ الفضائلَ الجوهريّةَ بما به عاينتْه. فهو أفضلُ الأشياءِ المرئية، ولا وجودٌ من غيرِه للأمورِ الإلهيّة.

وقد أوردتُ في بعضِ فصولِ هذه الرِّسالةِ أنَّ جميعَ المبدَعاتِ والمخلوقات لم يكنْ لأحدِهما قدرةٌ على أنْ يُبْدِعَ أو يَخلُقَ مثلَ صورتِه ويظهرَ بهِ. وأنّ ذلك عجزٌ من جميعِها لم تّتسعْ قدرتُها إليه. فأمكَنَ أنْ يكونَ وجودُ الباري جلّت آلاؤه في مثلِ ما أبدع وخَلق، إذ كانَ لا يُعجِزُهُ عن ذلك معجِزٌ والتّوحيدُ دالّ عليه، إذ ليس للماهيّةِ والكيفيّةِ توجُّهًا إليه.

فأقولُ أيضًا بمنّةِ المتفضّلِ على عبيدِه، المانِّ عليهم بقدسِهِ وتأييدِه: إنّ الباري جلّت قُدرتُه لو خَلَقَ الأرضَ والسموات، وما فيها من المدبّرات. ثمّ أخلاها من المواليدِ والأمّهات، لم يُتمّ بها قصدُ غَرَضٍ وكانتْ ناقصةَ النظامِ قليلة الإلتئامِ، ولو انّه جلّت آلاؤه عمَّرَها بالمواليدِ الأمّهات، وجميعِ ما هو آلانَ

فيهـا من الحيوانِ الصامتِ وجـميعِ الثّمَرات، وسائرِ النّـبات، ثمّ أخلاها من الحيِّ الناطقِ الإنسان، لكانتْ أيضـاً بيِّنَةَ النقصانِ، مُقَلَّلَةَ النظـام؛ فلمّا أوجدَ فيها الحيَّ الناطقَ الإنسان، استـخرجَ منافِعَ المواليدِ التي من الأمّهات، وغذَّى بما فيها من النباتِ والثّمرات، واستخـدمَ جميعَ ما فيها من الحيوانات، وكان جميعُ ما تقدَّمَهُ من الخِلفة مُسَخَّرٌ له كالآلات.

فعَلِمَ مَنْ لـه رأيٌ سنيح، ولبٌّ صحيح، أنَّ الحيَّ النـاطقَ الإنسان، هو المهيّأ لعلمِ البيان، وهو لهذه العـوالمِ التّمامُ والكمال، وهو أشرفُ المخلوقات. ومِنْ جِهَتِهِ تَظْهَـرُ الفضائلُ المبدَعَات، وله ومِنهُ وبهِ تتمّ العبـادَات. وجميعُ ما أوردتُه من هذه التقسـيماتِ البرهانيّة، والألفاظِ المنطقـيّةِ النورانيّة، لا يَرُدُّها إلاّ مَنْ رَانَ على قلبِه ما احتقَبَ من الإثمِ، وَعمِيَ عنِ الحقِ فبَعُدَ من زُمَرةِ أهلِ الدِّينِ والعِلمِ.

وأنا أشرح معاني ما أوردتُه في هذا الفصل، فأقول :

إنَّ الشـيءَ المُتَـمَّمَ ليسَ هو من جِنسِ الفاعل. وذلك أنَّ الفـاعلَ للشـيءِ غيـرُ مُشابِهٍ لمفـعوله. وإلى هذا ذَهبَ مَن قال مـن أهلِ الحقِّ في الباري إنّه لا يُشْبِهُ مفعـولَه. فأمّا تمامُه فإنّه قد يجوزُ أن يشبـه ما هو تَمَامُه. وأنا أضربُ في ذلك مَثَـلاً يَقْرُبُ إلى فهمِ اللَّقِنِ المُـتَرَتِّب، ولا يَصْعَبُ على الفَـهمِ المتأدّبِ، وهو أنَّ المُهندسَ للبناءِ هـو صاحبُ العَـقْدِ والـتقـسيم والتـرتيبِ والتـعليم، والتثـقيفِ والتقويمِ، وإنَّ مَنْ دونَه وهو الفـاعِلُ للبناء انّما هو مستـخدَمٌ بين يديهِ، مسخَّرٌ له في فعله مقصورٌ عليهِ.

فـأقول : إنّ الصـورةَ المنقـوشـةَ في نفسِ المهندسِ التي بهـا ثبُـتَتِ القواعدُ والآلات، وبتهذيبِهِ وتقسيمِهِ تصـوّرت تلكَ العقودُ والتقسيمات، فهو الكمالُ والتمامُ لِما أشَرْنا إليه من هذه المعلومات، وهي شبيهةٌ به إذ كانتْ منه قَبِلَتْ حقيقيّةَ التأثيرات؛ والفاعلُ للبـناءِ غيرُ مشابهٍ لمفعوله لأنّه لم يعملْ فيه ببصيـرةٍ ولا تفكّر، ولا رويٍّ في فعلهِ ولا تدبّر، وإنما هو آلةٌ للفعل مـسخَّرٌ.

فهذه صفةُ المفعولاتِ الكائنةِ الفاسـدةِ والفاعلاتِ بالحركات: ألأفلاكُ المجبَرةُ القصريّة، وصورةُ المتَمِّمِ للمبدَعَاتِ التّامةِ الباقيةِ في الصورةِ الإنسانيّة.

فقد وَضح أنّ المتَمِّم لـلشيءِ ليس هو مِن جنسِ الفاعل له، ولا الفاعلَ للشيء يقـدِرُ أن يتشـبّه بما فَـعَلَهُ. وكـذلك قال الحكيمُ أفـلاطون في كِتـابه المسّمى باسم تلميذِه طِيمَاوُس، تأكـيدًا لما أوردتُه : إنّ العلّةَ الأولى غيرُ فاعلةٍ منْ قبْل، وإنّ الشيء المتمَّم ليس هو من جنسِ الفاعلِ، وذلك أنّ الفاعلَ للشيء غيرُ مشابِهٍ لمفعوله. فأمّا تمامُه فإنّه قد يجوزُ أن يُشبِهَ ما هو تَمامُه.

ثمّ يقولُ بعد ذلك الحكيمُ الحيُّ المقـدَّس الإلهيّ : إنَّ الربوبيّةَ موجودةٌ في جـزؤٍ من أجـزاءِ العـالَمِ، أعني الإنسـانَ الذي هـو الحيُّ العـاقلُ الناطقُ المشـابِهُ للباري بما فيه من الفضلِ والشرفِ والعـفاف. ويُشبِهُ العقلَ بما فيه من علم الغيب والتـفكّرِ، ويشبِهُ النفسَ بما فيـه مَن الحياةِ والحَرَكَـة، ويشبِهُ الهيولي بما فيه من الجسمِ الثقيلِ الراسبِ القابلِ للصورةَ الوضيعيّة.

فلمّا تكاملتْ هذه الأصولُ في هذا العالَمِ الصغيرِ أعني الإنسانَ، صحّ ووضح لذوي الألبابِ الصـحيحة، أنّ البارِي جَلّت قـدرته يمكن أن يَظهرَ من حيثُ العالَمِ بالعلّةِ المتَمِّمَةِ لا بالعلّة الفاعلِة. والمتمِّمُ للشيء يقدر أن يتشبّه بما تمّمه. ولا توجِبُ السياسـةُ من التصريحِ بتوحيد البـاري جلّت قدرته بأكثر ممّا أورده هذا الحكيمُ المقـدَّسُ الإلهيُّ، وكـثـيـرٌ من القـائلين بالفلسـفـة لم يتـحقّـقوها، ولا رجـعُوا إلى من أوجـبَ الباري جلّت قـدرته الرجوعَ إليـه. فأوضحَ لهـم حقائق المعـاني فسـدّقوها. بل من الكتبِ بآرائهـم أخذوا، وعن وليِّ الحقِّ صَدَفَوا وعَندُوا. فهم يتبارزون في مضـمارِ الضلالة، ويتهافتون في بحرِ الجَـهالة، أمثـالُ يهودِ هذه الملّة الذينَ كانوا يسـتفتـحون على الذين كفروا، فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به وأنكروه. فلعنةُ اللّه على الكافرين[٥].

---

(٥) سورة البقرة ٢ / ٨٩.

فأقول أيضاً : إنّه لا يخـرج القول في الدلالة على وجود الباري جلّت قدرته من حيث نحنُ العالَمُ، لا منِ حيثُ ألوهيّتُه جلّ وَعلا عن أربعةِ أقسام :

فالأوّلُ منها : إمّـا أن نَنفي عنه الوجودَ والصفةَ والحـدَّ والنعتَ، كما هو عند جمـيع الحشويّة. وإذا كان ذلك كـذلك فقد تَساوى الكلُّ في تـوحيدِه وتنزيهـه، لأنّهم إنّما نزّهوا غـيرَ مـوجود، وهذه صورة المـعدوم. وإنِ ادّعى قومٌ أنّهم نزّهوهُ بعقولهم مِن غيرِ وجودِ برهان، فهـذه دَعوى لا حقيقيّةَ لها، لأنّ جميـعَ ما ينزِّهون به المعدومَ، فقـد تساوى فيه. وعند تسـاويهم يسقطُ التـفاضـلُ. وإذا سَقط التـفـاضلُ بَطَلَ الثـوابُ والعِقـاب. وإذا بَطل الثـوابُ والعقاب فقـد بَطَلتِ الحكمةُ. وإذا بَطلتِ الحكمةُ كانتِ الأشياء عَـبَثًا. وحَاشى اللّه.

والثّاني منها : إمّا أن يكونَ موجودٌ على صورةٍ مخالفةٍ لجميع بريّتهِ ولايشكّ فيه أحد، فيتسـاوى الخلقُ في توحيدِه أيضاً، ويَبْطلُ التفاضلُ. وإذا بَطَلَ التفـاضلُ بطَل الثوابُ والعِقـاب، وإذا كان ذلك كذلك فقـد بطلتِ الحكمةُ وعادتِ الأحوالُ سُدًى. وحاشى اللّه.

والثّالث منها : أن يكونَ مُعَطّلاً والأمرُ سُدًى. وحاشى اللّه. وهذا غيرُ صحيح في غرائزِ العقول، بل هو ثابِتٌ فيها وهي مقرّة به.

والرّابع منهـا : إمّـا أن يكونَ موجـودًا وهو الحقُّ من حـيثُ بريّتُـه، وداخلاً فـيهم من حـيثُ عظمةُ حكمتِـه لتقـومَ الحجّةُ بالعـدلِ على خليقـتِه، وَلِيُوَحِّدَهُ الموحِّدُ على مـقدار علمِه وقوّته، وينزِّهَه بما اقتدر عليـه بعد طلبته، وحِرْصِه من صفَاءِ نيّتِه وبصيرتِه.

فبهذا ثَـبُتَ التفاضلُ في الخليقةِ. ويصحّ الثوابُ والعـقابُ الموعودانِ لتمـييـزِ العوالِم على الحـقيـقةِ. ويكون طلبـةُ العلمِ على كلِّ مؤمنٍ ومـؤمنةٍ

فريضةً مِن هذه الطريقـةِ لتتابيَنَ في التّوحيـدِ منازِلُ أهلِ الفضل، وتتَواطَئَ على الإلحادِ عقائدُ أهلِ التقصيرِ والجهل.

وإذا بلغَ العـبدُ الناصِحَ فـيما أمَّله ونـواهُ الغَرَض، وتحقَّق أنّـه عاين الحقَّ المفترَض، فليقنعْ بما سهّل له مولاه، وليرضى بما منحَه وأعطاه.

ألحـمدُ الـواجب، والمَجد القـاهِر الغـالبِ، على مـا أمنَّ به من إلهـامِ توحيدهِ وتنزيهِه. ولوليِّهِ الشكرُ على إمدادِه وتأييدِه وتنبيهه.

تمّتِ الرسالة. ومِن وليِّ الحقِّ نرْجو العفوَ والمغفرةَ والإقالة.

٧٠

ألرِّسَالَةُ فِي ذِكرِ المَعَاد

وَالرَدُّ عَلَى مَـن عَبَّر عَنْـهُ بِالغَـلَـطِ والإلْحَاد

هذه الرسالة في كلّ نواحيهـا فلسفيّة : تبحث في النفس وأصلها وكـيفيّة معرفتها ومـعادها. فيها استشهادات من الفلسـفة اليونانيّة ومن الفارابي الفـيلسوف المسلم. وهي تردّ على شـيخ شيـعيٍّ ضـالٍّ في تعـاليمـه، من شَيزَر بالقرب من حلب. من دون تاريخ.

حروفُ بسم اللّه الرحمن الرحيم، حـدود قائم الدِّين. ألحمد للّه الذي جـعل لأوليـاءِ دينهِ الفَلَجَ والغَلَب، وجَـعلَ دائرة الـسوءِ علـى مَن نَكَس على عَقِبَيه وانقلَـب، وأوجبَ اللّعنَ والخزيَ على مَن خالفَ الأمرَ وعن الحقِ نَكَب، وصلّى اللّه على شـمسِ الأنام، ومصبـاحِ الظلام، المنتظر لنجـاة الأمم القائمِ الهادي الإمـام. وسلامُه على تراجمِ حكمـتهِ، جدودهِ المقرّبين، وعلى إشـهادِ الدِّين، رسلِه السفَرَةِ الميامين، ألْبَابِ الأجناسِ والأنواع، وأُولي الأجنحةِ مثنًى وثُلَثَ ورُباع.

أمّـا بعد، فـإنّه وَرَدَ إلى مقـدسِ الحضـرةِ الطاهرة، ونزل بالقـاهرة الزاهرة، شـيخٌ زَعَم أنّه من شـيوخِ الـدِّينِ، وداعٍ من دعاةِ المؤمنـين، فهـتَفَ بالقول مع شـباب انضَوَوا إليه سادِرا، وسـرّح بعلمه في المَعاد فيـهم ناهياً وآمرا. قـد سلك بهم في الجهل المسلكَ الوعر، وحـملهم بتمويهـهِ على مَركَبِ

غيرِ ذي ظَهْر، يتسكّعُ بهم في العَمى والضلال، ويزيّنُ لهم بِزُخْرُفِهِ المَحَال. وإنّه نمى إليَّ ما ثَبَّتَهُ لِمَنِ استهواه وأوضحَه، ووقفتُ على ما كاسرهم به زعَمَ وصحَّحَهُ، وهو في جميعِ ما أبدَا فيه وأعاد. يَنسبَه ويزويهِ إلى الشيخ الجلّيلِ معدنِ الفضائلِ والسداد.

ولعمري إنّه المعروفُ في مناظرةِ كلّ امرئٍ طرأ من جهتِه، واعترفَ بفضلِه وتربيتِه، واغترفَ من بحرِه وارتوى من إفادته: إنّ النَّفسَ إذا فارقَتْ هذا الجِسمَ المتَّحدةَ به ترجَعُ إلى عالمها لطيفةً روحانيّةً غيرَ محتاجةٍ إلى جسم. واستدلَّ على ذلك بأنّها تنفردُ عن الجسمِ في المنام، وتذكر ما تشاهده وتخبّرُ عنه في الأحلام.

وقد أشبعتُ المعنى في الردّ على هذا القول في غير هذه الرِّسالة، وأوضحتُه ببيانِ التوقيفِ وبرهانِ الدلالة. وأنا بمنّةِ صاحبِ رجعةِ الحقِّ ومُديلِ الكَرَّةِ على الناكثين بالسدق، أهْتُكُ حُجُبَ صَاحبِ هذا القولِ وأستارَهُ، وأدمُغُ بالحَقِّ أشياعَه وأنصارَه، كما قالَ اللّهُ جلّتْ آلاؤه: «بَل نَقْذِفُ بالحَقِّ عَلى البَاطلِ فيَدمَغُهُ، فإذا هُوَ زَاهِقٌ وَلكمُ الوَيلُ ممَّا تَصِفُون»[1].

فأقول في ذلك: إنّ النفسَ لا تنفردُ بفعلٍ وهي بائنةٌ عن شخصٍ مِن الأشخاصِ الآليّات، لأنّه إذا انحلَّ وصدَر عنها عدمَت الألفاظَ المنطقيات، وإنْ كانت أيضاً الموادُّ تحت صورِها سيّالةً فإنّها لا تَظْهَرُ عن الصورةِ ولا توجَد إلاّ بها، وإنْ كانتْ أعني الموادَّ أيضًا مركّبات.

وأمّا ما ذكره هذا القائلُ أعني الشَّيْزَري[2] من انفرادها في المنام، فإنّها إنّما تحكي صورة المحسوسات، وتمتدُّ أيضا هذه النفسُ مع المَزَاجِ

---

(١) سورة الأنبياء ٢١/ ١٨.

(٢) من «شيزر» قرب حلب. هو من أكابر شيوخ التأويل، أي الشيعة...

قولهم هو عـدْلٌ لا يَجور. فيُـقالُ لهم : عرِّفـونا سَبَبَ تفـاوتِ هذا العالَم في منازِلهم، وارتفاعِ درجـاتهم، وفي شرفِ الأنفس وَقبـولِها للعلمِ، وَضَعَتِـها واختلافِ آلاتِهِم.

فانْ قـالوا هو فيضٌ من الباري على مُـبدَعَاتِه ومـخلوقاته، كمـا قال المتقدِّمون: إنّ كلَّ مَن أخذَ منه بِقَدرِ قوّتِه واسـتطاعتِه. أفَكُلَّما قالَ المتأخِّرون هو بمشيئةِ البـاري واختصاصِه لعبيـدِه وإرادتِه، فهذانِ القولانِ حقيقـتُهما الجـورُ والظلم. وحـاشـا اللّه أنْ يجـعلَ في بعضٍ قـوّةً واسـتطاعـةً ويمنعَ البعضَ. وهكذا يَجري الحالُ في شرفِ الأنفس وقَبولِها للعلم وضَعَتِها، وفي الأرزاقِ بين العالمِ وقِسمتِها كلّ داعٍ إلى الجورِ والظلم.

فـإنْ كان المَوجِـد هذا العالم قـد جاد عـلى بعضــهِ بالمعونة، وأحـرَمَ البعضَ فهـذا هو الجبرُ ولا ثوابَ للمُجـادِ عليه، إذ هو مجبَـرٌ بما أفيضَ إليه، وجُعِل عنده من قوّةِ القَبول، ولا عِقـابَ على الذي بَخُلَ عليه، وأحرَمَه ما جادَ به على غيرِه، ذو المَنّةِ والطَّول، تعالى اللّهُ جلّت آلاؤُه عن ذلك علوًا كبيرًا. بل الأمرُ فـي ذلك ما يُوجِـبُه العـدلُ، ويَقضـي به وَيَقطَعُـه العقـلُ، فهـو الجَزاءُ بمقدِّمَاتِ الأعـمال، بعد التخييـرِ ومجازاةِ الأنفسِ بماكسبتْ، وتفـضّلَ عليها بما مِن التـميـيزِ اقـتدرتْ عليـه وأُعطِيتْ. فقـد قام على هؤلاءِ شـاهدُ العلمِ، واضطرَّهم إلى الجـزاءِ واجبُ الحُكمِ. وأنْ يوجِدُونا عَدْلَ الـباري جلّت آلاؤه ولا سبـيلَ لهم إلى إيجـادِ ذلك إلاّ على سبـيل التخـييـرِ والجزاءِ بمقـدِّماتِ الأعمالِ كما شرحناه وأشـرناه إليه، ولخّصنْاه في صدرِ هذه الرسالةِ وعيّنا عليه .

وأيضـاً فـإنْ كانَ هذا الـعالِمُ زَعَمَ أنَّ الـنفسَ أُهبطَتْ إلى هذا العـالَمِ طلْساءَ لا عِلمَ عـندَها لزلّةٍ سَبَقَتْ منهـا في عالَمــها الذي ذَكروه، فـأقول: إنْ كانتْ أُهبِطَتْ إلى هذا العالَمِ تتزكّا فـيه وبه تَطهُرُ من دَنَسِ الزلّةِ التي سبَقَتْ

فتتصــوّرُ ما شَاهدَتْهُ من المرئيّات. وينفسدُ قولُ هذا القــائلِ إذا صبر بضَربٍ من الأمورِ العقليّات، إذِ المولودُ أعمَى لا تقدرُ نفسُه، كما زعم هذا العالِم، على الانفــراد ، فتــتــصـوّرُ في المنام شــيــئًا من المصنوعــات، فــضلاً عن الأمــورِ الألهيّــات، سوى ما عَهِــدَتْهُ من النكاح والمأكولاتِ والمشروبات. فــهذا نَقْضٌ لهذا المَقــال، ودَحضٌ لاعتقادِ هذا المُحــال. وأنا أحكمُ أنَّ دِقَّةَ النَظَرِ تستــغرق مَعارفَ المموِّهين، وتُوضِحُ فسادَ قولِ المخترصين، إذِ البيانُ لصحّةِ المعاني ما صدرَ عنها من الأفعال، كما أنَّ صحّةَ الألفاظِ ما حَقَّقَتْها المعاني من الأقوالِ.

وأنا بمِنَّةِ الحاكم على الدهورِ والأزمان، ووليِّه قــائمِ العصرِ صاحبِ غَيبةِ الاختبارِ والامتحان، ومقيمُ الحجّةِ بأصفيائِه على أهلِ النّكثِ والطغيان، أُلَخِّصُ المعنى في الجنس والأنواعِ والأشخاص، لتَــقومَ الدلالةُ بالبرهانِ على تصحيحِ المَعَادِ ومعرفةِ القَصاص.

فأقــول : إنّ الأشخاص والأنواع والفصــولَ والخواصَّ الواردةَ على النفسِ أعني الجنسَ العالي الذي ليسَ فــوقَه شيءٌ يَعُمُّهُ، وهو الحــاكمُ عليه وهي المحتاجةُ إليه، وهي ترتفعُ بارتفاعِــه وهو لا يرتفِعُ بارتفاعِها، لأنّها هـ الواردةُ عليه. والدليلُ على ذلك إنّا لو رَفَعْنا كثيراً من الأشخاصِ والأنواعِ ا يكُ ضــائرًا للجنسِ الذي هو الحــيــاةُ ذلك الأرتفــاعُ. وإذا رُفِعَ الجنسُ بَطَلَ الأشخــاصُ والفصولُ والخــواصُّ والأنواعُ. وإذا كان الكلُّ يرتفعُ بارتفــا وهو لا يرتفعُ بارتفاع سواه، فقد صحَّ أنّ الأشخاصَ واردةٌ على النّوعِ إذ البشريّة، والنوعُ واردٌ على الجنسِ الذي هو النّفسُ وهو الحياةُ الأبديّة، ا يجدْ جِسمًا قائمًا بغير نفسٍ ولا روحٍ، مُجَرَّدًا من كثيفٍ.

فأمّا القولُ الذي ذَكَرَهُ هذا القائلُ ومَنْ تابــعه عليه فهو إقناعٌ لا في غرائزِ العقــول، وهو داعٍ إلى نسبةِ الباري جلّ ذكــرُه إلى الجَور وال لأنّا نسألُ هؤلاءِ القوم فَنقول لهــم : هل الباري عادِلٌ أم ظالِمٌ جائر؟ لا

منها في عالَمِـها الذي ذكروه، فالعدلُ يوجِـبُ والحقُّ يَشْـهَدُ أنّ الموضـعَ الذي تتزكّا فـيه النفسُ وتتطهّر هو أشرفُ من الموضِع الذي تَـزِلُّ فيه وَتَتنَجَّ. وإنْ كانتْ أُهبطَتْ إلى هذا العالَمِ مجازاةً لزلّتـها وعقوبةً لما سَبَقَ منها، لتكونَ في موضـعٍ يُشاكِلُ زَلَّتَهَا من النَجَس وعدمِ الشـرف، فلا معنى للعبادةِ ولا فائدةَ في طلب العلمِ والإفـادةِ، لأنّها إنمّا أُهبِطتْ إلى هذا العـالَمِ للعذابِ والعـقوبة، لتكونَ في الموضـعِ الذي يُشاكل دَنسَها، ويليقُ بزلَّتِهَا ونجَسِـها.

وأيضاً فإنّي أقول: إنّ مـوضِـعِ النَجَس ليسَ بمحلِّ العبادة، ولا يجب أن يكونَ فيه مَن يستحقُّ في ترتيبِ العلمِ منزلـةَ الإفادةِ. فهل بعدَ هذا البيانِ والبرهانِ إلاّ اللَدَد والهذيان؟!

وأيضاً فـإنّي أقول: إنَّ قولَهم هذا يُوجِبُ أنّ الـنفسَ لا تَخرُجُ من هذا العالَمِ إذ كانتْ إنّما أُهبطتْ إليه لزلّةٍ سَبَقَتْ منها في عالَمِها على قولِهم إذ كلُّ نفسٍ زلّتْ في هذا العـالمِ لا تَرجِعُ إلى عالَمِـها الذي ذَكـروه، لأنّها من جـهةِ الزلّةِ أُهبطـتْ ومـا يتـعـرّى أحـدٌ من هذا العـالَم مـن الزللِ والخطأِ سـوى المعصـومين. وإذا كان ذلك كذلك فـهي لا تخرجُ عنه. فإنْ أقـرّوا أنّها في هذا العالمِ زُكّتْ وطَهُـرَتْ، وبعد جهلهـا عَلمَتْ، فقد صـحَّ قولُنا إنَّ الموضِعِ الذي تتـزكّى فـيه النفـسُ وتتطهَّرُ أولـى بمُجاوَرَتِهـا من الوضعِ الذي تَـزِلُّ فيـه وتتنجّس.

وأنا أقول مـا يشـهدُ بهِ العـقل، ويصـدِّقُـه كلُّ ذي ديانةٍ وفضل: إنّه لا ينساغُ في عقلِ أحدٍ من العبادِ ممّنْ أنصف نفسَه أن يَحْكُمَ لنفسِه أنّها لم تَزلْ ولم تُخطِئ في هذا العـالَم. هذا متـعذِّرٌ ممتنِعٌ أنْ يَحْكُمَ بـه لنفسـه بشر، أو يستجيزَهُ أحدٌ من أهلِ الْعلم بدقّـةِ النظَر. وأنا أشـهدُ، بمعنى أقولُ: أنَّ الشيخَ نُصْرَةَ الدِّيـنِ لا يَزوي إلى نفسهِ أنّـها لم تزِلْ في وقتٍ من الأوقـات، إذ كانَ يعلم ويحكُمُ أنّها عَلِمتْ بعـدَ جهلها. وإذا كانَ ذلك كذلك فـقد صحَّ أنّها، أعني

النفَس في هذا العـالَم، لا تخرجُ منه ومعـادُها إليه. ولم يصحّ لهـؤلاءِ القومِ قولُ أنّها تزكّتْ ولم تَزِلْ فيُعَوِّلُ عليه.

وأنا بمنَّة القائم لنَسْخِ الأدْيان، ومُـحَلِّلِ مَعَاقِدِ الأبالِسَـةِ ومُهلِكِ أولادِ الشَّيصبانِ، أُوضِحُ الردَّ في هذا المعنى على المقصِّرَةِ من الفلاسفةِ الخارجين عن سُنَنِ الحقِّ، كمـا هو موجودٌ في كلِّ عصرٍ من لَدَدِ أبـالِسَةِ الأزمان، وهو الأصلُ الذي فَرَّعَـهُ هذا اللّكِنُ وعوّلَ عليـه، واستَـرَقَّهُ من قولهم هـذا الفَسْلُ ومَنْ انتمـا إليه. وأبيِّنُ عجـزَ القاعِدين عن مـعرفةِ الحقِّ من المتـقدِّمينَ منهم والمتأخِّرين. وأعيّنُ أنّهم غَلِطوا عن معـاني العِلم والدِّين، وخرجوا عن معالم الحقِّ اليقين. وأنّ مُقصِّـرَةَ الفلاسفةِ خَرجوا بجسمانيّـتهم عن معالم الأبدَالِ الروحانيِّين، وقعدتْ بهم أعمالُهم عن منازِل الحكماءِ الموحِّدين،

وأنّ فوثاغورس كـان من روحانيّته يوعِزُ إلى تـلامذته، ويشرحُ لهم التّوحيدَ الغَضَّ، وأنّه كان يعتقـدُ ويقولُ إنَّ الباري تنزّه وتعالى موجودٌ نورٌ مـحضٌ، وإنّه لابسٌ جـسدًا مـا يستـترُ به لـئلا يَراهُ إلاّ مَن استـاهَلَ ذلك واستـحَقَّه، وقـامَ في عبادته بحـقيقـيَّةِ الفرضِ، وإنّه كـالذي يَلْبَسُ في هذا العالم جِلدَ شـاةٍ فإذا خلعه نظر إليـه مَن يقعُ نظرُه عليه، وإذا لَبِسَـه لم يَقدرْ أحدٌ على النظرِ إليه.

وكذلك قـولُ أفلاطون الحكيمِ الأكبـر، مملوك الإمامِ الناسخِ لجـميعِ الشَّرَعِ والأديان، وهومـعلِّم أرسطاطاليسَ ومَن اتَّبعَه وقال بقـولِه وأخذ عنه في عصرهِ وفي هذا الأوان، وإنّما مَـرَقَ مَن خالفَ هذا الرأيَ الحقَّ منهم كما مرقتْ عـصاةُ الأممِ عن الحقِّ والتّوحـيدِ في هذا الزمـان، وتبعهم مِن نابِتـيَّةِ الوقتِ ممّن انفرَدَ بقراءةِ كتبِ المقصِّرينَ من الفلاسفةِ بغير بيِّنةٍ ولا برهان.

وإذا كان هذا قولُ أكابرِ الحكمـاءِ إنّهم يُوجِدون الباري تعالى في هذا العـالَم وَينفون العـدَم عنه وينزّهونه عن تحـديدِ خَلقِه وبريّتـه، فقـد اتّضح

شرفُ عالَمِ النفسِ بالحقيقةِ وعظْمِ منزلتهِ، وبَطَل قولُ الشواذِّ منهم المقصِّرين إنّ للنفسِ عالَم غيرُ هذا تتّحد بهويّته، وترجَعُ إليه لسموِّه ورفعةِ مرتبته، مجاورةً للباري تعالى وإلحادًا فيه وحصراً له وتحديدًا لباهرِ قدرته، وإضافةً لعلوِّه وتنزّهِهِ إلى الأثير إعظامًا لبُعدِ المسافةِ بنظرِ العينِ ورفعته، ونظروا إلى غير المعنى ولم يُفرِّقوا بين رفعةِ العالم الجرماني الجمادِ وجسمانيّته، وبين شرفِ جوهريّةِ عالَم النفسِ المُطلعِ على المعقولاتِ والبديهيّات، المتعالي عن كَدَرِ عالَم الجرماني ونعتِه وصفتِه.

فهذا ردٌّ مُجهَزٌ على عقائدِ الجميعِ. ونظَرٌ بمنّةِ المولى إلى العالَم العليّ الرفيع، وقد اعتمدَ كثيرٌ من نابتيّةِ هذا الوقتِ على كتبِ أبي نصر الفارابي لعلمِهم أنّه فرّعَها من الأصول، وأنّه أخذَ جواهرَ أقوالِهم وشرَحَها فصارَتْ لعلومِهم أعني المتقدِّمين كالمَعين المَحصولِ، توهّمًا بأنّه من جملتِهم. وحاشا الله. وإنما سلك مسلكَ ذي الفهم تبييناً لعلمه البديع عن منزلة الغمر الجهُول. فممّا ذكر الشيخُ الفارابي في الفصلِ الخامسِ من كتابه المعروفِ بـ «آراءِ المدينةِ الفاضلة»، وأطنبَ فيه من مفارقةِ الأنفسِ للأجسامِ.

وأنا أقولُ: إنْ كانَ الشيخُ الفاضلُ أعنَى بانفرادِ النفسِ عن المفارقةِ في ذاتِها وإزائِها وأفعالِها وهيآتِها، وأنّ الأعراضَ ترتفعُ عنها في ذاتها وجوهريّاتِها، وهي موجودَةٌ في هذا الجسم كالمالكة له والحاكمةِ عليه، أو يكون أعنَى بمفارَقتِها للأجسامِ أنّها فارقتِ الرذائل والأفعالَ الطبيعيّةَ التي من شأنِها لا تظهرُ إلاّ من جسمٍ، أو يكونُ سَلَبَ عنها جميعَ الأفعالِ الجسميّةِ مع إثباته لوجودِها، أو يكونُ أعنَى بقولِه وتَفَهُّمَ هذا وتصوّرَها عَسِرًا جدًّا غيرُ مُعْتَاد، أعنَى به صعوبةَ تفهّمِ نسبتِها إلى المفارَقةِ وهي متّحدةٌ بالجسمانيّات، أعنَى مفارقَتَها بجوهرِها، ونزاهة أفعالِها العلميّةِ عن الهيولِيّات، فإذا كان ذلك كذلك فقد زاد، تالله، على الحكماءِ والمتقدِّمين، وأغرق في طلب معلومِ الدِّين.

وإنْ كان أعنَى بذلك أنّها تفارقُ الجسمَ المالكة له والحاكمةَ عليه الذي لا تعرفُ أفـعالَهـا إلاّ منهُ، فقد أبطلَ رئيسُ المـدينةِ الفاضلةِ هذا على ترتيـبه الذي رتّبَه وَبَنَا قولَه عليه: إنّ الرئيسَ إذا بلغَ كمـالَه الأخير فارقَ هذا الجسمَ وهذا العالَمَ.

فعلى ظاهر قولـه هذا لم يبقَ في هذا العالَم كاملٌ يفيضُ الكمــالَ كما أفاضَـه هذا الرّئيسُ المفارِقُ لهـذا الجسم. وهذا العالَم فـقد انقطعتْ إفـاضةُ الكمالِ، لأنّه جـعلَه صاحب المعمورةِ. وإذا انقطعتْ إفـاضةُ الكمالِ فـقد صار العـالَمُ سُدىً، ولم يبلغْ فـيه أحـدٌ إلى الكمـالِ الأخيـر. هذا على قوله وقـولِ المتقـدِّمين. وَوَجبَ في العدلِ والقول أنّ الرئـيسَ قد ظَلَمَ أهلَ مدينتـهِ، وجارَ عليهم، وحاشا اللّه، بل عدلُهُ قائمٌ فيهم.

وأنا أقـولُ: إنْ أمكَنَ أنْ تَبـقى نفسُ هذا الرئيسِ في هذا العـالَم بعـدَ كمالِها مدّةً ما، فممكنٌ أنْ تبقى مدةً أكثر. وإذا أمكنَ بقاءُ نفسِه في هذا العالَم مدّةً بعد كمالِهـا، فالعدلُ يوجِبُ والحقُّ يشـهدُ أنَّ نسبتَهـا إلى الكمالِ الأخير، وهي غرِقَةٌ في الأمـزجةِ الطبيعيـات،، أكملُ وأشرفُ من نسبتـها إلى الكمالِ بعد المفارقة، كما زعمَ هو والمتقدِّمون وصحبتُهما ان كان من الروحانيّات.

وأيضاً فـقد أقرّوا في وقـولهم أنّ النفسَ تبلغُ كمـالَها الأخـير، وهي متّحِـدة بالطبيعـيّات. فقد أوجبَ العـدلُ والعقلُ في قولهم إنّ كمـالَها، وهي متّحـدةٌ بالجسم الذي بلغتْ فيـه كمالَها الأخـير، أشرفُ وألطفُ من كمـالِها بمفارقـةِ الجسمـانيّاتِ، لأنّهـا تكون، وهي متحـدةٌ بالجسم، مالـكةٌ للعالمين مشرقةٌ منه على الأفقَـين. فتحكمُ بكمالِها وقوّةِ ذاتِها على الطبيـعيّاتِ، وتتَّقدُ بأشعّةِ أنوارِها وصفاءِ جوهرِها فتفـعلُ الأفعالَ الروحانيّاتِ والعقليّات. فمَن ادّعى غيرَ ذلك فَلْيُثْـبِتْ لها فِعلاً مجرّدًا، أعني النفسَ بعد المفـارقةِ للمرئيّات، ولا سـبيلَ لهم إلى إيـجادِ ذلك إلاّ بالبـهْتِ والتـوهيم والخروجِ عن الأمـورِ الإلهيّات.

وأنا أشهدُ، بمعنى أقول: أنّ الشـيخَ نُصرةَ الدِّينِ لم يوقِفْهُم على هذه القوانين التي رتّبَها، والمعاني التي برهَنها من حيثُ هم ولخّصَها، إلاّ لقصورِ أفهامهم عن تحليلها، ونَكْلِهِم عن القَدحِ فيها وعن تعليلها.

وأيضاً شهِدَ اللّه فَزَعًا على نفسِه من فَـجَاجَتِهم وسوءِ نيّاتِهم، وفَرقًا يقتلوهُ لضـعفِ بصائرهم وقلّةِ أمـاناتهم. فهو يُقـيمُهم وهم يَقْـعدون. وهو يورِدُهم وهم يصدُرون. وهم في غـمرةٍ ساهون يتـساءلون إيّانَ يومَ الدِّين، كأنْ لم يَربُوا بعلومِ الدِّين والحكمـة، ولم تُقرأ عليهم مجالسُ الرحـمة. وإنّما هي أعمالُكم تُرَدُّ إليكم وكلُّ امرؤٍ منكم يُجَازَى بَعَمله. ولم يقلْ يُجازَى بِعِلْمِه، كما قال في المستور المبين: «يَا أَيَّتُـها النَّفسُ المطمَئِنّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ راضيةً مرضيّةً فـادخُلي في عبادي واسكني جَنّتي»[٣]، وكما قال للخاطئين: «وذلكَ بِمَا قَدّمتْ أيديكم وما اللّه بظلاّمٍ العبيد»[٤].

وأيضاً فإنْ كان هؤلاءِ القوم يوجبـون بقولهم هذا أنَّ نفوسَ الأنبياء المُصْطَفِين وأنفسَ الأئمّةِ الطاهرين، أنّها، لزلّةٍ سبـقتْ منها في عالمها، أُهْبِطَتْ إلى هذا العـالَم فـقـد أبطَلوا طاعـةَ الأنبيـاءِ والأئمّـة، وسـاوَوا في الزلّة بين نفوسِهم ونفوسِ جميعِ الأمّة؛ إذ مَنْ علـيه حدٌّ لا يُقيمُ حدًا، وعاصـي لا يُطهّر عاصـيًا. وقـولهم هذا فـهو خـارجٌ عن سُنَنِ أهلِ الفضلِ، داخلٌ في الخَـرَفِ والجهلِ.

وأنا أذكر قولاً يُكمدُ قلوبَ المُخْتَـرِصين ويَجُذُّ أَثْلَةَ المباهِتين المموِّهين، ويشحَذُ بصائرَ المؤمنينَ، ولا يردُّه إلاّ منْ رانَ على قلبـه ما احتقبَ من الإثم، وعَمي عن الحقِّ فأنكر مـجالسَ الرحمةِ والعلم، وساوَى بين نفـسـه ونفوسِ الأنبيـاءِ والأئمّةِ في الزَلّةِ والإثمِ. وهو مـا تُلِيَ في المجلس السابعِ عَـشَرَ ممّا

---

(٣) سورة الفجر ٨٩/٢٧-٣٠ ؛ الاصل : أدخلي مكان أسكني.

(٤) سورة آل عمران ٣/١٨٢ ، وسورة الانفال ٨/٥١ و وغيرها...

قرأه عــبدُ العــزيز من المائةِ الثانيــة، هو لا يدٌ تمتَدُّ لهم إلى حــرام، ولا لسانٌ ينطقُ بخَطَلٍ ولا أثام، ولا قطيعــةٌ تكونُ بحكمِهم بين أُولي الأرحام، بســلامةِ القلوبِ ونقــاءِ السرائر، ورثَّهُم اللّهُ شــرفَ المقام، وجعلهــم في الأدوارِ أكابرَ الحدودِ لكلِّ إمــام. فقد، واللّهِ، أفــصِحُ لكم بذكرِ المَعَــادِ وأقيمتِ الحــجّةُ على جميعِ العباد.

وأيضاً من التاسعِ والعــشرينَ من المائةِ الثانية: أيضًا فَــخَيرُ الأنفسِ نفسٌ لا تُحْوَجُ إلى قــولِها يا حــسرَتاه على ما فــرّطتُ في جَنبِ اللّهِ وإنْ كنتُ من الخاســرين. وشرُّها نفسٌ تقولُ ذلك وتُســاقُ بعدَ قولهــا إلى العذابِ مع الظالمين. فالزاكياتُ منها القــاطناتُ في الدِّين، الذينَ آمنوا وعمِلوا الصــالحات. –والقطونُ هو الإقامــة–. فهل بعد هذا المِعُــتَرضِ مقال، أو إلى غــيره لِراجي البعثِ مرجعٌ ومآل؟

فإنّ كــانَ هذا العاجزُ، أعني الشَيــزَري، قد تَقَوّل على الشــيخِ نصرةِ الدِّينِ هذا المَحَــال، وحقّقَ عليــه هذا الشــركَ العظيم والضلال، فــمن الواجبِ عليه أن يُجَــذَّ لسانُه ، ويُقطَع بنــانُه، ويُخلا من الدعوة مكــانُه. وإنْ كان هذا، أعني الشيــزَري، سادِقاً فيمــا رواه، ومثبِّتًــا لدعواهُ، فقد تبوّأ الــشيخُ نصرةُ الدِّين بهذا الاعقــادِ من النارِ مقعدَه ومثواه، وأُهبطَ مــا استحقَّ به هذه المنزلةَ في أُولاه وأُخراه، وعن قليل يُصرَفُ عن الدعوةِ ويُوَلَّى ما قد تولاّه.

فنعوذُ باللّهِ من زلةٍ تُسْلَخُ من إيهابِ النعــمةِ، وتُدْنَى من لِبس جلباب النقمــة. إنّه على ذلك قدير، ولم أورد ما أثبِّــتُهُ في هذه الرسالةِ تعــاطيًا على المقصِّرين المخالِفين، وإنّما أوردتُّه توبيخًا للقــائلين بالتّوحيد الملحِدين، وتعقباً على المخــترِصين في الــدِّين المدَّعين. فبــاللّهِ إنّي لا أدري أيَّ شيءٍ أعــجبُ من ضعفِ بصائــرهم، وطيشِ حلومِهم، أو مِن عمَهِ قلوبهم، وقلّة علــومهم! فهم مــقِرُّون ومــعــتقــدون بأنّ البــاري جلّت آلاؤه يَظهــر لهم من حــيث هم في

الصورةِ الإنسانيّة، ويدّعون لأنفسهم الوضِرَةِ أنّها لا ترضى بهذا المحلِّ بل تصير في معادِها روحانيّة.

كذبوا العادِلون باللّهِ وضلّوا ضلالاً بعيدًا، ألا إنّ قولَهم هذا مدخول، واعتقادَهُم الذي أظهروه في التّوحيدِ كذبٌ معلول. فيتبرّؤا منه فهم من هذا التوبيخِ مبرَّؤون، وممّا أوردتُه في هذه الرسالة مُقَالون.

فَذَرْهُم يخوضونَ ويَلعبون، حتّى يُلاقوا يومَهم الذي كانوا به يوعَدون يومَ هم بارزون، لا يَخفى عن القائمِ على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ منهم شيئًا. لِمَنْ المُلْكُ اليوم لمولانا الحاكِم القّهار. أليومَ تُجزَون ما كنتم تَعملون.

هذا كتابُنا ينطِقُ عليكم بالحقِّ. إنَّا كنّا نستنسِخُ ما كنتم تَعلمون، حتّى «إذا وقَع القولُ عليهم أخرَجْنا لهم دابّةً من الأرضِ تُكلّمهم: أنّ الناسَ كانوا بآياتِنا لا يوقِنون»[٥].

والحمدُ للبَارِ مولى العالمين، بوساطةِ وليِّه القائمِ لنجاةِ الموحِّدين، وسلَّم إليه تسليمًا.

نَجِزَتْ والحمدُ لمولىَ النّعمة. وهو حسبي ونِعْمَ النصيرِ المعين.

---

(٥) سورة النمل ٢٧ / ٨١.

٧١

الموسومة برسالة
التبيين والاستدراك
لبَعْضِ ما لَمْ تُدْرِكْهُ العُقُولُ فِي كَشْفِ الكُفْرِ المَحْجُوبِ مِنَ الإلْحَادِ وَالإشْرَاك.

كتبها بهاء الدِّين المقتنَى سنة ٤٢٧ هـ. ينقض فيها بوضوح تامّ وصراحة كليّة الوحيَ القرآني. ويبيِّن كذبَ الأنبياء السابقين، وتحريفَ القرآن على أيدي الرواة. وينعت محمّداً، بجراة ما بعدها جراة، بأنّه «المسعور المعتوه»، و«المسرف الكذّاب»، الذي «كذّب على الخلق أجمعين». وما استشهاداته الكثيرة بآيات القرآن إلاّ ليبيِّنَ تناقضَها، ويُظهِرَ تعاليمَها المليئة بالكذب والخداع والتدليس.

توكّلتُ على المولى الإلهِ الحاكمِ مُأزِّلِ الأزل. وتوسّلتُ إليه بوليِّه القائمِ الهادي علّةِ العلل. مِن العبد الضعيف المُقتنى بحدودِ الوَليِّ المُنْتَظَر إلى ملكوته في التوفيقِ يَتَوسَّل. وبجلالهم عنده يَضْرعُ في شَفاعتِهم لديهِ العبدُ المُقتَنى المُذنِب ويَبتهل، أن يَجعلَهُ في جُملةِ مَن شَمَلَهم بعفوه ورضوانه، وتطوَّلَ عليهم بمَنِّه وجزيلِ إحسانِه.

قال العبدُ المُقتنَى النَّصيح : ولمّا تَعقَّبْتُ من شريعةِ الإبليسِ المواضعَ

البيّنة الخَلَلِ، الواضحة الخطأ والزَلَلِ، لم يَسَعْني لها الأهمال. وتَحقّقتُ أنّ العنايَةَ في هذه الفترةِ لكشفِ عَوارِ مَن دَلَّسَ في الدِّين أربحُ المتاجرِ وأشرفُ الأعمال. أعدْتُ النظرَ بعد تبييضي «التَعقُّبَ وكشْفَ الكفرِ المحجوب»[١]. وتَفكَّرتُ في قوله عن اللّه في سورة المائدة، وما لَفَّقَهُ من الزُّورِ المَكذوب: «أليوم أُحلَّ لَكُم الطَيِّبات وطعامُ الذين أُوتُوا الكتابَ حِلٌّ لكم، وطعامُكُم حِلٌّ لَهُم، والمُحْصَنَاتُ مِن المؤمنات. والمُحْصَنَاتُ مِن الذين أُوتُوا الكتَاب مِن قَبْلِكُم»[٢]، فأُحِلَّ ذلك لَهُم تَحليلاً، وانتَهَكُوهُ بأمرِهِ زمانًا طويلاً.

ثُمَّ إنَّه رَجَعَ فنقضَ الوحيَ الذي زَعَمَ أنَّه أُوحِي إليه ليتبيَّنَ لأهلِ الحقِّ ما كَذَّبَهُ على اللّهِ تعالى وزخرفَ عليه. فقال من البَقَرةِ أيضاً نقضًا لهذا القول: «وَلا تَنْكحُوا المُشرِكَاتِ حتى يُؤْمِنَّ. وَلأمَةٌ مُؤمِنةٌ خيرٌ مِن مُشْرِكَةٍ ولو أَعْجَبَتْكُم. ولا تَنْكِحُوا المُشْرِكينَ حتّى يُؤمِنوا. ولَعَبْدٌ مُؤمِنٌ خَيرٌ مِن مُشرِكٍ ولو أَعْجَبَكُم. أولئكَ يَدعون إلى النَّارِ، واللّهُ يدعو إلى الجنّةِ والمغفرةِ بإذنِهِ. وَيُبَيِّنُ آياتِهِ للناسِ لعلَّهُم يَتَذكَّرون»[٣].

فتناقضتْ الأقوال، وصارتْ هرَجاً الأفعال.

ثمَّ أنّه ذَكَرَ تحريمَ البناتِ والأمَّهات إلى أن قال: «وإنْ تَجْمَعوا بَينَ الأختَينِ إلاّ مَا قَد سَلَفَ. إنّ اللّهَ كان غفورًا رَحيمًا. والمُحْصَنَاتُ مِن النّساء إلاّ ما مَلَكَتْ أيمَانُكُم. كتابُ اللّهِ عليكم»[٤]. فحرّم جميع ما تقدّم القول عليه.

---

(١) عنوان رسالة رقم ٥٥، كتبها بهاء الدِّين طعناً بالنصارى والمسلمين. يذكر فيها أنّه قصّر في «كشف كفر» عيسى ومحمّد. لهذا، يعود الآن، في هذه الرسالة، ليستدرك ما قصّر فيه. فسمّاها «التبيين والاستدراك».

(٢) سورة المائدة ٥/ ٥.

(٣) سورة البقرة ٢/ ٢٢١.

(٤) سورة النساء ٤/ ٢٣ – ٢٤أ.

ثمَّ قال: «وَأُحِلَّ لكم مِن وراءِ ذلك أن تَبْتَغُوا بأمـوالِكم مُحْصِنِين غيرَ مُسافِحِين. فـمَا استَمْتَعْتُم بهِ مِنْهُنَّ فَـأْتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً»[٥]. وهذا فهو خارجٌ عن شروطِ النِّكاحِ الذي حَكَمَ به في نُصوصِ شـرعَتِه. وقد شَرَحَ هذا وبيَّنَهُ عنه أُولُو علمِهِ ورواةُ بِدْعَتِهِ ومُتَفَقِّهُو دينِهِ وقُضاةُ نِحْلَتِه:

إنَّ الرَّجلَ يأتي الإمـرأةَ فـيوافِـقُها على شـهورٍ مَـعلومـةٍ بدراهمَ معلومةٍ، ويجعلُ ذلك فريضةً عـن تَراضٍ منهما، فإذا تمَّ ذلك الأجَلُ وقبضَتْ تلك الفريـضة، فإنْ أرادَ أن يصـرِفَها أصـرفَها، وإنْ أرادَ جَـدَّدَ لها فـريضةً أخـرى، وأقامتْ عـنده، أو تأتيه إلى تمـام تلكِ الفريضـة. وذلك قـولُهُ : «ولا جُنَاحَ عَليكُم فيما تراضَيتُم به مِن بعدِ الفريضةِ. إنّ اللّهَ كانَ عليمًا حكيماً»[٦].

فقدْ نَسَخَ لهذا الحكم، ونقضَ جـميعَ شروطِهِ في أبوابِ النِّكاح. وآلَ أمرُ أمَّـتِهِ إلى الهَرَجِ والفِـسْقِ والسِفَاحِ. وإذا كـانَ ذلك كذلك فـقَدْ بَطَلَتْ من قلوبِ الآباء صحَّةُ الأولاد، والتَبَسَتْ بالحقيقة أنسابُ العباد.

فلمَّا ســألَهُ عن مثلِ ذلك وأنكَرَهُ عليه الأتقيـاءُ من المُوَحِّدينَ، وطَعَنُوا عليه وهم في كهفِهِمْ مُسْـتَترين، ذَكَرَ: «أنّ اللّهَ أوحَى إليه»[٧]. تَوبيخًا لمَنْ ردَّ عليه: «أَمْ تُريدُونَ أنْ تَسألُوا رسولَكُم كَمـا سُئِلَ موسَى مِن قَبْلُ. ومَنْ يَتَبَدَّلُ الكفرَ بالإيمانِ فقد ضلَّ سَواءَ السبـيلِ. ودَّ كثيرٌ مِن أهلِ الكتابِ لو يَردُّونَكم مِن بعدِ إيمانِكم حَسَدَاً مِن عندِ أنفـسِهِم مِن بعدِ ما تبيَّنَ لهم الحقّ»[٨]. وباللّهِ لقد أُمِـرَ بإذاعةِ الحقِّ فَـسَتَرَهُ، وخَـالفَ ما أُخِـذَ عليهِ مـيثاقُـه من التّوحـيد وأنكرَهُ.

---

(٥) سورة النساء ٤/ ٢٤ ب.

(٦) سورة النساء ٤/ ٢٤.

(٧) يرد هذا التعبير أكثر من ستين مرّة.

(٨) سورة البقرة ٢/ ١٠٩.

وذلك قولُ مَن أملى عليه المَسْطورَ[٩] وَوبَّخهُ وأمثالهُ على تقصيرِهم طويلا: وهو أنَّه «عَرَضْنا الأمَانةَ على السَّمواتِ والأرضِ فَأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها – مِن جهةِ باطنِ التَّوحيد–، وحَمَلَها الإنسانُ وأمثالُه –من جهةِ ظاهرِ التنميسِ والتَّلحيد–. إنّه كان ظَلومًا جَهولاً»[١٠]. وهذا الشرحُ قد وَرَدَ في مجالسِ الحكمةِ مُبيَّناً مَقولا.

وأيضاً لَمّا عَمِيَتْ بصيرتُهُ عن زُخْرُفِ ما يأمرهُم بالصلاةِ إليه: فمَرّةً يأمرُهم باستقبالِ المَشرِقِ، ومرّةً يأمرهُم بالتوجُّهِ إلى المغربِ لضيقِ معلومِهِ عليه. زعم أنَّ اللّهَ بجلالِ قدرَتِهِ أوحَى إليه: «سَيَقولُ السفهاءُ مِن الناسِ مَا ولاَّهم عن قِبْلَتِهِم التي كانوا عليها ؟ قُلْ للّهِ المَشْرِقُ والمَغْرِبُ. يَهْدي مَن يَشاءُ إلى صِراطٍ مُستقيم»[١١].

ثمّ تلاهُ وَرادفَهُ بقولِهِ: «وكذلكَ جعَلنَاكُم أمَّةً وَسَطًا لتَكُونوا شُهداءَ على الناسِ ويكونُ الرسولُ عليكم شَهيدًا»[١٢].

فباللّه إنَّ الأنفسَ وَمَنْ في الآفاقِ، لِمَخائلَ الإبليسِ، تُبْطِلُ وتَدفع، والعقلُ بالحقِّ يَشْهَدُ ويقطع: أنَّ الأكثرَ مِن أُمَّتِهِ، والجَمَّ الغفيرَ من رؤساءِ شِرعتِهِ، ليس لأحَدٍ منهم أمَانةٌ على تأديةِ كلمةٍ واحدة من العدل، أو إلى أهلِ الحقِّ في تَسليمِ حِزمَةٍ من بقْلٍ. وأنّهم في فَهْمِهم للحقِّ والحكمةِ أبْلَهُ من الحمارِ والبغْلِ، فكيف يكونوا شهداءَ على الناسِ؟!

---

(٩) يقول الموحِّدون إنّ الذي أملَى المَسطورَ، أي القرآن، على محمّد، هو سلمان الفارسي، أحد الصحابة المشهورين. وسَلمان هذا هو نفسُه العقل الكلّي الذي ظهر، بهذا الإسم، أيّام محمّد، وهو نفسه ظهر باسم حمزة أيّام الحاكم.. لقد كتبَ سلمانُ القرآنَ لمحمّد، فانتحله محمّد، وحرّف فيه وبدّل، وموّه على النّاس، وكذّب على اللّه.

(١٠) سورة الاحزاب ٣٣/٧٢.

(١١) سورة البقرة ٢/١٤٢.

(١٢) سورة البقرة ٢/١٤٣

فباللّهِ العَالي المُتَعال، لقـد أفَكَ وكذَّبَ في هذا المقال. وهذا فهو نقْضٌ لهذا التلبيسِ والتمويه، ودَحْضٌ لهذا الشرْكِ والتَّشْبيه، وإنْ كان قومٌ بدْعَته، وفـراعنةُ شـرعَـتـه تأوَّلوا : «أنَّ الأئمّـةَ شُـهـداءُ علَى النّاسِ وهو شـهـيـدٌ عليهم»[١٣]. فهذا أعظمُ إفْكٍ، وأتَمُّ كُفرٍ وشرْكٍ، لأنّ الإمامَ سلامُ اللّهِ على ذكرهِ لا يأُمُّهُ أحـدٌ ولا يشهدُ عليه. وهو الشـاهدُ علي جميعِ الخـلائق، والأممِ كلُّها مضافةٌ إليه.

وفي حقيقيّةِ الدِّينِ أنّ الإمامَ في كلِّ عصرٍ وزمان هو مُرْسِلُ الرسل بأمانةِ التّوحـيد؛ لكنَّ أكثرَهم خـالَفوا ونافَقوا عليه. وهو أمـرُ اللّهِ النافذِ في العوالمِ تجـالل عن الشهـادة، من نوح وإبرهيم وموسى وعـيسى ومحـمّد، ومن يَجـري مَجْراهمـو فإنّمـا هم حجج الإيمانِ ودعـاةٌ إليه، يَظـهرون في الأدوارِ لتكذيبِ أصـحابِ النّوامـيسِ بأمانـةِ التّوحـيد، ويَدلُّون عليـه، لأنّهم أصـحابُ الأعـمـالِ المستطابَـة، وأهلُ الحكمِ بالآياتِ البـاهرة، وسلطانُ اللّهِ والدَعْواتِ المُسْتَجابةِ.

وهذه قـصصُـهُم[١٤] في المَسطورِ تدلُّ على جـلالِ قـدْرِهم عند اللّهِ لعظيمِ آياتِهم، وإهلاكِهِ لمن عانَدَهُم، وإجابَتِه لدعواتِهم:

فمِن ذلك الحكايةُ فـي المَسْطورِ عن صَالِح[١٥]: «ويَا قومِ! هـذهِ ناقةُ اللّهِ لكُم آيةٌ فَذَرُوها تأكلُ في أرضِ اللّهِ، ولا تَمَسُّوها بسـوءٍ، فيأخُذُكُم عذابٌ قريبٌ. فَعَـقَرُوها. فقال: تَمـتَّعُوا في دارِكم ثَلَثَةَ أيّامٍ، ذلك وعـدٌ غيرُ مكذوبٍ. فلَمّا جَاءَ أمْرُنا نجَّينَا صَالِحًا والّذين آمَنُوا معه برحمةٍ مِنّا، ومَن خَزِيَ يومئذٍ

---

(١٣) سورة الحج ٢٢/ ٧٨.

(١٤) أي قصص «أنبياء السدق»، أنبياء الدروز الصالحين،

(١٥) هو أحـد الأنبيـاء الصـالحين، وأحـد تجلّيـات العقل الأوّل في زمن ملْكِ ثمـود. ورد اسمه في القرآن ١١ مرّة.

إنّ ربَّكَ هو القَويُّ العَزيزُ. وأخَذَ الّذين ظَلَمُوا الصَيْحةُ، فأصبَحُوا في دارِهِم جَاثِمين، كأنْ لمْ يَغْنُوا فيها. إلاّ أنّ ثَمُودَ كَفَرُوا بربِّهم. ألاَ بُعدًا لِثَمُودَ»[١٦].

فتأمَّلوا يا أُولى العقولِ والنِّهاياتِ، هل أَسْدَقُ من هذه النبوّةِ وأوضحُ من هذه الآياتِ التي ليستْ كآياتِ أَصحابِ النواميسِ المُفْتَرَيات.

وأيضاً من سورةِ هُودٍ باقي قُصَّة لُوط[١٧]: «قالوا: يَا لوطُ إنَّا رُسُلُ ربِّكَ لن يَصِلوا إليك. فَأَسرِ بأهلِك بقِطْعٍ مِنَ اللّيلِ ولا يَلْتَفِتْ منكم أحدٌ»[١٨]، ثمَّ قال: «فلمَّا جاءَ أمرُنا جَعَلْنَا عَالِيها سافِلَهَا، وأمطَرْنا عليهم حجارةً من سِجِّيل مَنضودةً مُسَوَّمَةً عند ربِّك وما هي من الظالمين ببعيدٍ»[١٩].

فهذه دعواتُ الأصفياءِ ومناقبُ البررةِ الأولياء.

وأيضاً من سورةِ هُودٍ باقي الحكايّةِ عن شُعَيبٍ[٢٠]: «ويا قومِ اعْمَلُوا على مكانتِكم. إنّي عاملٌ وسوفَ تعلَمُون من يأتيه عذابٌ يُخزيه، ومَن هو كاذبٌ فارتَقِبوا. إنّي معكم رَقيبٌ. ولمّا جاءَ أمرُنا نَجيّنا شُعَيباً والذين آمَنوا معهُ برحمةٍ منّا وأَخَذَتِ الذينَ ظلموا الصحيحةُ فأَصبحُوا في دارِهم جاثِمين، كأن لم يَغْنُوا فيها. ألا بُعْدًا لِمدْيَنَ كما بَعُدتْ ثَمُودُ»[٢١].

---

(١٦) سورة هود ١١/ ٦٤ – ٦٧.

(١٧) لوط هو أيضاً أحد أنبياء السدق، وهو أحد تجلّيّات العقل الكلّيّ في زمن الطوفان. يرد اسمه في القرآن ٢٧ مرّة.

(١٨) سورة هود١١/ ٨١ .

(١٩) سورة هود١١/ ٨٢ – ٨٣.

(٢٠) أحد أنبياء السدق، وأحد تجلّيات العقل الأوّل. له مقام عظيم في فلسطين. يؤمّه الموحِّدون ليُحيُوا ذكراه، نكايةً بموسى الذيَ ادّعى النبوّةَ ونافق على شعيب وعلى الموحِّدين في زمانه.

(٢١) سورة هود ١١/ ٩٣–٩٥

وقد صَدَرَ الحقُّ في الأسفار الصحيحة، أنَّ شُعَيبًا هو الذي اصطَنَعَ موسى وأَفْضَى بالحقِّ إليه، وهو مُرسِلُهُ، ولقد خالَفَهُ وَنَافقَ عليه.

وأيضاً من سورة الحِجْرِ في قصّةِ لوط: «وقَضَينا إليه ذلك الأمرَ أنَّ دَابِرَ هؤلاء مَقْطوعٌ مُصْبِحين. وجاءَ أهلُ المدينةِ يَستبشرون. قال: إنَّ هؤلاء ضَيفي فلا تفْضَحون. واتَّقوا اللّهَ ولا تَخْزُون. قالوا: أَوَلَمْ نَنْهَكَ عن العالمين! لعَمْرِكَ إنَّهم في سكْرَتِهم يَعْمَهون. فَأخذتْهُم الصَّيحةُ مُشرِقين. فَجعَلْنَا عاليها سافلَها. وأمطرْنَا عليهم حجارةً من سِجِّيل. إنَّ في ذلك لآياتٍ للمُوقنين»[٢٢].

فهذه قَصَص أهلِ الحقِّ الصَّادقين، الذين دلَّتْ عليهم شرفُ منازِلهم وإجابةُ الباري لدعواتِهِم في هلاكِ الفاسِقين.

وهذه قصةٌ مُجَمَلَةٌ في توبيخِ أصحابِ الشرائعِ الذينَ جَبَروا أُمَمَهم على الأعمالِ الجِسمِيَّةِ، وقَعَدَتْ بهم أعمالُهم عن معالِمِ الأمرِ الإلهيّةِ التّوحيديَّة :

من سورةِ المائدةِ يَعْني جماعَتَهم[٢٣] قولُه وهو: «لكلٍّ جَعَلْنَا مِنكم شرعةً ومنهاجًا. ولَو شاءَ اللّهُ لجعلَكُم أمَّةً واحدةً. ولكن ليَبْلُوكُم فيما أتاكم فاسْتَبِقُوا الخيراتِ إلى اللّهِ مرجعُكم جَميعًا فَيُنَبِّئُكم بما كُنتم فيه تَخْتَلِفون»[٢٤]. وقد شَهِدَ عليهم وصحَّ أنَّهم مُختلفون. وعَلِم كلُّ ذي لبٍّ أنَّ الاختلافَ ليس للأمم. وإنمَّا هو لأصحابِ الشرائع، لأنَّ كلَّ واحدٍ منهم أَمَر أُمَّتَه بجهادِ الأمَّةِ الأخرى، وقَتْلِ بعْضِهم بعضًا. فكيف يكون الاختلافُ إلاّ كذلك؟!

---

(٢٢) سورة الحجر ١٥/ ٦٦ - ٧٥.

(٢٣) أي جماعة أنبياء الكذب، وهم من اليهود والنصارى والمسلمين، سنّة وشيعة.

(٢٤) سورة المائدة ٥/ ٤٨ .

ناسخةٌ لجميعِ المذاهبِ والانْتِحالات، وهي آخِرِ العِبَادَاتِ، فقد بَطَلَ سَرابُ المُمَوِّهين، وانفسَدتْ دعوى المُلَبِّسين.

وهكذا صورةُ الباري تعالى والإمام، لما ظَهَر، لا يكونُ بَعْدَ ظُهُورِهِ إلاّ الجزاءُ لجميعِ البشرِ. فَهَنيئاً لِمَنْ خُتِمَ له بالسعادة، وكانَ مَقْبُولاً، وتَبّاً لِمن كانَ من أهلِ الشقاءِ وهو جَهولاً.

فإنْ أجَابَ هذا المُدَّعيّ عن مَعَاني هذه السؤالاتِ بجواباتٍ شَافية مُخْتَصَرات، كنتُ أوّلَ مَنْ سارعَ إليهِ قاصداً نَحْوَهُ فِيمن يَفِدُ عليهِ، مُفتقِرٌ لفوائدِهِ وعلمه، ومُعرِّفٌ بفضلِهِ وفهمِهِ، لأنِّي مُقِرٌّ بالعَجْزِ والتقصير، وَعِلمُ الحقِّ واسعٌ كثير، لا يحوطُ به إلاّ صاحبُ الكمالِ والتّمام، الذي هو للخلقِ هَادي وإِمام.

وأيضاً أنا مُقِرٌّ أنَّ الدارَ لا تخلُوا منَ الفاضلِ، لِتَثْبُتَ به الحُجَةُ على العالِمِ والجاهِلِ، كما أنَّ الأبصارَ مُحتاجةٌ إلى مُقَابَلَةِ الأنوارِ الطبيعيّة، كذلك البَصائرِ مُضطرَّةٌ إلى الأشخاصِ العلميّة، لِتستفيدَ منها الفوائدَ العقليّة، كما أنّ الأنوارَ الطبيعيَّة باقيةٌ سَرْمَد، كذلك أنوارُ العقلِ موجودةٌ لا تُفْقَد.

***

ألسؤالاتُ العشرةُ من التوراة :

كلَّمَ اللّهُ موسى وَقَالَ لهُ: قُلْ لِهارونَ كانَ في رجلٍ من خَلَفِه أو خَلَفِ بَني إسرائيلَ عَيْبٌ لا يَدنُو أن يَقْرَبَ خَبرَ اللّهِ كيلا يُنَجِّسَ القُدّاسَ إنْ كانَ أعْوَرَ أو أعرجَ أو أفْطَسَ أو مكسورَ اليدِ أو مكسورَ الرِّجلِ أو سَاقِطَ الحاجبَينِ أو أحْوَلَ أو في عينِه خيالٌ أو أكْمَهَ أو أبرص.

فهذه عَشَرةُ عُيوبٍ معروفةٌ ظاهرةٌ في الأبدانِ، ومُقابلُهَا عِللٌ باطنةٌ مُختفيةٌ في الأديان. فإنْ يكونُ أرادَ به ظاهرَ الخِطَاب وإنّما نَهاهُم أنْ لا يَقْرَبَ

برساله، ونصَّ عليه بَعْضَ مـا أَلَّفَهُ مِن عِلْمِه ومَقالـه، ويُوعِدُوني أنّه يُقَرِّبُني إليه وَيُدْنيني وَيُزيدُني بزَعْـمِهِ وَيُقَوِّيني ممَّا أنا عليه، وَذَكَرَ أنَّه يُشـيرُ إلى ما أُشيرَ إليه، فَرَأَيتُ في قَولِهِ زيادةً وَنُقْصَان، ورسولُه يَنْطِقُ عنه بغيرِ علمٍ ولا بَيان، مُتَلَجْلِجـاً في أقوالِهِ، فَاسْتَرَبْـتُهُ في جَميعِ أحوالِه، فَـذَكَرْتُ الفَصْلَ مِن سِجِلٍّ مُكَرَّمٍ كُتِبَ لصَالحِ ابنِ عَلِيّ، داعيًـا كانَ بجزيرةِ الرَّيّ، في قَولِه لسانُ الحقِّ أَبْلَجٌ وَضَّاح، ولِسَانُ البَاطِلِ مُلَجْلَجٌ فَضَّاح.

فَرَأَيْتُ، وبمولانا جلَّ ذكـرُه التوفيق، وَبوَلِيِّه الإمامِ الـهادي اهتَدَيْتُ إلى أَوضحِ طريق، أن أَعلَمَ صـحّـةَ مقـالتِهِ، وإلى أيـنَ مُنتهى رأيِه ودلالتِـه، بسؤالاتٍ ذكَرتُها ومن الكتبِ اخترعتُها:

فمنها عشرُ سؤالاتٍ من التّـوراة، وعشرةٌ من الإنجيل، وعشرةٌ من التّنزيل، وعشرةٌ من التأويل، وعشرةٌ من الشَّرع، وعشرةٌ من خَبَرِ الرّسول، وعـشرةٌ ممَّا نَهَى عنه مـولانا جلَّ ذكرُهُ وبتَـركِهـا أمر. وحـادي عشـر من المعـقولِ[٢]، لأنّ بعضَ أثارِ العلّةِ مـوجودةٌ في المعـقول. وحـيث القدرةُ ثُـمَّةَ القادرُ، وَمَوْضِـعُ العِلم يُوجَدُ الخبيرُ العالِمُ. والعالِمُ لمن تقدَّمَه وسبقَهُ من أهلِ الحقائق، مُسَدَّقٌ وله مُتَّبِع، من غيرِ أن يزيدَ في تَقْنِينه ولا يَنْقُصْ ولا يُبْتَدَعْ.

ومَن أَتى بما يُخـالفُ دعوةَ التَّـوحيـدِ، وزاد العالم إلى تربيـةٍ وعلمٍ جديدٍ، بخلافِ ما رتَّبـهُ الإمامُ قبل غَيْبَتِهِ، وَشَرَحَـهُ من مَكْنون حكمته، وَبَيَّنَهُ لأهل دعـوتِه، ولمْ يُطابِقْ ظَاهِرُهُ مـا خَفِيَ من أمـرِه، وَسَـتَر ولم يَقْـتَفِ منهُ الأَثَر، كان كالمُـلَبِّسِ الفِضَّةَ الصافـيةَ على النُحاسِ ليُجَـوِّزَهَا على العميِّ من الناس، أو كَمَنْ لَبَّسَ البـاطلَ بالحقِّ، حتّى أضَلَّ به كثيراً مِـنَ الخلقِ، فما هذا هو المُقَدَّمُ المُطاع، ولا يجبُ على مُستجيبٍ له اتِّبَاع.

ولمّا كانت دعوةُ التَّوحيدِ آخِـرُ الدّعواتِ، وحدُودُهَا آخرُ الدّعاةِ، وهي

---

(٢) المقصود: واحدٌ من المعقول.

خَبَرَ اللّه، مَنْ بِهِ هذه العُيوبُ الظاهراتِ، وهم عِندَه بها أنجاسٌ لقولِه إنَّهم يُنَجِّسُوا القُداسَ فقد سَقَطَتْ عنهم العباداتُ والفروضُ والواجبات، وقد جَارَ أيضاً عليهم وما عَدَلَ إذا جَعَلَهُم تحت المعايب والعِلَل، وما قَلَّ مَنْ يَسْلَم منها مِنَ البشر. وإن كانت هذه العِلَلُ دينيةً باطنةً خَفيَّةً فما معنى هذه العُيوب المذكورةِ الخفيةِ المستورة؟

ألسؤالاتُ العَشرَةُ من الإنجيل :

قال يسوع المسيحُ لتلامذتِه : أن ليسَ شيءٌ خارجٌ عنِ الإنسانِ يدخلُ فيهِ يَستطيعُ أن يُنجِّسَهُ، ولكن الذي يَخرُجُ منهُ هو الذي ينَجِّسُهُ، وهوَ الذي يَخْرُجُ من القَلبِ والأفكارِ السوءِ، وهو الزِنَا والفِسْقُ والقَتلُ والسرِقةُ والرغبَةُ والغِشُّ والحُمق[1] .

فهذه الشرورِ السبعةُ من داخلِ تَخْرُجُ وتُنَجِّسُ الإنسانَ هي أفعالٌ بالجسمِ مفعولاتٌ في ظاهرِ العيانِ، والذي يَخْرُجُ منَ القلبِ فهو أقوالٌ باللسانِ. فما معنى هذه العُيوب المخفيَّات. وَمَنْ هُم أصحابُ هذهِ المَعايبِ المَذكوراتِ المُعَيَّناتِ.

فإنْ يكن نَهْيُهُ عن ظواهرِهَا فما أحدٌ من البشر إلاّ وهو ينكرُهَا ولا فَائدةَ في نَهي روحِ اللّهِ عن مُستَقْبَحَاتٍ هي في جِبلاّتِ العُقُول، وقد اتَّفق على قُبْحِهَا العالِمُ والجَهول. وإنْ يكُن لها حقائقُ في العِبَاراتِ فيجبُ ان يَتَداوَوا منَها أهلُ الديانات. فما هي بجوابٍ صحيح، ولسانٍ فصيح، يكونُ لِمَنْ يَسْمَعُهُ مُفِيد، وهو بِهِ مُغْتَبِطٌ سَعيد.

وقال يسوعُ المسيحُ لتلامذتهِ: كُلُّ مَنْ شَكَّكَ مِنْ إحدَى هؤلاءِ الصغارِ المؤمنينَ بي كانَ خيراً لَه أن يُعَلَّقَ حَجَرُ الطَاحُون في عُنُقِهِ وَيُلْقَى في البَحرِ.

---

(١) متى ١٥/ ١٠ - ٢٠.

فإنْ شَكَّكَتْ يَدُكَ فاقْطَعْها فخيرٌ لَكَ أن تدخلَ الحياةَ زَمِناً مِن أنْ يكون لكَ كِلتَا يَدَيْكَ وتَذْهَبَ إلى جَهنَّمَ في النارِ التي لا تُطفَى وحيثُ دُودُهم لا يموت. ورِجلُكَ إنَ شَكَّكَتْ فاقْطَعْهَا فَخيرٌ لكَ أنْ تَدخلَ الحياةَ أعرجًا مِنْ أنْ يكونَ لكَ كِلْتَا رِجْلَيْنِ وتُلقَا في جَهَنَّم في النّارِ التي تُطفَا وحيث دُودُهم لا يَمُوت. وعَينُك إنْ شَكَّكتْ فَاقْلَعْهَا فخيرٌ لَكَ أن تدخلَ في مُلْك الإله بعينٍ واحدةٍ مِنْ أنْ يكونَ لكَ كلتَا عَينَين وَتَذْهَبَ إلى جَهَنَّمَ في النّارِ التي لا تُطفَا وحيثُ دُودُهُم لا يَموت[٢].

ألسؤالاتُ العَشَرَةُ من التنزيل :

قَولُهُ في الدُستُورِ: «ربَّنَا أَمَتَّنا اثْنَتَيْنِ، وأَحْيَيْتَنَا اثنَتَينِ، فاعْتَرَفْنَا بِذنوبِنا، فَهَلْ إلى خُرُوجٍ مِن سبيل»[٣]. ما هذه المَوْتَتَيْنِ وما هذهِ الحَيَاتَيْنِ، وما هو الخروجُ الذي تَمَنُّوهُ أنْ يكونَ بعدَ أَنْ أَحياهُم مَرَّتَينِ؟

وَقَالَ: «شَجَرةٌ تَخْرُجُ في أصلِ الجحِيم طَلْعُهَا كأَنَّهُ رؤوسُ الشَيَاطينِ»[٤]. ما هي الشجرةُ، وما هو الجَحيم، وما هو طَلْعُهَا الذي يُشبِهُ رُؤوس الشَيَاطِينِ؟

وقالَ في قِصَّةِ يُونُس: «فَالتَقَمَهُ الحُوتُ وهوَ مَليم»[٥]. ما هو الحُوتُ الذي لِيُونُس، وَقدِ ابْتَلَعَ، رَحِمَ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ وَلا يَبْتَدِع.

وقالَ : «وَالذينَ كَفَروا أعمالُهُم كَسَرَابٍ بقَيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَمْآنُ ماءً حتَّى إذا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شيئًا»[٦]. ما هذا السَرَابُ الذي يَحْسَبُهُ الظَمآنُ ماءً ولم يكُن ماءً مُنْقع، بل يَضُرُّ ولا يَنْفَعُ، رَحِمَ اللّهُ مَنْ سَمِعَ ولا يَبْتَدِع.

---

(٢) متى ٥/ ٢٩ - ٣٠.

(٣) سورة غافر ٤٠/ ١١.

(٤) سورة الصافات ٣٧/ ٦٤.

(٥) سورة الصافات ٣٧/ ١٤٢.

(٦) سورة النور ٢٤/ ٣٩.

ألسؤالاتُ العَشرةُ من التأويل :

قالَ في المجلسِ الكريم : «يُوشِكُ أنْ يُرْفَعَ العِلمُ ويُظهرَ الجَهْلَ». ما العِلمُ الذي يُرفَعُ، وما الجهلُ الذي يَظهرُ. فإن ظَهَرَ الجهلُ على ظاهِرِ الخِطابِ، فأيُّ حُجَّةٍ تَثْبُتُ على مَنْ لا يَعلم إذا ضَلَّ وَجَهَلَ، إذ لَمْ يَجِدْ عِلماً يُرشِدُهُ وعَالماً يهدِيهِ وَيُسَدِّدُهُ، وَعَاقَبَهُ على ذلكَ فَقَدْ ظَلَمَهُ.

وقال في المجلسِ أيضاً : «مَن عليهِ حَدٌّ لا يَقيمُ حدًا، وَعَاصي لا يُطَهِّرُ عَاصِي». ما هذا الحَدُّ الذي لا يجبُ ان يُقيمَ حَدًا، وما هوَ العَاصِي الذي لا يَجبُ أن يُطهِّرَ عاصيا، وهو محتاجٌ ان يُطَهِّرَهُ؟

وقال في المجلسِ : «ذَهَبَتْ أشخاصُ نُطَقَائِكُم وَظَهَرَتْ أشخاصُ البَاعِثِينَ لهم. والنُطقاءُ فَمِن آدَم إلى مُحمَّدٍ ابنِ إسمعيلَ». مَنْ هُمُ الأشخَاصُ البَاعِثِينَ لهم في الحقيقةِ من غير أن تُشيرَ إلى معبودٍ جلّ وتَعالَى عن إنْفَاذِ الرُسُلِ، بل مُرسليهم ظَاهِرين، وَهُم عِندَ أهلِ العِلمِ مَعروفين، قَبَّحَ اللّهُ رأيَ المُدلِّسينَ المُدَّعِين.

وقال أيضاً في المجلسِ : «مَعَاشِرَ المؤمنينَ أُطلبُوا ما فوقَ الرُوحانيِّينَ والجِسمانِيِّينَ، وَاطلبوا غَايَةَ الإبداع». مَنْ هُمُ الرُوحانِيِّينَ، ومَنْ هُم الجِسمانِيِّينَ، وما هو غايةُ الإبداعِ.

وقالَ في المجلسِ : «أليمينُ والشمالُ مُضلَّتَانِ والوُسطى هِيَ الطريقُ إلى النَجاة». ما هي في الحقيقيَّةِ اليمينُ والشمالُ المُضِلَّتَانِ، وما هي الطريقُ الوسطى التي تُؤدِّي إلى النجاة؟

السؤالاتُ العَشرةُ مِنَ الشرع :

قالَ: «مَنِ التَفَتَ في صَلاتِهِ يَمينًا وشمالاً، أو طَمَح بِنَظرهِ إلى السماءِ فقد قَطَعَها وانْفَسَدَتْ عليهِ، بَل يكونُ نَظَرُ المُصلِّي مَوْضِعَ سُجُودِهِ».

ما هيَ في الحقيقةِ الصلاة، وما هو الالتِفَاتُ، وما هِي اليَمينُ، وما هي الشمالُ، وما هي السماءُ التي تُفسِدُ صَلاتَهُ إذا رَفَعَ رأسَهُ اليْهَا وأقْبَلَ نَحوَهَا، ومَا هُو مَوْضع السُجودِ الذي لا تَصِحُّ الصلاةُ إلاّ بالنظرِ إليهِ والأقبالِ عليه؟

وقالَ أيضاً : «يَوْمَ صَوْمُكُم يَوْمَ نَحْرُكُم». ما هو الصَومُ وما هو النَّحرُ، وَمَنْ يَوْمُ الصَومِ، وَمَنْ يَوْمُ النَّحْرِ؟

وَقَالَ : «مَنْ نَظَرَ هِلاَلَ شَهرِ رَمَضانَ فقد وَجَبَ عليهِ صَومُهُ، وَمَنْ نظَرَ هِلاَلَ شهر شَوَّالَ فقد وَجَبَ عليهِ إفطارُهُ». ما هو هِلالُ شَهرِ رَمَضانَ الذي حَلَّلَ فيه الصوم، وَحرَّمَ فيه الإفطارَ، وما هو هِلالُ شهرِ شَوَّالَ الذي حَلَّلَ فيهِ الإفطارَ وَحَلَّلَ فيهِ الصومَ؟

ولِمَ سَبَق غُسلُ الوَجهِ في الطُهرِ للصلاةِ قَبلَ غُسلِ اليَدَين لقوله: «إذا قُمتُم للصلاةِ فَاغسلُوا وجوهكُم وأيديَكُم إلى المَرافِقِ»[٧]. كيف يُغسَلُ الوَجهُ قبلَ غُسل اليدِ، وما هو غُسْلُ الوَجهِ في الحقيقةِ، وما هو غسلُ اليدِ، بماذا يَغتسِلونَ، ولا يكونُ غُسلٌ إلاّ مِنْ نَجَس؟

ألسؤالاتُ العشرةُ من خَبَرِ الرَّسول :

قال الرسوُل: «إذا ظَهَرتِ البِدَعُ في أمَّتي فليُظهِرِ العَالِمُ عِلْمَهُ. فإنْ لمْ يَفعلْ فَعَليهِ لَعنةُ اللّه». ما هي البِدَعُ التي تَظهَرُ، وَمَنْ هُو العالِمُ الذي يَظْهَرُ عِلْمُهُ؟

وقالَ : «رُفِعَ العِلمُ عن ثَلَث: عنِ الطِفلِ حتّى يَحْتَلِمَ، وَعنِ المَجنونِ حتّى يُفيقَ، وعنِ النائمِ حتى يَستَفيق». ما العِلمُ، وَمَنِ الطفلُ، وَمَنِ المجنونُ، وَمَنِ النائمُ.

---

(٧) سورة المائدة ٥/ ٦.

وقال : «لا تُؤكَلُ ذبيحةُ الغُلاَمِ حتَّى يَحتَلِمَ». ما هي الذَّبيحَةُ وَمَنْ هُوالغلامُ؟

وقال : «ثَلَثَةٌ يُقتَلُونَ في الحَرَم: ألكَلبُ العَقورُ والحيَّةُ والعقرب». مَنْ هُو الكلبُ العقورُ، ومَن هي الحيَّةُ، ومَن هو العقرب؟

وقال : «ثَلَثَةٌ يَقطَعُونَ الصَلاةَ: الإمرأةُ والكلبُ والحمار». ما هي الصلاةُ، وما هي الإمرأةُ، ومَن هو الكلبُ، ومن هو الحمارُ الذين يَقطعونَ الصلاةَ؟

ألسؤالُ الحَادي عَشَرَ من المَعقول :

إذا كانَ البَاري تَعالَى مُطَّلِعٌ على ما في السَرائرِ عَالِمٌ بخَفيِّ الضمائرِ، فما الحاجةُ إلى إنْفاذِ الوسائط بِعهدٍ وميثاقٍ.

واذا كانَت الدُنَيا دارُ عبادة، فَلِمَ مُكِّنَ الكَافرُ من خَيْرِها وَمُنِعَ المُؤْمنُ من نَيْلِها، وهو مُضطرٌ إليها، وبَها قِيامُ أوَدُهُ، وَبِها يَستَعينُ على قوّةِ صورتِه، ويستعملُها في طَلَبِ دينه وفائدته؟ فَإنِ احتَجَّ أنّها مِنْ فِعْلِ الأفلاكِ، قيلَ لَهُ: هل هذه الأفلاكُ عَالِمَةٌ أم جَاهلة؟ فانْ قالَ هي جَاهلةٌ بأفعالِها، قيل له فَما يُزيدُ دوَرَانُها بِمَا يَحدُثُ عنها ويَظْهرُ مِنهَا تُصيْبُ عِندَ غيرِ عَارفٍ مُجيب، تَغْرُفُ عليهِ من بَركاتِهَا، وَتُفيضُ عليهِ من خَيراتِها. فإنِ اعترفَ أنَّ لها مُحَرِّكٌ وَمُدَبِّرٌ وهو عارفٌ بِصنُعتِه وَخبير، لا يَدُورُ فلكٌ إلاّ بإرادته، ولا يقفُ إلاّ بمَشيئته، فليُقيمُ هذا المَسئولُ في ذلك مَوْجَبَ الإنْصافِ والعدلِ، وإلاّ فلا يدَّعي مَنزلَةَ التَّمامِ والفضْلِ، بل يَعتَرِفُ بالافتقارِ والنقصِ والجهل.

وما الذي أَوْجَبَ الاختلافَ بين الرُسُلِ، وَمُرْسِلُهُمْ واحِد؟

وما الذي أوجبَ التفاوتُ في العقولِ والأفْهَامِ في كافَّةِ الخلقِ

والأنامِ؟ فـإنْ يَكن اختـصاصـاً بغيـرِ اجتـهادٍ في العلمِ والعـمل، فقـد بَطَلَ الحِرْصُ وَوَقَفَ الأمَل.

هل البَـاري سُبـحانَهُ مُـحتـاجٌ إلى عِبـادَةِ المَخْلوقينَ أَمْ هو غَنيٌّ عن عِبادَتِهم أجمعين؟ فإن قالَ هو غنيٌّ عَنْ جَميعِ العَالمين، قِيلَ له فَلِم ظَهَرَ للأنام والبشر، وَوَحَّدُوه بالصُّوَر مِنْ حيثُ تَخْييلُ النَّظَر؟

وهل إبليسُ باقٍ في الصُّورةِ التـي أغْوَى فيهـا آدَمَ، أَمْ هُوَ في وَقتِنا هذا في صورةٍ غَيرِهَا؟

وهل كَيفَ نُـقْلَةُ المُنْتَقِلِ مِنَ الأجـسامِ في وقتٍ واحدٍ، أم علـى تَتابعِ الأوقاتِ والأيامِ؟

وهل النَّفْسُ الناطِقَةُ حَالَّةٌ في الأجسام؟ فإنْ أوجَبَ حُلُولَها، وإنَّ فيه نُزُولَها قـيلَ له: هل هي في جمـيعـهِ وَتَمْلأهُ، أم هيَ في بعضِ أَجـزائه؟ فإنْ أوجب إنَّها تَحُلّ في جميعه، قيلَ له: فإذا قُطِعَ شيئاً من أعضائه، تَنقُصُ نَفْسُهُ لِنَقْصِ أجزائِهِ؟ فـهذا يُفْسِدُ دَعـواهُ. فإنْ قالَ مَقَالَـتَهُ وَشَهِدَ أنَّها لا تَـحُلُّ فيه كحُلولِ الأعراضِ، ولا تُمازِجُ صُورةَ البُلوغِ والأنتقاضِ، بل هي عليه مُشرقةٌ وبه حائطةٌ كإشراقِ نُورِ الشَمسِ على جمـيع ما في الدَارِ، لِتَنْتفعَ بها العيونُ والأبصار. قِيلَ له: كـيف تَتميَّزُ النفسُ الطـائعةُ للثوابِ، وكيف تتمـيَّزُ النفسُ العاصـيةُ للهـوانِ والعِقَابِ. فـهذا يُبْـهِتُهُ وَيُوقِـفُهُ لأنّه لَمْ يَسـألِ الإمامَ ولم يعرِفْهُ.

***

ألسؤالاتُ العَشرةُ التي ذَكَرَها مَولانا جلّ ذِكرُهُ في السِجلاّت، وَنَهى عنها وَحرَّمها في تلك الأوقات، فَمِنْ ذلكَ :

والدليلُ من التوراةِ على ظُهورِ المسيحِ، ودعوتُهُ لليهودِ والنصارى إلى التَّوحيدِ والدِّينِ الصحيحِ، قولُ التوراة: إنّه سيجيءُ من ساعير نورٌ، مَن اتَّبَعَهُ نَجا، وَمَنْ تَخلَّفَ عنه هلكَ وغوى. وساعيرُ بالشَّراةِ، وبها قريةٌ تُدعى ناصِرَةَ. ولذلك قيل لأمَّتِه النَّصارى. وخلافُهم للمسيحِ، أعني النَّصارى، وجهلَهُم بمجيئِه، وعنودِهم عن أمْرِهِ، وكُفرِهم لما جاءَ به أشدّ من كُفرِ اليهودِ.

وقد أشْبَعْنَا الردَّ عليهم في قُبحِ مذهبِهم وسخافةِ عقولِهم، وعَوار مُعْتَقَدِهم في التعقُّبِ وفي الرسالةِ المسيحيَّةِ[٦].

وأمَّا الدلالة على ظهورِ المسيحِ من التَّوارةِ فهو قولُ شعيا عن اللّه: ها أنا إذَنْ أخلقُ سماءً جديدة، وأرضاً جديدة. وليس يذكُرُ الأوَّلَ، ولا يَقَعُ بقلبِ أحدٍ. وقال أيضاً شعيا عن اللّه: أنا اللّهُ وهذا اسمي. ولا أُعطي جَلالي ومَجْدي لغيري. ما كان في القديم قد أدْبَر، وأنا مبَشِّرٌ بالجديدِ قَبْلَ أن يَظْهَر. فعرَّفَهُم بظهورِ المسيحِ عيسى. وقال أيضاً شعيا عن اللّه: لا تذْكُروا ما مَضى، ولا تَتَأمَّلوا ما تقدَّم إنّي سأخْلُقُ جديداً وسَيَظْهَرُ فيكم فتَقتُلوه.

وهذه نُصوصَاتُ متعبِّداتِكم أيُّها اليهودُ التي جَرَتْ على ألْسنِ أنبيائِكم الذي أنتم بهم مُقِّرون وبنبوءتِهم مُعترفون. وأنتم له بالبهتِ تُكذِّبون. فإلى أيّ مَذهبٍ تَرجِعون، وبأيٍّ حجَّةٍ تَحْتَجُّون، وبأيٍّ دينٍ تتديَّنُون. وهل لكم حُجَّةٌ في غيرِ التوراةِ إلاّ بما تكذِّبوه، وتصوِّروه لأنفسِكم وتختلقُوه. وتُمَوِّهُ به روساءُ ضلالتِكم على ضُعفائِكم ويُحَرِّفُوه.

وقد بَشَّرَ شعيا بمجيءِ المسيحِ فقال: سأجْعلُ في الفيافي طُرقاً وفي المواضعِ التي لا يَمشي فيها أنهارًا تَسْقي، ثمَّ الفُهودُ والثَّعابينُ والنَعَامُ. وقال: سَيَظْهرُ من رُبْوَةِ القُدسِ أربعةُ أنهارٍ تَسقي شَرْقَ الأرضِ وغربها.

---

(٦) هما عنوانان لرسالتَين، رقم ٥٥ و٥٤.

فدلَّ على ظهورِ من يأتي بعدَه. ثمّ قال: إنّي جعلتُ الأرضَ وغربَها. فدلَّ على ظهورِ مَن يأتي بعدَه. ثمّ قـال: إنّي جعلتُ في الفيافي أنهاراً وأمـياهً حيثُ لم تكُنْ لأسقِي أمَّتي المُتَخيّرة. والأمَّة التي أخْلَصَتْ لنفسي، وهي تَنْطُقُ بِمَجْدي وتَوحيـدي. فأشـار إلى قائمِ الحقِ الظاهرِ في كلِّ عـصرٍ بدعـوةِ التّوحـيدِ. وَأمَرَهُم أنْ لا يَتَمَـسَّكون بالتوراةِ، وأخْبَرهُم أنّه يُرسِلُ رسـلاً بما لا يَعْلَمُوه العالَمُ مِـن معادنَ لم تَكُنْ قـط من المعارفِ الدنيـويّةِ تَنطِقُ بمجدِهِ وتوحـيدِهِ وَوصْفِهم بالقُفَار.

فقـد بَشَرَ بهذه الآيةِ بأئمّة ينـطِقُون عن اللّهِ. وفضَّل الأمّةَ الآخـيرةَ التي هي أُمَّةُ قائمِ الحقِ على الأمم كلِّها. وأضافَـها إلى نفسِهِ وذَكَرَ أنّها تنطقُ بمجدِهِ وتوحيدِهِ.

وأيضاً ما يُـؤيِّدُ قولَنا في الدلالةِ والبرهانِ على ظهورِ قـائمِ الزمانِ، قولُه: صوتُ منادٍ فـي القِفار أنصِبوا للّه طرقـاً، وأقيمُوا في الفـيافي طرقَه. ستـرتَفِعُ الوَطِئـةُ وتَنخفضُ الجـبالُ والكدّاه، وتكونُ المعـوجّةُ مـستـقيـمةً، والوعرةُ تكون طريقُـها سهلةً، ويظهـرُ جلالُ اللّه. فهذا أعظمُ البـيانِ. إنّ اللّهَ عزَّ وجلَّ سيرِدُ النبوةَ في غيرِ الموضعِ الذي كانتْ فيه.

ومن الدلالةِ على ظهـورِ قائمِ الحقِ، فدلَّ داودُ في الزَبُورِ يَذْكُـرُ قائمَ الحقِّ، سلامُ اللّهِ على ذكرِه، وهو : قال السيّدُ لسيِّدي اجلسْ عن يميني حتّى أجعلَ عَدَدَ أعـدَاكَ كرسي رجلَيكَ. فعظَّمَهُ داوودُ وسـوَّدَهُ وأقرَّ به بالـخنوعِ. ثم وصَفَهُ أيضاً داوودُ كـيلا يُخْفي أمرَهُ فقال: سَبِّحُوا الربَّ تـسبحًا جديداً. سَبِّحوا الذي هيكلُهُ الصالـحون. ليفرَحْ إسرائيلُ بخالِقِهِ ويموتُ صَهْيون. من أجلِ أنَّ اللّهَ اصـطفَى له أمَّـةً وأعـطاهُم النصـرَ وسَـدَّدَ الصـالحـين منهم بالكرامة. يسَـبِّحونَه علـى مضاجِعِـهم ويُكبِّرون اللّهَ، ويوِّحـدونَه بأصوات مُرتفعة. بأيديهم سيوفٌ ذاتُ شـفرَتَين، به ينتقم اللّهُ من الأمَّةِ التي لا تعبُدُهُ وتوحِّدُهُ.

وأيضاً دلَّ داوودُ على ما دلَّ عليه شعيـا من ذكرِ القائمِ المنتَظَرِ سيِّدِ الأوّلين والآخرين، إذ يقول: إنّ السيّدَ يَمْلِكُ جميعَ الدنيا وإنَّه يَجوزُ من البحرِ إلى لدنِ الأنهارِ إلى مُنْقَطعِ الأرضِ، وإنّه الذي تَخـرُّ الجبارةُ له بين يديهِ على رُكَبهم ، وَتَجْلِسُ أعداهُ على الترابِ وتأتيهِ الملوكُ بالقرابين، وتسجدُ له وتدينُ الأممُ كلُّها بطاعتِه والانقيـاد لأنّه يُخلِّصُ المضطهَدَ البائسَ ممّنْ هو أقوى منه، ويَرفُدُ الضـعيفَ الذي لا ناصرَ له، ويرؤفُ بـالضعفـاءِ والمساكين، وَيُصلّى عليه في كلِّ الأوقـاتِ ويُباركُ عليه في كلِّ يومٍ ويدومُ ذكـرُهُ إلى الأبد، مالكُ الجميعِ صلّى اللّهُ عليه، ومثَّله في التوراةِ بِريحٍ شَفافيّةٍ يَحْرِقُ الخَبيثَ.

فهـذه صِفاتٌ لا يدَّعـيها أحـدٌ من الأنبياءِ، ومناقـبٌ ليستْ تكونُ إلاّ لقـائمِ الحقِّ قائـمِ القيـامةِ سـلامُ اللّهِ على ذكـرِه، صـاحبِ رجالِ الأعـرافِ الأطهارِ، الذي أَعْذَرَ العوالِمَ وأَنْذَرَ إليهم قبل غيبةِ الامتحانِ والاختبار.

وأنتم أيُّها اليـهود وجميعُ أهلِ الـشَرعِ في سكرتِكُم تَعْمَهـون، وقد ظَلَلْتُم عمَّا كان الأسلافُ المُحقّـون له يَنتَظِرون. وصحَّ قولُ شعيا في القديم: إنَّكم لِشكِّكم لا تَجِدون ما تَتَمَنُّون ولا تُوَفَّقُون.

فهـذا قولُ شعيـا لأسلافِكم: إنَّ الذي تَرتَقِبُـوهِ لا تَجِدُوهُ لَشكِّكُم بما في أَيديكُم عَدِمْتُمُوهُ. وقال لَهُم شعيا عن اللّهِ أيضاً تعريفًا عنه: طَلَبَني مَنْ لَمْ يَجِـدْني، وَوَجَدَني مَنْ ليس يَسْـأَلُ عنّي. فأَخـبَرهم عن اللّهِ أنّهم لا يَـجِدُوه لتَمَسُّكِهم بالخَلْقِ القديم، وأنّ غيرهم هُمُ الذين يَجِدوهُ.

وقد وبَّخَـهم أمليخيا آخـرُ الأنبياء عندهم قبل غَـيبَتِه عنه لطُغـيانِهم وجـحْـدِهِم للحقِّ وكُـفرِهم بـه وَتَمَسُّكِـهم بما مـعهم، ممَّا قـدْ نُهـيُـوا عنه، وتَحريفِهم كلامَ التوراة عن مَواضِعِـه، فلذلك أَبْعَدَهُم أمليخيا وسَخطَ عليهم، وقال لهم: إنّ اللّه أَمَـرَني أنْ آخُذَ معي قَلَّةَ فَـخَّارِ، وأُحْضِـرَ المشايخَ من بني إسرائيل، وأَكْسرَها قُدّامَهم، وأقـولَ لهم. هذا ما يقولُه الربُّ إلهُ الحقُود، هكذا

أَكْسِرُ هذه الأمَّةَ وهذه المدينةَ كما تُكْسَرُ آنِيَةُ الفخَّارِ التي لا تُجْبَرُ أبداً. فمن تقَرَّبَ إليه بِكبشٍ فكأنَّما يتقرَّبُ إليهِ بكَلْبٍ. ومَن ذَبَحَ لي ثوراً فكأنَّما ذَبَحَ لي خِنزيراً. وقد بغضتُكُم وبغضتُ قرابينَكُم. فإنْ رَجَعْتُم إليَّ واتّبعتُم أمري وسلَكْتُم سبيلي وَحَفظْتُم ميثاقَ قُبَّةِ الزمَانِ، رجعتُ إليكم بالمغفرةِ، وتلقَّيتُكم بالتوبةِ، وأنقذْتكم من أيدي أعدائِكم.

فلو كنتمُ يا جماعةَ اليهود رَجعْتُم إلى الباري واتَّبَعتُم هاديه ودليلَهُ، وقبلْتُم أمرَهُ وسلكتُم طريقَ الحقِ وسبيلَه، وحفظْتُم ميثاقَهُ الذي واثَقكُم عليه وسلَّمْتُم لَمِن أُمِرتُم بالتسليمِ إليه، لرَجعَ إليكم بالمغفرةِ وتلقَّاكُم بالتوبةِ وأنقذَكُم من أيدي أعدائِكم. والحقُّ أَوْلَى أنَّكم تَعرفون، أنّكُم تَحتْ غضَبِ الباري إلى يوم تُعاقَبُون، وتحتَ القهرِ وأداءِ الجزيّةِ والذِّلَّةِ والمَسْكَنَة، ليسَ لكم رئيسٌ تَرجِعون إليه، ولا وَزير تَتَّكِلُون في أَمْرِ دينٍ ولا دُنيا عليه.

فأنتم في أحوالِ الدنيا أذِلاً مَقهُورِين، وبسببِ الدِّينِ تَحتَ سخطَ الباري بخلافِكم لأوليائِه مَلعونين. والدليلُ على سَخَطه عليكم بعد أنْ عرَّفَكُم منزلتَكُم عنده بقولِه: مَن تَقَرَّبَ إليَّ بِكَبشٍ فكأنَّما يَتَقَرَّبُ إليهِ بِكَلْب. ومَن ذَبَحَ لي ثوراً فكأنَّما ذَبَحَ لي خنزيرًا.

ثمَّ قالَ لكم بعد ذلك تَأكيدًا لتعريفِ سَخَطِه عليكم: إنّي سأعهدُ عهدًا جديداً، وهو ميثاقُ قُبَّة الزمان، وليس هو مثلُ العهدِ الذي عَهَدْتُهُ إلى آبائِكم، ولكن عهداً جديداً.

فقد دُعِيتُم أيُّها اليهودُ إلى صاحبِ الميثاقِ المُنْتَظَر فَجَحَدْتُمُوه، وأُوقِفْتُم عليه بعد دلالتِه على نفسِه بالآياتِ والبراهين فَعَرَفْتُمُوه وأنكَرْتُمُوه، كما أَنكرُوا النصارى وَصِيَّةَ المسيحِ في ذِكْرِ الميثاقِ، اتِّباعاً لأسلافِكم على البَلَسِ والكُفْرِ والجَحْدِ والإِباق.

ولم تَتَـأمَّلوا مـا جاءَ في آخـرِالفـصلِ الذي يُتْـلا عليكم بعـدد تِسعِ ساعاتٍ من يـومِ الخميسِ الكبيـرِ، المُؤْذِنُ للشرَعِ المُتَقَدِّمـةِ بالنَسْخِ والتَحليلِ والتغييـرِ، لَمَّا اجتمعَ إلى السَيِّدِ الحَوارِيينَ، الذين أنتم لَهُمْ أيُّها ليـهودُ وجميعُ النَصـارى جـاحِدِين مُنْكِرِين. فـقل لهم إنَّ وَقْتي قـد دَنَا وَقَرُبَ. وعـرَّفَهُم أنَّ يهوذا الأسخريوطي يُسَلِّمُه إلى فراعِنَتِكم، أعني اليهودَ المُتَزَنْدِقين.

وهذا الذي جَعَلَكُم إلى اليومِ تَحْتَ سَخَطِ ربِّ العالَمين، لَمَّا أخَذَ السيِّدُ خُبْزاً فَبَارَكَ عليه وَكَسَرَهُ وناولَ تلامذَتَه وقال لهم: خُذُوا هذا جَسَدِي فكُلُوه. ثُمَّ أخَـذَ كأسًـاَ فشَـرِبَ وناولَهُم وقال لهم: خُـذوا هذا دَمِي فاشـربُوه. وهو الميثاقُ الجَديدُ الذي تُسْفَكُ عليه دماءٌ كثيرةٌ لِمَغْفِرَةِ الخطايا والذنوب.

ثمّ قـال لَهُم: حقٌّ أقولُ لكم إنّي لـستُ أشْرَبُ من عـصيـرِ الكَرْمِ من الآن إلى اليومِ الذي أشْرَبُه جـديداً في ملكوتِ أبي اللّه. فأشارَ إلى هذا الوقتِ الشـريـفِ الكريمِ، الدالِّ على ظُهـورِ النَبَـأِ العظـيمِ الذين كـان العـوالِمُ له يَنْتَظِرُون. وإلى اليومِ فيه يَخْتَلِفُون.

والآنَ، فقـد تَسالَمَتْ قلوبُ الأمَمِ على الإلحـاد، وتَسَاوُوا لأهلِ الحَقِّ في الضدادةِ والعناد. وأنتُم أيُّهـا اليهودُ وجـميعُ الأممِ قد قامَتْ عليكم حُـجَّةُ الوَلِّي المُنْتَظَـر وأنتم في الإجـابةِ مُـخَـيَّرون، وعـن قليلٍ تَرَوْنَ عَـيْنَ اليـقينِ وَتَنْدَمُون، ومن حقِّ كل مُسدٍ في مِهْنَتِه، إذا بَلَغَ غَرَضَهُ، أن يُمسِكَ عن القول. وقد بَلَّغْتُ الغَرَض، وأدَّيْتُ حَقِيقيَّةَ المفتَرَضْ.

فَلْنَحْتُمُ ذلك بالحمدِ للبارِ المُنَزَّهِ عن العَدَم، والشُكرُ لوليِّه هادِي الأمم.

تَمَّتْ بِمِنَّةِ ولِّي الأمْر.

٧٣

الموسومة بأحد وسبعين سؤال

سُئِلَ بِهَا بَعْضُ المُدَّعِينَ الجُهَّال

وأئِمَّةِ الجَـــــــوْرِ والضُّلاَّل

كتب هذه الرسالة بهاء الدِّين، يردّ فيها على واحدٍ وسبعين سؤالاً: عشرة من التـوراة، وعـشرة من الإنجـيل، وعـشــرة من القرآن، وعـشــرة من مجـالس الشيـعة، وعـشرة من أهل السنّة، وعـشرة من سيـرة محـمّد، وعشرة من العقل ، وسؤال واحد من مذهب الـتّوحيد. هي أسئلة طرحها بهاء الـدِّين من دون أن يجيبَ عليـها. ولكنّهـا تُظهر نيّـته ومقـدرَتَه في الدِّفاع عن مذهب التّوحيد.

بسمِ اللّهِ الرّحمن الرّحيم، حُدُودِ قــائمِ الدِّين. الحمدُ للّهِ على ما أَلْهَمَ به مِنْ شُكْرِ أَيَادِيه ونِعَمِه، حَمْدَ مَن عَرَفَ قَدْرَ مواهِبِه وتواتُرَ مِنَنِه، فله الحمدُ الدائمُ، والثَّابت القائم. أَشْــهَدُ أَنْ لا إِلهَ إلاّ هو، الموجودُ في كلِّ أوان، الدائمُ في كلِّ عصـرٍ وزمان. ألمذكورُ بِكُلِّ لُغَةٍ ولِســان، سُبحــانَهُ لا بِخَفَائِه استَـتَر، بل ظهورُه كظُهـورِ مَخلوقــاتِه ظَهَر، فهـو مستــورٌ بنورِه لظهورِه وإشـراقِه لَمَّا وُجِد، وظاهِرُهُ في وُجودِه لَمَّا عُبِد. فوجــودُه لإثباتِ الحُجَّةِ على جميعِ الناس، لا كَوجودِ مَنْ تُدْرِكهُ العقولُ وَتَحُوطُ به الحَواس.

فلمَّا استوعَبَتِ النفوسُ النُّصحَ من الدَليل، وشَاهَدتْ من حيثُ هي العقولُ والأبصارُ مُعجزاتِ العلومِ والحِكَم، وَثَبَتَتْ حُجَّةُ الحقِّ على كلِّ الأممِ، وتَجَلَّى للبشرِ من حيثُ تَخْييلُ النَظَرِ، احْتَجَبَ بنورِه عن خلْقِه فلم يُقْتَفَ له أثَر، واستَتَرَ لغَيبَتِهِ وليُّهُ الهادي النَّذير، وغابَ لغَيبَتِه صفيُّهُ البَشير، وخلَّفَتْ في أوليائِه ومُجيبيه، وفي أهلِ طاعتِه ومُحِبّيه، دُعاةً إلى ما دَعَاهُم إليه يَدْعون، ولفَضْلِهِ وَعِلْمِهِ في الخَلْقِ يَنْشُرُون، وَبرَجْعَتِه يُخَبِّرون، وبثوابِه يَبَشِّرُون، ومِنْ عِقابِهِ وَبَأْسِهِ يُحَذِّرُون، ولحلالِهِ يحلِّلُون، ولِمَا نَهَى عنْهُ وحرَّمَه يُحرِّمُون. وَهُمْ بلسانِه ينْطِقُون.

فَمَنْ خَالَفَ منهم ما بِهِ أَمَر، ولم يَقْتَفِ منه الأثَر، وجادَ عن صِراطِهِ المُسْتَقيم، وَعَدَلَ عن مِنهاجِهِ القويم، وَجَعَلَ لنفسِهِ مقالةً، وَنَشَرَ دَعْوَةً وَبَسَطَ برأيه عَلومًا وَحِكْمَةً، بخلافِ ما رتَّبَهُ الإمامُ قَبْلَ غَيبَتِهِ، كي يَرُدَّ مَن استفزَّهُ وَعَزَّهُ إلى طاعتِه، وَعَدَلَ بهم عن دَعوةِ الحقِّ إلى دعوةِ التِّيهِ والضَلال، وألْقَا مَن أجَابَهُ في دِينِ الباطلِ والمُحَالِ، بما نَمَّقَ لَهُمْ من المَواعيدِ الكاذبةِ المُزَخْرَفَةِ، والعُلومِ الفاسِدَةِ المُحَرَّفَةِ، كان كمَنْ أَبَقَ وَفَسَق، وَمِنْ دَعوةِ التَّوحيدِ خَرَجَ وَمَرَق.

فَمِن الواجبِ أنَّه لا يُتَّبَع، وعن طاعَتِه يُرْتَجَع، إذ كان قد أبَقَ عن أمْرِ مولاه، وَعنْ قليلٍ يُولِّيهِ ما قد تَولَّاه، وَيَجْعلُ النَّارَ مَقَرَّهُ ومأوَاه، ولجميعِ مَنْ قد اتَّبَعَهُ وأغْواه، أعاذَنَا اللّهُ ولجَميعِ إخوانِنا الثابتِين من اتِّباعِ أهلِ الزَّيْغِ والبِدَع، وكَفَانا شرَّ مَنْ صَدَّ عن الحقِّ وَمَنَع، ونَسْألُهُ بوَلِيِّه المَعونَةَ والثَّبَات، وأنْ يَحْجُبَنَا في ظلِّ صَوْنِه منْ مَكْرِ مَنْ قَدْ ظَهَرَ في هذه الأوقات، مِن أَشْخاصٍ قد شَطَنَتْ وتَجَبَّرَتْ، فأَظْهَرَتْ ما قَد ادَّعَت، فهَلَكَتْ وأهْلَكَتْ، وأَفْسَدَتْ وما أَصْلَحَتْ.

ومِن اللّهِ نسألُ الخلاصَ يومَ العَرْضِ والقِصَاص، «يَوْمَ يَعُضُّ الظَّالِمُ على يَدَيهِ ويقول: يَا لَيتَني اتَّخَذْتُ مع الرَّسُولِ سَبِيلاً، يا لَيتَني لم

اتَّخِـذْ فُلانًا خـليلاً. لقـد أضَلَّني عن الذِّكْـرِ بعـدَ إذ جاءَني وكَـانَ الشَّـيطانُ للإنسـانِ خَـذُولاً»[1]، يَعْني الشَّـخصَ الذي قـد أضَلَّهُ وأغْـوَاه، وَعَكَسَـهُ واستهواه، وأخْرَجَهُ من دعوةِ إمامِه ومَوْلاه.

أمَّا بَعْدُ، فـإنَّه لَمَّا كَثُرَتِ المُدَّعِينَ في هذا الأوان، وَعَمِـيَتْ مسالكُ الحَقِّ على كثيرٍ من الإخـوانِ، كلُّ مُدَّعٍ لَهُ أشْراكَ ومصائدَ وشباك، يَصيـدُ بها الغرَّ من المؤمنين، وَيَحِـيـدُ به عن مَـسْلك الحَقِّ والدِّين، وبَسَطَ كلُّ مُـدَّعٍ له عِلْمًـا وكتاب، حتّى يَسْتَجْذِبْ له بها أتْبَـاعاً وأصْحاب، فَوَقَعَ مَنْ وَقَعَ في أشراكِهِم، وَصَادُوهُ بمصائِـدهم وشِباكِهم. وظَنَّ كلُّ واحـدٍ منهم إلى دينِ اللّه يَدعُونَه، ولِمَا هو عليه من مَذْهَب مولاهُ يُزيدُونَه ويُقَوُّونَهُ.

فَمِـنَ المُسْتَجـيبين مَنْ فَـطِنَ لِحِيَلِهِم وَتَلْبـيسِـهِم، وَنَظَرَ إلى مَكْرِهِم وَتَدْلِيسِهِم، فَـخَرَجَ عن طاعَتِهم، وأُبْعِد من دعْـوَتِهم. ومِنهم من وَقَفَ بحيثُ أوقَفُوه، وارتبَطَ بما ألقُوه إليه وعَـرَفُّوه، وتَخَيَّلَ على عَقْلِهِ أنَّ الحقَّ في يداه، يَعُمُّ بمعرفَتِه سواه، وَيُكفِّرُ مَن لمْ يُجِبْهُ إلى مَن اعتَقَدَه لنفسِه وارتضاه.

تاللّه، لقـد عَدَلَ بهـم إلى غيـرِ المقصَـد، وَتَرَكَ مَن اتَّبَـعَهُ في عـذابٍ سَرْمد، وكلُّ ما نَصَحَهُم ناصِحٌ استَغَشُّوه، وأبْعَدُوا عنه وكَفَّروه، وكان الحقُّ في غيرِ ما يَعْتَقِدُوه.

وعن قليلٍ تراهُم يقولون: ربَّنَا! إنَّا أطَعْنَا سَاداتَنَـا وكُبَراءَنا فأضَلُّونا السبيل. ويَقولون: ربَّنا! مَن قدَّمَ لنا هذا فَـزِدْهُ عَذابًا ضِعفًا في النار. وَسَوْفَ يَنْدَمُون، وبِطاعَـةِ مَن قَدْ أضَلَّهُم يَسْـتَيْشِـمُون، وهو يومُ الحَسْـرةِ والنَّدامةِ ومَجمَعُ الخَلْقِ للعَرْضِ يومَ القيامةِ.

جَعَلَنَا اللّهُ وإخواننا الثابِتين من المَقْبولين، ولا جَعَلَنَا من النّادمين. إنّه رؤوفٌ منَّان، مُتَطاوِلٌ بالمِنَّةِ والإحسـان. ولَمَّا جاءَني رسولٌ من بَعْضِ المُدَّعِينَ

---

(١) سورة الفرقان ٢٥/٢٧-٢٩.

٧٢

الرسالة الموسومة بالإسرائيلية

الدّامغةُ لأهلِ اللَّددِ والجُحُود

أعْنِي الكَفَرَةَ مِنْ أهْلِ شَرِيعَةِ اليَهُود

كتب هذه الرسالة بهاء الدِّين. موضوعها الأساسي تكفيرُ اليهود الذين لم يؤمنوا بمجيء المسيح المنتظر، الذي هو حمزة. يدلّ بهاء الدِّين على كفرهم باستشهاداته من النبي آشعيا وسفر المزامير والنّبي ملاخيا. يذكر فيها بهاء الدِّين رسالتَين سابقتَين، ٥٤ و٥٥، يدور الكلام فيهما على المسيحيّة، وهدْم عقائدها. من دون تاريخ.

توكّلتُ على مولانا الحاكمِ وحدَهُ، وتوسَّلتُ إليه بقائمِ الحقِّ عَبدهُ.

مِن العبدِ الخاضعِ الذَّليلِ، والمملُوكِ لقائمِ الحقِّ شَطْنِيْلِ، حُجَّةً على بَقيّةِ مَن تخلَّفَ عَن الحَقِّ وانتسَبَ إلى الأسباط التِسعَةِ وَنِصْف مِنْ بَني إسرائيل، أَعني: آل يَهوذا، وآل سَاخِر، وآل زبُولُّون، وآل إفرائيم، وآل نَفتَالي، وآل رَؤُبيل، وآل جَاد، وآل بَنيامينَ، وآلَ مَنْشَا، وَنِصْفَ آلِ سَمُوئيل الخَارجينَ عَنِ التَّوحيدِ اليَقِين، والسِّبْطَينِ والنصف الطَيرَ الأَبَابيل، البَريئَين مِن الجَحْدِ والنكثِ والتحريفِ والتبديل، والعُدَّةِ لهلاكِ الأمَمِ الطاغيةِ أهلِ الشكِ والشِرْكِ والتَعطيل، المنصُوصَةُ أنباؤُهُم في أسفارِ الحقِّ وبرهانِ التأويل، في قوله لِمَنْ مرَّ مِنْ بعدِهِ، يعني فِرعَونَ لِمَن قَبلَ وأطَاعَ مِن بَني إسرائيل: «اسْكُنُوا

والخللُ لخروجهم به عن مباني الدِّين! وكيفَ يَنْسَاغُ في عَقلِ ذي لُبٍّ أنّ كلام اللّهِ تَعَالَى يَفتقرُ إلى إصلاحِ المَخلوقين! وهذا ممَّا يُبَيِّنُ فَسَادَ شرعِ المُخترصينَ، ويُوضحُ أنهم خالَفُوا أمْرَ الباري وخرَجُوا عَنْ سننِ التَّوحيدِ والدِّين.

لكنْ خَفي عَنْ أُمَمِ الشِّرْكِ كلامُ المعبودِ على مَعنَى الحقِّ، وجَهلُوا أمرَهُ النافِذَ في العالَمِ باليومِ الموعود، وتأييدُهُ بكلامِ الحقِّ لعبيدِه الحدودِ، تنزيهاً للباري تعالى وَتبييناً لِحقيقيَّةِ الوجود.

فَقَد ثَبَّتُّ بِمنَّةِ الوليِّ الحقِّ، وَدَلَلْتُ عليه، وَعَرفْتُ مثالب مَنْ أضلَّ العَوالِمَ وأشَرتُ بالتعيين إليه. وقد بَلَغَ العبدُ الناصحُ بعضَ الغَرَض، وأدّا بِجهدِهِ بعضَ ما يَلزمُهُ مِنَ الحقِ المُفتَرَض. فَلنختُم ذلِكَ بالاعترافِ بالتقصير.

والحمدُ للمولى والشكرُ لوليِّ الزَّمان، الإمامِ العدلِ قائم القِيامةِ وناسخِ الأديانِ، فَهُوَ الوسيلةُ لجميعِ الأممِ في الأدوارِ إلى باري المبروءات، والسببُ الأعلى إلى عبادةِ المولى الإله الحاكمِ المُنزَّهِ عَنِ التحديدِ والأشارات. وهُوَ حَسْبُ العبدِ الضعيفِ المُقتَنى لِنَجاتِه بمولاه قائم الحق في يومِ الميقات.

وكُتِبَ في اليومِ الثالثَ عَشَرَ من ذي القعدَة من سَنَةِ أَحَدٍ وعشرينَ من سِنينَ قائمِ الدِّين، المُنتقِمِ من النَاكِثين، والمُشركينَ والقَاسِطينَ والمُرتدِّينَ والمارِقين، بسيفِ مولانا الحاكمِ وقوّة سلطانِه إلهِ العالمينَ.

تَمَّتْ بِحمدِ اللّهِ وَمَنِّه.

الأرْضَ حتَّى إذا جَاء وعْدُ الآخِرَةِ جِـئْنَا بِكُم لفيفًا»[1]، أي جميعًا . وهذا نصُّهُ في الكتابِ مـسطوراً: «وَبالحَقِّ أنزَلنَاهُ وبالحقِّ نَزَلَ وما أرسَلنَاكَ إلاّ مُبَـشِّراً ونَذِيراً»[2].

فَمـا قَبِـلَ الأمرَ وَسكَنَ الأرضَ سِـوَى الطَهَرَةِ النِّصفُ والسِـبطَيْنِ، وَهُمُ الذِين نَجَّاهُمُ اللّهُ مِنَ عَدوِّهم وَجَاوز بهِم البَـحرَيْنِ، وَجعَل الذينَ قَعدُوا عَنهُم وخَالفوهُم تَحتَ الذِلَّةِ والمَسكَنَةِ إلى يوم البَعثِ وهلاكِ أهلِ المِصْرَيْنِ.

أمّا بعد، فـالحمدُ للمولَى الحاكِمِ المُنَزَّهِ عَنْ تَـنزيهِ الأنَام، المتُعالِي عَنْ عبارةِ الألسنِ لعجـزِها عَنِ الحركةِ بمعنى حقيقـيّةِ الهَادِي الإمامِ، الذي أبْدَعَ وَليَّه قائِم الحقِّ للكبرياءِ والعظمةِ حِجَابًا، وَأوْجَبَ لهُ إذْ هُو العقلُ بالعدلِ مَلِكِ الجواهِرِ النفَسيَّةِ تَحقيقاً وإيجابًا.

والسـلامُ على مَنْ عَرَفَ مـقـاديرَ الأزمَانِ وَمَـبَـانِيهـا، وَوَقَفَ على رُموزَاتِ الحكمةِ ومعَـانِيهَا، فانكَشَفَ له عن عَوَارِ مُحـرَّفاتِ الأديان، وتبايُنِ الألْسُنِ عَرَبيِّـها وعَبـرانيهَا، وعَـدَلَ على نفْسِهِ وَديْـنِه في الخِطاب، وأصغى بأُذُنِ بَصـيرتِه إلى الحقِّ والصـواب، وَسَلِمَ مِنَ الزّهو والتَكبُّـرِ والإعجَـاب، وسَلَّمَ لتَحقـيقِ المُنتظَر للبراهينِ المُعظَّمَةِ عَن البَلَسِ والشَـكِّ والارتياب، القائم لِنَسْخِ الشرَعِ الشـركِيَّةِ، ووضعِ الأضرارِ وَفَـكِّ الرِقاب، المُتفضِّلِ على عـبدِهِ الصغيرِ الحقـير، المُعْتَرِفِ بالضُعفِ والتقصير، بِعـواطفِ تَوفيقِهِ وتَسديدِه، ومَوادِّ بَرَاهِـينهِ وتَأييدِه، لإقـامَةِ الحُـجَّةِ بالدلائلِ والبـرهان، على قطعِ نِحْلَةِ اليَهـودِ وأولادِ الشَيْصبَـان، كما قَطَـعَ يُوشَع ابنُ النُونِ نِحْلَةَ البَـرَاهِمَةِ وآلِ كَنعَانِ.

(١) سورة الإسراء ١٧/ ١٠٤.

(٢) سورة الإسراء ١٧/ ١٠٥.

فَمــن الواجب علينا أهلُ الحَقِّ أن نُرتِّبَ مُقَــدَّماتٍ عــقليّة، وشَــواهِـدَ دينيّةً، تقْبلُها العُقُول، وَيَنتفعُ بها إذا ذَكَرَها الغَمرُ الجَهُوْلْ. وهو ما هُم بِهِ من إرسَالِ الرُسُلِ إلى حِينِ مَجيءِ مُوسى مُعترِفُون، وبالحاجةِ إليه مُقرُّون.

فــأقولُ على رأي الجــمــهورِ مــن آلِ البِدَع، بالبــرهانِ اللأزمِ المُبَــيِّنِ لِتحلِيل الشرَع، إنَّ العِلَّةَ التي أَوْجَبَ لها إرســالُ موسى وَمَن قَبْلَهُ لا تَعْدو أنْ تكونَ قائمةً في الخَلْقِ موجودةً فــيهم، أو ارتَفَعَتْ عَنهُم، فإنْ كانَتِ العِلَّةُ التي لأجلِها وَجَبَ ارسالُ مُوسى ومَنْ قَبْلَهُ قائمةً في الخلق، مــوجودةً فيهم، فَغَيرُ مُمكنٍ عَــدَمُ الرُّسُلِ بَعدَ مُــوسَى. ومتَى أوجــبتِ إليهــودُ إبطالَ العِلَّة التي مِنْ أجلِها أَرْسَلَ مُوسى وَمَنْ قَــبْلَهُ واستَغنَوا عَمَّنْ يأتي بعدَ مُوسى، فــقد لَزِمَهُم حُجَّةُ مَنْ أَظْهَرَ الغِنَى عَنْ مُوسى وَجَــحَدَهُ وَكَفَرَ بما جاءَ به وَوَجَبَ في الحَقِّ أنَّهُ لم تَقُم حُجَّتُهُ على أصحابِ نُوحٍ ولا على مَنْ أَقرَّ بإبرهيمَ، وأنكرَ موسى، والعلّةُ التي أوجَبَ لها أرسالُ الرُّسُلِ فهي جَهْلُ العوالم بِمَعَالِمِ حَقِيقيّةِ الدِّينِ، وإنكارِهِم لِتوحيدِ الباري تَعالى في كُلِّ عصرٍ وَحِيْنٍ.

وقد عَلِم كلُّ ذي لُبٍّ أنَّ أصــحابَ الشرائعِ قد قَطَعَ كلٌّ مِنْهُم شَــريعَةَ مَن تَقَدَّم قَبْلَهُ، وهو يَعلَمُ أنَّ أهْلَهَا لَمْ يُخالِفُوا شيئاً ممَّا فَرَضَهُ عليهم صاحبُ شريعتِــهم، وقد حَلَّلُوا سَبْيَ بعضِهُم بَعضًــا وَهَلاكَهُمْ وَاستِئصَالَ شَــأفَتِهُم. فأَينَ العدلُ هاهُنا وقد تَسَاوتْ شَرائِعُهُمْ لأنَّها أعمالٌ جِسمانيَّات، والنكثُ في جبــلاتِهم، والعجــزُ عَمَّــا أُدرِجَ في شرائِعــهِمْ وَرُمِزَ لهم فــيهــا من التَّوحــيد والمعاني الروحانيَّات.

كـقوله: «عَلَّمَ الإنســانَ مَــا لَمْ يَعْلَمْ»[٣]، وهو «اللّهُ لا إلَهَ إلاّ هُوَ الحَيُّ القَيُّوْمُ، لا تَأخُذُه سِنةٌ ولا نَوْم»[٤]، وإنَمَا أعنَى أنَّ البَارِي يظهرُ لهم مِنْ حيثُ

---

(٣) سورة العلق ٩٦/ ٥.

(٤) سورة البقرة ٢/ ٢٥٥ .

هم وفي صُوَرِهِمْ. وَهُوَ مُنزَّهٌ بعدَ وجودِهِ عنِ الحدِّ والمَحْدود. وهذهِ إشارةٌ إلى وُجُودِ المَعبُودِ. أنكَرَها أهلُ الشرعِ باللَّدَدِ والجُحُودِ، وإنَّما يَجبُ قَطْعُ الشرعِ ونَسْخُها للإمامِ العَدل قائمِ الدِّين، الذي أَشْهَرَ توحيدَ الباري بأمرِهِ كما أَلِفَهُ في الأدوارِ لمَّا عَجَزَتْ عَنْهُ جميعُ أصحابِ الشرعِ المُتقدِّمين.

كقولِ مَنْ نَصَبَ إحدَاهم: «يا أيُّها الرَّسولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إليكَ مِن رَبِّكَ وإنْ لمْ تفعلْ فما بلّغتَ رِسَالَتَهُ واللّهُ يَعصِمُكَ مِنَ الناسِ»(٥). فما بَلَّغَها كَما أَمَرَهُ اللّهُ تعالى بل طَمَس مَعَالِمَها بالظلمِ والإبلاس. وجميعُ أصحابِ الشرعِ فعلى هذا السُّنَنِ يجرُونَ، وَبالعجزِ والخِلافِ للبَاري يَهرَعُون.

كَقولِهِ في التوراة من العَشرِ آيات: أنَا اللّهُ ربُّكُم ومِن أرضِ مِصرَ أخرجتُكُم، وإليَّ قرَّبتُكم، فلا تَتَّخذوا إلهً غيري فَتَعصُونَ أمري، وعَظِّموا إسمي ووحِّدُوني. والمَعروف عندَ الأمم أنَّ مُوسى ردَّهُم إلى أرضِ مصرَ وما أخرجَهُم منها، وإنما المعنَى في خُروجِهم إلى العَمالقَة في أرضِ الشام عندَ دعوةِ المسيحِ لهم إلى وجودِ البارِ العلاَّم. فَعَمَدُوا اليَهودُ إلى ما أُمِرُوا بهِ مِنَ التّوحيدِ والوجودِ فَأعْدَمُوهُ، إلى اسم روحِ القُدُسِ فكَذَّبُوه وَقَتَلُوه، وَزَعَموا أنّهم صَلَبُوه، وإنمَا ذَكَرْنَا قليلاً ممَّا فَعَلُوه، معَما يَلزمُهُم مِنَ الكُفرِ بِما نَسَبُوه إلى البَاري تَعالى مِنَ الدُّخولِ في عِلمِه على رَأْيِهم وَحَظْرِهِم عَلَيهِ، أنْ لا يَجْعَلُوا شريعةً غيرَ شريعةِ مُوسى.

وَقَد عَلِمْنا وَعَلِمَ كلُّ ذِي عقْلٍ مِمَّن أنْصَفَ نفْسَهُ أنَّ الشرائعَ كُلَّها إحداثٌ من محدَثٍ لموسى وغيرِه، أعني كلَّ مَن شرَّعَ شريعةً فَهم مُحدَثُون، وموسى مُحدَثٌ مَخلوقٌ، والخلُق المُفترَضُ عليهم تلك الشرائعِ مُحْدَثون، ولا يشكُّ أحدٌ ممَّنْ صحَّ عقلُه أنَّ الشارعَ للشريعةِ والقائمَ بها والقادرَ عليها

---

(٥) سورة المائدة ٥/ ٦٧.

أفضــلُ من الشريعــةِ والمَشروعــةِ له. إذ الشريعــةُ لا تقومُ بنفــسِهــا بل هي مُحتاجــةٌ إلى القائمِ بها، العالِمِ الفاضل، وإذا كان واجبٌ مــوجودٌ رَفْعُ القائمِ بالشريعةِ وفناؤه وزوالُه، فممكنٌ إبطالُ الشــريعةِ ورفعُها، وجاهلٌ مَن حظَّر على معــبودِه أن لا يفترضَ عليــه إلاّ ما افترضَــه على آبائِه، ولا يأمُره إلاّ بما أُمِرَ به القرنُ الأولُ الذي كان قبلَهُ.

وقد علِمنــا وعَلِمَ كلُّ ذي لبٍّ أن المُتَعَبِّـداتِ الحقــيقيّــةَ مِحَنٌ يَمْــتَحِنُ الباري بها خلقَه لِيَــبلُوهَم أيُّهم في طاعتِه أَحْسَنُ قَبولاً وعمــلاً، وما أصحاب الشرائعِ النّامــوسيَّةِ مَوَّهوا على الأممِ في شــرائِعهم بمعاني الأمورِ الإلــهيّةِ، فلذلكَ تمَّ لهم ما أَضلُّوا به الأممَ وأخرجُوهم إلى العَدَمِ عن المعاني التّوحيديّة.

وألحقُّ أقولُ إنَّ الباري جلَّ مجدُهُ يَمْتَــحنُ خلقَه في كلِّ عصرٍ وزمانٍ بما أحبَّ وأرادَ من ظهورِه واستتارِه لبريَّتــهِ غيرُ مَحظورٍ عليه. وهذا مُنافي لمبــاني الشرائعِ النامــوسيــةِ، ومجــهولٌ عند الجمِّ الغــفيــر من أهلِ العقــائد الشِركيَّة، وإنَّما الفرضُ الواجبُ والأمرُ اللاّزبُ الذي لا يَزولُ ولا يَخْتلفُ فيه، هو فَــرضُ الطاعــة للبــاري جلَّ وعــزَّ في كلِّ مــا أَمَــرَ به ونــهَى عنه إذ ليس للمأمورِ أن يَحْكُمَ على الآمِــرِ فيقولُ له لا أطيعُك إلاّ فيــما أَرَدتُ. وأَمْرُ الباري تعالى هو الثابتُ في الخليقة. وهو الواجبُ دوامُه ولا يجوزُ في حكمةِ الحكيمِ أن يُنْسَخ أَمْرُهُ بالتركِ لأمْرِه.

والأمرُ فهو قائمُ الزَّمانِ الإمامُ الموجودُ القائمُ بدعوةِ التّوحيدِ في كلِّ عصرٍ وأوانٍ حُــجَةُ الباري في جــميعِ الأدوارِ على الخليقة، وأمــرُهُ النافذُ في العوالِمِ بالحقيقة، وصفَةُ الآمرِ وماهيّــتُهُ غيرُ معلومةٍ إلاّ من جِهَةِ القائمِ بأمرِ اللّه، العالمُ بمعرفــةِ اللّه، إذ هو الأمرُ، لكن اشــتَبَهَ على القــائلينَ بالشرائعِ أَمْرُ الناسخِ والمَنْســوخِ، وعظُمَ عليهم وقــالوا يَفْــعَلُ اللّه أمرًا ثم يَنْقُــضُهُ ويُبَــدِّلهُ بغيــرِه، ولو تدَبَّروا أصحابُ الشــرائعِ حالَهُم تَدْبيرَ حــقيقةٍ لعَلِمــوا أنّ الأمرَ

الذي لا يُنْسَخُ ولا يَتَغَيَّرُ ولا يُرْفَعُ من العـالَمِ هو ما ذَكَرْنَاه من راسخِ الأمر، وهو الإمامُ القـائمُ العالِمُ، إذ رَفْعُ أمـرِ الباري، وَتَرْكُـه وعَدَمُه من الـعالَمِ هو إهمالُ الخلْـقِ. ولو أَهْمَلَ الخَلْقَ وَتَرَكَهُم طرفـةَ عينٍ لتلاشى واضـمحلَّ، ولم يَكُنْ للباري حُجَّةٌ عليهم وَبَطَلَ الثوابُ والعقاب.

والدليلُ على أَنّ أفعالَ الباري تنزَّهَ عن المُعـارضةِ له والدخولِ عليه، منها ما يَـزولُ وَيستَحيلُ وهو فناءُ العـالَمِ واستحالتُهُ، ولو كـان من الحكمةِ دوامُ جميعِ الأفعالِ لكانَ العالَمُ دائمَ البـقاءِ غيرَ فانٍ ولا زائلٍ. وفي وجودِنا، الموتُ والفناءُ والنقضُ للمركَّبات دليلٌ على أَنّ ذلك كلَّـهُ حكمةٌ فإذ لا يُسْتَعْظَمُ رَفْعُ الشرعِ وتغـييـرُها ونَسْخُهـا بغيـرِها كما هو مـألوفٌ عندهم نَسْخُ كلِّ شرعـةٍ بما بعدها إذ لا يُسْتَعْظَم فناءُ العـالم بالشريعة والقـائمِ بها الذي هو أفضلُ من الشريعةِ والمَشروعةِ لَهُ.

وأنتم أيُّهـا اليهودُ مُـقرُّون ومُعـترِفـون أنّ الرّسولَ الذي ترتقـبوه وتنْتَظِرُوا الـفَـرَجَ على يدِه أنّه أَفْـضَلُ من مـوسى ومن إبرهـيم، وأنّه يأتي بالبيّناتِ والبـراهين، وأنّه يَدعو الخليقـةَ إلى توحيدِ ربِّ العالَمين، وقـد ظَهَرَ المُنْتَظَرُ وأقامَ حُجَّةَ التَّوحيدِ على العوالم بالآياتِ والبراهين، فأنكَرُوه وتبرَّأوا منه ومن حـزبِه اليهودِ والنـصارى وجمـيعِ المُسلمين، وقدْ قـامَتْ على الكلِّ حُجَّتُهُ، وعن قليلٍ يظْهَرُ للجزاءِ وَيَحِلُّ لهم عذابُه ونَقْمَتُه.

ونَرْجِعُ فَنَدْحَضُ حُجَّةَ اليـهودِ ونُبيّنُ عَوارَ مقالاتِهم، وَنُقـيمُ الحُجَّةَ عليـهم من أصولِ مـتـعبّـداتِهم، فنقولُ علـى أنّهم قد أَقـرُّوا أنَّ موسى قـدْ استخلَفَ وتَواتَرتِ الأنبياءُ بعدَه.وهذه نصوصُ توراتِهم :

فمنهم يُوشَع وشَـعْيَا وإرميا وحـزقيل ومخائيل ودانيـال وغيرُهم ممَّن لم نَسَمِّه إلى زمـانِ إمليخيا آخر الأنبياءِ عندهم، وفـي زمانهِ جَهلوا أَمْرَ الرسلِ وأَنْكَرُوهم وحادوا عن سنَنِهم وَجَحَدُوهم، وجَهْلُهِم بذلك وشكُّهم فيه

يُوجبُ عليهم الإقرارُ بكلِّ مَن أَظْهرَ الآيات، ودلَّ على نفسه بالمعجزات، التي بمثلِها وَجَبَ القبولُ من مُوسى، وقدْ كانَ موجودًا من آدمَ إلى نوحٍ وبعد إبرهيمَ مُسْتَخْلَفين، قائمينَ بأمْرِ الباري مُكْتَتمين، يُؤمِنون بهم أهلُ الحقِّ، واليهودُ يَتَحَقَّقون من التوارةِ أنّ موسى عرَّفهم وبشَّرَهم بمجيءِ المسيح عيسى ودلَّهم عليه، وأمَرَهُم بالقَبُولِ منه.

وقد دلَّتْهُم التوراةُ على ذلك، ودلَّهم شعيا وإرميا وحزقيل على طاعةِ الأنبياءِ الناطقِينَ عن أمْرِ اللّه فَجَحَدوا ذلك وعَمُوا عنه، وأنكرُوه وتبرَّأوا منه، فَفَضَحَهم أمليخيا وَسَفَّهَهُم وعرَّفهم وأعْلَمهم عن اللّهِ أنّه لا يَقبَلُ لهم قرباناً، ولا لهم عنده مِقدارًا. ولَعَنَهُم وزالَ عنهم لاسْتِخفافِهم بأمر اللّهِ وأخفى عنهم نَفْسَه، وسَتَرَ عنهم أهلَ الحقِّ القائمِين بدِينِ الباري وتوحيدِه وأسْلَمَهُم. فهم إلى هذا الوَقْتِ يَخوضُون ويَمرَحُون، وزعَمُوا أنَّهم لفَرَجِ المُنْتَظَرِ يَرتَقِبون، وهو المُهْلِكُ لَهُم والمُنتَقِمُ منهم بما فعلُوه بعيسى روحِ القُدُسِ.

ونحن نُبيِّنُ ما هم عليه من الإلحادِ والبلَس من التوراةِ التي زَعَمُوا أَنَّهم يَتَعَبَّدون بأوامرِها ونواهِيها التي لا يَشُكُّونَ أنَّها على يدِ موسى ظَهَرَتْ، وعليه أُنزِلَتْ، وأنها دَلَّتْ على القادمين بعد موسى وأنْبَأَتْ وَذَكَرَتْ مواضِعَهُم التي يَخْرُجُون منها وَعَيَّنَتْ، ودَلَّتْ وبيَّنَتْ على تَرتيبِ منازِلهم على الشَرَفِ وما به تَبَايَنَتْ.

فقالَ في التوراةِ : جاءَ الأَوْهامُ من سينا، يَعْني نُوْرَ اللّه بالعبرانيّة، وأَشْرَق من ساعير الشَّراة، ولَمَعَ من فاران، وَظَهَرَ من رُبْوَةِ القُدسِ، وقَدْ عَلِمَ جميعُ الأمم أنَّ ظهورَ موسى من جَبَلِ طورِ سيناءَ، وأنَّ ساعيرَ هو الموضعُ الذي ظَهَرَ منه المسيحُ عيسى، وفاران هو جَبَلُ مكّةَ، ومنه ظَهَرَ محمَّدٌ ، ثمَّ ذَكَر رَبُوةَ القُدسِ فَشرَّفَ أمرَها، وعظَّمَ قدرَها، وفضَّلَ صاحِبَها على جميعِ مَن كان قَبْلَهُ، ونَسَبَ إليه النورَ والقدسَ، وأنّه الذي يَحْرِقُ بريحِ شفافيّةِ الخَبيثَ.

فإنِ اعترَضَ مُعتَـرِضٌ مُباهِتٍ وقال: هذا القولُ هو للأممِ وليس هو لأصحابِ الشرَع، فقد حافَ وحَـيَّفَ وكذبَ وابتدع، لأنّه لو قال لكافَّةِ العالَم: «لكلٍّ جَـعَلْنا منكم شـرعـة ومنهـاجًا»، لكان ذلك بُـطلانًا لجمـيع الشـرائع، وتكذيبًـا لقولِ القـائمين بها. فـإذا كان هذا أمـرٌ لجمـيعِ الأمَم: «فاسْـتَبـقُوا الخيراتِ إلى اللّهِ مرجعكم جميعًـا. فينبِّئكم بما كنتم فيه تَخْتَلفون»، ولو كان هذا تخييراً للأممِ في اتِّباعِ ما أرادوا من أصحابِ الشرَعِ المُتقدِّمَة، لبَطَلَ جَبرُهُ لأصحابِ ملَّته، وحظرُه على أمَّته وتحريمُه عليهم غيرَ شرعَته، وَقَطْعُ دعواتِ مَن تقـدَّم منهم بدعوَته. وإذا كـان العـالمُ في الشرَعِ مـخَيَّـرُون فقـد بَطلَتْ شرعَتُـهُ، إذ جُعِلَ التَخييـرُ للأمم. وليس الأمرُ كذلك[٢٥]، لأنَّه هو وَوَصيُّهُ[٢٦] هَدَرا دمَ مَن رَجَعَ عن رعتِه وَأطلاهُ، وقالا: لا يناظِرُ بقتلِهِ أحداً وأحلاَّه.

فقد صحَّ أنَّ هذا القولُ والتوبيخُ لأصحابِ الشرائعِ لا لغيرهم، لقولِه وهو: «لِكلٍّ جَعَـلْنا منكُم شرعةً ومنهـاجًا. ولكنْ لِيَـبْلُوَكُم فيمـا أتَاكُم»، أعني أصحاب الشرَعِ. فهذا قطعٌ لِمَـباني شرعِهِم من الأسـاسِ. وتَبيينٌ لأهلِ الحقِّ أنّهم أهلُ التَلبيسِ والإبلاس.

وهذه أيضاً من بعضِ قَصَصِ صاحبِ شريعةِ الإسلامِ لَمَّا طَلَبتْ أمّتُهُ منه المعجِـزات، وتبيينَ البراهين والآيات. وهذا جوابُه لهم من سـورةِ الأنعام أنّه أُمرَ بذلك: «قُلْ إنّي على بَيِّنَةٍ مِن رَبِّي، كَـذَّبتُم به مَا عندي ما تَسْـتَعجِلون به إنّ الحُكْمَ إلاّ للّـهِ يَقْـضي بالحَقِّ، وهو خـيـر القـاضِـين. لو انَّ عنْدي مَـا تَسْتَـعجِلونَ به لقُـضِيَ الأمرُ بيني وبيـنَكم. واللّهُ أعلَمُ بالظالِمين»[٢٧]. وهذا

---

(٢٥) أي: لو خيّر النّاس في اتّباع الأنبياء لما اتّبع محـمّداً أحدٌ منهم؛ ولكنّهم، لعنف محمّد وبطش سيفه، أُجبِروا على اتبّاعه جبراً.

(٢٦) الإمام علي بن أبي طالب، الذي هو وصيّ محمّد وأسـاسه الذي تكفّل بشريعته بعد موته.

(٢٧) سورة الأنعام ٦/ ٥٧ .

بالإضافة إلى آيات مَن تقدَّمَ مِن رُسُلِ الحقِّ، ولَكنَّ مِن قائله، ومبيِّنٌ لقِلَّةِ معلومه وعَجْزه، وتحقيقٌ لباطله.

ومن الأنعامِ أيضاً لمّا طلبتْ أمَّتُهُ منه آيةً يَخضَعُون لها ويطيعُون، فقال: «وَأَقْسَمُوا باللّه جَهْدَ إيمانِهم لَئِنْ جاءَتْهم آيةٌ لِيُؤمِنُنَّ بِها. قلْ إنَّ الآياتِ من عند اللّه. وما يُشْعِرُكم أنّها إذا جاءتْ لا تُؤمنون»[٢٨].

فتأمَّلوا لَكِنَ هذا المَسْعُورِ المَفْتُونِ في قولِه: «ومَا يُشعِرُكم أنّها إذا جاءتْ لا تُؤمِنون»، فأيُّ مُبْهِرٍ هذا ممّا طَلبوه من الآياتِ! وأيُّ مُعظَمٍ لهذا القولِ من المعجزات! أبْعَدَ اللّهُ المُباهِتين وجَذَّ أثَلَةَ الغاصبين.

ومن سورة الأنفالِ أيضاً حكايةٌ عن قَولِ أمَّته وجَوابُهُ لهم بفيضِ حكمته إذ قالوا: «أللّهمَّ إنْ كانَ هَذا هُوَ الحقُّ مِن عندِكَ فَامطِرْ علَينَا حجَارةً منَ السَّمَاءِ وآتِنَا بعذابٍ أليم». فكان جوابُه لهم: «ومَا كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم وأنتَ فيهِم. ومَا كان اللّهُ مُعَذِّبَهم وهم يَسْتَغْفِرون». ثمَّ ردَّ على قولِه، وقال: «ومَا لهم ألاّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وهُم يَصدُّون عن المسجِدِ الحرَام. ومَا كانوا أولياؤُه. إنّ أولياءَه إلاّ المُتَّقُون»[٢٩]. فهذا من مَشْهورِ قَصَصِهِ مع أُمَّتِه ومُعْجِزاته.

وأيضاً من أكبر براهينِه وآياتِه أضيفوها، أيّها الغافِلون، إلى ما تقدَّمَ من فضائلِ حُجَجِ الإمامِ العَدْلِ في الأدوارِ، وإهلاكِ الباري لمن عاندَهُم من المنافقين الفجّار:

وهذه قِصَّةُ موسى وأخيه. من سورةِ الكهفِ، وبيان نَقْصِه والضَعْفِ، لمَّا لقِيَ العبدَ الصالحَ[٣٠] واعتراضَه على ما يعلَمُهُ بجهلِهِ

(٢٨) سورة الأنعام ٦/ ١٠٩.

(٢٩) سورة الأنفال ٨/ ٣٢ – ٣٤

(٣٠) أي يشوع بن نون الذي يسمِّيه القرآن: العبد الصالح.

والسَخْف، قولُه : «فلمّـا جاوزَ قالَ لفتاه: آتنا غَذاءَنَا لقدْ لَقِـينا مِن سَفَرِنا هذا نصبا. قال: أرأيْتَ إذ آوَيْنا إلى الصَّخرة فـإنّي نسِيتُ الحوتَ. وما أنسانيهِ إلاّ الشَّيطَانُ أن أذْكُـرَهُ، واتَّخَذَ سَـبيلَهُ في البحـرِ عجَبَـا. قالَ هذا مـا كنَّا نَبْغي. فَارْتَدَّا على آثارِهما قَـصَصًا. فوَجَدا عـبدًا من عبادِنا . قـال هذا كا منَّا نَبْغي فارتدَّا على أثارِهمـا قَصَصا. فوَجَـدا عبداً من عبادِنا آتَيناهُ رحـمةً مِن عندنا وعلَّمناه من لَدُنَّا علمـا. قال له مـوسى: هل أتَّبِعُكَ عـلى أنْ تُعلِّمَني ممَّا عُلِّمْتَ رُشْدا. قـال: إنَّك لنْ تَسطتيعَ معي صبـرا. وكيفَ تَصْبِـرُ على مَا لمْ تُحِطْ به خبرا؟ قال: سَتَجِدُني إنْ شاء اللّه صابرًا ولا أُعصي لك أمْرا»[٣١].

فَعَلِمَ العبدُ الصالحُ أنَّ مـوسى ضعيفٌ العلمِ، لا يَفْرِّقُ بين الظلمِ، ولا يَعْلَمُ ما أفـاضَهُ المولى على عبيـدِه من التأييدِ وسادقِ الحكم. فـقال لموسى: «فإنِ اتَّبَعْتَني فلا تســألْني عن شيءٍ حتّى أُحدِثَ لكَ منه ذِكرا»[٣٢]. فكان من موسى ما قد عُرِفَ وتداولَتْـهُ الألسنُ، وتَبيَّن في المَسْطورِ مِن خَرْقِ السفينة، وإنكارِ موسى عليه، واعتذارِه بعد إنكارِه.

وذَكَرَقَتْلَ الغُلامِ وقـولَ موسى: «أقَتَلْتَ نَفْساً زكيّـةً بغيرِ نَفْسٍ»[٣٣]، فَشَهِدَ بالزّكاةِ لمنْ لا يَعْلَم. وبعـد ذلك شَرَطَ على نفسِه أنّه إنْ سألَهُ عن شيءٍ بعدها فلا يُصاحِبُه.

وذَكَرَ إقامــةَ الجِدارِ، فقال له العبدُ الصــالحُ: «هذا فِراقٌ بيني وبينِك .وأنبأهُ بما لا يَستطيعُ عليـه صبرا»[٣٤]. وعَرَّفَهُ حقـائقَ ما أنكرَهُ عليه بِلَدَدِهِ جَهْلاً وخَبراً.

---

(٣١) سورة الكهف ١٨/٩٢- ٦٩ .

(٣٢) سورة الكهف ١٨/ ٧٠.

(٣٣) سورة الكهف ١٨/ ٧٤.

(٣٤) سورة الكهف ١٨/٧٨.

فهذه معالمُ أصحابِ النواميس، ومناقبُ كلِّ أفّاكٍ وغِطْريس، تتضاءلُ إلى الانحطاطِ والانسِفال، إذا أُضيفَتْ إلى فضائلِ آلِ التّوحيدِ الطَهَرةِ الأبْذال.

وتأمَّلوا أيضاً من سورةِ...[٣٥] قد أفْلَحَ[٣٦] القصَّةَ المُبيِّنَةَ لظُلمِهم واعتدائهم، إذ هي تُنَبئُ بِذَمِّهم واختلافِ ادّعائهم، وتَشْرَحُ ما هم عليه من التَلبُّسِ باتِّباعِ أهوائِهم. قولُه يَعْني أصحاب الشرعِ والتَوهيمِ :

«يا أيُّها الرُّسلُ كُلوا مِنَ الطَيِّبات واعْمَلُوا صالحًا إنّي بما تعْمَلون عَليم. وإنَّ هذه أمَّتُكم أُمَّةٌ واحدة -يَعْني أُمَمَكُم-، وأنا ربُّكم فاتَّقُون. فَتَقَطَّعُوا أمْرَهُم بينَهم زُبُرًا. كلُّ حِزبٍ بما لدَيهم فَرِحُون»[٣٧]. وقولُه «زُبُرًا» أي كُتُبًا، يحَلِّلون فيها على الأممِ مِن تلقاءِ أنفسِهم ويُحَرِّمون.

والدليلُ على صحَّةِ ما أقولُه إنَّ الأمم ليس لهم «زُبُراً» إلاّ ما تُمَوِّهُ به أصحابُ الشرَع، وأحلُّوه لهم من قَتْلِ بعضِهم بعضًا، من سبيِ الحريم وأصنافِ البِدَع. فعرَّفَ العالَمَ ما هم عليه من شَتاتِ الآراءِ وتَقَلُّبِ الأهواء. وأتمَّ القولَ بعد قولِه: «كلُّ حِزبٍ بما لديهم فَرِحُون» بقولِه: «فَذَروهم في غَمْرَتِهِم حتى حِيْنَ»[٣٨]. فتأمَّلوا يا أهلَ الغَفْلَةِ هل أسدقُ بالحقِّ من هذا الخطاب! وأبْيَنُ من هذا التَوقيفِ لِكَشْفِ عَوارِ من هو مُسْرِفٌ كذّاب!

ثمَّ انظروا ما مَوَّهَ به صاحبُ شَريعةِ الإسلام، ما هو باللّهِ أعظمُ من الشَطَنِ والتَلَبُّسِ وعبادةِ الأصنامِ. فقال إنّه أُسَرِيَ به في ليلةٍ واحدةٍ من مَكّةَ إلى مَسْجدِ بيتِ المقْدسِ، وإنّه عُرِّجَ به إلى السماءِ السابعةِ، وإنّه جالسَ

---

(٣٥) تنقص كلمة «المؤمنون».

(٣٦) أي: قد أصاب محمّد في ما قاله عن ظلم «أصحاب النواميس» وكذبهم.

(٣٧) سورة المؤمنون ٢٣/ ٥١ – ٥٣.

(٣٨) سورة المؤمنون٢٣/ ٥٤.

الملائكةَ وَسَمِعَ نداء الربِّ[٣٩]. ولم يَكنْ له دِينٌ ولا رِعَةٌ يَزْجُـرَاهُ عمَّا لَفَّق من الزُّورِ والكذب.

فَعَظُـمَ هذا على جَماعـةِ قُرَيشٍ وأنكروهُ عـليه وكذَّبوه، وعَلِـمُوا أنَّه تَوهيمٌ منه كما ألِفوه، إذ لم يَأْتِهِم قَبْلُ هذا بآيةٍ بَيِّنَةٍ فَـيُسدِّقُوه، وإنَّما يُحيلُهم على محـالٍ بالقَولِ لم يُشاهِدوهُ ويعاينُوه. وإنّه احـتجَّ على قولِه الذي ردّوه عليه، وقـال: إنّ اللّهَ أنزلَ براءتَهُ، وأوْحَى إليه: «سُبْـحَانَ الّذي أسرَى بعـبدِهِ ليلاً مِـنَ المسجدِ الحـرامِ إلى المسْجِـدِ الأقصى الذي بارَكْنا حَـولَهُ لِنُرِيَهُ من آياتِنا أنّه هو السَميعُ البصير»[٤٠].

وذَكَـرَ بَقيّـةَ السورة وكَـرَّرَ هذا على جمـاعةِ قُـرَيْشٍ الحاضِـرين. وانفَرَدَ لمناظَرَتِه رَجُلٌ يهوديٌّ وقالَ له: يا مُـحمَد! إرْتَفِعْ لنا عن الأرضِ ذرَاعًا واحدًا ونحن نؤمنُ بك ولا نتَّبِعُ أثرًا بعد عينٍ.

فأُفْـحِمَ الدَّعِيُّ عن الجوابِ والقـول، وتبيَّنَ للجـماعةِ كَـذِبُهُ على ذي المآنةِ والطَّول. وعَلِمـوا أنّها زَخـارِيف ليَسْـتَجْذِبَ بهـا أموالَهُم، وَحِـيَلٌ على الأمورِ الدنيويَّة يستحلُّ بها حُرَمَهم وعيالَهم.

كقولِه في سـورة براءة: إنَّ اللّهَ أَوْحَى إليه : «والذين يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفضّةَ ولا يُنْفِقُونَها في سبيلِ اللّه فَـبَشِّرْهُم بعذابٍ أليمٍ . يَوْمَ يُحْمَى علَيها في نارِ جَـهَنَّمَ فَـتُكوى بهـا جِـباهُـهُم وَجُنُوبُهم وظُهُـورُهُم. هذا مـا كَنَزتُم لأنفسِكـم فذُوقُوا مـا كنتم تكْنِزون»[٤١]. ثمّ قال : إنّه أوحَى إليـه: «خُذْ مِن أموالِهم سَـدَقةً تُطَهِّرهُم وتُزكِّـيهم بها. وصلِّ عليـهم إنَّ صلواتك سكَنٌ لهم

---

(٣٩) إشارة إلى ما جاء في سورة الإسراء ١٧/١.

(٤٠) سورة الإسراء ١٧/١.

(٤١) سورة التوبة ٩/ ٣٤ – ٣٥.

واللّهُ سميعٌ عليم»[٤٢]. فهذا من أعظمِ آياتِه ومن أكبَرِ قلائدِ مُعْجِزاتِه، كقولِه ممّا يُطابِقُ ما تقدَّمَ مِنْ سورة الأحزاب، دلالةً على التمويهِ من كلِّ غِطْريسٍ كذّاب، قولُه: «ومَا كَان لِمُؤمنٍ ولا مُؤْمَنةٍ إذا قَضى اللّهُ ورسولُه أمْراً أنْ تكون لهم الخِيرَةُ مِن أمرِهم. ومَن يَعْصِي اللّهَ ورسولَه فقدْ ضَلَّ ضلالاً مُبيناً»[٤٣]

فوبَّخَه ربُّه، أعني مُمْليه، على لسانِ نفسِه في إثْرِ هذه الآية: «وإذ تقولُ للذي أنْعَمَ اللّهُ عليه وأنعمتَ عليهِ أمْسِكْ عليكَ زَوجَك واتّقِ اللّهَ، وتُخْفِي في نفسِك ما اللّهُ مُبْدِيه. وتَخْشى الناسَ واللّهُ أحقُّ أنْ تخْشاه. فلمَّا قَضى زَيدٌ منها وطَراً زَوَّجْنَاكَها -يا محمَّدُ- لئلاّ يكونَ على المؤمنينَ حَرَجٌ في أزواجِ أدْعِيائِهم إذا قَضَوا منهنَّ وطَراً. وكان أمرُ اللّه مفْعولاً. مَا كانَ علَى النبيِّ مِن حَرَجٍ فيما فرَضَ اللّهُ له سُنَّةَ اللّهِ في الذين خَلَوا مِن قَبْلُ. وكَان أمرُ اللّهِ قدَراً مَقْدوراً. الذين يُبَلِّغُون رسالاتِ اللّه، ويَخْشونَه ولا يَخْشَون أحداً إلاّ اللّهَ. وكَفى باللّهِ حَسِيباً»[٤٤]. فَجَعَلَ ذِكْرَ امرأةِ زَيد هو الذي يُحاسبُ اللّهُ عباده عليه[٤٥].

وهذا وأمثالُه زَعَمَ أنَّ اللّهَ أمَرَهُ به وأوْحَى إليه. وقد شَرَحْتُ هذا وبَيَّنْتُ عنه في «كَشْفِ الكُفرِ المَحجوبِ وفسْخ الشرَعِ والناموسِ المَكذُوب»[٤٦].

(٤٢) سورة التّوبة ٩/١٠٣.

(٤٣) سورة الاحزاب٣٣/٣٦.

(٤٤) سورة الأحزاب ٣٣/٣٧-٣٩.

(٤٥) ربّما المقصود بهذه الجملة أنّ محمّداً جوّز لنفسه ما لم يجوِّزه لغيره.

(٤٦) هي الرّسالة نفسها التي نحن في صد دها، وقد ذكرها بهاء الدِّين بعناوين مختلفة.

فتأمَّلوا هذا وأضيفوهُ إلى مَناقبِ السيِّدِ المسيح[٤٧]، المُخَاطَبُ مِنْ لَدُنِ اللّهِ بالكلمةِ والروحِ والقولِ الصحيحِ، في سورةِ المائدةِ «إذ قَالَ اللّهُ: يَا عيسَى ابنَ مريمَ! أذكُرْ نِعمَتي عليكَ وعلَى والدَتِكَ اذ أَيَّدتُكَ بروحِ القُدُسِ، تُكلِّمُ الناسَ في المَهْدِ وكهلاً، وإذ علَّمتُكَ الكتابَ والحكمَةَ والتَّوراةَ والإنجيلَ، وإذ تَخْلُقُ من الطينَ كَهَيئَةِ الطَّيرِ بإذْني فَتَنْفُخُ فيها فتكونُ طَيراً بإذْني، وتبرِئُ الأكْمَهَ والأبرصَ بإذني، واذ تُخْرِجُ المَوتَى بإذْني، وإذ كَفَفْتُ بني إسرائيلَ عنكَ، إذ جِئْتُهم بالبَيِّنات، فقالَ الذينَ كَفَروا منهم : إن هذا إلاّ سِحْرٌ مُبين. وإذ أوحَيْتُ إلى الحَوارِيِّين أن آمِنوا بي وبرسولي. قَالوا: آمَنَّا واشْهَدْ بأنَّا مُسلِمون»[٤٨].

فهذه فضائلُ حُجَجِ الباري على الخَلْقِ، القائِمينَ بالتَوحيدِ والسِدْقِ.

وبالجُمْلَةِ إنّ صَاحِبَ هذا الناموس قد قرَّرَ عندَ جميع الأممِ أنّ هذا القرآنَ كلامُ اللّهِ وأنّهُ مُنزَلٌ عليه، غيرُ مخْلُوقٍ ولا مَجْعولٍ، «وأنّه لا يأتيه البَاطلُ من بَيْنِ يَدَيهِ ولا من خَلْفه»[٤٩]، وقدْ طابَقَ أصحابُه وجميعُ هذه الأمّة قد أجازُوه ورضُوهُ ولم يُنْكِروهُ. وإنَّ القرّاءَ السبعةَ[٥٠] أصلَحُوهُ، وجَعَلوا له مَعاني وحُروفاً بها يقرأوه. وانفردَ كلُّ واحدٍ منهم بِحَرْفٍ ومَعْنًى على سَبيلِ التَغالبِ والقوّةِ كما ألِفُوه.

---

(٤٧) المسيح الحقيقي هو حمزة في زمن عيسى، وهو، لشدّة ظلم شريعة عيسى، كان مستتراً بين تلاميذه، وهو الذي أملى الإنجيل على الإنجيليّين الأربعة، الذين هم الحدودُ الأربعة في دين التّوحيد. والمسيح الحقيقي، ظهر أيضاً في صورة ألعازر؛ والحواريّون كناية عن الموحِّدين.

(٤٨) سورة المائدة ٥/ ١١٠ – ١١١.

(٤٩) سورة فصّلتْ ٤١/ ٤٢.

(٥٠) في علم المسلمين أنّ القرآن نزل بسبعة أحرف، أجازها محمّد جميعَها. ولكلِّ حرْفٍ قارئٌ مشهور. أسماءُ القرّاء واردة في النّص.

وهم: أبو عَمرو ابنُ العُلا، وحمزة، والكسَائي، وعاصم، ونافع، وابنُ كُثَـيِّر، وابنُ عامر، وإنّهم جَـعَلوا لكلٍّ واحدٍ منهم مَنْ يَروي عنه ويُبَـيِّنُ قولَه ويصحِّـحُه مثل حَـرْفِ أبي عمرو روايةُ الـزَيدي، وحرْفُ نافع روايةُ وَرَش وغيرهما. والشواذّ أربعون رجلاً.

والكلُّ مِن جمـيعِهم قد اجْتَـهَدَ في قولِه وتَعاطي وأعْـربَ في ألفاظِه وألْغا، حـتى إنّهم أحالُوا كـثيـراً من ألفاظِه عن مَـعاني الحقِّ، واختَـلَفوا في الحروفِ والرواياتِ، وخَـرَجوا عن السدْقِ، تعـاطياً على مَن أنْزَلَهُ وَمَنْ أُنزِلَ عليه بالكَذبِ والمَذْقِ[٥١].

فمـمَّا أجازوهُ في بَعضِ الرواياتِ يَلْوُون به ألسِنَتَـهُم ليًا[٥٢]: «واللّهُ أَخْرَجَكُم من بَطونِ أُمَّهاتِكُم لا تَعْلَمـون شيئاً»[٥٣]. فرواهُ بعضُـهم بـ«الظاء» و«الرّاء»، يَعْني: «مِن بُظُورِ أمَّهَاتكم»[٥٤] لَغْياً وغَيّاً. وإنَّ شُنْبُوذَا قرأ على ابنِ مُـجَاهِد، وابنُ مُـجـاهِد قرأ علـى ابن عبَّـاس في تلك الأوقـات. وإنّ علاَّمَـةَ المعـروفُ بالشَّنْبُوذي أقـرأ الناسَ بَمكَّةَ، وَوَصَلَ إلى الشـامِ، وروى جمـيعَ القراءاتِ. والرِّوايةُ عنه عند جميعِهم أصحُّ الرواياتِ[٥٥].

فيا أهلَ البَلَه والتَدْليسِ والتَشْبيهِ! كيف يكون قولُكُم في الكلامِ الذي نَسبتـموهُ إلى اللّهِ تعالى «لا يأْتِيه الباطِلُ مِنْ بين يَدَيْهِ ولا منْ خَلفِـه» سِدْقًا؟ وقد اعتَوَرتْه لإصلاحِ فسـادِه ألسُنُ النَّحَوِيِّينَ واللُّغَوِيينَ، ودَخلَ عليه النقصُ

---

(٥١) ألمذق تعني غير المخلص (الدرر المضيّة).

(٥٢) يعطي بهاء الدين هنا أمثلة على اختلاف روايات القرآن.

(٥٣) سورة النحل ١٦/ ٧٨.

(٥٤) «بظر» يعني مـهبل المرأة. والعرب تطلـق هذه اللّفظة في معرض الـذمّ (أنظر لسان العرب).

(٥٥) هؤلاء الرواة المذكـورون فـي النّص هم أصـدق من روى عن مـحـمّـد الأحـاديث الصحيحة وحتّى في عرف المسلمين أنفسهم.

أنَّه «تَعالى أَمَرَ أن لا يَمشي خَلْفَهُ أحدٌ في مَوكبٍ ولا غَيرُهُ من سائرِ الناس». ما الدليلُ على ذلك بجوابٍ معروفٍ بيّنَ مكشوفٍ، يكونُ لِمَنْ يَسمَعُهُ مُفيدٍ، وهو به مُغتَبِطٌ سَعيد؟

وَمِنْ ذَلكَ أنَّه «تَعالَى أَمَـرَ أنْ لا يُفْتَح خَلْفَهُ بابُ دَرْبٍ لأَحـدٍ مِنْ سائرِ الناسِ بعدَ عُبورِه فـيه وَغَلْقِه». ما هذا البابُ الذي أَمَرَ أنْ لا يُفْـتَحَ خَلْفَهُ لأحدٍ من خَلقِه؟

أَجِبْ عَنْ صِـحَّةِ ذلك بجَوابٍ نَافعٍ، واحتجاجٍ بَيِّنٍ قَاطِعٍ، يَقْطَعُ دَعوَى المُدَّعِين، ويُفْسِـدُ رأيَ المُدَلِّسين، الذينَ ظَهَروا بعد غَيـبَتِه، وإثباتِ حـجَّتِه على جميعِ خَلقِـهِ وَبَريَّتِه، يَدَّعُونَ حقَّه، وَيُضِـلُّون خَلْقَهُ، ويفْتَحُونَ مـا أَمَرَ بِغَلْقِه. قبَّحَ اللّهُ رأيَ مَنْ لا يَرتَدِع، وعنْ بَاطِلِه وَتَمْوِيهِهِ لا يَرْتَجِع.

و«أَمَرَ أنْ لا يُفتَحَ بِمصرَ طاقَـةٌ في جِدَارٍ بعدَ أنْ أَمَر بِكَنْسِ الشَوارِعِ مِنَ الأوساخِ والأقذارِ». مـا هذه الطَاقَاتُ التي أمر بِغَلقِهـا، وما هي الطُرقاتُ التي أمر بِكنْسِها، بِجوَابٍ صحيحِ العبارةِ هذا إنْ كُنْتَ تَعْرِفُ الإشَارَة؟

و«أمر أيضاً بـعتقِ جميعِ المَـاليك والعَبيد، بِسـجلٍّ كُتِبَ لَهُم مُطْلَقٍ، وَكَيدٍ مُشْبَعٍ. فيـه منَ النَّهي والتَشديدِ، وانْ لا يَردَّهم أَحدٌ إلى مُلكٍ جَديدٍ، ولا حكُمَ الحدِ عليـهِم من سائرِ الناسِ، وكانَ ذلك عَتقٌ لجـميع الأجْنَاسِ، وأنْ لا يَعتَرِضُونَ، ولا يَتَعقَّبُ عليهِم فيما ملَكَتْ أَيادِيهِم. وَمَنْ خَالَفَ الأمرَ فيهم فهو ظالمٌ مَلعـون». منَ هُم هؤلاء العبـيدِ المُعتَـقين؟ إنْ كنتَ من العلمـاءِ العارفين فهذا يَقْطَعُ دَابرَ المُدَّعِين، ويُكذِّبُ أَقاويلَ المُدَلِّسينَ، الذينَ يَرُدُّونَ العبيد في رقٍّ التَّمليكِ. وحاشـا الحقُّ أنْ يكونَ له في عبيدِه شـريكٌ لأنَّ شرْطَ السجلِّ أنَّهم لِوَجْهِ اللّهِ مُعتقِين، وعن الملك لغيره خارجين. وما هو وجهُ اللّهِ في الحقيقة إنْ كنتَ سلكتَ المَـنهَج والطريقـةَ. رَحِمَ اللّهُ مَنْ لِـوَجهِـهِ نَـظَر، وفي هذا العَـتْقِ افتكَر، وارْعَوَى وَتَذَكَّر.

ومِنْ ذلك ما أَظْهَـرَ «من تَحريمِ المُسكِرِ من الخَـمرِ بِسـجلٍّ قُرِئَ على رؤوسِ الأشهاد، فـي سائرِ المواضيعِ والبلاد، وَنَهى عنه وَحـرَّمَهُ، وَلَعَنَ مَن يَصْنَعُـهُ وَيَشْرَبُهُ، وَيَحْـمِلُهُ وَيَجلِبُـهُ». ما هـذا المُسكرُ من الشراب، الذي قـد خامرَ العقولَ والألباب، وحـادَ بها عن مَسالكَ الحقِّ والصَواب؟ قَبَّحَ اللّهُ رَأيَ مَنْ يَصْنَعُ المُسكِرَ مِنَ الخُـمورِ، ومَن يشـرَبُه من أهلِ المَساكنِ والـدورِ، فَإنَّه أصلُ المَعصيَةِ والخِلافِ والشُرُورِ.

فَـإنْ أجابَ هذا المُـدَّعِي العِلمَ عن مَـعانِي هذه السُـؤالات، بجـواباتٍ صحيـحةٍ مفيـدات، بغير تأويلٍ بالرأي والقِـياس، ولا هي مُجَمَّـعةٌ مِنْ عُلومِ المُدَّعِينَ من الناس، الذين لَبَّسُوا البَاطِلَ بالحقِّ، حـتى أَضلُّوا كثيراً مِنَ الخَلقِ، بل تَكُونُ جَواباتٌ عن أصلِ الـعِلمِ والدِّين، ممّا أَفادُوهُ الحُدودُ العـالِيِينْ، وَهُوَ العِلمُ الممَنْونُ به علـى عبـادِهِ الصالحين. فـإنْ أَتَى بما يُوافقُ الرشَـادَ وَدِيْنَ الحَقِّ، وَنَطَقَ بالصوابِ والسِدق، كان أَحَقَّ أَنْ يُقْـبَلَ قَوْلُهُ وَيُتَّبَع، وَيَسعى إليهِ وعَنهُ لا يُنقَطع.

فَالدَّيِّنُ اللّبيبُ العاقلُ لا يَأْبَى سُـؤَالَ العالِمِ المُحقِّقِ الفاضل، وَيَحْسُنُ بالمؤمنِ التَـعليمُ والانتبـاه، ما حَـسُنَتْ بهِ الحَيـاه؛ فإذا عَلِمَ مـا الحاجَـةُ إليهِ فَليْعَمَلْ بهِ ولا يَنْسَاهُ، وإنْ نَطَقَ بعلومٍ مُزخرفـةٍ وبجواباتٍ مَعكوسةٍ مُحرَّفة، وبألفاظٍ مُنَمَّـقةٍ مُؤَلَّفَة، يُمَوِّهُ بهـا على القليلِ البصيرة، إنّهـا تَخْرُجُ عن نفسٍ زكيَّةٍ خبيرة وإنَّه يُرشِـدُ مَنْ يُسَدِّقُهُ وَيَهديه، وَمِنْ دينِ اللّهِ يُزيدُهُ ويُقَوِّيه، بل هو مِنَ الحقِّ يُبْعِدُهُ ويُقْصِيه، وَيُضِلُّهُ وَيَغْوِيه.

فهـو كمـا قالَ فـيه وفي أمـثاله الدَسـتور: «رَبَّنا إنَّا أَطَعْنَا سَـادَاتَنا وكُبراءَنَا فَأضَلُّونَا السَبيْل»[8]؛ وقالَ: «والذينَ كَفَرُوا أَعْمالُـهُم كَسَرابٍ بَقيْعَةٍ

---

(٨) سورة الاحزاب ٣٣/ ٦٧.

يَحَسَبُهُ الظَمآنُ ماءً، حـتى إذا جاءَه لمْ يَجِدْهُ شيئًا»[٩]؛ كذلك عِلمُهُمْ مَفْسود، والقـائلُ منهم لَعينٌ مَـبْـعُـود. فإنْ لـمْ يكنْ عندَه جـواب، ولا يأتي بحقٍّ ولا صواب، فَلْيَسـعَ إلى عبدٍ فقير، مقِرٍّ بفضلِ مولاه ومُعترف، ومِنْ بحارِ عُلُومِه يَغْتَرِف.

فإنَّه يُجيـبهُ مما عن مولاه أفادَه، وادَّخَـرَهُ لنفسه عُدَّةً لمِيـعَادِه، وما وقفتْ عنهُ قَوَّتُه، تَضَـرَّعَ إلى مَولاه يُجيبُهُ برحـمتِه، وَيَتَفَضَّلُ عليه بِنعـمته. فنهـايةُ عِلْمِـه لا تُعْـرَف، وبحارُ فَـوائِدِهِ لا تُنْزَف. يَجُـودُ بهـا على أوليـائِهِ، وَيَمْنَعَها مِن أعدائِهم وأعدائِهِ.

والحـمدُ للّهِ على نِعَـمِـه وآلائه، ولهُ الشُكرُ على تَتَـابع أيَاديهِ وَمِنَنِهِ وَعَطائِهِ. وهو حَسْبي وبهِ في كلِّ الأمورِ أستَعين.

تَمَّتْ بحمدِ مَولانَا وَمَنِّه.

---

(٩) سورة النور ٢٤/ ٣٩ .

٧٤

الموسومة بإيضاح التوحيد

لِمَنْ تَنَبَّهَ مِنْ سِنَةِ الغَفْلَةِ وَعَرَفَ الحقَّ وأَبْصَر، وَإِثْبَاتِ الحُجَّةِ بِبُرْهَانِ الدِّينِ، وَالرَّدِ عَلَى مَنْ أَشْرَكَ بِالبَارِي وَشَكَّ فِيهِ وَجَحَدَ الحَقَّ وَأَلْحَدَ وَأَنْكَر

هي من أطول الرسائل، كتبها بهاء الدِّين سنة ٤٢٩ هـ . يوضح فيها عقيدة التَّوحيد، وكيفيَّةَ البرهان عليها. فيها يشير إلى مجالس الحكمة وما فيها من تعاليم في التَّوحيد. وفيها أيضا الدعوة إلى التستُّر، والبراهين على وجوبه، وأنواع العذاب التي تعرَّض إليها الموحِّدون في أوائل الدعوة. إنَّها من أهم الرسائل في مجموعة الحكمة.

توكّلتُ على المَولى الإلهِ الحاكمِ الذي أَنْكَرَ وجودَه الغاصِبون المُفتَرون الشاكُّون المُلحِدُون. وتوسّلتُ إليه بِولِيِّ حَقِّهِ الإمامِ السِدْقِ الذي اهتدَى بإمامته العارِفون المُوحِّدُون، وَعَنَدَ عن طاعتهِ مَن أَوْبَقَتْه أعمالُه العصاةُ المرقةُ الجاحِدون المُلْحِدون.

من العبدِ الأصغرِ المُقْتَنى النَّصيح، وَمَمْلوكِ الإمامِ الهادي القائمِ المسيح، إلى كلِ ذي لَسِنٍ وَنُطقٍ فصيح، إحتجاجًا على جميعِ المِللِ والأُمَم، وكافَّةِ العَرَبِ والعَجَم، وردًا لمقالاتِ الأفَكَةِ المُلحِدين، وَجَدًا وَدَحضاً لعقائدِ النَكَثَةِ المُدَّعِين المُنْتَسِبين إلى الدِّينِ والإيمان، والمُنكرين لظهورِ التَّوحيدِ

والتسديقِ والإيقان، الرَّادِّين على الباري تعالى في إرادَته ومشيَّته السَّائِبِينَ بالقَذْف للإمامِ المُنتَظَرِ قائمِ القيامةِ صاحبِ الكَشْفِ وَمُبَيِّنِ تَوحيدِ الباري وقُدسِ أُلوهيَّتِه، المُجاهِرين بَعْدَ مَعْرَفَتِه، بجَحْدِ أُمورِه ورُكوبِ مَعصيَتِه، الخَالِعين رِبْقَةَ ما حَتَمَهُ من إشهارِ تَوحيدِه ومَعْرِفَتِه.

أمَّا بعدُ، فالحمدُ للمولى الإلهِ الحاكمِ الموُجِدِ للمُوجَدَاتِ ليُوجَدَ، المُتَعَالِي عن تَنْزِيهِ بَرِيَّتِهِ ليُعْبَدَ ويُوحَّدَ، الجَاعِلِ لوليِّهِ الإمامِ الحقِّ الفضيلةَ بدعوةِ التَّوحيد، القائمِ بها إليه في كلِّ عَصْرٍ جَديد، حُجَّتُهُ على الأُمَمِ في مُقَدِّماتِ الأعصارِ ولواءُ حَمْدِهِ وميزانُ قسْطِه في جميعِ الأدوارِ والأكوار، وَمُقيمُ بِحُجَجِ حَقِّهِ وحُدُودِهِ فَلَجَاً بالحُجَّةِ على العَوالِمِ في أكنافِ الأرضِ وَمَظَانِّ الأقطارِ.

قالَ العبدُ المُقتَنَى المُعْتَرِفُ بالضَعْفِ والتَقْصيرِ، بالإضافةِ إلى مَن سَبَقَهُ من الحُدودِ العَاليةِ ذواتِ الشَرَفِ والتَأْثير: لَمَّا نظرتُ إلى فِرَقِ الإلحادِ وضَلالاتِهم، وتفكَّرْتُ في تَشَقُّبِهم في الاعتقاداتِ وتَفَرُّقِ مقالاتِهم، فوَجَدْتُ أقربَهُم رُحماً وأقلَّهُم بالنسبةِ إلى أهلِ التَّوحيدِ والحقِّ فَهْماً وعلِمًا، قَومًا أقرُّا بالتَّوحيدِ تقليداً بغيرِ بَيِّنَةٍ واسطَةٍ ولا بُرهان، وقولاً بألسِنَتِّم عَريًا من التَحقيقِ والتَسْديقِ والإيقان. وَهُمْ أَشَدُّ الفِرَقِ عداوةً للمُوَحِّدين، وأكثرُهُم لَدَداً وجَحْدًا للإمامِ العَدْلِ قائمِ الدِّينِ. وَقَدْ اصتَلَحَتْ نفوسُهم مع جَميعِ المُخالفين، على سبِّ أهلِ التَّوحيدِ المُحقِّين.

وأعظمُ حُجَّةٍ جعلوها لَهُم مَندوحةً سَبَباً لَقذْفِ المُوحِّدين، وتكذيبًا لأمرِ إلهِ العَالَمين، أنَّهم قالوا: إنَّكم أظْهَرْتُم التَّوحيدَ قَبْلَ أوانِه، وكَشَفْتُم مَا لم تُؤمَرُوا بِكَشْفِهِ في حينِه وزمانِه، وَشَهَرتُم كَلِمَةَ الأخلاصِ في جَميعِ الآفاق، ولمْ يكنْ لكم فيهِ قُوَّةٌ تَمْنَعُ منكم مكائدَ أَهْلِ الإبلاسِ والنِّفاق.

وبعضُهُم يقِرُّ ويقول : إنَّ الحقَّ معكم وفيما قُلْتُم، لكنَّكم أذَعْتُمُوه في

غير وقتِه، واستَعْجَلْتُم. ولمّا أُمِرْتُم بِسَتْرِه، كَشَفْتُم، وأبدَيْتُم صَفْحَةَ الدِّينِ لأهلِ الخِلافِ وبايَنْتُم.

فالجوابُ لأهلِ الغَفْلَةِ الظّالمين والجَماعةِ المَهِينَةِ المُقَصِّرين:

أمّا ما اعترَفْتُم لنا به فيما فَعلْنَاهُ، وأنْكَرْتُموه علينا من الذي أظْهرْناهُ من تَوحيدِ المَولى الحاكمِ وكَشَفْناه، وصرَّحنا به على رؤوسِ الأشهادِ وأذَعْنَاه، ففي هذا القولِ قد سَدَقْتُم، والحقُّ أنْطَقَكُم بما نطقتُم، غيرَ أنَّكم ألحدتُم وأشركتم، وعن الحقِّ والسِّدق عدلتم في تكفيركم وقَذْفِكُم لِمَنْ أطاعَ أمْرَ الباري وما عَصاه، وقَبِلَ إرادَةَ الإمامِ المُفْتَرَضِ الطاعةِ وما تَعدَّاه، إذ ليس في قُدْرَةِ المَخْلوقِ أن يَرُدَّ أمْرَ الخالِقِ وإرادَتِه، ولا للعبدِ أن يَعْتَرِضَ على المَعْبودِ في إشهارِ تَوْحيدِهِ وعبادَتِهِ، فكيف يجوزُ في مَعْقُولِ أهلِ العِلم، أو يَنْحصِرُ في غرائزِ أهلِ الوَعي والفَهْم، أنَّ إرادةَ البَشَرِ تَغْلُبُ إرادةَ الباري في كَشْفِ ما مِنَ التَّوحيدِ بيَّنُوه وكَشَفُوه، وكيفَ يَتُمُّ أنَّ الباري تَعالى أرادَ بِسِتْرِ شَيءٍ فَغَلَبَتْهُ عليه عَبيدُهُ وأظْهَرُوه؟!

فيا أهْلَ العدلِ انصِفُونا من قَومٍ جَحَدوا أحكامَ الباري، وبالسَفَهِ بايَنُوه، وَدَفَعُوا الحقَّ عِيانًا وَهُمْ يَنْظُرُوه. أفَتَنَاسَيْتُم أيُّها الغَفَلَةُ من فصولِ دعائمِ الإسلامِ، ما أُمِرْتُم بِحفظِه والحَضِّ عليه، أنَّ القرآنَ مَثَّلٌ لِخَاتمِ الأئمَّةِ صلواتُ اللّهِ عليه، الذي يَجْمَعُ اللّهُ العِبادَ على طاعَتِه ويُظْهِرُهُ على الدِّينِ كلِّه؟ ومثَّلَهُ بشَهرِ رمضانَ، وهو الشَهرُ التاسعُ من السنة، وفي الشَهرِ التاسعِ يكونُ وَضْعُ الحَمَلِ، وفي الشهرِ السابعِ تَكْمُلُ قوَّةُ الجَنينِ. ومثلهُ ذلك في تَأْويلِ الحكمة: أنَّ السابعَ من الأئمَّةِ تَظهرُ فيه القوَّةُ والتأييد، وهو مَولانا المعزُّ سلامُ اللّهِ على ذِكرِه، وأنّ ثالثَه هو ثاني ثانيهِ يكونُ فيه وَضْعُ الحَمَلِ، وكمالُ الولادَةِ بعد سابعِ الأسبوعَين الذي لا أسبوعَ بَعْدَه، القائمُ صاحبُ الكشفِ ثاني ثانيه.

فيـا أهلَ العـدلِ! أَلَمْ يَقُلْ لكم إنَّ مولانا المعـزَّ سلامُ اللّهِ علـى ذكره، وهو سـابعُ الأسبـوعَين الذي لا أسـبوعَ بَعْـدَهُ؟ ثُمَ قـال: إنَّ القائمَ صـاحبُ الكشفِ ثاني ثانيـه؟ فَهَلْ بَقِيَ من وراءِ قـولِه مَطلوبٌ لذي حِجْـرٍ سوى الردِّ لحِكْمَـةِ الباري تعالى والخـروجِ عن الأمر؟ فـأُغْفِلْتُم عن تَصـوُّرِ هذه الحِكَمِ الجَلِيَّةِ باللَدَدِ والجَحْد، وأَلهاكُمُ الظُلْمُ والجَوْرُ عن الشكرِ والحمد.

فيا أيُّها الغَفَلَةُ الظَلَمَةُ لأنفسِهم! لو كان الكَشْفُ شيئًا يَقدِرُوا العوالِمُ عليه في أيِّ وقتٍ أرادوه وطَلَبُوه، لانفَسَدَ نظامُ الدِّينِ وكان ذلك وَهْناً وعَجزاً في قُـدْرَةِ البـاري. وحاشـاه إذا حكَّمَ الخَلْقَ في إرادَتِهم فـيـما تعـبَّـدُهم به ويَطلبُوه.

وأيضاً يَبْـطلُ ما حكَمَ به الباري وأَجـراهُ على أَلسُنِ عَبـيدِ حـقِّه ممَّا رتَّبُوه لاهلِ الدِّينِ وأصَّلُوه: إنّ الزمانَ على مَـعْنَايَين: دَوْرُ سِتْرٍ ودَوْرُ كَشْفٍ، لا يَخرجُ عن هذه المعنايَين شاءَ العوالِمُ ذلك أم أبُوه.

تاللّه، لَقَدْ طُمِسَ على قلوبِ هذا العَالَمِ وبصائِرِهم. والعدلُ فهو الذي كَشَفَ لأهلِ الحقِّ عن ضمائرِهم وسـرائِرهم. فالباري يَكْشِفُ عمَّنْ ظَلَمَ أَهْلَ السِدْقِ، ولَدَّ وجَحَدَ ورَجَعَ وكَفَر، وَيرْفَعُ حلْمَهُ عمَّن شَكَّ في الحقِّ وعانَدَ أهْلَهُ وَنَكَثَ وَغَدَر.

فيـا أَيُّها الغَفَلَةُ! أمـا هذا الذي كنتم به تُوعَدُون؟ أمَـا هذا الذي كانوا شيوخُ أهلِ الدِّينِ إليه يُشيرُون، وكافَّةُ أهلُ الحقائِقِ والبصائرِ وذوي العقولِ له مُنتظِرُون؟

تاللّه لقد أَقْـعَدَكُم عن القيـامِ بِحُقُوقه خـبائثُ الأعمـال، وأَلْهَاكُم عن الكونِ في جُمْلَةِ المُحقِّين الخوضُ مع أهلِ النَكْثِ والخِلافِ والضلال. فَشَرِبْتُم بالظلمِ دمـاءَ المُوحِّدين المَظْلُومـينَ نَهلا، وسَـفكْتُم الدَّمَ الحرَامَ برضـائِكُم لمن

أَطلَّهُ عصيانًا للحَقِّ وَزَلَلا. فأنْ لم تَتُـوبُوا عن هذه الجرائم فَسَيَأْتِيكُم العذابُ قِبَلا.

فـمن حيثُ أَمِن أهلُ الحقِّ علـى نفوسِـهم أَتَيْتُـمُـوهم، وبأَسْلِحَتِـهم قتَّلْتُمُوهُم، ومن بيـوتِهم ومقاطِنِهم أَزْعَجْتُمُوهم، وعـلى صبرهِم على البلايا والمِحَنِ وَبَّخْتُمُوهم، وقُلْتُم لو انَّكـم كَشَفْتُم ما كَشَفْتُـمُوه بأمرِ حقٍّ لما سُفِكَتْ دمـاؤُكُم في جمـيعِ البلدان، ولما هُتِـكَتْ حريمُكُم وَسُـبِـيَتْ ذَرارِيكُم في كلِّ مَوْضِعٍ ومكان.

وَرَدَدْتُمْ على البـاري تَنَزَّهَ وَتَعَـالى في حُكْمِه، وَدَخَلْـتُم عليه تعـالى واعتَـرَضْتُم في عِلْمِــهِ، وساعَـدْتُم جمـيعَ مَن قامَ على أَهْلِ الحقِّ في ظُـلْمه. وَنَسيـتُم قولَ المَجْلسِ المكَرَّمِ وهو أنَّ القائمَ إذا ظَهَـرَ يظهرُ بالوَحْدانيَّـةِ؟ فلمَّا قامَ بالوَحـدانيَّةِ يا أهلَ الكفرِ أنكرتُمُوه، وخَـالَفْتُم ما تَحَقَّـقْتُمُوهُ وعَلِمـتُمُوهُ وَجَحَدْتُمُـوه، وَبَايَنْتُمُ بردِّ أَمْرِ الباري وَقَتْلِ أَوليـائه كما في الأعصُـرِ الخالِيَةِ أَلِفْتُمُوه.

وَقَولُ المَجْلسِ الثـامن والثلاثين: فأوَّلُ الفَـرْضِ عليه معرفـةُ تجريدِ التَّوحيدِ، ونَفْيِ التَشْبيهِ عنه من جمـيعِ المَعَاني والجِهات، ومعرفةُ ما تَفَرَّدَ به خالقُ الأرض والسَمَوات.

فـأوَّلُ حَدِّ التَـجْـرِيدِ الفَرْقُ بين المَعْـرِفَـةِ والعِلْم، وبمعـرفَةِ تجـريدِ التَّوحِـيدِ يتمُّ الرُشْدُ والتـأييد، وبالتَّوحـيدِ تُعْرَفُ الأشـياءُ كلُها لا بالأشـياءِ يُعْرَفُ التَّـوحيد. فَجَـعَلَ الفَرْضَ على أَهْلِ الطاعةِ من عـبادَتِهِ مَعرِفَـةَ تَجريدِ التَّوحيد، وَنَفْيِ التَشبِيهِ عنه من جميعِ المَعاني والجِهاتِ.

فكيف يا أهلَ العَدْلِ نَنْفي عنه التَـشْبيهَ من جميعِ المَعَـاني والجِهاتِ، إلاَّ بِنَفْيِ البنوَّةِ والأُبُوَّةِ وَنَفْيِ الأزواجِ والأولادِ والأمَّـهَات، التي ظَهَـرَ بها في

دَوْرِ السِتْرِ من حيثُ العالَمُ إلى حِينِ الكَشْفِ وتَمَامِ الميقات، لأنّه تعالى تَنَزَّه عن الإمامَةِ التي هي لِعَبْدِهِ القَائِمِ بكَشْفِ دَعْوَةِ التَّوحيدِ بالبراهينِ والدَلالات، وظَهَرَ بالألُوهِيَّـةِ تَعَالى عن التشـبيهِ والتـحديدِ وجميعِ الـصفات. فحـقائقُ التَّوحيدِ والتَنزيهِ والتأْليهِ هو الذي تَفَرَّدَ به المَولَى إلهُ الأرضِ والسَمَوات.

ثمَّ قالَ : إنَّ أوَّلَ حدِّ التَجريدِ الفَرْقُ بين المُعرِفَةِ والعِلْمِ .

والمعرفةُ إنَّما هي لما شُوهِدَ وعُوينَ[١٠]، حجَّةً على العوالِمِ بنَفي العَدَمِ وإثبَاتِ التَنزيهِ لذي العَقْلِ والفَهْم. فَنفَى عن جـلالَتِهِ تعالى ما يُشَاهَدُ وَيُنْظَر. وأَثْبَتَ الوجودَ لمَّا غابَ وتنزَّهَ عن الجِـهَتَينِ بمُوجَبِ التَأليه، وَحقِيـقيَّةِ الحكمِ. وعَرَّفَنا أنَّه لا يَتِمُّ الرُشْدُ والتأييد، إلاّ بتـجريدِ التَّوحيد، أي نَفْيِ العَدَمِ وتَنْزيهِ الموجودِ عن المعرفةِ والعِلم.

وفصولُ المَجَالِسِ ومأثورُ الدَعوةِ قد أقامَتِ الحُجَّةَ على العَالَم، ودلَّتْ على أنّ القائمَ هوالذي يَظهرُ بالتَّوحيد، وقد رَدَدْتُم مـا سَمِعْتُمُوه وأُمِرتُم به، وأَخْلَدْتُم إلى الكُفرِ والجَحْدِ والتَلْحِيد.

فأنتم أيُّها الجَحَدَةُ! لمْ تتَحقَّقُوا وُجوبَ ظُهورِ التَّوحيد. فأين لكم أيّها الهَلَكَةُ بالـوُصولِ إلـى الفَـوزِ بمعانـي التَّنزيهِ والتَـجـريد؟ ومَن رَدَّ ظُهـورَ التَّوحيـدِ وقامَ على أهلِ الحقِّ في شروطِ القيامةِ فـهو أَحْسَنُ منزلةً من أهلِ التَقصيرِ الذين لم تَرْقَ عقولُهم إلى التَّوحيدِ ووَقَفُوا عند مَنزِلَةِ الإمامة.

وأنا أقـولُ : إنَّ طَلَبَ التَّـوحـيـدِ فَـريضـةٌ علـى المُؤمنين العـارفين. والفريضةُ القُصوى والشَرَفُ الأطوَلُ قَبُولُ أمرِ إلهِ العالَمين.

---

(١٠) من هنا لقب : بنو مـعـروف للموحِّـدين، أي: هم الذين عـرفـوا اللاّهوتَ ظاهراً في النّاسوت؛ أي: هم الذين عرفوا اللّهَ حقَّ معرفته، وعرفوه واحداً في كينونته، مكشوفاً أمام أعينهم، معروفاً بصفاته وأعماله.

ثمّ قالَ بعد فَرْضِ مَعْرفَتِه وَتَعيينِ اسمِه وَصفَتِه أنَّه عَرَفَ ذلك. فالفَرْضُ عليه معرفةُ الآمرِ النّاهي، وأنَّ له آمراً وناهِيًا، وانَّه عَدْلٌ لا يَجُور. ولا يُكَلِّفُ نفسًا إلاّ وُسْعَها وطاقَتَها. فقد فَرَضَ معرفةَ الآمرِ والناهي، وعرَّفَنا أنَّه الإمامُ الذي قامَ بدعوةِ التَّوحيد، وأعلَمَنا أنَّه قابِلٌ لأَمرِ الباري وَنَهيِه جلَّتْ آلاؤه آمِراً بالتَقديسِ والتمجيد.

وقدْ أشبعتُ المَعْنَى في الردِّ على هذه الفرقةِ في رسالةِ التَنبيه[١١]، وشرحتُ هذا الفصلَ والذي يَتلُوه من ذِكْرِ إظهارِ المَذاهِب، وفهمَهُ من أَذْعَنَ لحقيقيَّةِ التَّوحيدِ والتَّأليه. وانَّما ذَكَرْنا هذه الجَذاذَةَ[١٢] عِظَةً لمن آثَرَ الخُروجَ من خِطَّةِ أهلِ الإلحادِ والتَشْبِيه.

فلْيعلمْ هؤلاء السَهوةُ أنَّ الآمِرَ الناهي هو إمامُ الموحِّدين القائمِ في الأدوارِ، وهو أَمْرُ إلهِ العالَمين. وهو الذي قامَ بأمرِ الباري بكَشْفِ التَّوحيد. وأمرَ به من أطاعَ وقبِلَ أَمْرَه مِن المُوحِّدين المُحقِّين، اتِّبَاعا لما خَرَجَ به السِجِلُّ المُكرَّم، عن أمرِ العالي الشريفِ المُعظَّم، في تخييرِ العالَمِ في مذاهِبِهم، وكَشْفِ نِحَلِهِم وعقائدهم. وهذا هو أصحُّ دليلاً وأوضحُ برهانًا لمن سَدَقَ في قولِه: إنَّه من أَهْلِ التَّوحيدِ والإيمان.

ومن تَمَرَّد عن قَبولِ هذا الأمرِ، ولجأَ إلى اللَدَدِ والإنكار، واعتَرَضَ فيه واستكبَرَ عنه فَقَدْ رَدَّ أَمْرَ الباري وَخَرَجَ من جملةِ المُوحِّدين الأطهار، وهو أَميطُوا عن نفوسِكُم مَواردَ الخوفِ والنِّفَار، وأزيحُوا عنها فسادَ التَخَيُّلِ والأَسْتِشْعَار، وتحقَّقُوا أنّ أميرَ المُؤمِنين قد أَوقَفَكُم مَوقفَ التَخْيير، وكفاكُم في اعتقاداتِكم مَؤُونَةَ التَخَفِّي والتَسْتير، لِيُخْلِصَ كلٌّ منكم في العَمَلِ، ولا يَركَنَنَّ في العُدولِ عمَّا يَراهُ ويَدِينُ به إلى أسبابِ الموانِعِ والعِلَلِ، فَقَدْ ضيَّقَ

---

(١١) الرسالة، رقم ٤٢ من الجزء الثالث.

(١٢) معناها فضل الشيء على الشيء ، والمراد بها رسالة الإيضاح بكمالها

أمـيرُ المُؤمنين عُـذْرَهُ في ذلك بِتَبْلِـيغِـه إيّاهُ كُنْهَ مرادِه، وَحَـضَّه على إظهـارِ اعتقادِه.

ثمّ كان بعد قـراءةِ هذا السجلِ الكَريم، ما انتشرَ بأمـرِ الباري تعالى من إذاعةِ التَّوحيدِ والدِّينِ القَويم. فمن أَظْهَرَ عـقيدَتَه كما أَمَرَهُ مولاه، وأطاعَهُ ورَضِيَ بحكْمِه وقَضَاه، ولم يرتابُ بما أَمَـرَ به في دينِه ودنياه، أظْهَرَمذهبَه على رؤوس الأشـهاد، وكـشف مـا أُمِرَ بكشـفـه على رَغْمِ أنوفِ أهلِ الرِّدَّةِ الخَوَنَةِ الأضداد، وأَشْهَرَ دِينَهُ طاعةً وتسليماً للآمرِ الناهي في أقطارِ الأرضِ وآفاقِ البِلاد.

فأجابَ أهـلُ الطاعةِ وأقْبَلُوا إلى دَاعي الحقِّ مُسـارِعين، وأَمَرَ المولى تعالى جَبَرُوتُه بأيضاحِ دَعْوَةِ التَّوحيدِ وبثِّها في أَعْظَمِ مَوضِعٍ في الفُسْطَاط، وأَمَرَ بالإخـلاءِ لِعَبْـدِه وَوَلِيِّه دارَ الأنمَاط، ونَادَى المُـنادي بتجـديدِ التَّوحـيدِ والسِدْق، وأَقْبلَ من الآفاقِ إلى الدَعوَةِ الهادِيَةِ مَن تأَسَّمَ بِدِينِ التَّوحيد، وقَبِلَ أَمْرَ إلهِ الخَلْق، وأُخِذَ ميثاقُ التَّوحيدِ بها على مَن رَغِبَ في دِينِ الحَقّ، وَرُفِعَتْ أحكامُ القُضـاةِ وقُبِضَتْ أيادي أصحـابِ الشَرْطِ وجمـيعِ الأيادي السُلطانيَةِ عمَّنْ أَجابَ دعوةَ القائِمِ الهادي، وَرُفِعَ قدرُهُم عن أحكامِ الشَرْعِ وَقَطْعِ الميثاق الرِقِ، وأزالهُ عن مَمَاليكِ الدِّين. فهلْ أَعْظَمُ من هذه النِعَم والأيادِي!

فيا أهـلَ الدِّين! أيكونُ أعظمُ من هذا الأمرِ العَالي وإشـهـارِهِ للخاصِّ والعامِّ بشـهادةِ الوليِّ والعادي، لتَحـقيقِ دَعوَةِ التَّـوحيد، وتَعيينِ القـائِمِ بها وَبَثِّ حِكْمَـتِهِ في الآفـاقِ شَفـاءً لقلبِ ذي السَّغَبِ الصَّـادي، إذ عالَمُ الطـاعةِ مُفْطِرونَ على طاعَـةِ الإمام. وفي جبلاَّتِـهم التَهَيُّءُ والاستعـدادُ لهذه الأيّام. فَهُمْ لِحِكْمَتِه مُسدِّقُون، ولِعَهْدِه رَاعُون، ولميثاقه مُوفُون، ولِحُدودِه حَافظون، وبالشَهيرَةِ إليـه دَاعُون، قد سَلَّموا إليه أَنْفُسَـهُـم وأرواحَهم. فكيف يَجْزَعُون على الأَجْسَامِ الفَانيَةِ وفي تحليلِها فَرَجُهُم وصلاحُهُم؟ أو يأْسَوْنَ على قَذْفِ الفَاسِقِين، وما صَنَعَتْهُ أيدي الغَاصِبِين؟!

والعدلُ يُوجِبُ الطاعــةَ للإمامِ العَدْلِ على ما ســاءَ وسرَّ ونَفَعَ وَضَرَّ، والباري جلَّتْ آلاؤُهُ عــادلٌ غيــرُ جائر، وَقَدْ كــانتْ عُقُوبَتُــه وثوابُه للأنامِ في دَورِ السِتْرِ بعد عَدْلِه على مــا في القلوبِ وَمكْنونِ الضمائر. وهذا الوقتُ فهو دورُ القيامةِ وفيه كَشْفُ المذاهِب، شاءَ العوالِمُ ذلك أم أَبَوه، وإظهارُ السرائرِ ولو تأخَــرَ كَــشْفُ التَّــوحيــدِ مــا تأمــرَ من المَدَدِ والأزمــان، لم يَكُنْ بدًّا لأهل الخِلافِ والتَــقْصــيرِ والعِصْــيَان، من القِــيامِ على أهلِ التَّوحــيدِ والتَــسْديقِ والإيقان، لأنَّه الفِطْرُ الذي كانوا الأمم به يُوعَدُون ، وعن القِــيَامِ بطاعةِ الإمامِ القائِمِ به يَسْأَلُون.

كما حــقَّقَ ذلك المَجْلِسُ الثالثُ من المائة الثانية لأهلِ الحِــفْظِ والخُبْرِ، الذين عمُــوا عَنْهُ وَهُمْ يَنْظُرون أهلَ الجَحْدِ والكُفــرِ. وهو إذنْ يومُ الفطْرِ، على صَاحِبِ الكَشْفِ وَقَــبْلَ الطُهْر، وَقْتَ غَيْبَتِــه، والآنَ للنُجَبَاءِ أن يُقيــمُوا الدعوةَ باسمه لمن وفَّقَه اللّهُ لذلك من بَريَّتِه، وبعد الظُهْرِ بَعَدَ ظُهورِهِ، فصارتْ واجبةً على المُجــيبِ في وَقْتِ الغيــبَةِ في فداءِ الــنَفْسِ مقبــولةً منه، ومن أجــابَ بعد ظُهورِهِ وَقَفَ فَكاكُهُ، وَقَرَّتْ بَعْدَ الفَتْحِ لهُ إذا اســتَحَقَّ بمِثْلِ الأضْحِيَةِ عَيْنُه، لا يَنْفَعُ نَفْسًا إيمانُهــا إنْ لمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ، أو كَسَبَتْ في إيمانِهــا خيراً على معنَايَينِ تَأويليَّةٍ في فَواتِ الفِطْرِ وضُروبِ التَطْهِــيرِ، وتَرْكِ قبولِ الأعمالِ عند ظهورِ القــائِمِ ووُجوبِ التَغْيِــيرِ. فَقَدْ حــقَّقَ المجلسُ المكرَّمُ أنَّ يومَ الفِطْرِ على صاحِبِ الكَشْفِ.

أَفَتَقُــولُون يا أهلَ العَدْلِ وَوَفاءِ الذِممِ إنّ الباري مــولانا جلَّ ذكرُهُ هو صاحبُ الكَشفِ والفِطْرِ تَعَالَى عن ذلك وتنزَّهَ عن هذا الــتَحديدِ المُؤْذِنِ للعَمى والصَمَمِ، بل هو عَــبْدُهُ الإمامُ القائمُ الهــادي الذي أَمَرَهُ الباري بأَخْذِ المــيثاقِ والتَّــوحــيدِ على جَــميعِ الأمم، وجَــاهَرَ بالتَّــوحيــدِ وبايَنَ به جــميعَ الخَلْقِ وأخرجَهُم إلى الوجودِ من العَدَم.

وقَولُهُ: «والآن للنُجَبَاءِ أنْ يُقيمُوا الدعوةَ باسمهِ لِمَنْ وفَّقَهُ اللّهُ لذلك من بريَّتِه» : أَفَتَقولون يا أهل النَصَفَةِ ان النُجباءَ يُقيمون الدَعوةَ بغيرِ واسِطَةٍ، أم تَقُول ان الباري تَعالى يُقيمُ دعوةَ التَّوحيدِ بِهُويَّتِه. فإنِ اعتقدْتُم هذا القولَ فقد جَعَلْتُموه واسطةً يُقيمُ الدعوةَ لمن هو أعلى مِنْهُ تعالى وتَنَزَهَ عن هذا الشِرْكِ المُباين للحقِ بكليِّتِه، بل جلَّ مجدُهُ وتَقَدَّسَ عن الإضافةِ إليه وتنزَّهَ عن تَجديدِهِ وَصِفَتِهِ.

فَقَدْ رَدَدْتُم في جميعِ عقائِدكُم حقائِقَ الدِين، وَعَدَلْتُم عن الحَقِّ وَجُرْتُم على من قَبِلَ أَمْرَ البارِ إلهِ العالَمين، ولم تُوقِّنوا، وكذَبْتُم بما أُمِرَ به في المجَالِسِ المُكرَّمةِ التي هي حُجَّةٌ على المَرَقَةِ الجَاحِدين.

وقد مَضَى الفِطْرُ وقامَ به الإمامُ الهادي كما هو في هذا المَجْلِسِ المُكَرَّمِ عند كثيرٍ من هذه الطائِفَةِ مكتوب، ولا بُدَّ من وُرُودِ يومِ النَحْرِ للأَمَمِ الجَاحِدَةِ اذ هو الحقُ الموجوب.

ونحن نُشَفِّعُهُ بما ثَبَتَ في فُصولِ دَعائِمِ الأسلامِ من ذِكْرِ المِيثاقِ، وتَعيينِ بَلَسٍ مَن آلَ أَمْرُهُ إلى النَكْثِ والارتدادِ والجَحْدِ والنفاق، وهو يومُ الترويَةِ وخروجُ الناسِ إلى مِنَى وفيه يَرتَوِي الحَجِيجُ من المَاءِ وَيَقْدِروا عليه بَعْدَ عَدَمِهِ في طريقِهِم وَتُروَى بهائِمُهُم.

وَمَثَلُهُ مَثَلُ الإمامِ السابِعِ مولانا المُعِزّ سلامُ اللّهِ على ذِكرهِ الذي كَمُلَتْ فيه الحِكْمَةُ ورَوَّى العالَمَ بالعِلْمِ ظَاهرًا وباطِنًا وهو الذي يُولَدُ لِوَلَدِهِ خَاتِمُ الأئمَّةِ قائمُ القيامةِ صاحبُ المِيثاقِ.

فيا أهلَ الثِقةِ والتَّوحيد، ويا شيوخَ التَنزيهِ والتَجريد، أَتَقُولُون إنَّ الباري وَلَدٌ أم وَالِد؟ أم تَقُولون إنَّه إلهٌ منزَّهٌ واحد؟ فلا تَغْفَلُوا عن تأمُّلِ الحَقِّ فَيُخْرِجُكُم السَهْوُ والبَلَهُ إلى الارتدادِ والنِفاق.

واعلَمُوا إنّما جَرَتِ العِبَارَةُ عنه بالوَلَدِ والوَالد، وقائمِ القيامَةِ وصاحِبِ المِيثاقِ فهو كِنايةٌ لَهُ من حيثُ العالَم بالمَعبودِ عن العَبدِ، إذ كانَ البَاري تعالى مُنَزَّهًا عن الفِعْلِ والصِفَةِ والنَعْتِ والحَدّ. وإنما كانتْ هذه العبارةُ جَائِزةً في دَوْرِ الستْرِ وظُهورِ الباري تعالى باسمِ الإمامِ، وهذا أَعْظَمُ دليلٍ وأوكَدُ بُرهانٍ على شَرَفِ هذا الاسم وَمَعناهُ وتعيينُه بالإجلالِ والإِعْظام.

فانتَبِهُوا أيُّها السَهَوَةُ من هذه المَتيهَةِ العَميَّة، ولا تَتَمَادَوا في الغَيِّ بَعْدَ وُضُوحِ الحَقِّ كَفِعْلِ الجَاهِليَّةِ الأولِيَّة. فالباري يُعَجِّلُ فَرَجَ أوليائهِ المسْتَضعَفين بقائِمِ الحَق وَلِيِّه، وَيُديلُهُم من أعدائهم وَعَدُوِّه.

وبعدَ يومِ التَروِيَةِ، يومَ عَرَفَة، وفيه يكونُ الوقوفُ بجبالِ عَرَفَة لانتظار الرَّحْمَةِ والفَرَجِ للمُؤمنين. وهُو مثْلُ الإمامْ الذي يكونُ بين يَدَي القائمِ مولانا العزيز علـى ذِكْرِهِ السلام، ومنه يَنْتظِرُونَ قِيامَ القائِمِ سلامُ اللّهِ على ذِكْرِهِ بالفَرَجِ للمُؤمِنِين.

ثُمَّ نُشفِّعُهُ بتَأْويلِ يَوْمِ النَحْر، وهو يومُ الحجِّ الأكبَرِ والتَضحِيَة، وفيه يَستَقرُّ الناسُ بِمنَى وتُراقُ فيه الدِمَاءُ. وهو مَثَلٌ لِخَاتِمِ الأَئمَّةِ عبدِ مولانا الحَاكِمِ سَلامُ اللّهِ على ذِكْرِه، وفي وَقْتِهِ تُنْحَرُ المُخَالِفينَ، وَتَشْمَلُ الرَحْمَةُ لجميعِ المُؤمِنين.

وجميعُ ما يَجْري من هذه الألفَاظِ المُقَدَّمُ ذِكْرُها إنَّما كانتْ جَائِزةً في دَوْرِ السترِ، وإنّما حين ظَهَرَ تَعَالى بالألوهِيَّةِ فَقَدْ عَرَفَ حَقيقَتَها مَنْ سَلَّمَ للنَهْي والأمْر.

وَقَدْ وَصَلَتْ هذه الفصولُ إلى كافَّةِ مَن يَنْتَسِبُ إلى الدِّينِ وَتَذَاكروا فيها وبها جَمَاعَةُ المُؤمِنِين، وَتَكَرَّرَتْ على أسماعِهِم بالمَغْرِبِ وَظَهَرتْ بِبلَدِ

الفَسْطاطِ مُدَّةَ هذا الزَّمَنِ والسنين. «فلمَّا جاءَهُم ما عَرَفُوا كَفَرُوا به – وأنكَرُوه– فَلَعْنَةُ اللّهِ على الكافِرين»[١٣]. فما ازدادوا بها لِخُبْثِ أعمالِهِم إلاّ عَمًى في البَصائِرِ والأبْصار، وَرُجُوعًا إلى القَهْقَرى، وقيامًا على المُحقِّين الأطهار، فهم بهذا الفِعْلِ الذَميمِ أنْجَسُ الأنجاسِ وأشرُّ الأشرارِ.

والعدلُ هو الذي أوْجَب إظهارَ عقائِدِ هؤلاءِ المُلَبَّسِين وتَعيينَ ما يُظْهِرُهُ عالَمُ النَجَسِ وأهْلُ التَقصيرِ والمُرتَدِّين، من الكِذْبِ على أهلِ الحَقِّ والنفاق، والفَتْكِ بأولياءِ الدينِ، والنَكْثِ على اللّهِ وَوَلِيِّه والإباقِ، كي يَفْرُقَ قَبْلَ القيامَةِ وبين المُقِرِّ والجَاحِد، ولِيَتَمَيَّزَ الوَلِيُّ الطائع من الشَّاكِّ المُعاند، ليكونَ عِقابُهُ جلَّتْ آلاؤُهُ على بُروزِ الأعمال، وتَعيينِ الجناياتِ من أهلِ الأُفْكِ والضَلال.

وأيضاً لو لم تَقُمِ الدعوةُ بإظهار التَّوحيد، كيف كان يُعْرَفُ الكافرُ العَاصِي من المُقِرِّ الطائِع؟ وكيف يَتَبَيَّنُ الخَبِيثُ المُرتَدُّ من الوَلِيِّ المُشائِع؟ وقد سُئِلَ الإمامُ إليه التَسْليمُ ومنه السَلام، عن السَاعَةِ متَى تقومُ فقال إذ لم يَبقَ في العالَمِ شَرٌّ مكْمِنٌ أو يَظْهَر، وانَّما تقومُ الساعةُ على أشَرِّ الأمَمِ بخيرِ الأمَمِ وأشْرَفِ وأطهَر، أولئك أعرافُ الحَقِّ ساداتُ الأمم، الرَّافِعون الحَقَّ على كلِّ مَنارٍ وَعَلَم، الآخِذُون بثَأْرِ أهْلِ التَّوحيد، المُقيمُون الحَدَّ بأمرِ الإمامِ العَدْلِ قائِمِ الحَقِّ على أهْلِ الشَكِّ والكُفْرِ والتَلْحيد، جزاءً لارتكابِهِم من المُوَحِّدين العظائم، واستحلالِهِم منهم الكَبائِرَ والمآثِم، جَرَاءَةً على البَاري تَعالى فيما أمَرَ به من التَّوحيدِ وَكَشْفِ نِقَابِه، وانتهاكِ المَحَارِمِ وَوَفاءً بِذَمِمِ الإبليسِ وشياطِينِه وأتْرَابِه، الذين اعتَقَدُوا بالبَلَسِ إمامَةَ البَاري وزَعَمُوا انَّهم يوَحِّدُّوه، فَجَعلُوهُ من جِهَةٍ عبداً مُفيداً مَربوبًا ومن جِهَةٍ أخرى قَولِهِم يُنَزِّهُوهُ وَيَعْبُدُوه.

---

(١٣) سورة البقرة ٢/ ٩٠.

فكيف تَصِحُّ عقيدةُ هؤلاء الخَونةِ الأدعـياء، أو تَثْبُتُ في الحَقِّ قاعدةٌ لهذه الجمـاعةِ الهلَكَةِ الأشقيـاء، إذ الحقُّ الذي يَعْتَقِدُوهُ أهلُ العلمِ والتَّـوحيدِ والدِّينِ أنَّ الإمـامَ سـلامُ اللّهِ على ذِكـرِهِ هو المُمِدُّ والمُؤَيِّدُ لحـججِـه وحُدودِهِ المَنصوبِين. وهو الدّالُّ لكافَّـتِهِم إلى توحيدِ ربِّ العالَمِـين، وهم المُمِدُّونَ لدُعاةِ الجزائرِ والأقاليمِ المُتَفَرِّقِين.

فإنِ اعـتقدتْ هذه الطـائفةُ التائهـةُ أنَّ الباري تنزَّهَ وتعـالى هو المُمِدُّ والمُؤَيِّدُ للحجَج والدُّعاة والحُدود، فَقَدْ أَلْحَدَوا فيه وفي حدوده، وأشركُوا بين العبدِ والمَعبود. وإن أَقَرُّوا بَعـدَ فَسْخِنا لإفكِهِم أنَّه إلهٌ مُقَـدَّسٌ مُنَزَّهٌ عن الحَدِّ والمحدود، فلا بُـدَّ من إثباتِ الإمامِ العَدْلِ صـاحِبِ الميثاقِ الدالِّ على التَّوحـيدِ والتنزيهِ وحقيقيَّةِ الوُجود، الآخِـذِ بثأْرِ أوليَائِه المُمْتَحَنِين الرُكَّعِ السُجُود، من آل السَفَهِ والفِـسْقِ والجَهل والجُحود، الذين رَفَعُـوا بالبَلَس رؤوسَ الأشهادِ على رؤوسِ الرِماح، وَسَـقُوهُم بالجَوْرِ والظُلْمِ كأسَ الذَباح، مع مـن أغرَقَوا في البحار، وأحرقُوهم بلهـيبِ النار، وذَرُوهُم في الرياح، وَقَتَلُوا الجَمَّ الغَفيرَ بسـيـوفِ الأضداد، بعـد سَـبي النسـاءِ والأولاد، وقَطْعِ قلوبِهم والأكـبـاد، وتعليقِ رؤوسِ الرجالِ المُوحِّدين في أعنـاقِ أخواتِهم وبناتِهم، وذَبْحِ الأطفالِ الرُّضَعِ في حُجُورِ أمَّهاتِهم.

فلمْ يَرعَـوا لأحدٍ في اللّهِ إلاً ولا ذِمَّـةً فيَـرْحَمْـوا صغيـراً لِصَبَـوَته وَصِغَرِه. ولم يَعْـفُوا عن كَبِيرٍ لشيـخوخَتِهِ وهرَمِهِ وَكِـبَرِه، بل أجرُوهُم على حدِّ السـيوفِ قَـتلاً وصلبـا، وفي الشوارعِ شَـقّاً لبطونِهم، وَجَـرّا بأرجُلِهِم وَسَحْبا، ولأموالِهِم وذَرَارِيهِم سَبياً ونَهْبا.

فَأَلاَ أجْـريتُمُوهم أيـهـا الظَلَمَةُ فيـما اعتـقَدْتُمُوهُ بأَخْـذِ الجزيَةِ منهم مَجرى الفَريقَين النَّصارى واليهود، أو تفكَّـرتُم فيما أمَرَ الباري بأخذِهِ عليكم في حِفْظِ أوليائِه قَـبْلَ الغَيبَةِ من المَواثيقِ والعُـهُود، بل ذَبَحْتُمُـوهم كما تُذْبَحُ

الجُزُرُ والغَنَمُ عـداوةً للّهِ، وَوفاءً للفـراعنَة بالذمَمِ. فإلى البـاري تعالى وإلى وليِّه المُسْتَغاثُ والمُشْتَكَى، وإلى رَحمَتِهِ المَفْزَعُ والمُلْتَجا. فما أجرأَ إلى مِثْلِ هذا الكفرِ بعد الإنـذار والتَخْويفِ أُمَّةٌ من الأمَمِ، ولا سُمِعَ بمثـلِ هذه الفادِحَةِ في العَرَبِ والعَجَم.

هذا بَعْدَ الـفِطْرِ وإشهَارِ دِينِ الـتَّوحيـدِ، وبَعْدَ نظَرِهِم فـيمـا يُظْهِرُهُ الباري تعالى وإقـامةِ الحُجَّةِ على الأمَمِ بأمرِ إمـامِ الزمانِ بأخْذِ المَواثيقِ على أهْلِ الطاعةِ بالتَنزيه والـتَجريد. وبعد فَـتْحِ بابِ الدَعْوَةِ بالفُسْطاطِ وَحُـضورِ الجَمِّ الغَفير لسَمَـاعِ حِكْمَةِ التَقديسِ والتَمجيد، نكَثُـوا بعد سماعِ هذه الحِكمِ وإقامةِ عظائمِ الحُجَجِ كما فَعَلَ أتباعُ الإبليسِ من قَبْلِهِم.

فواأسَفاهُ على أهلِ الحَقِّ وعلى التَخَلُّف من بعـدِهِم، وَوَالَهفَاهُ حَسْرَةً واستوجَاعاً لفقدهم. هذا من حيثُ التَخْليقُ وبَثُّ الصُدورِ في الأجسامِ، وحقُّ الباري عندنا وَعَدْلُهُ يُوجِبُ أخْذُهُم بثأرِ أنفسِهِم من أولادِ السِفاحِ والحَرام.

فإنْ قالَ أحـدٌ من الشَّاكِّين المُعْتَـرِضِين، أو بعضُ من تَمَرَّدَ عن الحَقِ طاعةً لإبليسِ اللّعين: «لو كانَ حقًّا ما اعتقـدتُمُوه، أو كان سدقًّا ما أشْهَرتُمُوه وأذَعتُمُوه، لكفاكُم الإلهُ الذي وحَّدتُمُـوه، ولَعَصَمَكُم من أذيَّةِ مَنْ خَانَ وَكَفَر، وَلَمَنَعَ منكم مَن نَكَثَ عَهْـدَهُ وميثـاقَهُ وَغَدَر»، يقال له: إنْ كـان مِنْ جُمْلَةِ مَن يَنْتَسِـبُ إلى الدِّينِ وسمَّى نَفْـسَهُ من المُؤمنين الطائعين، أنَّ الحُـجَةَ قـد ثَبَتَتْ عليه فيـما تَقَدَّمَ من الأمْرِ العَـالي من إظهارِ المَذاهبِ وَعُرِفَ بالطاعَـةِ وقَبُولِ الأمْرِ والصَـبْرِ على المِحَنِ السَادِقُ من النَاكِثِ الكاذِبِ. وإنْ كـان من أهلِ أُمَّةٍ من ملّة من الملـل، أو فِرْقَـةٍ أو طائـفَـةٍ من أهْلِ الكلامِ والجَـدَل، يُقَـالُ له: لو عُصِـمُوا المُحقُّـون فيما أظْهَـرُوه وقاموا به من الحقِّ والتَّـوحيدِ وأشْـهرُوه، وأُعفَـيُوا من أذيَّةِ المُبْطلين، ومـكائدِ الأضداد المُتَغَلِّـبين، لصار المُبْطلُ بالجَـبْرِ مُحِـقًّا لنَظَرِهِ إلى عِـصْمَـةِ المُوَحِّدين، وكـفايَتِهِم وامـتدادِ أيدِيهم وألسـنتهم

بالبَطْشِ والقَولِ وغَلَبَةِ الحَقِّ للخلقِ أجمعين. فكانتْ تَلْتَبِسُ حينئذٍ الأمور، ولا يُعْرَفُ الطائعُ من الناكثِ الكَفُور، ويكونوا مَجْبُورِين والعقابُ مرفوعٌ عن المُكْرَهِ والمَجْبُور.

وبهذا أيضا قامَ العدلُ والحُجَّةُ بالغَيْبَة، فيما يَظْهَرُ على الخَليقةِ ليُعْرَفَ المُوَحِّدُ الطائعُ من الشاكِّ الناكثِ بالحَقيقة، لأنّه لو لم تَكُنِ الغيبةُ فيما يَظْهَرُوا وإقامةُ الحُجَّةِ بالإستتار، وداموُا الخلْقَ على ما كانوا عليه من عُلُوِّ الكَلِمَةِ وقُوَّةِ اليَدِ على المخالفين والإستظهار، لأجابَ المُخالِفُون من هذه الأمَّة وجميعِ أهْلِ الشَرَعِ المتَبايِنَةِ في الأديان، خَيْفَةً من غَلَبَةِ السيفِ وقوَّةِ الحَقِّ الزائِدَةِ على الفَضْلِ والرَّجَحَان، فيكونُ اللّهُ وحاشاهُ قد ظَلَمَ الخَلقَ ولبَّسَ الأمورَ على الأمم، فيتساوى في قَوْلِ الحَقِّ أهلُ الدِّينِ والعَدْلِ وأشباهِ البَقَرِ والغَنَم. فلا يُفَرَّقُ بينهم ويَتَساوى الخَلْقُ وَيَبْطُلُ التفاضل الذي هو في الثَوابِ والعقابِ العَدْلُ والحُكْمُ، ويكونُ الأممُ سُدَىً مَظلُومِين مُهْمَلِين، وَتَبْطُلُ حِكْمَةُ الباري تَعَالى على قَوْلِ المُرتَدِّينَ والمُكذِّبين المُخْتَرِصين.

أما تتأمَّلوا هذا القولَ الفصلَ يا أهْلَ النَظَرِ في مَباني الأديان، وتَتَحَقَّقُوا أنَّ المجالسَ المُكَرَّمَةَ إنَّما كانتْ مُقيمةً الحُجَّةَ على العَالَمِ بحكمَتها ومُشيرَةً إلى إظهارِ التَّوحيدِ ومَعْرِفَةِ العالَمِ قيامِ القائِمِ إمامِ الزمانِ، لأنَّ بظهورِ القائم عبدِ مولانا ودعوَته إلى التَّوحيدِ تَنَزُّه الباري وتعالى مولانا عمَّا يُشارُ إليه ويُعَبَّرُ بالقَولِ واللَّفْظِ عن مَنزلةِ عبده الإمامِ، وهذا هو العدلُ اللازم بالبرهانِ لأهلِ التَّوحيدِ والإيقانِ والإستسلامِ. فقد صحَّ أمْرُ الباري لعبده قائم الحَقِّ بإشهار التَّوحيد المُخْرِجِ إلى الوُجودِ من الجَهْلِ والإعدام.

وأيضا لو لم يَلْحَقِ المُوحِّدين ما يُوجِبُ الاحتسابَ والرِّضى والصبرَ على المِحَنِ ومَحتُومِ القضا، لما فُضِّلُوا في يَومِ القيامَةِ علي البَشر. ولم تكنْ طاعتهم مذكورةً في التواريخِ والسِّيَر. فباختيارِ الأممِ للجَحْدِ والإنكارِ يُعاقَبُون، وباختيارِ أهلِ الحَقِّ والطاعَةِ والصبْرِ على المِحَنِ يُثابون.

فالطائفتــانِ مُتهيِّئَـتَانِ للاختيار، غـيرُ مُثابَين ولا مُعـاقَبَين بالإكراهِ والإجبـار، ولم يكُنْ غَرَضُنا مَصـروفاً إلى الرَدِّ على جَمـيعِ المَذاهبِ والنِحَلِ، لأنْ قد أفْرَدْنَا الرَدَّ على كلِّ أمَّـةٍ وفرقةٍ بما يَقْطَعُ أوصالَهم ويَهْـتِكُ أستارَهم من براهينِ الحَقِّ وفواصلِ قـوانينِ الجَدَل. وذلك بِمِنَّةِ مولاي الإمـامِ الهادي القائمِ بأمْرِ الباري العالِ لأمـرِهِ علَّةِ العِلَلِ، وإنما أرَدنَا بهذه الجَذَاذَةِ ذِكْرَ مَن انتَسَبَ إلى الدِّينِ ومـا أجْرُوا إليه من الرِّدَّةِ وعَظِـيمِ الزَلَل، وَفِعْلُهُم ما فَـعَلَتْهُ الأممُ المُخْـتَلِفَةُ المُتـباينَة، واخـتلاطُهم بـالفِرَقِ المَذمُـومَةِ النَّجِـسَةِ المُتـلاعِنَة، وَتَحَمُّلُهم من أوليـاءِ الحَقِّ الوِزْرَ واصتِلاحُهُم عليهم من الأبـالِسَةِ والفراعِنَةِ وَتَتَـبُّـعُـهم إلى اليـومِ دون الأمَمِ لاوليـاءِ الدِّينِ بالقَـذْفِ والغَـمْـزِ والسَبِّ، واختلاقُهم على أهْلِ الطَهَارَةِ الفَحْشَاء بالزورِ والكَذِبِ.

فَقَدْ زادُوا في النَكْث والسفَـهِ على أهْلِ الخلافِ والنَصَبِ، واستَحَلُّوا من المُوحِّدين أضعـافَ ما زَعَمُوا أنَّهُ فَعَلَ بأهْلِ المَـشْرِقِ في بَلَدِ الشَرْقِ وأهل المَغرِبِ في بلد الغَرْبِ.

فأين تسـميتُـهُم لأنفسِهم بالمُوحِّـدين المُهاجِريـن، وأين قولُهم إنَّهم أُخرِجُـوا من ديارِهِم بعد القَتْلِ والزَعْجِ هـاربين؟ فهل يَجوزُ في عِلْمِـهم وما حَفِظُوهُ أنْ يَنْتَسِبَ إلى الجَوْرِ والظُلْمِ إلاّ من شَكَّ في الحَقِّ وارتَدَّ ونَكَثَ وقامَ على المُوحِـدِين، وبَايَنَ بالسَبِّ والقَـذْفِ للقائِمِ بالتَّـوحِيـدِ بأمرِ البـاري على رؤوسِ الأشهاد، وحُـضورِ الجَمِّ الغَفير وسـماعِهِم ما يَظْهَـرُ في المَشْهَدِ كم جاءَكم من المواثيقِ والعُهود، إقامةَ الحُجَةِ على أهلِ الرِّدَّةِ والعِنَاد.

فبهذا نَطَقَتْ صحفُ الحِكْمَةِ ومُؤَلَّفَـاتُ الأسفارِ باجتماعِ فِرَقِ الشَكِّ والكُفْرِ والإلحَـادِ والإصرار، على قَتْلِ الفِـرْقَةِ الواحِدَةِ الناجِـيَةِ آلِ التَّوحِـيدِ والتنزيهِ والتـأليهِ والإقرار، لظُنونٍ تَخْـتَرِصُـها هذه الفرقـةُ على أهلِ الدِّين، ومكايدِ يَظُنُونَهـا في نُفوسِـهِم للمُـوحِّدين، لما نَظَرُوا أهْلُ الحَقِّ إلى ما عَـمِيَتْ

عنه بصائرُهم واحْتَـجَبَ عن الأبصار، وتَحققُوا ما أُحْـجِمَتْ عنه هذه الطائفةُ المَهِـينَـةُ باللَّدِ والإنكـار، وَرَدِّهِم لمجلسِ السِـتين عُـنودًا للحقِّ بـالبَـهْتِ والاسـتكبار، ومـا ثَبَتَ في مجلسِ الثـلاثين دَحْـضًا لبـاطلهم بالحَقِّ الجَلّيِّ، وأنّهما عَبدان مُسْتَخْدَمانِ تَحتَ طاعةِ المَولى الإلهِ الحَاكمِ المُنَزَّهِ العَليِّ.

فيا أهلَ العـدلِ كيفَ يَقَعُ المُعانِدُ الجَاحِـدُ للمشايِعِ الوَلِيِّ، فيـما جَعَلَ اللّهُ بينهمـا من الامتزاجِ والقُـوَّةِ بين النَبيِّ والوَصِيِّ، ولا مُنْفَرِد بالوَحـدَانِيَّةِ غير خالق المُزدَوِجاتِ الدَاحِي سَبْعًا مِهادا، والرافعُ عليهما عُمُداً شدادا.

فيا أهلُ العَـدْلِ تَفَكَّروا فيما جَعَلَ اللّهُ بينهـما، أعني النّبيَّ والوَصِيَّ، من المساواةِ والامتزاج، واجعلُوا الرِضى والتَسْليمَ للمُنْفَرِدِ بالوحدانيّةِ خَالقِ الأفرادِ والأزواج، واسْـتَضُـوا بأنوارِ مَعَـالِمِ قائمِ القِـيامةِ ومَن يَنْتَـسِبُ إلى الدِّينِ من ظَلَمَةِ هذه الفَـتْرَةِ بالقَمَرِ المُنيرِ والسِـراجِ الوَهَّاج، من قَبْلُ أنْ تقولَ كلُّ نَفْسٍ وَاحَسرَتَاهُ على ما فَرَّطْتُ في سَبَبِ الدِّينِ وحَقِيقيَّةِ المعراج.

أللَّهُمَّ سَـهِّلِ الحقَّ لِمن تَنَبَّهَ بالوَعْظِ وَسَـدَقَ لأهلِه ومُبْـتَغِيـه، والهُمْ الصَبْرَ لأهلِ الحَقِّ على هَرْجِ الشيطانِ ومتّبعيه.

ومِنَ السـابعِ ممّا قَرَأَهُ مالِكٌ ابنُ سَـعيد، مما بُنِيَ على الوَعْظِ والزَجْرِ والتَهدِيد: فالحَذَرَ الحَذَرَ مَـعاشِرَ المُؤمنين ما دامَ الحَذَرُ يَنْجِع والطاعةُ تَنْفَع، والظاهِرُ يُقْبَلُ فيُثَابُ عليه، والباطِنُ مَوجُودٌ لِمَنْ طَلَبَهُ ورَغِبَ إليه، إذ أنتم بين باطِنٍ يَظْهَرُ وَحِكْمَةٍ أخرى يُشارُ إليها وتُستَر.

فيـا أهل العَدْلِ أما شاهدتُم البـاطنَ قد انكَشَفَ وَظَهَر، وقـامَ بِحِكْمَةِ التَّوحيـدِ وكَشَفَ الباطنَ مَن أُمِرَ بأخـذِ الميثاقِ على الأمَمِ وبعد ذلك اسـتَتَر؟ فهل يكونُ أعظم من قيامِ هذه الحُجَّةِ على مَن كَفَرَ الحَقَّ ونَكَثَ وَغَدَر؟

ومن السـابعِ أيضًا دَحـضًا لبـاطِلِ مَن مَرَقَ عن الحَقِّ ومن الحِكْـمَةِ تعَرًّا. فاعملُوا بالظاهِرِ ما دام نَفعُه مستمِرًا، وَحُكْمَهُ مُستَقِرًا، واطلبُوا الباطِنَ

ما دامَ مُـشارٌ إلى مَـسْتُـورِهِ الخَفيِّ، وطالِبُـه عند اللّهِ بعَينِ الطائعِ المُرضِي، والعملُ بهما مَقْبولا، والثوابُ عليهمـا مأمولا، حتّى يَقومَ بالتَّوحيدِ آخِرُ قائمٍ من الأئمَّـةِ الطاهرِين المَهديين الذي هو صـاحبُ القيـامة، وإليه انـتَهَتْ أدوارُ الإمامة، فَيكْشِفُ الباطنَ كلَّه، ويَفوزُ بالعَمَلِ مَن قدَّمَهَ، ويندَمُ عليه مَن ضَيَّعَه، وَيَهُمُّ به فلا يَستَطِيعُهُ.

فيا أهلَ النَصَـفَةِ! أليسَ قَدْ أَمَرَنا في الزَمَنِ الماضي بِطلْبَـةِ الباطِنِ ما دامَ مُشـارٌ إلى مَسْتورِهِ الخَـفيِّ، وطالِبُهُ عند اللّهِ بعَيْنِ الطائعِ المُرضِي، فـقد عرَّفَنَا وأقامَ الحُجَةَ علينا أنَّ طالِبَهُ بعد كَـشْفِ التَّوحيدِ الذي هو كان المَسْتورُ الخَفيُّ أنّه يكونُ بعد الكَشْفِ غيرَ مَقْبُول، والثـوابُ عليهما غيرَ مأْمُول، إذ قام بالتَوحِيدِ آخِرُ قائمٍ مـن الأئمَّةِ الطاهرِين المَهدِيين، وعرَّفَنا أنّ صاحبَ الكَشْفِ هو صاحِبُ القيامَة، وإليه انتهتْ أدوارُ الإمامةِ الذي ظَهَرَ فيها للعالَمِ بالإلهيَّةِ والتَّوحـيد، أنّه قد فَـرَغَ الدورُ الذي تَسمَّى فـيه بالإمامِ لفـراغِ زَمَنِ الشِرْكِ والتَلْحِيد، وأنّ الإمامَ هو عبدُه الذي كَشَفَ بعلمِه الباطنَ كُلَّهُ وَدَعى الخَلْقَ إلى حقيقيَّةِ التنزيهِ والتجريد.

وعن قليلٍ يفـوزُ بالعَمَلِ مَن قدَّمَـهُ وَقَبِلَ الحَقَّ وأطاع قـائمَ القيـامَةِ ويَنْدَمُ عليه تَخَلَّفَ عـنه وضيَّعَهُ وَيَهُمُّ بـه بعد قيامِ القـائمِ فلا يَستطيـعُهُ ولا يُقْبَلُ منه لرَدِّهِ للحَقِّ وَوليِّهِ وَنَقْضُ ذَمامَة.

فهذه فصولُ يَجِبُ ذكرُها للمُستَرشِدين وأهلِ الإيمان.

وهذا فصلٌ من المجلسِ العـاشرِ من البيانِ والأذان مَـثنًى مثنًى دليلٌ على أنّه كلّما مَـضَى سلَفٌ من الأئمَةِ صلواتُ اللّهِ عليهم قـامَ من بعده خَلَف. والقائمُ عليه السلامُ لا يَقومُ بعدَهُ غيرُهُ لأنّه تَمامُ الأدوارِ ونهايَتُها.

ومن المجلسِ العاشرِ من المائةِ الثانيةِ ممَّا قَرَأَهُ عبدُ العزيز والوُسْطى منهنَّ أعني صلاةَ العصرِ هي التي لا نَافلةَ بعـدها لمتطَوِّعٍ زائدٍ في عَمَلِهِ أَخْبَرَ

أنّ القائمَ منه على جَمـيعِهِم لقيامِ الساعةِ عليـه لا خَلَفَ له لانقطاعِ أَمْرِ الدنيا يكونُ مِن نَسْلِه. ومَن وفا بما أَمَرَهُ اللّهُ به أَمِنَ عذابَهُ لتنزيهِهِ عمَّا أَلِفُوه العالَمُ من الأحوالِ الدنيويَّة.

فيـا أهلَ الفَهمِ إنَّمـا قَطَعَ أَمْرَ الدنيـا لظهورِه للعـالَم بالإلهيَّـة، وأَمَرَ بِكَشْفِ التَّوحيدِ وتنزَّهَ عن الزوجِ والوَلَـدِ والوالِدِ بالكُلِّيَّة، لأنّ الدُّنيا إنما كان مَثَلُهـا مَثَلَ ظواهرِ الأمورِ والآخِـرَةِ فهي على الباطِنِ، والتَّـوحيدِ فـهو باطنُ الباطِنِ الذي كـان بالحقـيقةِ المَسْـتُورُ فَـعَرَفَ العالَمُ أنْ لا خَـلَفَ له، ثمّ حَذَّرَ العالَمَ ممَّنْ تَعَدَّى أَمْـرَهُ وعرَّفَهُم بأهلِ الطاعَةِ والنَجـابَة. فقال ومَن وَفى بما أَمَرَهُ اللّهُ به أَمِنَ عذابَهُ، لتنزيهِهِ عمَّا أَلِفُوهُ العالَمُ من الأحوالِ الدنيويَّة.

فيـا أهلَ العَدْلِ! إفـهمُـوا هذا المقال، ولا يَمـيلَنَّ بكم الهَـوى والجَوْرُ والظلمُ إلى التَفْـريطِ والضلال، واغتَنِمُوا زَمَنًا تُقْـبَلُ فيه الإقالةُ لمن اسـتقال، وانصفُوا نفوسكُم في هذا القولِ والفِـعْل، ولا تَخْرُجُوا إلى اللَّدَدِ والبَهْتِ عن الحَقِّ والعَدل. فَمَنْ ظَلَم نَفْـسَهُ فهو أَحرى أن يَجُـورَ على العالَمِين، ومَن حَادَ عن الحَقِّ فما أَحْسَنَ اذ غُبِنَ عَقْلُهُ وهو يَنْظُر. واللّهُ لا يَهْدِي كَيْدَ الخائِبين.

فإنْ كـان لكم عقـولٌ فاطلُبُوا الحَقَّ واغـتَنِمُوا مُهَـلَ الزمان، وَنَزِّهُوا البـاري عن الوَلَدِ والـوالِدِ وَسـدِّقُـوا الحكْمَـةَ أنْ لا خَلَفَ له تَـكُونُوا من أَهْلِ التَحْقِيقِ والإيقان. والحكمةُ المُتَقَدِّمَـةُ فَقَدْ حَقَّقَتْ هذه المَعاني وقَطَعَتْ معاذيرَ أَهْلِ الشَكِّ والنَكْثِ والطُّغْيان.

وأيضاً ما يُؤَيِّدُ ذلك وَيُثَبِّتُهُ عِلْمُ الكافَّةِ أنّ مولانا سلامُ اللّهِ على ذكرِهِ حَظَّرَ على الأمَمِ أنْ يقولَ واحدٌ منهم وآبائه الأكْـرَمين، ولم يُخالِف هذا الأمرَ إلاّ مَن بايَنَ بالرِّدَّةِ والخُـروجِ عن الدِّينِ، وَنَهَى أن يُكْتَبَ بذلك في السـجلاّتِ والرِّقَاعِ وجَميعِ المُكاتَبَات، وقد فَهِمَ ذلك جَميعُ الناس، وَقَبْلَ ذلك الوقتِ كُتِبَ السِجِلُّ المشهورُ، أنّ عبدَ الرحيمِ خليفَـتِي في حياتي **وبعد وفاتي، يعني عبد**

الرحيمِ ابن الياس، وقبلَ ذلكَ الوقتِ جَعَلَهُ وليَّ عَهْدِ المُسلمين، كما جَعَلَ العبَّاسَ ابنُ شُعَيبٍ وَليَّ عهدِ المؤمنين.

ومعنى القولِ بعد وفاتي ما ذَكَرهُ في سِجلِّه أعني وَليَّ عَهْدِ المُسلمين، وهو هذا عهدُ أميرِ المُؤمنين، إليك قد وفَّاكَ حَقَّهُ، وأدّى إلى المؤمنين شَرْطَهُ وَطَوَّقَكَ الأمانَةَ، ولم يَليكَ ولا إيّاهُم نَصيحَةً ولا طَرحَها سآمةً. وقولهُ: وإنَّ قَومًا خَصَّهُم أميرُ المُؤمنين بِمَثَله فَحَقيقُون بِشُكرِهِ والثناءِ على من بَدَأَ لهم من جميلِ نَظَرِهِ وشَريفِ ذِكْرِهِ، إذ كان قد فَرَغَ به إليهم مِن حَقِّهِم واستوجبَ بِمَنِّهِ عليهم مَحْضَ شُكرِهم.

فبيَّنَ تعالى أنّه قد وفَّا العالَمَ قِسْطَهُم وأوجبَ عليهم بِمَنِّه عليهم مَحْضَ شُكرِهم، وكَتَبَ بخلافاتِ وَليِّ عهدِ المُسلمين السِجلات، وكَتَبَ اسمَهُ بما ذكرناه في العَهْدِ والسِكَّةِ والطرازِ والخُطْبَةِ وجميعِ المُكاتَبات.. وهذا هو أعظمُ النصوصات، وإنَّه تعالى جَعَلَ هذا وَليًا لعهدِ المُسلمين، وهذا وليًّا لعهدِ المُؤمنين، ولم يَمْتَدَّ لهما الزمان، ولا كان لهما في هذا الوقتِ قدرةٌ ولا إمكان، أنْ يَقوما بحقوقِ الإسلامِ والإيمانِ، وإنَّما عرَّفَنا جلَّ جلالُه أنَّهما اللّذانِ كانا في القَديم: وليُّ عهدِ المُسْلِمين، ووليُّ عهدِ المُؤمنين، وإنَّما فَرَغَ زمانُهُما، وانْقَطَعَ فعلُهُما بظهورِ القائمِ الهادي وليِّ ميثاقِ المُوحِّدين، وذلك تَبيينٌ ولُطفٌ لجميعِ المُوحِّدين والمُوحِّدات، وتنزيهٌ للمَولى تعالى وتَقَدَّسَ عن البُنُوَّةِ والأبُوَّة، وَدَحْضٌ لما تَخترِصُهُ الأفَّاكُون من نِسْبَتِهِ إلى المُركَبات، وعِلْمٌ أنَّ وليَّ عَهْدِ المُسلمين لم يَتُمّ له أَمْرٌ لتمامِ أدوارِ الشرعِ ونهايَتِها، وظُهورِ الكَشْفِ بالدَورِ السَعيدِ الجَديد، ولفَراغِ زَمَنِ التنزيلِ والتأويل، وتعْفِيَةً لزَمَنِ الكُفرِ والشِرْكِ والتَلْحيد، وإظهارِ ما كانتْ نفوسُ أهلِ الحقائقِ مُتَطَلِّعَةً إليه من التأليهِ والتنزيهِ والتَّوحيد.

وهذا فهو تُبيينُ وإقامةُ الحُجَّةِ وإيضاحُ الحَقِّ لمن لمْ يَجُرْ على نفسِهِ في الحُكْمِ، وخَرَجَ من جُمْلَةِ أَهْلِ الرِّدَّةِ والجَحْدِ والظُّلْم.

كمـا صَحّحَ ذلك المجلسُ الواحدُ والسبعون من المائة الثانية، وهو: كـثيرٌ ظَلَمُوا أنفسَهُم عند اللّه وعندهُم على حُلولٍ من الحَرَمِ وَقُربٌ من السَّرير، فكانوا الشهداءَ بالظُّلْمِ في غَدٍ عليهم وَعَدَلَتْ بهم أعمالُهُم إلى جهنَّمَ وَبِئْسَ المَصير.

فهذه حقائقُ الحِكْمَةِ عند أهلِ التَّوحيدِ والإيمانِ وجواهرُ العِلْمِ المُحَقَّقِ بالدلائِلِ والبُرهان، كما جاءَ في تَأويلِ دَعائِمِ الإسلام[١٤]. وما شَفا اللّه الخَلْقَ بأَجَلٍّ من العِلْمِ، ولا طَهَّرَهُم بأكثرَ من مُباعَدَةِ الظُّلم، ولا هَداهُم فيما يَرْمُزُ لهم إلاّ بالشَمْسِ والبَدْرِ والنَجْم.

فهل بَعْدَ هذا الإيضاح والإرشادِ والتَبْيِينِ سوى الرَدِّ لأَمْرِ الباري تعالى والحَسَدِ لأَهْلِ الحَقِّ بالبَلَسِ والمُقاوَمَةِ لأهلِ الدينِ، إذا الكلامُ الجَزْلُ الحَقُّ والبُرهانُ القاطِعُ السدِقُ أنْ يَستَشْهِدَ على كلِّ أُمَّةٍ وفرقةٍ بما يعتقدُوه، ويُخاطِبوا بما هم مُشْتَهِرُون بدراستِهِ والتَدَيُّنِ به وَيَحْفَظُوه، وعند أهلِ النَظَرِ وعلماءِ الحَقِّ وأهل الجَدَلِ فيما جَعَلوه مِيزاناً وفصْلاً للقولِ ورتَّبُوه، إذ كان الردُّ على المِلَّةِ والمَذْهَبِ من نصوصَاتِهِ وَنَسْخِ أصلِه معما يُؤَيِّدُهُ من بُرهانِ الحَقِّ وشاهِدِ عَدْلِه. فقد فَلَجَتِ الحُجَّةُ على مُعتَقِدِيهِ وأَهْلِه.

فان اعتَرَضَ مُعْتَرِضٌ بعد ذِكْرِ نُصوصَاتِ الحَقِّ فإنَّما يُحَرِّكُهُ سوءُ التَمييزِ ليُبَيِّنَ لسانُه عن جَهْلِه، فإنَّ الطائفةَ التائِهَةَ تَزعَمُ بناءً واللّهُ موهِيهِ.فهذه حقّاً واللّهُ مُثَبِّتُهُ ومُقَوِّيه.

ومما ثَبَتَ في المجلسِ الخامس والعشرين من المائة الثانية ممَّا قَرَأَهُ عبد العزيزِ إشارةً إلى التَّوحيد، ودلالةً إلى الحقِّ للطائعِ الرَشيد، وهو استمرٌ

---

(١٤) إشارة إلى رسالة باسم «الكتاب المعروف بالنقض الخفيّ»، رقم ٦، لحمزة، حيث ينقض دعائمَ الإسلام واحدةً تلو واحدة.

العارضُ فيـمَنْ وَجَّهَ الإختيـارَ صاحبُ الكَشْفِ وَحَّدَ الإختبـار بأخذِهم على العَرْضِ والوَصْفِ حتى ظَهَرَ ثلاثةٌ من ذوي النَجَابَةِ والكَافِئين عن المَغَيَّبِ في الخِلْفَـةِ والنِيَابَة، وبلَغُـوا النهـايةَ في العَطا، وجَـعَلَ لهم فكَّ ما كـان الرُبُطا، وسـارُوا بالغَيْثِ مُتَوَجِّهين، والرحمةُ بين أيديهم مُقدمين.

وقـد شـاهدُوا الأممَ قَـوْلَ الثلاثةِ وسَـمِعْـتُم دعوتَهم إلى التَـوحيـدِ، وأحصَوا كـما أَمَرُوا مَنْ زَكَّا وَتَحَصَّلَ من أهلِ الحقِّ لمولاهُم الحكيم الحـميد، بعد بَذْلِهم لـلنفوسِ الطاهرةِ والأجسـامِ، وتحمُّلِهم في خـلاصِ الأمَمِ الأمورَ العظام، ومُـجاهرَتِـهِم بكَشفِ التَّوحـيـدِ طاعةً للبـاري تعـالى، ونصوصـاً وتصريحاً به عَـطفًا على الخَاص والعَام، وطَرحًا لأنفـسِهِم الكريمَةِ دون مَن دَعُوه وصَبرًا على مـا رأيتُمُوه من فِعْلِ الغَاصِبين الُطغَام، إقـامَةَ الحُجَّةِ على الأمَمِ والعوالِم، وإيضـاحِ المُحَجَّةِ للطائعِ الدَّيِّنِ العـالِم. فأيّ فَلَجٍ عليكم أَعْظَم، وأيُّ حُجَّةٍ أَقْطَعُ للظُهورِ وأقطم، من الفَلَجِ بما تعرفُوهُ من هذا الدُرِّ المُنَظَّم؟!

ومن المجلس السادس والعشرين ممَّا يُـخْرِسُ أَلْسُنَ المباهتِين، وَيَجُذُّ أَثَلَةَ المُعاندِين. وهو عـند استقرارِ الدار بالـثلاثةِ المُتَوجِّهين كَـشَفُوا مـا تَقَدَّمَ العملُ بـه وأحصَوا من زكَّـا وتَحَصَلَ لمولاهم من المؤمِنين، وزادَ بـهم ما حلَّ من الضِياءِ والإشراق، وَعَمِلُوا في البَثِّ مُـجاهَرَتهم لأهل النِّفَاق، وقامُوا على الاسْتِئْـذانِ إلى أن يَرِدَ إليهم ظاهرُ الأمر، ومـتقدِّمَهُ بما تَقَـرُّ بِه العَيْنُ وَيَثْلُجُ الصدر. وقـد تكرَّرَتِ الأوامرُ العاليـة بالكَشْفِ والشهـادَةِ لهم بمُجَاهَرَةِ أَهْلِ النِّفَـاقِ والخَلْفِ، وأنّه جَـعَلَ لهم فكَّ مَنْ كـان الأبالسَـةُ قـد أزالُوهُ عن الحَقِّ وَرَبَطُوه، وأنّهم بلغُوا النهايَةَ في إعطاءِ الحقِّ لأهلِه ومـا مَنَعُوه. وَصَحَّتْ لهم شَهَـادَةُ مَن تَنَزَّهَ عن الجَوْرِ والـظُّلْمِ أنّهم باخْتِـيارِهِ وأَمْرِهِ أذاعُـوا الحقَّ مِن توحِيدِه وكَشَفُوه.

فيـا أَهْلَ الرِّدَّةِ والبَلَسِ في القِدَمِ والشَطَنِ، ويا قَـتَلَةَ الحَقِّ وأهلِهِ في كلِّ دَوْرٍ وَزَمَن، أما تَرتَدِعُون يا أهلَ السَـفَهِ في العُصورِ الخاليةِ والـعصيان،

ويا سرَقَـةَ الدِّينِ والحقِّ، ويا عَبَدَةَ الأوثان، أما تَـتَحَقَّقُـون أنّ هذا العِلْمَ قَبْلَ ظُهورِ من ظَهَرَ به أُوعِزَ به إليكم، وهو مَسْطورٌ عندَكُم إقـامَةَ الحُجَّةِ بشـهادَةِ أنفسِكُم عليكم. فلو كانتْ لكم أعمالٌ صالحةٌ في القِدَمِ لما رَدَدْتُم الحقَّ والعَدْلَ في دَوْرِ الكَشْفِ، ولمـا قَـتَلْتُم أهلَ الدِّينِ برضـائِكُم لِـلَّدَدِ والسَـفَـهِ والنِّفـاقِ والخُلْفِ.

فتـأمَّلُوا أفعالَكم في آخِرِ الأدوار، فـأين تذْهَبُون وقد أضلَّكُم عَـصْرُ القيامـةِ من أليمِ العِقابِ والمَسْخِ يا أَشَرَّ الأشـرار؟! فهذه نفوسٌ قـد امتزجتْ وغُـذِّيَتْ بغـذاء الأبالسَـة، فـهي لا تَقْبَـلُ الحقَّ لإِلْفِ النِّفـاقِ والتَكرار، وهي لخُبْـثِها لا تَـنْزَجِرُ وَتَرْتَدِعُ بالتَخـويفِ والتذكـار، بل قد نَكَلَتْ بالحَـصْرِ عن السُلوكِ في مجـاري الذِهْنِ والأفكار، وتَبَلَّدَتْ عن قَبُولِ الحَقِّ لِدَنَسِ الأفـعالِ وَرُكُونًا إلى العِنادِ والأستـكبار، وَرُجُوعاً إلى الأماكِنِ النَّجِـسَةِ بالخُروجِ عن العَدْلِ والأسرار، فهي لا تَنْتَبِه من سِنَةِ الغَفْلَةِ لعَلَقِها بمكائِدِ الجَحَدَةِ والكُفَّار.

فطائِفَـةُ الضـلالِ والرِّدَّةِ والانعـكاس، لا تَفْـرِقُ بين حُـدودِ الكَشْفِ والطاعـةِ وبين حُـدودِ الشَطَـنِ والإبلاس، كـمـا جـاءَ في المجلس السـادس والخمسين والمائة: فكـم بَيْنَ القَوِيِّ والقَوِيِّ في ألتَبَايُنِ من خَلْـقٍ خُلِقُوا جُمْلَةً فَتَحَ بهم وكَشَفَ نَـهَضَ الواحدُ منهم بما لو اجتَمَعَـتْ أُمَّةٌ من الأمَمِ لما قَدِرَتْ على مِثْلِ مَقْدَرَتِهِ مع الاجتهادِ منـها والتَعاوُن. وفي ذلك تبْيِينُ قُدرةِ الخَالِقِ، وما فُضِّلَ به الواحد المُنَبَّهُ المُطلَقُ على كثيرٍ من الأمَمِ والخلائِق.

ومن الواحدِ والسـبعين والمائة تَوبيخٌ للأممِ على أفعالِهم، وتَـبيينُ ما أَجرُوا إليه من نَكْثِهم وضلالِهم، وهو فما أحـسَنوا الصُحْبَةَ لِمَن أبانَ حكمتَهَ إمامٌ من الأئمَّةِ فيه البَرَكَةُ بالظهور والتَأْثير.

فالحـسد حَسَـدَان: حَسد الشـيطانِ لآدَمَ عليه السـلام على مَنزِلَتِه، وَحَسَـدُ قابيلَ لهابيلَ عل مـا رَفَعَ اللّهُ من دَرَجَتِهِ. حَسَـدُ ضَعيفٍ بالسـعايَةِ

لِيَنَالَ ذلكَ المُدَمَّرُ عليه شيئًا من الحِطام في بُلوغِ شَهْوَتِه، «وعذابُ اللّهِ أكبرُ لو كانوا يَعلَمُون»[١٥].

ومن الفَصلِ الذي تَلوناهُ قَبْلَهُ في سِدْقِ ذلك وأشباهِهِ عند إيرادِهِ وكان قولُ اللّهِ أَسْدَقَ القائلين. قال واهبٌ بذَل الجودَ وأعطَى وأنال أنَّ هذا لهو القَصَصُ وما من إله إلاّ اللّهَ وإنّ اللّهَ هو العزيزُ الحكيمُ فإنْ تَتَولُّوا فإنّ اللّهَ عليمٌ بالمُفْسِدين، ولا يُضِيعُ أَجْرَ المُحسِنِين.

فَقَدْ بَلَغْتُ الغَرَضَ فيما أَشَرْتُ إليه من إقامةِ الحُجَّةِ على الغَفَلَةِ الجَاحِدِين.

فلنَخْتُم ذلك بالحمد للمَولى الحاكمِ المُنَزَّهِ إلهِ العالَمِين. والشكرُ لوليِّهِ قائمِ الحَقِّ، المُنتَقِمِ بِسَيفِ المَولى من المُرتَدِّين والمارقين والقاسِطين، وهو حسب عبدِه الضَعيفِ المُقْتَنَى في يومِ عَرْضِ الخلائِقِ وتعلُّقِ المَظلُومين بالظالِمِين.

وَكُتِبَ في شهر ذي القعدة سنة اثنين وعشرين من سنين قائمِ الزمان، الآخِذ الحقَّ من المُشْرِكين والجاحِدين وأهلِ النفاقِ والطغيان.

نَجِزَتْ بِمِنَّةِ وَليِّ الأمرِ. قُوبِلَتْ وَصَحَّتْ.

---

(١٥) أنظر: سورة الزمر ٣٩/ ٢٦؛ وسورة القلم ٦٨/ ٣٣ بتصرّف.

٧٥

ذِكرُ الرّدِّ عَلَى أَهْلِ التّأويل

الّذِينَ يُوجِبُونَ تَكْرَارَ الآلِهَةِ فِي الأقْمِصَةِ المُخْتَلِفَة

تتناول هذه الرسالة موضوعَ تقمّص الآلهة في صور بشريّة مختلفة، وتقمّصِ النفوس في أجسادٍ بشريّة عديدة. فيها اعتراضاتٌ على هذا الموضوع، يُجيب عليها بهاءُ الدّين واحدةً فواحدة. بدايتُها ليستْ كبدايات سائر الرّسائل، ولا نهايتها أيضاً. إلاّ أنّ أسلوبها لا يختلف عنها ولا ألفاظها. من دون تاريخ.

يُقال لهم: هلِ الإلهُ عادلٌ أم جائرٌ ظالم؟ فمن قَولِهم إنّه عادلٌ يُقال لهم: كيف يُوجِبُ تَوحيدَه على جيمعِ بريّته ومعرفَتَه؛ ويختلفُ عليهم في الأقمِصَةِ البشريَّةِ، والأشخاصِ الجِسمَانِيَّة؟

وهذا هو الجَوْرُ بعينه، أن يَنْصبَ الدعاةَ إليه، ويجعَلَهُم أدلاّءَ عليه، وَيَفرِضُ على الخلْقِ طاعتَهُم فيُجيبُهُم مَن يُجيبُهُم إلى عبادَته وتَوحيدِه، وَيَعرِفُونه في الشَخْص الذي دُعِيُوا إلى معرفَتِه وتَجريدِه. ويكونُ كاملاً كبيراً في نَظَرِ العيان، وفي قَرِيبٍ يَرجِعُ لهم في حَدِ الطُفُولِيَّة، وَيَرُدُّ العالَمَ في مَعرفته إلى حَدِّ التربيةِ، ويُكَفِّرون مَن لا يُجيبُ إلى مَعرفتِه في الشخْصِ الثاني وَيُوجِبُون أنّ الباري ثالث ورابع وخامس. وهذا أَمْرٌ لا نفَادَ لهُ، وأَمَدٌ لا آخِرَ لهُ.

كيف يتكرَّرُ البـاري سبحـانَه في الأقمصـةِ المُخْتَلِفَةِ وأنتم تدْفَـعُون مَذهَبَ الـتناسُخِ من الأديانِ وتُوجِدون على قـولكم الباري سُـبحَانـه، ولئلاّ يَكونَ ذلك، ثمَّ إنَّكم تُوجبُـون في حِينِ النُّقْلَةِ على أرواحِكُم تجريدَ الأنفْسِ من الكثـائف، وَتَنَقُّلِ الأرواحِ واللطائف، وَتزْعَـمُون أنَّ الأجْـرَ والحَـسَنات تُلْحِقُ أرواحكُم بأصلِها، والسيِّئَاتُ تمنَعُهـا من الوصولِ إلى معدنِها، وَتُوجِبُون أنْ لا ثَوابَ لها إلاّ بالعِلْم، ولا عِقَابَ لها إلاّ بالجَهْل.

يا سَهَـوةُ! كيفَ يُنالُ العلمُ من عَدَمِ آلتـهِ الجُرْميَّةِ؟ ويا غـفْلَةُ! كيفَ يتَّصلُ الجَهْلُ بِمنْ فَارقَ قَوَّتَه الحِسِّيَّة؟ ويا بَلَسَةُ! كيف تَثْبُتُ اللّطائفُ بذاتِها، وكيف تَستَقِرُّ عند أَصْلِها وَتَنالُ عَيْشَها ولذَّاتِها؟

فإنْ أَوجبْـتُم أنَّها تنْظُرُ ما تُشاهِدُه بالمنام، وَتُخَـبِّرُ عنه من الأحلام، فما رَأَيْتُها تَنْظُرُ الأشـياءَ إلاّ بآلةٍ جُرميَّة، وقوالبَ طبيعـيَّة، مع ما أنَّ الحيوانَ يَنْظُرُ في مَنامِهِ ما يراهُ الإنسان. فيا لها من عقولٍ خَاوِيَةٍ وَحُجَجٍ وَاهِيَة!.

وأنتُم أيضًا تُوجبونَ انَّ الدارَ لا تَخلُو منَ العالَم، وأنّـهم فيها سَرْمَدٌ أبدًا. كُلَّما ذَهَبَ عَالَمٌ نَشَأَ عِوَضَهُ آخَرين.

وأَنتُم تدْفَعُـونَ مَذْهَبَ التَناسُخِ والدَّهريَّةِ، الذينَ يَوجِبُـون أنَّ العَالَمَ في هذهِ الدُنيَا مثْلُ النَبات، كُلَّما مَضـى عالَمٌ منهُ نَشَأَ غيرُه آخَرين. أليسَ هذا ممّا يَدفَعُ المعَاد، وَيُضِلُّ العِباد، ويَجرِي بسماعهِ إلى الفساد؟.

عرِّفـوني يا شُيوخَ التَجـريدِ هذه القِوى التي تُفَارِقُ الأجـسامَ، أين مُستَقَرُّهَا وأينَ يكونُ ثَباتُها؟ فإنْ قُلتُم فيما بينَ الأرضِ والسماءِ، فهي لكثرةِ النَّشُوءِ تُسدُّ مـا بين العَالَمين، وَتُخَالِطُ الهواء، وَتأتِي عليـها الطبائع، وَيَدْخُلُ عليهـا التَضَادّ، والفَسَـادُ ما يَدْخُلُ على غَيـرِها. وإنْ أَوْجَبْتُم أنّ ثَباتَهـا فوقَ السماءِ فهي تملأُ الأفُق.

خَبِّروني كيف تكونُ وقتَ تَصاعُدِها إلى فوقِ السماءِ قبل أنْ تكون؟ هل تكونُ جوهرًا أو هواءً؟ وما الذي يُمسِكُها ويَضْبطُها؟ فإنْ قُلتم ما تحتاج إلى ماسكٍ وضابطٍ، بل هي واقفةٌ عند أصلِها، ناظرةٌ لمعبودِها، متلذِّذةٌ بعالمِها، قيلَ لكم: فما الذي أحْوَجَ الفرعُ أنْ يُفارِقَ أصلَه، وقد عَلِمَ أنَّ لا لَذَّةَ تَصِلُ إليه، ولا مَضَرَّةَ تَدْخُلُ عليه، إلاّ مِنْ جِهَةِ أصلِه. فَلِمَ فَارَقَ أصلَه وشاركَ الطبيعةَ وَضعتَها إذا كان لا ثَوابَ له ولا زيادَةَ تَدخلُ عليه إلاّ من جِهَةِ عَالَمِه. فَدُلُّونا ما الذي أحْوَجَه إلى فِراقِ عَالَمِهِ، وَرَجَع يطلبُ الرجوعَ إليهِ والاتحادَ به؟!

وإنْ أوجبتُم أنَّ الأرواحَ من عَالَمِ الطبيعةِ تَتَجْوَهرُ بالعُلُومِ وَتَتَشَرَّفُ بالقَبُول، مِثلُ الحديدِ الصَّقيلِ وأشباهِه؛ قيلَ لكم: فالجَوهَرُ مِن الحَديدِ الصَّقيلِ وأشباهِهِ لا يُفارِقُ أصلَهُ، ولا يَقومُ بذاته، بلا كَثافَةٍ تَضبَطُ جَوهَرِيَّتَهُ ولطافَتَه، وما رأينا جَوهرًا يقومُ بذاتِه فقط. لقد بَعُد عليكم التَشبيه، وتمكَّنَ في أنفسِكُم الباطِلُ والتَمويه،

فيا مَثَلَةَ البَهائِم، ويا سَلبَةَ العزائم! كيف تُكَرِّرُون المَعبُودَ سبحانَه في القُمصان، على مَمَرِّ السنينِ والأزمان؟ وكيف تُوجِبُونَ إيجادَه في القَوالبِ والآلات، وإنَّها أعني أرواحَكُم مُسْتَغنِيةٌ عن القَوالبِ الجُرمِيَّات، أوجَبْتُم الباري سُبحَانَه إلى الصُّورَةِ يا خَرصَة! وَثَبَّتُم بقاءَ الأنفسِ وغناها عن الأقمِصَة؟

أليسَ في قولِكُم إنَّ الباري سبحانَه لا تَخْلو الدارُ من وُجودِه طَرْفَةَ عينٍ، ولو خَلَتْ الأرضُ منه لزالتِ الحُجَّةُ عن الخَلقِ في تِيكَ اللَّحظَة. وقد أضَفتُم الباري سبحانَه على ما تَقُولون إلى الآلاتِ، وأغنَيْتُم الأنفُسَ عنها وَثَبَّتُّموها بعد الوُجودِ في صُوَرٍ مَعْدُومات. أليسَ في قولِكُم إنَّ النَفْسَ تَكْسَبُ العِلْمَ في مُجَرَّدِها من عالَمِها.

فأبينُوا لنـا يا ظَلَمَةُ! وأنَّى لكم بالبَـيِّنَةِ كيف تَكْسبُ العِلْمَ بغـير آلة؟ فإنْ قُلْتُم: مـا تَحتاجُ إلى آلةٍ. قيلَ لكم: فلِمَ فـارَقَتْ أصلَها وشاركَتِ الطبـيعةَ وضعتَها؟ فإنْ قُلتُم: لِتكتَسِبَ المعلوماتِ. بَطَلَ قولُكُم ودَعَواكُم. إنَّها انبجَسَتْ عن عـالَمِ الخَلْقِ لأنّ أصلَها، لـو كان عـالماً، لما ظَهَـرَتْ عنه جـاهلةً. هذا على قولِكم. وإنْ قُلتُم: إنّهـا لا تَنْصَرِفُ من هذه الدارِ إلاّ وهي غَنيَّةٌ مـا تحتاجُ إلى زيادَةِ تَعليم؛ فقد ساوَيتُم بينها وبين أصلِهـا. وإذا تَساوى الجزؤُ وأصلُه فَقَدْ حـاطَ بجمـيعِ عِلْمِـه، وَقَدْ سَـاوَهُ في العِلْمِ إيضـافاتُ لذَّةٍ تكونُ عندَه. وقـد أوجبْـتُم أنّ لذَّتَها نَظَرُها إلى عالَمِـها، ومعـرفَتُها بـأصلِها، لأنّ اللَّذَةَ تُواصُلُ الخَيراتِ إليها، وإفاضةُ البَركاتِ عليها، وإنْ كانتْ غنيَّةً عنه غيرَ محتاجَةٍ إليه، فلا لذَّةَ لها عند أصلِها.

فـدلُّونا يا أهلَ النَصـفَةِ، بأيِّ الوَجْـهَين تَعْـمَلُون، وعلى أيِّ القـولَينِ تُعَوِّلُون. وأنتُم أيضاً تُوجبُون أنّ أرواحَ العُصــاةِ الجهَّلِ إذا فارقَتْ أجسامَها تَتَصاعَدُ تَطلُبُ مُبدِعَـها فيمنَعُها الفلكُ، فتَرجِعُ تَطلُبُ آلتَهـا فلا تَجِدُها فَتَبْقى بين الأرضِ والسماء، فيأخُذُها حـرُّ الشَّمسِ وَبَرْدُ الليل، وبهذا يكونُ عقابُها. لقد ادَّعَيتُم البُهتانَ، وسَلَكْتُم طريـقَ العُدوانِ. فإذا كانتِ النفسُ من غير عالَمِ الطبيعةِ فأيُّ مَضَرَّةٍ تدخُلُ منها عليها، وأيُّ مَسَرَّةٍ تَصِلُ مِنها إليها؟

وإنْ أوجَـبْتُم أنّ النفسَ تتـأذّى بحـرِّ الشمسِ وبردِ الليل، فـالأصلُ يتأذّى أكثرُ لقُربِه من قُوَّةِ الحرارةِ والبُرودَةِ، لأنّكُم تُوجِبُون أنّ الأصلَ الذي انبجَسَتْ عنه الأنفسُ فوْقَ الفَلَكِ.

وإنْ أوجَبْـتُم أنّ الأصلَ لا يَنْضَرُّ بحرارةٍ ولا ببـرودةٍ، فقد أوجَـبْتُم للفـرْعِ مثْلَ ما للأصـلِ بزوالِ مضَرَّةِ الحـرارةِ والبرودةِ عنه. وَبَطلَ قـولُكُم ودعواكُم أنّ عذابَ الأنفسِ العُصاةِ الجُهَّالِ بالحرارةِ والبرودةِ.

فدلُّونا بما تُثَابُ الأنفسُ الطائعَة، وَتُعَـاقَبُ الأنفسُ العاصية، إنْ كنتُم

تعلَمُون؟ فإنْ بَعُـدَ عليكم الجواب، وغابَ عنكم الصواب، فـادَّعُوا بالجَهْلِ ولا تَدَّعُوا بالعِلْمِ. فكلُّ مَدَّعٍ بلا بَيِّنَـةٍ إنَّما يُهْلِكُ نفسَهُ، ويُتْعِبُ جِسَّـهُ، وما يَحْصَلُ على طائلٍ ولا يَنَـلُ مِن تَعَـبُّدٍ نائـلٍ، إذ الحقُّ لا يكونُ في جِـهـاتٍ مُتَـفـرِّقَـةٍ مُتضادَّةٍ، بل هو في جهةٍ واحـدةٍ. لسانُهُ فَصيح. وعِلْمُهُ مَنيح. يَهدي الطالب، ويَكْشِفُ المُدَّعِي الكاذب. فـالحقُّ ثابتَةٌ حُـجَّتُـهُ، بَيِّنَةٌ نافعـةٌ فائدَتُهُ، والبـاطلُ واهِيَةٌ حُـجَّتُـهُ ، مُهْلِكَةٌ مـحجَّـتُهُ، مَكْذوبَةٌ كَلِمَـتُهُ، والحقُّ ما أَشْـرَقَ برهانُه، واتَّضَحَ بيانُهُ.

فاتَّبعُوا ولا تَبْتَدِعُوا، وَتَجَنَّبُوا خطواتِ الشياطين. ولا تَسْلُكُوا مسالِكَ الفراعنةِ الجَبَّارين.

فمَـن أخَذَ دِينَهُ بالمُقَـايَسَةِ، واتَّبَعَ الأضـدَادَ والأبالِسَةِ، طرحُـوهُ في المَهالِك، وَضَيَّقُوا عليه المَقالات عِندَ سِـعَةِ المَسالِك. وُدُّهُم أبداً معدوم، وَيَتْبَعُهُ كلُّ أثيمٍ مَلُوم.

فإنْ أردْتُم النَجاة، ومَعْدَنَ الحياة، فَعليكُم بالطريق الواضِح، والدَليلِ الناصِح، مَن لا يسـأَلُكُم مُـجـازاةً، ولا في هدايَتِكُم منكُم مكافـأَةً، بل يُؤَدِّي إليكم الأمـانة، ويُبـلِغُكم الرسـالة. خَلَقَـهُ باريه بابـاً للرَّاغِـبين، وهادياً للمُسْتَجِيبين، إلى تَوحيدِ مَولى العالَمين، مُيَقِّظًا للغافِلين، وإِمامًا للعارِفين. مَنْ عَـرَفَهُ نالَ الخَـيـرات، واتَّصلَتْ به الفوائـدُ العَقْليَّـات، وزال عن قَلبِـه العلومَ الوَهمِيَّات، المُفْسِدَةَ للصُوَرِ الروحانِيَّات، والمُلحِقَةَ له بعَالَمِ الحيوانات.

لمولانا نَسـألُ، وعلى رَحمتِـه نُعَوِّلُ أن يُجَنِّـبَنَا مِن أفعالِ الخـاطئين والمُشْـرِكين، بِقُدْرَتِهِ، وهو المُوسِعُ للأمَمِ حِلْمًـا وَعِلْماً. وهو حَـسْبِي وَثِقَـتي بالقائِمِ وكَفى.



الجِزْءُ السَّادِس



٧٦

توبيخ ابن البربرية

الـرِّسَالَةُ المَوسُومَةُ بالدَّامِغَةِ للفَاسِقِ النَّجِس الـفَـاضِـحَـةِ لاتِّـبَـاعِـه أهْـلَ الـرِّدَّةِ والبَلَس

إبن البربريّة هو «المعتوه، الشيطان، النّجس، النّغل، الفاسق، المدّعي.. قصّته انّ رجلاً اسمُه خمّار استرقّه، وكان يَلوط به ويزني بأمّه، وكان يأجر نفسَه بفعلِ الفاحشة، وعاد ادّعى منزلةَ الإمام، ونصّب له حدوداً، وهو آخر الأشقياء المدّعين في الدنيا بعد الدّجال (الخليفة علي الظاهر) وأوّل الفراعنة الهالكين في القيامة» (الدرر المضيّة).

بسم الإلهِ الحقِّ ومولى الخلقِ. ألسلامُ عَلى جَماعةِ الإخوانِ المحقِّين، أهلِ البصائرِ واليقين، المتمسِّكين بحدودِ وليِّ الدِّين، وسكّان الحَرَمِ الأمينِ.

مِنَ العَبدِ الضعيفِ المملوكِ الرِّقِّ، الخاضعِ لطاعة الإمامِ القايمِ لإعزازِ دينِ الحقِّ، الموضحِ لكشفِ دينِ التوحيدِ بأمرِ المولى الإله الحاكمِ المنزَّهِ بلغاتِ جميع الخلقِ، خاصًا للموحِّدين المهاجرين، الذينَ هَجَروا أهلَ الرِّدَّةِ وسَلِمُوا من نَزَغاتِ الشياطين المدّعينَ.

وأنا مُحتَسِبٌ صابِرٌ على الأذَى والضَّررِ من الغافلينَ المعتَدينَ منْ بَقايا ليلةٍ بقيتْ من جَمَادَى الآخِرة. وأنا مُتغرِّبٌ بعدَ الهِجرةِ بالاضطرارِ عن

الحضرةِ الطاهرة، متوجّهٌ عنها إلى بلادٍ أنا واللّهِ لها قَالٍ بَاغِظ، وَوَحَقٍّ الحَقِّ ماقتٌ لأهلِ الخـلافِ من أهلِها، رافضٌ لِـما اشتـملتْ عليهِ مِن عظائـمِ الفِتَنِ، واعْتَوَرَها من الخوفِ والخَرَابِ والمِحَنِ.

فالإلهُ العادلُ الحاكمُ الآخذُ الحقَّ للضعيفِ المظلومِ من الجائرِ الظالم، يُعَـجِّلُ خِزْيَ أهلِ الرِّدَّةِ والنِّفـاق، وَيَجْتَثُّ أناجِمَ المدّعينَ الـفُسّاق، ولا يـتوبُ على الذينَ أَحْوَجُونَا إلى التَّغَرُّبِ بَعْدَ الـهِجْرةِ عَنِ الحَضْرةِ الطاهرة، وَمَنَعُوْنَا التَّبَرُّكَ بِتُرَابِ حَرَمِ المَيْمُـونَةِ القَاهِرَة. والباري يَمُنُّ على جميعِ مَن سَمِعَ نداءَ الحقِّ بالتوبةِ والغفران.

وَوَصَلَني وَفَهِمْتُ الكتابَ بما أَلَمَّ بالأطهـارِ الإخوان، ووقفتُ على مَا شكُوهُ من تَخَرُّسِ المعتُوهِ الشيطان، وادّعائِهِ لمنزلةِ المسيحِ الإمام، وأَجَابَهُ مَنْ أَجابَ كَذِبَهُ من أهلِ سِبِسْطَاصِ الأجلافِ والأغتام، تنكُّبًا للحقِّ وهم يَعلمون، ورجوعًا إلى ما أَلِفوه من النَّجَسِ يهرعـون. فطالَ عليهم الأمَدُ فقستْ قلوبُهم وكثيرٌ منهم فـاسِقون. فَذَرْهُم يخُوضون ويلعبُـون حتى يُلاقوا يومَهم الذي كانوا به يُوعَدوُن.

فقد تميّزتْ لقربِ الساعةِ فِرَقُ الضلالِ والإلحاد، وعصفتْ بهم ريحُ الخِبـالِ، فَعَكَفوا على البَلَسِ والعِنَاد. وأنا بفـضيلةِ فيضِ الإمامِ القـائمِ الهاد، مليءٌ بتلخيصِ ما عَدَّدَه الإخـوانُ من إفْكِ هذَا النَّجِسِ وشَرَحُوه، وَقَوِيٌّ على تبيينِ فِسْقِهِ ومُرُوقِ أتباعِهِ الذي ذكروه وأوضحوه؛ وهذا حين ابْتَدَأُ بذِكرهم. فتأمّلوا يا جماعَةَ أهلِ الدِّينِ وَعُوهُ وتَفَهَّمُوه.

وأنا بمِنّةِ الإلهِ الحـاكمِ القـدّوس، على وليٍّ قـائمِ الحقِّ وليِّ الحَـرمِ المأنوس، أُشْهِـر فضائحَ الخلقِ المعكوس، وأبيّنُ المسوخـيّةَ من أهل الردَّةِ في الأرواحِ والأخـلاقِ والنفوس، فـعـميتْ بصـائرُهم لجَـحْدِ الإمـامةِ الأزليّـة، واستولى على عقولهم الرَّانُ لَيَتَبَيَّنُوا بـالضِدِّيَّةِ، فَشَكُّوا فيما عيّنَه الباري جلّ

وعزَّ ورَجَعُوا إلى الجاهليةِ الأوليَّة، إصغاءً إلى زُخْرُفِ النَّغْلِ الشيطانِ ابنِ البربريّة، ورجوعًا إلى ما ألِفُوه من عبادةِ العِجْلِ بالنّكثِ والبهتان، السارقِ على رؤوس الأشهاد لخَاتَمِ سليمان، والمُحرِّفِ لِما سَرَق بالبَلَس والطغيان، والمُشَيِّدِ لما بناه فرعونُ وهامان، آخرُ فراعنةِ دورِ الستر، وأوّلُ مَنِ ادّعى في دَورِ الكشف منزلةَ وليِّ الأمر.

فمِنَ الواجبِ علينا معشرَ دعاةِ الرَّشاد، المتمسّكينَ بإمامةِ قائمِ الحقِ الهاد، البريئينَ من أهلِ الشكِّ والجَحْدِ والعِناد، أن نُنهي عن الغَيِّ والعَيثِ والفساد، ونعيّنُ بلَسَ هذا المعتُوه، ونجَسَ عُصبَتِه الغافلَةِ العميَّة، وإشهارَ نِحْلَتِهم الزائدةِ بالنَجسِ على اليهوديّةِ والمجوسيّة، وذِكرَ ما ظهرَ وَشنُعَ مِن كَذِبِ مواعيدِ شيطانِهم المعتوهِ الفاسق، ولَعِبَهُ منهم بعقلِ كلِّ وَتِحٍ مفتونٍ مارق، ممّا شُهِرَ وتناظرتِ الروايةِ عن كلِّ ثقةٍ موحِّدٍ سادق، وَنَصَّهُ عنهم وعن شيخِهم عبدِ العزيز ابنِ بيّاش الخَرِفِ الآبق، لِما تأثَّرَ عن سُنَنِ أئمّةِ الهُدَى في قولِهم: إذا ظهرتِ البِدَعُ في أمّتي ولمْ يُظهرِ العالِمُ عِلمَهُ فقد أفَكَ واعتَدى.

ومن الصحيح عن حُجَةِ وليِّ الحقِّ أنّه قالَ -يعني جميعَ الخلق-: مَنْ سَتَرَ على صاحبِ بِدْعَةٍ بِدعَتَهُ فقد خَانَ قائِمَ الحقِّ في دَعْوتِه. ومن قولِ حُجَّةِ الحقِّ: مَنْ باتَ معَ صاحبِ بِدعةٍ ليلةً واحدةً فقد ثَلَمَ مِنَ الدِّينِ ثَلْمَةً وهدم منه قاعِدَةً . وقد أمَرَ وليُّ الحقِّ بكشف أهلِ البِدَع، وإشهارِ ذَوي الشَيطَنَةِ والبَلَسِ والخِدَع، ليَخْزِيَهُم وَيلْعَنَهُم الموحِّدُ العارِف، ويتبرّأ منهم الشّاكُّ الواقف.

وأنا أذكر كَذبَ هذا المعتوهِ لهذهِ الأمّةِ الخائبةِ ومخازيه، وأُعدِّدُ زُخرفَه لهم ومساويهُ، بعد نصِّ ما حذَّرَ العالَم من إفكه قائمُ الحقِّ قبلَ غيبتِه، ووصلَ إلى الأصفياءِ تنبيهًا لهذا العالِمِ النَجِس من غَيِّه وغَفْلَتِه، وتعريفًا لأهلِ الدِّينِ رجوعَ مَن يرجعُ وَبلَسَ من يَبلِسُ وَتحقيقَ أوبتِه.

فمن صحـيحِ قولهِ ورأفتهِ ولطفهِ بأهل الحقِ وتطـوّله عليهم ومنّته، قولُه في «رسالة الإعذارِ والإنذارِ الشافـيةِ من المَرضِ والأختيار»[1]: إحذروا أنْ تستـفزّكم الألسنُ الكاذبة، أو تتخطّفُكم الأمّـةُ الخائبة. فـيا أهلَ الحقِ هل أكذبُ منْ لـسانِ هذا المعتـوهِ المدّعي لمنزلةِ الإمـامِ المسيح، أو أخيـب من أمّة بدّلتْ بالكَذِبِ والبـهتان الدِّينَ الصـحيح، فقـد قطَعَ الإمامُ العـدلُ قائمُ الحقِّ معـاذيرَ جميعِ الخـلقِ بذَمِّهِ لمنْ غيّـرَ ونَكَث، وَتَبْيينِ عَوَارِ مَـن نقَضَ ميثـاقَه وحَنَث.

فقـال: واعلموا أنَّ غـيبَـتي عنكم غـيبةَ امـتحـانٍ لكم ولجمـيع أهلِ الأديانِ، فمَنْ وَفَا منكم بما وَثَقَ عليـه ولم يَنْكصْ على عَقِبَيْهِ فـسأُوتيه أجرًا عظيمًـا وأنيله مقامًـا كريمًا. ثم عرّفَنا ما يـأوْلُ إليهِ حالُ هذهِ الأمّةِ الخـائبة، ومَن انعَكَسَ وارتكـسَ، وصدَّ عن الحـقِّ وأبلسَ، وأصْـغى إلى الشـيطانِ لما زَخرفَ ووسوسَ.

أُدخِلَ تحت الجـزية، وأُوقِعَ به الذمَّـةُ والخِـزية، جزاءً بما احـتـقبَ وانقلبَ إلى شـرِّ منقلب، ذلك لِمَـا عاندَ وكـذب، ثم أكَّـدَ ذلك وَعَيَّنَهُ وقَـال: لا تَميلوا إلى ما زخرفَ الشيطان، ولا ترغبوا في الزورِ والبهتان.

فَعَـرَّفَ العالَمَ لا بُدَّ من ظهورِ شـيطانٍ يزخرفُ لِحـزْبِهِ ويوسوس، ولا بدّ منَ الأمّةِ الخائبةِ التي تَصدُّ عن الحقّ وتبلِس، وإنَّها تُصغي إلى المعتوهِ الشيطان، وتُقبل إلى الزورِ والبهتان.

فيـا أيّها الصمُّ عن سِمـاعِ سدقِ الناصح، العمـيّون عن نهجِ الطريقِ الواضح، البائعـون الدِّينَ لِخَساسَـتِهم بأقلِ المآكلِ وأنتنِ المناكح، المشـتمِلون على أعظمِ الذنوبِ وأفـحشِ القبـائح، تَتَحَـقّقُـونَ أنَّ الباري عـادلٌ حاكِم، أم تقولونَ إنّه جائرٌ ظالِم؟ حاشَى للّهِ يا أهلَ الرِدَّة الأغتام.

---

(١) رسالة رقم ٣٤.

أتقولون إنَّ الباري ظَلَمَ كافَّةَ الأنام، وأهمَلَ الأممَ وسَتَر الإمامَ عنهم وجارَ على جميعِ الناسِ وَعَدَلَ في حكمه واختصَّ بظهورِ الإمامِ أهلُ سَبِسطَاس، كذبتم يا كَدَرَ الأمم ويَا بَقِيَّةَ عَبَدَةِ العِجْلِ والصَنَم.

فالحقُّ يشهدُ بما أنتم عنهُ عَمِهُون، وفي عَذابِه موقوفون وعنهُ مَسئولُون. إنَّ جميعَ الأممِ يَعلمون ويَتحقَّقونَ أنَّ دعوةَ الكشفِ، أعني حُجَّةَ قائمِ الزمان، قد قامتْ على كافَّةِ الأممِ وتناهتْ إلى جميعِ الآفاقِ والبلدان، وتجاوزتْ بلدَ السِند إلى هِنْدِسْتَان، وطَبَّقَتْ بأمرِ البارِي أقطارَ الأرضِ إلى أقصَى مكان. وَموعدُ جميعِ الأممِ بالفرحِ عنهم من حيثُ هم، أعني سائرَ الأديان، ظهورُ قائمِ الحقِّ بعدَ غيبةِ الاختبارِ والامتحان.

فإنْ كانَ هذا المعتوهُ كما زَعم وَقَبلتُمُوه، هو الإمامُ المنتظرُ وهو الذي غابَ عن الأممِ وقد آنَ وقتُه عندَكم وظهر، فكذَّبَ المعتُوه الخائبُ الخيّاب، وهو بالحقيقةِ المسيحُ الكذَّاب، لأنَّ القائم، سلامُ اللّه على ذكره، بعد غيبته، لا يظهرُ لأحدٍ إلاّ بعدَ كمالِ العِدَّةِ. وسيفُه مُشهرٌ قائمٌ بهِ على الجَحَدَةِ الفُسّاق، في جميعِ الأقطارِ والآفاق.

فَيا أوباشَ الأمّة، وَيا آخِرَ فراعِنةِ الفَترةِ والغُمَّة! أينَ آياتُ قائمُكم ومعجزاتُه، وأينَ براهينُه وآياتُه، وأينَ راياتُهُ وبنودُهُ، وأين عساكرُهُ وجنودُه. فحقًّا لكم يا أهلَ البَلَسِ والعِناد، وبُؤسًا لكم يا أهلَ تُبّاعِ فرعونَ ذِي الأوتاد، الذينَ طَغَوا بردَّتِهم في البِلاد. فأكثَرُوا بالفِسقِ والعَيثِ فيها الفساد، واستَزَلَّهم الشيطانُ بِزُخرُفِه، واستخفَّ عقولَهم وأزالَهم عن دينِ الحقِّ بشيطنتِه، وَقَلَعَ منه أصولَهم وليسَ لهذا النَجِس ولا لأتباعه مِن القدَرِ أن يردَّ عليهِم وإنما ذَكَرنَا هذه الجَذَاذَةَ ذَودًا للضعيفِ عن الإصغاءِ إليهم، وأيضاً إشهارًا لهؤلاءِ الفَسَقَةِ الكَفَرة، وأثَرناه عنِ السلفِ الطهَرَةِ البَرَرة: أنّه مَنْ سَتَر على صاحِبِ بدعةٍ بدعَتَه فَقد خَانَ قائمَ الحقِّ في دعوتِه.

فأوّلُ ما لَعِب هذا النَّجِسُ بعقـولِ هذه الأمّةِ الخائبة، وابتدَأهم به في سنة عشرينَ من المواعيدِ المختلفةِ الكاذبة، أنّه قالَ هذا الخائبُ الذي غَلَب عليه خبثُه وشقاه، واستْطْنَعَهُ هذا المعتوهُ زَعَمَ لنفسه وادّخَرَهُ واقتناه، بشّرَ أبَالِهَهُ وجمـاعَتَه في هذهِ السنةِ برفعِ الخَـراج، فَكَذَبَ المعتوهُ بل وَزَنَتْـهُ جماعـتُهم بالعنفِ والهـوانِ والانزعاج، وبعـد ذلك ذَكَر لهم في الأوّلِ من الجـمَادَين أنَ القمحَ يَـغلو حتى لا يوجَدُ ولا يُـرى بعينٍ، ويقعُ الجوعُ حتـى لا يُرجَى لأحدٍ سلامة، وبعده في بِشْنِسَ أعني جَمَادى الآخرة تقومُ القيامة.

فَكَذَب المعـتوهُ الشيطانُ في قـولِه ولَعَن، وَما في جـماعـتِهم إلاّ مَن سُلِبَ عقلُه وَغُبِن، ثمّ رَجَعَ عن هذا القولِ الخسـيءِ وحدّدَ لهم أنَّ القيامَة تقومُ إلى أربعةِ شـهورٍ آخرُها أوّلُ أيّامِ الشتـاء. فَكَذَب الشيطانُ المعتـوهُ في قولِه وخَزِيَ. ثمّ رجع عن هذا المَقـال، وأوعَدَهم أنّ القيـامَةَ تقومُ في خمـسةِ أيّامٍ مضتْ من شَـوّال، فكذّبَ نفسَهُ الملعونُ المنجـوس، ولفَّقَ لهؤلاءِ الأوباشِ في شهرِ رَجب أنَّ العـروسَ تلتقيها العروس، واسـتَدْعَاهم لاستماعِ مـا زخرَفَه وهو الزّورُ والكَذِبُ الملبوس.

وذَكَر أيضًـا ثَلَثَ وقعـاتٍ هائلات في رَجَب، وأيضًا ذَكَـر ريحًا تَهُبُّ وتمنعُ المسـافِرةَ في البـرّ والبحـرِ وتُورِدُهُم العَطَب. فمـضَى ذلكَ ولم يكنْ، وخُزِيَ المأبونُ وافـتضح، ووقف حـالُه وحالُ أوباشِه على الـرِضى بالهزلِ والفِسقِ والوَتَح.

وذَكَر بعدَ ذلكَ أنّه تموتُ أبناءُ الأثنَعشَر سنةٍ في شـهرِ شَعبَانَ، ولم يبق فـيـه من عمـره دونَ ذلك إلاّ هَلَكَ من جـمـيعِ الأطفـال والولدان. فَكَذَب الملعونُ الفاسق الدَّهَاش، وإنما قَبِلَ هذا القولَ منه الأشقياءُ الفَسَقَة الأغباش.

وذَكَر أيضًـا هذا النَجِسُ لأتباعِـه أشباهِ البـقرِ والغنم، أنّه في شـهر رَمَضَـانَ تموتُ أبناءُ حَام، يعني جمـيعَ السودانِ والخَدَم. فمـا أوقَحُ وأقبَحُ

وجهُ هذا المارقِ البَهّات، وأعظمُ شَقَاءُ هؤلاءِ الأشباحِ الأموات. فَمِنْ أعظمِ بَلَهِ المعتوهِ وحَيرتِهِ، وعَمى أتباعِه وشقاءِ عصبتِه، أنّه لا يميّزُ ما يتعقّبُ عليهِ منَ الكِذب، ولا هم ينتبهُونَ لما يُوعِدُهُم من الهزْلِ واللّعِب.

وأيضًا هو يُوعدِهُم في أيّامِ الشتاءِ بقيامِ القيامة، وظهورِه لهم بالفَرَجِ والعلامة؛ ويصف لهم تمامَ البحرِ بعد ذلك، أعني لأوليائِه وكمالِه في النّيروز؛ ثمّ يرجعِ في لَيلتِه ناقِصًا غائرًا بمائِه ثم يُدوِّدُ وَيَتلاشى إلى أبعدِ نهاية.

فَلا بظهورِه في الوقتِ الذي حدَّدَ بالفَرَجِ والنعمة، ولا بما يَلقَوه من الحِصَار والعَطَشِ والنَقمَة. وإنَّ المعتوهَ عَمِلَ شعرًا وذَكَر هذا التوقيفَ في قصيدتِه، وأقسم لهم أنَّ جميعَ ذلك بأمرِ المولَى عزّ ذكرُه عن هذا المارِق وتحديدِه وصفتِه.

وهذه روايةُ شَيخِهم عبدِ العزيزِ ابنِ بَيَّاشٍ مع يمينِه وأمانتِه للشَيخَين السَادِقَين. والكلُّ منهُما يشهدُ على شهادتِه ولم ندفعْ قيامَ الإمامِ الحقِّ وذَكَرَ الظهور، وإنّما رَدَدْنَا على كَذبِ هذا النَجِسِ المَبثُور، الشيطانِ المُختَرِصِ الإفْكِ والزُور، المُدَّعي لِعلم الغَيْبِ وَتَحديدِه بالكِذبِ لجميعِ هذه الأمور.

وقد نَما إليه أنّه لَمّا تَشيطَن واستوعبَ شَقاه، وكَتَبَ الميثاقَ المخترِصَ لنفسه على من أضلَّهُ واستهواه، زعم أنّهُ نَزَّه البارِي عن التشبيهِ والتحديد، وذَكَر أنّ الأمورَ كلَّها منصرِفَةٌ إلى الإمام، يعني نفسَه، وتَسَمَّى بإلَهِ المواعيد، وَلَعَمْري إنّه إلهُ المواعيدِ الكفريَّةِ المختَلَقَة، وسلالةُ الكفرِ والشِركِ والزندقة، آخرُ الأشقياءِ المدَّعين، وأوّلُ الفراعنةِ الهالكين.

والحَقُّ قولُنا إنّ البارِي جلَّ ذكرُه عن ذكرِ هذا المارقِ البَهّات، مُنَزَّهٌ عنِ الأسماءِ والصفات، وعزَّ عن الحَصْرِ تحتَ الأزمانِ والأوقات، وَمتَعَالِي

عن تَوهّمٍ بصائر الأنظار، مُعْظَّمٌ منزَّهٌ عن ذكرِ الغيبةِ والاستتار، وإنما الغيبةُ والاستتارُ للمولَى حجّةٌ على هذهِ العوالمِ للإمامِ الشديد، صاحبِ حقيقيّةِ النصِّ الوكيد، المنتشرَةُ دعوتُه في آفاقِ الأرضِ والبرهانِ والتأييد، المُجَازي للأممِ بما أسلفَتْ والقائمِ على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ، المؤيَّدُ بصادِعِ مَقَالِه، السادِقُ في وعدِه وفعالِه؛ فعلُه بالتأييدِ فعلاً جَزمًا، وأمرُهُ بالتّوحيدِ أمرًا حتمًا، لا يُظْهِرُ على غيبِه وقتَ ظهورِه أحَدًا، ولا لدَعيٍّ أو شاكٍّ معه أو مشركٍ به يومَ القيامةِ مَلجأً وَلاَ مُلْتَحَد، ولا يُنتَظَرُ ظهورًا لأحد، وإنما هو الظاهِرُ لإعزازِ الدِّين، وهو المنتظَرُ في أقطارِ الأرضِ بالفَرَجِ لجميعِ الموحِّدين.

فَهَذا المعتوهُ إنْ كانَ ينتظرُ ظهورَ المولى تنزَّه عن ذلكَ فقد ألحَدَ في التنزيهِ وحَدَّدَ وكَفر، وإنْ كان ينتظرُ شيئًا آخرَ فهو لا شكَّ الإمامُ المنتظَر، فقد بَطَل دعوى هذا النَّجسِ بانتظارِه لسواه، وَوضَحَ الحقُّ بانتظارِ الإمامِ واشتهر، ولا حجَّةَ على هذا المعتوهِ أوكَدُ من إقرارِه بانتظارِه لسواه، ويشهدُ بذلك عليهِ مَنِ ائْتَمَّ به من أهلِ النَّجسِ واستهوَاه، انقطعتْ معاذيرُ مَنْ سَمِعَ هذا التنكيبَ والتوقيف، ووقفَ حالُه على الزّورِ والتسويف.

والإمامُ منزَّهٌ في نفوسِ أهلِ الحقِ عن ذكرِ هذا المعتوهِ المسمَّى بالمسيحِ الكذاب، صاحبِ وَعْدِ الإفكِ والسراب، المُحَرِّفِ لكتبِ وليِّ الحقِّ بكذبِه، المخترِعِ الباطل لسخافةِ عقولِ أتباعهِ وخبثِ مُرَكَّبِه.

فالأولى به أنْ يَرعَوي ويرجِعَ عن دَعوى مرتبةِ الإمام، ويتفكَّر في نفسه أوانَ سَفَرِه وهو مرّوشًا لأجنادِ الشام، وسيّدُهُ ابنُ أبي خُمَار يَنْزُوهُ، وأيوبُ أيضًا يعلو أمَّهُ مريمَ العَدَويَّةِ ويَعلوهُ، وكثيرٌ من هؤلاءِ الفَسَقَةِ القائلينَ بإمامتِه، المنصوبينَ لبثِّ دعوتِه، عارفونَ بموارِدِ وَجَارَتِه معهم والمصادر، وكانوا يتحقّقونَ قبل الردَّةِ أنَّ الإمامةَ محرَّمةٌ على أهلِ البَغاءِ وأولادِ العواهر، فَنَسَوا ذلك مَيلاً إلى ما أَلِفُوهُ من النَّجَسِ والبهيميَّة، وتحقيقًا للعَدلِ بنُقْلَتِهِم في المَعادِ إلى المسوخيَّة.

ونحنُ أهلُ الحقِّ بِمِنَّةِ مَـولَى الخلقِ مُنَزَّهُونَ عَن النَجَسِ والسَـخَفِ، لِمَا تَأَثَّرَ فِـينا من فضائِلِ الإمامِ القـائمِ القاهرِ، لأنَّ السخَفَ والنَّجَسَ يليـقَانِ بفاعليهما لا بالموبِّخِ بهما الذاكرِ، وإنّما تفوّهتُ بذلكَ حجّةً على هؤلاءِ الأغمارِ الأجلافِ، الذين مَـرَقُوا عن وليِّ الحقِ بالنِّفـاقِ والخِلافِ، فعَـبَدُوا الأشقـياءَ عِجْلاً جَـسَدًا، وهم يعرِفُوه، وإنما جَمَـعَتْ بينَه وبينَهم عاهَةُ النَّجَسِ والنَكثِ فيما مِن الأزمِنَةِ ألِفُوه. فمِن أكبرِ علاماتِ إمـامتِه عندَ أتباعِه، وأكبرِ معجزاتِه أنّه أبدَعَ لهم جبالَ الرحـمةِ ومطيَّةَ المؤمنينَ من أكبرِ آياتِه. فهـذا وأمثالُه ممّا يرتفعُ عن ذكـــرِهِ الذي جَـمَعَ بينَ هؤلاءِ الأنجـاسِ، وأخـــرجَـهم إلى الردَّةِ والانسِفَالِ والانعكاسِ.

فالحـذر الحذر يا جـماعةَ مَن تمسَّكَ بِحُـجْرَةِ الولّي الهـادي الإمامِ، صاحبِ الـراجفةِ والانتـقامِ، أنْ يتلبَّسَ أحـدٌ منكم بأحدٍ مـن هؤلاءِ الأجلافِ الأغتامِ، المرَقَةِ عن الحقِّ عبدةِ الأوثانِ والأصنامِ، الـسائلةُ نفوسُهم أسفًا على البهيـميّةِ والحِطامِ، الذينَ سَمِعـوا خَوَارَ العِجْلِ الجَسَدِ فَـعَبَدُوه، وَتَوَلَّوا عن الحقِّ وراءَ ظهورِهم وَنبذوُه، مِن بَعدِ ما تبيَّنَ لهم هُدى وليِّه وعرفُوه.

فهذا العدلُ والحقُّ قد أظهَرَ الإبليسَ وَمنْ ادّعَى له منزلةَ الألوهيّةِ في دورِ القيـامةِ، وقامَ المعتـوهُ الشيطانُ موازِيًا له بدعوى مـرتبةِ الإمامةِ. فـقد تميّزتْ فِرَقُ الكفرِ والضلالِ، وبان أهلُ الحقِ من الأنجاسِ الجهّالِ، وقد أعذَرَ من أنذَرَ، ونصحَ وبصّرَ وأخبَرَ، ومـا على الرسولِ إلاّ البلاغُ، وعَلى مَنْ فَهِمَ القَبُولَ والسـماعَ. والحمدُ لمن لا تحدُّه الألفـاظُ والأفكارُ والأسماعُ، والشكرُ للمولى الهادي الإمامِ القائمِ المطاعِ.

تمّت بمِنّةِ وليِّ الأمرِ.

٧٧

تَوبِيخُ لاحِق

أنظر في شأن لاحق الشيخ المختار مقدِّمة الرسالة رقم ٤٥ وهي في تقليدِ لاحقَ مرتبتَه الدِّينيَّة. إلاَّ أنَّ لاحقَ لم يبقَ على إيمانه بالتَّوحيد؛ بل راح يدَّعي الألوهيَّة، وبأنَّ روحَ الله حلتّ فيه. فبعث بَهاءُ الدِّين بهذا التوبيخ المشين.

باسمِكَ اللّهُمَّ إلى الطليقِ الخائبِ الناكثِ العاقِّ، ألعاجزِ عن حميدِ الطاعةِ إلى العِصيانِ والإباق، المخترِصِ بالكذبِ والخِلافِ والشقاق، والسالِك لسبيلِ أهل النكثِ والبَلَسِ والنِفاق.

أيُّها الخائبُ قد أَوْبَقَتْكَ بعدَ الإمهالِ ذنوبُكَ، وتكشَّفتْ لطولِ الفترةِ عيوبُكَ، فأظهرتِ الحكمةُ ما أكنَّهُ ضميرُكَ من العقوق، وأبدتْ شروطُ القيامةِ ما استجنَّ في قلبكِ الدَّغَلِ من الغلِّ والفسوق. وأبانتْ عقيدتُكَ المخذولةُ ما استتر فيها من الجَحْدِ للإمامِ والمُروق، فجحدتَ نِعْمَةَ مَن جَعلَكَ بَعْدَ لاشيٍ شيئًا مذكورا، وَنسيتَ اسمَكَ وأنتَ من هذه الحجَّةِ التي تَدَّعي ظهورَ فعلكَ بها مقذوفًا طَريدًا مَدْحُورا، وأغفلتَ نفسَكَ حينَ أخرجَاكَ منها حميدٌ وَعَسْكَرٌ ذليلاً حقيرا، تَرْفُلُ في أثوابِ الخَبَلِ والجَهْلِ، وأنتَ صريعُ الزَّلَّةِ بِصُوَرٍ تَتَبَيَّنُهَا بِغَيرِ معلومٍ ترجِعُ إليهِ ولا أصل. وقد أَسْنَخَا عينَاك وأذلاّك، ومِن جميعِ المواضعِ دَحَضَاكَ وطرداك، وأَبْكَيَا عيناك وأخرجَاك، مقطوعَ الظهر

والوَتين، مسلوبَ العزيمةِ والدِّين. ليس لكَ ملجـأ ترجعُ إليه، ولا وزيرٌ مُعْقَلٌ تُعوِّلُ عليه. فرجعتَ إليَّ مستصرِخًا فأصرَخْتُكَ، وذليلاً فَأَجَرْتُكَ ونَصرتُكَ، وجاهِلاً فسدّدتُك وأرشدتُكَ، وعميًا ففتّحتُ عيناكَ وبصّرتُكَ.

فلمّا أظهرتَ إليهِ رغبتَكَ جبرتُ كسرَكَ وأجبتُ نِداك، وأَرَشْتُ جَنَاحَكَ ولبّيتُ دُعَاك، وأنعمتُ عليكَ من فضلِ الذي أنعَم عليَّ وليُّ الدِّينِ في أولاكَ وأخراك، وبلّغتُكَ ما لم تتوهَّمْهُ وفَوقَ مُنَاك، وقلّدتُكَ خطابَ العشائرِ والقبائل، ونوّهتُ باسمِكَ في المكاتباتِ والرسائل، ولقّبتُك بالكوكَبِ السَيّار، إعلاءً لقدرتِكَ إلى أعظمِ الرُّتَبِ وأشرفِ المنازل، وأمددتُكَ من فيضِ الحقِّ المنعَمِ به عليَّ من أطهرِ العناصر، وأقمتُ عليكَ الحجَّةَ في وقتِ ظهورِه طاعتكَ بما ان ثَبَتَتْ على ذوي الألباب والبصائر، وأطلقتُكَ كما أمَرَني وليُّ الحقِّ بالإطلاقِ سيّارًا فيما أمددتُك قوّةً من الأقاليم والجزائر. ومهّدتُ لكَ بقوّةِ وليِّ الحقِّ جميعَ البلدان، وجعلتُ لكَ بعظمةِ وليِّ النِعمةِ التي جرتْ على يَدِي قوّةَ اليَدِ واللِسان.

فَقَعَدَ بِكَ عنِ الخِدمةِ في السّيارةِ ضعفُ النفسِ وخبيثُ العَمَل، وأعجزَكَ عن النهوضِ فيها فسادُ النيّةِ وقديمُ الزَلَل، فاغتنَمتَ الراحةَ والإباحةَ وابتدعتَ فيها كما ابتدعَ الشيطان، ومرقتَ عن الحقِّ واختلقتَ كما اختلقَ المفرَدُ الإنسان، ورجعتَ إلى العنصرِ الخَطَلِ الخبيثِ، ونهضَ بك عَملُكَ في وقتِ التمييزِ إلى ما ألِفَتْهُ نفسُكَ الوَضِرَةُ بالزَعجِ الحثيث، فجحدتَ حقَّ النعمةِ المُنْعَمَ بتفويضِها إليك، وهي عدلٌ سادِقُ تشهدُ بمحالفتِكَ لها عليك.

فقابلتَ أيّها الخائبُ أنوارَها بظلمةِ الكذب والبهتان، ورجعتَ إلى اعتقادِ إمامةِ الدّعيِّ المُحَمْلَقِ المعتوهِ وأنكرتَ قائمَ الزمان، وقطعتَ ما أمَرَ الباري بصلتِه بالنُكرِ والفُسوقِ والجَورِ والعُدوان. وأردتَ إطفاءَ نورٍ قد

أخمـدَ نواميسَ أهلِ الكذِب والبَلَسِ والطُغـيان، وهدمَ أركـانَ الأبالِسةِ بموادٍّ قائمِ الزمان، والدهورِ ومحقّقِ الأديان. فخرّتْ لـلمولى متناكصةً على الجباهِ والأذقان، وكسـرَ أصنامَ المَرَقَةِ أشباهِك المرتدّين، وأرغمَ بحقِّـه أنوفَ أمثالِك الخونةِ الجاحدين.

فأنتَ أيّهَا الخائبُ لم تحفظْ من حكمةِ الوليِّ ومعجزاته، إلاَّ مَا أقامَ به الحجـةَ عليك بكذبِك على حدودهِ الأطهارِ وآياتِه، وهو حَـفَظَكَ من قولِ الوليِّ في رسالةِ الغَيَار، الدامغة لأهلِ الكذبِ والعصيانِ والإصرارِ[١]: ولو علِمتُم ما أُلزِمـتُم بهِ من سـدقِ اللّسـانِ وحفظِ الإخـوانِ، لبَـانَ لكم الحقُّ من البـاطلِ والجحـودُ من الإيمانِ، والإيمانُ في لغـةِ العرب هو التـسديق. فـمَن لم يكنْ سادِقًا بلسانِه فهو بالقلبِ أكذَبُ وأضـعفُ يقينًا وأكثرُ نفاقًا.

واعلَموا أنّ السدقَ هو الإيمانُ بكمالِه، والكذبَ هو الشركُ والضلالةُ فمن كذبَ على أخيـهِ المؤمنِ فقد كذَبَ على داعيه، ومن كذبَ على داعـيه فقد كذب على إمامِه. ومن كذَب على إمامِه فقذ كذَب على مولاَنا جَلَّ ذكرُه وجَحَد نِعَمَه واستوجَبَ سخطَه. ومن قال في أخيه المؤمن ما ليسَ فيه أو حرّفَ عليه قوله، أو حلّـلَ له شيئًـا ممّا حرّمـه عليه إمـامُ زمانه، أو قالَ فـي مولانا جلّ ذكره مـا لا يجوزُ أنْ يُقـالَ في عبـدِه، فقد جَـحَدَ الفـضلَ والإيمانَ، وتظاهَر بالكفرِ والطغيانِ. ومَـن خالفَ عبدَ مولانا جَلَّ ذكرُه قائمَ الزمـانِ، فقد عَصى مولانا سبحانَه وأشركَ به غيرَه، وإنْ كان يعتقدُ عبادةَ مولانا جَلّ ذكره. وإنْ كذبَ على إمـامِه أو على حدٍّ من الحـدود، وقالَ إنّ مولانـا جَلَّ ذكرُه لا يعلمُ بذلك فقد خـرَجَ من جملةِ الموحِّدينَ وصـارَ مِـن الكافرينَ بنعمتِـه الجاحدينَ لعَظَمَتِه.

---

(١) إستشهادٌ من الرسالة رقم ٤١، واسمها «الجزء الثالث من السبعة أجزاء.

فهـذا أيّها الخـائبُ حِفْظَـكَ الذي يَنطِقُ به في كلٍّ وقت لَفظُكَ، إقـامةُ الحجّةِ بالعدلِ الفائضِ إليك، وشـهادةُ السادقينَ بجحودِكَ للحقِّ وتكذيبك لمن أوجدَكَ هذا العِلمَ ومَنَّ به علَيْك.

فوحقُّ الحقِّ لـقد كذبتَ على داعـيك، الذي أُلزِمْتَ له بسـدقِ اللّسانِ، ودلَّستَ بكذبِكَ على أهلِ الدِّين وضيّـعتَ حقوقَ الإخوان، فـقد بانَ الحقُّ مِنَ البـاطلِ لبصـائرِ الموحِدين، وعُـوينَ أهلُ الإيمان من أهلِ الجُحـودِ لشـهـرتِكَ وأشباهِكَ بالردّةِ والكذبِ بينَ أهـلِ الدِّينِ، ولم تكنْ سادِقًا بلسانِكَ فيـما قلتَهُ لأهلِ الإيمانِ وِفاقًـا: فإنّه كـما قال وليُّ الحـقِ بالقلبِ أكذبُ وأضعفُ يـقينًا وأكثـرُ نِفاقًـا، فقـد خرجتَ يا مـارقُ من جملةِ أهلِ السـدقِ الذي هو الإيمانُ بكمـالِه، ودخلتَ يا خـائبُ في حزبِ أهلِ الكذبِ والـشركِ والضـلالة، بكذبِكَ على داعيكَ فضلاً على أخيك، وتقهقرتَ في دَرَجِ الانسِفَالِ لِبَلَسِكَ في تعدِّيك.

فـقـد صَحّ كـذبكَ على إِمـامِكَ وباريكَ لجـحـدِك لفـائضِ النعـمـة، فاستـوجبتَ مِن الباري أليمَ السَـخطِ وعظيمَ النقمَة، بتحـريفِك وكذبِك على وليّ الزمانِ، واتّخاذِك عُـرَفَاءَ وأنصارًا وقضـاةً في دعوةِ التوحيـدِ الناسخةِ الشرَعِ والأديانِ.

فابتدعْتَ أيّها الخائبُ لمنْ وليَّتَ عليهم بِفسْقِك مذهبَ الإباحةِ والكذبِ والتـحريف، وأوضحـتَ لهم الطريقَ إلى الفسقِ بالأليـفةِ والأليف، وَنَعَـقْتَ فيـهم بالعَيْثِ والخِبَـال والإفسَاد، وأمـرتَهم بانتهاكِ المَحـارِمِ وقتلِ الأولاد، وأطلقتَ عليهم سيوفَ الأممِ أهلِ الشرِكِ الحاضرِ منهم والباد.

ولم يكفيكَ مـا ابتدعْتَهُ من المحـارِمِ، تَجَرِّيًا على اللّهِ وَقَطْعاً لأمـانتِه، واعـتداءً عـلى أهلِ الحقِّ. فـاللّهُ يكشفُ عَنكَ وعن أتبـاعِك وأمـثالِـكَ ستـورَ صيانتِه، حتى رجعتَ إلى هذا المُنكَرِ بتمـويهِك ليتبيّنَ بفسقِكَ فِسقُ مَنْ رَجِعَ عن الحقِّ وخانَ في ديانتِه.

وقد علموا الكافَّةُ أنَّ المقتنى أَصْرَفَكَ وأُخَـوَيْكَ الخَيْبَةَ وأعزَلَكُم. فَمَنْ بَعدَهُ يا نَكَثَـةُ أطلقَ لكم الكلامَ ونصبَكم؟ فـأنتَ وَهُمَا يا مَرَقَـةُ أولادَ الحرامِ الخَوَنَةُ الأدعياء، وأولادُكَ يا جاحِدُ وأولادُهمـا بالحقيقةِ أولادُ الخِبثِ والزِنا، وأنتم غطارسةُ الأزمانِ لإلفِ نفسِكم الخبيثةِ لمساهمةِ أهلِ النكثِ والارتياب، ولِنَجَسِهَا أُمهِلتْ في أخَسِّ الهياكلِ لِخِدمَةِ المسيحِ الكذاب.

فـاخدُم أيّهـا الخـائبُ وَهُمَا في نَجَـسِ دَعوتِه كـمـا أَلِفتُم في قـديمِ الأدوار، وارمِ أنتَ وهمَا بِسهامِ النَجَسِ والبَلَسِ مَقاتِلَ الموحِّدينَ الأطهار. فما يكونُ لكَ أنْ تتكبَّـرَ فيـهـا. أخرُج وَهُمـا باللّعن من دعـوةِ وليِّ الحقِّ بالرجم والإشـهار. فما أنتَ وهما إلاّ «كشـجرةٍ خبـيثةٍ اجتثَّتْ من فوقِ الأرضِ فما لها من قرار»[٢]. فقد ابتدعتَ الباطلَ وجحدتَ الإيمانَ، وتظاهرتَ بالردَّةِ والكذبِ والكفرِ والطغيان، وخالفتَ بفسقِـكَ قائمَ الزمانِ، بذهابِ عقلك، وَصَغرِ خدِّك، ولومِ أصلِك وتَعَسِ جَدِّكَ، وخروجِك عن الحقِ وخِلافك لحدِّكَ.

فهذا الفـصلُ من أولّه إلى آخرِه أيّها الخائبُ يوضحُ مـخازيكَ ويبّينُ للكافَّـةِ انتكاسَك وتردّيكَ. ثمّ ولم يكفِـيكَ هذا الفِسقُ العظيم، وأكلُ السُحْتِ وَشربُ الحـميم، حتّى رجـعتَ بِسُمِّ نَجَسِكَ إلى القومِ الـذينَ عنهم أُصرِفْتَ، عن سِياسـتِكَ الخبيثـةِ فيهم أُسْكِتَّ . تُزخرِفُ لهم آياتك المكذوبَةَ المخـتَرَصَةَ، وتبيّنُ لهم فـضائِلَكَ المأفوكَةَ المنتـقِصَةَ، مثْلُ قـولِكَ لهم: إنّكَ دخلتَ على قائمِ الزمانِ وَوَلَدُهُ جالسٌ منه على اليمين، وأيضــاً تخبرُهُم بكذبِكَ أنَّكَ دخلتَ على الرِضى سفـيرِ القدرةِ وبشـيرِ المؤمنين، وبعـدَ ذلكَ أخذتَ معـهم في إظـهارِ معجـزاتك، وتبيّنُ براهينَك وآياتك، وتعرّفُـهم أنّك مبيّنٌ آياتِ الفتـرةِ وتحقّقُ عندَهم أنّك أُحرِقْتَ على دينِ التوحيدِ أثناعَشر مرّة.

وأيضـا مثلمـا ما أرسَلْتَ إلى الإخـوانِ تُعـرّفُهم منازلَهم في قـديمِ

---

(٢) سورة إبراهيم ١٤/ ٢٦.

الأدوار، وتقولُ لولا الشفقةُ عليكم لعرّفتُكم منازلَكم في هذا العصر المُسْتَقْبَلِ وفي سائر الأعصار. وجميعُهم يتبرّؤنَ منك وممّن يُنسَبُ إليك، وَيَسْتَعْدُونَ إلى الباري وإلى وليِّه عليك، بما ألهَبْتَهُم بنار بَلَسِكَ وشَيطَنَتِكَ، وأحرَقْتَهم بوَهَجِ كذبِكَ وضلالِكَ.

فيا أيها الخائبُ الدَعيُّ المنكوسُ الشقيُّ الذي أعدَمَ هُداه، واتّبعَ لشيطنته هَواه، واستعبدَه أخسُّ أعْضَاه. فملا اذي أضلَّكَ وأنكَسَكَ وأشْقَاك، وأعمىَ قلبَك وأخيبَ مسعاك. لقد خسِرتَ أولاك وأخراك. أتَرَى لِضُعْفِ المعلومِ الذي وَصَلَ إليكَ نافقتَ وشككت، بل لِخبثِ العقيدةِ التي أظهرَها دورُ الكشفِ عليكَ عميتْ بصيرتُك فهلكتَ!

فما مَثَلُكَ ومثلُ أخَوَيكَ الخَيبةُ فيما بَلَّغْتُمُوه بألسنتِكم من الدِّينِ إلى الإخوانِ الأطهار، كَمِثْلِ الأعجَفِ الحمار، المكدودِ في الدولاب لِسَقي الثمار، أو كالبغلِ المستخدَمِ في الرَّحى. فكلاهما يدورانِ للسعي إلى قدّام، وسَيرُهُما إلى خلفٍ وإلى وراء، فهما مستخدَمان في ألذِّ الأغذِيَةِ وأطيبِ الثمار، وغذَاءُهمَا بالتِبنِ والشعيرِ، بعد التَعَبِ والكَدِّ باللّيلِ وأطرافِ النَهارِ.

فهذا المَثَلُ أيّها الخائبُ لِمنِ انتكَس مِثلَكَ وَهَمَا، وشكَّ في الحقِّ وخانَ أهل الدِّينِ وعميتْ بصيرتُه، وخرَج عن أهلِ السدقِ والكذبِ على الحدودِ الطاهرين.

والآن فقد أخذتْ رسالةُ التوبيخِ على أهلِ الشطنِ والخلافِ والكذب والعصيان، بقسطِ العدلِ من مَوجِبِ الزمان، وَخَبَرُكَ عند مَنْ لا يُرهِقُكَ بتثريبٍ ولا امتنان. فالأَولى بكَ أيّها الخائبُ التائهُ أن تتوبَ عن هذا الشَطَنِ وتُقلِعَ وتستغفرَ من هذه الخزَايا وترجعَ ما دامَ سترُ وليِّ الحقِّ عليكَ مُسْبَلٌ والإنابة منكَ تُسمَعُ وَتُقْبَل، قَبلَ أن تُغْلَقَ بوجهِكَ الأبوابُ الحَقِّ، وتصيرُ مُضغَةً وَنكالاًعلى ألسنِ جميعِ الخَلقِ.

ونكتبُ إلى جميع البلدانِ بردّتِكَ ومخازيكَ، وَيَشْمَتُ بكَ مَن كان يُضاهيكَ ويُماريك، ويتبرأ منكَ مَن كانَ يتعبّدُك ويُواليكَ، وَتُكْشَفُ عَنْكَ ستورُ الصيانة، وتُحْسَبُ في جملةِ من شَطَن ومرقَ عن الحقِّ وخانَ في الأمانة، فتندَمُ حيثُ لا ينفعُك النَدَم، ولا يَثْبُتُ لكَ بعدَ هذا الزَلَلِ الفاضحِ قَدَم.

والأحسَنُ بحالكَ الإصغاءُ إلى حكمةِ العبدِ السادقِ النّصيح، وأنْ تتأدّبَ بمأدبِ مملوكِ الإمامِ القائمِ الهادي المسيحِ، وتَنْزَع عنكَ أثوابَ الكذبِ والتكبر، وَتَرْمِ لقِمُصِ النفاقِ والتجبّر؛ فقد أخذتُ عليكَ بفضلِ الحلمِ، وصبرتُ على جهلِك بمقتضَ حقِّ العِلمِ.

فإنْ سلّمتَ إلى وليِّ الحقِّ وتُبْتَ عن ردّتكَ ورجعت؛ وعن عظيم زَلَلِكَ وأيباقِك واعترفتَ بها واقلعت، فليَسْألِ العبدُ مولاهُ في التجاوزِ عن جُرمِكَ وذنوبِكَ، ويبتهلْ إليهِ في العَفوِ عن فَرَطِكَ وسَتْرِ عُيوبِكَ. فهو ألطفُ بكَ من نفسِك المُصَوَّرةِ لَكَ مَخَائِلَ الأباطيل، وأنصفُ لكَ وأعطفُ عليكَ وأرأفُ بكَ من الأبِ والأمِ بجميعِ الأنحاءِ والأقاويل.

وإنْ أبنتَ إلى اللّددِ والكفرِ والعصيان، والتمادي على الشَطَنِ والعقوقِ والطغيان، فما أوهنَ مسعاكَ وأضلَّ مَقيلِكَ ومَثْواك. ولك يومٌ لا بدَّ تلقاه، وجزاءٌ لا شكَ تتوقّاه.

والحمدُ للّه مُضعِفُ كيدِ الخَوَنةِ الفسّاق، ومخزي أهلِ البَلَسِ والجحودِ والنِّفاق، ومبيّنُ ما في صدورِهم في وقتِ التمييزِ قبلَ شدِّ الخِناق. والسلامُ على عقلِ العوالِمِ، وهادي الأممِ، إمامِ العدِ ل قائمِ الدِّين، وصاحبِ الميثاقِ، المنتقمِ بسيفِ العالِّ مِنَ المرتدِّينَ والمارقينَ وأهلِ الشِقاق. وَحَسبي ثِقَتي بقائمِ الدِّين، صاحبِ الأمرِ والنهي والإطلاق.

تمَّ التوبيخ. والحمدُ لمولانا وحدَه. والشكرُ لقائمِ الزمانِ عبدِه.

٧٨

تَوبِيخُ الخَائبِ العَاجِزِ سُكَين

أصبح سكين أخطر أعداء الدعوة وأهمّهم، بعد ما كان داعياً نشيطاً يبشّر بالتّوحيد. إسمُه مسعود، لقبُه ابن الكرديّ. ورد خبره في مقدمّة الرسالة رقم ٤٦ المسماة «مرسوم تقليد سكين». كتب بهاء الدّين هذا التوبيخ والألم فيها من أعمال سُكَين يحزّه حزّا . فبسبب سُكين وأمثاله أغلق المقتنى أبوابَ الدّعوة، وغاب، كما أشار إلى ذلك في «رسالة الغيبة»، رقم ١١١، الأخيرة من مجموعة رسائل الحكمة.

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم.

وَصَل كتابُ الشيخِ الفاضلِ والجماعة، ثَبَّتَهُم اللّهُ على طاعةِ وليِّ الدِّين، وكفَاهم الدخولَ فيما استحسنتْهُ يهودُ هذه الأمّةِ الأنجاسِ المَرَقَةِ المرتدِّين. وقرأتُهُ وفهِمتُه وتعجّبتُ من اجتماعِكم على السؤالِ في فلانٍ أوبقَهُ اللّهُ باعماله، وَزَعمتُم أنْ ليسَ عندكم منه خَبَرًا، ولا اجتمعْتُم معه. وكذلك أيضًا ما اجتمعْتم مع الذي تقولوا إنّه أطلقَ عليه الذَمّ. وهذا الحالُ يا إخوةُ قبيحٌ عليكم أنْ تكونوا بمنزلةِ مَن تكونُ الأشياءُ عندكم خرافاتٍ مهملةً.

فاللّهُ يَلعَنُ مَن يُطلقُ الذمَّ، على غيرِ المستحقِ الذمَّ، ولا يوجدُ شفاعةَ مَنْ يَرجو شفاعَته. ولكن ما نُواخِذُكم بما يُشْتَبَهُ عليكم من أفعالِ المدّعين.

فإنْ كنتُم تَخَافون من اللّهِ عزَّ وجلَ وتعترفونَ بالحقِّ وأهلِه فانصفوا أنفسكم ولا تَجُوروا عليها بالمساعدة لجهلِ الكذّابين.

فإنْ كنتم تعـتقدونَ أنَّ هذه الضيعـةَ مُحبَّسةٌ على الـذي تقولوا إنّها إطلاقًا على هذا المذموم، مكتـوبةٌ له بخطِّ مالِكِها، وإنّها له مُلكًا وفي قبـضتِه مُحَبَّسَةٌ عليه، يأمرُ فيها ويَنهي كما أوصاه مَولاهُ الذي حبَّسَها عليه، وَشَرَط عليه أنّه لا يُحـدِثُ فيها حادثاً رديئـاً ولا يُفرِّط في عَمارَتِهـا ما وَجدَ إلى ذلك سبيلاً. ومتى ما استخدَم فـيها مَنْ يُفرِّطُ فيها عَزَلَهُ، ويُنفِقُ مِن مالِه الذي لم يَصلْ إليهِ فيـها على جميعِ مَنْ وصّاه مولاه بالنَّفَـقَةِ عليهِ في المدّةِ التي رسم له.

فإنْ كـانَ هذا عندكم صحيحًـا فيجب أنْ تَعلمـوا أنّه هو الذي ضمِن هذه الضـيعـةَ. وهذه الحِصَصُ ليـستْ لمسـعودٍ ولا لغـيره من الثَلَثـةِ الذين اعترضــهم وذكرَهم، وكتبَ عليــهم الوثائق بشـهادةِ العَدُول. وشَـرَط عليهم أنّهم لا يخونُوا ولا يُحـدِثوا فيها حـادِثًا إلاّ بأمرِه، وقد صَحّ هذا عند جـميعِ أهلِ الفضلِ والعقل. ونحن نعلم أنّكم لا تَشكّونَ في شيءٍ ممّا ذكرنَاهُ لكم.

وأمّا دخولـكُم بالغَرَضِ في ذكرِ الثَلَثةِ وذكـرِ الإثنينِ، فهو محـمولٌ عنك لأنَّ لهم من الشياطِينِ مَنْ يُناظِرُ عنهم.

وأمّـا حالُ هذا الرجلِ الذي ســألتم فيـه بغـيرِ حقٍّ تفـهمُـوه، فهـذا اعتراضٌ على أهلِ الحقِّ.

فالـلّه لا يواخِذُ مَن عَـمِلَ ما لا يَعلمُ. ونحن بكلِّ الحـالِ إلى عقـولِكم أَخْبَرُ. ونشـهدُ على ضمائـرِ قلوبكم ونشـرحُ لكم ولجميعِ مَن قُرِئَ هذا الكتابُ عليهِ ليتحقَّقوا خلافَـهُ وفِسْقَهُ على أهلِ الحقِّ؛ وإنْ كان هذا ما خُفي على أهلِ العقلِ، ومن يرجع إلى دينِ الحقِّ والعدل.

فباللّه إنّ هذا الرجل الذي كـتبتم تسألونَ فـيهِ لقد اخلَفَ الظنَّ الذي فيه وأفسدَ الضياعَ ولم يعمِّرْهَا. وأباحَ أهلَها من القبائحِ والمناكرِ ما لمْ يُسْمَعْ

عندَنا وقد عَلِمَ أنّنا نَنهَـى عنه حتّى انتشَرَ عنهم عـند العالَمِ بأنّهم استبـاحوا دماءَهم وأموالَهم.

فاللّهُ يثبّتُهُـم على ذلك لأنّه خارجٌ عن نِظامِ الدِّينِ، وأفعالِ أهله، ومع ذلك أفسدَ الحـالَ فيمنْ وُلّي عليهم، وأَطلقَ لهم أَخْذَ أموالِ الناسِ، وقـاسَمهم على ذلكَ وقتلَ مَنْ وُجِدُوا مِنَ المجاوِرِين.

فاللّهُ يلعنُ مَن أمرَ بهذا واسْتَحْسَنَهُ، ويعجّلُ خِزْيَهُ. وكلُّ هذا مستورٌ عن صاحبِ الضيعةِ حتى آلَ أمرُهم إلى الهـلاكِ الذي عرفتمُوه أنتم وغيركُم، وأنّه كانَ يـفرِضُ على الفلاّحِـينَ أعمالاً يُؤدّوها إليـه، ويقول لهم أنا أحـمِلُهُ لصاحبِ الضيعةِ.

وباللّهِ لقد كَذَبَ. وإنّما أصلُ أمرِه كلِّه الحِيلَةُ على أموالِهم. وما يصل إلى صاحبِ الضيعةِ من أحوالِ الدنيا شيء.

فاللّهُ يعجّلُ جَزَاه على ذلك.

فكان يكتبُ إلينا أنّ الـفلاّحينَ قـد ضاعـتْ أموالُهم. ويصفُ أحـوالاً شتّى، فَنُنفِذُ إليـه النفقاتِ الكثيـرةَ مع الفاسقِ وغيرِه دفعـاتٍ بكثرةٍ. ونأمُرُه يُنفقُهـا على أهل الضيعة، فـيأخذُها لنفسـه ويوجّهُ إلينا يقولُ إنّه قد أنفـقَهَا عليـهم. وهذا كلُّه مسـتورٌ عنّا لا نعلمُ به حـتى جَاءَ بعضُ الذينَ كـانوا عندَه الثقـاتُ على سرِّه خشـيةً من اللّهِ فعـرّفونا جميعَ أفـعالِه بعدَ فـوات الأمورِ والمِحَن.

ثمّ إنّه أرسلَ يريدُ الدخولَ إلينا إلى إسكندريةَ إلى عـندِنا، فَأنفَذْنا له ولمن يصلُ معه نفـقاتٍ كثيـرةً . فلمّا وصلَ أُفضِلَ عليه وعلى الجـماعةِ التي كانتْ معه بما لا يَخفَى عليكم ولا على غيرِكم ممّن كانَ يصل إلينا. ولم نذكرْ أحوالَ الدنيا مَنَنًا بها ولا أَسَفًا عليها. وإنّما ذكرنَا لكم هَذا نُعرِّفكم أنّه ليسَ له

غرضًا في غيرِ الدنيا، ونعَرِفّكم أنّه لا يَعرِفُ الآخرةَ ولا الدنيا، ولا يَشكرُ على شيءٍ منها.

ثمّ إنّه، وهو عندَنا في الموضع، أخذ يفعلُ أفعالَ الشياطين، ويذكرُ للجماعةِ التي ذكرَها إلى أبي المُشرِّفِ عندك،م ويحتالُ بذلك علينا، حتّى تَصِحَّ له الدعوةُ التي ادّعاها أنّه الرِّضَى. فتحقَّقنا أنّه الذي أصَّل هذا عند الجماعةِ والذي سَمِعَهُ منهم أبو المُشَرَّفِ وأذاعَه من غيرِ معرفةٍ بفسادِ الحالِ فيه. فلمّا أتَتْنا الأخبارُ بذلك وَعلِمَ أنّها تُنْشَرُ عنه فوَاجهَ بذلك، وَواقفَ عليه، وكَابَر الحقَّ، وقالَ: أنا ما أرجعُ عن هذا الحالِ الذي لعنَ اللّهُ مَن أصَّلَهُ واعتَقَدَه.

وهذا كلُّه من حيلَته على أحوالِ الدنيا وتسديقِ قوله الذي تقدّمَ لهم أنّ الرِّضَى، فَوُعِظَ على ذلك وَرُفِقَ به، فما وَجَدْنَا فيه حيلةً لأنّه قد وَجَّهَ بذلك الفاسقِ إلى الجماعة، فخشيَ أن يُكذِّب نفسَه، لأنّه كتبَ إليهم يقولُ: إنّ هذا عن أمرِ مولاه. فلعنَ اللّهُ مولاه الذي أمَره بذلك. فما أمرَه إلاّ عقلُه السَخِيف.

فلمّا تعذّر عَليه ذلك ممّا يُريدُه وهو سَاكِنٌ مَعَنا في الموضعِ، وقد وَجَّه نحوَهُم يُعَرِّفُهُم ما بَنى عليه أمرُه من الخلافِ والفِسْق، عَزَمَ على الخروجِ من عندِنا من الموضعِ، وسألَ في ذلكَ لِيَنفرِدَ بما يُريده، وانتقلَ من عندنا إلى موضعٍ آخر وأنفذَ الفاسِقَ كما ذَكَر في الأوَّلِ يُعرِّفهم تثبيتَ الذي ذَكَره إلى أبي المُشرِّفِ، وأنّه ما خرج عن أمرِنا. فلعنَ اللّهُ مَن أمَرهُ بِه.

فلمّا تَحَقَّقنا ذكرَ ذلك منه وَوَصَلَ حَسَنُ ابنُ المُعَلاَّ إلينَا فعرَّفنا ما وصلَ إليه بعدَ خروجِه من البَلَدِ من الخِلافِ بكلام الفاسقِ خَذَلَه اللّهُ.

ثمّ جاءَ بعد ذلك قَيْسٌ فَذَكَرَ حالَ الفاسِقِ وما أذاعَه من الكتابِ الذي وصلَ معه من هذا الفاسقِ الذي كَتَبتُم سألتُم فيه، وتابَ عندَنا عن جميعِ ذلك بعد أنْ أقرَّ بجميعِ ما ذكَره الفاسقُ لَعَنَهُ اللّهُ. وما إنْ عَلِمَ بذلك كَتَب إلى

الجماعـةِ يقتلوا قَيْسًا. فلمّا إنْ سَـمِعْنا بذلك كتَبْنَا مع قيسٍ كِـتابًا ووجهّناه، فَكَتَب إليهم: لا تقتلوا قَيْسًا.

وبعـدَ ذلكَ وصلَ إليهـا مُنَجًّـا من عندكم فذكـرَ لنا هلاكَ الجـماعـةِ وجميعِ المـواضع بما ذكره الفاسقُ، فكتبنا مع مُنَجًّـا كتابًا نَذُمُّ فيـه مَن فعل هذا، ونلعنُ مَنْ رَضيَ به وتمادَى حالُه على الخِلافِ واللّعنة.

وجاءَه ابْنُ الكرديّ وأنفذَ بمثلِ ذلك، وَفَعل من القبائحِ ما اللّه يجازيه عليه.

فلمّا تحـققتُ أنّه قد أفـسَد المواضع وأَخْرَبَهَـا بهذا الذي لعَنَ اللّهُ مَن اعتقَدَهُ، كَتَـبْنَا الرسالةَ إلى الجماعة، وأنفذتُ بها عَمَّارَ إلى أصـحابِ الضيعةِ لنُعرِّفَهم قُبْحَ هذا الرأي ونُذِمَّ مَن استـحسَنَه. فلمّا عرفَ هذا النَجِسُ بخروجِ عَمَّارٍ وقد جَرى في ذلك مخاطبةٌ معه وَمع الشيخِ الملعونِ، أَبَى رئيسُهم. لعنَ اللّهُ الجميعَ اذ كـان ما فعلَ عن رأيهم. فقالَ هذا حَسَنٌ مـا يصلُحُ للقومِ حالاً إلاّ أنْ تُوَجَّهَ إليـهم هو رجلاً غـريبًا ليسَ منهم يعـرِّفهم الصـحيحَ وإلاّ فـما يصلُحُ للقَومِ حالٌ.

فلمّــا عَرف هذَا النَجسُ بذلك أنـفَذ إلى بني تميم فَـجُوْهُ، وَخـرَجَ مع الواحدِ منهم. فلمّـا عَلِمتُ بذلك كتبتُ إلى عـمّارٍ كتـابًا ثانيًا نشرحُ فيـهِ حالَ الجماعةِ كما ذُكرَ لنَا عنه. وإنِ اجتمـعوا الجماعةُ على قَتلِ عَمَّارٍ حتى لا يصِلُ إلينَا يُعرِّفُنا أحوالَهم.

وباللّهِ مـا قُتِلَ عَـمَّارُ رَحِـمَهُ اللّهُ إلاّ بـأمرِه، فلعَنَ اللّهُ مَن أمـرَ بِذلكَ وخَزاهُ في الدنيا والآخرةِ وأوقفَ أعمالَه بينَ يَديهِ.

وقد جاءَ إلينَا من مدّةِ شـهرٍ مَنْ قَالَ إنّهم قَتَلوُا عمَّارَ وتقاسَمُوا ثِيَابَه. وقَبْلَ ذلك قِيلَ إنّه، لما قَرَأَ عليهم الرسالة أوقَعوا به وجَرَّحُوه، ثمّ مسكَهُم عنه

بعضُهم بعضٍ، وقالوا: أتركُوه حَتّى يَخرجَ عن أرضِكم واتَبَعُوهُ اقتُلُوه. وهذا الذي قد صحَّ عندَنا وأنّه قد ظهرَ سَيفُه عندَ ابنِ جَنـدَلْ وأقرَّ بذلكَ. وقالَ هو وديعةٌ عندي، وعندَنا من مواضِعَ كثيرةٍ معروفةٍ خمسةَ عَشَر كتَابًا كلُّها تشرحُ حالَ عمَّار، وإنَ هؤلاءِ الأنجاسِ قَتلوه عن أمرِ هذا المرتدِّ الملعونِ أَوْبَقهُ اللّهُ بِجَرِيرَتِه. وهذه القبائحُ هي أفعالُ القومِ بأمرِ هذا الكافرِ.

فإنْ كانَ هذا عندَكم جميلاً فقد أخطأنا في مجاوبتِكم. وقد نَصحْتُكُم يا شيوخَ وما أخفينَا عنكم شيئًا من أفعالِ هذا الفاسقِ التي لا تَليقُ بأهلِ الحقِّ وَعَجِبنَا من أهمالكم لذكرِ عمّارٍ وما جَرى عليه، وَتَحَقُّقِكُم أنّ الرجل بعدَ أَنْ جَرّحوه أخذوُا مالَه بأمرِ ابنِ الكردِي. فلمّا بَعُدَ عن أرضِهم عملَ على قتلِه رجالٌ منهم اتّبُعوه وقتلوُه. فأهمَلْتُم هذا الحالَ وسألتم في الباطل الذي لا تعرفوا الحقَّ فيه، ويعزّ علينا أنْ تكونوا بهذا الحال.

يا إخوةُ! إنَّ مَن يعتقد أنَّ اللّهَ حقًا ووليَّه حقًا، يتحقُّق أنّه لا يستخلِفُ على العَالمِ إلاّ عادِلا منصِفًا، منزَّه عن الجَورِ والظلمِ، وأنتم قد نسبتموه إلى الجَور والظلم، بسوءِ أعمالِكم فيما لا تَعلموه، وتعاطيتُم على أهلِ الحقِّ في قولكم. فلا تكونوا مثلَ اللُّبَدِ إنْ جاءَه ماء طاهر قبلَه، وإنْ جاءَه ماء نجِس قبلَه. فأنتم ما عرفتَم الماءَ الطاهِرَ وأينَ معدِنُهُ، ولا الماءَ النَجِسَ وكيفَ موضِعُه.

يا إخوةُ! أتراكُم جعلتُم الرسالةَ التي أنفذَناها إليكم بذّم مَن فَسَقَ عن الحقِّ وادّعَى الباطلَ ونكثَ النعمةَ هي الماءُ النجِسَ الذي قَبِلَهُ اللَّبدُ، أو ما أوعزه فلان ممّا يليقُ به هو الماءُ الطاهرِ؟ وأنا أعرفّكم أنّ مَنْ كانَ هذا قولُه وعقيدُته لا يجبُ أنْ يُرَدَّ عليه جوابًا.

والآنَ نحنُ نَعذُرُكم لعلَّه الذي سألَكم في هذه المكاتبةِ أو بعضِ أسبابِه، ولم تعلموا من أفعالِه القبيحةِ ما علمناهُ وأنتم عندَنا معذورون.

وأمّا أبو عبدِ اللّهِ وأبو جُمعَـةَ وأمثالُهم فهم أصحابُ هذا الرجلِ وهو الذي جَعَلهم لأنّهم ظلمةٌ يَنَسبُون إلينا مـا لا نفعلُه، وقد بَلَغَ إلينا ما ذكَرَه لكم أبو تميمٍ ممّا يُشْبِـهُهُ ولم نأمرْهُ بذلكَ، وهو ثِقَتُهُ وصـاحبُ سيفِه، وقـد اتّفقا بالمسامحةِ بالكَذِبِ والمَخْرَقَة.

وأمّا قولُكم إنّكم تحفظون مَنْ جَرتِ النعـمةُ على يدِه فقد كذبتم على هذا القولِ ، لأنَّ مَـنْ يعرفُ صاحبَ النـعمةِ فـيرجعُ في جـميعِ أمـورهِ إليه، ويعرفُ صـاحبَ البدعةِ والنقمـةِ فيتبـرأُ منهُ ويستكُم اللّهَ ووليَّهُ عليـهِ، فما حفظتم صاحبَ النعـمةَ بل ضيّعتـموه، وعمدتم إلى صاحبِ البدعـةِ والنقمةِ فقبلتم قولَه وأطعتُموه. وحاشَى أهلَ الحقِّ من نَزَغَاتِ الشياطين.

فإنْ كنتم يا إخـوةُ، رجالُ الدِّين، وتطلبونَ النَجـاةَ لأنفسِكم من اللّهِ تعالـى فانصفـوا أنفسكُم بالتـفكرِ في الحقِّ ومعـرفةِ أهله، ومـا يليقُ بأهلِ الحقِّ من النزاهةِ والنظافـةِ واللياقةِ والصـبرِ والاحـتمال، وحُـسنِ الأخلاقِ وجميلِ الأفعـال، إلى جماعةِ الأهل، وتفكّروا في الأدعياءِ كـيفَ يستحسنون الفسقَ والقـبائحَ وقـتْلَ النفسِ التي حرّمهـا اللّه تَعالى، وأَخْـذَ أموالِ الناسِ وهلاكَ أبناء الجنس، ظلمًـا وطلبًا لأحوالِ الدنيـا، وإلاّ فأيّ ذنبٍ أذنبه عـمّارُ رَضِـيَ اللّه عنه إلى هؤلاءِ الأجلافِ الأغتامِ حتى قَتَلُوه؟!.

والذي يُوجِبُه العدلُ نصحًا لكم وإقـامةَ الحجَّةِ عليكم إنَّا نَعرِّفُكُم أنَّ هذا الوقتَ وقتَ الفترةِ الكبرى، وما يقْدِرُ أحـدٌ في هذا الوقتِ يَسترُ شيئًا ممّا في نفسِـه، لأنّه وقتُ تمييـزِ الخلائقِ. فمِنَ الواجبِ علـى كلِّ عاقلٍ له دِينٌ أنْ يَقـبِضَ على ما في يَدِه، ويحـفظَ ما صـحَّ عندَه من الحقِّ، ولا يلتفتُ إلى مـا وصلَ إليه من دعاةِ الباطلِ، ويعـتمدُ على ما صحَّ عندَه من الأصلِ، مما ثَبَتَ في رسائـلِ الحجّةِ الذي هو عـبدُ وليِّ الزمـانِ ممّا يُطابِقُ قولَ ولـيِّ الزمان، وإنّمـا قلنا: يكونُ عندَكم ونُكاتبُ بهـذهِ البدعـةِ له وكـيفَ يكونُ الحالُ وقـد

عَرَفْنَا أنَّ قائلاً قال: إنْ وَصَلَ أبو المُشَرَّفِ فاقتلوُه. فلعنَ اللّهُ مَن أمرَ بهذا ومَنْ حكاه، ولعَنَهُ وخَزَاه.

وقد بَلَغَنا قولُ أبي جُمعَة في وَسْطِ السَافِريَّةِ فقالَ: قد وقفَ كتابُه عندي خمسةَ عشَرَ يومًا وما أخرجَناه. وأشرُّ شيئًا يَقدِروا عليه يفعَلُوه، يعني كتابَ عَمّار، وإنما فعَل هذا وفاءً لفلانِ الذي أطلقَ له أمرأتَهُ وخمسةَ عشَر معهَا الذي هُو الناهِي عن الفِسقِ والقبائحِ والرذائلِ، وإلاّ فأهلُ الحقِّ هم المنزَّهونَ عن الأفعالِ الخبيثة.

والذي أقولُه لكم وأوعِزِهُ إليكم أنَّه لا يلتفِتُ أحدٌ منكم في هذا الوقتِ إلى قولِ أحدٍ من العالَم، لا إلى سَيَفٍ ولا إلى مسعود، لا حَفِظَهُما اللّهُ، ولا إلى ابي جُمعةٍ ولا إلى ابي عبدِ اللّه ولا غيرِهم ممّن ادّعَي هذا الحالَ في هذا الوقتِ فإنّه وقتٌ فاسِد.

فهؤلاءِ دعاةُ الفترةِ والمِحنةِ ليسَ هم دعاةُ الحقِّ لانّ أغراضَهم وأفعالَهم بَيَّنَتْهُم.

واعلموا أنّ المؤمنَ الثِقَةَ المُقبِلَ على صيامِه وصلاتِه، الساترَ لِنفسِه، أفضلُ من كلِّ داعٍ في هذا الوقتِ لأنّهم كلُّهم قد خَانوا وكذَبُوا وكفَرُوا وفَسِقُوا عن طاعةِ مَن أُمِرُوا بطاعتِه وأَخْرَجُوا الناسَ عن الحقِّ إلى الباطلِ.

فما بقِيَ لأحدٍ منهم على أحدٍ منكم طاعةٌ ولا أمرٌ ولا نهي. فهذا أمرٌ منّي إليكم، وحجّةٌ لكم عليَّ وحجة لي عليكم بما بلِّغْتُم.

فَمَنْ كانَ منهم تحتَ الطاعةِ وَجَعَلَ نَفسَه واحِدًا من المؤمنينَ وتنزَّه بنفسِهِ الشَّفَافَةِ عن القبائحِ لا يجعل لنفسِه مِيزَةً على أحدٍ منَ الناسِ في هذا الوقت. وكلُّهم واحدٌ وليسَ لأحدٍ أمرٌ ولا نهي. وإنما تتفاضَلُ أهلُ الدِّينِ في هذا الوقتِ بما حَفِظُوه من الحكمةِ وَعملوا به وبأفعالِهم الجميلةِ إلى إخوانِهم والطاعةِ لمن أمَرهم بطاعةِ وليِّ زمانِهم.

فمَنْ كانَ من جهةِ العبدِ المقتنَى من جميعِ هؤلاءِ الذينَ يقولون إنّهم منصوبينَ مَعكم ولا يقولُ إنَّ لهُ علَى أحدٍ أمرًا ولا فضلاً ولا ميزةً ولا نَهْيًا فهو أخٌ من إخوانِكم.

ومَن لم يَقبَلْ هذا الشرطَ ولا يدخُلْ تحتَ هذا الأمرِ فهو مخالِفٌ ملعونٌ، وأكثرُهم إنّما دينُهم كلُّهُ طَلَبَ الفِسقَ والإبَاحَة. فلعنَ اللّهُ مَن أمَرهم بذلِك ولعَنَ مَن أضَلَّهُ لَهُم وَرضِيَه مِنهم.

فهؤلاءِ دعاةُ الفترةِ والتقرّبُ إلى اللّهِ بالبُعدِ منهم، والتبرّي إلى اللّهِ تعالى منهم ومِن أعمالهم. ومَن يقولُ بقولِهم، فهؤلاءِ أبوابُ السَّخَطِ ولَيسوا هُم أبوابُ الرحمةِ، لأنّهم فَسَقَةٌ وهُم الذينَ قَتلوا الحقَّ وأهلَه.

وقد قدّمتُ لكم في بِضعِ سنينَ ذِكْرَ هذا الوقتِ في الرسالةِ المعروفةِ بالحقائق[1]، وهي عِند جماعةٍ منكم، وتاريخُها مشهور. فانظروا تَجِدوا فيها صِفةَ هذا الوقتِ وصِفَةَ أهلِه. وهذا بَعضُ ما ضَمَّنْتُهُ في آخرِها، وهو:

أيّها الإخوانُ فاغتنِموا زمانَ الإمهال، وتقرَّبوا إلى وليّكم بصالحِ الأعمالِ، قبلَ طيِّ الصحائفِ وجفافِ الأقلامِ، وغلق أبوابِ الرحمةِ وخَتْمِ الأفواهِ وقَطْعِ الكلامِ، وقبلَ فَتحِ أبوابِ السَّخَطِ على مَن بارز بالعِنادِ والنتقامِ. فهذه أوائلُ العلاماتِ لقيامِ الحافِظينَ الأشهادِ، وأبْيَنُ الآياتِ لظهورِ النبأ العظيمِ الهادِ.

أيّها الإخوانُ قد أبلغتُ لكم في الموعِظَةِ والنصيحةِ، وبيّنتُ وأرشدتُ بالبراهينِ المقنِعَةِ الصحيحة، وما على الرسولِ إلاّ البَلاغُ المبين. والتوكّلُ على وليِّ الحقِ وبهِ أستعين.

---

(١) وهي الرسالة رقم ٥٧.

وهذا الكتابَ فهوَ إنذارٌ لكم أيّها الإخوانُ ولجميعِ مَن قُرئَ عليهِ ممّنْ يطلبُ مَسلَكَ الحقِّ، وإقامةَ الحجَّةِ على مَن سَمِعَ هذا البيانَ وأُرْقِيَ إليه معناهُ من جميعِ الخلقِ. فلا يُحلِّلُ لكم الدعِيُّ ويقولُ إنَّ فلانَ قد هَلكَ وانتَقَل.

واعلَموا أنّ الذي سَوّغَ لكم قَتْلَ أهل الحقِّ هو هذا المَارِقِ الكذّابُ، وهو وهم يهودُ هذه الأمةِ، لأنَّ النواصبَ[٢] خيرٌ منهم، لأنّ النواصبَ قَتَلوا بالجهلِ للمؤمنينَ، وهؤلاءِ الأنجاسِ قَتَلوا بالمعرفة للموحِّدين، ولم أذكرْ لكم أنّهُ لم يبقَ لأحدٍ أمرٌ غيره والمؤمنونَ يتفاضلونَ بأعمالِهم، وما أفاضوه من الخيرِ إلى إخوانِهم. فلا اعترضَ معترِضٌ ويقولُ كيفَ يَبقى العالمُ بغيرِ أمرٍ ولا مأمور.

فهذا الوقتُ الذي قِيل فيه يكونُ القابِض على دينهِ كالقابِضِ على الجَمرِ ويَفِرُّ المؤمنُ بدينِه من شاهقٍ إلى شاهق، ومن داعٍ إلى داعي، وأيُّ داعٍ في ذلكَ الوقتِ سادِقُ . ولَمْ يُقال هَذا من عِوَزِ أشخاصِ هؤلاءِ المدّعين، وإنما قيلَ هذا لِقلّةِ السادقين، وكثرةِ العصاةِ المارقين. وهو هذا الوقتُ.

وفي نصوصَاتِ الحقِّ أنّ القائمَ إذا ظهرَ، أوّل ما يَقتلُ القائلينَ به قبلَ المخالفين لأوامرِه، وهم هؤلاءِ الفَسَقَةالقائلين بِهِ بألسنتِهم المخالفينَ لأوامرِه التي جَرتْ على لسانِ حدِّهم وقِبْلَتِهِم

واعلموا أنَّ اللّهَ تباركَ وتعالَى قد أقام عليكُم حجّةَ العِيانِ، إذ لم يُعدِمْكُم مَنْ يُعَرِّفُكُم مَجاري الزمانِ وأوقاتِ الفراعنةِ الأُوباشِ الطُغيان، وما بقيَ لكم عندَنا مكاتبةٌ ولا أمرٌ آخرٌ سوى ما هو مَدرُوجٌ في هذا الكتابِ، إلاّ أنْ يَحْدُث مِن صاحبِ الأمرِ حالٌ فيكونُ ذلك خارجًا عن كلامِ المخلوقينَ بعدَ أن جَرى على الشيخِ الفاضلِ من الغَيبةِ وعلى الإخوانِ، وإنما العتبُ في ذلك

(٢) هم أهل السنّة.

الوقتِ على أولادِ الحـرامِ الأوباشِ الاغتـام، الذينَ يُجازِيهم عليـه اللّهُ وأحلَّ اللَّعْنَ عليهم في كلِّ ادوارِ الأيام، ولمن أصَّلَ لهم هذا الحال، وجميع من يَتّبعُه على الجهلِ والضلال. فارفَعُوا معنَى هذا الكتاب لكلِّ مَن ذَكَر أنّه يَطلبُ نجاةَ نفسِه في سِترٍ من الثِقاتِ لئلا يقومَ عليكم مَن يَرى أنّ له أمرًا وَنَهيًا.

فقد بَيَضَّتُ لكم القولَ فيه وَطرَحْنَا الإعـرابَ فيه والتسجيعَ وجعلناه كحديثِ بعـضِكم لبعضٍ، لئلاً يقولَ قائلٌ إنّه لم يفهـمْه وليسَ في الدِّينِ إكراهٌ ولا إجبارٌ وإنما هوعَرْضٌ على الأمم واختيار.

واعلموا أنّ اللّه إذا أرادَ بـقومٍ سوءًا فـلا مردَّ له، وإذا أرادَ اللّهُ هلاكَ قريةٍ وأمَرَ مُتـرَفِيهَا ففَسقُـوا فَحَقَّ عليهم العذابُ[٣]. وهؤلاءِالفَسَقَةُ إنما أرادَ اللّهُ تعالى كشفَ عَوَارِهم بإظهاِ قتلِ عمّار، رحمهُ اللّهُ ما كانوا يَستروه من خبثِ اعتقـاداتهم النجسَة ليُبيِّنوا بالفِسقِ والظلم، فـيكونُوا على ألسنِ جميع الأممِ ملعونينَ، وليُعْـرَف إنذارُهم قبلَ يوم القيامةِ لجمـيعِ الؤمنينَ، وليَعلَموا أنّ اللّهَ لا يَظلُمُهم فيما جَرى، وليَتَحقَّقوا الكافّأنّهم في جميع ما أظهروه من القولِ ملبِّسـين.

وقد وصلَ إلينا من جـهاتٍ كثـيرةٍ أنَّ الخائبَ، لا أوجدَه اللّهُ رحـمةً، أنفذَ ابْنَ تميمٍ، لعنَه اللّه وَلَعنَ مَنْ أرسلَه، إلى الضيعةِ يأمرُ بقتلِ عمّارٍ، رَضي اللّه عنه. والأخـبارُ من دِمـشقَ وجمـيعِ الجهـاتِ مـقنعَةٌ على أنّه أوبَقَـهُ اللّهُ بأعماله هو الذي أمـر بقتلِه. وباللّهِ ما قتَلَه وانما قـتَل مَن أرسَلَهُ لو وجد إلى ذلك سبيلاً.

فهـذا وأمثالُه أخبثُ مَن وُلِّيَ عـلى أهلِ الحقِّ لأنّه لا دينَ له ولا فهم.

---

(٣) إشارة إلى ما جاء في سورة الإسراء ١٧/١٦.

ولا حقٌّ يُعرَفُ ولا عِلم. وكذا مَن مَعه وبناحِيَـته، كلُّهم يَعرِفُوا فَدَامتَهُ[٤]، وأنّ مُصْعَبَ المتقدِّمُ عليه، وكانَ يُجَرِّعُـهُ غَصَصَ الشَّجَا، وما حَضَروا في موضعٍ إلاّ وكانَ مُصعَبُ المتقـدِّمُ عليه وهو اللُّكِنُ من وراء. فَلَمّا شكا إليّ ذلك كاتبتُ مُصْعَب وأَضْعَفْتُ قِوَاه، وَسَلَلْتُ عليه سَيفَ العدلِ فارعوَى للحقِ لمّا قَهَرَهُ بما سَمِـعَه ورآه. وأيُّ قَدْرٍ لهـذا الفاجرِ وهذَا المارِق المرتـابِ الكذّاب. وإنما بقتلِ الشيخِ الطاهرِ ذي النفسِ الزكيّةِ يَحُـقُّ عليه النِكالُ والعذاب، والبراءةُ إلى اللّهِ وإلى وليِّهِ مِن هـذَا النَّجِسِ ومِن كلِّ مَن يتّبـعُه ويهوى هَواه. فلعنةُ الـلّه عليه وعلى أشـبـاهِه وأسبـابه مـا عكَفَ ظلامُ الليلِ وَبَرَقَ صُـبْحُ النهـارِ وارتَفَعَ ضُحَاه.

واعلَموا أنَّ هذَا الوقتَ لا يَسْتُرُ على أحد مَقَـالاً، ولو اجتهدَ في سَترِه وأخفَاه، ولم يَزَلْ محمّدُ العكّاوي لعَجزِه متمسِّكٌ بمكاتَبته طولَ أيّامه، ثمَّ أتىَ بالكذبِ في جميعِ منطقـهِ وكلامهِ، جَرياً على مشاكلةِ الخـائبِ بالذي يُشبِهُهُ، وفضائِحِهِ وذِمَامِهِ.

وأمّا أبو جُـمعةَ فَهـو الفَسلُ الأوّلُ والرّذلُ الأرذَلُ. قد نَصَبَ نَفْـسَهُ للغِوايةِ واللّهَـوِ في الدِّينِ بشهادةِ الكذبِ والزور، ولم يفهمْ مِن سَـيِّدِهِ سوى القَـبيحِ الذي يشـاكِلُه في الفِـسق والفجـور. وهذا هو العِلمُ الذي أخَـذَهُ هو وأمثالهُ عن رئيسِهم الضـالِّ اللّعينِ المبثور. فاللّهُ يلعنُ فاعلَ ذلكَ والآمرَ به ولا يُوجِدُهُ رحمةً يومَ العَرضِ والنُّشور.

واعلمـوا أيُّهـا الإخـوةُ أنّ الحقَّ بابٌ ظاهرٌ قـاصدٌ وسـبـيلٌ واضحٌ وإخوان، والباطِلَ طريقٌ خَشِنةٌ وَعِرَةٌ وأبالسةٌ وشـياطينٌ وأعوان. فاختارُوا لنفوسِكم ما أردتُم من الجهتَينِ، وكونوا مع مَنِ اخترتم من الفيئتَين.

---

(٤) من الفَدم هو «الغبي الثقيل القليل الفهم الاحمق الجافي الغلظ» (الدرر المضيّة).

وأنا استودعُ الشيخَ وجميعَ الإخوة الأطهار للّه، واختصُّهُم بأتمّ التحيّة وأطيب السلام. وأنا إلى وقتي هذا مقيمٌ بشاطئ البحرِ المالح. وأنا في يومي هذا راكبًا إلى أنطاكية هاربًا من سمَاعِ هذه الفضائح. والحمدُ للّه كما هو أهلُهُ، وصلواتُه على رسولِه، السادقِ الأمينِ، وسلامُه على أهلِهِ الطاهرين. وهو حسبي ونِعمَ النصيرُ المعين.

***

ووصلَ هذا الفَصْلُ بعدَ أنْ كتبتُ هذا الكتابَ بِفَيحِ قاصِد، وهو يا إخوةُ، إنْ كنتُم في قديمِ أمرِكم تتحقّقونَ أنَّ طاعَتَكم لمسعودٍ طاعةُ حقٍّ ودينُ حقٍّ، وأَنَّهُ جاءَكم عن أصلِ حقٍّ، وأنَّ الذي نَصَبَه لم يَختَرِصْ باطلاً، وأنَّ دينَكم خالصٌ للهِ وحدَه لا شريكَ له ولوليِّه، وأنَّ مسعودَ واسطةٌ بينَكم وبينَ مَن أرسله إليكم، وليسَ هو مِن قِبَلِ نفسِه ولا من قِبَلِ أحدٍ غيرِه ممّن تَعرِفُونَه وتعلَمونه.

فيجبُ عليكم أنْ تعلموا أنّ طاعَتكم له في هذا الوقتِ بعدَ عصيانِه للذي تَتَحقّقون أنّه نَصَبَه وجعَلَه عليكم خِلافًا ومعصيةً للهِ تباركَ وتعالى لأنّكم تعلَمُونَ أنّ الذي نَصَبَه لو أرادَ أنْ يَنصِبَ غيرَه مِن قَبْلِهِ لفعلَ ذلكَ، ولم يكنْ لأبي مسعودٍ ولا لغيرِه أنْ يعترضَ فيمنْ نَصَبَهُ.

فقد ثَبَتَ أنّه متى طَلَب الطاعَة له بغيرِ أمرٍ ممَنْ نَصَبَهُ فقد خَرَجَ عن الحقِّ. ومتَى ما أطعتموه فَقدْ خَرجتُم عن الحقِّ، وليسَ الدِّينُ بالمغالَبَةِ ولا بالمكابَرةِ ولا بالعصبيّة. وهذا عندَنا عاصٍ معلون، وأنتم فيه مخيَّروَ. ونحنُ منه ومن جميعِ مَن يَتَّبِعُه بريئون.

وجميعُ ما كتبناهُ وذكرناهُ في هذا الخائب فليسَ هو بتبليغٍ جاءَنا عنه من غيرِه، وإنما ذكرنا لكم ما وَافقَ هو عليهِ بشهادةِ الجماعةِ الحضور.

وأمّا مـا بَلغنا عنه فهـو أكثرُ من أن يُحـصَى من إقطاعه لاصـحابه الضِـياعَ والمدنَ ودورَ الناسِ وأصـحابهم وأمـوالهم،وأنّها ثابتـةٌ لهم. وهذا شيء خارجٌ عن أحـوالِ الدِّينِ. وقبيحٌ ذِكـرُ هذا وأمثالُه وأنتم تعـرفُوه. وإنْ أنتم رددتُم في هذا القولِ إنما تُغَالِطون أنفُسكم وتظلُمُوهَا .

وقد أعـذَر مَن أنذر وأنتم في أنفسِكم مـخيَّرون، ومـا على الرسولِ الناصحِ سِوى البلاغِ المبين. والحمدُ للهِ وحدَه وبهِ استعين.

تمَّ توبيخُ الخائبِ، والحمدُ لمولانَا وحده، والشُكرُ لوليّهِ عبدِه.

٧٩

تَوبِيخُ ابنِ أَبِي حُصَيَّة

إبن أبي حصيّة هو أخو الشيخ أبي المعالي من أمّه، أصلُه من عَيحَا. مال عن أخيه نحو غنّام جاره، وحمل معه أوزارَه. ومَال إلى بدعة سُكين وإباحة محلاً، فاختلف مع أخيه، ورحل إلى مكانٍ بين عَيحا وكفرقوق، وهو يظنُّ بأنّ جماعةً تتعصّب معه، ولكنَّ أحداً لم يبالِ به، فعاد إلى كفرقوق ومات فيها. وله فيها مزارٌ وجماعة تُنسب إليه وتسمّى بالحصويّة (عن الدرر المضيّة). كتب هذا التوبيخ بهاءُ الدِّين، وموضوعه تحذير الموحِّدين من المنكرات التي حرّمها حمزة والمقتنَى في الرِّسالتَين: القاصعة للفرعون الدِّعيّ رقم ٦٤، وأبي اليقظان رقم ٦٥. يبدو بهاء الدِّين هنا طبيباً ملمًا بالأمراض والأدوية...

بسمِ الإلهِ المُمْضي لأمرِه وإرادته، إذا أحبَّ بمشيئتِه وكلمتِه، أطالَ اللّهُ بقاءَ الشيوخِ الحَفَظَةِ الأطهارِ، والجماعةِ الفاضلة الأخيارِ. قد اتّصلَ بنا عن الجماعةِ المنتسبينَ إلى الدِّينِ والإيمانِ، ما هم عليهِ من الاستكبارِ والخلافِ والنّقصِ البيّنِ الرَجَحَانِ، وما قد اجتمعوا عليه وأوثغوا به الدِّينَ منَ الإباحةِ والفِسقِ في جميعِ البلدانِ، وَردِّهم لما تكرَّرَ القولُ بالنهي عن هذه القبائحِ اللأئقةِ بأهلِ العنادِ والطغيانِ، وإهمالِهم للقاصعةِ للفرعونِ الدَّعيِّ وما صدَرَ من الثَّلْبِ لِمَنْ أهملَ كتاب الشيخِ الثِقَةِ الشهيدِ أبي اليَقْظانِ وما كرَّره ابنُ أبي حُصَيَّةَ المارِقِ أبعدَه اللّه، وَذَكَرَ بهِ في هَذا الوقتِ جميعَ مقاطِنِ

آلِ عَبد اللّهِ وآل سُليمانَ، ومـا هم يسـبَحـون فيـه من الضلالِ والخِـلافِ والفسادِ اللائقِ بِمثْلِه من الكَذَبَةِ الأجلافِ الأوغادِ.

وقد اشتهرَ أنّه جَـعَلَ أهلَ البُستانِ وغيرَهم إفراقًـا وأشياعاً ، ومَلاءَ أوعيَتَـهُم بِنَجَسِهِ شكًا وجَعَلَهم للأبـالسةِ أصحابًا وأتباعـاً، وأنّه يَنفرِدُ بِمَنِ استـهواه منَ الطهَـرةِ المؤمنينَ مِثْلُ فَـرَجِ ابن سعدِ اللّهِ وأمـثالُه من الأخـيار الطاهرين، ويُموِّهُ عليهم أنّه يَفتَحُ لـهم ما لم يَصِلوا إليه منَ الدِّين، ويزخرفُ لهم الكفرَ الخارجَ عن الحقِ ممّا قد ثَبَتَ إبطَالُه في القاصعَةِ للفراعِنَةِ المدّعين، ويُستَـغنى عن ذكره هَاهنا بالبـرهان، الذي أخرسَ ألسنة الأغتـامِ المباهِتين، وقد جعلَ ذلك المارقُ سُلَّـمًا للفِسقِ ونَيلِ الحُطَام، إجْتِراءًا عـلى الباري تعالى ودحضًـا لمعالِمِ القـائمِ الهادي الإمـام. فاعرِفـوا فِسـقَهُ فقـد ظَهرتْ أفـعالُه ومخازيه، واللّهُ يعجِّلُ فضيحَـة أعداءِ الحقِ ويجازيهم على قبيحِ ما ارتكبوه ويجازِيه.

وهذه الصحـيفـةُ التي أَصْدَرْتُ إلى الجبـلِ نَهيًا للشـرذَمَةِ عـمّا منَ القبائحِ رَكـبوه، وتضليلاً لأفعالِهم وأفـعالِ مَن تأسّمَ بها فيمـا اختلقُوه على أهلِ الحقِّ وَتَنكّبوه. وقد أَصَدْرتُها إليكم، وهي لازمةٌ بجميعِ ما اشتملتْ عليه من البُعْدِ واللَّعْن لكلِّ من تأسَّمَ بهذا الدِّينِ إنِ استجـازوا شيئاً ممّا أَتْرَفَتْ فيه هذه الشرذمةُ مِنَ القبائحِ واستـحلُّوه، اتِّباعًا لِسُنَنِ فراعنة الأدوار، وأَتْبَاعِهِم الغلاةِ المـارقين، وجَريًا على مـآثرهم لإضْلاَلِ العـالَمين. وقد أصْدَرْتُـها إلى جميعِ شـيوخِ أهلِ البستانِ، عِظَةً لهم وحُـجَّةً عليهم وعلى جمـيعِ آل عَبدَ اللّه وآلِ سُليمانَ. وهي:

باسمِكَ أَلَـلّهُمَّ مالكُ الأمر، الإمـامِ العدلِ قـائمِ الزمانِ والعـصر، إلى العُصـبَةِ الجـاحِدةِ المنكِرة العـميّةِ عن الحقِّ بعـد المعرفـة والتَّبْـصرَة، الذينَ عَكَسَتْهُم إلى المسوخـيّةِ مقدِّماتُ الأعمال، والفَيْئـةُ المَهِيْنَةُ الخارِجةُ عن الحقِّ

والعدلِ بعـد العلوِّ إلى الانخفاضِ والانسـفال، الذين عَمِـهَتْ قلوبُهم فهم عن الحقِّ مُعرِضـون، وعن مُوبقاتِ الرذائلِ لا يَنْزَجِـرون، اتّباعًا لِنَعَقَـةِ شياطينِ الفتـرةِ لتميـيزِ البـاطلِ من الحقِّ، وأوباشِ الأممِ وَعُكوراتِ هذا الخلقِ، الذين سَوّلتْ لهم نفـوسُهم ما ألِفتـه في القِدَمِ من النِّفاقِ والعُنود والفِـسقِ، فهم لا يرتدِعون بمواعظِ الآياتِ والذكـرِ الحكيمِ، ولا ينزجِرون عن مقابـحِ الأدعياء لِممَازَجَةِ نفوسِهم للنَّجَسِ والفعلِ الذميمِ.

فهي كَليلةٌ عن حَملِ الحقِّ لِمَرَضِهـا وإيبَاقِها، تتـصوّرُ بهويّتهـا ما انغمَطَتْ فيهِ في الأزمانِ الغابرةِ من مقابحِ نَجَـسِهَا ونقضِ ميثاقِها، قد ألفتْ لِبَلَسِهـا مُقارنةَ شيـاطينِ الأدوارِ، وامتزجتْ أرواحُـهم بالشَّطَنِ عنوداً لأئمّةِ الأعصارِ، فهم لا يَرجُون آخرةً ولا ثوابًا، ولا يتحقّقون للحقِّ رجعةً ولا إيابًا، قد سلبْـتهُم الفـترةُ عـقولَهم وألبـابَهم ،وأنْسَتْـهُم طاعَةُ الأبالسـةِ حدودَهم وأبوابَهم.

فيا أيُّها العُـصبَةُ الضـالَّةُ، أما لكم فيما وصَلَ إليكم من مُـعجزِ حكمة وليِّ الزمانِ على يدِ عـبدِه مُعْـتَبَر؟! يا ويكم أفَـما اتّعظتُم بما حفِظتُـموه من مُحكَمِ آياتِ التَّوحيدِ وأسـفارِ الزُّبَر، فيا هؤلاء! أينَ عن الحقِّ تذهبون؟ وبأيِّ دينٍ وأنتم عاكِفون على القبـائحِ تتديّنون؟ لم يأتِكُم صاحبُ علمٍ وَفَهْمٍ غَلَبَكُم بقـولِه فَيُطغِـيكم، ولا وصلَ إليكم مَن مـعه من العِـلمِ أفضلُ ممّا علمـتُمُـوه فيخـدعُكم بعلِمه وَيُردِيكُم ، ولا جاءَكم صـاحبُ دنيا فيُلهيكم بهـا وَيُغويكم. فأنتم نَسيتم أصحابَ أبي جَوفٍ وقد رَجَعَتْ أسافِلُكم أعالِيكم.

فانظروا ما أنتم عـليه ليس لكم فيه علّةٌ سِوى إلـفِ نفوسِكم لأوامرِ الشياطين، وانصبـاغِها بالجهلِ والخلاف لِتَشتَـهِرَ بما انفردتْ بهِ منَ الفِسقِ في يوم العَرْضِ والدِّين، وإلاّ فـبأيّ حُجَّـةٍ تحتجُّـون. وفي أيّ معلوم وَصل إليكم تَشكُّون. قاتَلكم اللّهُ فأنتُم الظالِمون.

وقد اتّصلَ بنا أنّ مُحَلاً هو السَبَبُ في هذه البدعةِ والشناعةِ الكبرى، فلا أعلا اللّهُ لهُ قَدْرًا ولا أنفَذ له أمرًا، ولا طوَّل له عمرًا، إلاّ للعَذابِ والخزيِ والنِكالِ، وجعَله في جملةِ من استفزّوه عن الحقِّ من الأدعياءِ الفَسَقةِ الأرذالِ.

فما بقيَ لكم عندَنا يا أوباشَ الأمم بعد هذه مَوعِظَةٌ ولا كِتاب، وقد تقطّعتْ بيننا وبينكم الوصائلُ والأنساب. أَجْرَيتُم إلى هذه القبائحِ بعد وقوفِكم على ما خرج به النهيُ عمّا أحدَثَتْهُ المرتَدُّون لجميعِ الشياطينِ في الكتابِ المنفَذِ إلى قَسيمِ التَّوحيدِ والتسديدِ، الثِقَةِ الأمينِ، وبعد وقوفِكم على القاصعة للفراعنةِ المدّعين تناسَيتم معالِم الصيانَةِ والدِّينِ المحمودِ، ووقفتم على العصيانِ والكفرِ واللَّدَدِ والجُحودِ. فأيُّ مسلكٍ للفِسقِ وجدتُمْ فَادخُلوا، وأيُّ حُرمَةٍ للدِّينِ أصبْتُم فافعَلوا. فقد أظهرتُم عِناد أهلِ الدِّينِ والحقّ، وشهرتُم سيوفَ الباطلِ على جميعِ الخلق.

فافهموا ما جاءَ في حكمةِ القائمِ الإمام، سلامُ اللّهِ على ذكرِه، يعني مَنْ رَكِبَ أفعالَكم في ذكرِ المسوخيّةِ في التذكيرِ والتأنيث، وشَرَحَ حالَ مَنْ يَدعُو إلى حليلَتِهِ غيرَه وهو الجِرّيثُ [1]. فقال والجِرّيثُ من دِيَاثَتِه [2] ووسَاخَةِ نفسِهِ يدعو غيره إلى حَلِيلَتِهِ لِضَعةِ نفسِه ليُساويَها في نَجسِهِ وَقُبْحِ رذيلتِه، فالدِّيَاثَة فضائحُ في العَوالِم، ومُقَنَّعُونَ في العاجلِ بملابسِ العارِ وتنكيسِ العمائمِ، وفي الآجل خَزَايَا مُعَذَّبون، بما احتقبوه من عظيمِ المآثمِ.

وأمّا قوله في ذكرِ العواهرِ المتبرِّجاتِ اللواتي أطعنَ أهلَ الفسقِ والخِياناتِ، اللواتي خرجنَ عن حقائقِ الديانات، اللواتي قد مُسِخْنَ وهنَّ

---

(١) حَليلة: الزوجة. الجرّيث: صنف من السمك النهري شبيه بالحنكليس.
(٢) الديوث هو الرجل الذي لا غيرةَ لُ وتدخلُ الرجالُ على حرمتِه وَيَراهُم ...

غافـلاتِ، فَهُوَ. وَأَمَّـا الأَرْنَبُ فامـرأةٌ تعمّدتْ بعلَهـا بالخيانـةِ والبَلَسِ، فهي، لوسخ نفسِهـا وعظيمِ محنتِها، لا تَطْهُرُ مِنَ الحَـيضِ والنَجَسِ، وتدخلُ بيوتَ اللّهِ باللّعنةِ وقذارةِ النفسِ.

فهـذه في الحكمةِ صِـفاتُ الفَـسَقَـةِ المُلحِدين الخـارجين، عن الحقِّ وحقـيقـيّةِ الدِّين، والحقُ أعفى للأولـياءِ المسلمِين، والسَفَـهُ أولى بأهلِ الرِدَّةِ الفَسَقَةِ الغاصبين.

وأمّا منَ كانَ مِن الزمرةِ المُحقِّينَ الطائِعين، وفي جملةِ مَن أخلصَ من الموحِّديـن الطَّهَرة الموقنين، المعـترِفين بتـوحيـدِ المولى الإلهِ الحاكمِ الجـبّارِ، المنتـقمِ بوليّه الهـادي من أهلِ الخِلافِ والعنادِ والإصـرارِ، المتديِّنينَ بإمـامةِ الهادي القـائمِ لنجاة الأممِ في الأدوارِ والأكـوارِ، المتحقِّـقينَ أنَّ المقتنى عـبدُه الضعيفُ الصغيرُ بالإضافةِ إلى مَـن سَبَقَهُ من الحدودِ العاليةِ ذواتِ الشرفِ والأنوارِ.

فليكرِّمْ نفسَه بالإنكارِ لقبائِح هؤلاءِ الأجـلافِ الطُّغَام، وليتبرّأْ منهم وَيُلزِمْها المحـافظةَ على حكمةِ القائمِ الهـادي الإمامِ، ويتميّزْ بلطـفِ نفسهِ عن أهلِ الفسوقِ ومـسوخِ أحلامِ الأنعامِ، ولا يختلطُ بهم في قولٍ أو فـعل. فهذه العِصَابةُ ومن قال بقولِهم أهلُ النَجَس والنفاقِ والـسَفَه والجَهلِ، قد طمسُوا معالِمَ الدِّينِ بالوَسَاخَةِ والقَبَاحَـةِ والفَسَادِ والخُروُجِ عن الحقِ والعدل. فاللّهُ يُقصِيهم ويلعَنُهم كما اختَلَقوا في الدِّينِ مـا ليسَ فيه، وأقامُوا الفِتَنَ بنَجَسِهم على أهلِ الطهارةِ حدودِه وأهليه. وأضافوا إليه نَجَسَ أهلِ الرِدَّةِ أضدادِ الحقِّ جَحَدةِ حكمتِه وأعادِيه.

وأنا اسـتودِعُ أهلَ الوَرَعِ والـطاعةِ والصـيـانةِ ومَن تابَ واعتـرفَ بذنبِـه للّه القـاضـي لوليِّـه بالغلَب والفَلَج، ومُنَّـجي أوليـائه وأهلِ طاعـتِـه ومُخـرِجُهم من ضيقِ الأبالسـةِ إلى سِعَةِ العـدلِ والفَرَج، وهو حسبُ عـبدِه

الضعيفِ المقتنى السالكِ طريقَ الحقِ السهلةَ الدرَجِ، وهو المُخزي لمن مالَ إلى الباطلِ الطريقِ الصعبةِ العِوَجِ.

وقد عَلِمَ اللّهُ تعالى في ملكوتِه وَعِزِّ جبروتِه أنّي أُوثِرُ لإخوتي الشيوخِ، ثَبَتَّهم اللّهُ على الطاعة، وجماعةِ شيوخِ آل عبدِ اللّه، أفضلَ المنازلِ، وأتوسّلُ إلى وليِّ الحقِّ أن لا يُبعِدَهم عن المحلِّ القريبِ ويسهِّلَ عليهم ألطفَ المراحلِ، أعني الشيخَ الطاهرَ محمَّدَ ابنَ إبرهيمَ، وسلامَةَ ابنَ حَسَنَ، وحمزَةَ ابنَ محمّدٍ، وحَسَنَ وَوَلَدَه حُسَينَ، وجماعَتهم أهلَ السِدق والوفاءِ بالحقِ والتواصلِ ، وشيوخَ آلِ عبدِ اللّهِ الطهَرة: رَجَا وإبرهيمَ وعبدَ اللّه وحسينَ وإبرهيمَ أيضاً، ومَن بحوزتِهم وينتمي إليهم من أهلِ السِدق والدِّينِ والفضائلِ.

وأنا أُعْلِمُ جماعَتهم، أكمَدَ اللّهُ أعداءَ الحقّ، أنَّ العالَمَ على سَفَرٍ قد حثَّ مُجِدّون، وهم غافلون، وعلى شَفَا جُرُفٍ مِن أعمالِهم وهم في سَكرتهم يعمَهون؛ وهذه التذكرةُ فهي لجماعةِ الشبابِ الذينَ قد مَرَدُوا عن الحقِّ وهم لا يفقهون. وقد صحّتْ عندنا أنسابُهم بالعصيانِ والأسماءِ والصفاتِ، وهم بمعزلٍ عن الحقِّ بالباطلِ مُغرَمُون، لأنْ لم ينتهِ المُرجِفُون والمنافِقون عن إخافةِ سبيلِ اللّهِ الحرامِ، وَجَرِّ المِحَنَ على أوليائه بالعَيثِ اجتراءً على المناكرِ والأثامِ، وتجهّماً على سَخَطِ الباري بالإقبالِ على العِصيانِ والإقدام.

فَلَنَدعوَنَّ الباري عليهم لِظُلمِهم لِحُجَجِه وبيِّناتِه، ونبتهلُ إلى جبروته بحدودِ دينِه وآياته، أنْ يَقْصِمَهُم كما قَصَمَ جبابرةَ عادِ المتَرفين، وأنْ يُلحِقَهُم بأعمالِهم مَع مَن خَرَج عن الطاعةِ من أبالسةِ الدِّينِ، ومَن عاد فلينتقم اللّهُ منه كما أنّه لا يُضيعُ أجرَ المحسنِين.

وأمّا ما ذَكره الشيخُ الطاهرُ من انتزاحِه عن موطنِه ومقرِّه، فإنْ كان فَعَلَ ذلك اعتغاءً ممّن تقدّمَ ذكرُه ممّن سَهى عن الحقِّ واكتفاءً لشرِّه، فاكتبْ

إلى جِهَتِنا في الترتيب بأسماءِ مَـن مَرَدَ على النفاق، وبَايَنَ بالسفَه والخِلافِ والشِـقاق، لنُضـيْفَهُم إلـى أسماءِ هؤلاء المـتَرَفين، أعني الأشـقياءَ: بـركات ومُوسى وَمزاحِم والشمالي ونَصر ومظفَّر الشاكّ الظالم، فقد ثَبَّتُّ أسماءَهم مع من أفَكَ مِنَ المتمرِّدينَ واستولى الشيطانُ على قلبه ولُبِّه، وخرج من جملةِ المؤمنينَ، ليحلَّ عليهم العذابُ مع الغاصبين.

وأمّا مـا ذكرَه الشيخُ الطاهرُ من أمـرِ ولدِه كَلاهُ اللّهُ ووَهَبَ عافيـته، فقد يَحتاجُ إلى معرفَـةِ مطْعَمِه ومشْرَبِه، وهل الخلطُ واغِلٌ في تجويفِ المَعدَةِ أو في الخَمْل[٣] ويحتاجُ أيضـاً إلى مشاهَدةِ العيـانِ ليُسمَع قولُه فيـما يَجدُهُ ليـعطَى الدواءَ المُنجِعَ في تمامِ الفـصلِ. فَلو جَـعلَهُ زائراً لنا مع ثِقَـةٍ لَكَفَلْنَاه. واللّهُ بِمَوضعِه يُـسَهِّلُ عافِيَتَهُ ويقدِّمُ له وللجـماعةِ الخيِّرةِ فيمـا له ولكافَّتِهم أردناه.

وأمّا مـا ذكرَه الشيخُ الطاهرُ وشيـوخُ آل عبدِ اللّه الطَّهَـرةُ من إثباتِ الحسابِ فلم يُعَـيِّناهُ الإخوانُ في رسالةٍ موصـوفة، وإنَّ ذلك اشتَبه عليـهما ولم يؤَدِّيا عنه صـفةً مـعروفـة، وقد كنّا أنفَـذْنَا حسـابًا إلى بعضِ المواضِعِ النائيةِ الشاسِعةِ، ما لم يَخرُجْ مَنَ القوَّةِ إلى الفعلِ إلاّ مِن بعدِ العَشَرَةِ والسنة والتاسـعة، وقـد أثبتناهُ من نَسـخَتينِ لآلِ عـبدِ اللّه وآلِ سُليـمانَ مـتّفـقات، وجعلناه قَلْعًا لمباني المختَرِصَات، وحُسَـامًا مُجْهَزًا على نفوسِ العوالمِ بأعظمِ البراهينِ والدلالات.

وأنا أخصّ الشـيـوخَ الطَهـرَة أعني آلَ عَبـدِ اللّه وآلَ سليـمـان بأتمّ التحيّة، ومَن بحوزَتِهم من الصغيرِ والكبيرِ بالنعمةِ المرضيّة. وإنما جمعتُهُمَا أعني الجماعـتينِ في نُسخةٍ مُفرَدَةٍ لأنّي جمـعتُهُمَا في الطاعة وأفـعالِ الخيرِ

---

(٣)واغل: داخل. الخمل: الضعف عامّة.

كنفسٍ واحـدة. ولا تنسَ الشـيـوخُ الشـيخَ الطـاهرَ أبا الدرعِ ومَن بحـوزَته فَليَسـهَموا سَـهْمًا من النعـمةِ يُمَنٌّ بهِ على من أنِسَ خَـيرَه ويكون عندَه وفي خاصّته.

وأنا أسـتودعُ الجمـاعةَ للّهِ العـالِم بسرائـرِ خليفـتِه، المُمضـي أمرَه بإرادتِه ومشيئتِه. والحمدُ للّهِ مُظهرِ حقِّه ولو كرهَ المشركون، ومُمضي أمرَهُ وإنْ أباه الخَوَنـةُ المرتَدُّون. وهو حَسْبُ العـبدِ الضعـيفِ المقتنَى الـبريءِ من تحديدِ القول بكانَ أو يكونُ.

تمّ التوبيخُ والحمدُ لمولانا وحدَه والشكرُ لوليِّه عبدِه.

٨٠

تَوبيخ سَهْل

كـتبَ بهاءُ الدِّين هذا الـتوبيخَ لرجلٍ اسـمُـه سَهْل، كـانَ يَسُبُّ وَالدَي المقتنَى ويفتري عليهما، وبعضُ هذه الرسالة شعْر، وبعضُه الآخر نثر. كتبتْ في ظروفٍ نجهـلُها. وقد لا يكونُ لها فائدةٌ بالنسبـةِ إلى العقيدة التَّوحيديّة.

وَصَلَ كتابُ الشيخِ الفاضلِ الثِقَةِ الأمينِ المُفصحِ عن علمهِ وفضائِله، الدالِّ بمضمـونِ مقاولِه، على صـحّةِ مخائِله، أطالَ اللّهُ فـيمَا هو عليـهِ بقاه، وأدَامَ في دَرَجِ الانسفَالِ عُلاه.

وَوَقَفْتُ على جميعه وتحقّقتُ لســرعةِ إجَابَته، وبديعِ إصابَتِهِ وخبثِ سَريرتِه لأهلِ الحقِّ وثاقبِ بصيرتِه، وأَخْمَدتْ يَدَاهُ ديانَتَهُ، وشكَرتُ اللّهَ على ما أخلفَنــي فيهِ من المالِ والأهلِ والوَلَدِ بـعدَ وصيّـتي إيّاهُ بحفظِه ورعـايته. فوجدتُه منطوياً على غلٍّ كانَ في الأكنانِ مستـورًا، وَنَكْثٍ صَار لِعِيانِ مُتَأَمِّلِهِ بعدَ الطيِّ منشورًا.

فيا سُـبحانَ اللّه أوبِّخُكَ سِرًا على قـبيحِ ما استحـسْنتَهُ، ألومُكَ وأنَا مستقرٌّ في قولي على عظيمِ ما ارتكبتَـهُ، أتخاطبُني بالعاجزِ والسَّفيه، وأمثالِ ذلك ممّا يشبهك وممّا تَـخترِصُه وتَفتـرِيه، فما حُمِّلْتَ فَصـبَرتَ، ولا أُكْرِمتَ فاعـتَذَرْتَ، فَأَكـونُ أَولى مَنْ غَفَر، وأحقَّ مَنْ عَـفَى وَسَتَر، بل تجـاهلتَ طلبًا

لتصويب مَقَالِكَ، وَخَرَصًا عَلَيَّ يُعْـقِبهُ باطِلُكَ وَمَحَالُك، وَلَم تَعلَمَ لِضيق عَطَنِكَ وَبُعدِ الخيرِ من قَـطَنِكَ. إنّك حصيدُ ما كَسَبَتْ يداك، وصـريحُ ما تحرّكتْ مِنَ الخِطابِ شَفَتَاك.

فَمِنْ أعـظمِ المِحَنِ واللّه وأطرفِهـا طَعْنُ ذوي الفَدَامَـةِ والفَهَامَـةِ على ذوي البَرَاعَةِ والفَصَـاحَةِ، ابتغاءً لقميصٍ. فَاعَلَمْ فَـقدْ طَارَتْ عَنْكَ وعَنْ أمثالِكَ مَزَقًا، وردُّها مَنْ كانتْ في يده بالعُنفِ سَرَقًا.

فيَـا أَيُّها الغـافلُ أَتَرَاكَ تقدرُ أنْ تَقـولَ بحضـرةِ مِنَ يُنزِّهُ نفـسَه عن الجَورِ والمُحالِ، ويـتوخَّى سدقَ الكلامِ في المَقالِ، إنَّك أودَعـتَني عندَ هِجرَتِكَ شيـئًا من مالِك وأُتَمَنْتَني عـلى أهلِكَ وعيالِكَ، فـاعتديتَ عليـهم كما اعـتديتَ وأتيتَ إليهم قبيحَ ما أتيتَ.

فيا سبحـانَ اللّه! أهذه دلائلُ طَهارةِ الأعراقِ، ومكارمُ الأخلاقِ، التي تصحّ بالأنسَاب، وتَثْبُتُ بها الأحسَاب، كمـا ذكرتَ في كتابِكَ أيّها المَاحلُ؟ فما عُذرُكَ إذا تداوَلَتْكَ بالحَضرةِ الطاهرةِ ألسُنُ ذوي السِـدقِ، وَتَعاوَرَتْكَ سيوفُ أهلِ الحقِّ، عند وقوفِكَ على تظليـمِكَ إيّاي وأنتَ الظالِم، وتخوينكِ إيّاي وأنتَ الخائِنُ الغاشِم؟

فيا سبحانَ اللّه! أُعاتِبُكَ عَتَبَ الإخوانِ على قبيحِ ما ارتكبتَهُ، وأوبِّخُكَ شُحًّـا عليكَ فيما ذاعَ في بلـدِك وناحيتِكَ عنكَ ممّا انتـهكْتَهُ، وَحلْتَ المعنى إلى ذِكرِ مـا لم أحفِل بهِ في الكتاب، ورددتَ عليَّ غـيرَ الجواب، تَلَبّـسًا على زَلَلِكَ الذي زَلَلْتَهُ وتمويهًا على باطِلِك الذي تَأوَّلْتَهُ.

ففِيكَ أقولُ :

وكيفَ حللتَ عَقْدَ الودِّ سَهْلٌ ... وأفسدتَ الدايانةَ يا خَؤونُ

وجاهرتَ العِنادَ بغير جُرمٍ ... وساءتْ منكَ بالنَدبِ الظُنونُ

وقلتُ مسابقًا بقبيحِ لفظٍ لسانُ الغدرِ منه مُستبينُ
غدوتَ ترومُ قَرمَ العُرْبِ حَربًا وَحَدَّ حُسامِه فيه المَنُونُ
ومَنْ ذَا يلقَ نورُ شهابِ نـارٍ ببَرقِ شُعَاعِه تَعمى العيونُ
جهِلتَ على عـليـمٍ ذي وقـارٍ وَهَاجَ ولا أُشكُّ بِكَ الجُنُونُ
أمَا يكفيكَ خُنْتَ العهدَ حتَّى تُسَفِّهَ في الخطابِ وتَستخِينُ
وتزعُمُ أنّني رُبِّيتُ رِضْعًا بِثَديكَ يا سخينُ يا سَخينُ
وما تَدرِي بأنَّ العِلمَ منِّي تَأَثَّرَ في الخليقةِ وهي طِينُ
وإنّي داعِي الرَحْمَنِ حَقًّا بدَورِ الكشفِ والتَّوحيدِ دِينُ
خِلافُ دجَاجِلٍ سُلِبَتْ عُقولاً مَحَاها الكَورُ مذ قُطِعَ القرينُ
ففيما أنكرتَ حقِّي يا خَليلِي وقد عُهدَتْ مودّتُنا تَزينُ
كلانا نرتقي شَرفَ المعالي ونحنُ لها مُشَرَّفَةٌ زَبونُ
فَأَفْتَنَكَ الزمانُ ولم تراعِي وَدَادِي حينَ غَيَّرَكَ الفُتونُ
فإنْ تُغضِي على حِقدٍ وظلمٍ فباللّهِ المُهيمنِ استعينُ
وفي عصرِ الجزاءِ لنا معادٌ خفيٌّ ليسَ تعلمُ أو يكونُ
فكنْ منه على حذَرٍ وخوفٍ فنفسُكَ فيه ليسَ لها قُطُون.

وأمّا ما ذكـرَه وادَّعَاهُ مِنْ فَتْحِهِ عليٍّ في هذه الكلمـة وإنْ كانَ لفظُها حقّاً فـلستُ مستعـملَها في دَعوى الحقِ ليشـتهرَ بها في خِطابِ النُصَـيريَّةِ وأظنّهُ بِلاَ حقٍّ بهم بل بفِعلِه اقتَدَا، ولأثَارِهم فيما شَنَعَني به اقتَفا

فإنِّي لـه بفتحِ بابٍ هو واللّهِ دونَه مُـرْتَج، وهو باللّهِ إلى الفتحِ عـليه في هذا الوتقِ أحْوَج. فرضوانُ اللّهِ على شيخِنا الطاهرِ أبي الفضلِ أيّوب ابنِ عليّ الداعي، لقد أجرَعْتَـهُ بهذا التمويهِ غَصَصَ الشجَا، وأحْـوَجتَهُ إلى الهَرَبِ والجَلاء حـتى شَتَّتَّـهُ عن الإخوانِ، وسعـيتَ فيه إلى السـلطان، ونصبتَ له الحـبائلَ وطـلبْتَ منه المَقَـاتِلَ، وهو داعيٌّ وداعـيك ومغـذّيك ومـربّيك، ومن حُضْنه درجتَ، ومِن بيتِه خرجتَ. فما راعيتَ له حُرمةً، ولا راقبتَ فيه إلاً ولا

ذِمَّةً. فما عسى أن تقولَ فيمن لا يمتّ إليكَ بهذه الخِلالِ؟ ولذا أوبّخكَ على اليسيرِ من المال، وفيما أتمنتُكَ عليه من الأهلِ والعيال.

فهذه روايةُ الجمهورِ من أهلِ بلدِك وإخوانِك، وشهادةُ الجَمّ الغفيرِ من مصاحبيكَ وجيرانِكَ، فأطرَبْتَ نفسَك فيما أذعتَه فيَّ من الذمِّ والسبِّ، وقاطعتَ اللّهَ ووليَّه بغيرِ جُرحَةٍ ولا ذنب، طلبًا للتنميقِ والتسجيع، ودخولاً زعمتَ على صِناعةِ أهلِ النَظمِ والتَرصِيعِ. فهيهاتِ مَنَّتْكَ نفسُك لقلّةِ علمِها خبيثَ الأماني. وإنّما تصحُّ الألفاظُ إذا كانتْ مطابقةً للمعاني. وإنّما السَفَسافُ والرُعَاع، فهما لِمثلِكَ إخوانٌ وَتُبَّاع، يَستحسِنونَ ما تنكرُهُ أهلُ الأدبِ ويدفعُه العقل، ويسوّغون مثلَكَ لنقصِ أفهامِهم ما تخترصُه من الكذبِ والجهل.

وأنا مُبيِّنٌ بعضَ نقصِكَ فيما شَنَعْتَني به من ذكر أبي وعمّي، وأسهبتَ فيهِ من سبِّهما وذَمّي، وزويتَ إليَّ خِلافَهُمَا فيما زعمتَ على الأئمّةِ الطاهرين، وأطنبتَ في إضافتِك إليَّ منهما ما يحاسبُك عليه إلَهُ العَالَمين.

فباللّهِ لقد عاشَا حميدَينِ، وماتَا فقيدَين، آلُ السترِ والعفافِ والصيانة، ومعدنُ العدالةِ والأمانة. هما وآباؤهما خطباءُ البَلَدِ وقُضَاتُه، ومتفقِّهوهُ على صفةٍ في مذهبِهم ورواتُه. وحسابُهما إلى اللّهِ تعالى الذي لا يتعاظمُه ذنبٌ، وإنْ بَعُدتْ بالكفرِ غاياتُه.

وبالجملةِ لو كانَ فيك أدنى مُسكةٍ من علْم، أو صيانةٍ من نظرٍ أو فهم. يَقَّظَاكَ على ما يتوجّهُ عليكَ من المعائبِ في هذا المَقالِ، ويصَدَّاك عن الطعنِ على الأنبياءِ الكرامِ. وردُّ كتابِ اللّهِ ذي العزّةِ والجلال، لكان تركُه أجملَ لحالك، وأرخَى لبالك. وهو قولُه جلّت آلاؤُه في تكذيبِ مقالك ودحضِ باطلِك ومُحالِك: «كلُّ نَفسٍ بما كسبتْ رهينَةٌ»[1] ، وقوله : «يومَ لا يَجزِي والِدٌ

---

(١) سورة المدثر ٧٤/٣٨.

عن وَلَدِهِ ولا مولودٌ هو جازٍ عن وَالدِهِ شيئًا»(٢).

فهذا بيانُ ردِّكَ لكتابِ ربِّ العالمين.

وأمّا طعنُكَ على الأنبياءِ الطاهرِين فـفي قِصَّةِ إبرهيمَ خليلِ الرحمن، وعظتِـه لأبيـه على عبـادةِ الأوثان، كـقولـه: «يا أبتِي لا تعبُـدِ الشـيطانَ، إنّ الشيطانَ كانَ للرحمنِ عصيًا»(٣) .

وأمّا مـا طعنتَ به على سيِّدِ الـرسلِ والأئمّةِ في ذكرِ أبي لَهَبٍ عـمِّه، والروايةُ الصـحيحـةُ عن عليٍّ أنّه قالَ بَايَعَني الـناسُ على ما في نفـوسِهم، وبايعني مـحمّـدٌ ابنُ ابي بكرٍ على مـا في نفـسي فمـا نجّسَ اللّهُ جلّت آلاؤه بالأنبياءِ الطاهرِين للبشرِ بمن ارتَدَّ عن طاعتِهم من أهلِهم وكَفَرَ.

فكيف أواخـذُ أنا بافـتراءِ مـثلِكَ على الـوالدِ والعمِّ. واللّهُ جلّت آلاؤُه مـتعـالٍ عن الجَـورِ والظلمِ، وإنما حَداك عـلـى ما أجـريتَ إليـه يا قليلَ العِلمِ شـيئـانِ: أحـدهما أنْ تجـعلَ لليـهودِ والـنصارى مـدخـلاً للطعنِ على دينِ الإسلام، وسبَبًا لنقصِ الأنبياءِ الكرام، والآخـرُ ركاكُة عقلِك وغلظُ فهمِك عمّا يتعقّبُ عليك من المعايبِ في هذا المَقالِ.

وفي أحدى هذه الجـرائمِ ما يوجبُ قطعُ بنانِك، وَجـذُّ لسانِك، وهدمُ أركـانِك لكن غلبَ الرّانُ على قـلبِكَ، واسـتولىَ الـشيطـانُ على فكرِكَ ولبِّك، فأعـمَى عينَك، وأدنى حَـينَكَ، فأظهـرتَ ما اشـتمَلتْ عليـه ضلوعُك من الغلِّ الدَّفينِ، وأبديتَ ما سيقفُ بين يديك وأنتَ حسيرٌ بينَ يدي ديّانِ يومِ الدِّين.

وأنا القائلُ فيكَ :

---

(٢) سورة لقمان٣١ / ٣٣.

(٣) سورة مريم ١٩ / ٤٤ .

خرجتَ بما قد كان فيكَ مكمَنًا وأبديتَ ذنباً لا اعْتذارَ لجُرْمِه
وباينتَ خِلَّ الودِّ خونًا لعَهدِه وبارزتَ فيه الكبرياءَ بظُلمِه
وخاطبتَه بالنقصِ منكَ سفاهةً وجهلاً عليه وهو مالكُ حُلمِه
وقلتَ وقولُ الغمرِ أسدقُ شاهدًا عليه بأنَّ البدر في حد تَمِّه
بانَّ هُيُولانا وصورتُنا الأولى بنفسك صارتْ في المَعَاد برسمِه
فهل أنتَ تدري يا عميّ شقاوةً بكيفيّةِ الدهرِ الأخيرِ وَعُظمِه
ومَن صاحبُ الأكوارِ والدورُ وحدَه وناطقُه الداعي بتعيينِ اسمِه
وسابقُه الثاني مع التالي الذي يبيّنُ قولَ الحقِّ من بعدِ كَتمِه
وَمَن هوْ خُضْرُ الصالحينَ ولمْ حُيِيَ وكيفَ يسوعُ في السماءِ بِجِسمِه
وأينَ قديمٌ الدهر بل كيفَ وَحْدُهُ وقد نَعتوه فوقَ كرسيٍّ حُكمِه
وكيفَ ثوابُ النفسِ وهي لطفيةٌ بعالَمِها بعد الكثيفِ وَعُدْمِه
فلستَ مُجيبًا عن سؤالٍ بحكمةٍ يؤيّدُهَا برهانُ حقٍّ بِحَزمِه
لأنّي عليمٌ أنَّ بهتانَ مَن مضى يُقصّرُ عن تحقيقِ هذا وعلمِه
وأنتَ وهم جمعًا أخِلاّءُ باطلٍ لحَارَتَ دَورِ السترِ خُدَّامَ نجمِه
وكيفَ توازي مَن له شرفُ العلا ومَن خَرَقَ العلياءَ بصحّةِ عَزمِه
وَتثلبُهُ ثلبَ الجحودِ لفضلِه وَتعْلَمُ أنَّ الدّرَّ سِلْكٌ لنَظْمِه
لقد خَسِرتْ كفّاكَ ما لو علَمتَهُ لقد كنتَ تَخشى أن تبوحَ بإثمِه
لأنَّ له في البعثِ نفسٌ عليمةٌ تصيرُ إلى الفردوسِ حضرةُ خَصمِه
وصَرْعَةُ أهلِ البغيِ تأتي بغتَةً فمَنْ كانَ منهم يستعدُّ لقصمِه.

نَجِزَتْ بمنّة وليِّ الآخرةِ.

تمّ توبيخُ سَهلٍ، والحمدُ لمولانا وحدَه، والشكرُ للإمامِ الهادي عبدِه.

٨١

توبيخ حسن ابن معلا

حسنٌ ابنُ معـلاً من عين حرشا، كان في زمن طاعتـه لأوامر الدّعوة من أهل المعـالي، وهوالشيخ حـسن الكبيـر. إلاّ أنّه مال إلى سُكّين وأفـعاله، وحاد عن نصرٍ وأمثاله. وحمل حسَنٌ لبهاءِ الدِّين كتابَ سُكين مزوَّرًا عن لسان نصْر وعمّار وجماعة الوادي (عن الدرر المضية).

وصلَ كتابُ الشـيخِ الفاضلِ أطالَ اللّه بقاه، وأدامَ تأييدَه وحِـراستَه وَنِعْمَـاه، وَسُرِرنا بسـلامتـهِ وكمالِ كـفايتـه، والحمـدُ للّهِ على ذلك كثـيرًا وصلواتُه على رسولِه وآلِه وسلّم.

أُعلِمَ الشيخُ أنّهُ وَصل حـسنٌ ابنُ مُعَلاً ومـعه آخر -فـلا أحسنَ اللّهُ جـزاه. فـمـا في هذا العـالَم أوتَحُ منـه ولا أقلُّ دينٍ، وهو مـوفَـرٌ من الكذبِ والتمويهاتِ البـاطلة. ومعهُ كتابٌ يَزعُم أنّه من عند الجـماعةِ، ويذكُرُ في أوّله أنّ نَصْرًا أوصلَ إلى الشـيخِ عمّـار جميعَ مـا أُنفِذَ إليه من النَـفَقَةِ والتَـقْوِية وجميعِ الآلَةِ، وأنّه سلَّمَ ذلك إلى الشيخِ عمّار بعدَ أنْ جَمَعَ جميعَ أهلِ الضيعةِ عن بِكرةِ أبيهم، فَقَضَوا ما أوصلَ إليهم وأوقَفَهم عمّارٌ عليهِ وكَتبَ بهِ الوثائقَ عليهم وخَرَجَ من عندهم فَرِحًا مسرورًا ممّا جدّدَ اللّهُ على يدِهِ من العَمارة.

وفي آخرِ الكتابِ أنَّ نَصْرَ لم يُوصِلِ إلى الشيخِ عمّار شيئاً مما وُجِّهَ إليه مـعه ولا عـرَّفه بشيءٍ من ذلك، وأنّ عمّـارَ سَمِعَ بالكتـابِ فَجَحَده ذلك

وأخفاهُ عنه، وأنّه أخَافَه بشيءٍ ذَكَرهُ له، فـخرج من ا لبَلَد، وإأنَّ نَصرَ جَمَعَهم سرًا عن عمّارٍ وأعطاهم جـميعَ ما كان معه وقـالَ لهم: خُذوا هذا وامضُوا به إلى الكرديّ فهـو صاحبي، وأنّهم وَبَّـخُوه على ذلك وقالوا له: كـانَ حَقُّكَ أنْ تُوصِلَ هذا إلى الذي وُجِّهَ إليه، يَعنونَ بذلكَ عمّار. فقلَ لهم: ما كنتُ بأوّلِ مَنْ أَرمِي في صـاحبي خِـشَـيةً. وخَـتَم الكتابَ وقـالَ لنا: خـذُوه أنفذُوه إليـه. فامتنعْنا من ذلكَ. فأخذَه خَتَـمَهُ وحَلَفَ باللّهِ أنْ لا يَفُكُّ هذا الخَتمَ إلاّ صاحبي فلان، يعني الكرديّ.

وَكَذِبٌ كثيرٌ يَقبَحُ ذِكرُهُ وإعادتُه.

فلمّا رأينا الكـتابَ يَنقُضُ بعضُـه بعضًا عَلِمنا أنّـهُ مِن حِيَلِ الكردي، وتِلاوتِه بمعرفـتِنا أنهُ ليسَ له فَهمٌ يَعلَمُ ما يُعـوِّلُ عليه، وأنْ ليسَ له في ذلك غيرُ الإسم لا غير، وأنّه لمّا دقَّقَ حِيلَهُ لَعَـنَهُ اللّهُ خرَج إلى فَضيحةِ الكَذبِ، وأنّه كتَب هذه النسـخةَ يريدُ الحِيلةَ بذلك على فَـسادِ الضَيـعَةِ، فيكونُ ذلك سببًا لفسادِ الحالِ، وأنّني مضيـتُ بالكتابِ والرَّجُلينِ إلى عند جماعةٍ من المزارِعينَ يَثِقُ بهم مولاي قبلَ غَـيْبَتِهِ، وأخذتُ مـعي حَسَن وصاحبَه إلى عند الجـماعةِ وقرأتُ الكتابَ عليـهِم، وهما حضورٌ عند الجمـاعةِ فكانَ لهما من الفضـيحةِ والخِزي ما اللّه يكفي أهلَ الخيرِ والسدقِ مِثْلُ ذلك المَقَام.

ونظرُوا فيه مِنَ بَيانِ الكذبِ والتـحريفِ والحيلةِ وقلّةِ الدِّينِ والعقلِ، ما بَهرَهُم وتعجّبُوا من سَخَـافةِ مَنْ أرادَ أنْ يحوِّشَ ذلكَ على مولاي وعَجِبوا من ذلكَ وتحقّقوا الجماعة كذبهم وكذبَ مَن كتَبَ لهم النسخةَ وَعَلمُوا أنَّها من حِيَلِ الكِردي، وقالوا : هذا الكذبُ يَدلُّ على صحّةِ قَتْلِهم لعمّارٍ رَضِيَ اللّهُ عنه وَلَعَنَ مَن ظَلَمه، وقد قالَ مولاي قبلَ خروجه: انَا ما بَقِيَ لي معَ أحدٍ كلامٌ.

فمـنْ أرادَ مِنَ هؤلاءِ الجمـاعةِ الذينَ جـاءَ حَسَنٌ بكتـابِهم يزرعَ في الضيـعةِ ويكونُ في الجملة، فَليـمْضِ إلى الشيوخِ الثـلاثةِ: أبي المعالي وأبي

الخير وأبي الفضل، ويُوفُوا ما عليهم، وَيُقَرِّروا عَندهم وعندَ الجماعة ما فُعِلَ بعمّارٍ، فإنْ لم يَفعلوا ذلك، فما بيَننا وبينهم مُزارعَة، لأنَّ الكِتابَ الذي وَصَلَ منهم فهوَ على سبيلِ الحِيلةِ. ومع الحِيلةِ لا يكونُ عقبى خيرٍ ولا اتفاق، وإنَّ حَسَنًا هذا قال: إنَّ أبو الخيرِ مَضى إلى عليٍّ وَمشَى إليه واعتذَر منه، وإنَّ عليّ قالَ لعمّارٍ، وَهُمَا حضورٌ عندَ الجماعةِ: واللّهِ لَومَا وَلولا لأمْرتُ منَ يَجُرُّ برِجلِكَ في البَلَدِ كلِّه، وَرَضِيَ بذلكَ أبو الخيرِ، وقد غَمَّنَا ذلكَ أَنْ يَجري مثلُ هذا القبيحِ على رَجُلٍ هو أبعَثُهُ وهو رسولُ الجماعةِ الأخيارِ، ولكنْ نحنُ نرجو أنْ يكونَ قولُه هَذا كُلُّهُ كذبٌ يَشاكِلُ ما تحقَّقنَاهُ في الكتاب.

ولا يؤخِّرُ الشيخُ الجوابَ بما عندَه من جميعِ ما شَرحْنَاه وذِكرِ عمّار، وما ذُكِرَ عن الشيخِ أبي الخيرِ وَمرضاته بذلك. وإنْ قَدرْتَ على إيصاله إلى الجماعةِ فافعلْ ليجيءَ الجوابُ بما عندَهم في ذلك. ونحنُ نَخُصُّكَ وجميع مَن قَبِلَكَ بأتمِّ السلامِ. وكذلك مِن عندنا يَخصُّوك بأتمِّ التحيَّةِ.

والحمدُ للّهِ ربِ العالمين، وصلواتُه على رسولِه وآلهِ الطاهرين، وَتُعَرِّفُ الجماعةَ أنّنا لو وَجَدْنَا مَن نُنفِذُ معهُ الكتابَ لأنْفَذْنَاه. ولولا الخشيةُ من التفريطِ فيهِ أنفَذْنَاهُ في الترتيبِ. والسلام.

تمّتْ بحمدِ اللّهِ وحدَه.

٨٢

تَوبيخُ الخائبِ مَحَلّا

إسمُه عثمان. وسُمِّي مُحَلاً للبْسه الحليَ، واسمُ امرأتِهِ زينُ العَرب، وهي مشبَّهةٌ بالأرنَبِ. أصلهُ من مَرْتَحْوَانَ. كنيتُه أبو الخير، ومن أكابر قريته. استـجابَ للدّعـوةِ وصارَ من مـشايخِ البَلد. وصـبرَ على المحنـةِ وتحمَّل المكارِهَ والصعـوبات. ثمَّ بَطَرَ النعْمةَ ومالَ إلى الشـهواتِ وحبِ الزينَات. أتاهُ يوماً الشـيخُ مسلمـه ورآهُ على هذه الحال يَسْكَرُ ورِفـاقَه، ثمَّ ذهبَ مسلمـه وأخبرَ بهـاءَ الدِّين في مصر. وفي اليـومِ التالي جاءَ مُـحلاً إلى مصـر وظنَّ أنَّ أخبـارَه مسـتورةٌ على بهـاءِ الدِّين. فلمّا عـادَ إلى بلاده، أرسلَ بهاءُ الدِّين له هذا التوبيخ مع رجلَين من خَـدَمِه ولكنّه أبى تَسلُّمَه، فنُفِي إلى الكُفرِ وماتَ بها. وعمَّروا عليه قبَّة (عن الدرر المضيَّة).

ألرســالةُ الصادرة إلى الجـماعـة بسمِ الإلهِ الحاكمِ المُورِثِ مـقاليـدَ السمَوات والأرض، لمن جعلَه إِمامًا هادِيًا قائمًا على النفوسِ في يومِ الحسابِ والعَرْض.

قـد لَطَفْـنَا بكم من الزمنِ الطـويلِ في مُـحْكَمِ الآياتِ يـا أهلَ الشَّطَنِ والغَفلَةِ والسَّهـوِ، فأبتْ نفوسُكم قَبولَ الحقِّ والسدقِ لما ألِـفَتْهُ في القِدَمِ منَ البَلَسِ والرِّدَّةِ وربيتْ عليهِ من سَماعِ الكذبِ والكِرو. فأنتم تزدادونَ بمراسمِ الحكمـةِ شكًا وإبلاسًا وعُنودًا ونِفـاقًا، وبالموعظةِ الصـائبةِ كـفرًا وجـحوداً وإِبِيَاقًا.

وقد أصْدَرْنا إليكم هذهِ المكاتبةَ مع ابنِ الثِّـقَةِ واليهودي، وَهُمَا عندَنا مُتْـرَعانِ إبلاسًـا وعُنودًا وشِقاقًـا، خَدَمِ مُـحلاً الدَّعيِّ الخائنِ الفـاسقِ وتَبَعَ المجوسيِّ المرتدِّ الطريدِ السارقِ، حجَّةً عليهـما وعليكُم طَلَبًا لانتباشِ مَن أنكرَ ما أنتم عليهِ من السَّفَـهِ واتّعَظَ بما هو واصِلٌ إليكم. وها هي قد أصدرتُها مَع مَن كانَ عندَنا ثِقةً أمـينًا، وقد جعلَتْهُ أعـمالُه ظَنِّينًا مبينًا، بالتـخلفِّ عن قصدِ معلومِ الحق، ومـبايِنةٍ لِسِمَـةِ التسليمِ والخروجِ عـمّا سُفِـرَ فيهِ من الصـبرِ والسدق.

فليـقـرأْهَا على الجـمـاعاتِ في مـظانِّهم ممن غـارَ وأنِفَ الدِّين من وسـاخةِ أهلِ النَّجَسِ والكذبِ والـبهـتانِ، وليـحملْهـا طاعـةً للحقِّ مَن تَأَسّمَ بهدايةِ الكشفِ لِعَوارِ مَن مَرَدَ إلى مَن أنِسَ رُشـدَهُ من جميعِ أهلِ البلدانِ. فقد أَقَمْنَا عليـكم حججَ اللّهِ من مدّةِ سـبعةَ عَـشَرَ سنةٍ بقـواطعِ براهينِه وبيِّنَاتِه، وأوردْنَا إليكم قـوارِعَ حُكَمِ الولـيِّ ورواياتِه، فـما ازددتُـم لعظائمِ الآياتِ إلاّ كفرًا وطغيانًا وبمراسمِ الحكمةِ إلاّ صُدوفًا عنهَا وعِصيَانًا.

فمـا بقِيَ لكم عندنَا يا أجلافَ الأمم مـوعظة ولا كتاب، وقـد تقطّعتْ بينَنا وبينَكم الوصائلُ والأنساب، بعدَ هذهِ الصحيفةِ الصادرةِ إليكم. وهـي :

«باسـمك أللّهُمَّ مـالكِ الأمر، الإمَـامِ العـدلِ قـائمِ الزمانِ والـعصـر، إلى العُصبَةِ الجاحِـدةِ المنكِرَة، العَمِيَّةِ عن الحقِّ بعدَ المعرفةِ والتبـصِرَة، الذينَ عَكَستَهُم إلى المسوخـيَّةِ مقـدّماتُ الأعمال، والفـيئَةِ المَهِـينَةِ الخارجةِ عن الحقِّ والعـدلِ بعدَ العلوِّ إلى الانخفـاضِ والانسفال، الذينَ عمـهتْ قلوبُهم، فهمْ عنِ الحقِّ مُعـرِضونَ، وَعنْ مُوبِقَاتِ الرذائل لا يَنزَجِرُونَ، إتْبَـاعًا لِنَعَقَةِ شياطينِ الفترةِ لتـمييزِ الباطلِ من الحقِّ، وأوباشِ الأممِ وَعُكَوَراتِ هذا الخلقِ، الذينَ سَوَّلَتْ لهم نفوسُـهم ما أَلِفَتهُ في القِـدَمِ من النِفَــاقِ والعُنُودِ والفـسق. فـهم لا يَرتَدِعـون بمواعظِ الآياتِ والذِكْـرِ الحيكـمِ، ولا ينزجرون عَنْ مـقابحِ الأدعيـاءِ لِمُمَـازَجةِ نفـوسِهم للنَّجَسِ والـفعلِ الذميمِ.

فهي كليلةٌ عن حَمل الحق لِمَرَضِهَا وإيبَاقهـا، تتصوَّرُ بِهَوِيَّتِها ما انغَمَطَتْ فيهِ في الأزمانِ الغابرةِ من مقابحِ نَجَسِهَا ونَقضِ ميثَاقِها. قد ألِفَتْ لَبلَسِها مقارنةَ شـياطينِ الأدوارِ، وامـتزجتْ أرواحُـهم بالشَطَنِ عُتُـودًا لأئمّة الأعـصَارِ، فـهم لا يَرجُونَ آخِـرةً ولا ثوابًا، ولا يتحـقّقُون للحقِّ رَجْـعَةً ولا إيَابًا. قد سلـبتْهم الفَـترةُ عُقولَهم وألبابَهم، وأنستْهُم طاعةُ الأبالسةِ حدودَهُم وأبوابَهم.

فيا أيُّها العُـصبَةُ الضالّةُ! أمَا لَكُم فيما وَصَلَ إليكُم مِن مُـعجزِ حكمةِ وليِّ الزمانِ على يدِ عـبدِه مُعْـتَبَر، يـا وَيلُكم أفما اتّعظم بما حـفظتُمُـوه من مُحكمِ آياتِ التَّوحيـدِ وأسفارِ الزُّبَرِ؟ فيا هؤلاء أينَ عن الحقِّ تَذهبون، وبأيِّ دينٍ أنتـم عاكفون على القـبائحِ تتـديَّنون؟ لم يأتِكم صاحبُ عـلْم وفهمٍ غَلَبكُم بقـولهِ فيُطغـيكم، ولا وَصَلَ إليكم مَـعَهُ مِنَ العِلمِ أفـضل ممّا عُلِّمْـتُمُـوه فيـخدَعُكم بعلْمِـهِ وَيُرديكُم، ولا جَاءَكم صاحبُ دنيا فَـيُلهِيكم بها ويُغوِيكم فأنتم نَسِيتُم أصـحابَ أبي جوْفٍ وقد رجَعَتْ أسافِلُكم أعالِيكُم.

فـانظروا مـا أنتم عليـهِ ليسَ لكم فـيه علّـةٌ سوى إلْفِ نفـوسِكم لأوامـرِ الشياطين، وانصباغِها بالجَهلِ والخِـلافِ لتشتهرَ بما انفردتْ بهِ منَ الفِسقِ في يومِ العَرْضِ والدينِ. وإلاّ فبـأيِّ حجةٍ تَحتَجُّـونَ، وفي أيِّ معلومٍ وَصَلَ إليكم تَشكُّون؟ قَاتَلَكُم اللّهُ فأَنْتُم الظَالِمُون.

وقد اتّصَلَ بنا أنّ مُحَـلاً هُو السَبَبُ في هذه البدعةِ والشَنَاعـةِ الكبرى فلا أعلا اللّهُ له قَـدْرًا، ولا أنْفَذَ لهُ أمرًا ولا طَوَّل لَـه عُمْرًا إلاّ للعـذابِ والخزي والنكال، وَجَعَلَهُ في جُملةِ منَ استفَزّوُه عن الحقِ مِنَ الأدعياءِ الفَسَقةِ الأرذال.

فـمـا بَقِيَ لكم عندَنا يا أوباشَ الأممِ بـعدَ هذا، مـوعظةٌ ولا كـتـاب، وقـد تقطّعتْ بينَنَا وبينَكـم الوصائلُ والأنسَاب. أجْـريتُم إلى هذه القـبائحِ بعد وقـوفكم على ما خَرجَ به النهيُّ عمّا أحدَثَتْهُ المرتدّون لجميعِ الشياطين، في الكتابِ المنفَذ إلى قَـسيمِ الدِّينِ والتَّـوحيـدِ والتسـديدِ الثـقةِ الأمين، وبعـدَ وقوفكم على القـاصعَـةِ للفراعنةِ المدّعينَ تناسَـيتُم معالمَ الصيـانةِ والدِّين المحمود، ووقفتُم على العـصيانِ والكفرِ واللَّدَدِ والجُـحُودِ. فأيَّ مَسْلَكٍ للـفِسقِ وَجَدْتُم فادخلُوا، وأيَّ حُـرَمةٍ للدِّينِ

أصبتُّم فافعلوا. فقد أظـهرتم العِنادَ أهلَ الدِّينِ والحقِّ، وشـهرتم سيوفَ البطلِ على جميعِ الخلقِ.

فافـهَموا مـا جاءَ في حكمـةِ الإمامِ سلامُ اللّهِ على ذكـرِه، يَعني مَن ركِبَ أفعـالَكُم في ذكـرِ المسُوخـيّةِ في التـذكيـرِ والتأنيثِ، وَشَـرَحَ حَالَ مَنْ يَدعُـو إلى حَليلَتِه غيرَه وهو الجرِّيثُ. فقال: والجِرِّيثُ مِنْ دِياثَتِـه، ووَسَاخَة نفسه يدعو غيرَه إلى حَليلَته لضعَةِ نفـسِه ليُسَاوِيَها في نَجسِه وقبيحِ رذيلتِـه. فالدِّيَّاثَةُ فضائحٌ في العوالِمِ، ومُقَنَّعُـونَ في العاجِلِ بملابسِ العارِ وتنكيس العـمائمِ، وفي الآجلِ خزايا مُعَذَّبُونَ بما احتقبُوهُ من عظيمِ المآثمِ.

وأمّـا قـولُه في ذكـرِ العـواهِرِ المتـبـرِّجـات، اللّواتـي أطعنَ أهلَ الفِـسقِ والخِيانات، اللّواتي خـرجْنَ عن حقائقِ الدِّيانات، اللّواتي قد مُسِـخْنَ وَهُنَّ غافلاتٌ. فَهُوَ. وأَمَّا الأرنَبُ فامـرأةٌ سُوءٍ تعمّدتْ بعلَهَا بالخِيانة والبَلَسِ. فـهيَ لِوَسَخِ نفسِـها وعظيمِ محنتِـهَا لا تَطْهُـر من الحَيضِ والنَجَسِ، وتدخلُ بيوتَ اللّـهِ باللعنَةِ وقَذَارَةِ النفسِ.

فهذه في الحكمةِ صِـفاتُ الفَسَقَةِ المُلحدينَ، الخارجينَ عن الحَقِّ وحقـيقّيةِ الدِّينِ. والحقُّ أعفَى للأولياءِ المسلمينَ، والسَفَهُ أولى بأهلِ الرِدَّةِ الفَسَقَةِ الغاصبينَ.

وأمّـا مَن كـانَ مِنَ الزمـرةِ المحـقِّينَ الطائعين، وفـي جُمـلةِ مَنْ أخلَصَ مِنَ الموحِّدين الطَّهَـرَةِ الموقنينَ، المُعتَـرفينَ بتوحيـد المَولى الإلهِ الحاكمِ الجبّـارِ، المنتقمِ بوليِّه الهـادي من أهلِ الخلافِ والعنادِ والإصرارِ، المتـديِّنينَ بإمَامَةِ الهـادي القائمِ لنجاةِ الأممِ في الأدوارِ والأكـوارِ، المتحـقِّقينَ أنّ المقتَنَى عـبدُه الضـعيفُ الصغـيرُ بالإضافةِ لِمَنْ سَبَقَهُ مِن الحدودِ العاليةِ ذواتِ الشرفِ والأنوارِ.

فَليُكَرِّمْ نَفسَهُ بالإنـكارِ لقبـائحِ هؤلاءِ الأجلافِ الطُـغَامِ، وليـتبـرأْ منهم ويُلزِمْهُم المُحـافَظَةَ على حكمةِ القائمِ الهادي الإمـامِ، ويتميّزْ بلطفِ نفـسِه عن أهلِ الفسـوقِ ومسوخِ أحلامِ الأنعامِ، ولا يَختَلِطُ بهم في قولٍ أو فعلٍ.

فهـذهِ العِصَابَةُ ومَن قَال بقـولِهم أهلُ النَجَسِ والنِّفاقِ والسَفَـهِ والجَهل، وقد طَمَسوا معالِم الدِّينِ بالوسَاخَةِ والقَبَاحةِ والفَسَادِ والخُرُوجِ عن الحقِ والعدلِ. فاللّهُ يَقصيهم ويَلعَنُهم كما اختَلَقُـوا في الدِّينِ ما ليسَ فيه، وأقاموا الفِتنَ بنَجَسِـهِم على أهلِ الطاهرةِ حـدودِه وأهليـه، وأضــافوا إليـهِ نَجَسَ أهلِ الرِّدَّة أضـدادِ الحقِّ جَحَدَةِ حكمتهِ وأعاديه.

وأنا أستودعُ أهلَ الوَرَع والطاعَةِ والصـيانةِ، ومَن تابَ واعترفَ بدينه للّه القاضي لوليِّه بالغلَـبِ والفَلَجِ، ومنجّي أوليائه وأهلَ طاعتِه، ومخـرِجُهم من ضيقِ الأبالسَةِ إلى سعَةِ العدلِ والفَرَج. وهو حَسبُ عـبدهِ الضعيف المقتنى السالكِ طريقَ الحقّ السَّهلة الدَّرَج، وهو المُخزي لمن إلى الباطل الطريقِ الصعبةِ العوَج»[1].

فمنْ تابَ بحـضرةِ الإخـوانِ عن هذهِ البدعةِ وأشـهدَ البـاري ووليَّه على نفـسهِ أنّه مسـتقـيلٌ من غَلَطِه، إقْبَـلُوا توبتَه وَلَبُّـوا دعوتَه على قَـدرِ ما تَرونَه من حُسنِ نيّـتِه، وَقبـولِه للحقِ وطاعتِه، إلاّ الخـائبَ الناكثَ أوبَقَه اللّهُ بجَريرَتِهِ أعني مَـحَلاً الجاحِدَ لنعـمتِه، فمـا يَتَأتّى بهذه البِدعَـةِ في مثل هذه الأوقاتِ إلاَّ علـى يدِ شيطانٍ رجـيمٍ، همّازٍ مشّـاءٍ بِنَمِيمٍ. فـمنْ أطاعَ فَلِنَفْـسِهِ أسعَدَ، ومَنْ عَصى فلِنَفْسِهِ أذلَّ وأبعَدَ.

تمّتِ المكاتبةُ الصـادرةُ إلى الجماعـة. والحمدُ للّه وبه أسـتعين، وهو نِعم النصيرُ المعين.

---

(١) راجع توبيخ ابن أبي حصيّة، رقم ٧٩، فهي نفسها، وقد أشرنا إليها بين مزدوجَين

٨٣

رسالة البنات الكبيرة

يقول كتاب الدرر المضيّة : «الراجح أنّهم (البنات) كانوا من سكّان قصور الخلافة، أجابوا إلى التّوحيد. ثمّ تخلّفوا عنه». يوصي بهاءُ الدِّينِ المقتنى البنات بـ «حفظ الحكمة»، ويذكّرهنّ بما كتبَ لهنّ في رسائلَ سابقةٍ، ويحرّم عليهنّ مصاحبةَ العاهرات.

بسم إلهِ الحقِّ، وعبدِه الإمام الهادِي علّةِ الخلقِ،

بَلَغَني أيّتها البناتُ الصالحاتُ المؤمناتُ الصَيِّناتُ، ثَبّتكُنَّ الباري على طاعةِ وليِّه، وأدامَ لكنَّ في الدِّينِ السلامةَ المرضيّة. إنّكنَّ أصغيتُنَّ إلى كلامِ المستزيدَةِ الزِّنديقَةِ المارِقَة، واشتغلتْ قلوبُكنَّ بكذبِ الوَقِحَةِ الفاسقَة، وانقطَعْتُنَّ للعَاهِرَةِ عن الجواب، وأفحَمتُنَّ عن حقيقيّةِ الصواب، وذلك لضَعفِ بصائرِكُنَّ وقلّةِ الاهتمام، وَتَشاغُلِكُنَّ باللّهَوِ والمَرَحِ عن حفظِ معلوماتِ السيّدِ الإمام، فدخلتْ عليكنَّ لقلّةِ العلمِ الشبهةُ في الدِّين، والتبسَ عليكنَّ الحقُّ لغفلتِكنّ عن هِمَمِ الموحِّدين، الحافِظين لمراتبِ الحدودِ العارفين باليقين، الشاهد والمشهود، خِيفَةً من اليومِ العظيم الموعود. فهم بِحفظِ علومِ الحقائقِ مُغرَمونَ شاهِدُونَ، ولقولِ الباطلِ بالحقِّ دامِغُون.

وأنتُنَّ بالنعيمِ الزائلِ واللّذّةِ المنقرِضَةِ فَرِحاتٌ غَافلات، قد تَأسَّيْتُنَّ في التمادي بأهلِ الخلافِ والشَّتّات، ووَقَفَ حالُكُنَّ على الهزلِ والسرَقِ

والمخالفَـات، ولقد نَهَيـتُكنَّ عن مخـالَطَةِ هذهِ العاهِرة، وعن الأخـرى الملعونةِ الكافـرة. فما انـزجرتُنَّ ورددتُنَّ عليَّ قَـولي في اتّباعِ المارقينَ ومـا اتّعظتُنَّ. فالبـاري لجماعتِكنَّ بعـدَ التوبةِ يَغفُر، وعنكنَّ يعـفو. فهو الجـوّاد بالمِنَّةِ بعدَ إقلاعِ مَن يَغفَل ويسهو.

فـإلى مـتى هذهِ الغَـفْلَة والبِطالة، وإلـى كم تتـأسَّينَ بأهلِ التـخلّف والجهالة؟ أما تستحينَ إذا وَقَفْتنَّ يومَ الحِسَابِ والعَرْض، وسُؤِلْتُنَّ عمّا يجبُ عليكنَّ للمولى من حـقيقيّةِ الـفرض؟ فأجابَ أهلُ العلمِ الحافـظونَ، وأفحِمتنَّ أنتنّ وأمثالُكُنَّ فلا تنـطِقون. فيتعالى بحفظِ العلمِ رفـيعِ الدرجات، وتنخفضُ دَرجات المتخلّفينَ عن حفظ الحكمةِ إلى أبعدِ الغَايَات.

قد تَقَضَّتْ من الفترةِ الأعـوامُ والدهور، وبقيتِ الأيّامُ والشهور، أفلا تنتبِهْن أيّتـها المؤمناتُ، وتحفظْنَ ما فيه نجاتُكُنَّ يـومَ الحَرةِ على ما فُرِّطَ من الطاعات، وتَندَمْنَ من حـيثُ لا يَنفَعَكُنَّ النَدَم، إذا فـاز بأعلى المنازِلِ مَنْ حَفِظَ وَعَلِم.

ألمْ أُقِمْ عليكُنَّ الحـجَّةَ برسـالةِ الإعذارِ والإنذار[1]، وبشرحِ الحدودِ وهو ابتـداءُ الخِلقَةِ لذوي العـقولِ والاسـتبـصارِ، وبالتـقديسِ الشـافي مِنَ المَرضِ والاحتـيار[2]، وبالدعاءِ المسـتجابِ لـلعارفينَ الأطاهر[3]، وبالمناجاةِ المحَلِّلَةِ لِربطِ الباطلِ[4] بكشفِ ضـمائرِ أهلِ البَلَسِ والإصـرار، معـمًا وَصَلَ إليكنَّ مِـن الرسـائلِ المـكرَّمَـاتِ في الحثِّ عـلى حـفظِ الحـكمـةِ بالـرمـوز والإشـاراتِ، فَنَبَـذْتُـنَّ هذه الحكمـة وراءَ ظهـورِكنَّ، وهي شـاهـدةٌ عليكنَّ

(١) رسالة رقم ٥٧، وهي لإسمعيل التميمي.
(٢) رسالة رقم ٥٨، وهي لإسمعيل التميمي أيضاً.
(٣) رسالة رقم ٣٠، وهي لحمزة بن علي.
(٤) قد تكون رسالة رقم ٢٩ لحمزة أيضاً.

بالتخلّفِ يومَ حضورِكُنَّ، ورضيتُنَّ بالقولِ أنّكنَّ مؤمنات، ولم تعلَمْنَ أنَّ الثوابَ وحسنَ الجَزاءِ بحفظِ العلومِ والحقائقِ الإلهيّات.

فانتبهْنَ أيّتها الطائشاتُ الأحلامِ، واعلمنَ أنّما تَسْقُطُ مكلَّفاتُ الشرعِ عن الجوارحِ والأجسامِ، إذا عَمِلَ المؤمنُ بكفرهِ في حفظِ العلومِ والحقائقِ الإلهيّةِ المؤدّيّةِ الي التَّوحيدِ وهي عِلمُ الإمامِ، لتتميّزَ الفنوسُ الطاهرةُ بحفظِها للعلومِ من نفوسِ المتخلّفينَ الأجلافِ الأغتام.

فأنتنَّ في شَبَكَةِ إبليس مُصَفَّدَات، ولأوامرِه طائعات، ولزخرفه قابلاتٌ منتبهات، وعن الحقِّ خارجات، ولأهله عاصيات، باتّباعِكنَّ للشهواتِ البهيميّة، وَتَخَلُّفِكُنَّ لِغَلَبَةِ طبائِعِكنَّ عن حفظِ العلومِ والحقائقِ الإلهيّة، وارتكابِكُنَّ للنَهي في تقريبِ النَّجِسَةِ الدَّعِيَّة، خَدِّيمَةِ المسيحِ الكذّاب، وخِيفَةً من الدَّعِيِّ المعتوهِ المارقِ المرتاب.

فيا سبحانَ اللّهِ أما تستحِينَ من هذا التوبيخِ لأنفسكنَّ، وتتيقَّظنَ من رَقدتِكنَّ، وَتَقْلَعْنَ عن سَهوتِكنَّ، وتتأمَّلنَ ما تُلِيَ عليكنَّ في رسالةِ الإعذارِ الإنذارِ، وهو: أقبلوا على دعاةِ الرحمن، واجتَنوا من ثمراتِ الحكمةِ والبرهان، تَنَالُوا الفوزَ والغفران. ويقولُ فيها: فتمسّكوا بالحدودِ، وكابدوا الأمرَ بكلّ مجهودٍ، واحذَروا لهم المخالفَة، وأديموا لهم المناصَحَة والمؤالَفَة، وارتبطوا بهم ارتباطًا، واغتبطوا بما ألقوه إليكُم فَرَحًا واغتباطًا. فأيُّ مجهودٍ في الدِّينِ كابدتموه، ومتى أُمِرتنَّ بشيءٍ لم تُخالفُوه وقبلتمُوه، ومتى ارتَبَطتُّنَّ بهم ارتباطًا، ومتى اغتَبَطتُّنَّ بما ألقوه إليكنَّ فَرَحًا واغتباطًا. واللّهِ إنّكنَّ على الطريقِ المستقيمِ، ولكنّ التخلفَ عن حفظِ الحكمةِ هو الذنبُ العظيم.

فبحفظِ الحكمةِ والعلمِ ترتفعُ درجاتُ المحقّين، وبإهمالِها تُعْرَفُ الكَذَبَةُ مِنَ الصادِقين.

فَتَفَهَّمْنَ هذه الرسالةَ أيّتها البنات، واجْعَلنَها لعقولِكنَّ أَمَمًا، واجتهدْنَ في حفظِ الحكمةِ، فَتَرْكُهَا يَعْقُبُ عقوبةً وندمًا. واجعلنَ لها سَهمًا فيما تَتَرنَّمْنَ بهِ من الأغاني، وحَفظًا في قلوبِكنّ كبعضِ حظِّ معرفتِكنَّ بالمثالثِ والمَثانِي.

فهذه الرسالةُ حجّةٌ على جميعِ منَ سَمِعَها من أهلِ القَصْرَينِ، وبلاغٌ للرجالِ والنساءِ من جميعِ أهلِ المِصرينِ.

فَمَنْ تَخَلَّفَ عن حفظِ ما أُوتيه، واطَّرَحَ ما أُنعِمَ به عليهِ وأُعطيهِ، تَشاغُلاً باللّذةِ المنقَرِضَةِ، وتهاونًا بالطاعةِ المفترَضَةِ، فقد خَرَجَ عن قبولِ الحقِّ والأوامرِ وطاعةِ الإمام، ولا حجَّةَ له على دعاةِ الحقِّ يومَ السؤالِ والخِصام.

فبحفظِ الحكمةِ والعلم تتميّزُ الأخيارُ من الأشرارِ، وتتبيّنُ أهلُ التلبيسِ المشتغلينَ بلذّتِهم من الأتقياءِ الأطهارِ. فقد انقطعتْ معاذيرُكُنَّ، وَبَطَلَتْ بعدَ اليومِ حُجّتُكُنَّ. فما تقْدِرُ إحْداكُنّ أنْ تقولَ بعدَ هذهِ الموعظةِ إنّها لم توعَظْ وتُذَكَّرْ، وإنّها لم تُؤمرْ بحفظِ ما هي مُطَالَبَةٌ بحفظِهِ وتُحَذَّر.

وقد أعذَرَ مَن أنذَرَ، ونَصَحَ مَن عَرَفَ وَبصَّرَ، وما عَلى الرَسُولِ إلاّ البلاغُ المبين. والحمدُ لولي الدِّينِ المؤدّية طاعتُه إلى طاعةِ إله العالمين. ولعنةُ الباري على مَن قرأها بينَ يَدي شاكٍّ فيها، أو مخالِفٍ لها، أو أذاعها إلى غيرِ أهلِها. ولو علمتنَّ بحالِ الوقتِ لامتَنَعْتُنَّ مِنَ الأكلِ والشربِ والمَنَام.

تمّتِ الرسالةُ بحمدِ مولانا سبحانَه والشكرُ لوليِّه الهادِي الإمام.

٨٤

رسالة البنات الصغيرة

لهذه الرسالة صلة مباشرة بالرسالة السابقة، فهي تكمّلها وتتناول الموضوعَ نفسَه.

توكّلتُ على مولانا الإلهِ الحاكمِ المنزّهِ المعبود، وشكرتُ عبدَه القائمَ باليومِ الموعودِ.

أيّتها البناتُ الغافلاتُ، الناسياتُ للحقِّ المدّعيَات. فقد وعظتُكُنَّ من الزمنِ الطويلِ بقوارعِ الحُجَجِ البالغات، وخوّفتُكُنَّ من حلولِ يومِ الميقات، ومُسَائَلَة كلِّ نفسٍ عمّا أسلفتْ وما هو آت. واللّه فقد تميّزت بالطاعة النفوسُ الطاهراتُ، من النفوسِ الكَدِرَةِ في الهياكلِ النَّجِسَات، وفَرَغَ زمنُ الإمهالِ لأهلِ الغَيِّ والضلالِ والإلتفاتِ.

فانتبهْنَ من هذه السِّنَةِ أيّتها المُعاقباتُ، فقد جاءَ الفطرُ لتَقَضّي الصوم، وَجَهِلْتُنَّ ما قيلَ لَكُنَّ أَمْسِ كما جهِلْتُنَّ ما بَعدَ اليوم، وَنَكَثْتُنَّ فروضَ التوحيد، ولم ينجحْ فيكُنَّ الزَّجْرُ والوعدُ والتهديد، ولم ينفعْ فيكُنَّ الرِّفقُ والوَعظُ والتسديد، حتى جاءَ أمرُ البارِي وَغُلِّقَتِ الأبوابُ عن كلِّ ضدٍّ عنيد.

فالبراءَةُ إلى الباري وإلى وليِّهِ من كلِّ مَنْ عَقَدَ الحقَّ على نفسِهِ وَنَكث. والفِرقَةُ والبُعدُ من كلِ نَجِسٍ أقسَمَ البارِي مِنكُنّ فَكَذَبَ وَحَنَث.

يا وَيْلَكُنَّ أَلَم يُؤْخَذْ عليكُنَّ ميثـاقُ وليِّ الزَّمانِ، وَتَبَرَّيْتُنَّ من الأبالسةِ والطغيان، وأُمِـرتُنَّ بسدقِ اللّسانِ، وحفظِ الأخَواتِ والإخوان. فـخالَفْتُنَّ هذا المَقالَ، وتأسَّـيتُنَّ بقـبائحِ المسيـحِ الدّجالِ، واتّخذْتُنَّ لأنفسكنَّ كَفَـرَةَ الخَدَمِ والعَـهَرَةِ النواصبِ في المُنْكَر المفعـول، كمـا اتَّخَـذَ العِجلُ لنفسـه الأعـلاجَ والفحول، وَتَتَمَنَّيْنَ لأنفسِكُنَّ النجاةَ بَعْدَ هذا العصيانِ يما سَيَزْهَقُ ويزول.

فالباري يشـهدُ على بَراءَتِي من كلِّ مَن استحسَـنَ لنفسِه منكُنَّ هذا الحَال، ومِنْ كلِّ مَن لاوَمَ المخالِفين من أهلِه أو غيرِهم فـاتّخذَهُم لنفسِه إخوانًا من النساءِ والـرجال. فلعنةُ الباري تـترًا على مَن سَمِعَ هذا القـول فَرَفَـضَـهُ وأنكَرَهُ، وسَخَطُه على منَ خَالَفَ الحقَّ الذي أَودَعَ فيه وَغَيَّرَهُ.

فـهذا إفـراقٌ بينَ أهلِ الحقِّ وبينَ الفَـسَقَـةِ المدَّعين، وتَمـييـزٌ لمنازلِ الطائعينَ المسدِّقين، وَحُجّـةٌ بالِغَةٌ على المكذِّبين الناكثين. وَلَعَمري إنَّ الشَـفَقَةَ واللُّطْفَ والعَطْفَ والرأفَـةَ بجمـيـعِ الخَلقِ، والصـبرَ والنَّصَـفةَ أجـدَرُ وأولى بأولياءِ وليِّ الحقِّ.

والآنَ فَمَنِ اعتـرَفَ بذنبِه وتَاب، فَبابُ التوبةِ لـهُ إلى سَبْعِ ليالٍ خلتْ مِن شهـرِ صَفَـرٍ مفتـوح، ومَنْ تَخَلَّفَ وَنَكَثَ وكـذَبَ فهو ملعـونٌ على ألسنِ أولياءِ الحقِّ مقذوفٌ مقبوح.

فَليُبَلِّغْ ذلك مَنْ سَـمِعَهُ منكُنَّ لِمَنْ غـابَ، لِتَقُومَ الحُـجَّةُ على المكذِّبين والمُنافِـقينَ، وَيحِلُّ العـذَابُ والسَّـخَطُ علـى الناكِـثينَ والمُبـاهِتِين. ومـا على الرسولِ السادقِ سوى البلاغْ المُبين.

والحمدُ لإلهِ الـعالَمِينَ، والشكرُ لوليِّه القائمِ بحـقيقيّـةِ الدِّين، المنتقمِ بسيفِ الحقِّ منَ الجاحِدينَ والناكثِينَ والمارقين.

تمّتِ الرسالةُ. والحمدُ لمولانَا وحدَه، والشكرُ لوليٌّ عبدِه.

٨٥

ألمقالة في الرد على المنجمين

كتب هذه المقالة بهاءُ الدِّين المقتنَى، وهو يَردُّ على سَخَافَاتِ المنجِّمينَ ويَدحَضُ أباطيلَهم. مختصرُ موضوعِها ما جاء فيها أنّ بهاءَ الدِّين يذكر «خَلَّلَ عَقلِ مَن جَعَلَ للنجومِ الجماداتِ أحكامًا، وأنّ لها في أرزاقِ الناسِ تدبيرًا وتأثيرًا».

على البارِ المنزّهِ عن الحدِّ والعَدَمِ توكّلت، وبالهادي القائم اعتصمتُ وتوسّلت. قالَ العبدُ المقتنَى الممتَحَنُ بفراعنةِ الدِّينِ، والمُبتَلى بالخِشَاش والمَرَقَةِ المُرتدِّين: الذي حَدَاني على إثباتِ هذه المَقَالَةِ وإفرادها في غير مُصنَّفٍ جامعٍ ولا رسالةٍ ما أفاضَ فيهِ مَنْ لا قَدْرَ له ممّنِ ادَّعى الدِّيَانَة، وباينَ بالعِنادِ والمُروقِ والجَهالة.

وأيضًا عَجْزُ أهلِ العلمِ في زمنِ السِترِ قبلَ ظهورِ قائمِ الدِّين، وتصويغِهم لضعفِهم، وَنكِلِهم عمّا اتّخذُوه لهم مذهَبًا وقانونًا للردّ على أهلِ الحقِّ جماعةٌ من فِرَقِ الجَدَليينَ والمُتَفَلسِفين، وأنّهم طابقوا أهلَ الحقِّ في قولهم إنّ النفس جوهرٌ لطيفٌ شفّافٌ متسرمدٌ بالبقاءِ لتمامِ جوهريّته. ثمّ حكموا أنّ هذا الجوهرَ هو الحاملُ للعَرَضِ في ذاته وهويّتِه، ثمّ جعلوا جميعَ العلمِ عَرَضًا حَمَلَتْهُ نفوسُ العوالِمِ، ولم يَفْرِقُوا بينَ نفسِ الموحِّدِ السادِقِ الزكّي الطائعِ العالِمِ، وبينَ نفسِ المرتَدِّ الخبيثِ الخَئِنِ الجائرِ الظالِمِ.

فكأنّهم رَمَـقُوا الحقَّ ببصـائرَ قَدْ أَلِفَتْ نفـوسُهـا التكرارَ في البَلَسِ والضِدِّيّة، وكـذلك لم يَفرقُوا بينَ النفـوسِ المتجوهِرةَ بضيـاءِ العقلِ وأنوارِه القدسـيَّة، وبين النـفوسِ الكَدِرَةِ لِنَكبِـها عن الحقِّ في المعـالمِ الرذلَةِ والظُلَمِ الطبيعيّة.

وهذهِ النفوسِ فهي التي رَجَعَتْ عن توحيدِ الباري وَشَكَّتْ في الإمامِ الهادي القائمِ العـدل، فصارتْ علومُها أَعرَاضًا لِصـُدُوفِهَا عنِ الحقِّ وخلوِّها من العقل، وَعَلَقِها بمراسمِ الأبالسةِ والشـياطين، وخروجِها عن الحقِّ بالفَرْعِ والأصل، لا كمنْ جَعَلَ لها عقـولَ مَن بايَنَ بالسَّفَهِ والمعانَدَةِ والمُروقِ والجهل، رَدًّا لمُعْجِزِ حكمة القائمِ الهادِي المنتَظَرِ إمامِ الموحِّدينَ، فيما بَيَّنَهُ من المُعْجِزِ في دورِ القيـامةِ، وإيضـاحِ مـا استَتَر عـن العوالِمِ من مقـابحِ الضدِّ اللعينِ، وَأَنَّهُ لطيفٌ شفَّافٌ تَجـرى قوّتُه مجارِي الدمِ، وأنّه ظُلمـةٌ عند نورِ العقلِ نورٌ عندَ غيره من أتباعـه المرَقَة الجاحِدين، كثيفٌ عند لطافة الـعقلِ لطيفٌ شفّافٌ عند كثـافةِ عَالَمِـه الخَونةِ المُدَّعين، وكـيف يكونُ لهم عقولٌ وقـد استـولتْ عليهم بالجهل طبائعُ الضدِّ المذمومة التي هي المعصيةُ والظُلمَةُ والاستكبار والجهلُ والمعانَدَة!

فهذه طبائعُ العِقاب وهي الشِّيَمُ المبـايِنَةُ للحقِّ المذمومة، كما اشتَمَلَتْ على أهلِ التَّوحـيدِ والحقِّ طبائـعُ العقلِ المحمـودة المفهومـةُ، التي هي حرارةُ العقل وقـوّةُ النورِ وسكونُ التواضـعِ وبرودةُ الحلمِ وليونةُ الهـيولي الداخل في الطبائع الخارج منهم. فـهذه طبائعُ العقلِ المحمـودةُ المعلومةُ. وليس لعالم الضد عقولٌ وانَّما لهم قوّة مُمَيِّزَةٌ يَفهمُونَ بها الباطلَ من الحقّ. وبهذِ ه القوّةِ والتخييرِ قد قامت الحجّةُ للثوابِ والعقابِ على جميعِ الخلق.

ونفـوسُ أهلِ الحقِّ لِشَرَفِـهَا متـجـوهِرَةٌ بجوهريّةِ طـبائعِ العـقلِ. ونفوسُ الفـرَقِ الجاحِدة لِكَدَرِها متّـحِدَةٌ بطبائعِ الضدِّ المذمـومةِ الزائدةِ على البَلادةِ والخُبْثِ والشَطَنِ والجَهلِ.

ولو كانت نفوسُهم، أعني عالَمَ الضدِّ متّحدةً بالعقلِ لَوَجَبَ لها التفاضُل مع نفوسِ الموحِّدين. وكان الخَلقُ سُدًى وهذا هو الهَرْج لامتزاجِ الحقِّ والعدلِ بالظلمِ والجَورِ والهزلِ. بل ما وُجد في نفوسِ بعضِهم، أعني عالَمَ الضدِّ، من الأدبِ والخُلقِ السَّمِح والسَّمْتِ الجميلِ وَضَرْبِ المعلوماتِ اللائقةِ بمذهبِ التَّوحيدِ والحقِّ والعدل، وإنما هي نفوسٌ رجَعَتْ بعد المعرفة عن دين التَّوحيد والحقِّ والعدل، وبقيَ عليها حِلاَ النفسِ الشريفةِ لبعضِ عَمَلٍ صالحٍ قَدَّمَتْهُ إلى أهلِ الحقِّ في البِدَا والأصل.

وليسَ كلُ من حَفِظَ شَيئاً منَ المعلوماتِ الدِّينيةِ، وإنْ أكثَرَ منها، كَانتْ نفسُه متّحِدَةً بالعقل. اذا جَعَلَ ذلكَ للرِّياء والسِمعةِ وسَبَبِ التَلبّسِ والتكسّبِ والتكبّرِ على أهلِ الدِّين والفضل.

فهذه الخلالُ توجِبُ خُلُوَهُّم منَ الطبائعِ المحمودةِ وفروض التَّوحيدِ التي هي أدبُ الدِّينِ من قَبلِ الدِّينِ التي هي الفضائلُ العَفِيَّةُ بكمالِها التي جَعَلها الباري تعَالى أصلاً وأساسًا لدينِ التَّوحيدِ والحقِّ والعدلِ. كما جعلَ الطبائعَ الفَلكيّةَ هي الأمّهاتُ، أصلاً وأسَاسًا لتنميةِ الأجسام وتمامِ الخِلقةِ وبقاءِ النسل. فمتى عَدِمَتْ إحدَى هذه الطبائعِ الفلكيةِ التي هي الأمّهات وَخَلاَ منها هذا العالَمُ لم تتمّ تربيةُ الأجسامِ، ولا جميع النباتاتِ واختلط ترتيبُ الخِلقةِ وخرجتْ عن نِظامِ الحكمة وخالفتْ هيئةَ الشكل.

وكذلك النفسُ الجوهريّةُ التي كمالُها بالاتّحادِ بفروضِ التَّوحيدِ وبالطبائعِ النفسانيّةِ المحمودةِ التي هي طبائعُ الثوابِ التي بها يتوصّلُ إلى الاتّحادِ بما أفاضَهُ العقلُ. فمتَى ما عَدِمَتِ النفسُ طبيعةً واحدة من المذكورةِ النفسانيةِ المحمودةِ التي هي الكمالُ للنفسِ، اختلطتْ مَعارِفُها وعميتْ عن التَّوحيدِ وانفسَدَ نِظامُها وصارتْ أصولُ معارِفِها ناقصةً وعلومُها بغير

تحصيل،مخـتلِطةً بالجَدِّ والهزلِ، واستولتْ عليها الطبائعُ المـذمومةُ الخارجةُ عن الحقِّ والعدل، إلى الخُبثِ بالجَورِ والظلمِ والجهلِ.

والشاهدُ الصحـيحُ أنّ بقاءَ هذا الجسم بأعضائه الخـمسة التي هي طبائـعُه المُقَيِّـمَةُ له والمُتَـمِّمَـةُ لبقـائه، وهي القلبُ والكَبِدِ والمرارةُ والـطِّحَالُ والرِئَة. فمتى ما عُدِمَ أحد هذه الأعضاءِ تلاشَىَ وانمحقَ وانسفَل، وَخَرَجَ عن السَمْتِ الصحيحِ والمثَل.

وليسَ لهذا الغافلِ منَ القدْرِ أن يُرَدَّ عليه فيكونُ من جُملةِ المعروفين، وإنّما جَـعَلنا قولَه طريقةً وسـببًا للردِّ علـى مَن جَعَلَ العِلمَ عَرَضًـا من جملةِ المنطيقيِّين والمتفلسِفين، وأنّهم لم يَفْرِقُوا بينَ الجوهرِ النفسانيِّ المتّحِدِ بالعقلِ الحامـلِ لجوهريّتـه، وبينَ الجوهرِ الجـرميِّ الكَدِرِ الحاملِ للعَـرَضِ بفـسادِ ذاتيّته.

وأنا بمشيئةِ البارِ أذكرُ خَلل عـقلِ مَن جَعَلَ للنجومِ الجَمادَاتِ أحكامًا بتقدير، وَسَعْدًا أو نحسًا، وأنّ لهَا في أرزاقِ العـالَم وقِسمَتها تدبيرًا وتأثير. ألا إنّ قـائل هذا قد بايـنَ بالرَّدِّ على الباري تـعالى في إبطالِ عـلمِ النَّجَامَـة، وجـاهرَ بِبَلَسِهِ بما قـد عَرَفَ النهيَ عـنه من قبلِ الأوامـرِ العاليـةِ وَسَلَكَ في الطاعـةِ سبيلَ الـسلامة، لا كـمن باينَ بالرِدَّةِ وقاومَ الحـقَّ بالباطلِ وجَـحَدَ أعلامَ الإمـامة، اذ جـاوزَ أحكامَ النجومِ وتصـحيحَ فـعلها فيَ أرزاق الـعالمِ وأقسـامِهم، وفي صـحّةِ المَرضَى علـى غير تغـييـرِ الغِذاء والهَـواء وَعِلَلِهم وأسقـامِهم، وفي سعـاداتِ النفوسِ ونحوسِـها على ما ذكـرُوه في كُروهم ومخـائلِ كلامـهم، إبطالاً للمجـازاتِ بالأعمـال، وسقـوطِ الثوابِ والعِـقابِ كـاعتـقادِ المُعَـطِّلينَ الجُهَّـال، ويكونوا العـالمُ معـذورين في جـميعِ مـا منَ المذموماتِ فَعَلوه، لأنّه بتقديرِ سماويٍ من فعلِ النجومِ جَرَى على قولِهمْ فيما ثبّتوه وأصَّلوه.

ويَبطُلُ على قولِهم، أعني الفلاسفةَ والمنجِّمينَ، تمييزًا لنفوسِ المتّحدةِ بالعقلِ وأوامرِه في العباداتِ الواجباتِ، وينفسدُ نِظامُ العوالِمِ إذا حكَمَتْ على المعقولاتِ والنفسانيّاتِ، الخاليةِ من العقلِ والنفسِ والتصوير، أعني الأفلاك والنجومَ الجماداتِ، ولا يكونُ في الرّدِّ عليهم أعظمَ من تَحَقُّقِ العَالَم أنّهم قد خَرجوا عن جميعِ أحكامِ المتعبداتِ. فمَن رضيَ بقولهم أو بشيءٍ منه سوى فِعلها في تنميةِ الأجسامِ الكتيفيّةِ بالأهْوِيَةِ والنَّبَاتِ، وأنّ الأهوِيَةَ تمد الطبائعَ التي هي الأمهّات. فمنَ جَعَلَ لها فعلاً غيرَ هذا فقد أشرَكَ بباري المبروءاتِ، وَبَرِئَ من إلهِ الأرضِ والسمواتِ.

وفي هذا كفايةٌ لمنْ تَدَبّر معانِي الحقِّ، وأنصفَ نفسَه وكانَ من جملةِ أهلِ الإيمانِ والسدق. والحمدُ للمولى الإلهِ الحاكمِ المنزّه عن الفعلِ والصفةِ والحدِّ والنعتِ والقول. والشكرُ لوليِّه وعبدِه الهادي إلى دينِ الحقِّ ذي المَنِّ والفَضلِ والطَّول. وهو حسبُ عبدِه الأسيرِ المقتنَى الضعيفِ القوّةِ الآبِهِ والحَول.

تمّت بِمِنَّةِ وليِّ الأمر.

٨٦

الرسالة الموسومة ببدء الخلق

يعالجُ بهاءُ الدِّين في هذه الرسالة جملةَ أمورٍ تتعلّقُ بأصلِ النفس وماهيّتها ومصيرِها. والرسالةُ جوابٌ على أسئلةٍ طرحَها أحدُ الموحِّدين على بهاء الدِّين. وفي نهايتها يذكرُ المقتنى ألقابَه وأسماءَه ودورَه في دعوةِ التَّوحيد التي أضفاها عليه قائمُ الزَّمان.

بسم إله الحقّ ومبدعِ علّةِ الخلقِ.

إنّ أحسنَ ما أبتَدِئَ به حمد البارِ المنزَّه عن الأزلِ والأزليّة، الذي احتجَبَ بما خَلَقَه عن خلقِه بحكمتِه العَليّةِ، العالِّ لعلّةِ العللِ العليّة، ومكوِّرِ الأكوارِ، ومديرِ الأدوارِ، ومبدعِ محرِّكِ الحركةِ الدائمةِ، ومنشي الأنفسِ الباقية العالمة، الواحد لا من عَدد، والدائمِ بلا أمَد؛ والشهادةُ له بما شهدتْ به ملائكتُه وأولو عِلمِه بالإخلاصِ أنّه إله الآلهةِ ومبدعُ إمامِ الأئمّة الهاديةِ العارفةِ.

سألتَ أيّها الأخُ الشفيقُ والدَّيِّنُ الحقيقُ، أن أبيّنَ لكَ في الابتداءِ بيانًا شافيًا ترجعُ إليه وتعتمدُ في جمهورِ مُعتَقَدكَ عليه، فأجَبْتُكَ إلى ذلك بمعرفتي بسدقِ نيّتكَ، وجميلِ طويّتِكَ، فقدّمتُ توحيدَ الباري سبحانَه أمامي، واستعنتُ بوليِّه القائمِ في جميعِ كلامِي.

وأمّا مـا سـألتَ عنهُ من خَلْقِ النَّفسِ، الشـريفُ عنصرُها، واخـتلافِ الحركاتِ بها، مع اختلافِ الأجرامِ التي تحلّها، وكيفَ بدو خلقِها وإنشائِها.

وأنا أذكـرُ من ذلك ما يصحُّ به البـيـانُ، ويتّضحُ فـيه البـرهانُ، من إنشـاءِ النفسِ وإبداعِ العقلِ والبـيِّنَةِ عليـه وملاومتـهِ لها وإنـزالِ طبيـعتـها منازِلهَا. وأذكرُ ماهيّتَهَا، وكيف حلولُها في العالَمِ، واختلافُ الصوَرِ، واتّفاقُ النفسِ واتّفـاقُ الأجرامِ، واخـتـلافُ الحركـاتِ، بِقَدْرِ اسـتطاعـةِ عبـدٍ مُقـرٍّ بالتقصيرِ، مُعْتَمِدٍ على ما يُطْرِقُهُ مِن وليٍّ زمانِه من التأييد والتأثير.

إعلمْ وفّـقَكَ المولَى لكلّ مَكْـرُمَة، وهداك إلـى كلِّ عارفـةٍ وَمَـعْلَمَـة، ومنحكَ سبيلَ الهُدَى، وأعاذَكَ من الغَيِّ والهَـوى، أنّ الباري سبحانَه هو الإلهُ العالُّ الذي كلُ شيءٍ مـعلولٌ بعلّته، وعلّتُه فـهو المبدِعُ الحقُّ والعـقلُ السدقُ. والعالُّ هو الذي وقفتِ العقولُ حَسْـرًا عن إدراكِ لاهوتيّته، والذي هو مبدِعُه فهو الجَـوهَرُ العظيمُ في أزليَّته، وهو مـحرِّكُ الحركةَ بلا مـحرِّكٍ سِواه. ولم تزلْ هي بهِ كمـا لم يزلْ هو بها، وهو المسمَّـى عالَم العقلِ، السـابقُ لكلِّ فعلٍ ومفعـول، ثمّ انفعلَ الفعلُ فـفعَلَ فعلاً هو دونَه فكانَ ذلك الفـعلُ عالَمَ النفسِ الشريفَ المتحرّكَ بالمحرّكِ القائمِ بالحركةِ، الثابتِ بالعظمة.

أعني بالعظمةِ عالَمَ العقلِ، لأنّـه أبسطُ الأنوارِ، وألطفُها وعالَم النفسِ دونَه. فبذلك تباينا، وبالجنسيّةِ تمازجا، ولم يزالا متمازجَين، أعني العالَمين، ومتحرِّكَين، أعني العُنصُرَين القـديمَين، اللّذَين أحدُهما دائرٌ على الآخَر. وهما أوّل محـرِّك وَمُتَحَـرِّكٌ بالإلَهيّـة، العالُّ لجمـيعِ المعلولات. وذلك أنّ الأصلَين القديمَين لهمـا الكلمةُ البسيطةُ، والنورُ البـسيطُ، والحكمةُ اللّطيفـة، فصارتْ أربعَ جوانبٍ ونقطةٌ فيٌّ وَسْطِها.

فهذه أصولُ العالَمِ الروحاني، على الأختصارِ بشرحِ الألفاظِ ودقيقِ المعاني.

وأمّا الجسماني فهي الطبيعةُ وهي بدوُ حركةٍ وسكونٍ لأنّها متحرِّكةٌ مِنْ قِبَلِ ذَاتِهَا، وذاتُها إضافتُها إلى عالمَ النفسِ، لأنّه الحاوي لها والحاكِم عليها، وهي مُجَبَرةٌ من تحتِه، أعني الطبيعةَ، وهي بدؤ حركةٍ لكلٍّ ما ليسَ له، متحرِّكٌ من ذاتِه. والطبيعةُ إنّما تَتِمُّ أفعالَها بالحركةِ ليتمَّ كلٌّ ما ليسَ له بتامٍّ. ويخرجُ كلُّ ما هو بالقوّةِ إلى الفعلِ بالحَرَكةِ.

فاذا تممَّتْ فعلَها من نحو ذلك الشيء سكَنَ فعلُها في ذلكَ الشيءِ. فدلَّ بذلك أنّها بدؤ حركةٍ وسكونٍ. فتكوّنُ من الحركةِ حرارةً ومِنَ السكونِ برودةً. وتولّدُ بينَهما رطوبةً ويبوسةً فترتّبتْ كلُّ واسطةٍ بين حاشيتَين. فتكوّنَ منهما استقصّاتٌ، فتولّدَ من الحرارةِ واليبوسةِ النارُ، وتولّد من البرودةِ واليبوسةِ الأرضُ، وتولّدَ من الرطوبةِ والبرودةِ الماءُ وتولّدَ من الحرارةِ والرطوبة الهواءُ.

فلمّا تفاعلتِ الأصولُ العلويّةُ، أعني العقليةَ والنفسيَّةَ، جاز فعلُهما اللذانِ أحدهُما دائرٌ على الآخَرِ، ودَخل فعلُهما في الجسمِ لقوّةِ صفائهما ومجانستِهما للجسمِ، ومن حيثُ العقلُ تفاعلتِ الأجسامُ كلُّها تشبّهًا بالأوائلِ اللّطيفةِ الروحانيّةِ.

فارتفعتْ بقوّةِ الحركةِ النفسانيّةِ والأنوارِ الطبيعيّةِ عاليةً من جميع جهاتِها فتكوّنتْ أفلاكٌ متساميةٌ ذاتَ بروجٍ عالية، وأسكَنَها مدبّراتٍ نيّرةٍ سائرةٍ متحرّكةٍ لتمامِ الحكمة والتقديرِ، وإخراجِ ما في القوّةِ إلى الفعلِ بالتدبيرِ، فدارتِ الأفلاكُ، وَدُبِّرَتْ وَعَمِلَتِ الأمهاتُ وظهرتِ الأستقصّاتُ، واختلَط اللطيف بالكثيف، والكثيف باللطيفِ، وتكوّنتِ الجماداتُ، والنباتُ والحيوانُ والمعادنُ، والأنسانُ الناطقُ الفاضل، فتمَّ خَلْقهُ من نفسٍ عاقلة، وجسدٍ صنعةٍ فاضلةٍ. قد بلغَ من أحكامِها أنّه لم يكن على حالٍ أحسنَ ولا أجودَ ممّا هو عليه. فهو متكوِّنٌ من لطيفٍ روحانيٍ، وكثيفٍ جسمانيٍ.

فما لَطُفَ فإلى عالم العقل يَرقَى، وما كَـثُفَ ففي عالَمِ الطبيعةِ يَبقَى. وقد ارتبَطَ ما يَبيـدُ وَيفْنَا، بما لا يَبيدُ ولا يَفنا، لأنّ اللطيفَ من بدايةٍ وليسَ له نهايةٌ والكثيف من بدايةٍ، وليس له نهايةٌ، وهو آخِرُ فـعلِ الطبيعةِ وإخراجِ ما في القوّةِ الي الفعلِ بالحركةِ.

فقد بلغتُ الغَرَض، فـيما قصدتُ. فلنختمْ هذا الكتـابَ بالحمدِ للمُنعمِ الفردِ الصَـمَدِ، والشكرِ للملهمِ المنزَّهِ عن العـددِ. وصلواتُه علِى صفـيِّهِ الذي احتَجَب به عن خَلقِه، وهو حَسْبُنا وبه نستعينُ في جميعِ الأمورِ، ونِعمَ المعينُ النصير.

تمّتِ الرسالةُ الموسـومةُ ببـدءِ الخلقِ، بتأييـدِ وليِّ الحقِّ على لسانِ عـبدِه بهـاءِ الدِّينِ، ولسـانِ المؤمنينِ، الناصحِ لكافّـةِ الخلقِ أجمـعين، ألجناحِ الأيسرِ، والحدِّ الرابعِ الأصغرِ والسلام.

٨٧

ألموسومة بالموعظة

كتب بهاءُ الدِّين هذه الرسالةَ بأسلوبِ عظة، يشـدِّدُ الموحّدينَ المؤمنينَ في دَعوتهم، وينصحُهم بتركِ كـلِّ كافرٍ ضالّ. تاريخ الرسالة من سنة ٤٣٠ هـ.

توكّلتُ على منَ أنكرَ وجودَه الشّاكُّون الملحِدُونَ، وشكرتُ عبدَه قائمَ الحقِّ الذي عَنَدَ عنه المرتدُّونَ الجاحِدُون.

منَ العبدِ الممتَحَنِ بأبالسةِ الدِّينِ وطغاةِ الأدوار، إلى جميعِ من تَأسَّمَ بِسمَـةِ التَّوحـيدِ بهـذا الصقعِ وجـميعِ مَن بالآفـاقِ والأقطار، وتَنسَّمَ أرياحَ القيامةِ وَسلم منَ الحَيفِ والزهو والاسـتكبار. ألسلامُ على منَ سمِع وأبصرَ مِن أهلِ الحقِّ الموحِّـدينَ الأطهـار، وَنَصتَ لوعظِ داعي الحقِّ فـاتَّضَـحَتْ له معالِمُ التنزيهِ والتجـريدِ للمولى الإلهِ الحاكمِ الجبّار، واعتـصَمَ بِحُجْرَةِ وليِّهِ قائمِ الحقِّ الهادي إلى دارِ القَرار.

إعلَمـوا أيّهـا الإخوةُ المـؤمنون المتـميِّـزون والجـمـاعةُ الناجـيـون المُوحِّدونَ، سَـهَّلَ اللّهُ لكم نَيلَ الفضـائلِ الجوهريّةِ، وكفـاكُم في اعتـقاداتِكم عوارضَ الأمراضِ المَعديَّة، والعِلَلِ الوَبَائيَّة.

إنَّ هذه أشـراطُ القيـامةِ وأزَمَـتُهَـا، تُوجِبُ لأنفسِ الأولياءِ المُحـقِّينَ والطَهَرَةِ الموحِّدينَ السادِقين، المسالَمـةَ والتآلفَ والتحالفَ والمواطاة. ويُسـهِّلُ

عليها امتزاجُها بشرفِ معلومِ الحكمة نيلَ الفضائلِ العَفيَّةِ ومكارمِ الأخلاقِ والمؤاساة، ويمنَعُها عن استحسانِ الرذائل، ويقلِّلُ عندَها الزهيدَ الفاني الزائل، ويصدُّها عن التكالبِ عليه والمُمَارَاة.

فمنْ أتيتُمُوه مدَّعيًا للديانةِ مُبائنًا لهذهِ الأوصاف، ومواطِئًا لأهلِ الفسقِ والنَّكثِ والارتدادِ والانحراف، وخارِجًا بالكذبِ على إخوانه بالجَورِ والظلمِ عن العدلِ والإنصافِ، فتيقّنوا أنّ نفسَه إنمّا أظهرتْ أخلاقَ أشكالِها، وأبدَتْ عقيدَةَ مؤالِفيها وأمثالِها.

فَمَنْ كانَ من أهلِ نَسَبِكم وظهرتْ منه إحدَى هذه الخلالِ فَاعْتِبُوهُ وعظُوه، وإنْ تَمادى على سَنَنِه فَلُومُوهُ وعنِّفُوهُ وإنْ طالَ به السفَهُ واللَّدَدُ فاهجرُوه، وإنْ دامَ على غَيِّه فتبرّأوا منه وأبعِدُوه.

والحقَّ أقولُ فهكذا نفوسُ أهلِ الغيِّ والضلالِ، وأنَّها تتواطَأُ وتتآلفُ على الارتدادِ والهزلِ والمُحالِ، وتمتزجُ بعضُها ببعضٍ في الأخلاقِ والأقوالِ والأفعال.

فاغتموا أيّها الإخوةُ الطهرةُ مواعظَ الناصحِ الحَدْبِ الشفيق، ولا تستحْسِنوا مقابحَ الأدعياءِ وتُضيفُوها إلى الدِّينِ الحقيق، فقد ضاقَ الزمانُ عن الإمهال، وحَصَلْتُم على حصائدِ قلوبكم في طاعةِ وليِّ الحقِّ باللَددِ والإحجامِ عنها والنَكْلِ والإغفال، وقد أنصفتُكم ولجميعِ الأممِ بما سيّرتُه من البيانِ مُدْرَجًا في رسالةِ التمييز[1]. واللّهُ يضاعفُ بصائرَ أهلِ الحقِّ ويأخذُ بنواصِي مُقصِّرِينِهم إليهِ وما ذلك على اللّهِ بعزيز.

والحمدُ للّهِ المنزَّهِ عن متصوِّراتِ مظانِّ العقولِ بعدَ إضاءَةِ مقاصدِها واستنارةِ معالمِ أسرارِها. وسلامُه على وليِّه قائمِ الدِّينِ موقِّتُ مقاديرِ

---

(١) رسالة رقم ٦٦.

الأعصارِ على تباينِها وتكرارِها، وموفي كلِّ أمّةٍ أجلَها بعد إقامةِ الحججِ على نفوسِ أشخاصِها عند الوجودِ الكافي في إيرادِها وإصدارِها.

حسبي ثقتي بالقائمِ على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ في دارِ المَعَادِ بعدَ حصرِها وإنكارِها.

وَكُتِبَ في يومِ السبتِ لأربعٍ مضتْ منْ جَمادَى الأوَّل سنةَ أحدَ وعشرين من سِنينِ قائمِ الزمانِ وصاحبِ الدارِ الآخرةِ.

تمّتْ والحمدُ لمولانا وحدَه والشكرُ لقائم الحقِّ عبدِه.

٨٨

ألمواجهة

يَطلبُ بهاءُ الدِّين من الإمامِ رضَاهُ ونعمَتَهُ، ويتمنّى عليه أنْ تكونَ المراسلاتُ والسجلاّتُ والمقالاتُ التي أرسلَها إلى الدّعاةِ مجلبةَ خيرٍ وسلامٍ عليه. وهو يُقرُّ بأنّها كلّها من موادِّ قائمِ الزمانِ.

ألسلامُ على الإمامِ الدالِّ على اللّهِ حقّاً حَقّاً.ألسلامُ على أمينِ البارِ وغايةِ أُولي النُّهَى. ألسلامُ على قائمِ الحقِّ المنتقمِ ممّن كَفَرَ وادَّعَى. ألسلامُ عَلى القائمِ على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ وَجَنى.

عبيدُهُ الزائرونَ لحَرَمِه، المُنْتَجِعُونَ لفيضِ أياديه وكَرمِه، رُسُلُ العبدِ الذليلِ الأصغَرِ، المقتَنَى الجناحِ الأيسرِ، التسليمُ والتقديسُ والتنزيه، والتَّوحيدُ والتعظيمُ والتأليه، للمولَى الباري الحاكِم. والشكرُ لعبدِه الإمامِ الهادي القائم. العبدُ المملوكُ الخاضعُ الأصغرِ، المقتنى الجناحُ الأيسرِ، يَخضعُ بحضرةِ القدسِ والتأييد، ويبتَهِلُ بدَوحةِ الحقِّ ومجَرى كلمةِ التَّوحيد، إلى مالكِه ومولاه في العفوِ عن زلَلِهِ وخُطاه، وفي التجاوزِ عمّا فُرِطَ منهُ وَهَفَاه.

وهذا مُقَامُ الذليلِ الحقّيرِ ومَوقفُ العائذِ المستجيرِ، وعناية الشيخِ الأسيرِ، اللائذِ بالحَرمِ الأمينِ، المستشفعِ إلى مالكِهِ ومولاهُ بحدودِهِ المقرَّبين،

وبالسادةِ صفوتِه المنتجَبين، أن يجعلَه في جملةِ مَنْ شَمَلَهم بالرضى والعفو، وتطوّلَ عليهم بالمسامحةِ منَ الغَلَطِ والسَهو، في صحائفٍ في التَّوحيد، نظَمَها العبدُ بتأييدِ مولاه وألَّفَها، ورسائلَ إلى دُعاةِ الحقِّ ثَنَاهَا على التنزيهِ وعَطَفَها.

فما كانَ يا مولاي في هذه الصحائفِ والمراسلاتِ والكتبِ والمُلَطَّفاتِ التي سَيَّرَها العبدُ من خُطابٍ جَزْلٍ، ومنطقٍ صائبٍ وقولٍ فصلٍ، فهو من مِنَّةِ إمامِ العصرِ ومِوادِّ قائمِ الزمانِ، وما كانَ فيها من خَطَأٍ وخَطَلٍ فهو منسوبٌ إلى العبدِ الأصغرِ الملهوفِ الظمآن. يتوسّلُ في الإقالةِ من تقصيره إلى لُطْفِ مولاه، وَيرغبُ إلى كرمِه في العفوِ عمّا اجترحَه وجَناه.

فها أنا متذلِّلٌ بالضَرعِ يا مولاي إليك، ومُقرٌّ بما جَنَتْهُ يدَاي بين يَدَيك، فَامْنُنْ على عبدِكَ بما مننتَ به بالعفوِ عن المسيئين، وتجاوزْ عن زَلَلِهِ وَخَطَأِهِ مَعَمَا تجاوزتَ عنه من زَلَلِ المذنبين.

فليسَ للعبدِ عملٌ يتوكّل في يومِ القيامة عليه، ولا ملجأٌ للعبدِ الضعيفِ من سَخَطِ مولاه إلاّ إليه. فَجُدْ بعفوكِ يا مولايَ على العبدِ البائسِ الفقير. فأنتَ نِعْمُ المولَى ونِعَمُ العُفُوُّ القَدِير.

٨٩

مُكَاتَبَة الشَّيخ أبي الكَتَائِب

أنظر مقدّمة «التقليد» رقم ٤٧، فيها قصّة الشيخ أبي الكتائب. أمّا هذه الـ «مكاتبة» فمناسبتها هي عندما تولّى الشيخ أحكام الموحّدين في الصعيد ومصر عامّةً «واستعجز نفسَه من هذا الحمل الخطير»، كتب بهاء الدّين له قائلاً : إنْ أردتَ الانفساحَ وراحةَ القلب فعليك ببلادِ الشام، وإنْ أردتَ الخدمة فثوابها على قائم الزمان. ثمّ تواضع الشيخ وما برّأ نفسه من الخطأ والزلل. وهذه المكاتبة شدّدت عزيمة الشيخ في الجهاد بمصر.

إعلَمْ يا أخِي أنَّ عَمَلي وعمَلَكَ يَنظُرُ فيه مَن لا يَحِيفُ ولا يَجُور.

أمـا تَتَحَـقَّقَ أنَّ مـولَى الخلقِ هو القـائمُ عَلى كلِّ نفسٍ بمـا كسـبتْ والمجازي لها بما أسَرَّتْ وأعلَنَتْ، وأنا وأنتَ يا أخي، والخلقُ عـليه معرضون وعمّا نجترحُه مسئـولون، وما أُبَرِّئُ نفسي مِن الخَطَا والزلَل، وأنا استشفعُ بالتضرِّعِ والتجاوزِ والعفوِ إلى علّةِ العلل.

فهو الذي لا يَتَعاظَمُهُ ذنبٌ، ولا يجوزُ عليه من غَلَطٍ إيجاب ولا سَلب. فاصلِح من نَفسك وارجع في مُهمّـاتِك إليه. وكيفَ يجزَعُ مَن يَعلم أنَّ له وليًا يلطُفُ به ويُنصِفُـهُ ولا يُحيفُ عليه. فأنتَ مِن قَبْلي في سـعَةٍ وفي حلٍّ بطيب نفسٍ طاهرةٍ من الدَّغلِ والغِلِّ. فـانزَعْ من قلبِكَ جُلبَابَ الـتفكّر، وَخُذْ لنـفسكَ

بالوعظِ لهـا والتذكّـر. فالعـاقلُ، يا أخي، مَنْ أصلَح مـثواه، ولم يَبعْ آخـرَتَهُ بدُنياه. وكنْ على نفسِك بنفسِك رقيبًـا، ولا تجعلْ للظُّلمِ من نفسِكَ سَهمًا ولا نصيبًا.

وانظر فيما أعرضتُه إليكَ، وامضِ فيه وسـهِّلْ بعدَ القُدرَةِ عليك.

فَإنْ كـانَ المَوضعُ الذي أنتَ فيه يَصْـلُحُ للسِتْرَةِ فَـالْمُقَامُ، وإنْ أرَدْتَ الإنْفِسَاحَ وَرَاحَةَ القَلبِ فَعَلَيْكَ بِبِلادِ الشَـامِ. وإنْ أردتَ الخدمة كما ذكرتُ لكَ فـثوابُهـا على القـائمِ الهادِي الإمـامِ. فطيِّبْ نفـسكَ، واجـعلِ التَّقـوى زادَكَ وأُنْسَكَ. ولا تجعلْ فِكرَ الرَدَا لِنَفسِكَ قائدًا ودليلاً.

وأنا استودِعُكَ لِمنْ ودائعُهُ محـفوظةٌ لا تَضيع، فهو نِعم المَولى ونِعم الحمـيدُ السمـيع. والحمـدُ لمنْ ليسَ له نعتٌ ولا حدٌّ. والشكرُ لوليِّـه السادِق بالوعدِ.

تمّتْ والحمدُ لمولانا وحدَه، والشكرُ لوليِّه عبدِه.

٩٠

مَنْشُورُ إِلَى آلِ عَبدِ اللّه

جاءَ في كتاب عمدة العارفين، ص ٩٩، عن شيوخ آل عبد الله ما يلي: «ولمّا ارسلَ (المقتنى) إلى آل عبد الله هذا المنشور، تعذَّر لهم من هذه الأمور، وأوصاهم فيه بعد عتابه لهم عن التشتت الحادث فيهم، والنفور. وذكّرهم بقرب الوقت وظهور صاحب البعث والنشور، والتمسك بدينهم، واتّفاق كلمتهم واجتماع شملهم... ولم يطلب منهم الجواب لضيق الأمر، بل قال : فلتشرفْنا السادة بقبول العذر». هؤلاء الشيوخ هم من حروف السدق، آمنوا بالتوحد.

بسمِ اللّهِ الرحمنِ الرحيم. كتابُنا إليكم أيّها الإخوانُ الأطهار، والسَفَرةُ الأبرار، الموحِّدينَ الأزهار، أطالَ اللّه قي ظلِ رحمتهِ بقَاكم، وأدامَ بنعمةِ وليِّهِ تأييدَكم ونعماكُم، وحَرَسَ بظلِّ ملكوتِه نفوسَكم الشريفة وعلاّكُم، وعصمكم بحسنِ الطاعةِ من فراعنةِ الأدوارِ وكَلاَكُم، وَفَتّحَ أذهانَكم لمعالِمِ الحكمةِ الجليّةِ وأسناكُم، ومِن علمِ وليِّهِ الهادِي غَذَّاكُم وأرْواكُم.

من المُستَقِرِّ بالحضرةِ الطاهرةِ الشريفة، عشيّةَ يومِ الجمعةِ الرابع عشر من ذِي القعدة، أسعدَكُم المولى بطاعةِ عبدِه، وعرَّفكم مَن يأتي بعدَه.

وأحوالُنا أيّها الإخوانُ المحروسةُ نيّاتُهم في السرِّ والإعلانِ، المجبولون على طاعةِ وليِّ الزمانِ، الباذلون نفوسَهم وأموالَهم في السرِّ

والحَدَثَان، مستقيمةٌ لولا مُنَفَارة أشخاصكم، وعلى الإرادةِ مستبينةٌ لو ضارَعَها اجتماعُكم وقُرْبُكم.

وأمّا شوقُنا إليكم وتأسُّفُنا على القربِ منكم كشوقِ الظمآنِ إلى الماءِ الشَّبِمِ، أو الذَّاعِرِ إلى إتيانِ الظُّلَمِ.

ولولا أنَّنا نُصَبِّرُ نفوسَنا ونوعِدُ قلوبَنا بالاجتماعِ عند ظهورِ وليِّ الحقِّ وجسومَنا لكانتِ الحَسراتُ تَغلِب، والهمومُ تُنهِكُ وَتُتْعِب. وإلى مَن أَلّفَ بين الضمائرِ والقلوبِ التوسلُ في الاجتماعِ على أمرٍ مطلوبٍ بمنِّهِ وكَرَمِه.

وكان قد وصلَ أيّها السادةُ الإخوانُ من جهتِكم إلينا أَخَوان: أحدُهُما رَابِحٌ، والآخر مُفَرِّجٌ. واتّفَقَ وصولُهما في أصعبِ الأوقاتِ، وأحدِّ الأزمنةِ والساعاتِ، وأعظمِ الفتراتِ. وَبلغنَا أنَّ مُفَرِّجَ عَدَاَ على بعضِ الإخوانِ فَنقَلَ صورتَه فَعَظُم ذلك علينا، ولم يكلّمهما أحدٌ منّا. وأقامَا مدّة وخرجا. وعَرفْنا بعد ذلكَ أنّه بريٌ ممّا اتُّهِمَ به وقُذِفَ.

فباللّهِ لقد غَمَّنا تَخَلُّفُنا عن قَضاءِ حقوقِهما، والقيامِ بما يجبُ علينا لمثلهما، وأردنا مبادرةَ المكاتبةِ إليكم بذلك فلم نَجِدْ مَن يحملُ كتابَنا إليكم، حتي اتّفقَ الأخُ أبو عبد اللّه محمّد السِندِي حَرَسَه اللّه وأعلا درجَتَه، فاغتنمْنَا إنفاذَ الكتابِ على يدِه إلى جهتِكم لِمَا بَلَغَنا من الشتتِ الذي حدَث فيكم والنفورِ الذي أنتم بسبيلِه.

فما الذي أوجبَ أيّها الأخوةُ هذا النفور، النفوسُ واحدةٌ، والكلمةُ ملتئمةٌ، والنعمةُ بمنّةِ الوليِّ شاملَةٌ، وأنتمُ على شَفَا جُرُفِ القيامة، وقد لاحتْ دلائلُ الإمام والعلامَة، وظهورُ بدو الفعلِ المنتظَرِ من تُهَامَة، وشاعتْ أخبارُه في جميعِ الآفاقِ والبلدان، وتباشرتْ بها كافّةُ الموحِدين الإخوان، وهجمتْ تاللّهِ الليلَةُ التي نحنُ سائِرون في ظلامِها ننتظرُ الصباح. فكأنّ باللّهِ قد أبدرَ

ولاحَ وأشرقَ ضياؤه كـالمصباحِ، وفازَ مَن ثَبَتَ على دينه ومعـتقَدِه، وخابَ مَن أوبقتْهُ أعمالُه فشكَّ في توحيدِه ومذهبِه.

فالـتمـسّكُ أيّها الإخـوانُ الأطهارُ بما في أيديكم وإنْ حَـميَ لَمْـسُه، وَصَـعُبَ لِحِدَّةِ الزمـانِ مَسْكُه، ولتكنْ كـلمتُكم واحـدةً وشمْلُكم مـجتـمعًـا، وقولُكم مؤتَلِفًا. فالإختلافُ يورِّثُ الفَشَلَ، وقِلةُ المذاكَرةِ في الدِّينِ تُهْبِطُ قديمَ العمل.

ونحنُ وإيّاكم في فتـراتِ القيامـةِ ويومِ الجَزاء، ولم يبقَ لنا ولكم إلاّ محافظةُ الإخوانِ وحُسنُ الولاء. ولو أمكنَ لَشَرَحْنَا ما هـو أكثرُ. غيرَ أنّ فيما ذكرنَـاه بلوغُ الغَرَضِ لِمـثلِكم، وصفـاءِ أذهانِكم، وَجُودةِ علومِكم، وحُـسْنِ معتقَدِكم.

ونحنُ نستودِع جميعَكم لمنْ لا تخيبُ لديه ودائعُ الموحِّدين، ولا يَظلم مثـقالَ ذَرَّةٍ يومَ الحقِّ المُبين. وجمـاعتُنا تُخصُّ جـماعَتكم الصـغيرَ والكبـيرَ والبعيدَ والقـريبَ، بأتَمِ التحيةِ والسلام. ولو أمكنَ لطَلَبْنَا الجـوابَ فَلتُشرِّفْنا المَسَاقِي بِقَبُولِ العُـذْرِ، فالزمانُ قد ضـاقَ عن طلبةِ بلوغِ نهـايةِ الأمر. والحمدُ للّهِ على إنعامِ ما أولاه بعدَ الكشفِ من السِتر.

تمّتْ والحمدُ لمولانا وحده، والشكرُ لوليِّ الزمانِ عبدِه.

٩١

جَوَابُ كِتَابِ السَّادَةِ

السادة هم ستة «كانوا ملوكاً بالأحساء وأعمالها ... أرسل المقتنى إليهم رسائل، يفكّهم بها من عهد التأويل (لانهم كانوا من القرامطة) ويدعوهم بها إلى التّوحيد... فأرسل لهم رسالة السفر، يأمرهم وينهاهم (رقمها ٦٨)، وهكذا تبادلت الرسائل بين السادة وبهاء الدّين إلى ان كان هذا الجواب على «كتاب كريم في غاية من المحاسن في النثر والنظم». ويشيد بهاء الدّين بهذا الكتاب في جوابه عليه، ويعتبر« سطوره في شفاهنا» كالرشم «(عمدة العارفين ١١١)

لو كانتِ الأدوَاتُ تُبلِّغُ الإرادَاتِ، أطالَ المولى بقاءَ السادةِ الإخوانِ، المتمسِّكينَ بطاعةِ الوليِّ الديّان، أطالةً يسمو نِعمُهَا، ويزكُو في خيرِ التَّوحيدِ ثَمُرُهَا، وينمو غرسُهَا ومَنْبَتُها، وأدامَ سعادَتهم إدامَةً تتضاعفُ أمنيَّتُها ويتكاثَف أمْنُها، لَعَكَفْنا على كتابِهم الجليلِ عندَنا الشهيِّ إلى نفوسِنا بالتقبيلِ واللّثمِ، حتى تصيرَ سطورُه في شفاهِنا كالرَّشْمِ، وجعلناه لنا كالمنارِ نقتدِي به في الظلمةِ كالأنوارِ، لكنِ التوسّلُ إلى وليِّ المِنَنِ باجتماعِ الإلفةِ وتحقيقِ الظُّنَنِ.

وقرأه جماعتُنا فأثلَجَ صدورًا بالبُعادِ حَميَّةً، وأروى نفوسًا بالتّنَائي ضَمِيَّةً، وتنزّهنا في حسنِ نَظمِهِ ونثرِه، وبديعِ نواهيهِ وأمرِه، ولم تذكرِ السادةُ الإخوانُ شيئًا من الشوق إلينا، والتأسّفِ علينا إلاّ والجُرعَةُ ممّا

تَقذِفُه القلوب، والدمعةُ النَزِرَةُ ممّا تذرِفُهُ العيونُ من الماءِ المسكوب، تَزيدُ عليه ولو كانت أنهارًا، وتَغمُرُه ولو كانَ التكريرُ بحارًا.

ووافق وصولُه في وقتٍ غـبيٍ عن كافّةِ الأممِ، إلاّ مَن عصَـمه الباري عن الخَطلِ وأنارَ لديهِ الظُلَمَ، فأوجب الوقتُ على الموحِّـدِ العارفِ القبضَ على دينهِ كالقبضِ على الجمرِ المضرَمِ لغيبةِ الحجّةِ، وانطماسِ المَحجّةِ.

فـالتمـسّكُ أيّها الإخـوانُ الأطهـار، والسادةُ الأبرار، بما عـرفتْ به نفوسُكم، وَثَبَـتتْ عليه ضمائرُكُم ولحومُـكم ودماؤُكم، فكأنّكم واللّهِ بالكائنِ قد كان، والخفيِّ قد ظهرَ إلى الإعلان، وقـد اشتهرَ في جميعِ الآفاقِ والبلدان، بظهورِ قائمِ الزمان، باليَمَنِ الأقصَى، وقَرُبَ ما كان نائِيًا.

وقد تأدّى إلينا وإليكم من الحكـمة ما يُحْفَظُ أيسـرُها أنّه ما دَام على حسنِ الائتلافِ وقبول النعمةِ وقد عرفَنا المحجّةَ بما قامت علينا به الحجّة.

فَلتكون، أيّهـا الإخوانُ، الكلمـةُ واحدةً والإلفةُ مـجتـمعـةً، والمذاكَرَةُ دائمةً. فمنْ نَسِيَ وليَّ الحقِّ كانَ الحقُّ له ناسِيًا مـاحِقًا، وبَما جناه على نفسهِ في غدٍ شاهِدًا ناطِقًا.

فلمـثلِ وقـتِكم هذا كنتُم تُوعَـدون، وتَحـفَظُون الحكمـةَ وتعتَـدّون. فكأنّكم واللّهِ بِضِياءِ ليلِكم قـد أبدَر، وبصبحهِ قد أسفَـر، وبكوكبه الدّرِّيِّ قد أزهر. فيقولُ المنافقُ المرتَد: «أينَ المَفَرُّ؛ كلاّ لا وَزَ، إلى ربِّكَ يومئذ المستقرُّ»[٢].

وفي بعضِ هذا أيّهـا الإخـوانُ كـفايةٌ لمن نَظَـرَ وتدبَّر، وَعَلِمَ وأفكر، وكشفَ عن بصيرتِه وأبصر.

---

(٢) سورة القيامة ٧٥/ ١١.

ونحن نستودعُ جماعَـتكم لمن لا تَخيبُ الودائعُ في أوليائِه، ولا يَغفَلُ عن إنصـافِكم من أعدائكم وأعـدائِه. وجمـاعتُنا تخصُ جـماعَـتكم ممّن نأى وقـرُبَ بأتّمِ التحـيّـةِ والسلامِ. وقـد ضـاقَ الزمانُ عـن المكاتبةِ والجـواب، وانقطعَ لِحدّته القولُ والخِطاب.

تَمّتْ بحَمْد اللّهِ وَعَونِه.

٩٢

ألكتابُ المنفذُ على يدِ سرايَا

لعلّه الشيخ أبو السرايا من أكابر شـيوخ آل أبي تراب. نعته بهاءُ الدِّين بالخيِّر الأمين وبالسـرَّاج. أصله مِن يركا من أعمال سـاحل عكّا وماتَ فيـها. هذا كتابٌ فـيه من الرموز والمثـولات الشيء الكثير. فالتـجارة والبـضاعـة هما رمـزان للدّعوة والتّـوحيـد. ولا علاقـة له بالتجـارة المعروفة لدينا.

أطالَ اللّهُ بقاءَ الشيخِ الخيِّرِ الفـاضلِ، وأدامَ تأييدَه ونعمتَه، وحَرَسَ من الغـيـرِ ثِقَـتَهُ ونيَّـتَـه. وقـد علِمَ أدامَ اللّهُ سـعـادتَه، أنّه خـرَجَ من عندِنا بالبضَاعةِ التي خرجتْ معهُ ونحنُ بهِ واثقون، ولِمَا يَفعَلُه فيها مطمإنّون. فما رأينا بحمدِ اللّهِ حالاً يُوجِبُ عتَبًا ولا اسـتقلالاً، وقد وصلَ إلينَا ما سهّلَ اللّهُ من الرِّبحِ ورأسِ المالِ ولم نعتبْ عليـه في شـيءٍ ممّا بقيَ لأنّه عندَنا ثِقَةٌ تَقِي، وكذلكَ الجماعةُ أصدقاؤُنا قَبِلَهُ.

وقد علِمَ الشيّخُ أيّدَه اللّهُ أنَّ التـجَارَة بمصرَ قد كَسَدَتْ لِمـا فيهَا مِن ضيقِ السعرِ، ولم يبقَ في كلِّ بَلدَةٍ غيرُ الـسَمْتِ القَديمَةِ والذِكرِ، فعملتُ على إنفاذِ هذهِ البِضَاعةِ مع الشيخِ أبي الفتـحِ، حفَظَهُ اللّهُ، وفي صُحبَـتهِ الشيخُ أبوالفَضلِ العَجَـمي، كَلاَهُ اللّهُ لِمَعرفَتي بِثقَـتِهما وأنّهما لا يستـحسِنانِ كَذِبًا في البيعِ والشراءِ، ولا يختـزلانِ شَيْئًا من البضائعِ، ولا يُطَابِقـا غَيرَ ثِقَةٍ من

جميعِ الوَرَى. وأنفذتُ مَعَـهُمَا الصَبيَّ يَحْيَى يَخْدُمُهُمَـا، وأيضاً فإنّه قد سَلَكَ تلكَ الطريقَ مع الشـيخِ الماضِي، رَحِـمَهُ اللّهُ، ولو كـانَ يَحْـيَى عندَنا ثِقَةً لَمـا تَخلَّفنا عن إنفـاذِ هذه البضاعـةِ على يدِه إلى حِينِ وصولِ الشـيخِ أبي الفتحِ، وهي عندنَا مخرومةٌ مَن الزمنِ الطويلِ.

وقد وَصَلَ إلينا أنَّ الصبيَّ يَحْيَى قد تـغلَّبَ على شيءٍ مِنها فَبَاعَهُ في غيـر موضِعِه وطَرَحَـهُ، وأنّه أتْلَفَ كثيـرًا من رأسِ المالِ مع جَميعِ مـا رَبِحَهُ، وساعدَه على ذلكَ مَنْ سـاعده من الشيوخِ التّجّارِ، وزّينوا له مـقاومتَهُ أعني الشيـخَ أبي الفَتحِ، وهذا شيءٌ لا يليقُ بالتّـجار، وقـد كانَ ذلكَ أيضًـا سبـبًا لتعويقِهم عن الزيادة.

والشيخُ الخـيّرُ أدامَ اللّهُ سـعادتَه، فـما وَصَلَ إلينا أحـدٌ من جهـته فمنعنَاهُ شـيئًـا ممّا طَلَبَهُ واختـارَه. وهذا الصبيُّ فهـو جاهِلٌ، وإنّمـا أنفذناهُ رَجِيَّةَ أنْ ينصلِح فيكونُ فيه خيـرَ المعونةِ للشيخَينِ في السفَر، ولا ينفرد في فعلٍ ولا يخـرجُ عن رأي الشيخِ أبي الفتحِ فيـما أمر. وإذا سَهَّلَ اللّـهُ رجوعَه فعرِّفوه أنّه قد بلَغَنا خيانَته وتعدِّيه، وأنّه غيرُ ثِقَةٍ فيما أتُمِنَ عليهِ وأُعطيه.

وما وصَلَ إلينا شيءٌ من بضائعِ الجـماعةِ الشيوخِ، ففـرَّطْنَا فيه ولا أضعناهُ، ولا حملنَا لأحدٍ خيانةً في أموالهم ولا أطعناه. واللّهُ يجازِينَا على ما فَعَلْنَا مـعَهُ وأردنَاهُ. وإذا فعلَ ما هو شـبيهٌ له فنحنُ نتكلُهُ على اللّهِ مـجازينا ومجازيه. وانّما تَعَجَّبْنَا من فـعلِ مَنْ ساعدَه من الشيوخِ على بَيعِ ما لا يَملُكُهُ وقد عَرفَ تَعَدّيه.

والشيخُ الفاضلُ أدامَ اللّهُ حِراسَتَهُ ينتبـهُ لهذا الحال، ويفعلُ فِيها إذا سهّـل اللّهُ رجوعَـهم من الزيارةِ إلى ما قـبلَهُ أحسنَ الأفـعال. وهذا الصـبيُّ صبيُّ العقلِ، ولا يُؤْمَنُ عليه لِغرَّته مِنَ الجهلِ. وباللّهِ ما أنفذْتُهُ في صحبتِهما

إلاّ رَجيَّةً أنْ يكونَ ثِقَـةً أمينًا، وما أعطى اللّه غيبَـه لأحدٍ فَكُنَّا أهملناهُ وعرفنَاه خَيِّنًا مُبينًا.

فإنْ رأى الشـيخُ أن يفعلَ في ذلك هو والجـماعةُ مـا يشاكِلُ ثقَـتَهُم ودياناتِهم، ولا يجوّزوا على نفـوسِـهم ما يُوثِغُ أعراضَـهم، وَيُـشْكِلُ الغيرَ في أماناتِهم، وما كانَ للشيخِ الفاضلِ من حاجةٍ فإنّا نُسَرُّ بها ونُؤثِرُ قَضَاهَا.

وقد أنفذْنَا مع المغـربيّ والبدوِيّ بِضَاعَةً فـإذا وصل إليهِ منها شيءٌ أَعْنَى بِبَيعِها واقتضَاهَا.

وأنا أخُصُّـهُ والجماعةَ الـشيوخَ قِبَلَهُ بأتمِّ التـحيّةِ والسـلامِ. وكذلكَ أَخُصُّ جميعَ أسـدقائنَا بأتمِّ السلامِ. والحمدُ للهِ ربِّ العـالَمين، وسلامُه على رسولِه خـاتَمِ النبيّين، وآلهِ الطاهرين، الأئمّـةِ المرضيّين. وَحَسْـبُنَا اللّهُ ونِعمَ الوكيلُ النصـيرُ المعين. ونحنُ بحـمدِ اللّهِ على أفـضلِ أحوالِ السلامـةِ. وقد أرْخَتِ الأسْـعارُ بالفُـسْطَاطِ بحمـدِ اللّهِ، والماءُ فَـمُشْـرِفٌ على كلِّ خيـرٍ مِنَ الزيادةِ والبَـركةِ والأمنِ. وقـد وصَل إلينا أنَّ صِـقِلّيَّـةَ أخذوها الرومُ. فـاللّه يُبطِلُ ذلكَ ولا يجعلُهُ من صحيحٍ. والسلام.

٩٣

مكاتبة تذكرة

إنّها مكاتبة رمزيّة. المقصود بـ «الوكيل المؤتمن» الذي ادّعى أنّ عمارة الضياع «ملكاً له وجميع ما فيها من الأموال والمتاع»، هو ضدّ الدعوة التّوحيدية، «فابعِدوه ... إنّه من شياطين الفترة».

كتابِي إلى أهلِي وإخواني البَرَرَةِ السادقينَ، والأصفياءِ الطهرةِ المحقّينَ، إذكارًا لمن تذكّر ودَعا، ومحجّةً لمن أفا إلى الحقّ واهتدَى، وحُجَّةً على مَن أنكرَ وتولّى، ونهيًا عن اتّباعِ مَنْ عانَدَ الحقَّ ورجِعَ إلى القهقرى، وزجرًا لمن خالفَ الأمر، وكَذَّبَ أهلَه واخترصَ وادّعَى، وإعلامًا للكافّةِ أنَّ الوكيلَ المُؤْتَمَنَ كانَ على عمَارَةِ الضّيَاعِ، وأنّه ادّعَى أنّها مُلكًا له وجميعَ ما فيها من الأموالِ والمَتاعِ، وأنَّه قَصُّرَ في الخير عن اللحاقِ، ورضيَ لنفسِه الخبيثةِ بالسرَقِ والعصيان والإباقِ، وساعده على هذا الفِسقِ أبو النقصِ الكاملِ في السرق والكذبِ والبهتانِ والنِفاقِ، وقد شَهِدَ قولَ الخائبِ وما لَفَظَ به من العقوقِ والإباقِ، وسمَعَ قولَ مَنْ وَافَقَهُ على ما أخذَهُ من الخلافِ والشقاقِ، وقد ستَرَ عنكم ذلكَ الإبلاسَ بما زَخْرَفَهُ لكم ورَواه، وساعدَه مَنْ عانَدَ الحقَّ وركِبَ هَواه.

فأبعِدُوه عنكم، أبعدَه اللّهُ ولعنَ مَن قرَّبه وأدناه، فقد بانَ أنّه من شياطينِ الفترةِ المُعَيَّنِين، لدحضِهِ الحقَّ بالباطلِ وتدليسِه الكذِبَ على

السادِقين. فتيقَّنوا أنّه قد آنَ فِطَامُ أولادِ الحلالِ مِن نَجَسِ الأدعياءِ المتديِّنينَ، وبَانَ حزبُ الطاعةِ من الأشقياءِ الناكثين.

واعلَموا أنّه قد تَساوى الخلقُ بالأقدَامِ، وتباينوا في دَرَجِ الأفتراقِ والألتِئامِ، لِغَلَبَةِ الشياطينِ.

واعلَموا إنّه لا شيخَ لكم ولا رئيسَ عليكم ولا أمرَ لأحدٍ مِنَ الأنامِ، إلاّ بما يطابِقُ الحقَّ. واستدلَلْتُم على صحةِ الألفاظِ المعروفة التي لا تَشْتَبِهُ بغيرِها والخَطُّ المشهورُ الذي ألفتمُوه على غابرِ الأيامِ، وتَحَقَّقُوا أنّه لا ميزَةَ لأحدٍ على أحدٍ إلاّ بما عَلِمَهُ مِنَ الحِكْمَةِ واعتَقَدَهُ لأهلِ الدِّينِ وَنَواه، ولا فَضيلَةَ إلاّ بمواصلَةِ أهلِ الحقِّ في الحقِّ والبراءَةِ ممَّنْ عَنَدَ عَنهُ وأبَاه، ولا رِفْعَةَ في المَعَادِ إلاّ لمنْ سَدَقَ لِسَانُه وقَبِلَ منِ أوامرِ مَنْ وَجَبَتْ طاعتُه واهتدَى بهُدَاه.

واحذَروا من التَحاسُدِ والاختلاف، وكونوا على قَبولٍ مِنَ الحقِّ والوَفاءِ والإنصاف. وأنتم فيما أُدرجَ لكم مخيَّرون، وما على الرسولِ إلاّ البلاغُ المبينُ، وبِنَا وبِكم مستَقَرٌّ وسوفَ تعلمون.

وأنا أستودِعُ كافَّتَكُم لِلَّهِ والجماعَةَ الحافظينَ. وهو حسبي ونعم النصيرُ المعين، وسلامُه وصلواتُه على رسولِه السادِق الأمين، إلى جميع الأممِ وعلى آلِه الطاهرينَ معادِنِ الخيرِ وسبلِ النعيمِ.

والسلامُ والحمدُ لمولانا وحدَهَ والشكرُ لوليِّه الهادي عبدِه.

٩٤

مكاتبة نصر ابن فتوح

أبو القاسم نصر ابن فتوح من الميدانيّة هاجر إلى مصر عند المقتنى يمتدّ منه ويستفيد. بعدما عُزِلَ سُكَّين، أخَذَ نَصْرٌ مكانَه في رئاسة أهلِ البستان. ثمّ انتقل إلى دمشق وتولّى أمر الدعوة فيها. اتُّهم بالفحش ولكنّه تبرّأ منه فيما بعد. ولمّا مات جميعُ الحدود الروحانيّين تسلّم الشيخُ نصر أمرَ الدّعوة، وكان مرجِعَهَا الأوّلَ، فكان بالتالي أوّل شيخ عقْل عند الموحِّدين. وكان ذلك سنة ٤٣٥ هـ.

وَصلَ كِتابُ الشيخِ الفاضلِ أطالَ اللّهُ بقَاه، وأدامَ تأييدَه ونعماه، ووقفنا عليهِ وفهمنَا جميعَ ما ذكرَه وحَمَدْنَا اللّهَ على سلامتِه وشكرنَاه على ذلك. وأمّا ما ذكرتُه من جهةِ غيرك ممّنْ يُعنَى بهذا الحالِ، فلمّا عَرَفَ الشريفُ أعزّه اللّهُ بذلك وكانَ على غايةٍ مِنْ مَرضِ الجسمِ، قالَ: إنّما تضمنّتْ هذه المواضِع بسببِ الحِصَصِ المُلْكِ[1] الذي لي بقربِ هذه المواضِعِ، وأيضاً بسببِ الجماعةِ الأصدقاءِ الأخيارِ الذين وَصَفُوا لنا هذه المواضِعِ. وإذا كانَ القومُ قد جَرى منهم هذا التخلّفُ عمّا يَلْزَمُهم به من الحَثّ على

(١) ما في هذه الرّسالة من كلام في «الحصص»، و«الضيعة»، و«الضمان»، و«المواضع»، و«العمارة»، و«الوكيل»، و«الفلاّح»... ما هي إلاّ رموز لدعوة التّوحيد ولما حدث للموحِّدين في مصر.

العَمَارَةِ ولم يَقبلُوا من الوكيلِ الذي أنفذْناه إليهم، ورأوا أنّ الوكيلَ الأوَّلَ هو صاحبُهم ولا يُريدُون به بَدَلاً، فهذا دليل على خِيانةِ الجميعِ، لأنَّ الفَلاَّحَ إذا اصتَلَحَ مع الوكيلِ فهو دليلٌ على هَلاك مالِ المالِكِ.

وقد رأيتُ سيدي الشريفَ قد عزَمَ على حلِّ الضَّمَان، أعني ضَمَانَ هذه الضياعِ، وَيَقْنَعُ بالحِصَصِ المُلكِ الذي له، وقد بَلَغنا ما فعلاَ هذينِ الرجلينِ من الجميل، وأداءِ ما بقيَ عليهما، وَعَرْضَهُما لِما عندَهما. فنحنُ نشكرهما على ذلك ونميّزهُما عن غيرِهما. واللّهُ يُحسِنُ لهما الجزاء.

وقد رأيتُ سيدي الشريفَ وقد عزمَ على حلِّ الضَّمان، أعني ضَمانَ هذهِ الضياعِ، ويقنعُ بالحِصَصِ المُلْكِ الذي له، وهو يَنقُل إليها هذينِ الرجلَينِ الثِقتين، إذ قد بيّنَ الزمانُ حالَ البقيّةِ وكشَفَ سَرائِرَهم بقلّةِ تمييزِهم.

فما سَمِعوا الناسُ بأعجبِ من أهلِ ضَيْعَةٍ يَحكُمون على صاحبِها فيمنْ يُوَكِّلُه عَليها. فلو كانوا هؤلاء ثِقَات والوكيلُ ثِقَة لَمَا اتَّفقُوا على هلاكِ مالِ المالِكِ وهو مُنصِفٌ لهم، غيرُ جائرٍ عليهم، وإنما غَرَضُهُ صلاحُهُم.

وأعجبُ من ذلك أنَّ الوكيلَ عندَنا يُقِرّ على نفسِه بما اختزَل وَسرِقَ هَوَ وَمُشرَّفُ لا حَفظَهُما اللّهُ. والجماعةُ تَشهدُ عليهما بذلك ويقولونَ الفَلاَّحونَ إنّهُ ثِقَةٌ ما نُريد غيرَه.

فقد قالَ الشريفُ: نحنُ نبيّنُ أمرَ أفعالِه وأفعالِهم؛ وما كان لنا عندَهم أخذْنَا منهم ما اتّفق وانْ دَفعونا عن شيءٍ ممّا عندَهم احتسبناه عندَ اللّه وتخلّصْنَا منهم ومن سَعْيِهم. وقد سألَ الشريفُ بعضَ رؤساءِ الدولة، ومَن له دالّةٌ على الدِّيوان، في حلِّ هذا الضَّمَانِ، فأجابه إلى ذلك وهو يَحرِصُ في حلِّهِ في هذه الأيامِ، ويوجِّهُ يَحمِل مالَه في الضِياع من الآلةِ إلى موضِعٍ آخر، إلى أنْ يسَهّلَ اللّهُ ما هو أفضل.

وإذا كانَ الأمـرُ على هذا الحالِ فَـتُنْفِذُ إلى عَـمّار لا يُقيمُ عـندَ القوم ساعـةً واحدةً، ويرجع إلى بعضِ المواضعِ الذي ذكرنا له وأمـرنَاه بالانتزاحِ إليهـا، ويكاتِبُنَا بذلك لنذكُـرَ له ما يَعـمَل عليهِ وأنتَ مَـحمودًا مـشكورًا على فِعلِكَ، فَدُمْ عليه، ومِنَ اللّهِ التوفيق.

وما وَصَلَ مِنَ الـكتَّان[٢] فَـتحـرص في إنفاقـه وقبضِ الثَّـمَنِ، انِ اشتريتَ بهِ زَيتًا[٣] من عَمَلِ فلسطينَ فهو أفضل، وتُعرِّفْنَا حالَ عيسى وَحَرْبَ وكيفَ جَرى الأمرُ في تجارتِهما، وإنْ أردتَ إنفـاذَ الكتابِ ليُقْرَأ على الشيوخ، فافعَلْ ذلكَ ولا تُعاوِدْهُم فيهِ.

وأيضاً فقد كـانَ الشيخُ حَسَنُ الكبيرِ عندَنا ومُشَاهد لجـميعِ خِيانَةِ مسعودٍ وأفعالهِ الرديّة. وباللّهِ لقد وَبَّخْـتُهُ على قَبولِ ذلكَ ونهيتُهُ عنه، وقلتُ له: أنتَ تمضـي إلى الضيعـةِ وانْ لم تَشهد بما رأيتَ وسمـعتَ من خيانةِ هذا الكَذّابِ، وإلاّ فاللّهُ يعاقِبُك لأنّكَ مُدَلِّسٌ، وباللّهِ لقد أمرتُه بالكونِ عندي، فَمَنَعَهُ الخَـائبُ عن ذلكَ ومَـضَى على أنّه يرجعُ يكونُ عنـدي إلى حين خـروجِـهِ، فمضَى وأقامَ ثلاثةَ أيّامٍ وجاءَني بعدَ ذلك وقالَ تُهتُ عن الموضـعِ.

وباللّهِ العظيمِ لقد خرجَ من الموضـعِ ورجِعَ إليه قَـبْلَ هذا القَولِ أكثر من عَشر دَفْـعَاتٍ، فما استـحَى من المُحَال وإنّما كانَ يمنعُـه ويمنعُ غيرَه من الوصولِ إلَينَا كي لا يَفتَضِحَ بذلك، عند الأنصَارِ وغيرِهم.

وأمّا علي أخـو الغَزَالِ لقد أهلك هذا الـرجُلُ عُمْرَهُ ممّا يكلِّفـهُ الدُلْسَةَ والكذبَ في الدِّينِ في كلِّ وقـتٍ حتى أخـرجَـه عن الثِـقةِ. فكتـبتُ إليـهم: إذا

---

(٢) جـاء في الدرر المضيّـة: الكتّان يـرمز على الرسـائل العاريـة من الرمز مـثل النقض (رقم٦) وحقائق الهزل (رقم ١١) وغيرهم الخـاليةِ مِن الرمز كما قـال : «وأمّا الكتان فهو غالٍ ثقيلُ المحمل مضرٌّ بالتاجر لكثرة مؤنته وثقله».

(٣) الزَّيت، كمـا جاء في الدرر المضيّـة، ممثول حكمة السـيد المسيح». وهو أيضـاً: «رمزٌ عن الرسل»، أي رسل الدعوة التّوحيديّة.

جاءَهم هذا علي مِن قِبَلِه بأمرٍ ويقولُ هذا من أمر الضامنِ فلا يَقبلُوا منه، ولا يُسلِّموا إليهِ شيئًا ممّا عندَهم. فهو يحتالُ بهذا وأمثالِه.

فنحنُ نَستُرُ هذا الحالَ حتى نتخلّص من هؤلاءِ القومِ على جميلٍ. وإن مَنَعُونَا ما عندَهم من الدَّينِ وبقيةِ التجارةِ استعنّا عليهم باللّه، وإنْ كانَ لنا بعدَ هذا قدرةٌ على شيءٍ فَعَلْنَاه، إذا آلَ امرُهم إلى المُناكَرَة. وأنا أَخصُّكُ بأتمِّ السَّلامِ وكذلِك الجماعةُ يَخصُّوكَ ولمنْ عِندَكَ بأتّم السلامِ. والحمدُ للّهِ ربِّ العَالَمينَ وصلواتُه على أفضلِ النبيينَ، وسلمَّ وحَسْبُنَا اللّهُ ونعم الوكيل.

فاللّه اللّه لا تَتْرُك عمّارَ يقعدُ عندَهم ساعةً واحدةً لئلا يُحْتَالَ عليه بحيلةٍ فإنَّ الناسَ قد فَسَدوا؛ وكاتِبْني بوصولِه إلى أيِّ موضعٍ اتّفقَ. وَاحرَصْ في إنفاذِ مَن تَثِقُ إليه ليَسيرَ إلى جهةِ أبي جُمْعَةٍ، وكاتِبني بوصولِه، وتُعَرِّفْني إنْ كانَ جاءَه أحدٌ من جهةِ أهله، وأيُّ شيءٍ سمعَ من جهةِ أخبارِ حَسن المغربي وأهلِه، وتسألُ عن تِجارتِه إنْ كانَ وَصَلَ منهما شيءٌ إلى جهةِ طَرابُلس[٤] ، وتشرحُ لي ذلكَ وجميعَ ما تفعلُه في جوابِ هذا الكتابِ سُرْعَةً، وتتأكّدُ على الكُتبي في سرعةِ الجوابِ إن شاء اللّهُ وبه التوفيقُ. فصل من كتاب.

وأعظمُ من هذا أنَّ أخي عمّارَ تَاجَرَ كما يُتاجِرُوا الناسُ بأموالِهم من بَلَدٍ إلى بلد، وأنّ أهلَ الضيعةِ احتالوا عليه وأخذُوا مالَهُ ولا أدري حيٌّ هو أو مَيْت. فأيُّ قيمةٍ لما كان مع هذا الرجلِ حتى يُقْتَلَ عليه! لعنَ اللّهُ النفوسَ الخبيثَةَ. فلا تذكرُ حَالَ عِمارَةِ الضيعةِ. فقد فُكَّ ضَمانُ الضيعةِ وقد وهبَ ما فيها من الآلَةِ، وما تَبَقَّى فيها لِمَن يَقوى على مُطالبتِهم، ولا يَظلُمُهُم. والسلام.

---

(٤) المقصود بها طرابلس الغرب، على ما جاء في الدرر.

٩٥

السِّجِلُّ الوارِدُ إلى نَصْر

هو نفسه نصر الوارد اسمُه في «المكاتبة»، الرسالة السابقة. موضوع السجلّ لا يختلف عن موضوع المكاتبة. والأسلوبُ الرمزيُّ أيضاً هو نفسه. هذا ويذكّرنا السجلّ بتوبيخ ابن معلا، رقم ٨١.

وصل كتابُ سيّدي الشيخِ الفاضلِ أطالَ اللّهُ بقاه، وأدامَ تأييده ونُعمَاه. ووقفتُ على جميعِه وحمدتُ اللّهَ على كمالِ سلامته، وشمولِ عافيتِه. والحمدُ للّهِ على ذلك كثيرًا، وصلواتُه على رسلِه السادِقين وسلّم.

وأمّا ما ذكرتَهُ من أحوالِ الحِصَصِ (١) ومسارَعَةِ مَنْ سارَعَ إلى وفاءِ ما عليهِ، فنحنُ نَعْلَم أنَّ اللّهَ تعالَى يفعلُ ذلكَ مَع مَنْ أرادَ به خيراً، ومَن أنكرَ وظلَم وأخْفى ما عَليه، فاللّهُ يجازيه على ذلك. ونحنُ لا يَنْقُصُ من أرزاقِنا شيءٌ(٢).

وأمّا ما ذكرتَهُ من قول ابنِ مَعَلاً وَتَقَوُّلِه الباطلِ عليكَ فما هو ثقةٌ يُقْبَلُ قولُهُ فيما مَنْ هو عندَنا أبرُّ منهُ وأتْقَى. وحاشا اللّهُ أنْ يَتَخيَّل ذلك.

---

(١) الحصص: هم المستجيبون للدعوة. في قوله أيضاً: «وجميع الشيوخ رؤساء الحصص»...

(٢) الرِّزق هو التوحيد، وبابُ الرِّزق والأرزاق باب التَّوحيد.

وأما طُرَادُ خَزَاهُ الـلّهُ فلهُ مَن يُجازيه على أفعاله ويُخـزيه بها. وأنتَ تعلم أنّ الحقّ أولى ما اتُّبِعَ. فـاللّهُ يَلعنُ مَن يريدُ ظلمَ الآخَر. فـيجبُ عليك ان تحرُسَ نفسَك لئلاً يتطرّقُ عليكَ بنقصٍ ويُضـافُ إليكَ أمثالُه.

ولم تذكرْ لي شـيئًا من حالِ الشـيخِ أبي المعالي والشيخَـينِ سَلامةَ وحَمزة أدامَ اللّه حِراستَهُمَا ولا كيفَ قَبولُهُما للضمانِ،

ولا حالَ ابنِ وَهَبٍ إِنْ كانَ وفَا شيئًا ممّا عليه،

ولا ذكرتَ شـيئًا من حالِ حُـرُوشٍ صاحبِ التّلِّ وعيـسى، ولا كيفَ جرتْ أمورُهم فيما هم متعلّقينَ به.

فلا تتركْنَا مِـن ذكرِ جميعِ ذلكَ. ونحنُ نَخُصُّـكَ بأتمِّ السلام، وكذلكَ الجماعةُ يخصّوك بأيْمَنِه وأطيَبِـه. فلا تجعلْ على قلبِك ثِقلاً من أمرِ ابنِ معَلاّ فلا بدَّ يبلِغُك بما يَحفلُّ بهِ.

والحـمـدُ للهِ وحـدَه. وصلواتُه على رسـولِه وآلِـهِ الطاهرين. وهو حسبُنا، ونِعمَ النصيرُ المعين.

٩٦

مَنشورُ الشَّيخِ أبِي المَعَالِي الطَّاهِر

كتبَ بهاءُ الدِّين للشيخ أبي المعالي يحذّره من جملة أشخاصٍ تركوا الدّعوة، وخصَّ منهم «غنّام» الكاذب الخائن الذي خدع بهاء الدِّين، وخان في الكتب المنفذة معه إلى الشيخ أبي القاسم والشيخ أبي المعالي.

بسم الإلهِ القادرِ وَمَنْ قَرَّبَ أجَلَ الناكثِ الكافرِ، أطالَ اللّهُ بقاءَ الشيخِ الفاضلِ، وقد اتّسعتْ طرقُ المظالمِ لِوسَخِ أنفسِ الموِّهِينَ، وَكَثُرَ العَيثُ لقُرْبِ هَلاكِ الفَسَقةِ المتردِّين، وقد بلغَ حالُهم إلى التخرّصِ علينا بما يُقرِّبُ حسابَهم عليه إلهُ العالَمين.

وقد قَطَعَ غَنَّامُ الشهادةَ على نَصْرٍ بشهادةِ جماعةٍ من شيوخِ آل عبد اللّهِ الثقاتِ المخلصين. ولو أرادَ، أعني غنّام، أبعدَه اللّه، لقطعِ هذا القولِ بشهادَتِه عندَنا خِلافَ ما شَهِد به الكَذَّابُ المهين، ورابِح فهو يعيدُ ما يرتفعُ عن ذكرِه في كتابٍ ممّا يُخزي اللّهُ فاعِلَه ومخترِصَه من الخَوَنَةِ الأفّاكين.

فليجرِّدِ الشيخُ العنايَةَ في الفحصِ عن قولِ الخائبِ المبينِ، وينفذْ ثِقَتَه لأخذِ شهاداتِ الجماعةِ من آل عبد اللّه بما ذَكَر غنّامٌ عن نَصرٍ وإبطالِ قولِه لِيُحسَبَ أحدُهُما من المَرَقَةِ المُعتدِين. فهؤلاءِ النَكَثَةُ قد قَطَعُوا وصائلَ الرأفةِ من قلوب العالمين.

وباللّه ما للشيخِ الطاهر عندي جُرْحَةٌ إلاّ اســتلامه لغنّامٍ بعد ما فعلَه بالكُتُبِ المنفـذَةِ معه ممّا هو خـارجٌ عن الحقِّ والدِّينِ. وحاشــاه عندي. وإنّما فعَلَ ذلك لِثِقَتِه وطهارةِ نفسِه وَسَبَبًا أيضاً لبيانِ الخيبةِ الملبِّسين.

فـلا يَضَجَعِ الـشيخُ في إنفـاذِ كـتابٍ فــي الترتيبِ فــي قولِ مُـغلَقٍ بتصحيح الفَلَجِ علـى منْ بَانَ باللّعنِ من هؤلاءِ الملحِدين.

وأنا أخصُّ الجماعَة بأتمِّ التحيّةِ والسلام.

واللّهُ يعـجّلُ مجـازاةَ هؤلاءِ الطغام، وهو المنتـقم ممّن عَادَ في قـولِه وحرّفَ، وجعَل الباطلَ بدلاً من الحقِّ وزخرَفَ.

والحمـدُ للّهِ الأله الفـردِ الصمـد، المهلكِ بوليِّه لمن اخـترَصَ وألْـحَد. وسـلامُه على وليّـه القـائم بالجزاءِ لمن اخـتلقَ البـاطلَ عن اللّهِ وأضلّ. وهو المنتقِم ممّنْ بانَ مِنَ الخَرَصَةِ المدّعِين. ويصلُ بقربِ الجامعِ الأزهر.

والحمد لمولانَا وحدَه ، والشكرُ لقائمِ الزّمانِ عبدِه.

٩٧

مَنْشُورٌ إِلَى جَمَاعَةِ أَبِي تُرَاب

وشُـيُـوخِ الـمَـوَاضِـعِ مِـنَ الأهْـلِ والأصْـحَـاب

جماعةُ آل أبي تراب مسكنهم ما بين صَـفَد وعكّا. كَتَبَ إليهم بهاءُ الدِّين لاخـتلاف جـرى بينهم، واستـمـرَّ الخلافُ إلى أنْ أرسل المقـتنَى لهمُ المنشورَ على يـدِ الشَّيخِ أبي الشبل الموصـوف بالشَّيخ الســادق. فإنّه عضد وقوّة.

بسم اللّه الرحـمنِ الرحيم، أطالَ اللّهُ بقـاءَ إخوتي الـشيوخِ الطـهرةِ وَحَسَّنَ نيّاتِهم وتوفيقَهم، وأوضَحَ إلى المعالي بميمنونِ تمامِ الطاعةِ نهجَهم وطريقَهم، وثبّتَ بمعالِمِ الهـدايةِ عقائدَهم وتحقيقَهم، والحـالُ بحمدِ اللّه عن سلامةٍ شاملةٍ كافية، ونعمةٍ مترادفةٍ ورحمةٍ كاملةٍ صافيةٍ.

وقـد عَلِمَ اللّهُ تعـالى تَطَلّعي إلى مـيـمونِ غُـررِ الشـيـوخ الديّانين، وابتهاجـي بما يَتَجَدَّدُ من صلاحِ شـؤونِهم في كلِّ وقتٍ وَحِين، أعني الشيخَ أبا السريا، وأبا مـحمّد، وأبا عَروس، وأبا عبـد اللّه، وأبا جُمعَة، وأبا مـحمّد، أيضًا ومن بحـوزتِهم من الإخوةِ الطهـرةِ المؤمنين، وجميعِ شـيوخِ المواضـعِ الطهَرةِ المحقّين.

كتـابي هذا يصلُ إلى جميعِـهم من يدِ أخي الشيخ الخيّـر أبي الشبلِ أَصِفُ فـيـه ما مَنّ اللّهُ تـعالَى من الآلاءِ علَـينا وعلى أهلِ الطاعـاتِ من المِنَنِ

والفَضل، وأحمدُه بفيضِ محامِده التي لا يُعْرَفُ أدناهُ إلاّ بالاعترافِ بالضعفِ والتقصيرِ والتصوّرِ لفيضِ ميامنِ العقل. والشيخُ الطاهرُ أبو الشبلُ فهو عضدٌ وقوّةٌ لإخوته المؤمنين، ومِن أكابرِ مَن رَبيَ عندنا من الشيوخ الموحِّدين.

فليحفَظوا الجماعةُ حقوقَه القديمةَ ومساعيه، ويعرفوا بَوادي الطاعةِ من أفعالِه وتواليه. فقد فَرَغَ زمانُ الموافقَةِ والتونيب، ومَن تابَ من الإخوةِ المؤمنينَ بعد الإشهادِ على نفسهِ بالبراءةَ من الخبثِ فليسَ عليه تثريب، وليس هو كالذين كفرُوا نعمةَ الباري ووليِّهِ وجحدُوه، ودلَّسُوا بالبَلَسِ على أهلِ الحقِّ وباءوا لأهلِه وعانَدُوه.

فاللّهُ لا يظلُمهم بل يَحكُم عليهم بما على المؤمنين أَجْرُوهُ وحكَمُوه.

والحمدُ للّه الذي جَعَل أولياءَه سببًا لتمييزِ العوالِم، وقِسْطَاسًا لإقامةِ الحجَّةِ للطائعِ الخيِّر، كما جعَلهم حجَّةً على الجائرِ الخَئِّن الظالم. والسلامُ على وليِّهِ المنتقمِ من أبالسة الأدوارِ بسيفِ العدلِ الإمامِ الهادي القائم. وهو حسْبُ عبدِه الضعيفِ المقتنى في يومِ الشرق بالرِّيقِ وحزِّ الغلاصِمِ[١].

وليعرِفوا الجماعةُ الشيوخُ ما الشيخُ أبي الشِبلِ عليه من الديانةِ والفضل، ويُعلمُ الشيخَ أبا عروس أدامَ اللّه حِراستَه إجابتي لسؤالِه، ولتسديقي لصحيح مَقالِه، ويكونُ مع الشيخِ أبي الشبلِ على أحسنِ ما تقدَّم من أفعالِه. لكنْ يكون هذا الكتابُ مُقَرَّرًا في يدِ الشيخِ أبي الشبل.

والحمدُ للّه وحدَه وهو حَسْبي ونِعم النَّصيرُ المعين.

---

(١) الغلاصم هي اللحم بين الرأس والعنق. وهي، توحيديًا، كناية عن سادة القوم الكافرين.

٩٨

رِسالةُ جَبَلِ السُّمَّاق

جـبلُ السُّمَّـاق بالقـرب من حلب، يشـتمل على مـدنٍ وقـرى تدينُ بدين التَّوحيد. ولـكثرة الإيمان والمؤمنين الساكنين فيه وصفَـه المقتنَى بالجبل الأنور، والجبل الطاهر، وجبل أهل الفضل والسدق والوفـا، ومعاقد العزِّ والصبر والصفا. «سمِّي بذلك لأنَّه يـنبت السماق من غير غرس» (الدرر المضيَّة). في هذه الرسالة يحذِّر بهاء الدِّين من مزج التَّوحيد بالضلالات والمنكرات. ويحرِّضهم على الاجتمـاعات السرِّيَّة في أماكن سرِّيَّة بأعدادٍ قليلةٍ بين السبـعة والتسـعة فقط. كمـا يوصيهم بأنْ لا ينسَـوا ضواحيَ الجبل كـ «الرقَّـتَين، وناحية الفـرات، وبالس»، وغيرها. ولشِدَّة حـماسِ المقتنَى كانَ أملُه بظهورِ حمزة إمام الزمان وشيكًا. كتبتْ سنة ٤٣٠ هـ.

توكَّلتُ على مولانا الحاكمِ جلَّ ذكرُه، وشكرتُ قائمَ الحقِّ أمرَه.

من العـبدِ المقـتنَى النّاصحِ لمن سَمِعَ وأبصـر، إلى جمـيعِ أهلِ الحقِّ بالجَبَلِ الطاهرِ الأنورِ، أعني جَبَل أهلِ الفضلِ والسـدقِ والوفا، جبلَ السُّمّاقِ ومعاقِـدَ العزِّ والصبرِ والصـفا. ألسلامُ على مَن سلم من نزَغـاتِ الشياطين بالتـسليمِ لإمامـهِ الهادِي القـائمِ، وتنزَّه عن مُنَاسَـمَةِ ذوي الزَيْغِ والإلحـادِ وَبَرِئَ من جميعِ التَّبعات في الدِّينِ والمظالمِ.

إخـواني! قد أزِفَ هـجومُ السـاعـةِ وتمّ التَّمـام، وَبَرقَ صـبحُ الحقِّ وكـسِفتْ شـموسُ البـاطلِ وتغشّـاهَا الغَـبَشُ والظلام، وفازوا أهلُ الطاعـةِ بالصبرِ والسدقِ وخسروا المرتدّون الأجلافُ الأغتام.

فتذكّروا أيّها الإخوةُ خصائصَ الحكمة، وابنُوا أمركم عليها، وتميَّزوا ممّن شكَّ في حقائقها وأضافَ وَسَخَ نفسه وكِذْبَهُ إليها، واجتمِعُوا على كلمةِ الإخلاصِ والتَّوحيد، وأثبِتوا أسماءَ أهلِ التجريدِ والتنزيه والتمجيد. وليتولّى ذلك سبعةُ نَفَرٍ أو تسعةٌ مِن تِسْعِ مواضعِ في السترِ ممّن يُرضَى سِدقُهم ونَزاهتُهم على أهلِ الوَرعِ والتسديد. ولا يَأخذُكم في الحقِ لومةُ لائمٍ خارجٍ عن أهلِ التشبيهِ والتجسيد.

ولا تُهملوا أهلَ الطاعةِ والفضلِ من أهلِ الوادِيَيْنِ، ولا أهلَ الخيرِ من أهلِ بَالِسَ وأرضِ الفُرَاتِ والرَّقَّتَينِ، وتعاونُوا على التقوى والإصلاحِ والبرِّ، وكونوا من أهلِ السَّبْقِ كما وُصفتُم بدحضِ العَجَلَةِ والحِقدِ بسكونِ النفوسِ وكتمانِ هذا السّرّ. فقد فرغَ زمانُ الإمهالِ وفاتَ وقتُ الاستقالةِ وقبولِ العذر. فارعُوا بالرأفةِ حقوقَ بعضِكم بعض، واجتهِدوا في أداءِ السُّنَنِ والفَرض.

إخواني! قد تميّزَ الخَلقُ وحَصْحَصَ الحقُّ. والقائمُ على كلِّ نفسٍ بما كَسَبَتْ لا يجوزُ عليه الكذبُ والمَذَق[1]. فارعُوا حقوقَ أنفسِكم بالسدقِ والصبرِ والوفاءِ والطهارة، واجتنبوا أهلَ الزَّيْغِ والإفكِ الذينَ باءوا بعدَ الطاعةِ والربحِ إلى العصيان والخسارة. فقد نصحتُكم كما يجبُ على الدعاةِ الأبرارِ لإخوانِهم الموحِّدين الأطهار. والحمدُ لله المنزَّه عمّا يُعَبِّرُ بالبصائرِ والأفكار، والشكرُ لوليِّه جامعِ الخلقِ ومُجازِيهم على الحسناتِ والسّيّئاتِ في الأكوارِ والأدوار. وهو حسبي ووسيلتي إلى السكنى في دارِ القَرار.

وكُتِبَ في شهرِ ربيعِ الآخرِ سنة إحدَى وعشرينَ من السنينِ المباركة.

تمّتِ الرسالةُ والسلامُ.

---

(١) المذق، أي: غير الخلوص بالودّ.

٩٩

مَنْشُورُ إلَى آلِ عَبْدِ اللّهِ وَآلِ سُلَيمان

تكلّمنا على آل عبـد الله في مقدّمة «منشور إلـى آل عبد الله»، رقم ٩٠. وأمّا آل سليمان فهو اسم جامع لجـماعة الوادي، وشيوخُه على الجملة أعلى مشايخ البلدان من بعد الشيخ نصر، أوّل شيخ عقْل عند الموحِّدين بعد بهاء الدِّين. الوادي هنا هو وادي التَّيم. في هذه الرسالة يكتب بهاء الدِّين للموحِّدين يثبِّتهم في دعوتهم. كتب سنة ٤٣١ هـ.

توكّلتُ على المولى المنزّه عن الفِكرِ والتحـديد، وتوسّلتُ إليه بالإمامِ القـائمِ بالوعـدِ والوعيـد. منَ العـبدِ المـقتنى الناصـحِ لجمـيعِ آلِ التَّـوحيـد والإيمان، والإمامِ الـسادقِ بالقـولِ الثابتِ عن قـائمِ الحقِ ومسـيحِ الأزمان، إلى الإخوانِ الطهرةِ من آلِ عبد اللّه وآلِ سليمان.

ألسلامُ على من أزمَع ببصيـرتِه إلى التَّوحيدِ والإخلاص، وَبَرِئَ من نَجَسِ أبالسةِ الأدوار وتفكَّرَ في عـواقبِ العَرْضِ والقِصَاص، وتميّـزَ بنفسهِ الشَفَّافَةِ مِن خَرَصِ الكَذَبَةِ المدَّعِين، وتحـقّقَ قيامَ الإمام القائمِ بالحقِّ لمجازاتِ العالمين، وأذعنَ لمراسمِ حقِّهِ الجاريةِ على ألسنِ حدودِه الطاهرين.

أيّهـا الإخوانُ المحقُّـون! قد تقـضّتْ أيّامُ الفراعـنةِ الخَونةِ الأدعـياء، ونَهَضَ سَديقُ الأعـرافِ للآذانِ والنداءِ بأسمـاءِ الطهرة الأولياء، وقـد صاحَ

الصائحُ وانحجزتِ البُغَاثُ والضَّوابِح[١]. وتَعَنْجَرَ شؤبوبُ الماءِ الطاهر العذبِ ونَضَبَ الزُّعْقُ المالحُ[٢]

فتيقّظوا أيّها الإخوةُ من رقادِ الرَّيعَان، ولا تَلتَبِسوا بقولِ المَرَقَةِ الأدعياءِ أهلِ اللَّدد والخُسران. فقد مُنِع مِنَ الاستقالةِ بعدَ هذا الوقتِ والتوبة لطلوع الكَيوان[٣]. فتعاونوا على التقوى والبرِّ والإصلاح، وَاستَدِيمُوا بالسِّتْرِ لِمَا أوْعَزْنَاهُ إِلَيكُم عواطِفَ الرَّشَادِ والفَلاح والنَّجاح.

وليتدَبَّرِ الشيخُ الطاهرُ الرزين، ومَن معه من الشيوخِ الطهرةِ المتميّزين، بالسِّتر لإثباتِ أسماءِ المُعَامِلين، وليُنفِذُوا، في سترٍ وخفيةٍ، إلى شيوخِ آل عبد اللّه، نُسخَةَ هذا الكتابِ وهو مع الثِقَة الأمين، أعني مَن رَضيتَه لذلك وكان عنده وعندَ الشيوخِ من الحفَظةِ المُحِقِّين. ويُنْفِذُ أيضًا العاملُ ما حصل عندَه وعندَ آل عبد اللّه مع الثقةِ إلى جهة الشيخ ومَن معه من شيوخ البستان. وإنْ تعذّرَ عليهم مَن يَنهضُ بذلك فليقدِّموا إنفاذَها مَعْمًا عندَهم إلى آلِ أبي تُرابٍ من غير تلوُّمٍ ولا تَوَان.

أيُّها الإخوان! قد أَعذَرْتُ إليكم ونصحتُ وبيّنتُ لكم الحقَّ، وعنه أفصحتُ. فانتبِهوا لمواعظِ النذير، وافهَموا رموزاتِ السادقِ البشير. فما على الرسولِ إلاّ البلاغُ بالرِفق والموعظةِ والنصيحة، وعلى المُرسَلِ إليهم الفهمُ والقَبولُ بالطاعةِ الصحيحة.

والحمدُ للّه المنزّهِ عمّا يختلجُ في النفوسِ والأفكار. والسلامُ على وليِّه المجازي عليها والهادي إلى دارِ القَرار. وهو حَسْبي ونِعمَ النصرُ المعين على مكائدِ الأشرارِ والكفّار.

---

(١) البغاث طائر بطيء الطيران، الضوابح خيل مصوّتة. وهما ممثولا محمّد وعلي.

(٢) الزعق : الماء المالح الغليظ المرّ.

(٣) الكَيوان: إسم زحل بالفارسيّة؛ كناية عن قائم الزّمان.

وكُـتِبَ في شهـر ربيع الآخَـر من سنة إثنين وعـشـرين من السنينَ المباركة إلى آل عبد اللّه وآل سليمان.

فصل : ولمّا وردَ الشيخُ ابو القاسم والشيخُ أبو المعالي إلى البستان، واجتمعَا مع نصرٍ وقضيَا معه مـا ورَد من جهتِه إليه ومضيا، وردَ إليه كتابُ سُكَين بخطِّ يَدَيه، يذكرُ فيه: وقد جـعلتُ لكَ النظرَ في جميعِ الأملاكِ ومطالبةِ مَن عليه دَين واقتضَاه.

تمّتْ والحمدُ لمولانا وحدَه، والشكرُ لوليِّه عَبده.

١٠٠

مَنْشُورُ أَبِي عَلِيّ

أبو علي بن وهب من ميمس. نشأ بها. كان من مشايخ البلاد، وممّن عليه الاعتماد. فلما جاهر سُكين بالارتداد، توقّف أبو علي عن شرح حاله للجماعة، ومشى في حماية سُكين، فجرى عليه بذلك ملام. ثمّ رجَع إلى نفسه فرجَع إلى الحقّ، فأرسل إليه بهاءُ الدِّين هذا المنشور يدعو له بطول البقاء.

وصل كتابُك يا أخي والعزيزُ عليَّ وعندي أطالَ اللّهُ بقاك وأدامَ عزَّك ونُعمَاك. ووقفتُ عليه وشكرتُ مَن لا يَخيبُ شكرُه. فهذا يا أخي كلُّهُ شيءٌ قد فات وفرَغ، وما بقي لإعادةِ الكلامِ فيه وجه، ويجبُ أنْ تعلمَ أنَّ بينَكَ وبينَ مولاي الشريف محافظةً وسَدَقَةً فيجبُ أنْ تدومَ عليها، وما قدرتَ عليه من جميعِ ما بقيَ له عندَ من أقرَّ بما عليهِ من غيرِ إكراهٍ ولا استعانةٍ بيدِ غالبةٍ فخُذْه ممّنْ أقرَّ به على جميل. ومَن أنكرَ وظَلَمَ وأخفى ما عليه فلا تُطالِبُه بشيء، ولا يكونُ بينَكَ وبينَ أحدٍ إلاّ الخير.

فقد علمتُ أنَّ ابنَ تميمٍ وابنَ سُكَينَةٍ ما خَرَجَا إلاّ على سَبِّ مَولايَ الشريفِ. وبعدَ هذا أوقَعُوا فيه بالقَبيحِ، فأنكرَ عليهم مثلَ ذلك. ولكَ به أسوة. وبعد هذا فقد فكَّ مولايَ الشريف ضمانَ هذه الضيعةِ، وما بقيَ له حاجةٌ إليها لأنَّ مَا لَهُ فيها فائدةٌ كبعضِ ما يَخْسَرُ عليها. وبعد الخسارةِ سَماع ما لا يجب. ولو تناهيتُ في مكاتبةِ الفصولِ من الكتب الواردةِ إليه،

لَمَا وَسَعَهُ كتاب، ولكنِ الاقتصارُ فيهِ كفايةٌ لذوي العقولِ وأُولي الألباب. وبعد ذلكَ، بسمِ اللّهِ الرحمنِ الرحيم. وما توفيقِي إلاّ باللّهِ العليِّ العظيم.

فليعلَموا إخواني الشيوخُ الطهرةُ صانَهم اللّهُ وتولاّهم، أنَّ الشيخَ الطاهرَ ابنَ وَهَبٍ، أبا عليٍ، معروفٌ بالثقةِ والصِيانةِ والتَسديق بالوليّ، وأنّه لم يكنْ له ذَنبٌ سِوى توقُّفِهِ عن شرحِ الحالِ للجماعة، وقد شاهدَ الأمرَ وعاينَه، ومشَى في حِمايةِ الخائبِ ممّا ناقضَ به الحقَّ وبايَنَهُ.

فلمّا أفاء إليه لُبُّهُ، ورجَعَ إلى الحقِّ كما أَلِفَهُ منهُ عقلُه وقلبُه، شَرَحَ للجماعةِ أفعالَه ومخازِيه. واللّهُ يكافئُ كلَّ أحدٍ على نيّتِهِ ويُجازِيه. وباللّه، إنّه عندِي السادِقُ الثِقَةُ الدَّيِّنُ البَرور. واللّهُ لمن تابَ فهوَ العُفُوّ الغَفُور.

فلتعرِفُ الجماعةُ حقَّه وموضِعَه بغيرِ تثريب، وما جَرى من ذكرِه في الرسالةِ فهو فَي سبيلِ التّوبيخِ والتأنيب. ولا يقدحُ في نيّاتِ أهلِ الحقِّ ما أسْدَى به الشفيقُ الناصحُ من التعنيفِ والتأديب. وأنا أخصُّه بأتمِّ التحيَّةِ وللجماعةِ بالصحّةِ المرضيّةِ.

وأمّا أخي، حَفَظَهُ اللّهُ وتولاّه، فقد شاهدتُ سِدقَه عند الجماعةِ وحقّقتُ وفاه، وما جرى منه من ريبٍ وَعَجلَةٍ فالشيخُ الثِقَةُ الدَّيِّنُ لا يعتمدُه وعفاه. واللّهُ يَتُمُّ له وللجماعةِ ما تَضَمّنَتْهُ فيهم من الفضائلِ وأوفَاه.

وأمّا إخوتي شيوخُ آلِ عبد اللّه الطهرةُ، أهلُ الصبرِ والفخرِ والأناة، فاللّه يكفينا فيهم وفي الجماعة ما نحاذره ونتوقّاه. وأخبارهم تَرد إلينا بالثناء الجميل والحمد. ومنازلهم تترقّى عند اللّه ووليّه بالعلوّ والمجد.

وذَكَر أخي حالَ الكِساءِ والقَميصِ الذي خَلَّفَهما الشيخُ المظلومُ الزائدُ في الثقةِ على الثقاتِ، فَلْيُبَعْ ذلك وَيُفَرَّقُ ما يحصلُ منه على الضعفاءِ من الأهلِ والبناتِ.

وأمّـا السيفُ الذي عـندَ أخي أبي الخيـرِ فـهو أحقُّ به عـلى جمـيعِ الحالات. والشِراءُ فـما هو لحَاجَةٍ إليـه، وما أخلصَ في خِفيـة وسترٍ. واللّهُ، الخليفةُ عـلى الجماعة، مالكُ الحـمدِ والشكر. وهو حسبي ووليُّـهُ المنتقمُ من أهلِ الغَدرِ والنُكر. والسـلامُ لآلِ عبد اللّه وآلِ سليمان.

تمّتْ بمنَّةِ وليٍّ الأمر.

١٠١

مَنشُورُ رَمزٍ لأبِي الخَيرِ سَلامَة

أبو الخير سلامة ابنُ حسَن، ابنُ جندل الـدِّيِّن النفيس. لقـبُه حـقيقُ الدِّين. قريتُه بكَيْفَا. نسبتُه إلى بني بَرْغـشه. كان كبيـرَ شيوخ وادي التَّيم في الدِّين والعمر. ذكـرَه المقتنَى في عدّة مواضع. وهو الذي نزل عنده لمّا جاء الشام. وهو من مشايخ آل سليمان. في هذا المنشور رموز كثـيرة : ظاهرها تجارة وبضاعـة وأرباح وخسارة، وباطنهـا: الدّعوة والتّوحيد والرسائل والحدود والمقامات، وغيرها.

بسم اللّه الرحمن الرحيم.

كتـبتُ أطالَ اللّهُ بقاءَ أخي الشـيخ أبي الخيـرِ سَلامَـة، وأدامَ تأييدَه وحِراسَـتَه، وتوفيقَـه ونعمتَـه. مِنَ المُستَقِرِّ بالإسكـندريّةِ في شهرِ شعـبان خَتَمه اللّهُ بالسَعادَة، وسـهّلَ لهُ في مَالِهِ وتجارتِهِ النموَّ والزيادَةَ، عن سلامةٍ لا زالتْ شـاملةً لأهلِ الثِـقَةِ أمـثالِهُ، ضـافـيةً عليـهِم لطهـرِ أذيالِهم وأذيالِه. والحمدُ للّهِ ربِّ العالمين، وصلواتُه على رسولِه أفضلِ النبيّين، وعلى أهلِ بيتِه الطهرةِ الميامين.

قد اتّصلَ بنا يا أخِي ما بِنَاحِيَتِكُم من تغـييرِ أحوالِ التجارات، وما آلَ إليه أمـرُ الذينَ كانوا عندَنا من الطهرةِ الثِـقات، حتّى صاروا إلى الخِـيانةِ في بَيْعِهم والخروجِ عن الطاعات، فَلزِمُهم بِركاكَةِ عقولِهم أعظمُ الخسارات.

وأمّا مـا كنتَ أنتَ حملتَه في العـامِ الماضِي من القُطْنِ[1] الذي قَطَعُوا عليـه التَدمرِيُّون، فَـأَمْرُهُ قـد فات. وقـد أخلَفَ اللّهُ في تِجارتِكَ الذي قَـبِلنَا، وَجعلَ لكَ فيـها أعظمَ البركات. فدُمْ على ثِقتك وطهـارةِ نفسك، وثقةِ روحك. ولا تَخْلُطْ بِضَاعَتَكَ ببضاعـةٍ رديّة. فَسلَّطَ اللّهُ على كلِّ مَن تاجرَ بِمَالِنا وخَانَ فيهِ الأمـراضَ المَعْدِيَّة، والعِلَلَ الوَبائِيَّة. ولا يَجعَلُ له ثمرةً في جـميعِ ما تقلّبَ فيه من تجارتِه، وعاقبَهُ على ذلك ورفَعَ عنه جميعَ بَرَكَاته.

قد كنّا أنفذْنَا إلى جهةِ الشيخِ أبي الفـتحِ، كَلاَهُ اللّهُ، شيئًا مِنَ الدِّبَيْقيِّ والشَّرْبِ صَـالِحٌ في الثَّمَنِ[2]، وَمَحْـزومَةٌ فيهـا أرديةٌ عَدَنِيّةٌ وَبُرُدٌ مِن أفـخرِ أعمالِ الصـينِ[2] ، والتقدُّمُ ببيعِهـا بما سهّلَ اللّهُ وَرَزَق. ولا يعتلُّ بعلّةِ بَيعِها، ولو بالجزيرةِ. ولا يُقالُ هذا كَسَدَ وهَذا نَفَق.

وقد اتّصل بنا عن أبي الحلى، لا أحسَنَ اللّهُ جـزاهُ ، وعجَّلَ عِقابَه في دُنيـاه قبلَ أُخـرَاه. أنّه أهملَ مـا كتـبنَاهُ إلى عمّـارٍ رَضِـيَ اللّهُ عنهُ وأنفـذنَاه، وأوثقنا حَزْمَـهُ أيضًا إلى الوكـيل وشَدَدْنَاه. وتأكّـدنا عليه في تقـديمه البَيْعَ وأمرناه. وأنّه الغافلُ أمَرَ بتقديمِ الخسيسِ من تجاراتِ السُّفَل، وأخلَطَ ما معَهُ من المتجَرِ الرابحِ بمقـابحِ الخَوَنَةِ أصحابِ الزَّغَل، ورجَعَ إلى ما اعتـقدَ وألِفَهُ من الخِيانةِ مع الوكيلِ وحلفائِه الأُوَل.

فاللّهُ يـكشِفُ سِتْرَهُ عـمّنْ خَانَ روحَـه وأفسدَ المُعـامِلين، ورَفَعَ عنه حِلمَـهُ وأطلق عليـه وعلى أمـثـالِه سيـوفَ مَن جَـاوَرَهم من الرّومِ الخَـوَنَةِ المشرِكين.

---

(١) ممثولُ رسائلِ التوابيخ التي مَنَعَ وصولَهَا شرذَمَةٌ مِنَ الكافرين.

(٢) هي مَمْثولاتٌ الرسائلِ المرموزةِ. الدّبيق : بلد بمصر .

وكذلك بـلَغَنا كتـابُ المُديرِ الناكِثِ حَسَنِ السـاكِنِ بِكَفْتِينَ، ومـا شَنَعَ نفسَه بمقابحِ مَنْ هو أخسُّ أنْ يُذْكَـرُ الشيطانُ السِنديّ الذي رجعَ إلى ما أَلِفَه من شياطينِ أهلِ الخِلافِ المدَّعين. وعرفـتُ أنّه ذَكَرَ أنّه دَاوُدُ الأصغرُ الملحِدُ الفاسِقُ الخَـيّنُ العاهر. فلعنَ اللّهُ قـومًا يُجَـوِّزون على أنفسِهـم باطلَ المقال. ولَولا أنّها نفوسٌ نَجِسَةٌ أظهرَ اللّهُ فـضائِحَهَا بالنَّجَسِ للعالَمِ السَفَلَةِ الأرذال، لم يَنخدِعوا في أمـوالِهم لِوضيعٍ كذّابٍ فقـيرٍ منَ الثروةِ والمال. فَيكفـيهم ما بِتجارتِهِم عليهِ من الضّعفِ والانسفـالِ والخُسْران. وعِقابُ اللّهِ أقرب، واردٌ إلى الخَوَنَة مع عذابِ النيران.

وقد كنّا أنفـذْنَا إلى جهةِ الشـيخِ أبي الفتحِ حَفَظَه اللّهُ مـا حَزمْنَا مع أعدالِ الكَّتـانِ فَلْيُحْطَاطُ على بَيعـهِ من غيرِ تضـجيعٍ ولا توان[٣]. فهو عندَنا الطاهرُ الثِـقةُ المأمون. ومَن باعَ غـيرَ بيـعه، أو ردَّ قولَه، فـهو الغـادِرُ الخَيّنُ الملعون.

وأمّا حِرْمَاشُ أوبقَه اللّهُ بِجَريرَتِه فقد خانَ لقلَّةِ ثقته وَوَضَاعةِ نفسِهِ في الرسـالة. فلا أوجـدَ اللّهُ الخَـوَنَةَ وهم يعلمون الـرحمـة ولا أمكنهم من الأقالة.

وأما الشَّزْبُ والدِّبَيقِيُّ فهو على غايةٍ من حُسنِ العاقبةِ في حَمْلِهِ.

وأمّا الكَتّـانُ فهـو غالٍ ثقـيلُ المَحْملِ مُضِـرٌ بالتاجـرِ لكثرةِ مـؤُونَتِهِ وَثِقْلِهِ.

وأمّا الهُلَيلَجَات والقِرْفَةُ والزَّنجَـبيلُ وجميعُ البَهَارَات[٤] فقد انقطعتِ

---

(٣) أي على توزيع الرسائل غير المرموزة بتأنٍّ وتحفّظٍ وتستّر.

(٤) «هي ممثول الرسـائل العاريّة من الرمز وفـيها الحقـائق والمفترضات وذكـر الحدود

السُّبُلُ بتاجِرِه ووَقع عليه إِعسَارٌ فلا تذكرُه في شيءٍ من المكاتبات.

واحـرَصْ يا أخي أبو الخيـرِ في إيصـالِ هذا الكتـابِ إلى أبي الحَلى فلعلّه يرجِعُ عـمّا اعتمـدَه من الخيانة والـرذائلِ والاستكبار. ومـا قَبِلَكُم من البضائعِ فـقد أغنى اللّهُ عنه وله الحمـدُ لِسعةِ ما لنا في جمـيعِ الأقطار. وقد آيسْنَا منهَ واسـتَخْلَفْناه عند اللّه الواحـدِ القّهار. فـهو المنتقِـم من أعداءِ الدِّينِ الخَوَنةِ الفجار.

فمـا سلَّمه اللّهُ من هذا المالِ ورجَعَ فـاللّهُ أعطاه. وما كَسـرُوه وكلاءُ الظلمِ والجور فاللّه يُهلِكُهم ويُعجِّلُ لمن ظلَمَ خزيَه وجَزاه.

والحمدُ لـلّهِ مهلكِ الخونةِ ومميِّزِ أعـمالِهم، ومعجِّلِ خـزيِهم على ما احتقُبوه، ومقرِّبِ فضيحتِهم قَبْلَ ورودِ آجالِهم.

تمَّتْ والحمدُ لمولانا وحدَه، والشكرُ لقائمِ الزمانِ عبدِه.

والمقامات ...

١٠٢

مَنْشُورُ الشَّرْطِ وَالبَطِّ

هذا المنشور هو رسالة في الردّ على شيوخٍ أنقصوا من الاحترام الواجب عليهم نحو بهاء الدِّين المقتنَى. ولكي يبرِّر بهاءُ الدِّين عنفَه وردَّه، عاد إلى رسالة الموعظة يَستشهد بها، ويوجب على الشيوخ: الشَّرْطَ، والبَطَّ، والقَطْعَ، والكيَّ، أي: العتب، والتعنيف، والهجرة، والتبرِّي.. هذه ألفاظٌ من الطبِّ، تُشير ما لبهاء الدِّين من معرفةٍ بالطبّ.

بسمِ اللّهِ الرحمنِ الرحيمِ حدود قائمِ الدِّينِ.

أيُّها الشيوخُ الطّهرة! قد أعذَر نذيرُ الآخِرَة، وأوجبَ الحُجّةَ على الأممِ بالحِكَمِ المُعجِزةِ والبراهين الباهِرَة، وقد استسلم بمعاني الحقِّ أهلُه وذوي النفوسِ المميِّزة والعقولِ الساكنةِ الطاهِرة. فَمَنْ لَحقَه الشكُّ في نفسِه فَلْيَعلمْها بما جَناه وشاهده. ومَن كانتْ نفسُه بَرِيّةً من الشكوكِ ولا يرتابُ بما عَنى به غيرُه لما مِن الشرف عاينَه.

وأمّا ما ذكروه الشيوخُ من اشتغالِ قلوبِهم بالوعدِ والوعيد، وإشفاقِهم من الوعظِ والزجرِ والتهديد، فلقد، باللّهِ، آلَمَنَي ما ذكروه، وَفَجَعني ما تخيّلُوه وتصوّرُوه، إذ خَفِيَ عنه أنَّ حِكمةَ القائمِ، سلامُ اللّهِ على ذكرِه، الجاريةَ على لسانِ حجّتِه وعبدِه، يأخذُ منها كلُّ ذي حَدٍّ من حدِّه، ويبلغُ بمعاني حقِّها إلى ربِّه وقصدِه. وكيف يُظلَمُ بالتونيبِ الوليُّ الطائعُ الناصح. وكيفَ يجري مجرَى الخيانَةِ الفاضِلُ الراجِح. ومَن ذا الذي في

العالَم يرفع نفسَه عن الأمر والنهي والوعظ والزجر. ومَن ذا الذي قَبِلَ الحقَّ وسلَّم في السـرّاءِ والضرّاءِ لوليِّ الأمـر. للّهِ إنّهم في هذهِ الجـزيرةِ لَقليلون العَدَد، منقطعون الأصلِ والمدد.

وأمّا ما ذكره الشيوخُ من الجَـفا وَضربِ الأمثالِ بمنْ لا يثبُتُ له في الحقِّ قاعـدةٌ ولا مَقَال، فـحاشَى اللّه من هذا القـول البيِّن المُحال، إذِ الجـفاءُ وَضْعُ الحقِّ في غيرِ موضعِه وأصلِه، والرميُ بالباطلِ لغيرِ مستحقّيه وأهلِه، وقد بَرَأْنَا، ولله الحمد، من هذا الفـعل، وارتبط بمن أورَقتْ فروعُه منه وكانَ له كالضياءِ والأصل.

وأيضًـا فأيّ حقٍّ يَثْـبتُ لمن كَذَبَ على أهلِ الحقِّ، وأيُّ قـولٍ صَحَّ لمن قام بـالباطلِ على أهلِ السـدقِ. وكتـابُ الشيـوخِ ورد إليَّ ببراءَةِ نَصْـر،ممَّا شَنَعَـه بهِ ابنُ أبي حُـصَـيَّـةَ وغَنّامُ.وقـد كُتِبَ بـه خَطًا عندنا بما قـالوُه من الاختلافِ والكذب والمَذْقِ، وتعيينِ من لاوَمـهم بإحالة القول. وهذا من أعظمِ النَجَسِ والفِسق.

فإنْ كانوا الشيوخُ أعنُوا بأنَّا جَفَونَا عليهم وبهذا القولِ عنيناهم، فقد تَصَوَّرَ في نفوسِهم غيـرُ تصوّرِ أهلِ الحقِّ، وبنوا رأيَهم في هذه المكاتبةِ على غـيرِ الرّشـدِ والسدق. وهذا وحَـاشـى أهلُ الدِّينِ ان يكونوا بِعلَلٍ قـد أزمنَتْ، وأداءٍ قد تمكّنتْ، واشتبهتْ أجوِبتُهم بفجاجةِ الكرديِّ، وما به تباينتْ.

وإنْ كـانوا أَنِفُـوا من العَتبِ لمـن باءَ بالكذب ومن الوعظِ والتـونيبِ، وخَشـأَتْ نفـوسُهم من الزجْرِ لِمَنْ هذا بسـبيلِه والتأديب والتهـذيب، فما أنا عليهم بحسيبٍ وقد قَصُرَ الزمانُ عن تكرارِ هذا الخطاب. وأنا أرجو أنْ يكونَ هذا من طغـيانِ القَلم أو غَلَطٍ من كـاتبِ الكتاب، أو جـرى على غـيرِ إرادةٍ، أو غَفْلَةٍ بلا اعـتقاد. فـاللّهُ لا يُتبِعـهم بالغَلَطِ وزرًا، ولا يَضـع لهم عند أهلِ الحقِّ قَدْرًا ولا ذِكْرًا.

وقـد قرأتُ في بعضِ سـجلاّتِ الحضـرةِ الطاهرةِ إلى بعضِ دعـاةِ الجزائرِ أنّ أضعفَ الأدويةِ المسكِّنـات، وأقلَّها نفعًا المُطفئـات، وأنّ المنفعَةَ في العقاقيرِ البَشِعةِ والشرْطِ والبَطِّ والقَطْعِ والكَيّ(١).

وقد ثبَّتُ فيـما بيّضْتُ من مكاتَبَتَين أصدرتُهمـا على يدِ سَعدِ الحلبي والشيخ أبي الشبل أن تقبَلَ شيوخُ المواضعِ إقالةَ مَنِ استقال، وتوبةَ مَن تابَ بحضرتِهم بعـد الهفوةِ من الأصحـابِ والإخوةِ والأهلِ. ومَن تعرّضَ لشيءٍ من الرذائلِ والقبائحِ بعـد التوبةِ والاستقالةِ ووكيـدِ الإيمان، أُبعِدَ من الجملةِ وَعُرِفَ بـالخُبْثِ والنكثِ والطُغـيان. وأنا مُـؤَكِّدُهُ فـيمـا بعدَ اليـوم وفي هذا الأوان.

وقد وصـلَ إلى هذا العالَم من حكمـةِ الوليِّ على يد عـبدِهِ أكثـرُ ممّا يستحقُّوه. وما بقيَ لأحدٍ منهم على اللّهِ ووليِّهِ حجّةٌ ولا حقٌّ فيطلبوه.

فليرجعُـوا إلى تصوّرِ ما عندَهم تُحَصَّل من المعالم المبـهَرات، وتُفهم ما صدرَ إليهم من البـراهين والآيات. ولا يكونوا كمن هو عنه بِمُعزلٍ من أهل الأرتداد والشكِّ والشتـات. ويتحـقَّقوا بالعلمِ وُرُودَ يومِ الميـقات، ويغـتنموا نصيحـةَ مَنْ لا يسألُهم عليه أجرًا ولا يحمِّلُهم في النداءِ عليـه والأنكارِ لحقِّه إثمًا ولا وِزرًا.

وأمّا الفصلُ الذي ذُكِرَ فيـه الواردون من بَلَدِ الشمال، فإنّه وَرَدَ إلينا بعضُ مـا أحـدَثوه من مـقابحِ الأفـعـال، وكِـذبهم على اللّه ووليِّـه بالغُـدُوِّ

---

(١) جاء معنى هذه الالفاظ ومـدلولها في رسالة الموعظة رقم ٨٧ : **الشرط**: مثل قوله في الموعظة : فاعتبوه وعظوه، **والبط**: لوموه وعنّفوه، **والقطع**: إن طال به السفه واللدد فاهجروه، **والكيّ**: إن دام على غيّـه فتـبرّأوا منه وأبعـدوه. فالشرط إذاً هـو العتب، والبطّ هو التعنيف، والقطع هو الهجـران، والكيّ هو التبرّي. هذه هي مواقف الداعي إزاء من ارتدّ عن دعوة الحقّ، دينِ التوحيد.

والأصَال، ورجـوعهـم عن الحقِّ والاعتـدال، فكتبْنَا إليكم فـيهم مـا كتـبنَاه، وأمرنَاكم بالبراءةِ ممّن استحـسنَ في الدِّينِ المقابِحَ اللائقة بغير أهلهِ وولّينَاه من المقتِ والسَخَطِ ما قد تَوَلاّه.

وأمّا أبو سليمان داوود فما رأينَا منه إلاّ خيرًا وبه عَرفناه. وباللّه إنّ له عليَّ لَحقـوقاً وَخَدَماً لـم يخدمهمـا غيرَه إلاّ القليل ممن شـاهدنَاه. وما له عندي إلاّ الأكملُ الأجملُ، والأبرُّ الأحـسنُ الأفضلُ. وأنا شاكرٌ للجـماعةِ على شكره وثنائه، وداعٍ إلى اللّه في توفيقِهم لطاعةِ وليِّهِ وأوليائِه.

وقد وصلَ إلى جِهتِنَا حَسَنٌ أخو أبو سليمـان فشاهدوا الجماعةُ ما بهرَهم من حُنُوِّه عليهم وإشفاقه. وَآلَمَتْ قلوبُ الجـماعةِ لألَم قلبِه واحتراقه. وقد خَرَجَ محمّدٌ إلى جهتِـه لِيَنْهَضَ معَه، ويسرَّنا بقدومِه ويبرِّدَ حرارةَ قلبِ أخيه ويَبُلُّ بعضَ أشواقه.

والحمدُ للّهِ المنزَّهِ بجبـروتِه وعلائه، الذي لا يغيِّرُ نعمتَـه ما استسلمَ أهلُها إلى وليٍّ حقِّه وأوليائِه، ولا يقـطعُ رجاءَ من لجأ إليه وَبرئَ من أعدائِهم وأعـدائِه. وصلواتُه على الإمامِ العـدلِ المنتَظر، ومـقيمِ الحـجّةِ على العـوالم بحدودِه من حيثُ العالَم، وتحيّاتُه وهو حسبُ عبدِه الضعيف المقتنى في يومٍ يندَمُ فيه المبطلونَ والشّاكّون، الذين آيسَوا من رجعتِه ولقائِه، وقيامه بسيفِ الحقِّ والعدلِ على من أَفَكَ عنه بجحْدِ حقِّه وآلائِه.

تمّتْ بحمدِ وليِّ النِّعمة.

١٠٣

مكاتبة الشيوخ الأوّابين

هؤلاء الشيوخ الأوّابون، أي التائبون، هم من آل عبد الله. كتب إليهم بهاء الدِّين هذه المكاتبة يهنّئهم بتركهم ضلالاتِ المضلّين، ويحذّرهم من بعض المؤمنين المرتدّين عن دعوة التَّوحيد، ويبشّرهم بأنَّ زمنَ انتصارِ دينِ التَّوحيدِ قريب.

بسم اللّهِ الرحمنِ الرحيم حدودِ قائمِ الدِّينِ. أحسنَ اللّهُ عونَ الشيوخِ الطهرةِ الأوّابين، وسهّلَ لهم سُبُلَ الرَّشاد، وأطرفَ عنهم أعينَ الخَوَنَةِ الملحِدينَ الأضداد.

أيّها الإخوان! قد فَرَغَتْ من عَدَدِ الحقِّ أزمنةُ المَرَقَةِ الجاحدين، وَتَقضّتْ أيامُ الغَطَارِسةِ المدّعين، الذينَ أوردُوكم حياضَ الإِبَاحةِ والفُسُوق، وَسَقَوكُم كأسَ المذلّةِ والعُقوق، وأطلَقوا عليكم بانتهاكِ المَحَارِمِ سيوفَ جميعِ الأممِ، وأوثَغُوا أعراضكم وجعلوكم عند الكافّةِ كالبقَرِ السائمةِ والغنم. فاللّه يعجّل استئصالَهم واجتثاثَ أصولِهم، ويمنعُهم الرحمةَ كما شاركوا أهلَ الورعِ بالبَلَسِ في نفوسِهم وعقولِهم.

وقد منَّ اللّهُ والحمدُ بورودِ محمّدٍ السندي الخيِّرِ يشرحُ له ما شاهدَه من شريفِ أفعالِكم، وما أنتم عليه من العفافِ والصيانةِ والطاعةِ والطهارةِ في جميعِ أحوالِكم.

فباللّهِ لقد كشَفَ الغُمَّةَ والألَمَ عن قلبٍ اتَّسَعَ لكشفِ مُبهَمَاتِ الأمورِ، وضلّوا أسَفًا عليكم بما فَرَّطتُم فيه من صيانةِ النفوس في طاعةِ ذوي الفسوقِ والفجورِ. وحمدتُ ذا العزّةِ والمجدِ والجلالِ والتنزيهِ، على ما وهبَ من كَبْتِ أبالسةِ الدِّينِ وأعانَ عليه من الرَّشادِ والتنبيهِ. وتوسّلتُ إليه بوليِّه القائمِ المنتظَر لتمييز العوالِمِ ومُخرجِهم من خُطَّةِ أهلِ الإشراكِ والتشبيهِ، أن يَفيَ بجماعتِكم إلى الأخصِ الأرفعِ من نَزاهةِ العقولِ والنفوس، ومُجَانَبَةِ مَن سَوَّلتْ لَهم نفوسُهم النَّجِسَةُ استحلالَ الرذائلِ وأفعالَ المجوس.

فكونوا أيّها الإخوةُ حَفَظَةً ورقباءَ عَلى من أوثَغَ أعراضَكم بنَجَسِهِ ومخائلِ مُحَالِهِ، واستزلَّكم عن الطهارةِ ودين الحقِّ بباطله وضَلالِهِ. واستأنَفوا في الطاعةِ من قَبْلِ تغييرِ الزمانِ وَوُرُودِ يومٍ لا تُقبَلُ فيه معذَرَةٌ ولا تُقال فيه عَثْرَةٌ لأحدٍ من الإنسِ والجَانّ.

فقد واللّهِ قَرُبَ ما بعُدَ وشَسَعَ، ولُعِنَ وخَابَ مَنِ اختَلَقَ وابتدَعَ، وقد سيَّرتُ المكاتباتِ إلى شيوخِ جميعِ الأصقاع، ومَنْ في المدنِ والضياع، أن يَقبَلُوا إقالةَ مَن خَرَجَ عن العدلِ ثم تابَ إلى اللّهِ ووليِّه واستقال، وإنابةَ مَن أنابَ إلى الحقِّ بالطهارةِ والاعتدال.

فمَن رجَعَ بعد الاستقالةِ والتوبةِ إلى المُروقِ والعصيان، وباينَ بالسَّفَهِ والردَّةِ والإفْكِ والعُدوان، أُقْصِيَ وأُبْعِدَ من جملةِ المؤمنين، ومُنِعَ الكلامَ وحُرِمَ النعمة المنونِ بها على الموحدين. والذي يَجِبُ على أهلِ الطاعةِ والدِّينِ من جميعِ الإخوان، ويُميطُ عنهم نَجَسَ الأبالسةِ المفرِّعين الشكِ والشركِ في أصولِ الأديانِ، أن تجتمِعَ أهلُ كلِّ موضعٍ مع شيوخِهم في مُعزلٍ مُحَصَّنٍ بالسترِ والكتمانِ، ويُشهِدونَ الباري على نفوسِهم ووليِّ الزمانِ، ويبتهلون بالتوبةِ والاستقالةِ هم وشيوخُهم ممّا فرَّطوا بالبراءَة من الأبالِسةِ والشياطينِ المفسدين النفوسِ والأديان، ويَستُروا حالَهم بالعقلِ

والسكونِ والفعلِ الجميلِ والرزانةِ والرَجَحانِ، ويتآلفوا على العفاف والصيانةِ والطاعةِ والطهارةِ ومكارمِ الأخلاق، ويتبرّأوا ممّن مَرَدَ وشكَّ ونافقَ وخرج إلى العِصيانِ والإباق.

فَوَحَقِّ الحَقِّ أيّها الإخوة! لقد نصحتُكم أفضلَ من نصيحةِ الأخِ لأخيهِ الشقيق، واجتهدتُ في استِنْقَاذِكم من الهلاكِ وأنهجتُ لكم سُبُلَ الصِدقِ والحقِّ وسددتُ ممّا يلي الباطل دونَكم الطريق. وما على الرسولِ الناصحِ سوى الاجتهادِ والإبلاغِ ومِن القائمِ على النفوسِ المعونةُ في التوفيق.

أيّها الإخوة! قد فرغَ زمانُ التوبيخِ والتأنيبِ والإمهال، وحَصْحَصَ الحقُّ ودحضَتْ كواذِبَ الأقوالِ والأفعال. واللّهُ الشاهدُ بِبَذلي النصيحةَ بما أقدَرَني عليه للكافّة، والمتولّي لمنْ أثَرَ خروجَه من خطةِ الأبالسةِ بالرحمةِ والرأفة.

والحمدُ للّهِ الذي تنزّه بعجزِ العقولِ عن كُنْه وليِّه فَتَألّه وتَقَدَّس، والشُكرُ لوليِّهِ القائمِ الذي ألهمَ أولياءَه الصبرَ على مَن لَدَّ في البطلِ ولنفسِه أوبقَ وأسَا. وهو حسبُ عبدِه الضعيفِ المقتنى في يومٍ تَزِلُّ فيه الأقدام، ويقومُ القائمُ بسيفِ العدلِ على مَن ارتدَّ وتنكّس.

تمّتْ والحمدُ لمولانا وحدَه، والشكرُ لوليِّه الهادي عبدِه.

١٠٤

مَنْشُورٌ فِي ذِكْرِ إِقَالَةِ سَعْد

هو سعد الحلبي أتى مهاجراً من حلب إلى الوادي في أوّل الدّعوة. فلمّا ظهرتِ البدع من الشرذمة مال معهم مدّة، ثمّ تنصّل، وسأل المشايخ في قبول توبته. فلمّا أرسلَ المشايخُ للمقتنى بعضَ المكاتبات عَرضوا اسمَه. فكتبَ في جوابهم منشوراً في ذكرِ إقالة سعد ودعا له وختم له بالسعادة (عن الدرر المضيّة).

بسمِ اللّهِ الرحمنِ الرّحيمِ حدودِ قائمِ الدِّينِ.

كتبتُ أطالَ بقاءَ إخوتي أهلِ السعادةِ والصفاء، المميَّزينَ بالأمانةِ والصدقِ والوفاء، عن آلاءِ بحمدِ اللّهِ متظاهِرة، ونعمةٍ بعد المأنّةِ والشكرِ مترادفة متواترة. وَصلَتْ مكاتبةُ جميعِهم، كَنَفَهُم اللّهُ بحِرزِ صيانته، وحَمَاهم من الأعراضِ الموبِقَة لِمنْ دَلَّسَ في دينِه وآمانتِه، وأتى بالمَقْتِ والسَّخَطِ بعد وضوحِ خيانَتِه وَفهِمتُها على تباينِ درجاتِهم وأصقاعِهم، وحمدتُ اللّهَ تعالى وسألتُه مَزِيدَهم من معالِمِ السعادةِ في نفوسِهم ومتاعِهم.

ووقفتُ على ما ذكروُه من حالِ سَعد وأوضحُوه في كتبِهم ورِقَاعهم، من توبتِه عن الشكِ العظيم والغيِّ والكفرِ الذي تقلّدَه، واللّهُ يتوبُ على مَن رجَع عن باطِله الذي أوّله مَن مَرَقَ عن الحقِّ وخَانَه بالبَلَسِ

واعتـمدَه، وأنْ يجعَلَه فـي جملةٍ من نَحا نحـوه ممّنْ تذكَّرَ بالفكرِ الصـحيحِ وتاب، واهتدى بهدايةِ قائمِ الحقِّ إمام العدلِ صاحبِ العرضِ والحساب.

وأنا فـوليُّ الزمانِ وحـدودُه يشـهدون على صـحّـةِ براءَتي من كلِّ فَدمٍ[٢] أبلَهٍ من أهلِ الخَـرَصِ والشكِّ والارتياب. ومَـن تابَ فاللّهُ يعلمُ سِـرَّه وفحواه، وهو يُوَلِّه بالعدلِ ما قد تولاّه.

وأمّا مـا ذكرَه الشيخُ الطاهرُ مـحمّد ابـنُ إبرهيم وأخوَاه الشيـخَان الخيّران، مِن حال محمّدٍ وجرّاح، وقد ذَكَـرَ نَصْرٌ استقالَتَهما. ومَن أثَرَ الحقَ على الباطِل ممّن هَفَا من الإخوانِ، فقد أصـدرتُ جوابَ كتبِهم مع جَوشَنَ بما يَجلي الغَثَا عن نَظرِ ذي السُبُل ويَروي ذي الكِظَّةِ العَطشانِ[٣].

وأنا أجدِّدُ القولَ كي يمتـثِلَه أهلُ السدقِ والصيانةِ من جمـيعِ شيوخِ البستـانِ والبلدان، فيمن هَفا وخرج عن العدلِ، إذا رَجَع إلى الحقِّ والـتَّوحيدِ والإيمان، وأشـهدَ على نفسـه ثِقـاتَ أهلِ الدِّين بالبراءَةِ من أهل الغَدرِ والفِسقِ والطُغيـان. فهذا لئـلاّ يكونَ لأحدٍ على اللّهِ حـجّةٌ بعد إرسـالِ الرسل، ولئلاّ يقولوا نحنُ معذورين لغيبةِ الوسائط وانقطاعِ الطرقِ والسبل. فهذا فَلَجٌ على أهلِ هذه الأصـقاعِ في أوقـاتِ السلامـةِ، وإقامـة الحجّـةِ عليهم قـبل أهوالِ القيامة.

وأمّـا ما أفـاضَ فيـه الإخوةُ الشـيوخُ الطهـرةُ من آلِ عبـد اللّهِ وآلِ سليمان، وآل أبِي تُراب وآل البستان، مِن ذكـرِ نَصْرَ وما هو عليه من السدقِ والدِّيانة، فـباللّهِ مـا خرجَ من عندي إلاّ وهو على غـايةٍ من الورعِ والعـفافِ

---

(٢) الفدم: الأحمق الغليظ الدم.

(٣) الكِظَّة: البطنة، أي ما يعتري الإنسانَ عند الامتلاء من الطعام.

والصيانة، وأنّهُ بَرِيءٌ إلى اللّهِ وإلى وليِّه ممّا أحدثوه في مَنزلِ حُسين ابن شبيبٍ بأمرِ مَنِ ابتدَعَ الباطِلَ وبايَن بالسفه والخيانة.

وقد صحّ عند ذي كلِّ عقلٍ أنّ ابنَ أبِي حُصَيَّةَ وغنّامَ هما اللّذانِ بالباطلِ صبغَاه، وَشَنَعا عليه بهذا الزورِ وَمَرَثا عَرْضَهُ وأوثَقاه، وإنّما شهِدَا عليه عندَنا بمحضرٍ من المؤمنين الثقات، وأنّ الجمَّ الغفيرَ من آل عبد اللّه قَطَعُوا الشهادَةَ على ما قذَفَا به نصْرَ وذكراه. وأبطلَ كذبُهما بالسدقِ بما فحص عنه الشيخُ الطاهرُ محمّدٌ ابنُ إبرهيم وعيّنهُ في مكاتبته أنّ آلَ عبد اللّه تبرّأوا من هذه الشهادةِ ولم يشهدْ بها سوى رجل وامرأة غير ثِقَتَين. هكذا ذَكَر في الكتابِ الأوّلِ وحكاه. ومن قطعَ الشهادَةَ على أهل الحقِّ بالباطلِ فقد أُخْزِيَ في أولاهُ وأخراه، وتبوَّأ من النارِ مَقْعَدَهُ ومثواه، وقد تبيّنَ إبطالُ هذا الكذبِ. واللّه يجازي من اخترَصه وسوّاه.

فلتكرّمِ الجماعةُ الشيوخُ لأبي القاسِم نَصْرَ، ويحفَظوا ذمّتَه وأخاه، ولتكنِ الجماعةُ مساهِمَةً له من شؤونه فيما ساءَ وَسُرَّ، ولا تثريبَ لأحدٍ عليه فلهُ خدمةٌ يحفَظُ لها حقوقَه إذ لا يجبُ في العدلِ أن يخرج السادِقُ بكذبِ مَنْ بَانَ فِسقُهُ ومُروقُه.

وهذا الكتابُ فليكنْ مقرَّرٌ في يدِ نصْرٍ لِتَحُقَّ منزلَتُهُ عند إخوانِه وأهلِه. ومن أرادَ من الجماعةِ الخيّرةِ في نسخِه فهو مُخَيَّرٌ فيه.

ألّلهمَّ إنّ التحقُّقَ لعلمِك بضمائرِ الخلقِ يؤمِّنُ أهلَ السدِق والطاعة من الحَيرة والسَخَطِ. وجهلُ أهلِ الأدّعاءِ بمعاني حكمتِكَ وآلائكِ بعد التخييرِ يُوقِفُهم تحتَ الخَيبَةِ والشكِّ والقَنَطِ.

ألّلهمَّ إجمعْ شَمْلَ أهلِ الحقِّ إيقَاناً وتسديقًا، وتحقيقًا وتثبيتًا. واجعلْ دائرةَ السُّوءِ على مَنْ شَنَعَ أهلَ الحقِ بالباطلِ لَعْنًا وخِزْيًا واجتِثَاثًا وتشتِيتًا.

والحمدُ للّه المنزّه عن عبارةِ ألفــاظِ ذوي الكمالِ المتألّهين، الذي تجالَلَ وليُّه يقطَع حـقَّه وعدلَه عن المحقِّينَ المستـرشِـدين. فجعلَ لُملكِه في إقـليمٍ عبدًا يُقيمُ به الحـجَّةَ على مَن ألحَـدَ في آياتِه وشكَّ فيه مِنَ الخَـونةِ الظالمين. وهو حسبُ عبدِه الضعيفِ المقتنى في يومِ حشر الخلائقِ وقيامِ الأشهادِ لفضائحِ الكَذَبَةِ المدّعين، يومَ يَعَضُّ الظالِمُ على يـديهِ ويقولُ: يا ليتني كنـتُ مِنَ المتَّقين الطائِعين.

وَيُنْسَخُ لِسَعد بعـدَ تقريره عند الشيخ أبا القاسِمِ نصْـر، ليُحدِثَ اللّهُ المآنَّةُ والشكر.

تمّتْ والحمدُ لمولانا وحدَه. والشكرُ لوليِّه عبدِه.

١٠٥

مُكَاتَبَةُ رَمْزٍ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي المَعَالِي

عن الشيخ أبي المعالي أنظر مقدمة «منشور الشيخ ابي المعالي الطاهر» رقم ٩٦ . كتب بهاء الدّين هذه المكاتبة باسلوب رمزي للغاية لا يدرك كنهه الا المتبحرون بالباطن ومعمّياته. يحذّر فيها من الذين مزّقوا سجلات المستجيبين وارتدوا على الدعوة بالباطل.

وَصلتْ مكاتبةُ الشيخِ الطّاهِرِ الزكيّ، ذي النفسِ الساكنةِ والعقلِ الزاهرِ الأبيّ. ووقفتُ على مضمونِ فصولِها، وتصفّحتُ مباني آرائه بمشروعِ الفروعِ وأصولِها. وكانتْ، شهدَ اللّه، كالماءِ البارِدِ على قلبِ ذي الكَظَّة الظَمْآن، أو كالبُرءِ من السُّقمِ المزمنِ الداء. وحمدتُ ذا العزّةِ والطَّول والمآنّةِ والنَّولِ على ما وَهَبَنيه من جميلِ الكفايةِ فيه، وفي جماعةِ الفلاّحينَ إخوتِه وبني عمِّه وذويه، وشكرتُ اللّهَ تعالى على ما ألهَمَهُ من العَطفِ واللُّطفِ والإمهَالِ على المزارعين، من اللّطفِ والسياسةِ والقولِ الحميد. فَأَلِنْ جَانِبَك لهم بِسَجايَاكَ النفيسةِ وأْمُرِ الجماعةَ بمثل ذلك ليعرِفوا بالقولِ السادقِ والفعلِ الرشيد.

وأمّا ما ذكرتَه منَ الأحداثِ في بعضِ المواضعِ والاختلالِ، وما هجَسَ في نفوسِ بعضِ الفلاّحين منَ الْوَنَا والفَشَلِ في العِمَارةِ والعزمِ على الارتِجالِ، فلا تَحْمِلْ على قلبِكَ وقلوبِ إخوتِكَ وبني عمِّكَ ثِقلاً من هذا الحال.

فهـذه الحُصَصُ قد أوقـفَها مـالِكُها لإصـلاحِ حِياضِ الماءِ السَـبيلِ، وعِمَارَةِ المسـاجدِ. فمَن خان فـيها فَعَلَى نفسِـه، ومَن أدّى الأمانةَ فللّهِ العليِّ الواحدِ[١].

وأمّا ما ذكرتَه من سوءِ تأثيرِ الوكـيلِ الذي مَضَى فَحَالُ هذا وأمثاله قد اندرَس وانقضَى. وإنّما هذه جولةُ الشياطين. وبعد هنيهةٍ يَفرحُ مَنِ اتّسعَ في العِـمارةِ، وكـثّر مِنَ البِـذارِ من المزارعينَ، ومَن صـبرَ على بردِ القَـرِّ نَالَ خُضْرَةَ الرَّبيـع. ومَن تهجّمَ على أخذِ مالِ الأجناسِ في سـبيلِ اللّهِ، فليسَ له غدٌ من شفيعٍ[٢].

وأمّا ما وَصلَ إلينا من حالِ الوكيلِ الخَـيِّنِ ومِن أمرِه بتمزيقِ جرائدِ الحساب[٣]، فنحنُ نضرِبُ عن هذا صفحًا ونُرجئُه ليومِ الجَزاءِ والمآب. وليسَ هذا ممّا يَضُـرُّ المـالك. وفي اللّهِ تعـالى عِـوَضًـا من كـلِّ هالك. وقـد أوصلَ مُوصِلُها جـميعَ المَوسومات. وأنا أقـولُ إنّ الصبرَ في جمـيعِ الأمورِ مطيّةٌ لا تَكبو بأهلِ الديانات.

وذَكَرَ حـالَ انقطاعِ الكُتبِ فـلا بدَّ مِن ذلك لعظَمِ حدّةِ هـذه الأوقات. وَمَنْ لم يَدّخِرْ لعيـالِه وَكِسوه، فيوشِكُ أن يلحقَهم ألَمُ الـسَّغَبِ وبردُ الشتاءِ. ومَن عرفَ مجاري الأزمنةِ لم يأخِذْهُ في الطَلَبِ الفَشلُ والوَنَا.

وقد كـانَ الواجبُ على الشيخِ أبي الحَسَنِ علي أنْ يُبَـيِّنَ للجماعـةِ ما

---

(١) «ألحصص» هم المسـتجـيبون. «حـياض الماء» : مـجالس الذكر. «عـمارة المسـاجد»: «ألعمارة» هي دعوة التوحيد، و«المساجـد» هي المجالس أيضاً ومعناها مجالس الذكر حيث يتعلّم المستجيبون دعوة التوحيد عن يد أحد الدعاة.

(٢) «ألوكيل» هو: الخائب سُكين. «ألعمارة»: التـوحيد. «بزار المزارعين» تعني الزخاريف الفاسدة والأفعال القبيحة. «برد القرّ» : الضلال والشك . إلخ.

(٣) الوكيل الخيّن : الخائب سكين. جرائد الحساب : المواثيق.

شـاهدَه من خلاف الدّعيِّ وعـايَنَه. وما كـانَ عليـه في كلِّ أفعـالِه من الخلَلِ والمبايَنَه.

فلا يَضْجَعُ الشيخُ الخـيِّرُ فيما آمرُهُ من المراعـاتِ لإخوتِه وبني عمِّه المزارعين، وَيَذُبُّ بنفسِه في السياسةِ الـشافيةِ لكافّةِ المجاورين، ويوضِحُ لي الشيخُ الفاضِلُ مجـاري أمورِ آلِ عبد اللّه وشيوخِهم ومـا هم عليه من صحّةِ اليقين. وَتَخُصُّ نفسَكَ العزيزةَ عليَّ، وجميعَ أهلِك وبني عمِّك بأتمِّ التحيّة.

وأمّا الجَـرْمَقِيّ، خـزاهُ اللّهُ، فمـا لنا منه عِلمٌ، ولا عندَنا منه خـبرٌ إلاّ شاذ. فمتى وردَ إليكم فأبعِدُوه. فَلَعَنَ اللّهُ من أصَّلَ له هذا وأقصَاه.

ويجبُ الاقتصارُ بعـدَ هذا في المكاتبةِ بعدَما تقدّمَ من فـصلِ القِسمةِ والمحاسَبةِ[٤]

والحمدُ للّهِ كما هو أهـلهُ وصلواتُه على رسولِه وآلِه، وسلّم تسليماً. وحسبُنا اللّهُ ونِعمَ الوكيل.

---

(٤)المحاسبة اي قسمة المخلّصين من المتلبّسين (الدرر).

١٠٦

مَنشُورٌ إلى المَحَلِّ الأَزْهَرِ الشَّريف

«المحل الأزهر الشريف هي الدعوة، وأين ما انقامت الدعوة بالمذاكرة على قوانين الدّين» (كتاب الدرر). فالمحلّ هنا يعني شخصاً لا مكاناً. وجّه بهاء الدّين هذه الرسالة «نصيحةً للأبرار الموحّدين»، ضدّ الأفّاكين الضالّين المخالفين. وسجّل فيها أسماء الشيوخ الطهرة، إسماً إسماً في «ديوان السعادة»، ولدى اكتمال لائحة الأسماء يرسلها إلى «ديوان المشيّة ومحلّ الإرادة». ومن المعلوم أنّ الإرادة كناية عن حمزة، والمشيّة كناية عن اسمعيل التميمي، ممّا يدل على بقائهما في قيد الحياة، ولكنّهما غائبان، يعرف المقتنى مكانَهما.

توكّلتُ على مولانا الغفورِ البارِ إلهِ العالَمين، وتوسّلتُ إليه بوليِّه المنتقمِ من أعداءِ الدِّين.

من العبدِ المملوك لوليِّ الزمانِ والدهور، ألقائمِ لجزاءِ الأنامِ وصاحبِ البعثِ والنشور، إلى جماعةِ شيوخِ الدِّيانةِ بالمحلِّ الأزهرِ الشريف، المتبرِّئين من أهلِ الشَطَنِ والتبديلِ والتحريف. ألسلامُ على مَن نظرَ إلى حقائقِ الحكمةِ بعَين بصيرتِهِ، واتّعظَ وارعَوى واعتصَم بحُجْزَةِ الهادي وليِّ زمانِهِ واهتدَى، وتنزّه عن التمسّكِ بعصمةِ مَن ضلّ عن دينه وانسفَلَ بعد علوِّه وارتدى، وكانَ له مِن نفسِه زاجِرًا عمَّنْ جَحَدَ النعمةَ ومَرقَ عن الحقِّ وغَوَى.

أمّا بعـدُ فالحمدُ للمـولى الإلهِ الحاكمِ البارِ، المنزَّه عن القِـدَمِ والعَدمِ وعمّا يختلِجُ في الضمائرِ والأسرار، الذي أوجَد كافّةَ بَريّتِهِ مُهتديَةً للمَصَالحِ والمَضَارّ، فَـلَجاً بالحُجَّـةِ على الحيِّ الناطقِ الإنسـانِ بما يجدُه في الحـيوانِ الصامتِ المكْبُـوب، وتنبيهًا له بمـا يراهُ فيما لا عـقلَ له لِتَقُومَ الحجَّـةُ بالعدلِ على العاصي والطائعِ بالثوابِ والعِقابِ الموجوب.

وسلامُـه على وليِّه هادِي الأمم، علّـةِ العللِ الموجودات، ومـالكِ جزاءِ النفوسِ على السيّئاتِ واالحسنات. وسلامُه وصلواتُه ورِضوانُه على حدودِ دينهِ وأتباعِهم المجاهِدين لآل البَلَسِ في أعظمِ الفَتَرات.

أيّها الإخوانُ الطهـرة! فقد تَقَضَّتْ مدّةُ الظَلَمَةِ الغـاصبين، وظَهرَ من القوّةِ إلى الفـعلِ ما اسْـتَتَرَ من ضـمائرِ المَرَقَةِ المدَّعِين، وبـاءوا بالسَخَطِ بما أحدَثُوه من النكثِ في الدِّين.

فتـنبّهُـوا أيّها الإخـوةُ من سِنَةِ النوام، ولا تتأسّـوا بأرجافِ المَـرَقَةِ الطُغَام. فهم أوغادُ الأنام، وأولادُ الحرام، أشـياعُ المُروقِ والجهالة، وأتباعُ ما سوّلتْ لهم نفوسُهم من العُقوقِ والضلالة.

فهم واللّه، أعني يالثَلَثَةَ أساسُ العَيثِ والفَسـاد[1]، وبأهوائِهم ومهنِهم الخبيثِة تخبُثُ نِيّاتُ النفوس بالخُلفِ والعِناد، المُورثِة لِنُقْصانِ المنازلِ وتغييرِ الصّورِ في يومِ الجزاءِ والمَعاد.

أيّها الإخوان! فـلا تُبطلوا مُقّدمات طاعتِـكم بِزخَاريفِ المموّهين، ولا تَنكُلُوا عن صـحيحِ الحقِ لانعكاسِ مَن شَـرَدَ من مبـاني الدِّين. فـقد وَرَدَتْ مكاتباتُ الإخوةِ آلِ سُليمانَ وآلِ عبد اللّه الأتقياء، بالتبرّي ممّن نَكَثَ عن دينهِ وخرَجَ عن الحقِ من السَّـهوَةِ الأشقـياء. وشكرتُ اللّهَ تعالى عـلى لَمِّ شمِلهم

---

(١) الثلثة هم، بحسب الدررِ المضيّةِ، لاحِقٌ وسُكينٌ ومُصْعَبٌ.

وتآلُفِ القلوب، وسكنتُ، شَـهِدَ اللّهُ، إلى مفـهومِهـا، وتحقّقتُ لسـدقِهم في الشهـادة، حَطَّ الأوزارِ وَمَحقَ الـذُّنوب. وكاتفَ ذلك مـا حَدَاني ممّا شـرحَاه الشيـخُ المُبرهِنُ السادِقُ صـفيُّ الدِّين، والأخُ أبو السَّـرَايَا، غنائمُ ابنُ محـمّد الخيّرُ الأمينُ، وحقّقاه عندي من حُسنِ طاعـةِ الجماعةِ بعدَ النِّفار والشَّيْف[٢]، واطِّراحِ الإِحَنِ وسلامةِ النفوسِ من الحَيْف.

فباللّهِ لقد قامَا لَبّثِ ما يُرجَى خَطِيـبَان، ولِنَشْرِ محاسنِ الجماعةِ من آلِ عبد اللّه وآل سُليمان، ولفضائِلهم بـالسدقِ مُذيعان. ولقد مثّلَ لي ما لَحِقَ بناتي وإخوتي من ألفـاظِ الرسائل من الألمَ وَالهلَل. فبـاللّهِ لقد آلَمَ قلبي ذلك وفاضتْ عيناي بِوَاكِفِ الدموعِ الرُّسَّلِ، أسفًـا على ما بساحتِهم من الخَرَصِ أُجْرِي إليه. ومن الغَلَطِ والتحريفِ ما لم أَطّلِع عليه.

وأنا محتسبٌ على ما أوتَغ أعراضَـهُم بالتحريفِ والارتياد، وسَاسَـهم بسيـاسةِ الغرَضِ والفـساد. وأنا ضارعٌ إلى مَن لا يخـيِّبُ ضَرْعَ مَن أخلصَ في دعائه وتوحيدِه، وأتوسّلُ بوليِّ الدِّينِ إلى المـولَى المتعالي عن تنزيه خَلقه وعبيدِه، أن يُثَـبِّتَ على الطاعةِ جماعَتَكم بالتـسليم لوليّه والرِّضى، وأن يَأخُذَ بِمَـضَـانِّ نيَّاتِـهم إلى الطريقِ الأقـصـد والسبـيلِ الأوسعِ الفَـضـا، وباري المبرؤاتِ، وجبّـارُ الأرضِ والسمواتِ، يَعْلَمُ أنّي لم أتصوّرْ لأحدٍ من الجـماعةِ حقـيقـيّةَ ذنبٍ في جمـيعِ هذا الخلَل، وأنَّ ذلك مُنَاطًا بمن عَوّل عـليه في رأبِ هذه الجمـاعةِ وتسـديدِهم عن الزَلل، فَنَكَل عن اللِّحَـاقِ وقَعَد بهِ عـن تصوّرِ الحقِّ خبـيثُ العمل. وإذا كانَ ذلك فالتـوبةُ قبلَ يومِ الجزاءِ تُمَحِّصُ مـا تقدّمَ لهم منَ الأوزار، والتآلفُ على التـصافي في الدِّين يُبعـدُهم من حريقِ النار. وإخوتي وشيوخي يتحقّقونَ ذلك.

---

(٢) النفّار: البُعد والتفرّق والصدود، والشَّيْفُ: البُغْضُ.

معمـا أنّي أقولُ إنّ الشيخَ ابو الحَسَن عليّ ابن الحسين الرئيس، لم يأمر بما فُعِلَ في عـمّارٍ رَضي اللّه عنه إلاّ قضاءً لِذِمـامِ مَن حقّق عنده النُّقْلَةَ والتأسـيس، لرجوعِ الخائبِ إلى أرذالِ العُمـرِ بالانسفال والتلبـيس. فلا لومَ عليـه إذا تنصّلَ ممّا اختـرصه وتاب، ورجَعَ إلى الحقِّ واعـترفَ بوليِّـه قائمِ العرضِ والحساب. فاقرأوا عليه وعلى مَن مـعه كتابي هذا وامشُوا به إكراما للحقِّ والطاعةِ إليه، لِتقومَ الحـجّةُ على مَن فَعَل معظم هذا الذنبِ، وإنْ تخلّفَ عليٌّ فَعَليه.

وقـد وقفتُ على جـمـيع الرِقاعِ والأسـمـاءِ والمكاتبـاتِ، من جمـيع الشيوخ الطهرة البريئين من الشكوك والتبـعات، وَحَدَاني، شهِدَ اللّه، حضورُ الشـيخِ الدَّيِّنِ أبي المعـالي حليفُ الثّـقـةِ والطهـارات، وتكاملتْ بتـآلفـه مع الشيـخَين السيِّدَين أبي الخيـر سلامة بن جندل، حقـيقِ الدِّين النفيس، وأبي الفضل حـمزة ابن أبي منصـور نصيـرِ الحقِّ الشريفِ الفـخرِ والتـأسيس، وَتَبَرّيهم ومَنْ ضَامَّـهم من حوَيْظَةِ مَن عَفا عن الحقِّ بالخُبثِ والتدليس.

ووقفتُ عـلى مكاتبةِ أخي مـشرَّفَ أخـو نصيـرِ الحقِّ فقبـلتُ دعاه، وشكرتُ مَسعاه، وكذلك أبو الحَسن أخو حـقيق الدِّين، والشيخ الخيِّر فُرَيْجُ ابنُ سُـرور، والحَسن جَـرَّاح ابن تميم، والحَسـن ابن البُطمي، وقَسّـامُ ابن عيسى، ومَن يَجري مجراهم من الكافّةِ المجاوِرين، وجميعِ الطهرةِ المحقِّين.

ووقفتُ أيضًا على ما وردَ إلى الشـيخِ المُبَرهِنِ السادِق صفّي الدِّينِ، أعني مكاتباتِ الخَلَفِ الطاهرِ من عـشيرتي وأهلِ الوفاءِ والأمـانةِ القاضيِين، لديونِ الأسـلافِ من أسرتي رَجَـا ابن يونس كفـيل المؤمنين، وَمُصَـبِّح ابن الحَسن شَدَّاد الموحّدين، وأبو طالب غَـذِيِّ العلم والدِّينِ، وإبرهيم ابن محمّد، وحسـين ابن عبد الرحمن، وأبي الفوارس نَجَا، وإبرهيم أيضاً، وبقيّة الجماعة ممّن لم نُسَمِّهِ. فجميعُهم إخوتي آلِ الطهارةِ والسيادةِ الموقِنين.

ووقفتُ أيضاً على جميعِ ما ورد من مكاتباتِ الشيخَين السيِّدَين أبي الدَّرْعِ جَوشَنَ وابي اللّقا ثابِتَ ألِيـفَي التوفيق، وقَسيمَي التســديدِ والتحقيق، ومنَ بحوزتِهما من الجماعةِ الموحِّدِين، وتحقَّقتُ سِدقَهم في البراءَة ممن نَكَثَ في الدِّين.

ووقفتُ أيضًا على مكاتباتِ الشيخِ الطاهر المبرهِنِ صفيِّ الدِّين، وما شَرَحَهُ وبيّنهُ من طاعةِ الشيوخِ السادةِ الدِمشقِيّين، وبعدَ أن كانَ ذَكَرَ لي أسماءَهم وأنسابَهم فشاهدتُ سِدَقَهم فيهم بالوجودِ والتعيينِ، وعرَّفني دخولَ الحِيلَةِ كَتْبِ شَهَادتِه في المحاضِرِ المكذوبَةِ للشقيِّ المَهـيْنِ، وَعَرِّفْني تنصّلَ الأخِ حَسَنَ المَحَامِلي فقبِلتُ. واللّهُ يجمعُ على كلمةِ الحقِّ نفوسَ المحقِّين.

وقد كتبتُ جميعَ أسماءِ الطهرةِ وأثبتُّها في دِيْوَانِ السَّعَادَة، وعندَ تكامُلِ بقيّةِ أشكالِهم بالبراءَةِ ممَّنْ خَرَجَ عن الطاعةِ تُنْقَلُ إلى دِيوان المَشِيَّةِ ومَحَلِّ الإرادةِ. وإنّي بلّغتُ عن ابي الحَسَن أنّه ذَكَر في بعضِ ما يقول، أنّه إذا فَسَدَتِ الفروعُ فَسَدَتِ الأصول.

وقد أسهبَ المسكينُ في هذا المَقال، ونظرَ من حيثُ هو يَتوهَّمُ المُحال. وأنا أجعلُ في هذا لأهلِ الحقِّ أصلاً يُبرِئُ من السُقم والأغلال، وأقولُ على الاختصارِ إنّ أصولَ النفوسِ في بعضِ مقدِّماتِ الحكمةِ هو ممازجتُها للأعمال، لأنّها تثابُ بمراسِمِ الحقِّ وتُعَاقَبُ بمعالِمِ الخِلافِ والضّلال.

وقد صحَّ أنّ أهلَ الحقِّ ليسَ يتساووا بأصولِ مَن خَرَجَ عن حقائقِ الديانات، ولا تُشَبَّهُ فروعُ الدِّين وأصولُه بالفروعِ والأصولِ الطبيعيات.

إعلَموا أيّها الإخوةُ أنّ الخَلَق مُخيَّرون ومَوقُوفون بعدَ هينيهةٍ لِلعَرضِ والحِساب والجزاء، وسيندَمُ مَن اختلقَ الباطلَ على أهلِ الحقِّ وادّعَا.

فأصيخوا أسماعَكم أيّها الطهرةُ، فهذا وقتُ التمييزِ لسماعِكم للآياتِ المحكماتِ، وتَطهَّروا بالسدق والسدَقات، وتنبّهوا لقوارعِ الحِكَم المعجزات. فقد اتّضحتِ المحجّةُ لعالمِ التخليق، وَفَلَجَتِ الحجّةُ على الأممِ بتعيينِ الجواهرِ المُبدَعَات.

فأينَ يذهبُ مَنِ استصرخَ في الفترةِ بشياطينِ الأحزاب، وركضَ بخيلِ الأبالسةِ على معالمِ الحدودِ والأبواب.

وقد كتبتُ هذا الكتابَ تخييرًا ونصيحةً للأبرارِ الموحِّدين، وخروجًا إليهم كما يجبُ لهم على أهل الحقِّ من تعيينِ المَرَقَةِ الأفّاكين، وإقامةِ الحجَّةِ على تخلّفِ المباهتين المعانِدين.

والحمدُ للّهِ المنزَّهِ عن الغايات، والشكرُ لوليِّهِ وارثِ مقاليدِ الأرضِ والسموات، وقَاصِمِ فراعنةِ الدِّينِ ومُهلِكِ جبابرةِ الفترات.

وأنا أستودعُ جماعةَ إخواني لِمَن الودائعُ في حفظهِ لا تُبَاح، وهو حسبي وبه أستعينُ وهو نِعم النصيرُ الفَتّاح.

تمّت والحمدُ لمولانا وحدَه. والشكرُ لوليِّهِ الهادي عبدِه.

١٠٧

مَنشُورُ نَصْرِ ابنِ فتوح

راجع في نصْر قصَّتَه في مقدمةِ «مكاتبة نصــر ابن فتوح»و رقم ٩٤. يظهــر من هذا الـ «منـشور» أنّ المـقتَـنَى كـان يكاتبُ نصـرًا بطريقـةٍ مـستـمرّة، ويظهـر أيضاً أنّ نصـراً كـان يسكن في البسـتان، وكـان للمقتنى في نصـر ثقةٌ عظيمة. وكان يكاتبه بالرُّمـون، ويوصيه بحفْظ السرّ والتسـتر والسكوت وإجمال الحال، لأنّ أمْـر الدّعوة أصبح، على ما يبدو، عسيراً للغاية.

وصلتْ مكاتباتُ الشَّيخِ الخيِّرِ الدَّيِّـنِ أطالَ اللّه في سموِّ منزلتِه بقاه، وأحسنَ عن حميدِ طاعتِه واجتهادِه جَزَاه.

ووقفتُ على ما سهُلَ منها، وقبضــتُ على ما حملَه من جهةِ أصحابِ الديون، وقــابلتُهـا بما تقدّم فــوجدتُهــا صحـيحــةَ الكَيلِ والوزنِ والعــيونِ. فحــمدتُ اللّهَ تعالــى على جزيلِ نُعَمَــائه، وتوسّلتُ إليه، بإمــام بريّتِه وأجلِّ أسمائه، أنْ يكفيكَ والجماعةَ قبلك بحفظِه وصيانتِه وجميل آلائه.

وأمّا مــا ذكرتَه وسألــتَ فيه من الحَثِّ على إدمــانِ المراسلَة والكُتُب، فإنّهــا تُقوّي قلوبَ الكافَّــةِ وتكونُ عندَهم كالغَيثِ الــهاطلِ من السُحُب. فــقد سَدَقتَ في ذلك وما زلتَ ســادقًا بارًا، لكنِ الشيطانُ قد نَصَبَ حــبائِلَه لمن في قلبِه المرضُ سرًا واجــهارًا، وَالْتَفَّتْ أشراكُه عــلى ما في صدورِهم والأعناق، وأظهرَ زمنُ التمييزِ ما أخفَوه من السرَقِ والإباق.

فقد جَعَلَ الباري سبحانَه لِخَدَمِ وليِّهِ عُذراً يعتمدون به بعدَ الإجتهادِ في الطاعةِ عليه، وسببًا مُوجِبًـا على كلِّ أحدٍ من أهلِ الحقِّ التّفكّرِ فيما حَفِظَه ووصَلَ من النعـمةِ إليه، وتحـقيقًـا لإحكامِ الفتـرةِ لظهور ما بـقيَ من نيّاتِ نَجَسِ أهلِ العقائدِ والمذاهب، ليَخرُجَ من القوةِ إلى الفعلِ ما استتَر في الأكنانِ لوجوبِ التمييزِ بينَ أهلِ الحقِّ وبينَ الخَوَنَةِ الغواصبِ. فاستُر نفسَكَ وامسُكْ لسانَك، ومَن بحـوزَتِكَ عن الكلام الخارجِ عن أهلِكَ وإخـوانِك فما لكَ حـاجةٌ تدعوكَ إلى مناسَمَةِ غيرِهم في سرِّكَ وإعلانِك.

وقـد أنفدتُ إلـيكَ المكاتبـةَ الواردة من عليٍّ أبي الحَـسَنِ على يدِ أبي السَّرايا السِّراج، فإنْ كانَتْ وَصَلَتْكَ وإلاّ فـاكتبْ إليه بما ذَكَرْنَاه فلعلَّه يرجِعُ إلى السبـيلِ الأقصدِ وحقيـقيّةِ المنهاجِ. وكـاتبِ الشيوخَ الطهرَةَ آلَ عـبدِ اللّه وآلَ سليمان، وعرِّفْـهِمُ حميدَ مساعِـيهم، ليتحقَّقُوا مـا لهم من جزيلِ الثوابِ وفائضِ الامتنانِ.

وقد كتبتُ فيما حَـبَّسَ غنّامُ عن الشيخِ الطاهر أبي المعالي، فَعِظْهُ فَمَا لَهُ عندَنا عِظَةٌ فـيمـا حَبَّـسَهُ عنه فـقـد ثَبَتَتِ الحـجّةُ بالأوائلِ على التـواني، وَعَـرِّفْني حـالَ غنّامٍ ومـا الذي دَعاه إلـى التعـرّضِ لمن لا يُوازيه، لِسَـهـوةٍ عُرِضتْ له أم لشيطانٍ نَفَثَ في أذنِه فبانتْ مَخازِيه.

وَبلِّغِ الشـيـوخَ الطهرةَ الـثلَثَةَ، أعنـي: أبو الخَيـر وأبو المَعـالي وأبو الفَضـل، وآل عبد اللّـه ومَنْ بِحَوزتهم من الأخـيارِ الأعـالم، وَعرِّفْني أخـبارَ الشَيخَين السيِّدَين أبي الدَّرعِ وأخيه ثابت ومن بحوزتِهم من أهلِ الحِمى وما هم عليه من التضامُنِ والألتئام.

وكذلك تخُصُّ نفسَك بالتحيَّـةِ وجميعَ مَنْ بالبـستان، من الشـيوخِ الطهرةِ الإخوان، وعَرِّفْني مجـاري أمورِكَ وأمورِهم، ولا تُخْلِيني من ذِكرِ آلِ عبد اللّه وآل سليـمان، وشؤونِهم فإنّي أراعي ذلك اهتِمامًـا لما هم عليه، فاللّه

يُطلِعُني من أمورِ الجماعةِ على ما أُسَرُّ بهِ وأَسكُنُ إليه. إنّه وليّ الأجابةِ في ذلك والقادرُ عليه.

والحمدُ للّه محقُّ الحقِّ على رغمِ أنوفِ الجَحَدَةِ المنكرين، وماحقُ الباطلِ بمعالمِ حدودِ قائم الدِّين. والسلامُ عليه وحَسْبي وثِقَتي به عونًا على الشّاكِّين الملحِدين، وقد كنتُ ذكرتُ للشيخِ زَهرَ البنفسجِ فلا يَنساهُ كَلاهُ اللّهُ.

وبعدَ أنْ كتبتُ هذا الكتابَ وصلَ كتابُ الشيخِ بوصولِ الكُتب، ولم يذكُر ما بقي من الكتب. فإنْ كانت وصلتْ إليه المكاتَبةُ التي أنفذَها علي ابنُ الحُسين ليستقيلَ فيها الكِذب والمُنكرِ فعرِّفْنا. وإنْ كانتْ غيرُها ممّن تقدّمَ فعرِّفنا.

والذي أذكرهُ لكَ في بابِ الضياعِ والحِصَصِ فلا يكونُ بينَك وبينَ أحدٍ لا خِطَاباً ولاممماراةً ولا مقاولَة. ويكونوا بأجمعِهم، أعني الشيوخَ، ولا ينزعجُون لأمرٍ ولا يُكَافؤنَ أحدًا على قبيحٍ ويَلزَموا الصبرَ والاحتمال. فليسَ هذا الوقتُ كما تقدّمَ من الزمانِ. وقد وصَل إلى كلِّ أحدٍ من النعمةِ ما يُفهِمُ به الحقَّ من الباطلِ والهُدى من الضلال. فَمَنْ أبصرَ فلنفسِه ومَن عميَ فَعَليها. وقد سُرِرْتُ بحالِ الشيخِ حَسن وولدِه وانتقالِه من جهةِ عليٍّ إلى الحِصَصِ وما بقيَ وقتٌ تكونُ المكاتبةُ فيه على الترتيبِ فقد فُطِن بالكتب.

فاللّه فاللّه أن تَكتبَ في الترتيب شيئًا ممّا أنتَ بسبيلِه فقد أنكَرَ الناسُ والورّاقين ذكرَ الضياع وأمثالَ ذلك. فَثَبِّتِ الجماعةَ في كلِّ موضعٍ على السترِ وإجمالِ الحالِ، وتَرْكِ الكَلامِ، والمنازعة، ويكونوا على الصبرِ والاحتمال، ولا يواقفوا أحدًا لا بقولٍ ولا بفعل، بل يكونُ أعظَمُ ما عندهم الصَّبرُ والسّكوتُ والسِّتْرَةُ.

وتكتبُ بهذا إلى جميعِ المواضعِ وتَعرفُ صُنعَ اللّهِ تعالى. إنّنا كَتبنا بما يوافِقُ مِن قَبلِ وصولِ كتابِك. وإنما كتبتُ هذا على الطريق، وقتَ مسيرِ

أبي جُمعة إلى جهةِ الشيخِ حَرَسَه اللّه. ولولا وصولُ أبي جُمعة ما قدرْنا نكتب إليكم كتابًا. وأمّا طُرادُ فَاصلِحْ حالَهُ بما سألَه واستَتُوبْهُ بينَ يَدَي الشيوخِ الأطهارِ. وأمّا كاملٌ فقدْ ماتَ وبه أهْلَكَ اللّهُ مَن تمسّكَ بهِ، وأذيَّةُ كاملٍ للجماعةِ في بَلَدِه فهي شيءٌ لا يَتَلافاه. فمتى يتّضِحُ له بعضُ كلام مَضى فَشَنَاه، وأفسدَ المواضِع لأنّه لسَ له صَنْعَةٌ غيرُ الكِذب. فلا تُنعم له بشيءٍ من هذا الحَال.

فاللّهِ اللّه! لا يكنْ لأحدٍ من الجماعةِ كلامٌ مع أحد. واستُرُوا نفوسَكُم ووجِّهْ إلى جميعِ المواضعِ بإجمالِ حالِهم، وعرِّفْهم ثوابَ الصبرِ والاحتمال. وفي دونِ ما كتبتُ كِفايَة.

فاللّهِ اللّه! لا تَتركْ هذا الكتابَ مِن يدِك، أو تكتبْ إلى جميعِ المواضع بالسِترِ وإجمالِ الذِكرِ.

وأنا أتوسّلُ إلى اللّهِ في صيانتِهم وجميلِ كفايتهم. وهو حسبي مستعانٌ به وعليهِ التوكُّ. واقرأ كتابي هذا على جميعِ الإخوانِ، وعرِّفْهُم أنّ هذه المكاتبة من قَبْلِ وصولِ كتابِك، ليعرفوا مِنَّةَ وليِّ الزمان، ويتأدّبوا بما هو آتٍ وبما قد كان.

تمّتْ بِمِنَّةِ وليِّ الحقِّ.

١٠٨

مكاتبة رمز إلى آل أبي تراب

ورد ذكر آل أبي تراب في المنشـور المرسل إليهم رقم ٩٧، حيث بعضٌ من قـصتّـهم. كـتب المقتنَـى هذه المكاتبة بأسـلوبٍ رمزي، يسـألُ عن أحوال الموحِّديـن بعد كثرة الاضـطهـادات التي حلَّتْ بهم بسبب الكرديّ والجرمقي تلميذه ومَن لفّ لفّهما.

بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرحيمِ. وصلتْ مكاتبـةُ الشيوخِ إخوتي أطالَ اللّه بقـاهم، وأدامَ توفيـقَهم وعـلاهم. ووقـفتُ على مضـمـونِها وتصـفّحـتُهـا واسـتشـرحتُ غوامضَ علـمهـا على يد أخي أبي الحَسن أعزّه اللّهُ تعـالى، فوجدتُهـا تُنبيءُ عن ضمائرِ طاهرة، ونفوسٍ بارّةٍ خـيِّرةٍ زاهرة، تَضحَكُ عن غرَّةِ أسبـابِ الدهرِ الجديد، ومُلاقاتِ الأحـبابِ بالطالعِ السعيـد. ولم يذكروا شيئًـا من أشواقِهم إلاّ والذي عندي يشهـدُ اللّهُ أضعَافه، ومـا يَتَّسِعُ الزمانُ بشـرحِ بعضِ أوصـافِـه. وإلى اللّهِ أرغـبُ في وُهُوبِ الإجـتـمـاعِ على أحبِّ المسرّاتِ بَمنِّه وكَرمِه.

وأمّا مـا ذكروه الشـيوخُ آل أبي تراب مِن اتّفـاقِ كلمتِـهم واجتـماعِ شملِهم، على بَيعِ هذه الـتجارة، واشتـمالِهم على تحصـيلها، ونأمنُ النقصَ والخِسارة. فالـلّهُ يَمُدُّهُم بموادِّ توفيقِهِ، ويأخذُ بهم في الصـوابِ والخيرِ إلى أنهجِ طريقِه.

وقد قـبلتُ جمـيعَ ما ذكروه الشـيوخُ وتحقّـقتُ سِدقَـهم في المَقَال، وقولِ الشيخِ أبي السرايا وتحكيمِـه للّهِ العليّ المتعال، فهو وهُم في حِلٍّ وفي سِعَةٍ من جميعِ مـا ذكروه، ومسامَحُون بجميعِ مـا فَرَّطوا فيه من هذهِ الغَلّةِ بغيرِ علمٍ وأغفلوه، فيكونوا أيَّدَهم اللّهُ على جُملتِهم وتَعبهم. فاللّهُ يُحسنُ لهم الجَزاءَ والمعونَةَ بِمَنِّهِ.

وأمّا الشـيخُ أبو القاسمِ صـاحبُ البستـانِ أعزَّه اللّهُ ومـا ذَكرَه عنه وعن آل عبـد اللّه وآل سليمـان والجمـاعةِ وما فَـرقُّوا منه وَعظُمَ علـيهم من الإيمانِ فلا يأبُوا ذلك إذا أُلزِموا به.

فالإيمانُ السادقُ تسـبيحٌ وتمجيد، ومتى مـا لم يَحْلِفِ المُتْهَمُ أوجَبَ على نفسِه غَرْمَ المالِ وَحصُلَ له التّغـرُّبُ والتشـريد. واللّهُ لكلِّ أحدٍ بـحيثُ عقيدَتِه، ومؤاخذُه بنيّتِه.

وكذلك أبو القاسمِ ذَكَر عن الجَرْمَقي لعنَه اللّهُ. فباللّهِ ما رأيناه بل قد قِيلَ لنا أنّه عند الكرديّ وأصحابِه في مِصر لا يفارقُهم، وجميعُ ما يقولُه فهو من فِعل الكرديّ، وهو الذي أَصَّلَ له ذلكَ ولغـيرِه في الأوّلِ وفي هذا الوقت، وهو من قِبَلِه.

فاللّه اللّه! أن يَتُمّ له سكَـن في إِحدى مواضعِك فـهو مُفسِـدٌ ملعون، وهذا من قِبَلِ أفعـالِ الكرديّ وهو عندَنا قد خَبَّطَ البَلَدَ أكثـرَ ممّا فعَل بالشام. فاللّهُ لا يُمهلُه أكثرَ من هذا.

وأمّـا حـالُ الشـيخَـين من آلِ عبـد اللّه، أعـني الشـيخَ إبرهيم وأبي الفوارس حُسـين ابن عبـد الرحمن، أيّـدَهما اللّهُ، فـقد ذُكِر لـي قوّتُهَمـا على الفلاحَة، وتَعَبُهُما في المزارَعة، وجميعِ المقتدّمينَ من بني عمّهم. فكاتِبْهم عنّي بالوعدِ الجـميل وإنّنا نقوّيهم وجـميعَ بني عـمّهِم بما لا يُحسَبُ عليـهم، وما أرادوا بعد ذلك بما لا يُكتَبُ عليهم به الوثائقُ لم يُمْنَعوا منه.

وكذلك أبو الدِّرعِ وأبو اللقَا أيّدَهمـا اللّه، فكاتِبْهما بجمـيعِ ما ذكرناه من الوعدِ الجميل.

وتُنفذُ هذا الكتابَ إلى الشـيخِ ضامنِ البستانِ في دَرْجِ كـتابِ الشيخِ أبي السَّرايا مع ثِقةٍ ولتنهَض في إيصاله بغـيرِ تلوّمٍ في ذلكَ. ولتعْرِفْ بذلكَ شيـوخُ آل عبـدِ اللّهِ وآل سُليمـان، وتحكُم طرادَ الجَرَمـقيَّ الكذّاب، لعنَه اللّهُ ولَعَنَ مَنْ أمَرهُ بذلك من هلاكِ المواضعِ وخرابِها.

وجـمـيعُ الشـيوخ رؤسـاءِ الحِـصَصِ يَحكمـون الأمْـر مِن قَـبْلِهم ويُوعِدون أهلَهم مِنَ الجـميلِ والتقـويّة بما لا يُحاسَبوا بهِ، وإنَّ الشـريفَ قد أخرَجَ شـيئًا من مـاله قد رسَـمه لعمـارة الحصَصِ، ويعفـون من جيـمعِ ما أفسدَه الجَرَادُ[1] وإن عُطِفَ من الثمرِ شـيئًا أطلِقَ لهم عوِضَه ولم يُحَـاسَبوا بهِ.

فـاللّهَ اللّهَ أنْ يَتَـوانُوا الشـيوخُ في إيصـالِ هذا الكتـابِ إلى الشـيخِ ضـامِنِ البسـتانِ أبي القاسمِ أيّدَه اللّهُ، ويتولّى ذلكَ الشـيخُ أبو السرايا ومن يَنهضُ معه من الشيوخِ ولا يُهمِلُوه، فما تمكن المكاتبةُ بأكثرِ من هذا.

فاللّهَ اللّهَ تمتثِل طَردَ الجرمقي الملعـون فَضَحَه اللّهُ وعجِّل خِزيَ مَنْ قوّاه على هذا الحالِ، وتُعرِفّونا خَبَرَ الزيتونِ والكَرم وجميعِ الثَّمَرِ. فقد عَرَّفنا الشيخُ أبو الحـسن أنّ الزيتون والكرمَ والتينَ بعد ان أكَلَه الجَـراد رَجَعَ حَملَ حملاً جَيّدًا.

ولا يؤخِّرُ عنّا الجواب بوصولِ هذا الحالِ، وبحالِ هذه الثمرةِ[2]، هل صحّتْ كثمرةِ كلِّ سَنَةٍ بعد أكلِ الجَرَادِ لها؟ ولا يؤخِّروا عنّا الجوابَ بذلك.

---

(١) الجراد : ممثوله الدعاة الفاسدون .

(٢) الثمرة : هي دعوة التوحيد.

وأنا والجماعةُ نَخُصُّ جميعَ الشيوخِ آل أبي تراب بأتمّ التّحيةِ. وكذلك شيوخ آل عبد اللّه وآل سليمان، وجميعَ مَن بالحمراء وشيوخَ البستان. وكذلك مَنْ بالحضرةِ وجميعَ مَنْ بالحِصَصِ بأتمِّ التحيّة.

والحمدُ للّهِ ربِّ العالَمين وصلواتُه على رسولِه إلى الخَلْقِ أجمعين، وسلّم. وحسُبنااللّهُ ونِعمَ النصيرُ المُعينُ.

وتُنفذُ هذا الكتابَ إلى آلِ سليمان وآل عبد اللّه ليقفوا عليه. واللّهُ يُخيِّرُ في ذلك بَمنِّهِ وكَرمِهِ ولُطفِهِ. والسلامُ.

تَمّتْ

١٠٩

الرِّسالةُ الواصلةُ إلى الجَبَلِ الأنور

الجبل الأنور هو جبل السُّمَّاق، لا جبل لبنان، كما يعتبره دي ساسي في كتابه صفحة ٥١٣ من المقدِّمة. وقد ورد معنا ذكر هذا الجبل في رسالة «جبل السماق»، رقم ٩٨. كتب بهاءُ الدِّين هذه الرسالة ضدَّ الذين أفسدوا دعوة التَّوحيد بتعاليمهم وتصرُّفاتهم. إنَّها من سنة ٤٣٣ هـ ويظهر منها عناء بهاء الدِّين، وهو على عناء وقنوط وضيق و«مرارة العيش النَّكِد» وعلى وشك إغلاق باب الدعوة.

بسم اللّهِ الرحمنِ الرحيمِ، حدودِ قائمِ الدِّينِ.

وصَلَ كتابُك يا أخي والعزيزُ عليَّ أطالَ اللّهُ في عزِّ الطاعةِ بَقَاك، وأدامَ حِراسَتَك في دينِكَ ودنياك، على يدِ الأخ الخيِّرِ أبي الحَسَنِ المُحَلِّي رَفَعَ اللّهُ درجتَه. وقرأناهُ وفهِمْنَاه، وشرحَه أبو عبداللّه وسدَّقنَاه. والحالُ لولا حضورُه لسترَنَاه، لضيقةِ حالِنا وَسِعَةِ المسالِك والبَلَدِ، وَشَعْثِ الحالِ ومرارةِ العيشِ النَكِدِ، لقلّة المُؤَازِرِ والسَّديقِ، وعَدَمِ الجَارِ الصالِحِ والرَّفيقِ، وقد تعذَّرتْ علينا الطرقُ والمسالِكُ ونحنُ من أهلِنا على شَفا جرَفِ المصائبِ والمهالك. ونحن نعذرُهم لِعلمِنا منهم بمنزلةِ المستعيرِ ومنزلةِ المالك، وإنَّما ذكرَنا لك هذا لئلاً تقول أنتَ أو غيرُكَ إنّا أبعدْنَاك وأهمَلْنَا حالَك وما أستزرنَاكَ.

ولم تشــرحْ لنا في كتــابِك نبأً مِن حــالِ القَرابةِ والأهــلِ، ولا ذكرتَ شيــئاً ممّا نرتَقــبه من شــؤونِ الجماعــةِ وما هم عليـه من الصيَــانَةِ والدِّعَةِ والفضل.

وقــد كان وردَ إلينــا من قَبلِ هذا الأوانِ بانَّ جــمــاعةً رَكــبــوا النَّهيَ وشَقُّــوا العَصَاه وبايَنوا بالسَّفــهِ والعصيــان، وعَكَفوا على المحرَّماتِ اتّبــاعًا لمراسِمِ الطَّيْــمُــوسِ والشــيطــانِ، وتَآلُّفــاً لِمَــا أَلِفُــوه من الغَيِّ كـفـعلِ أولادِ الشيصبان.

فاقرأ كـتابي هذا على جماعــة الشيوخِ والإخوان، ليتــأمّلوا ما سُطِّرَ فيــه ويُبايــنُوا مَن اشتــهرَ بالرِدَةِ ومَــرَقَ عن سننِ أهلِ الديانات. فأعلِمُــوهم بالاعتقــاد، وأعرِفُوهم بالسِّماتِ، فــقد فرغ زمانُ أهلِ الشَطَنِ الأدعــياء، وخَرَّ سقفُ الباطلِ على المردةِ الأشقياء.

فأينَ يُتَاهُ بهم، بل اينَ يذهبونَ أهلُ الكَرَّةِ الخــاسرَة. فقدَ زَجَرَ زاجِرُ البــعثِ وأشــرقتْ بأهوالِهــا الآخِــرَة، لِفــضــائِحِ أهلِ الغيِّ والــنكثِ والعِناد، ومُجازاتِهم على ما في صــدورِهم من الغلِّ والغشِّ المُتَماد، أولئك أوغادُ الأممِ في ســائرِ الأوقات، الذينَ احــتقــبوا المآثــمَ في زمنِ القيــامةِ وأوثَغُــوا الدِّينَ ورَجَعُــوا عن الحقِ بعد وقوفــهم على حقائقِ الأمــانات. وهم الذين يُضاعَف لهم الجزاءُ والنكالُ على أخسِّ الأعمالِ وأبعدِ الغايات.

فاللّــهُ يُوبِقُهم باعــمالِهم، ويكشفُ ســتْرَ صَونِــه عنهم كمــا أوهَمُوا العالَمَ وكَــذبُوا على أهلِ الدِّينِ ووسموهُم بأقبحِ السِّــمات. فاللّهُ يعدِل فــيهم ولا يُوجِدُهُم رحــمةً لا منه ولا منّا، كمــا جعلُوا لأهلِ السَّفَــهِ طريقًا على أهلِ الحقِّ بما اخترصُوه من أفعالهم وإباحةِ المنكَرات.

فمن اعتــرفَ منكم مِنهم بولدٍ أو والدٍ أو أخٍ ذكَرًا وأنثى فهــو ملعونٌ ناكثٌ للدِّين بريءٌ مــن عظائمِ الحــججِ والآيات. فــاعرِفــوهم يا أهلَ السِــتــرِ

والصيانة، وباينوهم في المَحْيا والمَمات. فقد فرغ زمانُ أهلِ الدّعاءِ وافتضحتْ مصائدُهم لأهلِ الحقِّ بتزَيِّيِهم للمحرَّماتِ. وثبتتْ حجّةُ الحقِّ على الفريقَين، وفازوا أهلُ الحقِّ بطاعتِهم وتميّزوا أهلُ النكثِ بما غَشَت قلوبُهم من الغِلِّ والغِشِّ في الدِّين.

أفما تعتبرونَ يا أهلَ الغَدر والنَكث، أفما ترتَدعون يا أهلَ الرِدّةِ وأولادِ الخُبث؟ فكم تَقْرَعُ قلوبُكم بقوارعِ الحججِ والآيات، وهي كالصمِّ الصِلابِ، أو كالأرضِ السَّبْخَةِ العاجزةِ عن طيْبِ النبات.

فوَأسفا على مَن رجَعَ بعدَ بيانِ الحقِّ وحَفَظَ الحكمة، وبعدَ الاتّصالِ بالبيت المعمورِ والدخولِ من بابِ الرحمة، عَكَسَتْهُم أهلُ الادّعاءِ المُضلّة، وسَلكوا بهم في طريقِ المَتائِهِ وغَيهَبِ الظُلْمَة. فقلوبُهم أسودُ من اللّيلِ البهيمِ وأصلبُ من الجَلمَدِ الصَلد، فهي لا تَتَندّا بماءِ النيلِ ولا تَجد لذاذَةَ البرد، وأذانُهم صُمٌّ عن الحقِّ فهيَ لا تسمعُ نِداه ولا تَحِسُّ بصوتِ الرعد، وأعينُهم في غطاءٍ عن الذِكر قد عميتْ لحلولِ النَحسِ وغيبةِ السَعْد.

أيّها الناسُ قد أَعذَر نذيرُ القيامةِ وصرّحَ بالحق، وأوجبَ الحجّةَ الإمامُ الأعظمُ على جميعِ الخلق. فيا أيّها الجماعةُ المُشَتَّتُونَ والفرقَةُ الجاحِدون الناكثون إنّما جَمَعَ بينَنا وبينَكم خِصلتان: التَّوحيدُ للباري سبحانَه، والطاعةُ لوليِّ الزمان بحقيقيّةِ الإيمان. فنحنُ بهذَين الخصلتَين نَذُبُّ في خلاصِكم واستخلاصِكم من حبائِل الشيطان. فمتى ما رجَعتم عن مراسِمِ القائم الهادي الإمام، فقد نَكَثْتُم التَّوحيدَ الذي ادّعيتُمُوه، إذ لا توحيدَ إلاّ بالطاعةِ لأوامرِ قائم الزمان. فما أنتم لنا بعدَ هذا النكثِ عن الحقِّ لا بأولادٍ ولا بإخوان.

فإلى متى هذا التَّصَرُّمُ والاعتلال، فما بعدَ الهداية سوى الشركِ والضلال، فقد دعوناكم إلى الحقِّ ودَعَينا لكم فما استجبتُم إليه. فاللّهُ يجعلُ

النَكَثَةَ أعداءَ الدِّينِ حَصيدًا لسيوفِ أوليائه المنعَكِفينَ على طاعتِه المعتمِدينَ في السرَّاءِ والضرَّاءِ عليـه. وقد كنّا جعَلنا لأكابِرِ الشـيوخِ في البلدان، أهلِ القوَّةِ في الدِّينِ والرزانةِ والرجحان، قَبولَ الإقالة لمن أذعنَ بالتّوبة واستقال، وأقرَّ على نفسِه بالخـروجِ عن الإباحةِ والفُسوقِ والضلال. كلُّ ذلك إثبـاتُ الحجّةِ على العوالِمِ، وقطعُ لسـانِ المخالفِ الجائرِ الظالمِ، لئلاّ يقـولوا: ما جاءَنا نذيرٌ ولا رسولٌ، ولا عَرَفْنا للحقِّ دليلاً ولا مدلول.

فقدْ بالحجَّةِ تقطّعتْ معاذيرُ الأنام، وقَرُبَ الفطرُ وزالَ شهرُ الصيام، وأشرقتِ الأرضُ بنورِ القائم الهادي الإمام. فـلا يقولُ قائلٌ منكم هذا قولُكم في كلِّ وقتٍ وعام. فـالمعَنى الإبداعي: ظهورُه كغـيبتِـهِ وغيبتُـه كظهورِه، لا سيّما وقد ظهرتْ دلالاتُ شَرَفِ المُقام. فقد أُبلغتْ لكم في الإعذارِ والمعذرة[1]، وأوجزتُ لكم في الموعظة[2] والتذكرة[3]، وما على الرّسـول السادقِ سوى البلاغِ في الاجتهادِ. واللّهُ الموفّقُ لمن رضيَ وسلمَّ ليومِ الجَزاءِ والمَعَاد.

والحمدُ للّه العـالِّ مدهِّرِ الدهورِ ومؤزِّلِ الأزل، ومبـدعِ العقلِ القديمِ علّةِ العلل. والسـلامُ على عقل العوالِمِ وإمـامِ الورى الداعي إلى خيـرِ العمل، والقائمِ على النفوس بمكتـسباتِها وناسخِ الشرائعِ والمِلل. وهو حـسبُ عبدِه الضعيف المقتنى في اليومِ الذي لا عصمـةَ فيه إلاّ لمن اعتصَمَ بالقائمِ الهادي الإمامِ مـصحّحِ الأديانِ ومُديلِ الدُّوَل، المنـتقم ممّن أشرَك وقـسَطَ وَمالَ عن الحقِّ وعدَلَ. وكُتبَ في شـهرِ رَمضان من السنةِ السادِسَةِ والعـشرين لتمام ما قيل والسلام.

تمّتْ والحمدُ لمولانا وحدَه، ولاشكرُ لقائمِ الزمانِ عبدِه.

---

(١) رسالة رقم ٣٤، وهي لقائم الزمان.

(٢) رسالة رقم ٨٧.

(٣) رسالة رقم ٩٣.

١١٠

مكاتبة الشيخ أبي المعالي

ورد ذكر أبي المعـالي في الـ «منشور» رقم ٩٦. أمّا هنا فبـهاء الدِّين، الذي كتب سنة ٤٣٤ هـ يردّ على رسـالة وردته من الشـيخ الطاهر، ويعتذر له لعدم جرأته للذهاب لمقـابلته، نظراً لـ «كثرة اللّصوص»، أي أعـداء الدعوة. وهو يعـترف بأنّـه لا رجاءَ، بعـدُ عنده، إلاّ من اللّه، ولا اعـتمـاد إلاّ عليه تـعالى. وهو يَخـشى المرتدِّين عن الدعـوة أكثـر ممّا يَخشى النّواصب، أي أهلَ السنّة.

بسـمِ اللّهِ الرحمن الرحيم، حدودِ قائمِ الدِّينِ.

كتـبتُ أطالَ اللّه بقـاءَ الشيخِ الخـيِّرِ وإخوتهِ بحـفظِ مسـاعِي الدِّينِ ومعالِمِـه، وجعْلِ القربَةِ إلى أهلِه أجلَّ مكتـسباتِه وأشرف مـغانِمِه، وأدامَ له ولهم نزاهةَ النفـوسِ عـمّا وَلَغَ فـيه مَـنْ أمرَضَ قلبَـه نَفثُ الشـيطانِ بِدَغَلِه وسمائِمِه، وأعاذَه وهم ممّا أوثَغَ أعراضَ مَن رضي بمنزلةِ العالَم المكبوبِ في أفعالِه ومـراسمِه، وجنّبه وهم مهاوي مَن طَمَسَ الـشّيطانُ على قلبِه وتمكّنَ مِن عِنانِه وقبْضِ شكائمِه.

وصلَ كتابُه أدامَ اللّهُ كلايَتَهُ مبيّنٌ عن طهارةِ نفسه ومكنونه، فشفَى الغُلَّة بمعاني سـلامتِه، وبنو عمِّـه كثّرهُم اللّهُ بمضمـونِه، وشكرتُ ذا العزّةِ الوهّاب، ومالِكَ العَرْضِ والحِـساب، على ما وهبنيه في جماعـتِهم من جميلِ

الكفايةِ والصيانة. ودعوتُه ضارعًا مُخْبِتًا لمن أمَّمَ سبيلَ النجاةِ بحفظ مناسكِ الدِّينِ المفترَضاتِ وتأديةِ الأمانة.

وأمّا ما ذكره أدامَ اللّه كلايتَهُ مِنْ أَلَمِ المشاهدةِ والحضور، فنحنُ بحمد اللّه نتناجى بقربِ النفوسِ وصحّةِ النّياتِ على البعدِ بما تَجِنُّه القلوبُ والصدور، إذ كان الزمانُ قد مَنَعَنا ذلك لما نكابِدُه من النَّمَرَةِ اللّصوص والخِشَاشِ المحذور. فنحن منهم كُلَّ يوم على شَفا جَلاءٍ وَسَبٍّ منظور.

فما لنا في حالِ سترةٍ مَنْ نُعَوِّلُ عليه، ولا ملجأ إلاّ إلى اللّهِ والرضى والتسليم إليه. فالنَّواصبُ بنا ألطفُ وأرحَم، والمؤمنونَ لنا منهم أغشُّ وأظلَم. ونحنُ بينَ أهلِ الخلافِ آمِنون مطمئِنّون، وبينَ المدّعين الإيمانَ وَجِلُون خائفون، وهم عن أنفسهم معذورون، ونحن نعذُرُهم علِى صفةٍ وهم عند أهل الحقِّ مُلامُون.

فليُوطِّي الشيخُ الطاهرُ ذِهنهُ لفكرته، لتنبجسَ ينابيعُ خاطِرهِ بفيضِ حكمتِه، وترجِعُ فكرتُه إليهِ ليُشْرِف بها على خفيّاتِ المسَاعدِ في بدايتِهِ وآخرتِه، فإنّه إذا انسدّتْ ينابيعُ خاطرِه ولم يوطئ ذهنَه لركوبِ الفكريّات، أتتِ الفكرةُ بالقول المتناقض وبما لم تشهَد به المعقولات، وصار ما يُترجَمُ عنها من الكلام خارجاً عن النفسِ الملكيّةِ ومائلاً إلى الطبيعيّات، وهذا مأدبةٌ لغيره، ومُعنًى به من تشذَّبَ عن أوامرِ الحقِّ ورضيَ لنفسه بمهالِكِ الوضيعيّات.

فليذكِّرِ الشيخُ الطاهرُ بهذه المباحثِ قلوبَ بني عمِّهِ وأهليه، ويَذُودُهُم عن حِياضِ السَّفَه لِما يأمَلُه من شفاعةِ هادي الأمم ويَرتجيه.

وليعملِ الشيخُ الطاهرُ تمامَ إشراقِ النجوم البابانية، وكمالَ شَرَفِها بالأنوارِ الشعشعانيّة، وتألّقَها للظهورِ بمَسَاعدِ أهل الطاعةِ ومناحسِ أهلِ

الردّةِ القـزمانيّـة، وقـد هبّتْ أرياحُـهـا وبرقتْ بوارِقُـها، وتحـقّـقتْ للمَطالعِ والخروجِ مَغارِبُها ومشارِقُها.

وقـد بَرَحَ الخَفَـا وتسعَّـرتْ نيـرانُ العِقـاب. فأيـنَ يُتاه بِظلمـةِ أهلِ الكتـاب؟ وأين فِـرارُهم من يومِ العـرضِ والحـساب؟ وقـد أُرْحِلَتْ قِـلاَصُ البَعث[1]، وحَدَى بها الحادِي[2] وطلعتْ أقمارُ القـيامة[3]،مستمـدّة بشموسِ الإمامِ القائمِ الهـادي. وعمّا قليلٍ، واللّهُ لَيُوقِفَنَّ الأممَ على الجحـيم، وليَسْألُنَّ يومئذ عمّا فرّطوا فيه من نصائحِ آياتِ الحقِّ وعن الطريقِ المستقيمِ.

أمَا في هذا الأنباءِ مـزدَجَرٌ لذي حِجرٍ فيَتَـميَّزَ بنفسِـه الشقّـافةِ عمّن أزعجَه البَلَسُ عن قَـبُولِ النّهي والأمر، وحَالَ بينَهُ وبينَ أرواحِ الحـياةِ مَرَضُ عقلِه وقلّةُ الصـبر. أفما ينتبِـه مَن مَرَدَ عن الحقِّ قبلَ كشفِ السُـتورِ وظهورِ ليلةِ القَـدْر، وآيَسَ مِن وليِّ الحقِّ إمامِ الزمـان والدهر، وقبل أنْ يفـتضح مَن شطنَ وادّعى الباطلَ وخَسرَ دينه ودنيـاه بما أوّلَ في نفسهِ من الغلّ والغشّ والغـدر. فهـو يوْعِـدُ مَن أحادَه عـن الحقِّ بمخائلِ الكذبِ والـبهتِ والزجـر، وَيُمَنِّيهم بخَرَصِهِ بما سيزهَقُ وَيَبُـور، شبيهَ عجلِ بني إسرائيلَ في السَّلَف، وما هو بدونه في السرَق والخُلف، قد احتقَبَ من الأمةِ مآثم من فُتنَ بزُخرُفه عن الحقِّ وبنارِه أحـرقَهـا، وعكسَ بصـائرَهم عن الحقِّ وفي بحرِ ضـلالاتِه أغراقَهـا. أفما تتيقّظِ الهلَكةُ المزعِجـون، وينتبهوا لِما قـد أشرفَ عليهم، وهم إليه صائرون.

فَأَبِحْ هذه النصـيحَةَ أيّهـا الشيخُ الفاضلُ لمن اسـتنصَحَك في دينه، وَأَقِلْ مَنْ أثَرَ الإقالَة عـند تحقّقِكَ لسـدقِ لسانِه ويقينِه. والْطـفْ بالكافّةِ في

---

(١) النُّوق الطويلة القوائم.

(٢) سائق الإبل، وهو قائم الزّمان.

(٣) هم الحدود التّوحيديّة.

القولِ والخطـاب، وألِنْ جانبَك لهم بعـدَ مَحضِ الحقِّ والصـواب، ولا تَقُلْ ما هكذا سُطِّر في الكتـاب. فلحدودِ ولـيِّ الأمر والحقِّ القطعُ والوصلُ والكسـرُ والجبرُ وفكُّ الرقاب. وقولُهم يَهتُكُ حُجَابَ الباطلِ بمخضِ الحقِّ وتبيينِ المآب، وكلامُهم أَحَدُّ من شُفَرِ المُرهفَاتِ لِضربِ الأعناقِ وقطعِ الهِضاب. فكنْ سعيدًا أيّها الشـيخُ الطاهرُ بما صدر إلى سـاحتِك وفنائك، واغـتنمْ فرصـةَ الزمانِ الشـاهدِ بنعَم وليِّ الحقِّ عند المُحصي لفـضائحِ أعـدائِهم واعدائِكَ. والـسلامُ عليكَ وعلى إخواني إخوتِك وبنو عمِّك وإقربائِكَ.

والحمدُ لـلّه الذي تجالَل عن تنزيه المخلوقاتِ والمبدَعـات، المقدَّس عن الوصولِ إذا حـجَبَ عظمتَه بمعنى أن تتـوَهَّمُه العوالمُ من لطائفِ العـبادات، سوى الاعـترافِ بالعَجزِ والرِضى والتـسليمِ بعد الطاعةِ لعـقلِ العوالمِ وليِّ الزمانِ وحدودِه المفترضات. والشكرُ للوليِّ العقلِ القائمِ المنصوصِ عليه على رؤوسِ الأشهـادِ من حيثُ العـوالمُ بالأمرِ والنهي في حقـائقِ الديانات. وهو حسبُ عـبدِه الضـعيف المقـتنَى في يومٍ تَنقَطِعُ فـيهِ وصـائلُ أنســابِ المدَّعين ويصحّ الفَلَجُ لأهلِ السدق والأمانات.

وكُتبَ في السنةِ السادسة والعـشرين من سنين القائمِ على النفوس بالجرائمِ المكتَسَبـات. وقد بَعُدت عنّا معارفُ آل عبد اللّه وخـفيْت أسماؤهم وأخبارُهم. وَسلَوا عن ذكرِنا ونحنُ نتوكَّفُ أنباؤَهم وآثارَهم. فاللّهُ يُديمُ لهم عاقبَـة الثبات، ولا ينساهم من رحـمته يومَ العرض والميقـات. ويجعلُ منهم خَلَفًا لمـن تقدّم من الشيـوخِ أهل التسليم والـطاعات. ويجبُ أنْ يعـرِّفونا مَن منهم اليـومَ على السنن القويم ومَـن منهم مُؤْثَرٌ بحـفظِ الحكمةِ ومـتمـسِّكٌ بحقائقِ الديانات. ونحنُ ومَن عندنا نخصُّكم بالسلامِ التامِّ وأطيبِ التحيّات.

تَمَّتْ والحمدُ لمولانا وحده. والشكرُ لقائمِ الزمانِ عبدِهِ.

١١١

منشور الغيبة

هي الرسالة الأخيرة من مجموعة «رسائل الحكمة»، كتبها بهاء الدِّين السنة ٢٦ من سنيّ حمزة أي ٤٣٢ هـ. بهذه الرِّسالة استعفى بهاء الدِّين من إدارة الموحِّدين، لعذاباته الكثيرة وعنائه. وهو يوصي الموحِّدين بالإيمان، وبالحفاظ على ما علّمهم إيّاه، ويذكّرهم برسائل عديدة من رسائله، أخصها «إلى ابي اليقظان»، رقم ٦٥. ويبدو في منشور الغيبة يأسُ بهاء الدِّين وقنوطه، فعزم، بعد طول عناء، على الاختفاء والغَيبة، كما اختفى من قبله المولى والوليُّ وجميعُ الحدود. وبغيبة بهاء الدِّين انتهتْ مجموعةالرسائل، وأُغلق باب الدعوة، وطُويتِ الصحف، وجفّتِ الأقلام.

بسمِ اللّهِ الرحمنِ الرحيمِ، حدودِ قائمِ الدِّين،

إلى أهلِ الرضى والتسليمِ أهلِ الطهارةِ والتُّقى والسلامة، المعترفين بوليِّ الدِّينِ قائمِ القيامة. ألسلامُ على مَن رَضيَ وسلّم لإمامه، وكانَ مُراقباً لراياتِه وأعلامِه، ونظرَ فيما وصلَ إليه من موضِحاتِ حكمتِه ومساديقِ كلامِه. فاحفظوا إخوانَ الدِّينِ معالِمَ التَّوحيدِ والإيمان. وتأمَّلوا ما أُدرِج لكم من النهي عن المحرَّمات في الحقائق[1]، والقاصِعة[2]، والتمييز[3]، وكتابِ

---

(١) رسالة رقم ٥٧.
(٢) رسالة رقم ٦٤.

الشهيدِ الطاهرِ أبي اليقظان[٤].

فأنا العبدُ الضعيفُ بَريءٌ ممّا اخترصَه مَن اخترَص من جميع القبائحِ ونسبَه إلى الدِّينِ والإيمان. والباري يشهدُ بما أذعتُه من النهي عمّا أحدَثه لاحِقٌ وسُكَينٌ ومُصْعَبٌ وأمثالُهم من المحرَّمات. وذلك أوّلُ مَا أمرني بإقامة الدّعوة بالأمرِ العالي وليُّ الزمانِ وصاحبُ الظهورات.

فمَنْ حَفِظَ منكم الحكمةَ، وطهَّر نفسَه من التلبّس بأهلِ الرِّدَّة والقبائحِ والإباحات، وكان منتظِرًا بما يهجُمُ من يومِ الجَزاءِ والميقات، حافظًا لإخوانِ الدِّين، صابرًا على عظيم ما هو آت، فهو المرجوُّ له النجاةُ من جميع الموبقات، في يومٍ تجِدُ كلُّ نفسٍ ما عمِلتْ مَستورًا من الحسناتِ والسيّئات.

وَتَحَقّقوا أيّها الإخوانُ أنّكم في أعظم الفترات، وقد نادَى ووصَل إلى جميعِ البلدانِ والأطرافِ والأقطار، ما لا يفي بُعشرِ معشارِه ولو كانت مِدَادُه زواخِرَ البحار، وقد قامتْ به الحجّةُ على جميعِ المللِ والأممِ ونادى إليهم في الإعلانِ والأسرَار. ولم يجدِ العبدُ الناصحُ أحدًا منكم ولا من جميعِ الأممِ مَن يَتقرّب إلى الباري بسريرتِه عن مكائدِ الأضدادِ والأشرار.

والعبدُ الخاضع فقد أوجب الحجّةَ على الملل والأمم وهو مسلّمٌ لمولاه، ظاعِنٌ إلى الغيبةِ والاستتار.

وهو يستودِعُ جميعَ أهلِ الحقِّ مَن قَرُبَ منهم ومَن نأى لأمرِ المولى الإلهِ الحاكمِ المنزَّهِ الجبّار.

فمَنْ وقعتْ بهِ منكم محنةٌ وطُلِبَ منكم سَبَّ هذا العبدِ فَتَبَرّأوا منه

---

(٣) رسالة رقم ٦٦.

(٤) رسالة رقم ٦٥.

وسُبُّوه. وإنْ طُلِبَ منكم لعنتَــه فالعَنُوه. هذا عند الإضرار[٥]. واللّهُ العالم بما تُظهِروه وَتكتُموه.

فقد تجَّدَدَ من شهاداتِ الزّورِ والإفكِ مــا الباري مُقَرِّبُ جَزاء مَن فَعَل ما شَــهدَ به ومَن شَـهِـدَ بالكذب، ومَن قَبلَ ما اخــترصُوه الأفّاكُـون وموّهُوهُ ويقرّبُ جزاء فاعِله وقائله وقابله، ويوقفُ هذه الشـهادةَ بينَ أعينِهم عن قريبٍ ولا يُوجِدهم رحمةً فيما قد أوتَغوا به الحقَ واختَلقُوه.

والحـمدُ للّه المنزَه المنّان علــى أولياءِ حــقِّه بإقــامةِ الحــجَّة والعــذرِ، ومؤنِسُهم عند جولةِ الأضــدادِ وشياطينِ الفترةِ في الغربة وبلادِ القـفر، كما أحرمَهم مَن يتقرَّبُ إليه بأبوابِ سببِها أياسًا من الظهورِ والعزِّ والنصر.

والسلامُ على وليِّ القيامةِ القائمِ بموجباتِ البعثِ والنشر.

وهو حســبُ عبدِه الضــعيفِ الرّاجي لــرحمتِــه، في يومٍ تنقطعُ فــيه وصائلُ الأنسابِ، وتتحلّل معاقدُ العُذر.

تمّ المنشورُ والحمدُ لمولانا وحدَه. والشكرُ لوليِّه عبدِه.

---

(٥) أي الاضطرار.